

[السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها].
الكتاب: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها
المؤلف: الباحث عماد السيد محمد إسماعيل الشرييني
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: 1422 هـ - 2002 م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 14185 / 2001
الترقيم الدولي: 977 - 336 - 052 - 0
التصنيف: ردود
قام بإعداده للشاملة: أبو الوليد المقتدي [غفر الله له وهداه سنن البشير].
أحد أعضاء ملتقى أهل الحديث:
<http://www.ahlalhdeeth.com>
ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة]

[السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها].
الكتاب : السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها
المؤلف : الباحث عماد السيد محمد إسماعيل الشرييني
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : 1422 هـ - 2002 م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 14185 / 2001
الترقيم الدولي : 977-336-052-0
التصنيف : ردود

قال الله - عز وجل - : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (1)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِنًا عَلَى أُرِيكَتِهِ ، يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي حَرَمًا)
فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ ،
أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ لَمَثَلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) (2)

إهداء

إلى والديّ : اللذين رباني على مائدة القرآن ، وأرشداني لدروب الخير ، ووهباني للأزهر والعلم ،
وأدبا ، وعلمنا ، وصبرا ، واحتسبا ، ودفعاني للبحث دفعا ، وأنفقا كل مرتخص وغال اسأل الله عز
وجل ، أن يبارك فيهما ، ويرزقني برهما ، وأن يمدّ في عمرهما ، ويحسن خاتمهما ، وأن يجعل ذلك في
ميزان حسناتهما يوم القيامة.

إلى مشايخي وأساتذتي بكلية أصول الدين بالقاهرة ، وأخص منهم بالذكر السادة الأساتذة أصحاب
الفضيلة ، الدكتور الشيخ إسماعيل عبد الخالق الدفتار ، والدكتور الشيخ عبد المهدي عبد القادر ،
والدكتور الشيخ طه الدسوقي حبيشي ، أسأل الله عز وجل أن يبارك في مشايخي وأساتذتي جميعا ،
وان ينفع بهم الإسلام والمسلمين .

إلى زوجي: أم صلاح الدين التي لم تدخر جهدا في مساعدتي، فواصلت مع الليل بالنهار ؛ لأجل
إخراج هذا الكتاب فبارك الله عز وجل فيها ، وفي ولدي صلاح الدين .
إلى إخوتي: الذين وفروا لي سبل الراحة لأتفرغ لطلب العلم؛ فبارك الله عز وجل فيهم .

إلى كل من نصحتني فأحسن النصيحة، وكان عونًا لي على إخراج هذا الكتاب .
إلى كل هؤلاء أهدي باكورة أبحاثي _ وهي هذا الكتاب .

(3/1)

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد،
فإن القرآن الكريم والسنة النبوية أساس الإسلام ونبوعه ، ولقد حظيا باهتمام الأمة الإسلامية اهتمامًا منقطع النظير ، فخدمنا من كل ناحية، وبذلت الجهود في تقريبهما من كل زاوية.
ومن باب العناية بالقرآن والسنة دفع شبهات أعداء الإسلام عنهما ، فإن أعداء الإسلام يحاربون الإسلام من كثير من النواحي، وكان نصيب القرآن والسنة كبير، فهم يحاولون إثارة شبهات، ويحاولون انتقاد القرآن والسنة ، ونصيب السنة من افتراءاتهم أكبر، فهم على طول التاريخ يحاولون اختلاق الأباطيل على السنة النبوية وعلماء الإسلام لهم بالمرصاد، يفتندون افتراءاتهم ، ويبينون كذبهم وزورهم.
وفي أيامنا هذه طغى الكفر، وأثار أهله وأذنانهم الكثير من الشبهات التي هي في حقيقة الأمر افتراءات وأكاذيب ، جاءوا بأكاذيب سابقينهم ونسجوا على منوالها ويحرفون النص ليعطي غير معناه، ويبتزون النص ليفيد غير المراد منه، وإذا وجدوا حديثًا صحيحًا لا يوافق أهواءهم ادعوا أنه لا يوافق العقل، يريدون عقلهم الذي يبغض الحق والإسلام .
وإذا وجدوا حديثًا ضعيفًا أو موضوعًا يوافق مرادهم ادعوا صحته وثبوته .
إن طائفة من أهل الكفر وأتباعهم راحوا يثيرون الافتراءات والأباطيل ضد السنة النبوية، يظنون أنهم بذلك يبعدونها من حياة المسلمين، وجهل هؤلاء أن الإسلام بمصدره القرآن والسنة يحفظه الله، ويوفق له من أهل العلم من يزود عنه، ويبين الحق والصواب، ويبطل الباطل مهما كثر وزاد .
والحمد لله هيأ الله تبارك تعالى للسنة النبوية في أيامنا هذه عددًا من أهل العلم يبينون الحق ويبطلون الباطل ، تحدثوا وكتبوا، وحاضروا وخطبوا، وسيظلون على هذا النهج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(4/1)

ومن هؤلاء المدافعين عن السنة النبوية الأخ الباحث / عماد الشربيني ، ففي كتابه السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام استعراض أقوال أعداء السنة النبوية ، وعزا كل قول لصاحبه ، وذكر مصدر كل قول، وكر على كل قول بما أبان كذبهم وافتراءهم .

لقد استعرض _ وفقه الله _ شبههم ، ورد عليها بالدليل القاطع والبرهان الساطع، وهو من أهل الحديث النبوي الشريف، وهذا مكنه من إيراد الدليل من كتب السنة المطهرة، يعزو الحديث لمصدره ، ويبين صحته وثبوته، وله دراية باللغة ، وحس بأدبها، وهذا مكنه بفضل الله من إبراز الحق في الموضوع الذي يدرسه .

وأيضاً للأخ عماد نفس طويل في تتبع ما قيل عن السنة النبوية من أعدائها، ودراية بتناقل افتراءاتهم ، مما مكنه من إبراز تاريخ الشبهة ثم دحضها .
وأسأل الله أن يتقبل من الأخ عماد عمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .
والحمد لله رب العالمين .

17 / 5 / 1422هـ

7 / 8 / 2001م

أ. د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

(5/1)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديناً قويمًا، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وهو اللطيف الخبير، الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وعلمنا، ومنَّ علينا، وتفضل ببلوغ المراد من خدمة سنة سيد المشرِّعين، التي فسرت الكتاب الكريم، وبينته للناس، وحيًا بوحي، ونورًا بنور، فاكتمل بهما الدين القويم، والصراط المستقيم⁰
اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أنت رب العالمين، سبحانك لا نخصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك⁰
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله رحمة

للعالمين، ليكون أميناً على وحيه، مبيناً لكتابه، خاتماً لأنبيائه ورسله، ولتقوم به الحجة على هذه الأمة إلى يوم الدين⁰

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه البررة الأوفياء، أئمة الدين، وصفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين⁰

ورضى الله عن تبع سنتهم، وسلك طريقته، واقتفى أثرهم، ونصرهم إلى يوم الدين⁰

ثم أما بعد

فإن الله - سبحانه - بعث سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - على فترة من الرسل، ليكون هداية للبشر جميعاً، وليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل عليه وحيين عظيمين : أولهما : كتاب الله - سبحانه - الذى وصفه بقوله : {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} وقال تعالى : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}⁰

ثانيهما : السنة الغراء، والتي هى البيان لكتاب الله - سبحانه -، وهذا البيان أسنده رب العزة إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فقال تعالى : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} وقال تعالى : {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

... ووصف رب العزة هذا البيان بأنه منزل من عنده - سبحانه - فقال : {فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}

... ووصف - عز وجل - هذا البيان بأنه وحي يوحى فقال - سبحانه - : {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}

وبهذا البيان، كانت علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة، علاقة متلازمة لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ فالسنة المطهرة كالروح للبدن، والنور للعين، بل إن الضرورة إليها أكثر من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها⁰

وبالقرآن والسنة معاً قام بناء الإسلام، وتأسست دولة الإسلام، واستمدت منهجها من المصدرين معاً⁰

وقد كانت أمة الإسلام حتى وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وصدر من عصر صحابته أمة، على منهج واحد في التسليم لنصوص الوحيين الكتاب والسنة، وعدم التقدم بين يديهما، ولم يعارضوا نصاً ولم يحرفوه، ولم يقبلوا قول كائن من كان، إذا خالف كتاب الله - سبحانه -، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -⁰

على هذا المنهج سار الصحابة الكرام، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان، إلى أن بدأت الأقوال الشاذة، والاتجاهات المنحرفة تظهر في ساحة الإسلام، فظهر الكلام في القدر، والوعد والوعيد، والطعن في الصحابة، والكلام في صفات الله - سبحانه - وغير ذلك⁰ فبنى ذلك أقوام ونصروا تلك الأقوال وعصدها، فتكونت من ذلك فرق ونحل، واحتدم بينهم الخلاف، واشتد النزاع، وبدأت الفرقة، فلجأت كل فرقة إلى القرآن الكريم لتتصر أفكارها وتعصد أقوالها، فأعجزهم القرآن أن يجدوا فيه ما يدعم ذلك الباطل؛ فسلطوا عليه معاول التأويل، ثم انتقلوا إلى السنة ليجدوا فيها ما يتمنون، فلم يفلحوا، فوضعت هنالك أحاديث، وطعن في أخرى، وحرف كثير منها، وتجاسرت العقول على نصوص الوحي، فواجهتها بالرّد والتكذيب والتحريف والتبديل⁰ وكان لآراء تلك الفرق في الصحابة، ونظرتهم إلى الحديث والمحدثين، ورميهم إياهم بحمل الكذب، ورواية المتناقض، وذمهم ومبالغتهم في انتقاصهم، أكبر الأثر فيما أثير حول السنة النبوية من شبهات وقد مهدت تلك الفرق وعلى رأسها المعتزلة السبيل، وفتحوا الباب على مصراعيه، فوج منه كثير من أعداء هذا الدين من اليهود والنصارى⁰

(7/1)

وإذا كانت في القرن الثاني الهجري هبت أعاصير عاتية تهدف إلى الإطاحة بالسنة، وإبعاد المسلمين عنها، وتشكيكهم في طرق نقلها وروايتها...، فقد كانت في القرن الثاني أيضاً العلامات البارزة في طريق رعاية السنة النبوية الكريمة وتوثيقها... وقيض الله - عز وجل - أئمة كباراً في هذا القرن، وقفوا في وجه هذه الأعاصير يردون كيدها، حتى ارتدت سهام العابثين إلى نحورهم، وأصبحت ذكراهم في كتب الرجال تهب مشاعر الغضب نحوهم، والسخط عليهم من كل غيور على دينه، جزاء إثمهم وافترائهم على نبينا - صلى الله عليه وسلم -، وما أقدموا عليه من تشويه سنته المطهرة⁰

... وما أشبه الليلة بالبارحة كما يقولون!، فقد نبتت نابذة في عصرنا الحديث تشكك في السنة، في هجمة شرسة غاشمة، لم نسمع بمثلها من قبل، هجمة تكاثفت لها كل قوى الشر والبغى من الشيوعيين الملاحدة، والصليبيين، والصهاينة، ودعاة اللادينية من العلمانيين، والبهائيين، والقاديانيين، وغيرهم ممن يجمعهم معسكر العداء للإسلام وأهله، وزعمت هذه النابذة أن السنة حرفت وبدلت ... وأن أسس توثيقها كانت واهية وشكلية، ولم تنهض بعبء الحفاظ عليها⁰ ومن المؤسف حقاً أن يكون من بين أبناء الإسلام من يزعم بصريح اللفظ : لا حجة في السنة، إنما الحجة في القرآن وحده دون سواه، وقد وجدنا بعضاً من هؤلاء في لاهور بباكستان، وسمت نفسها جماعة القرآن، وهي أعدى أعدائه، إذ تتهجم على تفسيره⁰ وهي لا تعرف من العربية حرفاً واحداً، وتعتمد على تراجم شائثة⁰ وتعتبر ما فيها هو الحجة من غير احتياج لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -⁰ وإن هؤلاء إن استقام لهم طريقهم لأدى ذلك إلى أن يصاب القرآن بما أصيبت به الكتب السابقة، إذ اعترأها التغيير والتبديل بسبب التراجم، وضاع الأصل⁰

(8/1)

وقد وجدنا مثل هذا الفريق في مصر، وبعضهم يتبوأ مراكز علمية عالية، ويتستر وراء بعض الألقاب كمستشار، أو دكتور، أو مفكر إسلامي ... إلخ، وقد قمت بصحبة بعضهم، للاطلاع على أحوالهم وأساليبهم في الكيد للسنة المطهرة، ورأيت كيف يخططون وينسقون مع بعضهم البعض، ورأيت كيف يستمدون المعونة ممن يكيّدون لديننا ولأمتنا الإسلامية ليل نهار⁰ من أعداء الإسلام الظاهرين، فالتقوا جميعاً على هجوم شرس غاشم على السنة المطهرة⁰ ومن الواضح أن المؤامرات العدائية للإسلام تلبس في كل عصر لبوسها، فهي حين يكون المسلمون أقوياء تأخذ طريق التهديم الفكري والخلقي، والاجتماعي، وحين يكونون ضعفاء تتخذ طريق الحرب والتجمع، وتستهدف الإبادة والإفناء، فإذا عجزت طريق الحرب عن تحقيق أهدافها، انقلبت إلى طريق فكري خداع، تستهوى عقول الغافلين أو المغفلين، فينبت للإسلام في داخل أسواره نابذة تنحرف شيئاً فشيئاً عن عقيدة الإسلام السمحة، المشرقة، حتى تنتهي إلى عقائد، وأفكار تخالف المبادئ الأساسية للإسلام، وتحقق الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها أعداؤه، من حيث أنهم لا علاقة لهم بهذا التخريب والتهديم⁰

والذى يمكن أن أقرره هنا ... أن علل الأمة وأدواءها، لا تأتيها من الخارج بمقدار ما تأتيها من الداخل، ومن نفسها قبل غيرها⁰

ولله در من قال : ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين، ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين، وهو كلام أصاب كبد الحقيقة(1)0

فاخطر الأكبر من هذا الهجوم الشرس على السنة المطهرة في عصرنا يأتي ممن ينتسبون إلى الإسلام، ممن هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وهذا ما دفعنى إلى اختيار موضوع هذا الكتاب السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام في الكتابات العربية0

وقد هدفت من كتابته إلى عدة أهداف منها :

(1) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ لشكيب أرسلان ص 67 0

(9/1)

أولاً : كثرة الأعاصير التى تهب في وجه السنة النبوية من جميع أنحاء الدنيا، مستهدفة محو أثرها، وقلع جذورها، حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته0

فأحببت أن تكون لى مشاركة فى صد تلك الأعاصير، وإيقاف زحفها مع من بذلوا جهوداً فى الدفاع عن السنة لحماية حصنها من التهديم والتخريب، راجياً بذلك المثوبة من الله تعالى0

ثانياً : بيان أن السنة حجة لا نزاع فيها بين المسلمين، وأنها ضرورة دينية، ومن أنكر حجيتها بشروطها المعروفة فى الأصول كفر، وخرج عن دائرة الإسلام0

ثالثاً : أن يكون هذا البحث هادياً لمن تأثر من أبناء الإسلام بشبهات أعداء السنة، وأساليبهم فى الكيد لها، مما يوجب على من عرف الحق أن يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان0

رابعاً : إرادة الإسهام فى كشف القناع عن أساليب، وحقيقة أعداء السنة، من أهل الأهواء والبدع قديماً، من الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، ومن أحيا فكرهم فى العصر الحديث من المستشرقين، وأذياهم من دعاة اللادينية من العلمانيين، والبهائيين، والقاديانيين ... فلا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، ولا يستبين الحق أو الرشد من لم يتبين الباطل أو الغي0 كذلك لا ينافع عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه، ومن لم يدرس خططهم، وأساليبهم، ولا يقدر على الحرب من لم يتعرف أرض

المعركة 0 وإنما معركة ليست أقل من المعارك الحربية التي خاضها المسلمون، ولا يزالون في بعض الأماكن 0

(10/1)

إن الأخيرة قد استهدفت بالدرجة الأولى الأرض والتراب أما هذه - وهنا ممكن خطورتها- فإنها تستهدف القلب والفكر والوجدان وهي - لعمري - أعز على الله ، وأعز علينا من الأرض والتراب؟ ولا يخالنا ذرة من شك أن الشراك التي نصبت شرها وكيدها من شبهات ساقطة، وطعون واهية، غير مستندة إلى دليل، ولا قائمة على برهان، وإنما هي مجرد قولٍ قاله، وافتراءً افتراه، أناس سادرون في غيهم، للتشكيك في حجية السنة، والتنفير من التمسك بها، والاهتداء بهديها، ليتسنى لهم القضاء عليها أولاً، ثم يخلصوا منها للقضاء على القرآن ثانياً، وبذلك يتحقق لهم من هدم الدين ما ينشدون، وقد أخبرنا الله - سبحانه - بذلك إذ يقول تعالى : {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} ولكن وإن سَعَوْا ما أمكنهم، فلن يصلوا إلى هدفهم المنشود، وغايتهم المطلوبة، بل سيظلون يتخبطون تخبطاً عشوائياً في مناهات مظلمة كثيرة الالتواء صعبة المخرج، إلى أن يموتوا غيظاً وكمداً وحقدًا؛ لأن الله - سبحانه - تكفل بحفظ دينه من كل من يريده بسوء، وحفظ أهله من كل من يريدهم بشر، كما يدل على ذلك قوله تعالى : {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(32)هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}

وما شأن شرادم البغي - قديماً وحديثاً - ومحاولاتهم النيل من السنة المطهرة إلا كشأن من قال عنه الأعشى بن قيس :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ
وهم بغيهم وقالتهم الكاذبة، إنما يظلمون أنفسهم ودينهم، قال تعالى : {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}

خطة البحث :

(11/1)

نظراً لتعدد جوانب الموضوع وتشعبها، وكثرة الشُّبه وتداخلها، فقد تنوعت مصادره، مما حتم على مطالعة العديد من الكتب في أنواع العلوم المختلفة، وتجميع المادة العلمية من مظانها، يستوى في ذلك كتب الهجوم على السنة المطهرة، أو كتب الدفاع عنها، مما أدى إلى استنفاد جهد، ووقت ليس بالقليل⁰ ولكن أحمد الله - سبحانه - الذي أعانني على ذلك⁰

وقد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة :

أما المقدمة فقد ضمنتها : سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث ومنهج البحث فيه⁰ أما التمهيد ففيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: كلمة في الاصطلاح⁰ معرفة الفوارق بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية .

المبحث الثاني : التعريف بالسنة في مصطلح علمائها⁰ وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالسنة والحديث في اللغة⁰

المطلب الثاني : التعريف بالسنة والحديث في الاصطلاح⁰

المطلب الثالث : شبهة حول التسمية والرد عليها⁰

المبحث الثالث : الحديث النبوي بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية⁰

المبحث الرابع : الحديث النبوي تاريخ الإسلام⁰

المبحث الخامس : دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم⁰

أما الأبواب فهي :

الباب الأول : التعريف بأعداء السنة النبوية، وفيه تمهيد وأربعة فصول :

التمهيد : وفيه التعريف بأعداء لغةً وشرعاً⁰

الفصل الأول : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج، والشيعة، والمعتزلة)

الفصل الثاني : أعداء السنة النبوية من المستشرقين⁰

الفصل الثالث : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً (العلمانية، والبهائية، والقاديانية)

الفصل الرابع : أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة⁰

الباب الثاني : وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة ويشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : شبهات حول حجية السنة النبوية⁰

-
- الفصل الثاني : وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد .
- الفصل الثالث : وسيلتهم في الطعن في رواية السنة المطهرة .
- الفصل الرابع : وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث .
- الفصل الخامس : وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة .
- الفصل السادس : وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التأريخ للسنة ورواها .
- الباب الثالث : نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها⁰ ويشتمل على تمهيد وعشرة فصول :
- التمهيد ويتضمن بيان :
- أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها⁰
- ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها⁰
- الفصل الأول : حديث إنما الأعمال بالنيات .
- الفصل الثاني : حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف .
- الفصل الثالث : أحاديث رؤية الله - سبحانه - ومحاجة آدم موسى عليهما السلام والشفاعة .
- الفصل الرابع : أحاديث ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام .
- الفصل الخامس : حديث عذاب القبر ونعيمه .
- الفصل السادس : أحاديث خلوة النبي - صلى الله عليه وسلم - بامرأة من الأنصار، ونوم النبي - صلى الله عليه وسلم - عند أم سليم، وأم حرام ، وحديث سحر النبي - صلى الله عليه وسلم -⁰
- الفصل السابع : حديث رضاعة الكبير ، شبهات الطاعنين فيه والرد عليها⁰
- الفصل الثامن : حديث وقوع الذباب في الإناء .
- الفصل التاسع : ثمرات ونتائج الحديث الصحيح⁰
- الفصل العاشر : مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة⁰
- الخاتمة : وفيها نتائج هذه الدراسة، ومقترحات، وتوصيات، والفهارس العلمية للبحث⁰
- هذا ولم أتعرض لتحرير مبحث أو مطلب إلا بعد أن رجعت إلى ما أمكنني الإطلاع عليه : من الكتب المؤلفة فيه كبيرها وصغيرها : فقد يوجد في الصغير، مالا يوجد في الكبير، ويستوى في ذلك كتب الهجوم على السنة أو الدفاع عنها⁰

ولم أكتب شيئاً إلا بعد أن اعتقد صحته، واطمئن إليه، غير متأثر برأى أحد -ممن كتب فيه- كائناً من كان، معاصراً أو غير معاصر، ولم أتردد في مخالفته متى تبين لي أنه قد اخطأ، مع بيان وجهة نظري في ذلك، ومع احترامي له، واعترافي بفضلته، وتقديرى لعلمه، واعتقادي أنه صاحب آيات، وسباق غايات⁰

وقد يؤخذ علىّ : أني قد أطلت في بعض المباحث، أو كررت بعض العبارات، أو أظهرت في محل إضمار، أو غير ذلك. ولكني قصدت بهذا كله : توفية البحث حقه، وإتمام الفائدة، وزيادة الإيضاح، وعدم وقوع الناظر في اللبس⁰

وإذا كانت الدراسة الموضوعية الصادقة هي تلك التي تعتمد على النصوص والوثائق فقد التزمت في هذا الكتاب -إلى حد كبير- بإيرادها كشواهد ودلائل على ما عاجلته من فكر ومبادئ... منهجي في البحث :

1- كل ما عرضته في الكتاب من شبه ومطاعن أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً، المتضمنة الطعن في السنة النبوية المطهرة، فإنني قرنت ذلك بالرد الحاسم الذي يبين بطلان وزيف تلك الشبه والمطاعن معتمداً في ذلك على نقول من كتب أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً، فعالجت الفكرة بالفكرة ووضحت قول الإمام بقول إمام آخر، فإن كان من جهد في هذا الكتاب فإنما هو ثمرة الوقوف على أكتاف العلماء، ونتاج المربين الذين ربونا صغاراً، وحملونا كباراً، والمنة لله وحده، وهو ولي الجزاء وشكر الله للعلماء بذهم⁰

2- بينت مواضع الآيات التي وردت في الكتاب بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش، مع وضع الآية بين قوسين⁰

3- عزوت الأحاديث التي أوردتها في الكتاب إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، بذكر اسم الكتاب، واسم الباب، وذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث مع البيان غالباً لدرجة الحديث من خلال أقوال أهل العلم

بالحديث، إن كان الحديث من غير الصحيحين، واقتصرت على التخريج من كتب السنن الأربعة إذا كان الحديث في غير الصحيحين، وفيما عدا ذلك اقتصر على ما يفيد ثبوت الحديث أو رده⁰

4- اعتمدت في التخريج من الصحيحين على طبعتي البخارى (بشرح فتح البارى) لابن حجر، والمنهاج شرح مسلم للنووى، لصحة متون الأحاديث في الشرحين، ولصحة عرضهما على أصول الصحيحين، وتسهيلاً للقارئ لكثرة تداول تلك الشروح، وإتماماً للفائدة بالاطلاع على فقه الحديث المخرج⁰

5- التزمت عند النقل من أى مرجع، أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم جزئه وصفحته بالإضافة إلى ذكر طبعات المراجع في الفهرست⁰

6- عند النقل من فتح البارى، أو المنهاج شرح مسلم للنووى أذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث الوارد فيه الكلام المنقول، تيسيراً للوصول إلى الكلام المنقول، نظراً لاختلاف رقم الصفحات تبعاً للطبعات المتعددة⁰

7- اكتفيت في تراجم الأعلام من الصحابة بذكر مصادر تراجمهم بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة، ولم أترجم لهم لعدالتهم جميعاً، ولم أخالف في ذلك إلا في القليل عندما تقتضى الترجمة الدفاع ضد شبهة⁰

8- ترجمت لكثير من الأعلام الذين جرى نقل شيء من كلامهم، مع ذكر مصادر تراجمهم، بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة⁰

9- شرحت المفردات الغريبة التي وردت في بعض الأحاديث مستعيناً في ذلك بكتب غريب الحديث، ومعاجم اللغة، وشروح الحديث⁰

ثم ختمت الكتاب بفهارس سبعة هي:

- 1- فهرس الآيات القرآنية⁰
- 2- فهرس الأحاديث والآثار⁰
- 3- فهرس الأعلام المترجم لهم⁰
- 4- فهرس الأشعار⁰
- 5- فهرس القبائل والبلدان والفرق⁰

6- فهرس المصادر والمراجع 0

7- فهرس الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب 0

هذا وإني -يعلم الله- ما فرطت ولا توانيت ولا كان مني ميل إلى كسل أو ركون إلى راحة، فإن فاتني شيء في أثناء الكتابة، أو لم أذكر أمراً كان ينبغي ذكره، أو طرأ عليّ سهو أو نسيان، فهذا لأن عمل الإنسان لا يخلوا من نقص مهما كانت عنايته 0 وعذري في ذلك أن الكمال المطلق لله - سبحانه -

0

فما كان في الكتاب من صواب، فهو من الله - سبحانه - ويتوفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي، ومن الشيطان، والله برىء منه ورسوله، والله وحده الكمال والعزة والجلال 0 وفي الختام : أحمد الله - سبحانه وتعالى - على عونه وتوفيقه لإتمام هذا الكتاب حيث سهل لي صعبه، وذلّل أمامي عقباته، وإني لأرى لزماً عليّ أن أسجل هنا وافر شكرى، وعظيم تقديري، وصادق دعواتي لفضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور إسماعيل عبد الخالق الدفتار ، الذى أحاطنى بنصائحه، وتوجيهاته السديدة، وإرشاداته العديدة، حتى خرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، فاسأل الله - سبحانه - أن يبارك في دينه، وبدنه، وأهله، وولده، وأن يجزيه عنى وعن الإسلام خير الجزاء 0 ولا يفوتنى في هذا المقام أن أقدم شكرى أيضاً : لكل من أفادنى من مشايخى وزملائى بكتاب، أو إرشاد، أو أى نوع من المساعدة ...

اللهم تقبل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم 0 اللهم اجعلنى جنداً من جنود كتابك، جنداً من جنود سنة نبيك - صلى الله عليه وسلم -، اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشى إلى خدمتك، ولا يداً تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلنى النار، فقد علم أهلها أنى كنت أذب عن دينك 0 اللهم آمين،

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا ومولانا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الراجى عفو ربه الغفور

عماد السيد محمد إسماعيل الشريفي

... وفيه خمسة مباحث :

- 1- المبحث الأول : كلمة في الاصطلاح. معرفة الفوارق بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية⁰
- 2- المبحث الثاني : التعريف بالسنة في مصطلح علمائها .
- 3- المبحث الثالث : الحديث النبوي بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية
- 4- المبحث الرابع : الحديث النبوي تاريخ الإسلام .
- 5- المبحث الخامس : دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم .

المبحث الأول

كلمة في الاصطلاح

معرفة الفوارق بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية

معرفة الفوارق بين المعاني في اللغة وبينها في الاصطلاح مبحث في غاية الأهمية، لا سيما وقد ظهر الخلط بين هذه المعاني عند أعداء الإسلام والسنة المطهرة في هجومهم على السنة، فهم لا يكادون يهتمون بمعرفة تلك الفروق، إما عن جهل يجرحهم إلى أسوأ الأحكام وأتعس النتائج بإنكار حجية السنة المطهرة، وإما عن علم متعمد لا يهتمون ولا يبينون الفوارق بين المعاني في اللغة وبينها في الاصطلاح بقصد تضليل القارئ وتشكيكه في حجية السنة المطهرة ومصدريتها التشريعية(1). يقول أبو هلال العسكري(2) في كتابه (الفروق في اللغة) :

"الفرق بين الاسم العرفي والاسم الشرعي : أن الاسم الشرعي ما نقل عن أصله في اللغة فسمى به فعل أو حكم حدث في الشرع نحو الصلاة والزكاة والصوم والكفر والإيمان والإسلام وما يقرب من ذلك، وكانت هذه أسماء تجرى قبل الشرع على أشياء، ثم جرت في الشرع على أشياء أخرى، وكثر استعمالها حتى صارت حقيقة فيها، وصار استعمالها على الأصل مجازاً، ألا ترى أن استعمال (الصلاة) اليوم في الدعاء مجاز، وكان هو الأصل. والاسم العرفي ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال نحو قولنا (دابة) وذلك أنه قد صار في العرف اسماً لبعض ما يدب وكان في الأصل اسماً لجميعه.

وعند الفقهاء أنه إذا ورد عن الله - عز وجل - خطاب قد وقع في اللغة لشيء واستعمل في العرف لغيره، ووضع في الشرع لآخر، فالواجب حمله على ما وضع في الشرع؛ لأن ما وضع له في اللغة قد انتقل عنه، وهو الأصل فيما استعمل فيه بالعرف أولى بذلك وإن كان الخطاب في العرف لشيء وفي اللغة بخلافه وجب حمله على العرف، لأنه أولى، كما أن اللفظ الشرعي يحمله على ما عدل عنه، وإذا حصل الكلام مستعملاً في الشريعة أولى على ما ذكر قبل، وجميع أسماء الشرع تحتاج إلى بيان نحو قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (1) إذ قد عرف بدليل أنه أريد بها غير ما وضعت له في اللغة، وذلك على ضربين أحدهما يراد به ما لم يوضع له البتة نحو الصلاة والزكاة، والثاني يراد به ما وضع له في اللغة لكنه قد جعل اسماً في الشرع لما يقع منه على وجه مخصوص، أو يبلغ حداً مخصوصاً فصار كأنه مستعمل في غير ما وضع له وذلك نحو الصيام والوضوء وما شاكله (2).

فاللكلمة إذن معنيان، معنى لغوي، ومعنى شرعي، أي دلالة لغوية ودلالة اصطلاحية، وقد يكون المعنى الاصطلاحي بعيداً عن المعنى اللغوي، بل قد تكون الكلمة لها أكثر من معنى في اللغة وأكثر من معنى في الاصطلاح ككلمة "السنة" مثلاً. فهي فضلاً عن معانيها اللغوية المتعددة، والتي سيأتي ذكرها، لها أكثر من معنى اصطلاحى عند المحدثين، والفقهاء، والأصوليين كما سيأتي.

(18/1)

فالذى لا يعرف هذه الفوارق الاصطلاحية لا شك واقع في الخطأ، وسوف يضل ضلالاً مبيناً، وهذه الفوارق استغلها أعداء الإسلام والسنة المطهرة استغلالاً بشعاً ينبئ عن حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، فنراهم في هجومهم على السنة المطهرة يركزون على بعض معانيها اللغوية أو الاصطلاحية مهملين عن جهل تارة، وعن علم تارة أخرى باقى معانيها الاصطلاحية بغية الوصول إلى هدفهم وغايتهم من التشكيك في حجيتها وعدم العمل بها ومن ذلك تركيزهم على معنى السنة في اصطلاح الفقهاء وهى ما ليس بواجب مما يمدح فاعلها ولا يذم تاركها (3). وهذا التعميم في تعريف السنة محض الضلال (4)، إذ فيه صرف لهذه الكلمة عن معناها الاصطلاحى عند رجال الأصول وعلى أنها مصدر تشريعى مستقل ملازم للقرآن الكريم في الاحتجاج، وأن الأحكام التكليفية الخمسة تدور فيها، كما تدور في القرآن الكريم بالتمام (1).

ومن المعانى اللغوية التى يركز عليها أعداء الإسلام فى تعريفهم بالسنة معناها الوارد بمعنى الطريقة والسيرة، حسنة كانت أو سيئة، ويعبرون عن ذلك المعنى بالعادة والعرف كما قال المستشرق جولد

تسيهر(2) : "السنة هي جماع العادات والتقاليد الوراثية في المجتمع العربي الجاهلي؛ فنقلت إلى الإسلام، فأصبحت تعديل جوهرى عند انتقالها، ثم أنشأ المسلمون من المأثور من المذاهب والأقوال والأفعال والعادات لأقدم جيل من أجيال المسلمين سنة جديدة"(3). وتابعه على ذلك سائر من جاء بعده من المستشرقين(4).

(19/1)

وردد هذا الكلام الدكتور على حسن عبد القادر(5) في كتابه نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامى فقال : "وكان معنى السنة موجوداً في الأوساط العربية قديماً، ويراد به الطريق الصحيح في الحياة للفرد وللجماعة، ولم يبتدع المسلمون هذا المعنى، بل كان معروفاً في الجاهلية، وكان يسمى عندهم سنة هذه التقاليد العربية وما وافق عادة الأسلاف. وقد بقي هذا المعنى في الإسلام في المدارس القديمة في الحجاز، وفي العراق أيضاً، بهذا المعنى العام يعنى العمل القائم، والأمر المجتمع عليه في الأوساط الإسلامية والمثل الأعلى للسلوك الصحيح من غير أن يختص ذلك بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخيراً حدد هذا المعنى، وجعلت السنة مقصورة على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويرجع هذا التحديد إلى أواخر القرن الثاني الهجرى، بسبب طريقة الإمام الشافعى التى خالف بها الاصطلاح القديم(1).

وأقول : نعم، لفظ السنة ومعناها كان معروفاً في لغة العرب قبل الإسلام ولم يبتدع المسلمون هذه الكلمة ولا معناها، ولكن ليس الأمر كما زعم المستشرقون والدكتور على حسن عبد القادر من أن معنى السنة في صدر الإسلام العادة والعرف(2) الجاهلي، أو أنها الطريق الصحيح فقط، وإنما تشمل الطريق الصحيح وغير الصحيح على رأى جمهور علماء اللغة، ويؤيدهم في الإطلاق القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والأشعار الجاهلية على ما سيأتى.

كما أن استعمال القرآن الكريم والسنة المطهرة لكلمة السنة بالمعنى اللغوى لا يعنى ذلك أن هذا المعنى اللغوى (الطريقة) أو (السيرة) أو (العادة) هو المراد شرعاً بالسنة، فهذه الكلمة انتقلت من معناها اللغوى إلى المعنى الاصطلاحى (سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية...) وهى بهذا المعنى مصدر تشريعى ملازم للقرآن الكريم لا ينفك أحدهما عن الآخر.

(20/1)

وهذا المعنى الاصطلاحي لكلمة السنة كان محدداً ومعلومًا في صدر الإسلام والنبي - صلى الله عليه وسلم - بين ظهرائي أصحابه - رضي الله عنهم - (3) وليس الأمر كما زعم الدكتور حسن تابعاً للمستشرقين أن هذا المعنى الاصطلاحي للسنة تحدد في آواخر القرن الثاني الهجري....

ومن المعاني اللغوية التي يركز عليها أعداء الإسلام في تعريفهم بالسنة معناها الوارد بمعنى الطريقة، ثم يعرفون السنة النبوية؛ بأنها الطريقة العملية أو السنة العملية، أما أقواله وتقريراته وصفاته - صلى الله عليه وسلم - فليست من السنة، وإطلاق لفظ حديث أو سنة على ذلك إنما هو في نظرهم اصطلاح مستحدث من المحدثين ولا تعرفه اللغة ولا يستعمل في أدبها، هكذا زعم محمود أبو ربه (1) في كتابه (أضواء على السنة المحمدية) (2) تبعاً للدكتور توفيق صدقي (3).

وفي ذلك أيضاً يقول الدكتور المهندس محمد شحرور (4) في كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، "إن ما اصطلاح على تسميته بالسنة النبوية إنما هو حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - كنبى وكائن إنسانى عاش حياته في الواقع، بل في الصميم منه، وليس في عالم الوهم".

وفي موضع آخر يقول : "من هنا يأتي التعريف الخاطئ برأينا للسنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول ومن فعل أو أمر أو نهي أو إقرار. علماً بأن هذا التعريف للسنة ليس تعريف النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه، وبالتالي فهو قابل للنقاش والأخذ والرد وهذا التعريف كان سبباً في تخنيط الإسلام، علماً بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته لم يعرفوا السنة بهذا الشكل، وتصرفات عمر بن الخطاب تؤكد ذلك" (5).

(21/1)

ويقول نيازي عز الدين (6) : "رجال الدين في القرن الثالث الهجري عرفوا السنة وأضافوا إليها أموراً هي من اجتهادهم، فقد قالوا في تعريفها : "هي كل ما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلُقِيَّة أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة "كتحنته في غار حراء" أم بعدها. وهذا التعريف الموسع الذي أتى في عصر متأخر عن عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته قد جر البلاء على الإسلام 0 وفي موضع آخر يقول : "وإن أغلب الذين أدخلوا أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وتصرفاته الخاصة في الدين فعلوها وهم يعلمون أنهم يفعلون الممنوع، ويقعون في المعصية، لكن الهوى والشيطان كانا أقوى من الإيمان في تلك الفترة،

ففعل الشيطان ما يريد" (1).

ومن المعاني اللغوية التي يركزون عليها في تشكيكهم في السنة المطهرة معناها الوارد في القرآن الكريم بمعنى أمر الله - سبحانه - ونهيه وسائر أحكامه وطريقته، ويقولون: لا سنة سوى سنة الله - سبحانه - الواردة في كتابه العزيز، وأنه مستحيل أن يكون لرسول الله سنة، ويكون لله - سبحانه - سنة، فيشرك الرسول نفسه مع الله - سبحانه - 0

(22/1)

... وفي ذلك يقول محمد نجيب (2) في كتابه (الصلاة) : القرآن وما فيه من آيات هو سنة الله التي سنّها وفرضها نظاماً للوجود، واتبعها الله نفسه؛ فهي سنة الله ... وليس من المعقول أن يكون للرسول سنة ويكون لله سنة، فيشرك الرسول نفسه مع الله ويكون لكلاهما سنة خاصة وهو أمر مستحيل أن يحصل من مؤمن ومن رسول على الأخص، فما كان لبشرٍ آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يترك حكم الله وسنته، ويطلب من الناس أن تتبع ما يسنّه هو من أحكام، وليس ذلك إن حصل إلا استكباراً في الأرض، وتعالى على الله. يقول الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (3) {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} (4). وهذا يؤكد وجوب الرجوع لكتاب الله وحده جماع سنة الله (5) 0

وفي ذلك أيضاً يقول أحمد صبحي منصور (1) في كتابه (حد الردة) معرّفاً بالسنة الحقيقية قائلاً : "سنة الله تعالى هي سنة رسوله عليه السلام ...، الله تعالى ينزل الشرع وحياً، والرسول يبلغه وينفذه، ويكون النبي أول الناس طاعة واتباعاً لأوامر الله تعالى. والله تعالى أمر النبي بأن يقول {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} (2) 0 والإيمان بالرسول معناه الإيمان بكل ما نزل عليه من القرآن والإيمان بأنه اتبع ذلك الوحي وطبقه، وكان أول الناس إيماناً به وتنفيذاً له (3) 0

(23/1)

ويقول قاسم أحمد (4) في كتابه (إعادة تقييم الحديث) : "إنه بالنظر إلى استخدام كلمتي السنة والحديث في القرآن والذي يعطينا معلومات شيقة، نجد أن كلمة "سنة" تشير في القرآن إلى النظام أو الناموس الإلهي وإلى مثال الأمم السابقة التي لقيت مصيرها. فلم يشر القرآن إلى أن السنة هي سلوك النبي، وهذان الاستخدامان تشير إليهما الآيتان التاليتان :

... {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (5) {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} (6)0

فكلمة "حديث" استخدمت في القرآن بمعنى "الأخبار" و"القصص" و"الرسالة" و"الشيء" وقد ذكرت ستاً وثلاثين مرة في مواضع لغوية مختلفة، ولا يشير أى منها إلى ما يعرف بالحديث النبوي. فعلى العكس وردت في عشرة مواضع من الآيات البيّنات تشير إلى القرآن وتستبعد بشدة أى حديث إلى جانب القرآن منها هذه الآيات {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} (7) {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوءَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (1). هذا والذي زعمه أعداء السنة المطهرة في تعريفهم بالسنة النبوية من أنها الطريقة العملية أو السنة العملية، أو هي سنة الله - سبحانه -.

وأن تعريف السنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ... اصطلاح مستحدث من المحدثين ولم يعرفه النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا أصحابه - رضي الله عنهم - بل كان هذا التعريف سبباً في تخنيط الإسلام.

(24/1)

هذا الزعم الكاذب إنما يدل على ما سبق وأن ذكرته من أن هؤلاء الأعداء يخلطون بين المعاني في اللغة وبينها في الاصطلاح، ولا يهتمون بمعرفتها ولا ببيانها إما عن جهل، وإما عن علم بقصد خداع القارئ وتضليله وتشكيكه في حجية السنة وفي علمائها الذين قيدهم رب العزة لحفظها من التغيير والتبديل تماماً بتمام، كما قيض لكتابه العزيز من يحفظه من العلماء الأفاضل.

لذا كان لزاماً علينا بيان الفوارق بين معاني (السنة والحديث) في اللغة وبينها في الاصطلاح، حيث سيتضح جلياً صدق ما ذكرته من خلطهم وعدم اهتمامهم بتلك الفوارق عن جهل تارة، وعن علم تارة أخرى، كما سيتضح أن السنة النبوية بتعريفها المعلوم عند المحدثين والأصوليين والفقهاء، كان مقصوداً من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعلوماً للصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأن

هذا التعريف للسنة المطهرة كان سبباً في عزة الإسلام وأهله، وليس سبباً في تخنيطه كما يزعم أعداء الإسلام⁰

كما سيتضح أيضاً أن مصطلح السنة ومصطلح الحديث كانا مترادفين زمن النبوة المباركة وزمن الصحابة - رضي الله عنهم - فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم - رضي الله عنهم - وعلى ذلك علماء الشرع الحنيف، خلافاً لأعداء الإسلام الزاعمين : أن مصطلح السنة غير مصطلح الحديث، وأنهما يجب أن يكونا متميزين عن بعضهما فإلى بيان ذلك.

(1) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير نصر ص 25 بتصرف، وانظر السنة في مواجهة أعدائها للدكتور طه حبيشي ص 23 وما بعدها⁰

(2) أبو هلال العسكري : هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، لغوى، مفسر، شاعر، أديب⁰ من مصنفاته لحن الخاصة، والتخليص في اللغة، والفروق، والحاسن في تفسير القرآن، توفي بعد سنة 395هـ له ترجمة في : طبقات المفسرين للسيوطي، ص 33 رقم 29، وطبقات المفسرين للدواودي 1/ 138 رقم 131، ومعجم الأدباء للسيوطي 3/ 135، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة 3/ 240⁰

(1) جزء من الآية 43 من سورة البقرة⁰

(25/1)

(2) الفروق في اللغة ص 56⁰

(3) البحر المحيط للزركشي 1/ 284، وإرشاد الفحول للشوكاني 1/ 155، وأصول الفقه للشيخ محمد الخضري ص 54، وأصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص 111⁰

(4) انظر تعميم محمود أبو ربه لذلك في أضواء على السنة ص 38⁰

(1) ضوابط الرواية عند المحدثين ص 25، 26 بتصرف⁰

(2) جولد تسيهر : مستشرق مجرى يهودى، رحل إلى سورية وفلسطين ومصر، ولازم بعض علماء الأزهر⁰ له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية⁰ ترجم بعضها إلى العربية، قال الدكتور السباعي : "عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية" كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه : "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى" و"العقيدة والشريعة في

- الإسلام" و "فضائح الباطنية" وغير ذلك مات سنة 1921م له ترجمة في: الأعلام للزركلى 1
284/، والاستشراق للدكتور/ للسباعى ص 31-32، وأراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره
للدكتور عمر إبراهيم 1/ 161 - 162 0
(3) العقيدة والشريعة في الإسلام ص 49، 251 0
(4) دائرة المعارف الإسلامية 7/ 330، وانظر دراسات في الحديث للدكتور الأعظمى 1/ 5-11،
ومنهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 62، 122، 123 0
(5) على حسن عبد القادر : أستاذ تاريخ التشريع الإسلامى، حاصل على العالمية فى الفلسفة من
ألمانيا، ومجاز من كلية أصول الدين فى قسم التاريخ، وعميد كلية الشريعة بالأزهر الشريف سابقاً، من
مؤلفاته : نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى 0
(1) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص 122، 123 0

(26/1)

(2) يصح تعريف السنة بالعادة والعرف، ولكن المراد بالعادة فى هذه الحالة عادة الرسول - صلى
الله عليه وسلم - أى ما عمله أو أقره أو رآه فلم ينكره، وهى فى هذه الحالة من الدين 0 كما تطلق
أيضاً على السيرة العملية لحياة الصحابة - رضى الله عنهم - ولا تعنى العادة والعرف السائد فى
الجاهلية كما يومهم كلام جولد تسيهر ومن قال بقوله انظر: حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد
الخالق ص 49-51، والمدخل إلى السنة النبوية لأستاذنا الفاضل الدكتور عبد المهدي عبد القادر
ص 25، 26 .

(3) ستأتى الأحاديث التى تشهد بذلك انظر : ص 43، 44، 45 .

- (1) محمود أبو ريه : كاتب مصرى كان منتسباً إلى الأزهر فى صدر شبابه، فلما انتقل إلى مرحلة
الثانوية الأزهرية أعياه أن ينجح فيها، أكثر من مرة، فعمل مصححاً للأخطاء المطبعية بجريدة فى
بلده، ثم موظفاً فى دائرة البلدية حتى أحيل إلى التقاعد 0 من مصنفاته التى طعن فيها فى السنة
والصحابة، أضواء على السنة، وقصة الحديث المحدثى، شيخ المضيرة (أبو هريرة) انظر : السنة
ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص 466 0
(2) أضواء على السنة ص 39 0
(3) الدكتور توفيق صدقى : هو الدكتور محمد توفيق صدقى طبيب بمصلحة السجون بالقاهرة، كتب

- مقالات في مجلة المنار بعنوان "الإسلام هو القرآن وحده" مات سنة 1920م، ترجم له الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد 483/21 وما بعدها، وانظر : مجلة المنار المجلد 11 / 774 .
- (4) محمد شحرور : كاتب سورى معاصر، حاصل على الدكتوراه في الهندسة من الجامعة القومية الإيرلندية في دبلن 0 من مؤلفاته : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، والإسلام والإيمان منظومة القيم، والدولة والمجتمع 0
- (5) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 546-548 0

(27/1)

-
- (6) نيازي عز الدين : كاتب سورى معاصر، هاجر إلى أمريكا 0 من مؤلفاته : إنذار من السماء، ودين السلطان، الذى زعم فيه أن السنة المطهرة وضعها أئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين لتثبيت ملك السلطان ومعاوية t وصار على دربه علماء المسلمين إلى يومنا هذا 0
- (1) إنذار من السماء ص 40، 111 0
- (2) محمد نجيب كاتب معاصر 0 من مؤلفاته (الصلاة) أنكر فيه السنة المطهرة، وزعم أن تفاصيل الصلاة واردة في القرآن الكريم 0 والكتاب صادر عن ندوة أنصار القرآن، نشر دائرة المعارف العلمية الإسلامية 0
- (3) الآية 79 من سورة آل عمران 0
- (4) الآيتان 42، 43 من سورة فاطر 0
- (5) الصلاة ص 276، 277 0
- (1) أحمد صبحي منصور تخرج في الأزهر وحصل على العالمية في التاريخ من الجامعة وتبرأ من السنة فتبرأت منه الجامعة، سافر إلى أمريكا وعمل مع المتنبئ رشاد خليفة، يحاضر بالجامعة الأمريكية بمصر، ومدير رواق بن خلدون بالمقطم 0 من مصنفاته : الأنبياء في القرآن، والمسلم العاصي، وعذاب القبر والنعبان الأقرع، ولماذا القرآن، باسم مستعار وهو عبد الله الخليفة 0 انظر قصته هو ورشاد خليفة في كتابي مسيلمة في مسجد توسان، والدفاع عن السنة الجزء الأول من سلسلة "الإسلام واستمرار المؤامرة كلاهما لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى 0
- (2) جزء من الآية 9 من سورة الأحقاف 0
- (3) حد الردة ص 40 0

- (4) قاسم أحمد كاتب ماليزي معاصر، ورئيس الحزب الاشتراكي الماليزي -سابقاً- 0 من مؤلفاته:
إعادة تقييم الحديث، أنكر فيه حجية السنة المطهرة 0
- (5) الآية 23 من سورة الفتح 0
- (6) الآية 38 من سورة الأنفال 0
- (7) جزء من الآية 23 من سورة الزمر 0
- (19) الآية 6 من سورة لقمان، وانظر : إعادة تقييم الحديث ص 77، 78، واستشهاده بهذه الآية على أن لفظ الحديث هو القرآن استشهاد باطل ف (هو الحديث) هنا الأقاصيص والأساطير، انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 0 441/3

(28/1)

المطلب الأول

التعريف "بالسنة" في اللغة

تطلق السنة في اللغة على عدة معان منها :
ما يدل على الصقالة والملازمة ، ومن ذلك إطلاقها على الوجه أو دائرته، أو صورته، وبهذا المعنى وردت في أشعار العرب .

قال الأعشى (1) :

كرباً شمائله من بنى معاوية الأكرمين السنن
حيث أراد بقوله "الأكرمين السنن" الأكرمين الوجوه 0

وقال ذو الرمة (2) :

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس لها خال ولا ندب
حيث أراد بقوله "تريك سنة وجه" تريك دائرة وجهها 0

وقال ثعلب (3) :

بيضاء في المرأة سنتها في البيت تحت مواضع اللمس
حيث أراد بقوله : "في المرأة سنتها" في المرأة صورتها (4) 0

(1) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جندل، ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل من ربيعة، لقب بالأعشى لسوء بصره، وكنى يابى البصير تفاؤلاً بالشفاء، أو لنفاذ بصره، وسمى "صناجة العرب" لأنه كان يتغنى بشعره، وتوفي سنة 7هـ له ترجمة في : الشعر والشعراء لابن قتيبة 1/ 257 رقم 21، والعقد الفريد لابن عبد ربه 3/ 356، وأدباء العرب لبطرس البستاني 1/ 212 0

(2) ذو الرمة : ذو الرُّمّة أو الرَّمّة، أبو الحارث غيلان بن بهيس بن مسعود بن عدى، له ديوان شعر مطبوع في مجلد ضخّم، وتوفي سنة 117هـ له ترجمة في : الأعلام للزركلي 5/ 319، وفيات الأعيان لابن خلكان 4/ 11 - 17 رقم 523، والشعر والشعراء لابن قتيبة 1/ 524 رقم 94
(3) ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني بالولاء، إمام الكوفة في النحو واللغة، من كتبه "الفصيح" له ترجمة في الأعلام للزركلي 1/ 252، وبغية الوعاة للسيوطي 1/ 396 - 398 رقم 787 0

(4) لسان العرب لابن منظور 13/ 224، والقاموس المحيط للفيروزآبادي 4/ 233، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون 1/ 445 - 446 0

(29/1)

2 - كذلك ترد السنة بمعنى : السيرة المستمرة، والطريقة المستقيمة ، سواء حسنة كانت أم سيئة
(1) ، وأصلها اللغوى مأخوذ من قولك : سننت الماء إذا واليت صبه، وفي لسان العرب : سن عليه الماء : صبه، وقيل : أرسله إرسالاً ليناً ... وسن الماء على وجهه، أى : صبه عليه صباً سهلاً
قال الجوهري (2) : سننت الماء على وجهي : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ... والسنن : الصب في سهولة ... وفي حديث عمرو بن العاص (3) (عند موته : "فسنوا على التراب سناً" (4) أى ضعوه وضعاً سهلاً (5) فشبهت العرب الطريقة المتبعة، والسيرة المستمرة بالشئ المصبوب، لتوالى أجزائه على نهج واحد، ومن هذا المعنى قول خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرقتها فأول راضٍ سنة من يسيرها (6)

(1) مختار الصحاح للرازي ص 317، ولسان العرب 13/ 225، والقاموس المحيط 4/ 239،
والمعجم الوسيط 1/ 456 0

(2) الجَوْهَرِيُّ : هو إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، يكنى : أبا نصر الفراءى، كان إماماً في اللغة والأدب، وهو صاحب الصحاح في اللغة، توفي سنة 393هـ له ترجمة في : مرآة الجنان : 2/ 446، ولسان الميزان لابن حجر 1/ 614 رقم 1273، وشذرات الذهب لابن العماد 3/ 141، والوافي بالوفيات 9/ 111 رقم 4028، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي 1/ 194 .

(3) عمرو بن العاص : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 3/ 2 رقم 5897، والاستيعاب 3/ 1184 رقم 1931، واسد الغابة 4/ 232 - 235 رقم 3971، وتاريخ الصحابة ص 173 رقم 884، ومشاهير علماء الأمصار ص 71 رقم 376 0

(4) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج 414/ 1 رقم 121، وأحمد في مسند 4/ 199 0

(5) لسان العرب 13/ 227، والقاموس المحيط 4/ 239، والمعجم الوسيط 1/ 455، 456 0

(6) لسان العرب لابن منظور 13/ 225 0

(30/1)

وبهذا الإطلاق اللغوي جاءت كلمة السنة في القرآن الكريم ، قال تعالى: (سَنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً) (1) .
وقال تعالى : (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ ... الآية) (2) 0

كما جاءت أيضاً في السنة النبوية بهذا المعنى، قال (: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة" (3) وقال (: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع" (4) .
وهكذا فإن العرب تطلق على كل من ابتدأ أمراً عمل به قوم من بعده، بأنه هو الذى سنه، ومن هذا المعنى قول نصيب :
كأننى سننت الحب أول عاشق من الناس إذا أحبيت من بينهم وحدى
وخصها بعض أهل اللغة بالطريقة المستقيمة الحسنة دون غيرها، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة (5) .

(1) الآية 77 من سورة الإسراء0

(2) الآية 55 من سورة الكهف0

(3) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق قرة 4 / 110،
111 رقم 1017، وأخرجه في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة 8 / 479 رقم 1017
من حديث جرير بن عبد الله (.

(4) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدرى (: البخارى (شرح فتح البارى) كتاب الاعتصام
بالسنة، باب قول النبى (، لتتبعن سنن من كان قبلكم 13 / 312 رقم 7320، ومسلم (شرح
النووى) كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى 8 / 472 رقم 2669 0

(5) إرشاد الفحول للشوكاني 1 / 155، ولسان العرب لابن منظور 13 / 225، والمعجم الوسيط
لإبراهيم أنيس وآخرون 1 / 455 0

(31/1)

والحق هو ما عليه جمهور أهل اللغة ويؤيدهم في الإطلاق الآيات والأحاديث السابق ذكرها وقول خالد الهذلي المتقدم (1) .

والعلاقة بين المعنيين (اللغوي والاصطلاحي) ظاهرة؛ لأن سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من قول، أو فعل، أو تقرير أو ... الخ. طريقة متبعة عند المؤمنين ليس لهم خيرة في أمره (كما قال رب العزة : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (2) 0

قال الدكتور همام عبد الرحيم سعيد : "سنة النبي (تحمل هذه المعاني اللغوية، لما فيها من جريان الأحكام واطرادها، وصقل الحياة الإنسانية بها، فيكون وجه المجتمع السائر على هديها ناضراً بخيرها وبركتها، ويستفاد من المعاني اللغوية أن السنة فيها معنى التكرار والاعتیاد، وفيها معنى التقويم، وإمرار الشئ على الشئ من أجل إحداده وصقله (3) 0

3- كما ترد "السنة" بمعنى العناية بالشئ ورعايته، يقال : سن الإبل إذا أحسن رعايتها، والعناية بها (4) ، والفعل الذى داوم عليه النبي (سمي سنة بمعنى : أنه (أحسن رعايته وإدامته (5) 0

(1) حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 46 0

(2) الآية 36 من سورة الأحزاب، وانظر : الحديث النبوى للدكتور محمد الصباغ ص 139 0

(3) الفكر المنهجي عند المحدثين ص 27 0

(4) لسان العرب 13/ 225، والقاموس المحيط 4/ 233 0

(5) مفاتيح الغيب للفخر الرازى 3/ 54 0

(32/1)

4- كما ترد "السنة" بمعنى البيان، يقال : سن الأمر، أى بينه، وفى الحديث "إني لأنسى أو أنسى لأسن" (1) أى إنما أدفع إلى النسيان لأسوق الناس بالهداية إلى طريق مستقيم، وأبين لهم ما يحتاجون

أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان (2) 0

5-وتستعمل "السنة" أيضاً بمعنى دين الله تعالى الذى هو أمره ونهيهِ وسائر أحكامه (3)

6- وقال الطبرى (4) : " السنة " هى المثال المتبع، والأمام المؤتم به .

ومنه قول لبید بن ربیعۃ (5) :

(1) أخرجه مالك في الموطأ كتاب السهو، باب العمل في السهو 1/ 100 رقم 2، قال ابن عبد البر لا أعلم هذا الحديث روى عن النبي (مسنداً ولا مقطوعاً، من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي في الموطأ ، التي لا توجد في غيره مسنده ولا مرسله 0 ومعناه صحيح في الأصول 0

(2) لسان العرب 13/ 225، والقاموس المحيط 4/ 233، والمعجم الوسيط 1/ 455 0

(3) القاموس المحيط 4/ 239، والمعجم الوسيط 1/ 456 0

(4) الطبرى : هو محمد بن جرير بن زيد، الطبرى ، أبو محمد ، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان من الأئمة المجتهدين، ولم يقلد أحداً، وكان إماماً في فنون كثيرة منها : التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ وغير ذلك، توفي سنة 310هـ له ترجمة في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى 2/ 162 رقم 589، ووفيات الأعيان 4/ 191، 192 رقم 570، وطبقات المفسرين للداودى 2/ 110-118 رقم 468، وطبقات المفسرين للسيوطى، ص 82 رقم 93، وشذرات الذهب لابن العماد 2/ 260، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 1/ 222 رقم 23 0

(5) لبید : هو أبو عقيل لبید بن ربیعۃ العامرى، كان أبوه يعرف بربیعۃ المقترين لجوده وسخائه، فنشأ لبید كريماً مثله، توفي سنة 41هـ له ترجمة في : الأعلام للزركلى 6/ 104، والشعر والشعراء لابن قتيبة 1/ 274 - 285 رقم 25، ومروءة الجنان لليافعى 1/ 119، وأدباء العرب لبطرس البستاني 1/ 144 - 151 0

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها (1) .

7- ونقل القرطبي (2) ، عن المفضل (3) أن "السنة" الأمة، وأنشد :
ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا رأوا مثلهم في سالف السنن (4) .

8- ونقل الشوكاني (5) ،

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن 4 / 100 0

(2) القرطبي : هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، كان مفسراً، ورعاً، زاهداً، متقناً متبحراً، من مصنفاته "الجامع لأحكام القرآن" و"شرح الأسماء الحسنى" توفي سنة 671هـ له ترجمة في: طبقات المفسرين للداودي 2 / 69-70 رقم 434، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 79 رقم 88، وشذرات الذهب 5 / 235، والديباج المذهب لابن فرحون 406 رقم 549، وشجرة النور الزكية محمد مخلوف ص 197 رقم 666 0

(3) المفضل : هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، لغوي، عالم بالأدب، من مؤلفاته الفاخر فيما تلحن به العامة و"جواهر القبائل" توفي سنة 290 0 له ترجمة في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 13 / 124 رقم 7109، ووفيات الأعيان لابن خلكان 4 / 205، 206 رقم 579 في ترجمة ابنه محمد بن الفضل، وبغية الوعاة للسيوطي 2 / 296 رقم 2013 0

(4) الجامع لأحكام القرآن 4 / 216 0

(5) الشوكاني : هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، من مؤلفاته "فتح القدير" في التفسير "وإرشاد الفحول" في أصول الفقه 0 توفي سنة 1250هـ له ترجمة في : البدر الطالع للشوكاني 2 / 214 - 225 رقم 482، والفتح المبين لعبد الله المراغي 3 / 144 - 145، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل، ص 530 -

(34/1)

عن الكسائي (1) .

أن "السنة" الدوام (2) 0

خلاصة القول كما يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمي :

إن السنة معناها في اللغة "الطريقة" و"العادة" و"السيرة" سواء كانت سيئة أو حسنة، وقد استعملها
الإسلام (القرآن والنبي) في معناها اللغوي كما رأينا في الآيات والأحاديث السابقة، ثم خصصها
الإسلام بطريقة النبي (وطريقة أصحابه - رضي الله عنهم - كما سيأتى في تعريف السنة اصطلاحاً،
وليس معنى هذا أن معناها اللغوي قد بطل أو انعدم بل بقى استعمالها ولكن في نطاق ضيق (3) 0

التعريف بالحديث لغة :

"الحديث" في اللغة : الجديد ضد القديم ومادة الكلمة "حدث" تدور حول معنى واحد وهو كون
الشيء بعد أن لم يكن، والحديث كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء، بعد أن لم يكن (4) 0

وإنما سميت الكلمات والعبارات حديثاً؛ لأن الكلمات إنما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية، وكل
واحد من تلك الحروف يحدث عقب صاحبه، أو لأن سماعها يحدث في القلوب من المعاني والعلوم
الشيء الكثير قال تعالى (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (5) 0

(1) الكسائي : هو علي بن حمزة الكوفي المعروف بالكسائي، أخذ القراءات عن حمزة الزيات، وقرأ
النحو على معاذ الهراء كثيراً، ثم الخليل بن أحمد بالبصرة 0 توفي سنة 189هـ له ترجمة في : وفيات
الأعيان لابن خلكان 3/295-297 رقم 233، وبغية الوعاة للسيوطي 2/162-164 رقم
1701، وطبقات المفسرين للداودي 1/404 - 409 رقم 349، طبقات القراء لابن الجزري 1
535/، وطبقات القراء للذهبي 1/100، واللباب في تهذيب الأنساب 3/97، والفهرست لابن
النديم ص 103 0

(2) 0 إرشاد الفحول 1/ 155

(3) دراسات في الحديث النبوى 1/ 5، 11 بتصرف 0

(4) القاموس المحيط 1/ 163 0

(5) الآية 34 من سورة الطور 0

(35/1)

ويجمع الحديث على أحاديث على خلاف القياس ، ويرى الفراء أن واحد الأحاديث أحدى، ثم جعلوه جمعاً للحديث وقال ابن برى: ليس الأمر كما زعم الفراء ، لأن الأحدى بمعنى الأعجوبة، يقال : قد صار فلان أحدى، أما أحاديث النبي (فلا يكون واحداً إلا حديثاً (1) 0

ويرى الزمخشري (2) : إن الأحاديث اسم جمع (3) ، وخالفه أبو حيان في البحر (4) : فقال ليس كل الأحاديث باسم جمع، بل هو جمع تكسير للحديث على غير قياس كأباطيل، واسم الجمع لم يأت على هذا الوزن (5) ، فالراجع أنها جمعت على غير قياس... والجمع القياسى للفظ حديث أحدثه كرهيف وأرغفة، أو حدث كفضيب وقضب (6) .

(1) تاج العروس للزبيدي 1/ 613 0

(2) الزمخشري : هو أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، نحوى، لغوى، معتزلى، مفسر، يلقب بجار الله لجوارته بمكة زماناً، من مصنفاته : الكشف عن حقائق التنزيل، والفائق في غريب الحديث، مات سنة 538هـ له ترجمة فى : وفيات الأعيان لابن خلكان 5/ 168-174 رقم 711، وبغية الوعاة للسيوطى 2/ 279 رقم 1977، وإشارة النعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني ، ص 345 رقم 210، وطبقات المفسرين للسيوطى، ص 48 رقم 147، وطبقات

(3) الكشف للزمخشري 2 / 243 0

(4) أبو حيان : هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أثير الدين أبو حيان، الغرناطي، من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، من مؤلفاته البحر المحيط في التفسير، والتذكرة في العربية، وعقد اللآلي في القراءات 0 مات سنة 745هـ له ترجمة في ذيل تذكرة الحفاظ ص 23، وطبقات الشافعية لابن السبكي 6 / 31، وطبقات المفسرين للداودي 2 / 287 - 291 رقم 608، وشذرات الذهب 6 / 145، والأعلام 7 / 153، والرسالة المستطرفة ص 101 0

(5) البحر المحيط لأبي حيان 5 / 281 عند تفسير أول سورة يوسف 0

(6) بحوث في علوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور عزت عطيه ص 10 0

(36/1)

قال فضيلة الأستاذ الدكتور مروان محمد شاهين : أما عن الحديث في اللغة فله معان ثلاثة :

الأول : الحديث بمعنى الجديد الذي هو ضد القديم، تقول : لبست ثوباً حديثاً أى جديداً، وقرأت كتاباً حديثاً بمعنى الجديد، وركبت سيارة حديثة تعني سيارة جديدة.

الثاني : الحديث بمعنى الخبر والنبأ مثل قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) (1) ومثل قوله (: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) (2) وقد ورد هذا المعنى أيضاً في قول ربنا (وَإِذْ أَسْرَرْنَا إِلَيْكَ الْبَيْتَ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) (3) 0

الثالث : الحديث بمعنى الكلام مثل قول الله تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) (4) أى نزل أحسن الكلام، ومثل قوله سبحانه : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) (5) وقوله تعالى : (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) (6) أى إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم فبأى كلام بعده يؤمنون (7) 0

وبهذا الإطلاق اللغوى جاءت كلمة "الحديث" فى السنة المطهرة مراداً بها كلام رب العزة، وكلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فمثال ما جاء فى السنة مراداً بها كلام الله (ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله (8)

(1) الآية 9 من سورة طه .

(2) الآية الأولى من سورة الغاشية0

(3) جزء من الآية 3 من سورة التحريم0

(4) جزء من الآية 23 من سورة الزمر0

(5) جزء من الآية 87 من سورة النساء0

(6) الآية 50 من سورة المرسلات0

(7) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير ص 11 0

(8) جابر بن عبد الله : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة 2/ 45 رقم 1022، والاستيعاب 1
219/ رقم 290، واسد الغابة 1/ 492 رقم 647، وتاريخ الصحابة ص 58 رقم 183،
ومشاهير علماء الأمصار ص 17 رقم 25، وتذكرة الحفاظ 1/ 43 رقم 21، وطبقات الحفاظ
للسيوطى ص 19 رقم 21 0

(37/1)

(قال : كان رسول الله (إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش)
يقول : صبحكم ومساكم، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى
ويقول: أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد- صلى الله عليه وسلم - وشر

الأمر محدثاتها، وكل بدعة ضلالة... (1) .

ومثال ما جاء في السنة مراداً بها كلام النبي (ما أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن زيد بن ثابت (2)) قال : سمعت رسول الله (يقول : "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (3) وعن المغيرة بن شعبة (4)

(1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة 3/ 418 رقم 867
0

(2) زيد بن ثابت : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 1/ 561 رقم 2887، والاستيعاب 3/ 136 رقم 845، وأسد الغابة 2/ 346 رقم 1824، وتذكرة الحفاظ 1/ 30 رقم 15، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 17 رقم 15، وتاريخ الصحابة ص 105 رقم 469، ومشاهير علماء الأمصار ص 16 رقم 22 0

(3) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم 3/ 322 رقم 3660 واللفظ له، وأخرجه الترمذى في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، 5/ 33 رقم 2656، وقال أبو عيسى : وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء وأنس ثم قال : حديث زيد بن ثابت حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة، باب من بلغ علماً، 1/ 84 رقم 230 0

(4) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 3/ 452 رقم 8174، والاستيعاب 4/ 1445 رقم 2483، وأسد الغابة 5/ 238 رقم 571، وتاريخ الصحابة ص 230 رقم 1237، ومشاهير علماء الأمصار رقم 269، وتجريد أسماء الصحابة 2/ 91 0

(38/1)

(قال : قال رسول الله ("مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ؛ فَهُوَ أَخَذُ الْكَاذِبِينَ" (1) .

المطلب الثاني

التعريف "بالسنة" و"الحديث" في الاصطلاح

بادئ ذي بدء وقبل بيان معنى "السنة" و"الحديث" في اصطلاح العلماء نقول : إذا كان هناك بعض الفروق الدقيقة بين الاستعمالين لغة كما سبق، واصطلاحاً كما سيأتى تفصيلاً، إلا أنهما مترادفان متساويان في استعمالهم؛ فهم جميعاً لم يطلقوا استعمالهما اللغوي⁰

يقول الدكتور صبحي الصالح : "ولئن أطلقت السنة في كثير من المواطن على غير ما أطلق الحديث؛ فإن الشعور بتساويهما في الدلالة أو تقاربهما على - الأقل - كان دائماً يساور نقاد الحديث، فهل السنة العملية إلا الطريقة النبوية التي كان الرسول -صلوات الله عليه- يؤيدها بأقواله الحكيمة وأحاديثه الرشيدة الموجهة؟ وهل موضوع الحديث يغاير موضوع السنة؟ ألا يدوران كلاهما حول محور واحد؟ ألا ينتهيان أخيراً إلى النبي الكريم في أقواله المؤيدة لأعماله، وفي أعماله المؤيدة لأقواله؟ حين جالت هذه الأسئلة في أذهان النقاد لم يجدوا بأساً في أن يصرحوا بحقيقة لا ترد إذا تناسينا موردي التسميتين كان الحديث والسنة شيئاً واحداً، فليقل أكثر الحديثين أنهما مترادفان (2) .

وإذن فمعنى السنة والحديث عند علماء الشرع واحد من حيث إطلاق أحدهما مكان الآخر، ففي كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبي (إلا أن أهل كل اختصاص قد نظروا إلى السنة من الزاوية التي تعنيهم - من حيث تخصصهم وموضوع علمهم .

(1) أخرجه مسلم (شرح النووي) في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله (1 / 95 .

(2) علوم الحديث ومصطلحه بتصرف يسير ص 9، 10 0

1- فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله (الإمام الهادي ، والرائد الناصح ، الذي أخبر الله) أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل، وأخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت المنقول حكماً شرعياً أم لا (1) .

فعرفوها بأنها كل ما نقل عن النبي (من قول أو فعل أو إقرار (تقرير) أو صفة خلقية أو صفة خلقية حتى الحركات والسكنات في اليقظة والنام قبل البعثة أو بعدها0 فلذلك من الأثر ماله في إثبات النبوة وإعطاء الأسوة وتعميق الإيمان، وتوكيد العلاقة والمحبة والتوقير بيننا وبينه (، والالتزام بسنته المطهرة (2) .

أما علماء الأصول : فإنهم يعنون بالبحث في مصادر الشريعة، وأخذ الأدلة الشرعية من النصوص، واستنباط الأحكام منها - ومن هنا كان اهتمامهم بالسنة من حيث كونها المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله تعالى فعرفوها بأنها كل ما صدر عن النبي (من قول، أو فعل، أو تقرير، أو ترك، أو كتابة، أو إشارة مفهومة أو هم مصحوب بالقرائن، أو غير ذلك مما يثبت الأحكام ويقررهما، مما لم ينطق به الكتاب العزيز (3) .

(1) أصول الحديث، علومه، ومصطلحه، للدكتور محمد عجاج الخطيب ص 18 0

(2) شذرات من علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور 1/ 44، وعلوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص 16 0

(3) انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 1/ 127، والتقرير والتحبير لابن أمير الحاج 2/ 223، وغاية الوصول شرح لب الأصول زكريا الأنصاري ص 91، ومناهج العقول للبدخشي 2/ 269، وإرشاد الفحول للشوكاني 1/ 155، وأصول الفقه للخضري ص 250، 251 0

(40/1)

أما الفقهاء فيطلقون كلمة "سنة" ويعنون بها ما يقل عن درجة الوجوب والإلزام، فالواجب والفرض عندهم ما يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، أما السنة عندهم - فهي ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها مما

فعله الرسول (وواظب عليه؛ لأنها في اصطلاحهم - أقل إلزاماً من الفرض، ونظرة الفقهاء إلى السنة خاضعة لتخصصهم، ولموضوع علمهم الذي هو البحث عن حكم الشرع على أفعال العباد من حيث الوجوب والتحريم والاستحباب والكراهة والإباحة ومن هنا خضع تعريفهم للسنة إلى تخصصهم الذي يعملون فيه (1) .

السنة وعمل الصحابة :

يقول في ذلك الدكتور محمد عجاج الخطيب، إلى جانب المعنى السابق الذي يدل عليه لفظ السنة، فقد يطلق العلماء (محدثين وأصوليين وفقهاء) لفظ السنة أحياناً على ما عمل به أصحاب رسول الله (سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أم في المأثور عن النبي (أم لا، لكنه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم، أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم .

ومن أبرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى حد الخمر، حيث كان تعزير شارب الخمر في عهده (غير معين فكانوا يضربونه تارة أربعين جلده، وتارة يبلغون ثمانين جلدة، فلما كان عهد عمر (2) (استشار الناس؛ فقال عبد الرحمن بن عوف (3)

(1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 13 0

(2) عمر بن الخطاب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 3/ 518 رقم 5752، والاستيعاب 3/ 1144 رقم 1878، واسد الغابة 4/ 137 رقم 3830، وتذكرة الحفاظ 5/1 رقم 2، وطبقات الحفاظ ص 13 رقم 2، وتاريخ الصحابة ص 23 رقم 2، ومشاهير علماء الأمصار ص 10 رقم 3، وتجريد أسماء الصحابة 1/ 397 0

(3) عبد الرحمن بن عوف : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 2/ 456 رقم 5195، والاستيعاب 2/ 844 رقم 1455، واسد الغابة 3/ 475 رقم 3370، وتاريخ الصحابة ص 25 رقم 9، ومشاهير علماء الأمصار ص 14 رقم 12 0

(أخف الحدود ثمانون، وقال على (1) (نرى أن نجلده ثمانين؛ فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، فجلد عمر (في الخمر ثمانين (2) .

وثبت في ذلك أيضاً تضمين الصناع⁰ وقضى الخلفاء - رضي الله عنهم - بذلك، قال عليّ (لا يصلح الناس إلا ذاك؛ لأن الناس بحاجة إلى الاستصناع، وعدم تضمين الصناع يورث الإهمال في العمل وعدم المسؤولية، مما يؤدي إلى ضياع أموال الناس (3) .

ومن ذلك أيضاً، جَمَعَ المصاحف في عهد أبي بكر برأى عمر -رضي الله عنهما- (4) ، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين، وما أشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحي الذي أقره الصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعين (5) .

ومما يدل على إطلاق السنة بهذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه العرياض بن سارية (6)

(1) على بن أبي طالب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 507/2 رقم 5704، والاستيعاب 3 1089/ رقم 1855، واسد الغابة 4/ 87 رقم 3789، وتاريخ الصحابة ص 24 رقم 4، ومشاهير علماء الأمصار ص 11 رقم 5، وتذكرة الحفاظ 1/ 10 رقم 4، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 14 رقم 4 0

(2) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الأشربة، باب الحد في الخمر 2/ 642 رقم 2 0

(3) الاعتصام للشاطبي 2/ 119، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 81-96 0

(4) انظر : الحديث في صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 8/ 627 رقم 4986 0

(5) الموافقات للشاطبي 4/ 6، 5، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية ص 32، 33 0

(6) العرباض بن سارية : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 2/ 473 رقم 5501، والاستيعاب 3/ 1238 رقم 2026، واسد الغابة 4/ 19 رقم 3630، وتاريخ الصحابة 199 رقم 1062، ومشاهير علماء الأمصار ص 65 رقم 331 0

(42/1)

(قال : صلى بنا رسول الله (الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال : "أوصيكم بتقوى الله (والسمع، والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (1) وقوله: (فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو (2) -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ("إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا : ومن هي يا رسول الله قال : ما أنا عليه وأصحابي" (3) .

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة 4/ 200 رقم 4607، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع 5/ 43-44 رقم 2676، وابن ماجه في المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 1/ 15-17 رقمي 42-43 وغيرهم 0

(2) عبد الله بن عمرو : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 2/ 351 رقم 4865، والاستيعاب 3/ 256 رقم 1636، واسد الغابة 3/ 345 رقم 3092، وتجرید أسماء الصحابة 1/ 326، وتاريخ الصحابة رقم 721، ومشاهير علماء الأمصار ص 71 رقم 377، وتذكرة الحفاظ 1/ 41 رقم 19، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 18 رقم 19 0

(3) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة 5/ 26 رقم 2641، وقال أبو

عيسى : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وانظر : أصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب بتصرف يسير ص 21، 22 0

(43/1)

واستدل على ذلك أيضاً بأن السلف كانوا يقولون : سنة العمرين أى أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما-، ومما أخرجه ابن عبد البر بسنده عن مالك بن أنس (1) .
قال عمر بن عبد العزيز (2) : سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله (واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، من عمل بها؛ فهو مهتد، ومن استنصر بها؛ فهو منصور، ومن خالفها؛ اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً (3) .

(1) مالك بن أنس: هو الإمام مالك بن أنس، أحد أعلام الإسلام، إمام دار الهجرة، وصاحب الموطأ، توفي سنة 179هـ له ترجمة في: تذكرة الحفاظ 1/ 207 رقم 199، وطبقات المفسرين للداودى 2/ 294 رقم 613، والديباج المذهب ص 56، وشذرات الذهب 1/ 289، والثقات للعجلي ص 417 رقم 1521، ومروج الذهب 3/ 350، ومشاهير علماء الأمصار ص 169 رقم 1110

(2) عمر بن عبد العزيز : هو عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولى إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولى الخلافة بعده، فعد من الخلفاء الراشدين مدة خلافته سنتان ونصف، توفي سنة 101هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 1/ 188 رقم 104، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص 53 رقم 101، وتقريب التهذيب 1/ 722 رقم 4956، والكاشف 2/ 65 رقم 4089، ومشاهير علماء الأمصار ص 209 رقم 1411 0

(3) أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه، باب القول فى أنه يجب إتباع ما سنه السلف من الإجماع والخلاف وأنه لا يجوز الخروج عنه 1/ 435 رقم 455، والآجرى فى الشريعة ص 306، 65، 48، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم، باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها 2/ 187 0

وإذا كان عمل الصحابة (يطلق عليه لفظ السنة - فلا يعنى هذا أن السنة معناها في صدر الإسلام "العادات والتقاليد الوراثية في المجتمع العربي الجاهلي، ثم نقلت إلى الإسلام" كما زعم جولدتسيهر وغيره، لأن تلك الادعاءات كما قال الدكتور الأعظمي تخالف مخالفه جذرية ما دلت عليه النصوص القطعية والتي تفسر بعضها بعضاً⁰ لما رواه أحمد في مسنده عن سالم (1) قال "كان عبد الله بن عمر (2) يفق بالذى أنزل الله (من الرخصة بالتمتع، وسن رسول الله (فيه : فيقول ناس لابن عمر : كيف تخالف أباك؟ وقد نهي عن ذلك، فيقول لهم عبد الله ويلكم ألا تتقون الله إن كان عمر نهي عن ذلك فيبتغي فيه الخير، يلتمس به تمام العمرة، فلم تحرمون ذلك؟ وقد أحله الله وعمل به رسول الله (أفرسول الله (أحق أن تتبعوا سنته أم سنة عمر" (3) .

(1) سالم : هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر أو أبو عبد الله، المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبناً عابداً فاضلاً، يشبهه أبيه في الهدى والسمت⁰ روى عن أبيه وأبي هريرة، وعنه الزهري، وصالح بن كيسان⁰ مات سنة 106هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/335 رقم 2182، والكاشف 1/422 رقم 1773، والجرح والتعديل 3/168، وتاريخ الثقات للعجلي ص 174 رقم 499، ومشاهير علماء الأمصار ص 85 رقم 438 0

(2) عبد الله بن عمر : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 2/347 رقم 4852، والاستيعاب 3/340 رقم 1630، واسد الغابة 3/336 رقم 3082 وتذكرة الحفاظ 1/37 رقم 17، وتاريخ الصحابة 149 رقم 719، ومشاهير علماء الأمصار ص 23 رقم 55، وتجريد أسماء الصحابة 1/325 0

(3) أخرجه أحمد في مسنده 2/95 0

(2) دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي 1/5-11 بتصرف، وانظر : السنة في مواجهة أعدائها ص 36 وما بعدها 0

فدل ذلك على أن لفظ "السنة" في صدر الإسلام كان معلوماً بأنها سنة النبي (وليس ما كان معروفاً مألوفاً في الجاهلية، إذ لو كان الفرق الشائع، أو تقاليد المجتمع الجاهلية هما "السنة" فكيف نفسر قول ابن عمر هذا؟ (1) 0

هذا وإن كانت السنة تطلق على ما عمل به أصحاب رسول الله (كما سبق، فهي أيضاً تطلق ويراد بها الجانب العملي الذي نقل لنا عن رسول الله (أما الحديث: فهو الأخبار التي نقلت لنا عنه (من أقواله وأفعاله وتقاريراته وصفاته ... إلخ 0

وفي ضوء ذلك نستطيع أن نفهم قول العلماء في وصف أحدهم مثلاً (إمام في الحديث) أو (إمام في السنة) أو قولهم عنه إنه (إمام فيهما معاً)، أي أنه عالم في الحديث، وعالم بالسنة يطبقها على نفسه، ويلتزم بها في سلوكه 0

والسنة بهذا المعنى الأخير تباين البدعة التي ليست من الدين والتي اعتبرها الرسول (ضلالة؛ لأنها ليست من شرع الله في شيء، وكل ضلالة في النار. وفي ضوء ذلك أيضاً نستطيع أن نفهم قول الرسول ("من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (2) ...

(2) الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جدر 5/ 355 رقم 2697 0 ومسلم (بشرح النووي) كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 6/ 256، 257 رقم 1718 0

(46/1)

ووفقاً لهذا المعنى نستطيع أن نفهم أيضاً قول عبد الرحمن ابن مهدي (1) -وهو واحد من أفذاذ علم الحديث ورجاله، ومن كبار العلماء بالسنة - حينما سئل عن مالك بن أنس، والأوزاعي (2) ، وسفيان بن عيينة (3)

(1) عبد الرحمن بن مهدي : هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان البصري، الثقة، الأمين، العالم

بالحديث وأسماء الرجال، كان الشافعي يرجع إليه في الحديث، وقال عنه : لا اعرف له نظيراً في الدنيا مات سنة 198هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 592 رقم 4032، والكاشف 1/ 645 رقم 3323، والجرح والتعديل 5/ 288 رقم 1382، والثقات للعجلي، ص 299 رقم 985، وتذكرة الحفاظ 1/ 329 رقم 313، وطبقات الحفاظ للسيوطي، ص 144 رقم 301، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 1/ 141 رقم 35 0

(2) الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد، أبو عمرو الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، وهو صاحب مدرسة في الفقه، وكان مذهبه منتشراً في الشام انتشاراً واسعاً، وظل لمذهبه أنصار في المغرب والأندلس حتى القرنين الثالث والرابع للهجرة، ثم توارى أمام مذهب الشافعي ومذهب مالك مات سنة 158هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 1/ 178 رقم 177، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 85 رقم 168، والثقات للعجلي ص 296 رقم 970، ومشاهير علماء الأمصار ص 211 رقم 1425، والثقات لابن حبان 7/ 62، ووفيات الأعيان 3/ 127 رقم 361، وتهذيب التهذيب 6/ 238 رقم 484 0

(3) سفيان بن عيينة : هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد، الكوفي ثم المكي، أحد أئمة الإسلام الأعلام، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وربما دلس، ولكن عن الثقات مات سنة 198هـ وله ترجمة في : تذكرة الحفاظ 1/ 262 رقم 249، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 119 رقم 238، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 196 رقم 187، والثقات للعجلي ص 194 رقم 577، ومشاهير علماء الأمصار ص 179 رقم 1181 0

(47/1)

فقال : الأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، وسفيان إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، ومالك إمام فيهما معاً.

واجابة عبد الرحمن بن مهدي واضحة الدلالة على أن السنة - في مثل هذا الاستعمال - إنما يراد بها الجانب العملي في الإسلام، أما الحديث فهو الاشتغال بما نقل لنا عن رسول الله (من أقواله وأفعاله وتقريراته ... إلخ).

ومن هنا يقولون أيضاً : فلان صاحب سنة وفلان صاحب بدعة، أما الأول، فالأنه يتبع هدى النبي (، "وأما الثاني؛ فالأنه يحاول أن يلحق بالدين ما ليس منه (1) .

يقول الدكتور صبحي الصالح : وأغرب من هذا كله أن أحد المفهومين يدعم بالآخر كأنهما متغايران من كل وجه، حتى صح أن يذكر ابن النديم كتاباً بعنوان "السنن بشواهد الحديث" (2) . وهناك تفريق آخر بين الحديث والسنة وهو ما ذكره العلامة الكتاني من أن الموقوف لا يسمى سنة، ولكنه يسمى حديثاً" (3) .

ويعقب الدكتور محمد الصباغ : على التفريق بين السنة والحديث في قول الإمام عبد الرحمن بن مهدي فيقول : ولكن هذا التفريق لم يعيش طويلاً فيما بعد، وأضحت الكلمتان مترادفتين، ولا نذكر هذا التفريق إلا من أجل فهم مثل العبارة الواردة عن ابن مهدي والتي ذكرناها آنفاً (4) 0 هذا ومرادى بالسنة هنا : ما أراده المحدثون وذهب إليه جمهورهم وهي : أقوال النبي (وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية وسيره ومغازيه قبل البعثة مثل تحنثه في غار حراء (5) ،

(1) الزرقاني على الموطأ 1/ 3 0

(2) علوم الحديث ومصطلحه ص 6 0

(3) الرسالة المستطرفة ص 32 0

(4) الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه ص 146 0

(5) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب بدء الوحي، باب رقم 3، 1/ 30 رقم 3، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (1/ 474 رقم 160

ومثل حسن سيرته، لأن الحال يستفاد منها ما كان عليه من كريم الأخلاق ومحاسن الأفعال؛ كقول أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- له (: كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق (1))

ومثل أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وأنه عرف بالصدق والأمانة وما إلى ذلك من صفات الخير، وحسن الخلق، فمثل ذلك ينتفع به في إثبات نبوته (كثيراً كما حصل من هرقل في حديثه المشهور (2) .

وهذا ما جعل العلماء يعتبرون كل ما يتصل به (قبل البعثة جزءاً من السنة؛ فالسنة عندهم تشمل كل ما يتصل بالرسول (قبل وبعد البعثة، ويدخل في التعريف ما كان عليه عمل الصحابة وهذا أجمع تعريف لها (3) . والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي عندهم (4) أ0هـ.

ومن هنا يظهر فساد قول جولدتسيهر : في كتابه (دراسات محمدية) يجب أن يكون مصطلح "الحديث"، ومصطلح "السنة" متميزين عن بعضهما (5) ، فهما ليسا بمعنى واحد، وإنما السنة دليل الحديث (6) .

(1) راجع تخريجه في نفس الحديث السابق 0

(2) متفق عليه من حديث أبي سفيان بن حرب (البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب، بدء الوحي باب رقم 6، 1/ 42 رقم 7، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي (، إلى هرقل يدعوه للإسلام 346/6 رقم 1773 0

(3) انظر : جامع العلوم والحكم 2/ 120، والمدخل إلى السنة النبوية ص 33، 34 0

(4) الحديث والمحدثون للدكتور أبو زهو ص 10، وانظر : تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 28، 29 0

(5) نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير نصر ص 314 0

(6) العقيدة والشريعة في الإسلام جولدتسيهر ص 49، ومن فرق بينهما أيضاً الأستاذ محمد رشيد رضا، انظر: مجلة المنار المجلد 10 / 853، 852 0

وجولدتسيهر بزعمه هذا لم يفرق بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية للفظتين: الحديث والسنة لذلك تراه يخلط في الموضوع بعدم التزامه باصطلاحات علماء الشرع، مما جعله يظن أن الخلاف في معاني لفظ (حديث) و(سنة) هو نوع من الاضطراب في التفكير عند المسلمين، وهذه الاصطلاحات قد استوفيناها قبل قليل، فظهر أنه لم يعتبر اصطلاحات القوم، بل لم يقترب منها أدنى الاقتراب⁰ وقوله (إنما السنة دليل الحديث) هذه الدعوى جره إليها تفريقه بين الحديث والسنة، وكان الأشبه بالعكس، فالحديث دليل السنة، فهما بمعنى واحد في اصطلاح الأصوليين⁰ ومن هنا جاء قولهم : سنة ثابتة عن الرسول، وسنة غير ثابتة عنه⁰

فالأولى : لأنه ثبت عن الرسول الكريم أنه قال ذلك الشيء أو فعله أو أقره، وطريقة ثبوت ذلك عن الرسول هو وجود الحديث الشريف الذي يتضمن ذلك ويشهد عليه.

الثانية : لأنه لم نجد حديثاً عن النبي قولاً أو فعلاً أو تقريراً يؤكد لها، فهي بذلك سنة غير ملزمة وكذلك إذا قيل : السنة كذا، ومن السنة كذا، وهكذا السنة كلها دليل شرعى ملزم؛ لأن ذلك ثابت عن النبي (بوجه من الوجوه (1) أ⁰هـ .

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

المطلب الثالث

شبهة حول التسمية والرد عليها

من نافلة القول أن نقرر : أن كلمتي "السنة" و"الحديث" عربيتين، حيث أنكر هذه البديهة من أعداء الإسلام جولدتسيهر حين زعم تارة بأن كلمة "السنة" مأخوذة من العبرية (مشناة) فقال : "حتى في الإسلام، أخذت هذه الفكرة مكاناً أيضاً، أعنى اتخاذ قانون مقدس وراء القرآن مكتوباً أو مسموعاً كما هو الحال عند اليهود" (2) .

(1) ضوابط الرواية عند المحدثين، ص 314 - 322 بتصرف 0

(2) العقيدة والشريعة في الإسلام ص 49 0

(50/1)

وقال تارة ثانية : أنها مصطلح وثني في أصله وإنما تبناه واقتبسه الإسلام 0 وتابعه على ذلك من جلدته شاخ ومارغوليوث، كما نقله عنهم الدكتور محمد الأعظمي في كتابه (دراسات في الحديث النبوي) (1) .

وتابع المستشرقين على ذلك قاسم أحمد حيث قال : "وما ينبغي أن يفتن إليه المسلمون هو التشابه الكبير جداً بين هذا الرأي ورأي اليهود القديم عن الوحي المكتوب والشفوي. فالتلمود اليهودي الذي يشمل المشناة والجמרה وهما يشبهان الحديث والسنة الإسلامية. وهما عبارة عن مجموعة تعاليم شفوية لخاصات وكبار علماء اليهود أساسها تفسيرهم وشرحهم لكتابهم المقدس على مدى طويل على لسان العالم اليهودي يهوذا جولدن (2) .

كما زعم المستشرق الفريد غيوم في كتابه (الحديث في الإسلام): أن كلمة "حديث" مشتقة من الكلمة العبرية عند اليهود "هداش" والتي تعني الجديد أو تعني الأخبار أو القصص (3) . ومرد هذه الشبهة يهدف إلى نفي أن تكون الكلمتين عربيتين .

وقد رد هذه الشبهة الباطلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) ونفى أن تكون كلمة السنة مأخوذة من العبرية (4) .

كما رد الدكتور محمد الأعظمي في كتابه (دراسات في الحديث النبوي) الزعم الباطل لجولدتسيهر؛ أنها مصطلح وثني في أصله، وإنما تبناه واقتبسه الإسلام (5) .

(1) دراسات في الحديث النبوي 1/ 5، 6 0

(2) إعادة تقييم الحديث ص 78، 79 0

(3) نقلاً عن منهجية جمع السنة للدكتورة عزبة على طه ص 62 0

(4) الإسلام عقيدة وشريعة ص 492، 493 0

(5) دراسات في الحديث النبوى 1/ 5-11 0

(51/1)

... وذكر هذه الشبهة وردّها الدكتور رءوف شلبي في كتابه (السنة النبوية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين) فقال : بحكم طبيعة الحياة فإن الخير لا يسلم من الشر، وإن العدل لا يسلم من الجور، ولقد قىض الشيطان عناصر تفتري على الإسلام وعلى مصادره، فقد زعم بعض الباحثين أن التعبير بكلمة سنة أخذه المسلمون من الكلمة العبرية (مشناة) التي تطلق في الاصطلاح اليهودي على مجموعة الروايات الإسرائيلية التي تعتبر في نظرهم مرجعاً أساسياً في التعرف على أحكام التوراة، كما تعتبر شرحاً وتفسيراً لها، ثم عربها المسلمون إلى كلمة (سنة) ويدعى اليهود أن المسلمين أطلقوها - بعد التعريب - علماً على مجموعة الروايات النبوية في مقابل استعمالهم لكلمة "مشناة" علماً على مجموعة الروايات الإسرائيلية .

والجواب : يقول فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبي اعتراض اليهود ومن تابعهم على كلمة "سنة" و"حديث" ملخص في نقطتين :

1- أن المسلمين عربوها من كلمة "مشناة" و"هداش" .

2- أن المسلمين أطلقوها علماً على مجموعة الروايات النبوية في مقابل ما صنعه اليهود من إطلاقهم كلمة "مشناة" على مجموعة الروايات الإسرائيلية التي تشرح لهم التوراة، ونعتبر المصدر الأساسي في التعرف على الأحكام .

ورداً على النقطة الأولى : فإن العقل الباحث الأمين لا يتقبل ادعاء اليهود ومن صار على دربهم، أن

العرب الأوائل المسلمين قد عربوا "مشناة" إلى "سنة" أو عربوا "هداش" إلى "حديث" .

أولاً : لعدم المشابهة في الحروف والبنية .

ثانياً : لأن الكلمتين ورد استعمالهما في الشعر الجاهلي قبل الإسلام، كما استعملهما ربنا (في كتابة العزيز، واستعملهما نبينا (في حديثه الشريف، على نحو ما ذكرناه سالفاً في تعريف السنة والحديث لغة. وذلك مما لا يترك مجالاً لفرضية بحث تعريب كلمة سنة من مشناة أو حديث من هداش⁰

(52/1)

وإذاً فالكلمتين لم يعربهما المسلمون من كلمتي مشناة وهداش، وإنما أخذوهما من صميم لغتهم، وصريح كتابهم الكريم، وصريح حديث نبيهم (1) .

يقول الدكتور الأعظمي : ولذا فإن ما قاله جولدتسيهر بأن السنة مصطلح وثني استخدمه الإسلام، ادعاء لا يستند إلى دليل، ومعارض للأدلة الملموسة، ثم إن استعمال الجاهليين أو الوثنيين من العرب لكلمة "ما" في مفهومها اللغوي لا يلبسها ثوباً معيناً، ولا يحيلها إلى مصطلح وثني وخصوصاً إذا لاحظنا استعمالهم المختلفة لهذه الكلمة، وإلا أصبحت اللغة العربية بكاملها مصطلحاً وثنياً وهذا لا يقول به عاقل (2) 0

ونفس هذا الكلام يقال رداً على ما زعمه الفريد غيوم من أن كلمة "حديث" مشتقة من الكلمة العبرية "هداش"⁰

ورداً على النقطة الثانية : يقول ابن قيم الجوزية (3) في إغاثة اللهفان : إن كلمة مشناة إنما تعني الكتاب الذي ألفه علماء اليهود في زمن دولة البابليين والفرس، ودولة اليونان والروم، وهو الكتاب الأصغر، ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة⁰

(1) السنة النبوية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص 32 وما بعدها بتصرف⁰

(2) دراسات في الحديث النبوي 1 / 7 0

(3) ابن قيم الجوزية : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، الفقيه الحنبلي الأصولي المحدث النحوي الأديب الواعظ الخطيب، له مصنفات عديدة أشهرها : أعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدى خير العباد، وغير ذلك، مات سنة 751هـ 0 له ترجمة في: البداية والنهاية لابن كثير 14/ 234، والدرر الكامنة لابن حجر 3/ 400-403 رقم 1067، وشذرات الذهب 6/ 168، وطبقات المفسرين للداودي 2/ 93 - 97، رقم 456، والوفاء بالوفيات 2/ 270/ 0

(53/1)

أما التلمود : فهو الكتاب الأكبر الذي ألفه علماء اليهود مع مشناة، ومبلغ حجمه نحو نصف حمل بغل لكبره، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد، وإنما ألفوه جيلاً بعد جيل، فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه، وأن في الزيادات المتأخرة ما يناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلل الذي لا يمكن سده، قطعوا الزيادة فيه، ومنعوا منها، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وإضافة شيء آخر إليه، وحرّموا من أن يضاف إليه شيء آخر فوقف على ذلك المقدار (1) 0

وإذاً فالمشناة والتلمود من تأليف فقهاء اليهود إرضاءً لأهوائهم، وقد نسبوها إلى التوراة وإلى سيدنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - وليس الأمر كذلك في الحديث النبوي والسنة المطهرة؛ فهي مرويات نبوية موحى بها من قبل رب العزة، ولا مدخل لأحد من علماء الإسلام في شيء منها إلا بحفظها ورعايتها وتنفيذها، وصاحب السنة المطهرة (هو الذي أطلق وسمى كل ما ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير أو... إلخ. بأنه من حديثه الشريف وسنته المطهرة 0 فهو القائل (: "قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ((2) .

وبهذا كله يتضح لنا أن الكلمتين "سنة" و"حديث" :

1- عربيتان أصيلتان .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب العلم، باب خطبته (في حجة الوداع 1 / 171، 172 رقم 318 من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما - وقال في إسناده عكرمة واحتج به البخاري، وابن أبي أويس واحتج به مسلم، وسائر رواته متفق عليهم، ثم قال وله شاهد من حديث أبي هريرة () ، وأخرجه في الموضوع السابق، ووافقه الذهبي وقال وله أصل في الصحيح أهـ0

(54/1)

2- وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد استعملاهما .
3- وأن الرسول (هو الذي سمى الحديث والسنة ووضعهما علماً على كل ما ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير ... إلخ، كما سبق وأن ذكرت .
وبذلك ينمحي من الإمكان فرض أن المسلمين عربوا كلمة "سنة" من كلمة "مشناة" أو "من هداش"، أو فرض أنها مصطلح وثني، وأنه فرق كبير بين ثريا المحجة البيضاء في الإسلام، وبين ثري الخرفين الذين لعنوا على لسان أنبيائهم داود وعيسى بن مريم جزاءً بما كانوا يصنعون (1) أهـ0.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(1) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي ص32: 36 بتصرف.

(55/1)

قال الدكتور سعد المرصفي الحديث النبوي بالسند المتصل : "خص الله به الأمة الإسلامية دون ما سواها، فلسنا نعرف على مدى التاريخ أمة من أمم الرسل -عليهم صلوات الله وتسليماته - سعدت بمثل هذه المجموعة الناطقة، وبهذا السجل الخالد لنبيها بالسند المتصل، بل بالعكس من ذلك نرى الأمم كلها فقيرة لا تملك مصدراً من مصادر الحديث عن الأنبياء حيث انقطعت الصلة بينها وبين أنبيائها علمياً وتاريخياً، وفقدت الحلقة التاريخية التي تصلها بعصر هؤلاء الرسل -عليهم صلوات الله وتسليماته- وتوقفها على شئون حياتهم، وما يكتنفها من ظروف وملابسات حتى صار كثير من المفكرين يشكون في وجودهم، ونحن على معارضتنا لهذا التطرف⁰ نؤمن بأن هناك حلقات مفقودة لا يمكن البحث عنها، والاهتداء إليها⁰

أما خاتم الرسل والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه - فهو الرسول الذي نعرف عنه كل دقيق وجليل، ونعرف عنه من دقائق الأخلاق والعادات والميول والرغبات، والقول والعمل ما لا نعرفه عن غيره بالسند المتصل، بل إن ما عرفناه عن الأنبياء جاء من طريق الوحي الذي أنزله الله عليه في كتابه، وبينه لنا - صلى الله عليه وسلم - في حديثه الشريف⁰

فالحديث المتصل : هو السجل الخالد الذي حفظ لنا هذه الحياة المباركة، وهو من خصائص هذه الأمة دون ما سواها⁰ وهو الذي يعرف المسلم بنبيه وحبيبه ويسعده بصحبته، وكأنه حضر مجلسه، واستمع لحديثه، وقضى معه مدة من الزمان؛ ليسمع كلامه، ويشاهد فعله، ويشاهد سيرته، ثم إنه ميزان عادل لحركة هذه الأمة، زاهر بالحياة النابضة، والقوة المؤثرة التي تبعث على الخير والفلاح والرشد والصلاح⁰

(56/1)

ومن رحمة الله تعالى أن كانت أمة الإسلام أمة تملك قوة الذاكرة، وعظمة الصدق وتحمل الرواية، وقد فاقت في ذلك كل الأمم، وقد وعى الصحابة الكرام - رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين - كل ما سمعوه وكل ما شاهدوه، وحرصوا أشد الحرص وأبلغه على حفظه ونشره، حرصاً لم يعرف عن أمة نبي من الأنبياء، وجاء التابعون وتابعوهم فحملوا الأمانة، وبلغوا حديث الرسول الحبيب، وتتابع المسلمون جيلاً بعد جيل برواية العدل الضابط عن مثله يحفظون ويبلغون(1) أ⁰0هـ وصدق القائل : "إن الحديث علم رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر لا يعتنى به إلا كل حبر، ولا يحرمه إلا كل غمر، ولا تفنى محاسنه على مر الدهر، لم يزل في القديم والحديث يسمو عزّة

وجلالاً، إذ به يعرف المراد من كلام رب العالمين، ويظهر المقصود من حبله المتصل المتين، ومنه يدري شمائل من سما ذاتاً ووصفاً واسماً، ويقف على أسرار بلاغة من شرف الخلائق عرباً وعمماً(2)0 يقول الدكتور محمد علي الصابوني : "وسيطل الحديث النبوي بالسند المتصل من الخصائص التي اختص الله - سبحانه - بها هذه الأمة الإسلامية، ذلك الكنز الثمين، والتراث النبوي العظيم، الذي تركه لنا سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - ، فحفظته الأمة غصاً طرياً على مدى العصور والأزمان وها نحن اليوم وقد مضى القرن الرابع عشر، ودخلنا في القرن الخامس عشر من هجرة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - نقرأ حديث نبينا - صلى الله عليه وسلم - ونسمعه ونحفظه، كما نطق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويخطب به ويداع على العالم، نقياً صحيحاً وكأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيٌّ بين أظهرنا نتحدث به هذه الساعة، ولم يكن مثل هذا لأمة من أمة الأرض، أمة حفظت ورعت كلام نبيها كما رعت وحفظته هذه الأمة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، ليبقى دين الله - سبحانه - خالداً دائماً مدى الأزمان"(3).

المبحث الرابع

الحديث النبوي تاريخ الإسلام

(57/1)

لا يخفى أن القرآن الحكيم إنما نزل لهداية البشر إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، ولهذا بين لهم طريق العمل وسبل النجاح، وأعلن أن الأمة التي تعمل بهذا القانون تكون لها الخلافة في الأرض وتنال من السعادة والسيادة ما لا يزيد عليه، وتكون خير أمة أخرجت للناس. وكل من لم يعمل بهذا القانون يكون ذليلاً مهاناً في الأرض، وشقياً في الدنيا والآخرة .

فإذا سألنا أحدٌ : هل وجدت أمة في زمن من الأزمان عملت بهذا القانون؟ وهل نالت به ما وعدت؟ ومتى كانت هذه الأمة، وكيف كانت طريقة عملها بهذا القانون، وأين التاريخ الصحيح لأعمالها؟ نقول له : نعم وجدت أمة عظيمة عملت بهذا الكتاب الحكيم، واتخذته قانوناً أساسياً لها مدة كبيرة، فصدقها الله وعده، وأنعم عليها بالخلافة والسيادة في الأرض، وامتد سلطانها إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكانت أمة لا نظير لها في تاريخ العالم. وتاريخ أعمالهم المجيدة، وطريقة تنفيذهم لأحكام القرآن وكيفية عملهم بها، كل ذلك ثابت محفوظ بصورة عديمة المثال، فإنه لا يوجد تاريخ لأمة من

الأهم يبين عملها وتمسكها في كل شئونها بقانونها مثل تاريخ هذه الأمة .
هذه الأمة هي : الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان، وهذا التاريخ هو الحديث. فبالحديث يعلم كيف عمل الرسول وأصحابه بالقرآن وبه يعرف أن القرآن، قانون قد عمل به ونجحت أصوله الإدارية، والسياسية، والمدنية، والأخلاقية... إلخ. وليس هو مجموعة نظريات محتاجة للإثبات بالتجربة والتطبيق. وأما إذا عملنا برأى المنكرين للحديث فيضيع تاريخ الإسلام الذهبي، ولا يقدر أحد أن يثبت أن القرآن قد عملت به أمة من الأمم ونجحت في تأسيس حكومة مدنية مطبقة لتعليماته. فهل يرضى المسلمون بهذا؟ لا والله، لا المسلمون يرضون بهذا، ولا العلم، ولا التاريخ يرضيان به {فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}(1).

المبحث الخامس

دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم

(58/1)

قال الدكتور محمد الصباغ : إن دراسة الحديث أمر ضروري لطالب العلم سواء أكان متخصصاً في الشريعة أم في العربية أم في التاريخ أم في غير ذلك من العلوم أما ضرورته للتخصص في الشريعة فواضحة⁰

الحديث واللغة العربية :

وأما بالنسبة لطالب العربية فنستطيع أن نجعل الدواعي لدراسته فيما يأتي :
أولاً : لأن تأثير الحديث النبوي على ثقافتنا العربية يفوق كل تصور، فلقد صبغت طريقته كل فنون ثقافتنا ومعارفنا، وإنك تجد طريقة السند عمت كل أنواع الكتب في مكتبتنا من أدبية وتاريخية وغيرهما إذ تعتمد السند في إيراد أخبارها مثل كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني، و "الأمالى" لأبي على القالي، و "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري، بل إن كثيراً من العلوم ما كان ليوجد لولا الحديث؛ فطبقات الرجال، وكتب التواريخ، وكتب التراجم والسيرة، كل هذا ثمرة من ثمرات الحديث النبوي⁰

يقول الدكتور شوقي ضيف : "فالحديث هو الذى فتح باب الكتابة التاريخية، وهياً لظهور كتب الطبقات في كل فن، وهذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث وغير مشاركته في علوم التفسير والفقه، مما بعث على نهضة علمية رائعة". وقال الدكتور أحمد أمين : "كان جمع الحديث أساساً لكل العلوم

الدينية تفرع عنه التفسير والفقه وتاريخ السيرة وتاريخ الفتوح والطبقات ... إلخ(1)0
ثانياً : لأن الحديث النبوى من بليغ ما أثر في لغتنا، ومن أرفع النصوص الأدبية بياناً وإشراقاً بعد
القرآن الكريم، والدراسة المفيدة المجدية للغة العربية هي الدراسة التي تجعل الطالب يتخرج بالنصوص
الجميلة وتصله بها، حتى يتأثر بأساليبها وطريقتها في القول....

(59/1)

ثالثاً : لأن علوم العربية وآدابها إنما كانت من أجل خدمة القرآن والحديث، بل إننا لنستطيع أن نقول
: إن كل ما في ثقافتنا من تنوع وتعدد وتلون في العلوم والفنون والمعارف؛ إنما كان لخدمة القرآن
والسنة وفي ذلك يقول الإمام عبد القادر البغدادى(1) : اعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في
المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم، وأنواع الاجتهادات، إلا ولأهل السنة في ميدانها القدر
المعلمى، والسهم الأوفر(2)0

رابعاً : لأن هناك التحاماً وثيقاً بين العربية والعلوم الإسلامية، وكل دارس للعربية لا يعد واقفاً على
أسرارها ما لم يشارك في العلوم الإسلامية الأخرى0

خامساً : لأن الحديث النبوى من الأصول التي يستشهد بها على قواعد اللغة(3)0
سادساً : لأن قواعد علم المصطلح التي وضعها أجدادنا المسلمون تعلم المنهجية في الحكم على
الأخبار دون أن يكون تأثر بأى اعتبار آخر غير تطبيق تلك القواعد0
قلت : وهو علم تفتخر به هذه الأمة على البشرية جمعاء فهو من خصوصيتها، وسيأتى تفصيل ذلك
في مبحث (أهمية الإسناد في الدين، واختصاص الأمة الإسلامية عن سائر الأمم)(4)0
الحديث والتاريخ :

وأما طالب التاريخ فيكفيها للدلالة على أهمية دراسة الحديث بالنسبة له أن نورد قول الدكتور أسد
رستم أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية(5)، قال : وأول من نظم نقد الروايات التاريخية، ووضع
القواعد لذلك علماء الدين الإسلامى، فإنهم اضطروا اضطراراً إلى الاعتناء بأقوال النبي - صلى الله
عليه وسلم - وأفعاله لفهم القرآن وتوزيع العدل فقالوا : إن هو إلا وحى يوحى، ما تلى منه فهو
القرآن، وما لم يتل فهو السنة . فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها فأتحفوا علم التاريخ بقواعد
لا تزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا .

يقول الدكتور محمد الصباغ : "وقد وضع الأستاذ المذكور كتاباً بعنوان (مصطلح التاريخ) وقد اعتمد فيه على القواعد التي قررها علماء مصطلح الحديث .

(60/1)

ووصف كتابه بأنه بحث في نقد الأصول، وتحرى الحقائق التاريخية وإيضاحها وعرضها وفيما يقابل ذلك من علم الحديث يقول : "وبإمكاننا أن نصارح زملاءنا في الغرب فنؤكد لهم بأن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا، ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده(1)0" يقول الدكتور السباعي : "وقد اعترف المؤلف في كتابه بأن قواعد مصطلح الحديث أصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات، وقد قال في الباب السادس (العدالة والضبط) بعد أن ذكر وجوب التحقيق من عدالة الراوى، والأمانة في خبره : "ومما يذكر مع فريد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين في هذا الباب0 وإليك بعض ما جاء في مصنفاتهم نوره بحروفه وحذافيره تنوياً بتدقيقهم العلمى، واعترافاً بفضلهم على التاريخ ... ثم أخذ في نقل نصوص عن الأئمة مالك ومسلم والغزالي والقاضى عياض وأبي عمرو بن الصلاح(2).

(61/1)

وتأتى أهمية الحديث النبوى في غير ذلك من العلوم بأنه مصدرٌ لكل معرفة فقد بين النبى - صلى الله عليه وسلم - من خلال حديثه الشريف جميع أحكام الحياة والموت كما قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - "وقد توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرٌ للأمة منه علماً، وعلمهم كل شئ حتى آداب التخلّى، وآداب الجماع، والنوم، والقيام، والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسى والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأى عين، وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله، وعرفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبى لأئمتة قبله، وعرفهم - صلى الله عليه وسلم - من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل

فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره، وكذلك عرفهم - صلى الله عليه وسلم - من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلا إلى من يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفى عليه، وكذلك عرفهم - صلى الله عليه وسلم - من مكاييد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقدروا على عدو أبداً، وكذلك عرفهم - صلى الله عليه وسلم - من مكاييد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيد ومكر وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه وكذلك عرفهم - صلى الله عليه وسلم - من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكماثلها ما لا حاجة لهم معه إلى سواها؛ وكذلك عرفهم - صلى الله عليه وسلم - من أمور معاشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة⁰

(62/1)

وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته، ولم يحوجهم الله - سبحانه - إلى أحد سواه(1). فكيف يظن بعد كل ذلك أن يكون للإسلام وللمسلمين دين وعلم وحضارة بدون السنة النبوية المطهرة؟ ومن هنا كان التشكيك في الأحاديث النبوية تشكيكاً في الإسلام، وفي جميع العلوم والمعارف كما قال الدكتور محمد أبو زهو - رحمه الله تعالى - (ولو أننا ذهبنا نستمتع إلى من في قلوبهم مرض، من دعاة الإلحاد، وخصوم الإسلام، وصرنا إلى ما صاروا إليه من الشبهات، المؤسسة على شفا جرف هار، لذهبت ثقتنا بجميع العلوم، ذلك؛ لأن علمائها لم يبذلوا فيها، من الدرس والتمحيص، والدقة والتحري، عشر معشار ما بذله علماء الحديث، في حفظ السنة ورعايتها، وتمييز صحيحها من ضعيفها، ومعرفة أحوال رواتها على اختلاف طبقاتهم وأزمنتهم وأمكناتهم، فإذا انهار حصن السنة الحصين، بعد تلك العناية البالغة، التي يشهد بها التاريخ والواقع، لم يبق هناك علم نرجع إليه أو نثق به، وكفى بذلك حمقاً وجهلاً)(2).

(1) السنة بين أنصارها وخصومها مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 748 ج 1/ 18، 19، بتصرف⁰

(2) نقلاً عن السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص 18⁰

(3) السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الآلهي المنزل ص 83 بتصرف يسير⁰

- (1) الآية 78 من سورة النساء 0 وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان الندوى ص 12، 13، وقارن بالإسلام على مفترق الطرق للعلامة محمد أسد ص 93 0
(1) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين 3/ 362 0

(63/1)

-
- (1) عبد القادر البغدادي : هو عبد القادر بن طاهر بن محمد التميمي، الأستاذ أبو منصور البغدادي، الفقيه الشافعي الأصولي النحوي المتكلم، صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة، منها "تفسير القرآن" و"فضائح المعتزلة" و"التحصيل في أصول الفقه" و"الفرق بين الفرق" توفي سنة 429هـ له ترجمة في إنباه الرواة للقفطي 2/ 185، وبغية الوعاة 2/ 105، ووفيات الأعيان 2/ 372، وهداية العارفين 5/ 606، وطبقات الشافعية لابن السبكي 5/ 136، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 332 رقم 294، وفوات الوفيات لابن شاكر 1/ 613، والبداية والنهاية لابن كثير 12/ 44، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 1/ 393 رقم 17 0
(2) الفرق بين الفرق ص 321 0
(3) سيأتي تفصيل ذلك في الجواب عن شبهة رواية الحديث بالمعنى ص 386-395 0
(4) انظر : ج2 ص 148 .
(5) وقال الدكتور السباعي في كتابه السنة ومكانتها ص 108 هو أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقاً وهو مسيحي تفرغ أخيراً لأخبار الكنيسة الأرثوذكسية 0
(1) انظر : الحديث النبوي للدكتور محمد الصباغ ص 16 : 18 بتصرف 0
(2) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي ص 108 بتصرف يسير 0
(1) أعلام الموقعين عن رب العالمين 4/ 375، 376 0
(2) الحديث والمحدثون ص 210، 211 0 انظر : السنة في مواجهة أعدائها للدكتور طه حبيشي مبحث (إنكار السنة اعتداء على المناهج العلمية) ص 161 0
(1) السنة بين أنصارها وخصومها مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 748 ج1/ 18، 19، بتصرف 0
(2) نقلاً عن السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص 18 0

- (3) السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الآلهي المنزل ص 83 بتصرف يسير 0
- (1) الآية 78 من سورة النساء 0 وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان الندوى ص 12، 13، وقارن بالإسلام على مفترق الطرق للعلامة محمد أسد ص 93 0
- (1) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين 362/3 0

(64/1)

-
- (1) عبد القادر البغدادي : هو عبد القادر بن طاهر بن محمد التميمي، الأستاذ أبو منصور البغدادي، الفقيه الشافعي الأصولي النحوي المتكلم، صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة، منها "تفسير القرآن" و "فضائح المعتزلة" و "التحصيل في أصول الفقه" و "الفرق بين الفرق" توفي سنة 429هـ له ترجمة في إنباه الرواة للقفطي 185/2، وبغية الوعاة 105/2، ووفيات الأعيان 372/2، وهداية العارفين 606/5، وطبقات الشافعية لابن السبكي 136/5، وطبقات المفسرين للدوادى 332/1 رقم 294، وفوات الوفيات لابن شاكر 613/1، والبداية والنهاية لابن كثير 44/12، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 393/1 رقم 17 0
- (2) الفرق بين الفرق ص 321 0
- (3) سيأتي تفصيل ذلك في الجواب عن شبهه رواية الحديث بالمعنى ص 368-378 0
- (4) انظر : ص 684-686
- (5) وقال الدكتور السباعي في كتابه السنة ومكانتها ص 108 هو أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقاً وهو مسيحي تفرغ أخيراً لأخبار الكنيسة الأرثوذكسية 0
- (1) انظر : الحديث النبوي للدكتور محمد الصباغ ص 16 : 18 بتصرف 0
- (2) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور السباعي ص 108 بتصرف يسير 0
- (1) أعلام الموقعين عن رب العالمين 375/4، 376 0
- (2) الحديث والمحدثون ص 210، 211 0 انظر : السنة في مواجهة أعدائها للدكتور طه حبيشى مبحث (إنكار السنة اعتداء على المناهج العلمية) ص 161 0

(1) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جندل، ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل من ربيعة، لقب بالأعشى لسوء بصره، وكنى يأبى البصير تفاؤلاً بالشفاء، أو لنفاذ بصره، وسمى "صناجة العرب" لأنه كان يتغنى بشعره، وتوفي سنة 7هـ له ترجمة في : الشعر والشعراء لابن قتيبة 257/1 رقم 21، والعقد الفريد لابن عبد ربه 356/3، وأدباء العرب لبطرس البستاني 0 212/1

(65/1)

(2) ذو الرمة : ذو الرُّمَّة أو الرَّمَّة، أبو الحارث غيلان بن بهيس بن مسعود بن عدى، له ديوان شعر مطبوع في مجلد ضخيم، وتوفي سنة 117هـ له ترجمة في : الأعلام للزركلى 319/5، وفيات الأعيان لابن خلكان 11/4 - 17 رقم 523، والشعر والشعراء لابن قتيبة 524/1 رقم 94
(3) ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني بالولاء، إمام الكوفة في النحو واللغة، من كتبه "الفصيح" له ترجمة في الأعلام للزركلى 252/1، وبغية الوعاة للسيوطى 396/1 - 398 رقم 787 0

(4) لسان العرب لابن منظور 224/13، والقاموس المحيط للفيروزآبادى 233/4، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون 445/1 - 446 0

(1) مختار الصحاح للرازى ص 317، ولسان العرب 225/13، والقاموس المحيط 239/4، والمعجم الوسيط 456/1 0

(2) الجَوْهَرِيُّ : هو إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، يكنى : أبا نصر الفراءى، كان إماماً في اللغة والأدب، وهو صاحب الصحاح في اللغة، توفي سنة 393هـ له ترجمة في : مرآة الجنان : 446/2، ولسان الميزان لابن حجر 614/1 رقم 1273، وشذرات الذهب لابن العماد 141/3، والوافى بالوفيات 111/9 رقم 4028، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى 194/1

(3) عمرو بن العاص : صحابى جليل له ترجمة في : الإصابة 2/3 رقم 5897، والاستيعاب 1184/3 رقم 1931، واسد الغابة 232/4 - 235 رقم 3971، وتاريخ الصحابة ص 173 رقم 884، ومشاهير علماء الأمصار ص 71 رقم 376 0

(4) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج 414/1 رقم 121، وأحمد في مسند 0 199/4

(5) لسان العرب 227/13، والقاموس المحيط 239/4، والمعجم الوسيط 455/1، 456 0

(6) لسان العرب لابن منظور 0 225/13

(7) الآية 77 من سورة الإسراء 0

(8) الآية 55 من سورة الكهف 0

(66/1)

(1) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة 110/4،
111 رقم 1017، وأخرجه فى كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة 479/8 رقم 1017
من حديث جرير بن عبد الله (0)

(2) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى (: البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام
بالسنة، باب قول النبى (، لتتبعن سنن من كان قبلكم 312/13 رقم 7320، ومسلم (بشرح
النووى) كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى 472/8 رقم 2669 0

(3) إرشاد الفحول للشوكانى 155/1، ولسان العرب لابن منظور 225/13، والمعجم الوسيط
لإبراهيم أنيس وآخرون 455/1 0

(4) حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 46 0

(5) الآية 36 من سورة الأحزاب، وانظر : الحديث النبوى للدكتور محمد الصباغ ص 139 0

(1) الفكر المنهجى عند المحدثين ص 27 0

(2) لسان العرب 225/13، والقاموس المحيط 233/4 0

(3) مفاتيح الغيب للفخر الرازى 54/3 0

(4) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب السهو، باب العمل فى السهو 100/1 رقم 2، قال ابن عبد البر لا
أعلم هذا الحديث روى عن النبى (مسنداً ولا مقطوعاً، من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث
الأربعة التى فى الموطأ، التى لا توجد فى غيره مسنده ولا مرسله 0 ومعناه صحيح فى الأصول 0

(5) لسان العرب 225/13، والقاموس المحيط 233/4، والمعجم الوسيط 455/1 0

(6) القاموس المحيط 239/4، والمعجم الوسيط 456/1 0

(67/1)

- (7) الطبري : هو محمد بن جرير بن زيد، الطبري، أبو محمد، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان من الأئمة المجتهدين، ولم يقلد أحداً، وكان إماماً في فنون كثيرة منها : التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ وغير ذلك، توفي سنة 310هـ له ترجمة في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 162/2 رقم 589، ووفيات الأعيان 191/4، 192 رقم 570، وطبقات المفسرين للداودي 110/2-118 رقم 468، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص 82 رقم 93، وشذرات الذهب لابن العماد 260/2، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 222/1 رقم 23 0
- (8) ليبد : هو أبو عقيل ليبد بن ربيعة العامري، كان أبوه يعرف بريعة المقترين لجوده وسخائه، فنشأ ليبد كريماً مثله، توفي سنة 41هـ له ترجمة في : الأعلام للزركلي 104/6، والشعر والشعراء لابن قتيبة 274/1 - 285 رقم 25، ومرآة الجنان لليافعي 119/1، وأدباء العرب لبطرس البستاني 144/1 - 151 0
- (1) جامع البيان في تأويل آي القرآن 100/4 0
- (2) القرطبي : هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، كان مفسراً، ورعاً، زاهداً، متقناً متبحراً، من مصنفاته "الجامع لأحكام القرآن" و"شرح الأسماء الحسنى" توفي سنة 671هـ له ترجمة في : طبقات المفسرين للداودي 69/2-70 رقم 434، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 79 رقم 88، وشذرات الذهب 235/5، والديباج المذهب لابن فرحون 406 رقم 549، وشجرة النور الزكية محمد مخلوف ص 197 رقم 666 0
- (3) المفضل : هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، لغوي، عالم بالأدب، من مؤلفاته الفاخر فيما تلحن به العامة و "جماهير القبائل" توفي سنة 290 0 له ترجمة في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 124/13 رقم 7109، ووفيات الأعيان لابن خلكان 205/4، 206 رقم 579 في ترجمة ابنه محمد بن المفضل، وبغية الوعاة للسيوطي 296/2 رقم 2013 0
- (4) الجامع لأحكام القرآن 216/4 0

(68/1)

- (5) الشوكاني : هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، من مؤلفاته "فتح القدير" في التفسير "وإرشاد الفحول" في أصول الفقه 0 توفي سنة 1250هـ له ترجمة في : البدر الطالع للشوكاني 214/2 - 225 رقم 482، والفتح المبين لعبد

الله المراغي 144/3 - 145، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل، ص 530 - 532، والرسالة المستطرفة للكتاني ص 152، والأعلام للزركلي 190/7، ومعجم المؤلفين لكحالة 0 533/11

(6) إرشاد الفحول 0 155/1

(7) الكسائي : هو علي بن حمزة الكوفي المعروف بالكسائي، أخذ القراءات عن حمزة الزيات، وقرأ النحو على معاذ الهراء كثيراً، ثم الخليل بن أحمد بالبصرة 0 توفي سنة 189هـ له ترجمة في : وفيات الأعيان لابن خلكان 295/3-297 رقم 233، وبغية الوعاة للسيوطي 162/2-164 رقم 1701، وطبقات المفسرين للداودي 404/1 - 409 رقم 349، طبقات القراء لابن الجزري 535/1، وطبقات القراء للذهبي 100/1، واللباب في تهذيب الأنساب 97/3، والفهرست لابن النديم ص 103 0

(8) دراسات في الحديث النبوي 5/1، 11 بتصرف 0

(9) القاموس المحيط 0 163/1

(10) الآية 34 من سورة الطور 0

(11) تاج العروس للزبيدي 0 613/1

(12) الزمخشري : هو أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، نحوي، لغوي، معتزلي، مفسر، يلقب بجار الله لجاورته بمكة زماناً، من مصنفاته : الكشف عن حقائق التنزيل، والفائق في غريب الحديث، مات سنة 538هـ له ترجمة في : وفيات الأعيان لابن خلكان 168/5-174 رقم 711، وبغية الوعاة للسيوطي 279/2 رقم 1977، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني، ص 345 رقم 210، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص 48 رقم 147، وطبقات المفسرين للداودي 314/2 رقم 625 0

(13) الكشف للزمخشري 0 243/2

(69/1)

(14) أبو حيان : هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أثير الدين أبو حيان، الغرناطي، من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، من مؤلفاته البحر المحيط في التفسير، والتذكرة في العربية، وعقد اللآل في القراءات 0 مات سنة 745هـ له ترجمة في ذيل تذكرة الحفاظ ص 23، وطبقات الشافعية

- لابن السبكي 31/6، وطبقات المفسرين للداودي 287/2 - 291 رقم 608، وشذرات الذهب 145/6، والأعلام 153/7، والرسالة المستطرفة ص 101 0
- (15) البحر المحيط لأبي حيان 281/5 عند تفسير أول سورة يوسف 0
- (16) بحوث في علوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور عزت عطيه ص 10 0
- (17) الآية 15 من سورة النازعات 0
- (18) الآية الأولى من سورة الغاشية 0
- (19) جزء من الآية 3 من سورة التحريم 0
- (20) جزء من الآية 23 من سورة الزمر 0
- (21) جزء من الآية 87 من سورة النساء 0
- (22) الآية 50 من سورة المرسلات 0
- (23) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص 11 0
- (24) جابر بن عبد الله : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 45/2 رقم 1022، والاستيعاب 219/1 رقم 290، واسد الغابة 492/1 رقم 647، وتاريخ الصحابة ص 58 رقم 183، ومشاهير علماء الأمصار ص 17 رقم 25، وتذكرة الحفاظ 43/1 رقم 21، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 19 رقم 21 0
- (25) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة 418/3 رقم 867 0
- (26) زيد بن ثابت : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 561/1 رقم 2887، والاستيعاب 136/3 رقم 845، واسد الغابة 346/2 رقم 1824، وتذكرة الحفاظ 30/1 رقم 15، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 17 رقم 15، وتاريخ الصحابة ص 105 رقم 469، ومشاهير علماء الأمصار ص 16 رقم 22 0

(70/1)

-
- (27) أخرجه ابو داود في سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم 322/3 رقم 3660 واللفظ له، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، 33/5 رقم 2656، وقال أبو عيسى : وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم،

- وأبي الدرداء وأنس ثم قال : حديث زيد بن ثابت حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة، باب من بلغ علماً، 84/1 رقم 230 0
- (28) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 452/3 رقم 8174، والاستيعاب 1445/4 رقم 2483، واسد الغابة 238/5 رقم 571، وتاريخ الصحابة ص 230 رقم 1237، ومشاهير علماء الأمصار رقم 269، وتجريد أسماء الصحابة 91/2 0
- (29) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله (95/1 0
- (30) علوم الحديث ومصطلحه بتصريف يسير ص 9، 10 0
- (31) أصول الحديث، علومه، ومصطلحه، للدكتور محمد عجاج الخطيب ص 18 0
- (32) شذرات من علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور 44/1، وعلوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص 16 0
- (33) انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 127/1، والتقرير والتجيب لابن أمير الحاج 223/2، وغاية الوصول شرح لب الأصول زكريا الأنصاري ص 91، ومناهج العقول للبدخشي 269/2، وإرشاد الفحول للشوكاني 155/1، وأصول الفقه للخضري ص 250، 251 0
- (34) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 13 0
- (35) عمر بن الخطاب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 518/3 رقم 5752، والاستيعاب 1144/3 رقم 1878، واسد الغابة 137/4 رقم 3830، وتذكرة الحفاظ 5/1 رقم 2، وطبقات الحفاظ ص 13 رقم 2، وتاريخ الصحابة ص 23 رقم 2، ومشاهير علماء الأمصار ص 10 رقم 3، وتجريد أسماء الصحابة 397/1 0

(71/1)

-
- (36) عبد الرحمن بن عوف : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 456/2 رقم 5195، والاستيعاب 844/2 رقم 1455، واسد الغابة 475/3 رقم 3370، وتاريخ الصحابة ص 25 رقم 9، ومشاهير علماء الأمصار ص 14 رقم 12 0
- (37) علي بن أبي طالب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 507/2 رقم 5704، والاستيعاب 1089/3 رقم 1855، واسد الغابة 87/4 رقم 3789، وتاريخ الصحابة ص 24 رقم 4،

ومشاهير علماء الأمصار ص 11 رقم 5، وتذكرة الحفاظ 10/1 رقم 4، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 14 رقم 4 0

(38) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الأشربة، باب الحد في الخمر 642/2 رقم 2 0

(39) الاعتصام للشاطبي 119/2، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 81-96 0

(40) انظر : الحديث في صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 627/8 رقم 4986 0

(41) الموافقات للشاطبي 5، 6/4، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية ص 32، 33 0

(42) العرباض بن سارية : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 473/2 رقم 5501، والاستيعاب 1238/3 رقم 2026، واسد الغابة 19/4 رقم 3630، وتاريخ الصحابة 199 رقم 1062،

ومشاهير علماء الأمصار ص 65 رقم 331 0

(43) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة 200/4 رقم 4607، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع 43/5-44 رقم 2676، وابن ماجه في

المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 15/1-17 رقمي 42-43 وغيرهم 0

(44) عبد الله بن عمرو : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 351/2 رقم 4865، والاستيعاب 256/3 رقم 1636، واسد الغابة 345/3 رقم 3092، وتجريد أسماء الصحابة 326/1، وتاريخ

الصحابة رقم 721، ومشاهير علماء الأمصار ص 71 رقم 377، وتذكرة الحفاظ 41/1 رقم 19، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 18 رقم 19 0

(72/1)

(45) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة 26/5 رقم 2641، وقال أبو

عيسى : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وانظر : أصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب بتصرف يسير ص 21، 22 0

(46) مالك بن أنس: هو الإمام مالك بن أنس، أحد أعلام الإسلام، إمام دار الهجرة، وصاحب الموطأ، توفي سنة 179هـ له ترجمة في: تذكرة الحفاظ 207/1 رقم 199، وطبقات المفسرين للداودي 294/2 رقم 613، والديباج المذهب ص 56، وشذرات الذهب 289/1، والثقات للعجلي ص 417

رقم 1521، ومروج الذهب 3/350، ومشاهير علماء الأمصار ص 169 رقم 1110
(47) عمر بن عبد العزيز : هو عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولى الخلافة بعده، فعد من الخلفاء الراشدين مدة خلافته سنتان ونصف، توفي سنة 101هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 1/188 رقم 104، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 53 رقم 101، وتقريب التهذيب 1/722 رقم 4956، والكاشف 2/65 رقم 4089، ومشاهير علماء الأمصار ص 209 رقم 1411 0
(48) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه، باب القول في أنه يجب إتباع ما سنه السلف من الإجماع والخلاف وأنه لا يجوز الخروج عنه 1/435 رقم 455، والآجری في الشريعة ص 306، 65، 48، وابن عبد البر في جامع بيان العلم، باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها 2/187 0

(73/1)

(49) سالم : هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر أو أبو عبد الله، المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبناً عابداً فاضلاً، يشبه أبيه في الهدى والسمت 0 روى عن أبيه وأبي هريرة، وعنه الزهري، وصالح بن كيسان 0 مات سنة 106هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/335 رقم 2182، والكاشف 1/422 رقم 1773، والجرح والتعديل 3/168، وتاريخ الثقات للعجلي ص 174 رقم 499، ومشاهير علماء الأمصار ص 85 رقم 438 0
(50) عبد الله بن عمر : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 2/347 رقم 4852، والاستيعاب 3/340 رقم 1630، واسد الغابة 3/336 رقم 3082 وتذكرة الحفاظ 1/37 رقم 17، وتاريخ الصحابة 149 رقم 719، ومشاهير علماء الأمصار ص 23 رقم 55، وتجريد أسماء الصحابة 1/325 0

(51) أخرجه أحمد في مسنده 2/95 0

(52) دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي 1/5-11 بتصرف، وانظر : السنة في مواجهة أعدائها ص 36 وما بعدها 0

(53) الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جدر 5/355 رقم 2697 0 ومسلم (بشرح النووي) كتاب

الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 256/6، 257 رقم 1718 0
(54) عبد الرحمن بن مهدي : هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان البصري، الثقة، الأمين، العالم بالحديث وأسماء الرجال، كان الشافعي يرجع إليه في الحديث، وقال عنه : لا اعرف له نظيراً في الدنيا 0 مات سنة 198هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 592/1 رقم 4032، والكاشف 645/1 رقم 3323، والجرح والتعديل 288/5 رقم 1382، والثقات للعجلي، ص 299 رقم 985، وتذكرة الحفاظ 329/1 رقم 313، وطبقات الحفاظ للسيوطي، ص 144 رقم 301، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 141/1 رقم 35 0

(74/1)

(55) الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى، أبو عمرو الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، وهو صاحب مدرسة في الفقه، وكان مذهبه منتشراً في الشام انتشاراً واسعاً، وظل لمذهبه أنصار في المغرب والأندلس حتى القرنين الثالث والرابع للهجرة، ثم توارى أمام مذهب الشافعي ومذهب مالك 0 مات سنة 158هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 178/1 رقم 177، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 85 رقم 168، والثقات للعجلي ص 296 رقم 970، ومشاهير علماء الأمصار ص 211 رقم 1425، والثقات لابن حبان 62/7، ووفيات الأعيان 127/3 رقم 361، وتهذيب التهذيب 238/6 رقم 484 0

(56) سفيان بن عيينة : هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد، الكوفي ثم المكي، أحد أئمة الإسلام الأعلام، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وربما دلس، ولكن عن الثقات 0 مات سنة 198هـ وله ترجمة في : تذكرة الحفاظ 262/1 رقم 249، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 119 رقم 238، وطبقات المفسرين للداودي 196/1 رقم 187، والثقات للعجلي ص 194 رقم 577، ومشاهير علماء الأمصار ص 179 رقم 1181 0

(57) الزرقاني على الموطأ 3/1 0

(58) علوم الحديث ومصطلحه ص 6 0

(59) الرسالة المستطرفة ص 32 0

(60) الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه ص 146 0

(61) متفق عليه من حديث عائشة رضی الله عنها البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب بدء الوحي،

باب رقم 3، 30/1 رقم 3، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (باب رقم 474/1 رقم 160 0

(62) راجع تخريجه في نفس الحديث السابق0

(63) متفق عليه من حديث أبي سفيان بن حرب (البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب، بدء الوحي باب رقم 6، 42/1 رقم 7، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي (، إلى هرقل يدعو للإسلام 346/6 رقم 1773 0

(64) انظر : جامع العلوم والحكم 120/2، والمدخل إلى السنة النبوية ص33، 34 0

(75/1)

(65) الحديث والمحدثون للدكتور أبو زهو ص 10، وانظر : تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 28، 29 0

(66) نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير نصر ص 314 0

(67) العقيدة والشريعة في الإسلام جولد تسيهر ص 49، ومن فرق بينهما أيضاً الأستاذ محمد رشيد رضا، انظر : مجلة المنار المجلد 10/853، 852 0

(68) ضوابط الرواية عند المحدثين، ص 314 - 322 بتصرف0

(69) العقيدة والشريعة في الإسلام ص 49 0

(70) دراسات في الحديث النبوى 1/6، 5 0

(71) إعادة تقييم الحديث ص 78، 79 0

(72) نقلاً عن منهجية جمع السنة للدكتورة عزيزة على طه ص 62 0

(73) الإسلام عقيدة وشريعة ص 492، 493 0

(74) دراسات في الحديث النبوى 1/5-11 0

(75) السنة النبوية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص 32 وما بعدها بتصرف0

(76) دراسات في الحديث النبوى 1/7 0

(77) ابن قيم الجوزية : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى، أبو عبد الله، الفقيه

الحنبللى الأصولى المحدث النحوى الأديب الواعظ الخطيب، له مصنفات عديدة أشهرها : أعلام

الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد فى هدى خير العباد، وغير ذلك، مات سنة 751هـ 0 له ترجمة

في: البداية والنهاية لابن كثير 234/14، والدرر الكامنة لابن حجر 3/400-403 رقم 1067،
وشذرات الذهب 6/168، وطبقات المفسرين للدواودي 2/93 - 97، رقم 456، والوافي
بالوفيات 2/270 0

(78) إغاثة اللهفان 2/324، 323 0

(79) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب العلم، باب خطبته (في حجة الوداع 1/171، 172 رقم
318 من حديث ابن عباس -رضى الله عنهما - وقال في إسناده عكرمة واحتج به البخاري، وابن
أبي أويس واحتج به مسلم، وسائر رواته متفق عليهم، ثم قال وله شاهد من حديث أبي هريرة (،
وأخرجه في الموضوع السابق، ووافقه الذهبي وقال وله أصل في الصحيح أهـ 0

(76/1)

(80) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي ص 32: 36
بتصرف

-30-

(77/1)

5

!_

التعريف بأعداء السنة النبوية

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج، والشيعة، والمعتزلة) .

الفصل الثاني : أعداء السنة النبوية من المستشرقين .

الفصل الثالث : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً (العلمانية، والبهائية، والقاديانية)

الفصل الرابع : أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة .

6

وفيه التعريف بأعداء : لغة وشرعاً0

التعريف بأعداء لغة :

أعداء جمع عدو وهو جمع لا نظير له، وفي القرآن الكريم قال تعالى : {وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَالِيكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ...} (1) وقال تعالى {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (2)0

(1) جزء من الآية 103 من سورة آل عمران0

(2) الآية 19 من سورة فصلت0

(3) أخرجه أحمد في مسنده 3/ 104 من حديث أنس بن مالك t0

(4) جزء من الآية 108 من سورة الأنعام0

(5) سيبويه : هو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، من أحسن مؤلفاته كتابة المسمى "الكتاب"، مات سنة 180هـ له ترجمة في : إشارة التعيين لليمان ص 242 رقم 148، والبداية والنهاية لابن كثير 1/ 167، والأعلام 5/ 252، وبغية الوعاة 2/ 229، وشذرات الذهب 1/ 252، وطبقات النحويين واللغويين، ص 66 0

(6) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء، كان من أعلم الكوفيين في اللغة والنحو والأدب، من مؤلفاته "معاني القرآن" و"المصادر في القرآن" و"غريب الحديث" توفي سنة 207هـ له ترجمة في : تهذيب التهذيب 11/ 212 رقم 353، ومرآة الجنان لليافعي 2/ 38، ووفيات الأعيان 6/ 176 رقم 798، وطبقات المفسرين للداودي 2/ 367 رقم 681 0

(78/1)

(1) جزء من الآية 64 من سورة المائدة، وانظر : لسان العرب لابن منظور 10/ 712، وتاج

العروس للزبيدي 10/ 235، ومختار الصحاح للرازي ص 418 0

(2) الآية الأولى من سورة الممتحنة0

- (3) جزء من الآية 120 من سورة البقرة0
- (4) أخرجه البخارى (يشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة (إذا شئت أخرجتك) 5 / 385 رقم 2730 0
- (5) الآية الأولى من سورة التوبة0
- (6) جزء من الآية 101 من سورة النساء0
- (1) جزء من الآية 142 من سورة النساء0
- (2) أخرجه أحمد في مسنده 1 / 22،44 من حديث عمر بن الخطاب t0
- (3) جزء من الآية 119 من سورة الأنعام0
- (4) أبو قلابة : هو عبد الله بن زيد، من عباد التابعين وزهادهم، ممن هرب من البصرة مخافة أن يولى القضاء، ثقة فاضل، كثير الإرسال، مات بالشام سنة 104هـ وقيل بعدها0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 1 / 494 رقم 3344، والكاشف 1 / 554 رقم 2734، والثقات لابن حبان 5 / 2، ومشاهير علماء الأمصار ص 114 رقم 649، والثقات للعجلي ص 257 رقم 813 0
- (5) أخرجه الدارمى في سننه المقدمة، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة 1 / 120 رقم 391 0
- (4) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 2 / 135، والخطيب في الفقيه والمتفقه 1 / 454 رقم 479 0
- (5) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور السباعى ص 133 بتصرف، وانظر : الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم 1 / 189 .
- (1) جزء من الآية 118 من سورة البقرة0
- (1) سبق تخريجه ص 34 0
- (2) كشف الشبهات عن الشيخ الغزالى للدكتور أحمد حجازى السقا ص 63، 77، 94 0
- (1) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجى 1 / 22-26، وانظر : الموافقات للشاطبي فصل (تعريف الفرق الزائغة) 4 / 539 وما بعدها، وفصل (ضلال هذه الفرق لا يخرجها عن الملة) 4 / 550 وما بعدها، والاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال 1 / 178 وما بعدها، وحكم هذه الفرق 2 / 462 وما بعدها0

(1) القاموس المحيط 1/183، 184، وتاج العروس 2/30، وانظر : فتح الباري 12/296 أرقام

0 6932-6930

(2) هدى السارى لابن حجر ص 483 0

(3) فتح الباري 12/296 أرقام 6930 - 6932 0

(4) الملل والنحل 1/114، والفصل في الملل والنحل 4/157، ومقالات الإسلاميين 1/207

0

(5) الفصل في الملل والنحل 4/157، والملل والنحل 1/21، والبداية والنهاية لابن كثير 7

189/، وانظر : فرق معاصرة للدكتور غالب عواجى 1/70، 71 0

(1) فتح الباري 12/296 أرقام 6930-6932 0

(2) سبق تخريجه ص 71 0

(3) انظر : تاريخ الأمم والملوك لابن جرير 5/194 0

(4) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، صحابي جليل 0 له ترجمة فى : الإصابة 1

322/ رقم 4799، والاستيعاب 3/933 رقم 1606، واسد الغابة 3/291 رقم 3037،

وتاريخ الصحابة ص 148 رقم 717، ومشاهير علماء الأمصار ص 15 رقم 17، وتذكرة الحفاظ

1/40 رقم 18، وتجريد أسماء الصحابة 1/320 0

(1) جزء من الآية 32 من سورة الأعراف 0

(2) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 2/103، 104 0

(3) الآية 97 من سورة التوبة 0

(4) جزء من الآية 35 من سورة النساء 0

(5) جزء من الآية 59 من سورة النساء 0

(1) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 84، 85 0

(2) ابن حزم : هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس فى عصره،

وأحد أئمة الإسلام، روى ابنه أبو رافع أن مصنفات والده بلغت الأربعمائة، من أشهرها : الأحكام

فى أصول الأحكام، والفصل فى الملل والنحل، مات سنة 456هـ وله ترجمة فى : لسان الميزان لابن

حجر 4/724 رقم 5782، والبداية والنهاية لابن كثير 12/91، ووفيات الأعيان لابن خلكان

3/325 رقم 448، وشذرات الذهب 3/13، وتذكرة الحفاظ 3/1146 رقم 1016، وطبقات

الحفاظ للسيوطى ص 435 رقم 981 0

(3) الفصل فى الملل والنحل 4/156 0

(4) هو : أحمد حجازى السقا، كاتب معاصر، حصل على العالمية فى الدعوة من جامعة الأزهر، ورفض الأزهر تعيينه بالجامعة، من مؤلفاته التى شكك فيها فى مكانة السنة النبوية، كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي، وحقيقة السنة النبوية⁰

(1) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 63، 77، 94 0

(2) فرق معاصرة للدكتور غالب عواجى 1/ 106 0

(3) دراسات فى الحديث النبوى للدكتور محمد مصطفى الأعظمى 1/ 23 0

(4) أصول الدين للبغدادى ص 19، وانظر : الملل والنحل للشهرستانى 1/ 114، 115، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام محمد الملطى ص 52، والعقيدة والشرعية لجولد تسيهر ص 193.

(5) انظر : السنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود ص 93 0

(6) سيأتى تحريجه وبيان وضعه فى شبهة عرض السنة على القرآن ص 224-227 0

(7) ضحى الإسلام 3/ 334 0

(8) تاريخ المذاهب الإسلامية 66 0

(9) النبوات ص 89 0

(10) شرح القصيدة النونية 1/ 321 وانظر: فرق معاصره تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجى 1/ 107 0

وفى السنة المطهرة قال - صلى الله عليه وسلم - "... يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله - سبحانه - بى، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بى، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم" قالوا : بلى يا رسول الله(3)0

والأعداء جمع الجمع، وقال الراغب : أصل العدو التجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالمشى، فيقال له : العدو، وتارة بالقلب فيقال له : العداوة، وعدا عليه من باب سما عدوا وعدوا كفلس وفلوس وبهما قرأ قوله تعالى : {فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ}(4) وقرأ الحسن عدواً مثل سمو 0

وقال سيويه (5) : عدو وصف، ولكنه ضارح الاسم، وقد يثنى ويجمع ويؤنث، وهو ضد الولي، ويقال : عدو بين العداوة والمعادة، والأنثى عدوة يقال : هذه عدوة الله قال الفراء (6) : وإنما ادخلوا فيها الهاء تشبيهاً بصديقه؛ لأن الشيء قد يبنى على ضده وقالوا في جمع (عدوة) عدايا ولم يسمع إلا في الشعر، وتعادى القوم عادى بعضهم بعضاً .

والعداوة اسم عام من العدو ومنه قوله تعالى: {وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ...} (1) .
التعريف بالأعداء شرعاً :

تحدث رب العزة في كتابه الكريم عن أعدائه وأعداء هذا الدين وهذه الأمة من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وأهل الملل الباطلة من المشركين، والكافرين، والمنافقين، وأصحاب الأهواء الزائفة قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ ... الآية} (2).

وأكد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تلك العداوة في سنته المطهرة، وحذر الأمة من أعدائها فقال - سبحانه - عن عداوة أهل الكتاب {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَمْلَأَهُمْ} (3).

وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال "لما فدح أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً فقال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال : نفركم ما أقركم الله - سبحانه -، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يده ورجلاه، وليس هناك عدو غيرهم، هم عدونا وهمتنا" (4).

وقال تعالى عن عداوة أهل الملل الباطلة من المشركين {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (5) .

وقال - سبحانه - في حق الكافرين {إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} (6) وفي حق المنافقين {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} (1).

(82/1)

وقال فيهم - صلى الله عليه وسلم - : "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" (2)
وقال - سبحانه - في حق أصحاب الأهواء الزائفة : {وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} (3)

وقال أبو قلابة(4) - رحمه الله - : "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإنى لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون" (5)0

أعداء السنة من أهل الأهواء والبدع قديماً

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

تمهيد : وفيه بيان المراد بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع .

المبحث الأول : أهمية دراسة الفرق في التأريخ للسنة .

المبحث الثاني : التعريف بالخوارج وموقفهم من السنة المطهرة .

المبحث الثالث : التعريف بالشيعية وموقفهم من السنة المطهرة .

المبحث الرابع : التعريف بالمعتزلة وموقفهم من السنة المطهرة .

المبحث الخامس : من الفرق إلى السنة النبوية الجامعة .

6

وفيه بيان المراد بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع :

انتقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى وقد بلغ رسالة ربه - عز وجل - كاملة، وما من خير إلا دل الأمة عليه، وما من شر إلا وحذروهم منه، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : "إنه لم يكن نبي قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم" ... الحديث(1) .

كان رأس الخير الذى دل عليه ووصى به الاعتصام بكتاب الله - سبحانه - وسنته - صلى الله عليه وسلم - وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، كما جاء في الحديث : "إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبداً؛ كتاب الله - سبحانه - وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - (2) . وفي الحديث أيضاً قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أوصيكم بتقوى الله - سبحانه - والسمع، والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ... الحديث(3) .

وكان من الشر الذى حذر منه الأمة أهواء أهل البدع - كما جاء فى الحديث عن عمر بن الخطاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعائشة : "يا عائشة (4) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء" (5) هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة أنا منهم برئ، وهم منى برآء (6) .

وفى الحديث عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (1) قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم (2) وعن أبى أمامة الباهلى (3) t عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فى قوله - سبحانه -: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } (4) قال هم الخوارج، وفى قوله تعالى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} (5) قال : هم الخوارج (6).

(84/1)

قال الحافظ ابن كثير (7) : وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي ومعناه صحيح، فإن أول بدعة وقعت فى الإسلام؛ فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقسم قسماً، فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة، أنه لم يتق الله ولم يعدل فى القسم، ففاجئوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويرة - بقر الله خاصرته - اتق الله يا محمد، فعن أبى سعيد الخدرى (8) t قال: بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقسم قسماً أناه ذو الخويرة - وهو رجل من بنى تميم. فقال : يا رسول الله اعدل فقال : "ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" فقال عمر : وفى رواية خالد (1) : يا رسول الله انذن لى فيه، فأضرب عنقه 0 فقال "دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحداكم صلواته مع صلاتكم، وصيامه مع صيامهم، ويقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... الحديث" (2) ثم كان ظهورهم أيام على t وقتلهم بالنهروان، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة، ثم انبعث القدريّة، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع

التي أخبر عنها الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - في قوله "... وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة. قالوا : وما هم يا رسول الله؟ قال : "من كان على ما أنا عليه وأصحابي"(3) .

وعن عمر بن الخطاب t قال : "أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا : لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم"(4) .

(85/1)

ومرادى هنا بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع تلك الفرق التي أخبر عنها المعصوم - صلى الله عليه وسلم - وتغالت في بدعتها من الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، الذين لقيت السنة المطهرة من أهوائهم وعنتهم عناءً كبيراً، وكان لآرائهم الجاحمة في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أثر كبير في اختلاف الآراء، والأحكام في الفقه الإسلامي، وفيما أثر حول السنة من شبهه(5) .

المبحث الأول

أهمية دراسة الفرق في التأريخ للسنة المطهرة

سبق وأن ذكرنا أن السنة المطهرة لقيت من عنت أهواء تلك الفرق عناءً كبيراً، وكان لها الأثر الكبير فيما أثر حول السنة من شبهات، ومن هنا كان لا بد لكل من يؤرخ للسنة أو يتحدث عن الشبهات التي يطعن بها أعداء الإسلام في حجيتها أو مكانتها في التشريع الإسلامي⁰ أن يتعرض للتأريخ لهذه الفرق، فهي فضلاً عن موقفها من السنة المطهرة ومن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان لها الأثر الكبير في تفريق الأمة الإسلامية إلى أحزاب وشيع. من هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة تلك الفرق لما يأتي :

أولاً : لأن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسى تلك الفرق ولا بزمهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر، فإننا إذا نظرنا إلى بعض تلك الفرق الماضية كالخوارج (القرآنيون) نجد أن لها امتداد يسرى في حاضر الأمة سريان الوباء، وكذلك المعتزلة لا زالت أفكارهم حية قوية يتشدد بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية والشرقية، فراحوا يمجدون العقل ويحكمونه في نصوص الشرع قرآناً وسنة، فما وافق عقولهم قبلوه وإلا ردوه، أو تأولوه

تأويلاً يضر بعقيدة المسلم، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء⁰
إنهم يريدون الخروج عن النهج الإسلامي، ولكنهم لم يجرؤا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء
تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى تمجيد تلك
الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة⁰

(86/1)

فتأتى أهمية دراسة تلك الفرق لبيان ما فيها من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام، وكيف
يعمل على إحياؤها وترويجها في العصر الحاضر من سار على درجهم أو تأثر بهم، ذلك أنه ما من بلاء
كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام، فلكل قوم وارث، وصدق رب العزة
{كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} (1) وصدق نبينا - صلى الله عليه وسلم
- "لتتبعن سنن من كان قبلكم شيراً بشيراً، وذراعاً بذراع، حتى ولو سلكوا جحر ضب، لسلكتموه،
قلنا : يا رسول الله! اليهود والنصارى قال فمن؟" (1) .

ويأتى الهدف من وراء ذلك بكشف القناع عن تلك الحركات والأفكار الهدامة التي يقول بها في
العصر الحاضر أولئك الخارجون عن الخط السوى والصراط المستقيم، لتعرية دورهم الخطير في الطعن
والتشكيك في الإسلام قرآن وسنة، وإشاعة الفرقة والاختلاف في صفوف المسلمين، بتعريف الناس
بأمرهم وبحقيقة فكرهم للتحذير منهم⁰

ثانياً : إن دراسة تلك الفرق يكشف لنا جذور البلاء الذي شتت قوى المسلمين وفرقهم شيعاً،
وجعل بأسهم بينهم شديداً، كما يكشف لنا جذور شبهات أعداء السنة في العصر الحاضر .
ثالثاً : إن الفرق التي ظهرت قديماً ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على بعض المنكرات، وهي
تدعى أنها هي الحق على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم
وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقة لترويج بدعهم والدعوة لها. فتأتى دراسة تلك
الفرق لبيان أضرارها على العقيدة الإسلامية ووحدة الأمة ورداً على من يزعمون أن الخوارج كانوا من
الصحابة، وأن المعتزلة - وهم كانوا من الصحابة والتابعين - رفضوا السنة في العقائد كما رفضها
الخلفاء الراشدون والخوارج، بل يزعمون زيادة على ما سبق أنهم هم الذين نقلوا القرآن، ونقلوا شعائر
الدين قبل إقرار مذهب السلف في ديار المسلمين ... (2) .

(87/1)

رابعاً : إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعوا إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع، فإن كثيراً من طلاب العلم - فضلاً عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهى تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة، لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلوا لهم حجب الأنظار عنهم، وعن مخططاتهم الإجرامية، ولا أدل على ذلك من تلك الأفكار وبعض العبارات التى يرددها كثير من المسلمين فى كثير من المجتمعات الإسلامية دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من الخوارج مثل قولهم لا حجة فى شئ من أحكام الشريعة إلا من القرآن، أما السنة فلا حجة فيها، ومثل استحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفير الشخص، بل المجتمعات الإسلامية بأدنى ذنب، أو من المعتزلة مثل تمجيد العقل، وتحكيمه فى نصوص الشرع قرآناً وسنة، فما وافقه قبل وإلا فإيرد، أو من الشيعة مثل تكفير الصحابة أو بعضهم واتهامهم، بالكذب والخوض فى فتنة عثمان وعلى ومعاوية - رضوان الله على الجميع - أو من البهائية مثل تقديس العدد تسعة عشر، إلى غير ذلك .

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار وأهداف هذه الفرق التى أضلت كثيراً من شباب هذه الأمة فى كثير من المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً، من هنا تأتى أهمية دراسة الفرق وكشف القناع عن أهوائها وبدعها ليكون ذلك الكشف نوراً يضى لشباب الأمة طريقه وسط هذا الظلام الفكرى المفتعل من قبل ذبول تلك الفرق التى تعمل فى الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام(1) .

المبحث الثانى

التعريف بالخوارج وموقفهم من السنة المطهرة

التعريف بالخوارج لغة واصطلاحاً

1- في اللغة : الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجى اسم مشتق من الخروج وقد أطلق علماء اللغة لكلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام على - كرم الله وجهه- أو لخروجهم على الناس(1)0

2- وفي الاصطلاح : الخوارج هم الذين أنكروا على على التحكيم، وتبرؤوا منه، ومن عثمان وذريته وقتلوه، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم(2) وهم قوم مبتدعون سمو بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين(3) وكل من شاركهم في آرائهم في أى زمن يسمى خارجياً(4)0 وترجع بداية نشأة الخوارج كفرقة ذات اتجاه سياسى وفكر خاص حين خرجوا على الإمام على - كرم الله وجهه- بعد أن رضى بالتحكيم في موقعة صفين، والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة(5)0 الخوارج وهل كان فيهم أحد من الصحابة أو أصحابهم؟

لم يكن في الخوارج أحد من أصحاب رسول الله - رضى الله عنهم - ولا من فقهاء أصحاب الصحابة من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ولو كان فيهم أحد من فقهاء الصحابة أو من أصحابهم ما اجتروا على الفتنة والخروج على خليفة المسلمين واتهامه بالكفر وقتله، وإنما هم قوم من الأعراب الجفاة الغلاظ وكان يقال لهم : القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك(1)0

(89/1)

وهؤلاء القوم تنبأ بهم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وحذر الأمة منهم، وحرص على قتلهم، وذلك عندما تجرأ من هو من جنسهم أو نسلهم ذو الخويصرة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقسم قسمًا قائلاً بتنطع وغلظة "يا محمد اعدل، يا محمد اتق الله" فيقول له النبي - صلى الله عليه وسلم - : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" ويستأذن عمر بن الخطاب، وفي رواية يستأذن خالد بن الوليد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقتله فيقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال أظنه قال : لمن أدركتهم لأقتلن قتل ثمود(2)0

وهم كما كان مبدؤهم بسبب الدنيا كما في الحديث السابق، كذلك كان حالهم مع خليفة المسلمين سيدنا عثمان t خرجوا عليه وقتلوه طلباً للدنيا، وحقدًا، وحسدًا له، وحملهم على ذلك قلة دين

وضعف يقين، وبذلك خاطبهم الإمام على - كرم الله وجهه - .

فروى الطبرى: أن علياً ذكر إنعام الله علالأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم الذى يليه، ثم الذى يليه0 وقال : على مسمع من قتله عثمان : "ثم حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاء الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ثم ذكر أنه راحل غداً إلى البصرة، ليجتمع بأمر المؤمنين وأخويه طلحة والزبير وقال : "ألا ولا يرحلن غداً أحد أعان على عثمان t بشئ فى شئ من أمور الناس، وليغن السفهاء عنى أنفسهم"0(3)

(90/1)

ويدل على أنهم لم يكن فيهم أحد من أصحاب رسول الله - رضى الله عنهم - ولا من فقهاء أصحابه من التابعين - رضى الله عنهم - أجمعين ، ما رواه ابن عبد البر بسنده عن ابن عباس (4) - رضى الله عنهما- قال : لما اجتمعت الحرورية يخرجون على على قال : جعل يأتيه الرجل فيقول : يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك قال : دعوهم حتى يخرجوا، فلما كان ذات يوم قلت يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فلا تفتنى حتى أتى القوم. قال : فدخل عليهم وهم قائلون فإذا هم مسهمة وجوهم من السهر وقد أثر السجود فى جباههم كأن أيديهم ثفن الإبل عليهم قمص مرحضة فقالوا ما جاء بك يا ابن عباس وما هذه الحلة عليك قال قلت ما تعيينون منى فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن ما يكون من ثياب اليمنية قال ثم قرأت هذه الآية {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}0(1)

فقالوا ما جاء بك؟ فقال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله - رضى الله عنهم - وليس فيكم منهم أحد. ومن عند ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم ... إلخ"0(2)

ويقول الدكتور أبو زهو - رحمه الله تعالى - والذى يظهر أن الخوارج فى مبدئهم كانوا قوماً من الأعراب الجفاة الغلاظ الذين قال الله تعالى فى شأنهم {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}0(3)

(91/1)

فليس فيهم أحد من أصحاب رسول الله - رضي الله عنهم - الذين استضاءوا بنور النبوة، وفهموا القرآن على وجهه الصحيح فلا عجب أن يغتر الخوارج بظواهر القرآن، ولو كلفوا أنفسهم النظر فيه وحده لاهتدوا إلى آيات تأمر بالتحكيم فالله تعالى يقول في سورة النساء { فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا } (4) فالتحكيم أمر مشروع والحكماء إنما يحكمون حسب ما أمر القرآن العزيز { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } (5) وإنما لم يرض على التحكيم أولاً؛ لأنه كان يرى الحق معه، وأن طلب التحكيم، إنما هو خدعة من معاوية وعمرو بن العاص، يريدان بها توهين جيش على وتخدير أعصابهم، لما رأياه من تفوقهم في الموقعة فرفعوا المصاحف على أسنة الرماح طالبين تحكيم كتاب الله 0 ولو أن أصحاب على أطاعوه في عدم قبول التحكيم لتغير وجه التاريخ ولوقع معاوية وأهل الشام في براثن الأسد ولكن أراد الله ما قد كان، ولا راد لقضائه (1)0

(92/1)

قال العلامة ابن حزم (2) في كتابه الفصل في الملل والنحل : "إنما حكم على t أبا موسى وعمراً ليكون كل منهما مدلياً بحجة من قدمه، وليكونا متخاصمين عن الطائفتين، ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له 0 وإذ من المحال الممتنع الذي لا يمكن أن يفهم لغط العسكرين، أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم، فصح يقيناً لا محيد عنه صواب على t في التحكيم والرجوع إلى ما أوجبه القرآن وهذا لا يجوز غيره، ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً، قرءوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنة الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا من أصحاب عمر، ولا أصحاب على، ولا أصحاب عائشة، ولا أصحاب أبي موسى، ولا أصحاب معاذ بن جبل، ولا أصحاب أبي الدرداء، ولا أصحاب سلمان، ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم" (3)0

وفي كل ما سبق رد على ما زعمه كذباً الدكتور أحمد حجازي السقا (4) أن الخوارج كانوا من الصحابة والتابعين ورفضوا السنة كما رفضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t وأنهم هم الذين نقلوا القرآن ونقلوا شعائر الدين قبل إقرار مذهب السلف في ديار المسلمين ... وأنهم جماعة من أصحاب رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - كجماعة معاوية بن أبي سفيان t، وجماعة علي بن أبي طالب t وهؤلاء الجماعات الثلاث بعد قتل عثمان بن عفان t سب بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً(1) .

مصادر الخوارج في العقائد والأحكام :

خاض الخوارج - كغيرهم من الفرق - في مسائل اعتقادية وفقهية إلا أنهم بصفة خاصة لم تصل إلينا أكثر آرائهم من كتبهم، وإنما وصلت إلينا من كتب أهل السنة وغيرهم من علماء الفرق الآخرين(2)

فنقل عنهم باستثناء الإباضية منهم(3) أنهم ينكرون حجية الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعمت هذه الطائفة أنه لا حجة في شيء من شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن(4) .

(93/1)

وقد أطلق أتباع هؤلاء، وأتباع بعض غلاة الرافضة في الأزمنة المتأخرة على أنفسهم اسم "القرآنيون"(5)، وحببتهم الحديث الموضوع "ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فإنى لم أقله"(6)0

وهم في تعاملهم مع كتاب الله بين موقفين :

فتارة يكونون نصيين يجمدون على المعنى الظاهر من النص دون بحث عن معناه الذى يهدف إليه وهذا رأى أحمد أمين(7)، وأبو زهرة(8)0

وتارة ثانية يؤولون النصوص تأويلاً يوافق أهواءهم، وقد غلطوا حين ظنوا أن تأويلهم هو ما تهدف إليه النصوص، وعلى هذا رأى ابن عباس، وشيخ الإسلام ابن تيمية(9)، وابن قيم الجوزية(10)0 وكان لموقفهم هذا من القرآن الكريم، وجهلهم بالحديث، وعدم تحملهم له عن غيرهم، لأنهم كفرة في نظرهم سبباً في أن عقائدهم وأحكامهم الفقهية جاءت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء مخالفاً لنصوص القرآن الكريم0

فمنهم من يرى أن التيمم جائز، ولو على رأس يتر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالعادة وأخرى بالعشى، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة، ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمى إلى عسكرهم(7)، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت، ومنهم من أنكر أن تكون سورة يوسف من القرآن، وأن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحسن،

- (1) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول
473/6 رقم 1844 من حديث عبد الله بن عمرو (0
(2) سبق تخريجه ص 47 0
(3) سبق تخريجه ص 38 0
(4) عائشة (رضى الله عنها) لها ترجمة فى : الإصابة 16/8 رقم 11461، والاستيعاب 4/1881
رقم 3476، واسد الغابة 7/186 رقم 7093، وتاريخ الصحابة ص 201 رقم 1072، وتذكرة
الحفاظ 1/27 رقم 13 0
(5) الآية 159 من سورة الأنعام 0

(94/1)

-
- (6) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان 5/449، وأبو نعيم فى حلية الأولياء 4/138،
والطبرانى فى الصغير 1/303، من حديث أبي هريرة، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/22، 23،
إسناد الطبرانى فى الصغير جيد، وأخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية كتاب السنة وذم البدع، باب =
= فى تفسير قوله تعالى "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فشيئ) 1/144، رقم 209،
وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/196 0
(1) الآية 7 من سورة آل عمران 0
(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات 8/57 رقم
4547، وأخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب العلم باب النهى عن إتباع متشابه القرآن والتحذير
من متبعية 8/469 رقم 2665 0
(3) أبو أمامة الباهلى هو : صدق بن عجلان بن وهب، صحابى جليل 0 له ترجمة فى : الإصابة
2/182 رقم 4079، والاستيعاب 2/1237 رقم 1242، واسد الغابة 3/15 رقم 2497،
وتاريخ الصحابة ص 137 رقم 2675، ومشاهير علماء الأمصار ص 65 رقم 327، وتجريد أسماء
الصحابة 1/264 0
(4) جزء من الآية 7 من سورة آل عمران 0
(5) الآية 106 من سورة آل عمران 0

(6) أخرجه أحمد في مسنده 0 262/5

(7) ابن كثير : هو إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء، القرشي البصري
الدمشقي الشافعي، كان عالماً حافظاً فقيهاً، ومفسراً نقاداً، ومؤرخاً كبيراً، من مصنفاته : تفسير
القرآن العظيم، والبداية والنهاية مات سنة 774هـ له ترجمة في : الدرر الكامنة لابن حجر
373/1 رقم 944، وطبقات المفسرين للداودي 111/1 رقم 103، وشذرات الذهب لابن
العماد 231/6، والبدر الطالع للشوكاني 153/1 رقم 95 0 وذيل تذكرة الحفاظ ص 57، 361،
وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 533 رقم 1159 0

(95/1)

(1) أبو سعيد الخدري : هو سعد بن مالك صحابي جليل 0 له ترجمة في : الإصابة 53/2،
رقم 3204، والاستيعاب 1671/2، رقم 958، واسد الغابة 451/2 رقم 2036، وتاريخ
الصحابة ص 113 رقم 513، ومشاهير علماء الأمصار ص 17 رقم 26، وتجريد أسماء الصحابة
172/2، وتذكرة الحفاظ 44/1 رقم 22 0

(2) خالد : هو خالد بن الوليد صحابي جليل 0 له ترجمة في : الإصابة 413/1 رقم 2206،
والاستيعاب 603/2 رقم 621، واسد الغابة 140/2 رقم 1399، وتاريخ الصحابة 85
رقم 349، ومشاهير علماء الأمصار ص 39 رقم 157 0

(3) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ج 6
ص 714 رقم 3610، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم
171/4، 172 رقم 1064 0

(4) الحديث سبق تخريجه ص 38، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 346/1 بتصرف 0
(5) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 135/2، والخطيب في الفقيه والمتفقه 454/1 رقم 479
0

(1) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي ص 133 بتصرف، وانظر : الضوء
اللامع المبين عن مناهج الحديث للدكتور أحمد محرم 189/1
(2) جزء من الآية 118 من سورة البقرة 0
(3) سبق تخريجه ص 29 0

- (4) كشف الشبهات عن الشيخ الغزالي للدكتور أحمد حجازي السقا ص 63، 77، 94 0
- (5) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجي 22/1-26،
وانظر : الموافقات للشاطبي فصل (تعريف الفرق الزائغة) 4/539 وما بعدها، وفصل (ضلال هذه
الفرق لا يخرجها عن الملة) 4/550 وما بعدها، والاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال
178/1 وما بعدها، وحكم هذه الفرق 2/462 وما بعدها0
- (6) القاموس المحيط 1/183، 184، وتاج العروس 2/30، وانظر : فتح الباري 12/296 أرقام
0 6932-6930
- (7) هدى الساري لابن حجر ص 483 0
- (8) فتح الباري 12/296 أرقام 6930 - 6932 0

(96/1)

-
- (9) الملل والنحل 1/114، والفصل في الملل والنحل 4/157، ومقالات الإسلاميين 1/207 0
- (10) الفصل في الملل والنحل 4/157، والملل والنحل 1/21، والبداية والنهاية لابن كثير
7/189، وانظر : فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي 1/70، 71 0
- (11) فتح الباري 12/296 أرقام 6930-6932 0
- (12) سبق تخريجه ص 62 0
- (13) انظر : تاريخ الأمم والملوك لابن جرير 5/194 0
- (14) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، صحابي جليل 0 له ترجمة في : الإصابة
1/322 رقم 4799، والاستيعاب 3/933 رقم 1606، واسد الغابة 3/291 رقم 3037،
وتاريخ الصحابة ص 148 رقم 717، ومشاهير علماء الأمصار ص 15 رقم 17، وتذكرة الحفاظ
1/40 رقم 18، وتجريد أسماء الصحابة 1/320 0
- (15) جزء من الآية 32 من سورة الأعراف 0
- (16) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 2/103، 104 0
- (17) الآية 97 من سورة التوبة 0
- (18) جزء من الآية 35 من سورة النساء 0
- (19) جزء من الآية 59 من سورة النساء 0

(20) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 84، 85 0

(21) ابن حزم : هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، روى ابنه أبو رافع أن مصنفات والده بلغت الأربعمائة، من أشهرها : الأحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والنحل، مات سنة 456هـ وله ترجمة في : لسان الميزان لابن حجر 724/4 رقم 5782، والبداية والنهاية لابن كثير 91/12، ووفيات الأعيان لابن خلكان 325/3 رقم 448، وشذرات الذهب 13/3، وتذكرة الحفاظ 1146/3 رقم 1016، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 435 رقم 981 0

(22) الفصل في الملل والنحل 156/4 0

(23) هو : أحمد حجازي السقا، كاتب معاصر، حصل على العالمية في الدعوة من جامعة الأزهر، ورفض الأزهر تعيينه بالجامعة، من مؤلفاته التي شكك فيها في مكانة السنة النبوية، كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي، وحقيقة السنة النبوية 0

(97/1)

(24) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 63، 77، 94 0

(25) فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي 106/1 0

(26) دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي 23/1 0

(27) أصول الدين للبغدادى ص 19، وانظر : الملل والنحل للشهرستاني 114/1، 115، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام محمد الملقى ص 52، والعقيدة والشرعية لجولد تسيهر ص 193

-62-

(98/1)

وكان لموقفهم هذا من القرآن الكريم، وجهلهم بالحديث، وعدم تحملهم له عن غيرهم، لأنهم كفرة في نظرهم سبباً في أن عقائدهم وأحكامهم الفقهية جاءت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء مخالفاً لنصوص القرآن الكريم⁰

فمنهم من يرى أن التيمم جائز، ولو على رأس بئر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشى، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة، ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمى إلى عسكرهم(1)، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت، ومنهم من أنكر أن تكون سورة يوسف من القرآن، وأن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحسن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعوا أولاً ثم يفتك(2)، وغير ذلك الكثير والكثير⁰

يقول فضيلة الدكتور أبو زهو - رحمه الله - : وهذا مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم، وأكثر ذلك أتاهاهم كما قلنا من أنهم لا يعتدون برواية جمهور المسلمين، وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار في نظرهم، وإنما يعتمدون ما رواه لهم أئمتهم، وهم كما قلنا خلو من العلم بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، بل خلوا من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح⁰

(99/1)

ثم لا يغيب عن البال أن هذا الحكم لا يسرى على جميع أفراد الخوارج، بل قد وجد منهم فيما بعد أفراد وأئمة تفقهوا في الدين، ورووا الحديث، واعتمدتهم كما قال ابن الصلاح في مقدمته بعض أئمة الحديث كالبخاري فقد احتج بعمران بن حطان(1)، وهو من الخوارج لا سيما إذا علمت أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب؛ لأن مرتكب الكبيرة كافر في نظرهم، والكذب من الكبائر⁰(2) قلت : احتجاج الإمام البخاري في صحيحه بعمران بن حطان رغم أنه مبتدع من الخوارج؛ فقد كان رأس القعدية من الصفرية، وفقههم، وشاعرهم، وخطيبهم مع كونه داعية إلى مذهبه فقد مدح (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلى الله عليه وسلم - احتجاج البخاري

به وبغيره من المبتدعين محمول على :

1- أنه خرج لهم ما حمل عنهم قبل ابتداعهم⁰

2- أو أنهم يكونون ممن تابوا ورجعوا عن بدعتهم في آخر حياتهم⁰

3- أو يكونون تبرؤوا مما نسب إليهم⁰

وعلى القول الأول حمل ما أخرجه الإمام البخارى عن عمران بن حطان قال ابن حجر -رحمه الله- :

"وقد أخرج له البخارى على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللهجة متديناً وقيل :

إن يحيى بن أبى كثير(3)، حملة عنه قبل أن يبتدع"(4) وليس لعمران بن حطان في البخارى سوى

حديتين أحدهما متابعة(5) والآخر أصل(6)⁰

وعلى الأقوال السابقة يحمل أيضاً ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن المبتدعين⁰

عقيدة الخوارج في الصحابة - رضي الله عنهم - وأثر ذلك على السنة المطهرة :

للخوارج في الصحابة - رضي الله عنهم - رأى يخالف رأى الجمهور من المسلمين؛ فهم على اختلاف

فرقهم يعدلون الصحابة جميعاً قبل الفتنة، ثم يكفرون عثمان، وعلى، وأصحاب الجمل، والحكمين،

ومن رضى بالتحكيم، وصوب الحكمين أو أحدهما(1)، وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد

الفتنة، لرضاهم بالتحكيم، واتباعهم أئمة الجور على زعمهم، فلم يكونوا أهلاً لثقتهم⁰

(100/1)

أما جمهور المسلمين فقد حكموا بعدالة الصحابة جميعاً، سواء منهم من كان قبل الفتنة أو بعدها،

وسواء منهم من انغمس فيها أو جانبها، ويقبلون رواية العدول الثقات عنهم، وكان من آثار هذا

الاختلاف في النظر إلى الصحابة أن هوجمت السنة التي جمعها الجمهور وحققها أئمتهم ونقادهم، منذ

عصر الصحابة حتى عصر الجمع والتدوين، من قبل الخوارج وهم وإن لم ينغمسوا في رذيلة الكذب

على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما فعل غيرهم، نظراً لأنه عندهم كبيرة ومرتكبها

كافر(2)، ونظراً لبداوتهم وجفاء طبعهم وغلظتهم كانوا غير مستعدين لقبول أفراد من الأمم الأخرى؛

كالفرس، واليهود، والنصارى، وغيرهم ممن يريدون هدم الإسلام واندسوا في الشيعة، ووضعو كثيراً

من الأحاديث، فضلاً على أنهم كانوا صرحاء لا يعرفون التقية التي يؤمن بها الشيعة(3)⁰

إلا أن موقفهم من الصحابة جعلهم يردون الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة، أو اشترك رواها

بالفتنة، فضلاً عن جهلهم بأحكام القرآن على وجهها الصحيح؛ جعلهم يخالفون جمهور المسلمين في

عقائدهم وأحكامهم الفقهية كما سبق⁰

يقول فضيلة الدكتور السباعي - رحمه الله - : وإنه لبلاء عظيم أن نسقط عدالة جمهور الصحابة الذين اشتركوا في النزاع مع علي أو معاوية، أو نسقط أحاديثهم ونحكم بكفرهم أو فسقهم، وهم في هذا الرأي لا يقلون عن الشيعة خطراً وفساد رأى، وسوء نتيجة، وإذا كان مدار الاعتماد على الرواية هو صدق الصحابي وأمانته، فيما نقل - وقد كان ذلك موفوراً عندهم - وكان الكذب أبعد شيء عن طبيعتهم ودينهم وتربيتهم، فما دخل ذلك بآرائهم السياسية وأخطائهم؟ ... ووصفهم بأوصاف لا تليق بعامة الناس، فكيف بأصحاب رسول الله - رضي الله عنهم - الذين كان لهم في خدمة الإسلام قدم صدق، لولاها لكنا ننتيه في الظلمات ولا نعرف كيف نتهدى سبيلاً⁽¹⁾0

هل كان الخوارج يكذبون في الحديث؟

(101/1)

تحت هذا العنوان نفى الدكتور السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع) : أن يكون الخوارج كذبوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنهم يكفرون مرتكب الكبيرة على ما هو المشهور عنهم، أو مرتكب الذنوب مطلقاً كما حكاه الكعبى⁽²⁾ فما كانوا يستحلون الكذب ولا الفسق ولا النقية ونفى أن يكون هناك دليلاً محسوساً يدل على أنهم ممن وضعوا الحديث⁰

وقال معقباً على ما روى عن ابن لهيعة عن شيخ لهم أنه قال : إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإننا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً⁽³⁾0

وقول عبد الرحمن بن مهدي : إن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث "إذا أتاكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ... الحديث"⁽⁴⁾0

يقول الدكتور السباعي : هكذا قال الكاتبون في هذا الموضوع من القدامى والحديثين، ولكنى لم أعر على حديث وضعه خارجي، وبحث كثيراً في كتب الموضوعات، فلم أعر على خارجي عُذ من الكذابين والوضاعين⁰

أما النص السابق الذى يذكرونه عن شيخ للخوارج، فهو مجهول ولا ندرى من هو؟ وقد سبق مثل هذا التصريح برواية حماد بن سلمة عن شيخ رافضى، فلماذا لا تكون نسبته إلى شيخ خارجي خطأ؟ خصوصاً ولم نعثر لهم على حديث واحد موضوع⁰

أما قول عبد الرحمن بن مهدي عن حديث (إذا أتاكم ... إلخ) أنه وضعته الزنادقة والخوارج، فلا

أدرى مدى صحته عن ابن مهدي، فقد ذكره عنه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) بلا سند(1) فضلاً على أنه لم يذكر لنا عن ابن مهدي من هو واضعه؟ على أن المنقول عن غير ابن مهدي لفظ الزنادقة فقط، قال شمس الحق العظيم آبادي : فأما ما رواه بعضهم أنه قال : "إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله... الحديث"؛ فإنه حديث لا أصل له(2) وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين(3) أنه قال "هذا حديث وضعته الزنادقة" ونقل الفتني عن الخطابي(4) أنه قال أيضاً "وضعت الزنادقة"(5)، وليس في هذين النصين ذكر للخوارج بحال(6)

(102/1)

وقد ورد عنهم ما ينفي تهمة الكذب عنهم(7) يقول المبرِّد(6) : "والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذوى المعصية الظاهرة(1)" وقال أبو داود(2) : "ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج"(3) وقال ابن تيمية(4) : للرافضة في الرد عليهم "ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب لأننا جربناهم فوجدناهم يتحرون الصدق لهم وعليهم(5) وقال : ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر في جميع الطوائف، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل : إن حديثهم من أصح الحديث"(6) وقال أيضاً "ليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعدل من الخوارج(7) .

قلت : وأنا مع الدكتور السباعي فيما ذهب إليه ورجحه من نفي تهمة كذب الخوارج في الحديث، وليس معنى ذلك براءتهم، ولكن معناه أني لا اتهمهم بالكذب في الحديث؛ لأنه لا دليل على كذبهم، والأخبار الواردة في اتهمهم بالوضع ضعيفة تحتمل التأويل كما سبق، والأخبار التي تدل على صدقهم ونفي الكذب عنهم صريحة وواضحة(8)

وكل ما يقال بحق، أنهم جهلة بالسنة ولا يحتجون بها؛ لأننا من طريق صحابة رسول الله - رضي الله عنهم - وهم كفار في نظرهم، فضلاً عن عدم استعدادهم لقبول آراء غيرهم؛ نظراً لبدائيتهم وحفاء طبعهم وغلظتهم وجهلهم بفقه الكتاب والسنة؛ ولذا نجدهم يعملون على محاربة المسلمين وإراقة دمائهم وانتهاك حرمتهم فهم أحقاء بأن يسموا بالخوارج البغاة لخروجهم على السنة وأهلها ومعاداتهم لها(1) .

المبحث الثاني

التعريف بالشيعة وموقفهم من السنة النبوية

تمهيد :

الشيعة كفرقة ذات أفكار وآراء غلب عليهم هذا الاسم، ويشيع فيهم الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى أئمتهم، وذلك باعتراف علمائهم، وهذا من أشد الخطر على الإسلام والمسلمين، وذلك بسبب :

1- استعمالهم التقية المرادفة للكذب⁰

2- تظاهروهم بنصرة آل البيت، حيث انخدع بهم كثير من العوام بل وخواص المسلمين⁰

(103/1)

3- بغضهم وتكفيرهم ولعنهم صحابة رسول الله - رضي الله عنهم - إلا نفر يسير، وبغضهم وتكفيرهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبارهم قديماً، وسار عليها بعض كبارهم حديثاً نتج عنها نفور الشيعة، وعدم الوصول بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السنة إلى التقارب⁰ وقد قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس الاعتقاد؛ بأن علياً t وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن علياً أحق بها من سائر الصحابة بوصية من النبي - صلى الله عليه وسلم - كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم قديماً وحديثاً⁽¹⁾.
والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم⁰ فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الرافضة السبئية : إن النار محرمة على الشيعة إلا قليلاً، كما قال اليهود لن تمسنا إلا أياماً معدودات⁽²⁾. والنصرانية ظهرت في فرق الحلولية وهي فرق أكثرها يرجع إلى غلاة الروافض فقال بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه، وقالوا : إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي⁽¹⁾⁰

وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت

معروفة عند البراهمة، والفلاسفة، والمجوس من قبل الإسلام، وقال بها الراوندية من الروافض
الحلولية(2)0

(104/1)

وتستر بعض الفرس بالتشيع، وحابوا الدولة الأموية، والعباسية، وقاموا بثورات عديدة، سجلها علماء
الفرق والتاريخ، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعى لاستقلالهم وهيمنتهم(3)، وتاريخ
الشيعة في القديم والحديث شاهد صدق على أن الحركات المارقة والهدامة إنما خرجت من تحت
عباءتهم بعد أن رضعت لبنهم وهدهدت بين ذراعيهم(4)0
التعريف بالشيعة لغة: هم الاتباع والانصار، قال صاحب القاموس: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ويقع
على الواحد والاثني والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه أشياع وشيع كعنب(5)0
وقال صاحب تاج العروس : الشيعة كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وكل من عاون إنساناً
وتخرب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة(6)0
ووردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مراداً بها معانيها اللغوية الموضوعة لها على المعاني
التالية :

- 1- بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس : قال تعالى {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}(7)0 أى من كل فرقة وجماعة وأمة (8)0
- 2- بمعنى الفرقة قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}(1)0 أى
فرقاً(2)0
- 3- وجاءت لفظة أشياع بمعنى أمثال ونظائر قال تعالى : {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ
مُذَكِّرٍ}(3)0 أى أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية(4)0

(105/1)

- 4- بمعنى المتابع والموالي والمناصر قال تعالى : {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ
عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}(5)0 وفى الحديث من قول حكيم بن أفلح(6)0 إني قد نهيتها - أى

السيدة عائشة -رضى الله عنها- أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً(7) أى شيعة الإمام على -كرم الله وجهه- وشيعة الإمام معاوية -رضى الله عن الجميع - ففى ذلك ما يشهد لعموم اسم الشيعة. التعريف بالشيعة اصطلاحاً : اختلفت وجهات نظر العلماء فى التعريف بحقيقة الشيعة وأرجح تلك الأقوال هى : أنهم الذين يزعمون أنهم أتباع على بن أبى طالب t وأنصاره، ويعتقدون أنه أفضل من الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين - وأنه وأهل بيته أحق بالخلافة، وإن خرجت منهم فبظلم يكون من غيرهم(8).

موقف الشيعة من الصحابة والأمة الإسلامية:

أولاً : موقف الشيعة من الصحابة :

... يقول الدكتور محمد العسال : يعتقد الشيعة أن الصحابة كلهم كانوا كفرة منافقين مخادعين لله ورسوله - ونعوذ بالله من ذلك - لا يستثنون إلا خمسة أو سبعة أو بضعة عشر، على خلاف بينهم فى هذا، والجمع على استثنائهم هم : سلمان الفارسى، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى، والمقداد، وجابر بن عبد الله الأنصارى0

ويرى بعض الشيعة أن الصحابة : إنما كفروا وارتدوا عن الإسلام بعد موت النبى - صلى الله عليه وسلم - لا فى حياته، وإنما قال ذلك أصحاب هذا رأى لما وجدوا صريح القرآن يمدحهم ويثنى عليهم، فظنوا أن القول بكفرهم بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتفادون به التعارض مع القرآن بخلاف القول بكفرهم والقرآن ينزل والوحى متواصل، هكذا يزعمون.

(106/1)

كما زعموا أن كفر الصحابة إنما هو بسبب إنكارهم النص على ولاية على t التى هى أساس الدين عند الشيعة، وقد تواطأ الصحابة على جحده وإنكاره إلا الخمسة الذين مر ذكرهم، أما كبار الصحابة مثل أبى بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير وبقية العشرة، وعائشة، وحفصة وغيرهم؛ فإنهم كانوا متظاهرين بالإسلام فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع إبطائهم الكفر، خاصة فيما يتعلق بولاية على t حقداً عليه حيث كانوا يطمعون فى هذه الولاية بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم -0

بل هؤلاء الصفوة من خيرة أصحاب رسول الله - رضى الله عنهم - هم فى عقيدة الشيعة رؤساء الكفر والنفاق فهم أصله ومعدنه وفرعه وثمرته، ونعوذ بالله من ذلك0

وهذه عقيدة لا ينفك عنها شيعي واحد من الإثني عشرية، وإن تظاهر أحدهم بإنكار ذلك فأعلم أنه يقولها (تقية) لأنها عقيدة لا تقبل المساومة عندهم، إذ لو صحح الشيعي إمامة أبي بكر وعمر وعثمان لوجب عليه أن يعترف ببطلان الولاية والإمامة لعلي وبنيه، وهذا كفر بإجماع الإثني عشرية⁰ وللشيعة في تكفيرهم للصحابة شبهات سيأتى ذكرها والرد عليها في باب وسائل أعداء السنة في الكيد لها⁰

هذا وقد امتلأت كتب الشيعة تفسيراً وحديثاً - على كثرتها وبطلانها بهذه العقيدة الفاسدة، وسودوا هذه الكتب بما تضيق منه الصدور من عقيدتهم هذه(1)⁰

(107/1)

وتأكيداً لكل ما سبق سأكتفى بذكر نموذج أو أكثر من كتبهم تفسيراً وحديثاً، فالقمي في تفسيره(2) يقول فيه الدكتور محمد العسال هذا المفسر يحمل كل كلمة كفر أو نفاق أو فسق أو ضلال أو شرك أو ظلم أو عصيان وخداع، وكل ما يشتق من ذلك أو يماثله على كبار الصحابة، وخاصة على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وقد ضرب على ذلك أمثلة منها في قوله تعالى : {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ}(3) قال القمي : الحرث الدين، والنسل الناس، ونزلت في الثاني -يعنى عمر- وقيل في معاوية(4)⁰ وعند قوله تعالى : {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}(5) قال : هم الذين غصبوا آل محمد حقهم، وعند قوله تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ}(6) قال : هم الظالمون آل محمد حقهم، والذين اتبعوا من غصبهم(7)⁰

وفي أصح الكتب عندهم بعد كتاب الله - سبحانه - وهو الكافي الذي يعد عندهم كالبخارى عند أهل السنة، أخرج الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان الناس أهل ردة بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة فقال : المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم(8)⁰

وأخرج أيضاً عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام قال : إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً(9)⁰

وأخرج أيضاً عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أهل الشام شر أم أهل الروم؟ فقال : إن الروم كفروا ولم يعاندوا، وإن أهل الشام كفروا وعاندوا(1). إلى غير ذلك الكثير والكثير من إفكهم الذي امتلأت به كتبهم تفسيراً وحديثاً، والتي كانت منفذاً للمستشرقين وأتباعهم

نفذوا منه إلى الطعن في دين الإسلام ومصدره الأول القرآن الكريم .
ثانياً : موقف الشيعة من الأمة الإسلامية :

(108/1)

يقول الدكتور محمد العسال : يعتقد الشيعة الإثنا عشرية أن أمة محمد هي الأمة الملعونة، ولو كانت من سائر فرق الشيعة سواهم، فكل من لم يوال الإثنى عشر إماماً ويؤمن بولايتهم ويتبرأ من الصحابة؛ فهو ملعون هالك، أما من يعتقد إيمان الصحابة ويصحح خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فهو ناصبي عندهم والناصري شر من اليهود والنصارى وعبد الأوثان كما يزعمون من هنا فحملتهم على أهل السنة -النواصب- في نظرهم لا تكاد تهدأ؛ لأنهم أكثر فرق الأمة عرفاناً بالجميل للصحابة، وعلى رأسهم آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

ويقول الدكتور محمد العسال بعد أن ذكر نماذج من تفسيرهم الباطل تؤكد تلك العقيدة الفاسدة قال : وغالب ظني أن هذه العقيدة قد استفادها الروافض من زنادقة الباطنية الخارجين عن الإسلام بإجماع الفرق والذين يسمون أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بالأمة الملعونة المنكوسة، حيث يحكي لنا الإمام عبد القادر البغدادي عنهم في نص رسالة عثر عليها من زعيمهم عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى داعيته سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني جاء فيها : إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع... ثم قال له ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سأله عن الروح فقال {الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} (2) لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة... إلخ (3).

فهذه زندقة -نعوذ بالله منها-، وعقيدة الإثنى عشرية في الأمة إما متأثرة بتلك الزندقة وإما أنها مدخل إليها، لا محل سوى ذلك (1).

وصدق الإمام ابن تيمية (أصل مذهب الشيعة الرافضة من أحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياتهم على أمير المؤمنين (2) t) أ0هـ.

أثر موقف الشيعة الرافضة من الصحابة على الإسلام (قرآناً وسنة) :
أولاً : أثر موقف الشيعة من الصحابة على القرآن الكريم :

(109/1)

كان من آثار تكفير الشيعة للصحابة إلا من استثنوهم أن هوجم القرآن الكريم والسنة النبوية، فهاجموا القرآن الكريم، وصرحوا وبكل وضوح أن في القرآن الكريم نقصاً وتحريفات متعمداً من الصحابة عند جمعه لإخفاء ما ورد صريحاً في ولاية الأئمة من آل البيت، أو لإخفاء الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش، وزعموا أن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا على فقط، كما يعتقدون أن مصحفاً مفقوداً سيصل إلى أيديهم يوماً ما، يسمى "مصحف فاطمة" فيه أضعاف ما في المصحف العثماني الموجود بين أيدي المسلمين، وأنه يختلف عن هذا المصحف اختلافاً كبيراً، وقد ألف أحد طواغيتهم واسمه حسين بن محمد تقي الطبرسي كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب طواغيتهم) (3) وفيه أكثر من ألفي رواية عن طواغيتهم المعصومين، والتي تؤكد التحريف في القرآن من كل نوع، وعندما طبع الكتاب وقامت حوله ضجة ألف الطبرسي كتاباً آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) دافع فيه عن ما أودعه في كتابه السابق (فصل الخطاب) وقد كتب هذا الدفاع قبل موته بسنتين⁰

(110/1)

ومهما تظاهر الشيعة بالبراءة من كتاب النوري الطبرسي عملاً بعقيدة التقية، فإن الكتاب ينطوي كما سبق على آلاف النصوص عن طواغيتهم في كتبهم المعتبرة يثبت بها أنهم جازمون بالتحريف ومؤمنون به، ولكن لا يحبون أن تثور الضجة حول عقيدتهم هذه في القرآن (1) ويتظاهرون تقية ويفتون بأنه لا يأثم من قرأ القرآن كما يتعلمه الناس في المصحف العثماني، ثم الخاصة من الشيعة سيعلم بعضهم بعضاً ما يخالف ذلك مما يزعمون أنه موجود أو كان موجوداً عند أئمتهم من أهل البيت، ويدل على ذلك ما أخرجه الكليني في كتابه الكافي بسنده عن علي بن موسى الرضا المتوفى سنة 206هـ عندما سأل، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال : لا، اقرءوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يعلمكم (2).

ومما يدل على أن الشيعة يكادون يجمعون على ما أورده الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب) أنهم كافئوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه في أقدس البقاع عندهم في بناء المشهد العلوي في النجف.

وفي عصرنا الحاضر ردد الخميني هذا الإفك في كتابه (كشف الأسرار) قائلاً : "لقد كان سهلاً عليهم

- الصحابة الكرام - أن يخرجوا هذه الآيات من القرآن، ويتناولوا الكتاب السماوى بالتحريف، ويسدلوا الستار على القرآن، ويغيبوه عن أعين العالمين ثم يقول : "إن تهمة التحريف التى يوجهها المسلمون إلى اليهود والنصارى، إنما تثبت على الصحابة(3). وهم حتى عندما يعتبرون المصحف العثمانى مصدراً من مصادر العقائد والأحكام، فهم يختلفون فى فهم معانية عن سائر الفرق وخصوصاً أهل السنة - ويرجعون فهم القرآن إلى الأئمة من آل البيت(4)، وكلها تأويلات باطلة حاشا الأئمة أن يقولوا منها حرفاً واحداً.

ثانياً : أثر موقف الشيعة من الصحابة على السنة النبوية :

(111/1)

وكما كان من آثار تكفير الشيعة للصحابة أن هاجموا القرآن الكريم، وادعوا تحريفه وتبديله، كان من آثار ذلك أيضاً أن هوجمت السنة التى جمعها الجمهور وحققها أئمتهم ونقادهم، منذ عصر الصحابة حتى عصر الجمع والتدوين، من قبل الشيعة التى وصمت أحاديث الجمهور من أهل السنة بالكذب والوضع، وخاصة ما كان منها فى فضائل الصحابة الذين يكفروهم الشيعة ويلعنونهم⁰ ولم يقبلوا من أحاديث أهل السنة إلا ما وافق أحاديثهم التى يروونها عن أئمتهم المعصومين فى نظرهم، والتى إن لم يزيدوا فيها كذباً تأولوها بما يشهد لعقائدهم وأحكامهم الباطلة، أما ما عدا ذلك من السنة فلا يعتبرون به إلا إذا جاء من طريق آل البيت والتى لا يمكن إثبات صحتها لعدم اهتمامهم بصحة السند⁰

فالعدالة عندهم لا عبرة بها ما دام الراوى إمامياً يوالى الأئمة ولو لم يكن متهماً، بل ولو كان مطعوناً فى دينه⁰ وإذا تتبع تراجم أعلام الشيعة الرافضة فى زمن أئمتهم رأيتهم بين كذابين، وملاحدة، وشعوبيين، وفاسدى العقيدة، ومذمومين من أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص، ولذا تراهم يصححون أحاديث من دعا عليه المعصوم بقوله أخزاه الله وقتله الله، أو لعنه أو حكم بفساد عقيدته أو أظهر البراءة منه، وحكموا أيضاً بصحة روايات المشبهة والمجسمة، ومن جوز البداء عليه تعالى(1)، مع أن هذه الأمور كلها مكفرة، ورواية الكافر غير مقبولة، فضلاً عن صحتها، فإذا كان هذا هو حال من يصححون حديثه وهو أقوى الأقسام عندهم، فما بالنا بحال الحسن والموثق والضعيف عندهم!(2)⁰

إذ لا عبرة عندهم بالعدالة وإنما العبرة بمن معهم؟ ومن عليهم؟ فمن كان معهم معتقداً بعقيدتهم كان مؤمناً تقياً، وإلا كان كافراً منافقاً إذا تبرأ منهم ومن عقيدتهم⁰

(112/1)

كما أنهم لا يشترطون اتصال السند في الحديث من الإمام إلى الرسول؛ لأن الإمام في حد ذاته كلامه في قوة كلام الرسول وقديسيته، ووجوب العمل به؛ لأنه معصوم ويوحى إليه، ومن تلك الأحاديث التي يصححونها ولا عدالة لروايتها ولا اتصال لسندها حديث "غدير خم" (1) الذي يكاد يكون عمدة المذاهب الشيعية كلها ودعامتها الأولى، والأساس الذي أقاموا عليه نظريتهم إلى الصحابة من تكفيرهم وسبهم ولعنهم ليل نهار، وتابعهم على ذلك دعاة اللادينية (2) وهذا الحديث هو عند أهل السنة حديث مكذوب لا أساس له باللفظ الذي يروونه عن طواغيتهم، الذين وضعوه ليبرروا به هجومهم وتجنّيههم على صفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين - رضى الله عنهم أجمعين - .

وبالنظر في كتب الحديث النبوي عندهم؛ كالكافي، والاستبصار، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه (1) وغيرها، نجد رواياتها ليست كلها متصلة من أصحابها إلى أئمتهم الذين وجدوا في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - فالأحاديث المدونة بما قد خلا أكثرها من الإسناد فوجد الروايات تذكر عن عدة من أصحابنا، أو عن الإمام جعفر، ثم تعد هذه الأقوال أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع وجود الفارق الزمني الكبير بين أصحاب هذه الروايات وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو فارق زمني يصل إلى عدة قرون (2) 0

وكان لهجومهم وتجنّيههم على الصحابة الأثر الكبير فيما أثير حول السنة من شبهات، ولم لا ومروياتهم - رضى الله عنهم - لا تزن عندهم مقدار جناح بعوضة⁰

يقول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : والشيعنة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جددهم يعنى ما رواه الصادق، عن أبيه الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن الحسين السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أما ما يرويه مثل : أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمر بن الخطاب، وعمر بن العاص، ونظائرهم، فليس لهم عند الأمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر (3) 0 هـ .

(113/1)

(1) انظر : فتح الباری 12 / 296، 297 أرقام 6930-6932، وانظر : الفرق بين الفرق
للبيضاوي ص 88، والملل والنحل للشهرستاني 1 / 113 - 119، ومقالات الإسلاميين 1 / 173
0

(2) انظر : فتح الباری 12 / 297، 298 أرقام 6930 - 6932، وانظر : أصول علم الحديث
بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو لبابة حسين ص 162-172 0

(1) عمران بن حطان : هو عمران بن حطان بكر الحاء وتشديد الطاء المهملتين السدوسى، سمع
عائشة وابن عمر وابن عباس، روى عنه يحيى بن أبي كثير، وكان رأساً في الخوارج 0 وقال العقيلي: لا
يتابع على حديثه ووثقه العجلي، وقال قتادة: كان لا يهتم في الحديث، وقال أبو داود: ليس في أهل
الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسان الأعرج، وذكره ابن حبان في
الثقات، مات سنة 184هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1 / 751 رقم 5168، والكاشف 2 / 92
رقم 4262، ورجال صحيح البخاري للكلاي 2 / 574 رقم 904، والجمع بين رجال الصحيحين
لابن القيسراني 1 / 389 رقم 1484، والثقات للعجلي ص 373 رقم 1301، والثقات لابن حبان
5 / 222، وانظر : حاشية ابن العجمي على الكاشف 2 / 92، 93، والبيان والتوضيح لمن أخرج
له في الصحيح ومسبب من التجريح للعراقي ص 189 رقم 291 0

(2) الحديث والمحدثون ص 86، وانظر : الملل والنحل 1 / 115، 116 0

(3) يحيى بن أبي كثير : هو يحيى بن أبي كثير من موالى بني طيء من أهل البصرة عالم أهل الإمامة في
عصره، ثقة ثبت لكنه يدلّس ويرسل مات سنة 132هـ وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة في : تقريب
التهذيب 2 / 313 رقم 7660، والثقات لابن حبان 7 / 591، والتاريخ الكبير للبخاري 4 / 2
رقم 301، وصفوة الصفوة 4 / 75 رقم 657، والكاشف 2 / 373 رقم 6235، ومشاهير علماء
الأمصار ص 224 رقم 1037 0

(4) فتح الباری 10 / 302 رقم 5835 0

(5) انظر: صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال وقدر ما
يجوز منه 10 / 296 رقم 5835 0

- (6) انظر : المصدر السابق نفس الكتاب، باب نقض الصور 10/ 398 رقم 5952 0
- (1) الفرق بين الفرق للبغدادى ص 85، وانظر : مقالات الإسلاميين : 1/ 204، والملل والنحل 1/ 115، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص 139 0
- (2) السنة ومكانتها في التشريع ص 131، 132 0
- (3) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 87 0
- (1) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي ص 133 بتصرف، وانظر : أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو لبابة حسين ص 161-162 0
- (2) الفرق بين الفرق للبغدادى ص 79، 85، 88، 92 0
- (3) مقدمة الموضوعات لابن الجوزى ص 38، 39، والآلى المصنوعة للسيوطي 2/ 486، والمدخل للحاكم ص 9 .
- (4) الحديث سيأتى تخريجه وبيان وضعه في شبهة عرض السنة على القرآن الكريم ص 224-227 0
- (1) جامع بيان العلم وفضله 2/ 191 0
- (2) عون المعبود شرح سنن أبو داود 4/ 329 0
- (3) يحيى بن معين : هو يحيى بن معين بن عون المرى بالولاء البغدادى، أبو زكريا، الحافظ المشهور، كان إماماً عالماً ربانياً حافظاً متقناً خبيراً بصحيح الحديث وسقيمه، مات سنة 233هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 2/ 316 رقم 7679، والكاشف 2/ 376 رقم 6250، وتذكرة الحفاظ 2/ 429 رقم 437، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 188 رقم 416، والثقات للعجلي ص 475 رقم 1826، والجرح والتعديل 9/ 192، والإرشاد للخليلي ص 186، 187، ووفيات الأعيان 6/ 139 رقم 791 0

(115/1)

(4) الخطابي : هو حمد ويقال أحمد بن إبراهيم بن خطاب البستي - نسبة إلى بستان مدينة من بلاد كابل - أبو سليمان، كان أحد أوعية العلم في زمانه حافظاً فقيهاً، له من التصانيف النافعة الجامعة : معالم السنن وغريب الحديث، وإصلاح غلط المحدثين وغيرها، مات سنة 388هـ له ترجمة في : مرآة الجنان لليافعي 2/ 435، وبغية الوعاة للسيوطي 1/ 536 رقم 1143، وشذرات الذهب لابن

العماد 3 / 127، 128، وتذكرة الحفاظ 1018/3 رقم 950، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 404 رقم 915، واللباب في تهذيب الأنساب 1 / 151 0

(5) تذكرة الموضوعات ص 28 0

(6) المبرّد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس، أديب، نحوي، لغوي، كان كثير الحفظ، غزير العلم، وثقة الخطيب وجماعة، من مصنفاته المقتضب، والكامل في الأدب، وغيرهما مات سنة 285هـ له ترجمة في : لسان الميزان 6 / 629 رقم 8264، وسير أعلام النبلاء 13 / 576 رقم 299، وطبقات المفسرين للرازي 2 / 269 رقم 597، وشذرات الذهب 2 / 190، وإنباه الرواة للقفطي 1 / 40، 48 0

(1) الكامل في الأدب 2 / 106 0

(2) أبو داود : هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي الإمام العالم صاحب كتاب السنن، والمراسيل، والقدر، وغير ذلك، وهو أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً مات سنة 275هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 2 / 591 رقم 615، تهذيب التهذيب 4 / 169 رقم 298، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي 9 / 55 رقم 4638، ووفيات الأعيان 2 / 138 رقم 258، والعبر في خبر من غير 1 / 396 رقم 275، وطبقات المفسرين للدودي 1 / 207 رقم 195، والتقييد لمعرفة رواه السنن والمسانيد لابن نقطة ص 279 رقم 344، والبداية والنهاية 11 / 58 0

(3) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص 130 0

(116/1)

(4) ابن تيمية : هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الحارثي الدمشقي، الملقب بتقي الدين، المكنى بأبي العباس، الإمام المحقق الحافظ المجتهد المحدث المفسر الأصولي الأديب النحوي القدوة الزاهد شيخ الإسلام، أما تصانيفه فإنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها : رفع الملام عن الأئمة الأعلام، والصارم المسلول على منتقص الرسول، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وغير ذلك مات سنة 727هـ له ترجمة في: تذكرة الحفاظ 4 / 1496 رقم 1175، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 520 رقم 1142، وشذرات الذهب 6 / 80، والبدر الطالع للشوكاني 1 / 63 رقم 40، والدرر الكامنة لابن حجر 1 / 144 رقم 409، وطبقات المفسرين

للداودي 1 / 46 رقم 42، والبداية والنهاية 14 / 135 0

(5) المنتقى من منهاج الاعتدال ص 480 0

(6) المصدر السابق ص 22 0

(7) منهاج السنة 3 / 31، وانظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور السباعى ص81،

82، 83 بتصرف، وأصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو لبابة حسين ص158-

0 161

(1) شرح القصيدة النونية للدكتور محمد خليل هراس ص 322 0

(1) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجى 1 / 128 بتصرف0

(2) انظر : الفرق بين الفرق 215، والملل والنحل 1 / 186، ومنهاج السنة 1 / 7، وانظر : مختصر

التحفة الإثنا عشرية للعلامة السيد محمود الألوسى ص 317، 318 0

(1) الفرق بين الفرق ص 228 - 230، والملل والنحل 1 / 186 0

(2) الفرق بين الفرق ص 242، والملل والنحل 1 / 186 0

(3) فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين ص 276، 277 بتصرف0

(4) الدفاع عن السنة، الجزء الأول من سلسلة الإسلام واستمرار المؤامرة للأستاذ الدكتور طه

حبيشى ص 31 0

(5) القاموس المحيط 3 / 46 0

(6) تاج العروس 5 / 405 0

(7) الآية 69 من سورة مريم0

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3 / 131 0

(1) جزء من الآية 159 من سورة الأنعام0

(117/1)

(2) تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار 8 / 214 0

(3) الآية 51 من سورة القمر0

(4) جامع البيان في تأويل آى القرآن لابن جرير 27 / 112 0

(5) الآية 15 من سورة القصص، وانظر : فتح القدير للشوكاني 4 / 164، و فرق معاصرة للدكتور

غالب عواجى 1/ 131، 132، وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الإثنا عشرية للدكتور
عمر الفرماوى ص 12 0

(6) حكيم بن أفلح : هو حكيم بن أفلح المدنى روى عن أبي مسعود، وعائشة وعنه والد عبد
الحميد ابن جعفر 0 مقبول له ترجمة فى : تقريب التهذيب 1/ 234 رقم 1471، والكاشف 1
346/ رقم 1195، تهذيب التهذيب 2/ 444 رقم 771، وميزان الاعتدال 1/ 583، رقم
1214

(7) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو
مرض 3/ 279، 280 رقم 746 0

(8) انظر : الملل والنحل 1/ 146، و فرق معاصرة 1/ 132، 133، والشيعة الإثنا عشرية
ومنهجهم فى التفسير للدكتور محمد العسال ص 19 - 23، وانظر : بقية التعريفات فى المصادر
السابقة 0

(1) الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم فى التفسير ص 461 بتصرف، وانظر : أصل الشيعة وأصولها
محمد الحسين ال كاشف ص 68 - 74 0

(2) انظر فى : منزلة الكتاب وصاحبه عند الشيعة، ومظاهر الغلو والضلال فى الكتاب، ما كتبه
الدكتور على السالوس فى كتاب مع الشيعة الإثنا عشرية فى الأصول والفروع 2/ 173-197
(3) الآية 205 من سورة البقرة 0

(4) تفسير القمى ص 61 0

(5) جزء من الآية 256 من سورة البقرة 0

(6) جزء من الآية 257 من سورة البقرة 0

(7) تفسير القمى ص 75، وانظر : الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير للدكتور محمد العسال
ص 462، 463، ومع الشيعة الإثنا عشرية فى الأصول والفروع للدكتور على السالوس 2/ 173 -
0 197

(8) الكافى كتاب الروضة 8/ 168، 341 0

(9) الكافى كتاب الإيمان والكفر، باب صنوف أهل الكفر وذكر القدرية والخوانج 2/ 400 رقم 4

- (1) الموضوع السابق 2 / 410 رقم 5، وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الأثنا عشرية للدكتور عمر الفرماوى ص 192 0
- (2) جزء من الآية 85 من سورة الإسراء 0
- (3) الفرق بين الفرق للإمام البغدادي ص 262 0
- (1) الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير للدكتور محمد العسال ص 510 0
- (2) منهاج السنة 1 / 3، وانظر : أدلة على استمرار بعض غلاة الشيعة الجعفرية على موقفهم هذا من الأمة الإسلامية فيما كتبه أحد زعمائهم في العصر الحديث في كتابه تحرير الوسيلة للخميني 1 / 118، 136، وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجى 1 / 264، 26، والسنة المفترى عليها للمستشار سالم البهنساوى ص 130، 131، والفتنة الخمينية حقيقة الثورة الإيرانية للشيخ محمد عبد القادر ص 8، 9، 25، 26، 33، وانظر : خلاصة موقف الشيعة من حكام المسلمين قديماً وحديثاً، في الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب، فصل الشيعة والحكومات الإسلامية ص 43 - 64، والشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص 97، وانظر خطرهم على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً في الخطوط العريضة فصل (الشيعة والتاريخ) ص 73 - 77، و فرق معاصره 1 / 262 .
- (3) انظر : في مكانة هذا الكتاب وصاحبه عن الشيعة فيما كتبه الدكتور على السالوس في كتابه مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع 2 / 149 - 151 0
- (1) انظر : تناقض معتدلى الجعفرية الذين تصدوا لحركة الغلالة منهم في دعواهم تحريف القرآن الكريم في كتابي الدكتور على أحمد السالوس مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع فصل (القرآن والتحريف) 2 / 55 - 159، وأثر الإمامة في الفقه الجعفرى وأصوله ص 138-271، وانظر : الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوى ص 130 - 136، وانظر : ما كتبه الأستاذ محمد مال الله في هامش الخطوط العريضة ص 29 وما بعدها، وانظر : رجال الشيعة في الميزان عبد الرحمن الزرعى ص 155 0

(119/1)

-
- (2) الكافي 1 / 289، وانظر : الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب ص 35 0
- (3) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم للعلامة أبو الحسن الندوى ص 84 : 88،

وانظر : الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب ص 10 : 15، ومختصر التحفة الإثنا عشرية للعلامة السيد محمود الألوسي ص 30، 50، 82، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي 1/ 230، 239 0

(4) الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير للدكتور محمد العسال ص 89، وانظر : مختصر التحفة الإثنا عشرية ص 47 0

(1) البداء: هو أن الله عز وجل يبدو له غير الذي كان أراده، فيرجع عن إرادته إلى الذي بدا له من بعد؛ تعالى الله عما يقولون، انظر: مختصر التحفة الإثني عشرية للعلامة السيد محمود الألوسي ص 21، وفرق معاصرة للدكتور غالب عواجي 1/ 254، والشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص 146-151، والنسخ والبداء في الكتاب والسنة لمحمد حسين العاملي ص 28 وما بعدها 0

(2) مختصر التحفة الإثني عشرية للعلامة السيد محمود الألوسي ص 21، وانظر : أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للدكتور علي أحمد السالوس ص 274، 275، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادي الفضلي ص 106 0

(120/1)

(1) وخلاصة هذا الحديث : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في رجوعه من حجة الوداع جمع الصحابة في مكان يقال له "غدير خم" مكان بين مكة والمدينة، وأخذ بيد علي t ووقف به على الصحابة جميعاً وهم يشهدون وقال : "هذا وصي وأخي والخليفة من بعدي فاسمعوا له واطيعوا" والحديث بهذه الرواية التي انفرد بها الرافضة مكذوب وأصل الحديث كما في صحيح مسلم من رواية زيد ابن أرقم t قال : "قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خم - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر 0 ثم قال : "أما بعد 0 ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور 0 فخذوا بكتاب الله 0 واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه 0 ثم قال : "وأهل بيتي 0 أذكركم الله في أهل بيتي 0 أذكركم الله في أهل بيتي 0 أذكركم الله في أهل بيتي ...

(121/1)

الحديث" أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل على بن أبى طالب t 8 / 190 رقم 0 2408 هذا هو أصل الحديث كما فى صحيح السنة، والحديث برواية الرافضة يشهد على نفسه بالبطلان فالحديث يصرح بالخلافة للإمام على - كرم الله وجهه- على مشهد من الصحابة جميعاً، ومثل هذا تتوافر الدواعى على نقله ويشتهر، فى حين أن هذا النص بالخلافة للإمام على لم يبلغه أحد بإسناد صحيح⁰ قال الإمام بن تيمية فى فصل (الطرق التى يعرف بها كذب المنقول) ما ينفرد به، ويتضمن أمراً تتوافر الدواعى على نقله قال : "ومن هذا الباب نقل النص على خلافة على، فإننا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة، فإن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح فضلاً عن أن يكون متواتراً كما تزعم الرافضة، ولا نقل أن أحداً ذكره على جهة الخفاء، مع تنازع الناس فى الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة، وحين موت عمر وحين جعل الأمر شورى بينهم فى ستة، ثم لما قتل عثمان واختلف الناس على على، فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على على بن أبى طالب نصاً جلياً قاطعاً للعذر وعلمه المسلمون، لكان من المعلوم بالضرورة فى مثل هذه المواطن التى تتوافر الهمم على ذكره فيها غاية التوفر، فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضى انتفاء ما يعلم أنه ملزوم" أ⁰هـ من منهاج السنة لابن تيمية 4 / 118، وانظر : للاستزادة فى الرد على استدلال الرافضة بروايات الحديث فيما كتبه الدكتور على السالوس فى كتابيه مع الشيعة الإثنى عشرية فى الأصول والفروع 1 / 96-162، وأثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله ص 78-136، وانظر: مختصر التحفة الإثنى عشرية لألوسى ص 123، 176، 208، 219، والعواصم من القواصم لابن العربى ص 183، والمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة بحث الدكتور على السالوس حديث الثقلين وفقهه 2 / 701 - 725 والشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوى ص 8-50، ونظام الخلافة بين أهل السنة

(122/1)

والشيعة للدكتور مصطفى حلمى ص 33-223 .

(2) انظر : مجمع البيان فى تفسير القرآن للفضل بن الحسن الطبرسى 6 / 152، والميزان فى تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائى 6 / 42، وأصل الشيعة وأصولها محمد الحسين آل كاشف ص 48، ومصباح الهداية فى إثبات الولاية على الموسوى ص 190 وما بعدها التبيان فى تفسير القرآن محمد بن الحسن الطوسى 3 / 587، والمراجعات عبد الحسين شرف الدين ص 51، والغدير فى الكتاب

والسنة والأدب عبد الحسين الأميني 1/ 21، 216، 223، 225، وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين الحسن بن المطهر الحلبي ص 254، 293، 471 = وما بعدها، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكري المجلد 1/ 493، الشيعة في عقائدهم وأحكامهم لأمير محمد القزويني ص 71، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص 347، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام لأحمد حسين يعقوب ص 247 - 256، ولماذا أنا شيعي محمد حسين الفقيه ص 36، لقد شيعني الحسين أدريس الحسيني ص 358 - 367، الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن النعمان العكبري ص 15-18، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 25، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 97، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 258 وغيرهم 0

(1) انظر : في مكانة هذه الكتب وأصحابها، وما فيها من غلو كتابي الدكتور علي السالوس (مع الشيعة الإثني عشرية) 3/ 135-240، وأثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ص 290-361

(2) السنة المفترى عليها للمستشار البهنساوي ص 136 بتصرف، وانظر : أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ص 276-282 0

(3) أصل الشيعة وأصولها ص 79، 80، وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، للدكتور عمر الفرماوي ص 87 0

والله أعلم

(123/1)

7

أساليب الشيعة في العبث بالسنة المطهرة :

تعد الشيعة الرافضة من أكثر الفرق كذباً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل وعلى آل البيت أيضاً 0

وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية : [ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منه في جميع الطوائف] (1) 0

وسئل الإمام مالك عن الرافضة فقال : "لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون" (2) ويقول شريك

بن عبد الله القاضي -وقد كان معروفاً بالتشيع مع الاعتدال فيه-(3) : "احمل عن كل من لقيت إلا
الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً"(4)0
وقال حماد بن سلمة(5) : حدثني شيخ لهم - يعنى الرافضة - قال : "كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا
شيئاً جعلناه حديثاً"(6).
وقال الإمام الشافعي(7) : "ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة"(8).
ولقد أخذ هؤلاء المتشيعون أعداء الإسلام يصنعون الأحاديث في أغراض شتى حسب أهوائهم
ونحلهم، فمن ذلك أحاديث وضعوها في فضائل الإمام علي -كرم الله وجهه- وآله الكرام كحديث
"من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه - وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته،
وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي"(1) و"أنا ميزان العلم وعلى كفتاه، والحسن والحسين خيوطه،
وفاطمة علاقته، والأئمة منا عموده توزن فيه أعمال الحيين لنا والمبغضين لنا"(2) إلى غير ذلك من
روايات مكذوبة تثبت النبوة لعلي طوراً، والخلافة والوصية بما طوراً آخر على حسب عقائد
الوضاعين وآرائهم(3)0

(124/1)

وكما وضعوا الأحاديث في فضل علي وآل البيت، وضعوا الأحاديث في ذم الصحابة؛ وخاصة
الشيخين وكبار الصحابة، حتى قال ابن أبي الحديد(4) وهو شيعي معتزلي : "فأما الأمور المستيشعة
التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة، وأنه ضربها بالسوط، فصار في عضدها
كالدملج، وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار، فصاحت : يا ابتاه وجعل في عنق عليّ حبلاً يقاد
به، وفاطمة خلفه تصرخ، وابناه الحسن والحسين يبكيان ... ثم أخذ ابن أبي الحديد في ذكر الكثير من
المثالب، ثم قال: فكل ذلك لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبت له أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا
يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله(5) وكذلك وضعوا الأحاديث في ذم معاوية t إذا رأيتم
معاوية على منبرى فاقتلوه"(6) وفي ذم معاوية وعمرو بن العاص-رضى الله عنهما-"اللهم أركسهما
في الفتنة ركساً ودعهما في النار دعا(7)"
وهكذا أسرف غلاة الشيعة الرافضة في وضع الأحاديث بما يتفق مع أهوائهم، والتي بلغت من الكثرة
حداً مزعجاً0 حتى قال الخليلي(1) في الإرشاد : "وضعت الرافضة في فضائل علي وأهل بيته نحو
ثلاثمائة ألف حديث"(2) ومع ما في قوله من المبالغة فإنه دليل على كثرة ما وضعوا من الأحاديث0

ويكاد المسلم يقف مذهولاً من هذه الجرأة البالغة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لولا أن يعلم أن هؤلاء الرافضة أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الإسلام، أو ممن أسلموا ولم يستطيعوا أن يتخلوا عن كل آثار ديانتهم القديمة، فانقلبوا إلى الإسلام بعقلية وثنية لا يهمها أن تكذب على صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - لتؤيد حباً ثاوياً في أعماق أفئدتها، وهكذا يصنع الجاهل والأطفال حين يحبون وحين يكرهون⁰

(125/1)

وقد ضارعههم الجهلة من أهل السنة، فقابلوا -مع الأسف- الكذب بكذب مثله وإن كان أقل منه دائرة وأضيق نطاقاً⁽³⁾ ومن ذلك حديث "ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقة منها لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين"⁽⁴⁾ . كذلك قابلهم المتعصبون لمعاوية والأمويين، فوضعوا أحاديث مثل قولهم "الأمناء ثلاثة، أنا وجبريل ومعاوية"⁽⁵⁾ و"لا افتقد في الجنة إلا معاوية فيأتي آنفاً بعد وقت طويل، فأقول : من أين يا معاوية، فيقول من عند ربي ينجيني وأناجي، فيقول : هذا بمانيل من عرضك في الدنيا"⁽⁶⁾ . وكذلك فعل المؤيدون للعباسيين فوضعوا إزاء حديث وصاية علي المكذوب وصاية العباس ونسبوا إلى النبي قوله : "العباس وصبي ووارثي"⁽¹⁾ إلى غير ذلك من الأكاذيب والتي طفحت بها كتب الموضوعات⁰

ولولا رجال صدقوا في الإخلاص لله - سبحانه -، ونصبوا أنفسهم للدفاع عن دينهم، وتفرغوا للذب عن سنة رسول الله وأفنوا أعمارهم في التمييز بين الحديث الثابت وبين الحديث المكذوب، وهم أئمة السنة وأعلام الهدى - لولا هؤلاء لا اختلط الأمر على العلماء والدهماء، ولسقطت الثقة بالأحاديث⁽²⁾ نتيجة حركة الوضع التي كثرت في أهل البدع والأهواء والجهلة من أهل السنة، إلا أنه تبدوا خطورة الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل البدع بسبب أهدافهم الخبيثة للنيل من الإسلام وتشويه صورته بما يضعونه من خرافات⁰

فالجهلة من أهل السنة؛ وإن قابلوا مع الأسف كذب الشيعة بكذب مثله، إلا أنهم لم يحاولوا العبث والكيد للسنة المطهرة كما فعل الشيعة، وهذا لا ينفي عن الوضعيين من الفريقين إثم الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وعن مكاييد الشيعة للسنة ومحاولاتهم العبث بها يقول العلامة الألوسي⁽³⁾ :

1- إن جماعة من علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث أولاً، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين من أهل السنة فضلاً عن العوام. ولكن الله سبحانه وتعالى قد تفضل على أهل السنة، فأقام لهم من يميز بين الطيب والخبيث، وصحيح الحديث وموضوعه، حتى أنهم لم يخف عليهم وضع كلمة واحدة من الحديث الطويل⁰

2- ومن مكايدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعترين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدى فهما رجلان؛ أحدهما السدى الكبير، والثاني السدى الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة(1)، والصغير من الوضعين الكذابين وهو رافضى غال(2).

3- ومن مكايدهم أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنة مشتملة على مطاعن في الصحابة، وبطلان مذهب أهل السنة، وذلك مثل كتاب (سر العالمين) فقد نسبوه إلى الإمام الغزالي(3) -رحمه الله تعالى- وشحنوه بالهذيان، وذكروا في خطبته على لسان ذلك الإمام وصيته بكتمان هذا السر وحفظ هذه الأمانة وما ذكر في هذا الكتاب فهو عقيدتي، وما ذكر في غيره؛ فهو للمداهنة، فقد يلتبس ذلك على بعض القاصرين ... نسأل الله - عز وجل - العصمة من الزلل⁰

4- ومن مكايدهم أنهم يذكرون أحد علماء المعتزلة، أو الزيدية أو نحو ذلك، ويقولون: إنه من متعصبى أهل السنة، ثم ينقلون عنه ما يدل على بطلان مذهب أهل السنة، وتأييد مذهب الإمامية الإثنى عشرية ترويحاً لضلالهم؛ كالزحشرى صاحب الكشف الذى كان معتزلياً تفضيلاً، والأخطب الخوارزمي؛ فإنه زيدى غال، وابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة الذى هو من غلاة الشيعة على حد قول، ومن المعتزلة على قول آخر، وهشام الكلبي، وكذلك المسعودى صاحب مروج الذهب، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني وغيرهم، وقصدوا بذلك إلزام أهل السنة بما لهم من الأقوال، مع أن حالهم لا تخفى حتى على الأطفال(4).

المبحث الرابع

التعريف بالمعتزلة وموقفهم من السنة النبوية

تمهيد :

المعتزلة : اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجرى ما بين سنة 105 وسنة 110هـ بزعامه رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال، ونشأت هذه الفرقة متأثرة بشق الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وقد أصبحت المعتزلة فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشاراً واسعاً، وعن كثرتهم وانتشارهم يقول الشيخ جمال الدين القاسمي "هذه الفرقة من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها تابعاً، فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية، والشامية، والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن 0 فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول كما قاله العلامة المقبلي في "العلم الشامخ" وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين، بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة فضلاً عن أن يظن أنهم انقرضوا وأن لا فائدة من المناظرة معهم، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها(1)0

(128/1)

والمعتزلة : قوم من المتكلمين فتنهم؛ الفلسفة اليونانية، والمنطق اليوناني، وما نقل من الفلسفة الهندية، والأدب الفارسي، وقد كانوا كلهم أو جمهورهم ممن ينتمون إلى أصل فارسي فأولوا القرآن الكريم لينسجم مع الفلسفة اليونانية، وكذبوا الأحاديث التي لا تتفق مع هذه العقلية اليونانية الوثنية، واعتبروا فلاسفة اليونان أنبياء العقل الذي لا خطأ معه(2)، المحقق الكبير محمد محيي الدين عبد الحميد : وكان أول من استعان بالفلسفة اليونانية، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحت من أقوال فلاسفة اليونان، وبعضها يستقى من نبعه ويعترف من معينه بشئ من التحوير والتعديل (3)0 فكثيراً ما تطالعنا في كتب الفرق أثناء الحديث عن أحد المعتزلة أو تحليل مبدأ من مبادئهم عبارات تثبت تأثرهم بهذه المصادر الأجنبية مثل : "قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة"(1) ومثل : "اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة"(2) و"هذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة"(3) ومثل : "قد أخذ العلاف عن أرسطو طاليس"(4)0

والمعتزلة حين حاولت في أول الأمر أن تواجه المتكلمين في الديانات السالفة للإسلام والمذاهب المنحرفة، استطاعت أن تحقق نتائج طيبة، ولكنها حين استقلت بنفسها وخرجت عن حدودها لتقيم لنفسها منهجاً عقلائياً خالصاً يستعلى على مفهوم الإسلام الجامع؛ فإنها قد انحرفت انحرافاً شديداً واخطأت خطأ بالغاً، وكان نتيجة طبيعية لتأثرها بشقى الاتجاهات الموجودة في عصرها، ثم أثرت هي الأخرى بعد ذلك في تلك الاتجاهات الفكرية قديماً (5)، وتأثر بها حديثاً كثير من خصوم الإسلام، وأعداء السنة، حيث وجدوا في مذهبهم الفكري عساً يفرخون فيه بمفاسدهم وآرائهم، ويطلقون من قنواته دسهم على الإسلام والسنة النبوية المطهرة 0هـ(6)0

(129/1)

وترجع بداية نشأة المعتزلة كفرقة ذات اتجاه سياسى ومنهج فكرى، إلى ما وقع بين الحسن البصرى (7)، وواصل بن عطاء من خلاف في حكم مرتكب الكبيرة، حين سئل الحسن البصرى عن ذلك، فبادر واصل بن عطاء إلى الجواب قبل أن يجيب الحسن البصرى، ومن هنا تطور الأمر إلى اعتزال واصل ومن معه حلقة الحسن البصرى، فسموا معتزلة، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء (1)0 وقد ضعف هذا رأى الدكتور أحمد أمين، وأياً كانت بداية نشأتهم، فالذى يعيننا ويهمننا هنا في هذا المقام هو أصول مذهبهم الفكرى، وأثرها على السنة المطهرة 0 وإذا كانت المعتزلة قد تفرقت إلى فرق كثيرة تصل إلى اثنتين وعشرين فرقة واختلفوا في المبادئ والتعاليم إلى حد تكفير كل فرقة الأخرى، إلا أنه يجمعهم إطار عام، وهو الاعتقاد بالأصول الخمسة :

1- التوحيد على طريقة الجهمية 0

2- العدل على طريقة القدرية 0

3،4،5 - والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طريقة

الخواارج (2)0

ولقد حددها على هذا النحو الخياط (3)، صاحب الانتصار عندما قال : "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس؛ فهو معتزلى (4)0

يقول الدكتور محمد عمارة : "وإذا كان هذا التحديد لهذه الأصول الخمسة قد شاع الشبوع الأكبر، وانتشر الانتشار الأعم لدى أهل العدل، والتوحيد، كما شاع عنهم لدى كتاب المقالات، فإننا نجد الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسى (ت - 246هـ) وهو معاصر لأبي الهذيل العلاف يحدد هذه الأصول بأنها :

1- التوحيد، 2- والعدل، 3- والوعد والوعيد، 4- والمنزلة بين المنزلتين، 5- والقرآن الكريم والسنة المطابقة له، 6- وأصل سادس يمكن أن نسميه العدالة الاجتماعية، والمالية، والاقتصادية0

(130/1)

بينما نجد هذه الأصول عند مفكر آخر هو أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت 840هـ) على النحو المشهور عند المعتزلة، وبدلاً من أصل الوعد والوعيد أصل آخر وهو :
تولى الصحابة والاختلاف في عثمان t بعد الأحداث والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص -رضى الله عنهما-0

يقول الدكتور عمارة : "ومعنى هذا أن خلاف أهل العدل والتوحيد - ولا نقول المعتزلة - حول هذه الأصول، هو أمر غير مستبعد تماماً، وإن عدتها الأغلبية الساحقة من مفكريهم خمسة، على النحو الذى قدمناه في أول هذا الحديث، وإذا فليس خلافهم فقط في فروع هذه الأصول، كما يقول البعض، بل وأحياناً في بعض هذه الأصول(1)0
ومعنى هذه الأصول إجمالاً :

1- التوحيد : وهم يقصدون به البحث حول صفات الله تعالى، وما يجب له، وما يجوز، وما يستحيل، وفي هذا الأصل نفوا أن يكون لله تعالى صفات أزلية من علم، وقدرة، وحياة، وسمع، وبصر، بل، الله عالم، وقادر، وحى، وسميع، وبصير بذاته، وليست هناك صفات زائدة مع ذاته، وتأولوا الآيات التى تثبت هذه الصفات، والتى يفهم منها أن له صفات كصفات المخلوقين، ورفضوا الأحاديث التى تثبت هذه الصفات أيضاً، وحجتهم في إنكار صفات الله - سبحانه - أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء وهو شرك على حد زعمهم0 ولأن إثبات الصفات يوحى يجعل كل صفة إلهاً، والمخرج من ذلك هو نفى الصفات وإرجاعها إلى ذات البارئ تعالى، فيقال عالم بذاته، قادر بذاته إلخ، وبذلك يتحقق التوحيد في نظرهم، والمعتزلة في نفهم الصفات وتعطيلها وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة وافقوا بذلك الجهمية (المعطلة) ... فهم الذين أحيوا آرائهم،

ونفخوا في رمادها، وصيروها جمرًا من جديد، ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية أو معطلة(1)، وبناء على هذا الأصل أطلق المعتزلة على من عاداهم وخصوصاً أهل السنة أسماء جائرة مثل المشبهة، والحشوية0

(131/1)

وسموا أنفسهم أهل التوحيد، والمنزهون لله، حيث نفوا الصفات عنه(2) وسيأتي الرد عليهم في الباب الثالث0

2- العدل : وهم يقصدون به البحث في أفعال الله - سبحانه - التي يصفونها كلها بالحسن، ونفى القبح عنها، بما فيه نفى أعمال العباد القبيحة، وتحت ستار العدل؛ نفوا القدر، وأسندوا أفعال العباد إلى قدرتهم وأهم الخالقون لها مع أنهم يؤمنون بأن الله تعالى بكل ما يعمل به العباد، وأنه تعالى هو الذى أعطاهم القدرة على الفعل أو الترك(3)0

والمعتزلة لنفيهم القدر يلقبون؛ بالقدرية لموافقتهم للقدرية في إنكار القدر، وهم يسمون أيضاً؛ بالثنوية، والمجوسية؛ لقولهم إن الخير من الله، والشر من العبد، فوافقوا بذلك الثنوية، والمجوسية الذين يقررون وجود إلهين أحدهما للخير، والآخر للشر، وهم لا يرضون بهذه الأسماء السابقة من القدرية، والثنوية، والمجوسية، ويرضون باسم أهل العدل لنفيهم القدر، ولأن أهل السنة يثبتون القدر لله -

سبحانه - ويؤمنون به خيره وشره، حلوه ومره، فهم يطلقون عليهم القدرية المجبرة(4)0 وبناء على هذا الأصل (العدل) الذى يعنى نفى القدر؛ تأولوا الآيات التى تفيد إثبات القدر لله - سبحانه - كقوله تعالى : {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}(5)0 وقوله تعالى : {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}(6)0 وقوله تعالى : {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}(1)0 ووقفوا من أحاديث القدر موقف الإنكار؛ فردوا الأحاديث الصحيحة التى تثبت القدر، وسيأتى تفصيل ذلك، والرد عليه في الباب الثالث0

(132/1)

3- الوعد والوعيد : وهم يقصدون به أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب فيجب على الله - تعالى الله عن ذلك - أن ينفذ وعده ووعيده؛ بأن يعطى العبد أجر ما كلفه به من طاعات

استحقاقاً منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التي اختارها الله وكلف بها عباده، وكذلك يجب على الله أن ينفذ وعيده فيمن عصاه، ويلزم على هذا الأصل أن الله - سبحانه - لا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد؛ لأن ذلك يكون بخلف الوعيد والكذب، والله - سبحانه - لا يجوز عليه الخلف والكذب، وبمقتضى هذا الأصل فإن أصحاب الكبائر من عصاه المؤمنين إذا ماتوا من غير توبه؛ فإنهم يستحقون بمقتضى الوعيد من الله النار خالدين فيها إلا أن عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار(2)0

وبناء على هذا الأصل تأولوا الآيات التي تفيد بأن الله - سبحانه - يعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء؛ كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}(3)0 وقوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(4)0

واستدلوا بالآيات الواردة في نفى الشفاعة عن غير المؤمنين الفائزين؛ كقوله تعالى: {وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}(5) وكذا قوله تعالى {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}(6) إلى غير ذلك من الآيات الواردة بهذا المعنى(0) وبناءً على هذا الأصل أيضاً ردوا الأحاديث الواردة في شفاعة عصاة المؤمنين من أهل الكبائر، والأحاديث التي تفيد أنهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم، وإن شاء غفر لهم(0) وسيأتى تفصيل ذلك والرد عليه في الباب الثالث(0)

(133/1)

4- المنزلة بين المنزلتين : وهم يقصدون بها أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر؛ فهو ليس بمؤمن ولا كافر، لكنه في منزلة بينهما فاسق، والفاسق يستحق النار والمعتزلة بقولهم بهذا الأصل وافقوا الخوارج؛ لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة، وحاربوهم، والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار، ولم تجسر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم، فضلاً عن قتال جمهور مخالفيهم، ولهذا قيل للمعتزلة : إنهم مخانيث الخوارج(1)0

ويعد هذا الأصل الرابع هو نقطة البدء في تاريخ المعتزلة كما سبق في نشأتهم(0)

وكان لهذا الأصل أثره السيئ في موقف المعتزلة من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وخصوصاً أصحاب الجمل، وصفين من الفريقين؛ على، ومعاوية - رضى الله عن الجميع - كما

سيأتي 0

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هذا الأصل توافق فيه أهل السنة والمعتزلة، واتفقوا على أنه من الواجبات على الكفاية، وهو ما قرره المولى - سبحانه - في كتابه العزيز {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (2)0 إلا أنه وقع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة فيما يلي :

أ- حملهم الناس على المعروف والمنكر في مذهبهم وإلزامهم به، ويبدووا هذا واضحاً في محنة خلق

القرآن 0

ب- طريقة تغيير المنكر؛ ساروا فيها عكس الحديث الوارد عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، في بيان موقف المسلم من المنكر إذا رآه وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : "من رأى منكم منكراً؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع؛ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (3) بينما تغيير المنكر عندهم يبدأ بالحنسى، ثم باللسان، ثم باليد، ثم بالسيف على عكس ما يرشد إليه الحديث، ويذهب إليه أهل الحق 0

ج- حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم سواء كانوا من الكفار أو من أصحاب المعاصي من أهل القبلة 0

(134/1)

د- أوجبوا الخروج على السلطان الجائر، وهم في كل ذلك متأثرون بتنطع الخوارج (1)0 وخلاصة هذا الأصل عندهم أنهم قالوا : "علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا" (2)0 ومن فوارق الأصول عند المعتزلة ما ذهب إليه الإمام القاسم الرسى : "أن القرآن الكريم فصل محكم، وصراط مستقيم، ولا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى (3)0

وفي هذا الأصل الخامس بيان لموقفهم السيئ من سنة المعصوم - صلى الله عليه وسلم - ، فهم لا يأخذون إلا بالسنة الموافقة للقرآن فقط، ولا يأخذون بالسنة المستقلة، وهذا الموقف له أثره السيئ حيث اتخذوه منهجاً خاصاً بهم حكموا من خلاله على سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهو عرض الحديث على القرآن الكريم، فما خالفه ولو مخالفة ظاهرة يمكن الجمع بينهما ردوه حتى ولو كان في أعلى درجات الصحة 0

ومن فوارق الأصول عند المعتزلة أيضاً ما ذهب إليه أحمد بن يحيى المرتضى؛ تولى الصحابة، والاختلاف في سيدنا عثمان t بعد الأحداث، والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص - رضى الله عنهما-0

فاتفق المعتزلة على صحة خلافة أبي بكر، حتى من قال منهم بأفضلية عليّ على أبي بكر - رضى الله عنهما - حيث أنهم رأوا علياً بايع أبا بكر غير مكره، فلا بد أن تكون بيعته صحيحة، فإذا وصلنا إلى سيدنا عثمان t، نرى الخياط المعتزلى يقول : إن واصل بن عطاء وقف في عثمان وفي خاذليه وقتليه وترك البراءة من واحد منهم؛ لأنه أشكل عليه الأمر بين حالته المحمودة قبل أحداث السنين الست الأواخر وبعدها، فتعارضت عنده الأدلة، فترك أمره لله(1) ومثل ذلك قول أبو الهذيل العلاف(2) قال : "لا ندرى أقتل عثمان ظالماً أو مظلوماً"(3)0

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحروب التي كانت مع علي ومعاوية -رضى الله عنهما، رأينا أن واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وجعفر بن مبشر، يؤيدون وجهة نظر عليّ بن أبي طالب ويتبرأون من معاوية وعمرو بن العاص ومن كان في شقهما"(4)0

(135/1)

بل إن البلخي(5) وهو أحد شيوخ المعتزلة رمى عمرو بن العاص ومعاوية - رضى الله عنهما - بالإلحاد(6) ونعوذ بالله - سبحانه - من الخذلان0 وهكذا كان المعتزلة في أصولهم مخالفين لأهل السنة في مفهوم الإسلام الجامع، وكان لهذه الأصول الأثر السيئ على الإسلام "قرآناً وسنة" وعلى المسلمين0 موقف المعتزلة من السنة المطهرة :

لما كان المعتزلة لا يؤمنون إلا بما يتفق مع عقولهم وأصولهم الخمسة، وكان هناك من الأحاديث النبوية ما يهدم مذهبهم ويناقض أدلتهم، كان موقفهم من السنة غاية في الخطورة، ولا نكاد نكون مبالغين إذا قلنا : بأنهم كادوا يهدمون المصدر الثاني للتشريع الإسلامى، فهم تناقضوا في موقفهم من السنة ونشأ التناقض بتشبثهم بالعقل إلى ما يشبه تقديسه وتأليه، ورفض ما يتعارض معه أو تأويله بما لا يخالف رأيهم، ولذلك وقعوا في كثير من الهنات والتناقضات دفعتهم إليها نزعتهم العقلية0 موقفهم من الخبر المتواتر :

درج المعتزلة على مخالفة إجماع الأمة على إفادة المتواتر القطع0 فذهب بعضهم إلى إنكار حجية

المتواتر وإفادته العلم، وتجويز وقوعه كذباً، وحكى الإمام أبو منصور البغدادى ذلك عن "النظامية"، وهم فرقة من المعتزلة فقال فى الفضيحة السادسة عشرة من فضائح النّظام (1) : قوله بأن الخبر المتواتر مع خروج ناقله عند سماع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف هم الناقلين واختلاف دواعيها يجوز أن يقع كذباً، هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد ما يوجب العلم الضرورى 0 وقد كفره أصحابنا مع موافقيه فى الاعتزال فى هذا المذهب الذى صار إليه (2) 0

(136/1)

ثم قال فى الفضيحة السابعة عشرة من فضائحه : "تجويزه إجماع الأمة فى كل عصر، وفى جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأى والاستدلال، ويلزمه على هذا الأصل أن لا يقف بشئ مما اجتمعت الأمة عليه، لجواز خطئهم فيه عنده، وإذا كانت أحكام الشريعة منها ما أخذه المسلمون عن خبر متواتر، ومنها ما أخذوه عن أخبار الآحاد، ومنها ما أجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهاد وقياس، وكان النظام دافعاً لحجة التواتر، ولحجة الإجماع، وقد أبطل القياس وخبر الواحد إذا لم يوجد العلم الضرورى، فكأنه أراد إبطال أحكام فروع الشريعة لأبطاله طرقها 0 (3) 0 والمعتزلة : هم أول الفرق التى اشتترطت فى قبول الأخبار العدد كما فى الشهادة، وما أرادوا بذلك الشرط إلا تعطيل الأخبار والأحكام الواردة فيها 0 وفى ذلك يقول الإمام الحازمى (4) : "ولا أعلم أحداً من فرق الإسلام القائلين بقبول خبر الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة؛ فإنهم قاسوا الرواية على الشهادة، واعتبروا فى الرواية ما اعتبروا فى الشهادة، وما مغزى هؤلاء إلا تعطيل الأحكام كما قال أبو حاتم ابن حبان (1) 0 (1) 0 وها هم رؤساء المعتزلة يصرحون باشتراط العدد ويتناقضون فى نسبته 0

(137/1)

فيحكى الإمام أبو منصور البغدادى عن الهذيلية وهم فرقة من المعتزلة فقال فى الفضيحة السادسة من فضائح أبى الهذيل قوله : إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيما سواها، لا تثبت بأقل من عشرين نفساً فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولم يوجب بأخبار الكفرة والفسقه حجة وإن بلغوا عدد التواتر الذين لا يمكن تواطؤهم على

الكذب إذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة، وزعم أن خبر ما دون الأربعة لا يوجب حكماً، ومن فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم، وقد لا يقع العلم بخبرهم، وخبر العشرين إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة، واستدل على أن العشرين حجة بقول الله تعالى : {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} (2) وقال : لم يبح لهم قتالهم إلا وهم عليهم حجة، وهذا يوجب عليه أن يكون خبر الواحد حجة موجبة للعلم؛ لأن الواحد في ذلك الوقت كان له قتال العشرة من المشركين، فيكون جواز قتاله لهم دليلاً على كونه حجة عليهم⁰ قال الإمام عبد القادر البغدادي : ما أراد أبو الهذيل باعتبار عشرين في الحجة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها لأنه أراد بقوله : "ينبغي أن يكون فيهم واحد من أهل الجنة، واحداً يكون على بدعته في الاعتزال والقدر وفي فناء مقدورات الله - سبحانه - لأن من لم يقل بذلك لا يكون عنده مؤمناً ولا من أهل الجنة، ولم يقل قبل أبي الهذيل أحد ببدعة أبي الهذيل حتى تكون روايته في جملة العشرين على شرطه⁰⁽³⁾

(138/1)

ونقل الإمام الآمدي في الإحكام : اتفاق الجمهور من الفقهاء، والمتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة على أن العلم الحاصل عن خبر التواتر ضروري⁰ وقال الكعبي⁽¹⁾ وأبو الحسين البصري⁽²⁾ من المعتزلة، والدقاق⁽³⁾ من أصحاب الشافعي؛ أنه نظري⁰⁽⁴⁾ ثم اختلف هؤلاء في أقل عدد يحصل معه العلم⁰⁽⁵⁾

ويحكي الإمام ابن حزم مثل ما حكاه الحافظ الحازمي : من أن المعتزلة : هم أول من اشتراطوا العدد في قبول الأخبار، فخالفوا بذلك جميع أهل الإسلام فقال : "إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة على النبي - صلى الله عليه وسلم - يجرى على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة، والخوارج، والشيعة، والقدرية حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع بذلك، ولقد كان عمرو بن عبيد يتدين بما يروى عن أبي الحسين البصري من المعتزلة ويفتي به، هذا أمر لا يجهله من له أقل علم⁰⁽⁶⁾

وإذا كان الحازمي حكى في شروط الأئمة الخمسة عن بعض متأخري المعتزلة اشتراط العدد في الرواية كما في الشهادة، وحكى ذلك أيضاً عن بعض أصحاب الحديث كما حكاه السيوطي⁰⁽⁷⁾ فقد أجاب شيخ الإسلام ابن حجر t عن حكاية ذلك الشرط عن بعض أصحاب الحديث بقوله :

"وقد فهم بعضهم ذلك من خلال كلام الحاكم(1) في معرفة علوم الحديث، وفي المدخل إلى الأكليل عند كلامه في شرط البخارى ومسلم، وبذلك جزم ابن الأثير(2) في مقدمة جامع الأصول وغيره، ولا حجة لهم فيما فهموه، ومنقوض بما في الصحيحين من الغرائب الصحيحة التي تفرد بها بعض الرواة"(3)0

يقول الحافظ ابن حجر : وقد وهم بعضهم حيث نسب إلى الحاكم أنه ادعى أن شرط الشيخين رواية الاثنين، ولكنه غلط على الحاكم (4)0
موقفهم من خبر الآحاد :

(139/1)

وتناقض المعتزلة في حجية خبر الآحاد، فحكى الآمدى(5) عن أبي الحسين البصرى جواز التعبد بخبر الواحد عقلاً(6)، وحكى الإمام الجوينى(7) عن قوم من المعتزلة، والرافضة قالوا : [لا يجوز العمل به شرعاً] (1)0 ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادى عن الخياط المعتزلى، أنه مع ضلالته في القدر، وفي المدعومات؛ منكر الحجة في أخبار الآحاد، قال الأستاذ أبو منصور، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة، فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد(2)0
تناقض المعتزلة في العدد المطلوب لقبول خبر الآحاد :

ومن قبل خبر الآحاد من المعتزلة تناقض في العدد المطلوب لقبوله، وذهب إلى عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط :

فأما تناقضهم في العدد المطلوب لقبوله0 فحكى عن أبي على الجبائى "أنه لا يقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة"(3)0 وحكى عنه أيضاً قوله : "لا يقبل في الشرعيات أقل من اثنين"(4)، ونقل عنه أيضاً قوله : "يعتبر عدد يزيد عن شهود الزنا"(5)0

واشترط رجلين عن رجلين "إسماعيل بن إبراهيم بن عليه"(6) وهو من الفقهاء المحدثين، إلا إنه مهجور القول عند الأئمة لميله إلى الاعتزال، وقد كان الإمام الشافعى يرد عليه ويحذر منه0
ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادى : "أن بعضهم اشترط في قبول الخبر : أن يرويه ثلاثة عن ثلاثة إلى منتهاه، واشترط بعضهم أربعة عن أربعة إلى منتهاه، وبعضهم خمسة عن خمسة إلى منتهاه، وبعضهم سبعة عن سبعة"(7)0

أما من ذهب إلى عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط؛ فاشتراط :

- 1- ألا يخالف ظاهر القرآن الكريم، وهو أحد أصولهم كما سبق، فإذا ورد الحديث مخالفاً لظاهر القرآن الكريم؛ كان دليلاً على عدم صحته حتى مع إمكان الجمع بين هذا التعارض الظاهري، وهذا الشرط أصل من أصول أهل الزيغ والابتداع من الخوارج والجهمية والجبرية والمعتزلة كما حكاه عنهم الأئمة : ابن قيم الجوزية(1)، والشاطبي(2)، وابن قتيبة(3) وغيرهم0

(140/1)

- 2- كما اشترط بعضهم ألا يخالف خبر الآحاد العقل: قال أبو الحسين: لم يقبل ظاهر الخبر في مخالفة مقتضى العقل، لأننا قد علمنا بالعقل على الإطلاق أن الله - سبحانه - لا يكلف إلا ما يطاق وأن ذلك قبيح، فلو قبلنا الخبر في خلافه، لم يخل، إما أن نعتقد صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك فيجتمع لنا صدق النقيضين، أو لا نصدقه فنعدل عن مدلول المعجز وذلك محال(4)0
- 3- كما ذهب فريق الاعتزال إلى أن خبر الآحاد لا يقبل فيما طريقه الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد إنما ينبني على اليقين لا الظن، وخبر الآحاد إنما يفيد الظن(5)، وأما اليقين فإنما يؤخذ من حجج العقول؛ كما قال الجاحظ(6) : وما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل(7)0 وقال : والاستنباط هو الذي يفرض بصاحبه إلى برد اليقين، وعز الثقة، والقضية الصحيحة، والحكم المحمود(8)0

وقال القاضي عبد الجبار(1) : وإن كان - أى خبر الآحاد - مما طريقه الاعتقادات ينظر، فإن كان موافقاً لحجج العقول قبل واعتقد بموجبه، لا لمكانة بل للحجة العقلية، وإن لم يكن موافقاً لها، فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقله، وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن غيره، هذا إذا لم يحتمل التأويل إلا بتعسف، فأما إذا احتمله فالواجب أن يتأول(2)0 بل زعموا أن من أخبار الآحاد ما يعلم أنه بروايته ارتكب عظيماً، مما روى في باب التشبيه والجبر وغيرها من ضروب الخطأ، ولولا الدلالة على وجوب العمل به على بعض الوجوه لم يكن في نقله فائدة(3)0 وسيأتى الجواب عن هذه الشروط في الرد على شبه منكري حجية خبر الآحاد0 موقف المعتزلة من الصحابة وأثر ذلك على السنة النبوية :

(141/1)

موقف المعتزلة من الصحابة - رضي الله عنهم -، لا يقل سوءً وخطراً من موقف الشيعة من الصحابة وأول ما يطالعنا من موقفهم من الصحابة أحد أصولهم الواردة على لسان أحمد بن يحيى بن المرتضى، وهو تولى الصحابة، والاختلاف في عثمان بعد الأحداث، والبراءة من معاوية وعمر بن العاص⁰ وهذا الأصل كما سبق هو أحد الفوارق في الأصول عندهم فهم وإن صححوا خلافة أبي بكر الصديق t حتى من قال منهم بأفضلية على بن أبي طالب إلا أننا نجد النظام يتناول عليه، وعلى كثير من أعلام الصحابة كالفاروق عمر، وعثمان، وعلى، وابن مسعود، وأبي هريرة وغيرهم⁰ فلا ندري ماذا يعنون بتولى الصحابة قبل اختلافهم في سيدنا عثمان t⁰ حتى إذا كانت فتنة سيدنا عثمان t رأيانهم يشكون في عدالته، فيعلنون التوقف فيه وفي خاذلية وقاتليه وترك البراءة من واحد منهم، لأنهم أشكل عليهم الأمر في حاله t قبل الفتنة وبعدها، فتزكوا أمره لله - عز وجل -⁰ وهذا التوقف والشك في عدالة أمير المؤمنين، حكاها كما سبق الحياط عن واصل بن عطاء، وقال الحياط : هذا قول لا تبرأ المعتزلة منه، ولا تعتذر من القول به⁽¹⁾ حتى إذا كانت فتنة على بن أبي طالب ومعاوية - رضي الله عنهما - رأيانهم ما بين موقن بفسق إحدى الطائفتين لا بعينها، وما بين موقن بفسقهما معاً، وأعلنوا البراءة من معاوية، وعمر بن العاص ومن كان في شقهما⁽²⁾، بل إن البلخي وهو أحد شيوخ المعتزلة تجرأ برميها - رضي الله عنهما - بالإلحاد، كما سبق⁽³⁾

(142/1)

حكى الإمام عبد القادر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) عن شيخ المعتزلة واصل ابن عطاء زعمه أن فرقة من الفرقتين (أصحاب الجمل وصفين) فسقه لا بأعيانهم، وأنه لا يعرف الفسقة منهما، وأجازا أن يكون الفسقة من الفرقتين علياً وأتباعه، كالحسن، والحسين، وابن عباس، وعمار بن ياسر، وأبي أيوب الأنصاري، وسائر من كان مع على يوم الجمل، وأجازا كون الفسقة من الفرقتين عائشة، وطلحة، والزبير، وسائر أصحاب الجمل، ثم قال في تحقيق الفرقتين لو شهد على، وطلحة، أو على، والزبير، أو رجل من أصحاب الجمل عندى على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما، لعلمى بأن أحدهما فاسق لا بعينه، كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمى بأن أحدهما فاسق لا بعينه، ولو شهد

رجلان من إحدى الفرقتين أيهما كان قبلت شهادتهما⁰
يقول الإمام البغدادي : "ولقد سخرت عيون الرافضة القائلين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة في عدالة
على واتباعه، ومقالة واصل في الجملة كما قلنا في بعض أشعارنا :
مقالة ما وصلت بواصل بل قطع الله به أوصالها(4)
وإذا كان واصل بن عطاء أيقن بفسق إحدى الفرقتين لا بعينها، فقد أيقن بفسقهما معاً وصرح بذلك
عمرو بن عبيد كما حكاه عنه البغدادي(1)0

(143/1)

وعن طعن المعتزلة في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - قال الإمام البغدادي في الفضيحة
الحادية والعشرون من فضائح النظام : "ثم إن النظام - مع ضلالاته التي حكيناها عنه - طعن في
أخبار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظ عنه في كتاب (المعارف) وفي
كتابه المعروف بـ (الفتيا) أنه عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة t، وزعم أن أبا
هريرة كان أكذب الناس، وطعن في الفاروق عمر t وزعم أنه شك يوم الحديبية في دينه، وشك يوم
وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأنه كان فيمن نفر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة
العقبة، وأنه ضرب فاطمة، ومنع ميراث العترة، وأنكر تغريب نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة،
وزعم أنه ابتدع صلاة التراويح، ونهى عن متعة الحج، وحرم نكاح الموالى للعرييات... إلخ⁰
... ثم إنه قال في كتابه : [إن الذين حكموا بالرأى من الصحابة، إما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك
جائز لهم، وجعلوا تحريم الحكم بالرأى في الفتيا عليهم، وإما أنهم أرادوا أن يذكروا بالخلاف، وأن
يكونوا رؤساء في المذاهب، فاختاروا لذلك القول بالرأى، فنسبهم إلى إثارة الهوى على الدين، وما
للصحابة - رضي الله عنهم - عند هذا الملحد الفري ذنب غير أنهم كانوا موحدين لا يقولون بكفر
القدرية الذين ادعوا مع الله تعالى خالقين كثيرين](2)0
وقد ذكر الإمام البغدادي بعد ذلك : "أن نسبة النظام الصحابة إلى الجهل والنفاق يترتب عليه خلود
أعلام الصحابة في النار على رأى النظام، لأن الجاهل بأحكام الدين عنده كافر، والمتعمد للخلاف
بلا حجة عنده منافق كافر أو فاسق فاجر، وكلاهما من أهل النار على الخلود(3)0

(144/1)

وهذا الذى ذكره الإمام البغدادى وافقه على أكثر ما فيه الإمام الشهرستانى(4) فى كتابه (الملل والنحل) والإمام ابن قتيبة(1) فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) وقد أغنانا فى الرد على النظام ومن ذهب مذهبه وعلى كل دعاويه واتهاماته الباطلة لصحابة سيدنا رسول الله - رضى الله عنهم - بما لا يدع مجالاً للشك فى تحافت فكرهم وتفاهة رأيهم، وتحقيراً لشأنهم، الإمام ابن قتيبة(2)0 وهكذا يظهر واضحاً أن المعتزلة ما بين شاك فى عدالة الصحابة، منذ عهد فتنة سيدنا عثمان t وما بين موقن بفسق إحدى الطائفتين لا بعينها، وما بين موقن بفسقهما معاً، وما بين طاعن فى أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والكفر والنفاق كالنظام0 مع أن رؤساءهم وخاصة الذين طعنوا منهم فى الصحابة - كانوا من الرقة فى الدين بحيث يصف أحدهم وهو ثمامة بن أشرس - جمهور المسارعين إلى الصلاة بأنهم "حمير" : وكانوا من الشعوبية والكره للعرب بحيث يقول ثمامة نفسه : "انظر إلى هذا العربى يعنى محمد - صلى الله عليه وسلم - ماذا فعل بالناس؟ فماذا ننتظر من هذا الشعوبى الماجن أن يقول عن صحابة رسول الله - رضى الله عنهم -؟ وماذا ننتظر أن يكون رأيه فى السنة التى حققها أئمة الحديث ومحققوهم(3)؟

ولا يقف قدح المعتزلة عند الصحابة فقط، بل يمتد إلى القدح فى التابعين - رضى الله عنهم - وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم0 وربما ردوا فتاويهم وقبحوها فى أسماع العامة لينفروا الأمة عن إتباع السنة وأهلها(4) وسيأتى تفصيل ذلك والجواب عنه فى مبحث عدالة أهل السنة0 وبعد

فإن أصول المعتزلة على اختلافها كان لها أسوء الأثر على الإسلام ورواته حيث وقف المعتزلة بأصولهم من الوحى قرأناً وسنة، ومن الصحابة موقف التحدى، فإذا بدا خلاف فى ظاهر النصوص وبين أصولهم أو رأى لا يرونه أولوا النص بما يخرج عن معناه الحقيقى إلى ما يوافق رأيهم(1) 0

(145/1)

وعن خطورة تأويلهم آيات القرآن الكريم بما يوافق أصولهم يقول الإمام الأشعرى: إن كثيراً من الزائعين عن الحق من المعتزلة، وأهل القدر، مالت بهم أهوائهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً، ولا يصح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين(2)0

ويقول فضيلة الدكتور أبو شهبة - رحمه الله - : المعتزلة من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، وقد صنفوا تفاسيرهم على أصول مذهبهم، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم، شيخ إسماعيل بن عليه، الذى كان يناظر الشافعى، ومثل كتاب أبي على الجبائى، والتفسير الكبير للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمداني والكشاف لأبي القاسم الزمخشري⁰ والمقصود : أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين في رأيهم، ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين : تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن ...، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً، ويدس السم في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى أنه يروج على خلق كثير من أهل السلف، كثير من تفاسيرهم الباطلة^{0(3)هـ} ولا يقف خطر أصولهم عند تأويلهم القرآن الكريم مما لم ينزل به الله سلطاناً، وإنما كان لهذه الأصول خطرهما الأعظم على السنة المطهرة، فما تعارض من الأحاديث الصحيحة مع هذه الأصول، إما يؤولونه تأويلاً يشبه الرد، وإما يصرحون بالرد بحجة أن الخبر آحاد، والآحاد لا يحتج بها في العقائد⁽¹⁾، وهم في كل ذلك يتطاولون على رواة السنة ويطعنون فيهم سواء من صحابة رسول الله - رضي الله عنهم - أو من التابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين⁰

(146/1)

وفي مواقف المعتزلة من الكتاب والسنة والصحابة، وجد أعداء الإسلام وأعداء السنة المطهرة، ثغرات يلجون منها في الكيد لدين الله - سبحانه - - قرآناً وسنة - بما وجدوه من ثروة طائلة من السخافات والمثالب، فسوروا الإسلام في صورة الخرافات، وطعنوا بدورهم في أئمة المسلمين وتاريخهم وحضارتهم الجيدة، وقد اغتر بهم الجهلة في عصرنا الحاضر ونسجوا على منوال أساتذتهم، ورموا علماء المسلمين في كل عصر بكل نقيصة وبهتان، والله يشهد إنهم لكاذبون⁰⁽²⁾ فالمستشرقون، ودعاة التغريب، واللاذينية، وهم يهاجمون السنة اليوم، ويشيرون حولها الشبهات اهتموا بالاعتزال والمعتزلة، لأنهم وجدوا فيهم منهجاً له أثره في إفساد الفكر الإسلامى على العموم، وإبطال حجية السنة وتعطيلها على الخصوص، ويبدو هذا واضحاً في إحيائهم للفكر الاعتزالى والثناء عليه، ووصفهم للمعتزلة بأنهم أغارقة الإسلام الحقيقين، أو وصفهم بالمعتزلة العظام، أو المفكرون الأحرار في الإسلام⁰⁽³⁾

يقول الدكتور أحمد أمين : وفي رأي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة، وعلى أنفسهم جنوا
0(4)

ومن هنا ندرك خطورة تأثير بعض علماء المسلمين الأجلاء من رواد المدرسة العقلية الحديثة بالفكر
الاعتزالي ومنهجه في تعامله مع النصوص قرآناً(5)، وسنة(6)، واستغل ذلك التأثير بعض أعداء
الإسلام، وأعداء السنة المطهرة، في دعوتهم الباطلة، وصبغها صبغة شرعية وذلك بالاستشهاد بأقوال
رواد تلك المدرسة، والزعم بأن منهجهم العقلى المعتزلى، هو المنهج الحق، وربما ادعوا بأنه منهج
سلفنا الصالح(1)0

المبحث الخامس

من الفرق إلى السنة الجامعة

(147/1)

تحت هذا العنوان قال الأستاذ أنور الجندى : "منذ اليوم الأول لظهور حركة "المؤامرة على الإسلام في
القرن الأول للهجرة قامت المواجهة الصادقة والمعارضة الصريحة على يد أهل السنة والجماعة كما
قال محمد بن سيرين(1) - رحمه الله - : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا
سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"(2)0
ومنذ ذلك اليوم وكانت المواجهة بين أهل السنة وأهل البدع والأهواء، واستطاعت السنة كشف
زيفهم ونقص شبهاتهم وبينت بالدليل أنها حركة معادية لها تلتبس في محيط المجتمع الإسلامى خيوطاً
لتدميرها كمقدمة لتدمير النظام الإسلامى نفسه، كما بينت السنة الصلة الوثيقة بين أهل البدع
وأعداء الإسلام من اليهودية، والنصرانية، والمجوسية وغيرهم ممن تطلعون إلى هدم الإسلام عن طريق
فكره بعد أن عجزوا عن هدمه عن طريق دولته0
أولاً : أنكرت السنة التشبيه والتعطيل وكشفت عن أن المشبهة وثنية والمعطلين ملحدون وتعقبت في
نفس الوقت الملحدين والوثنيين وكشفت عنهم0
ثانياً : عارضت السنة إخضاع الإسلام للجدل العقلى ودعت إلى التماس المعين الأول والمنبع
الأصيل "القرآن والسنة"0
ثالثاً : كشفت السنة عن فساد إلهيات أرسطو؛ لأن مقدماتها ونتائجها معارضة أشد المعارضة لمفهوم

التوحيد الخالص، وأبانت أن العقائد مرجعها إلى الكتاب والسنة⁰
رابعاً : استوعبت السنة كل المطامح والآمال التي كانت الفرق المختلفة تنادى بها فجعلت محبة أهل البيت جزءاً من عقيدتها وجعلت العقلانية التي رفعت لواءها المعتزلة شطر المعرفة، وجعلت الوجدانية التي حمل لواءها التصوف شطر المعرفة الأخرى وجعلت اختيار الحاكم على أساس الشورى وليس على أساس النسب أساساً من أسس مفهومها⁰

(148/1)

خامساً : قاومت السنة الاتجاه الزائف نحو القول بوحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد كما قاومت انحرافات الخوارج والشيعة والمعتزلة والمتكلمين والفلاسفة والصوفية فالتقت كل هذه القطاعات في مفهوم جامع⁰

سادساً : كشفت السنة عن أن الفكر الفلسفي لتلك الفرق لا يمكن أن يكون أساساً للفكر الإسلامي، ذلك أن هناك مجموعة من الحقائق الأولية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي والنبوة، وبينت أن الفلسفة ليست قرينة الوحي ولا مناظرة له فهي لا تزيد عن كونها استخداماً للعقل، وهي في أحسن صورها تعمل على أن تعصم الذهن من الخطأ في الاستنباط والبرهان⁰
سابعاً : أصبحت السنة هي البوتقة التي انصهرت فيها كل الثقافات فهي بمثابة النهر الكبير والمذاهب والفرق روافد، وخير ما في هذه الروافد انصهر في مفهوم جامع للأصالة الإسلامية وصب في النهر الكبير، وكان أبلغ ما وصلت إليه هذه الغاية هو قول الإمام الغزالي : إن أساليب القرآن أرجح في سلامة العقيدة والتزام صفاء الفطرة من جملة أساليب اليونان، والصوفية وفي بوتقة السنة أصبح العقل في خدمة الوحي يسير في ضوئه، وأباح فقهاء المسلمين قدراً كبيراً من التأويل والاختلاف في الفروع دون أن يتجاوزوا وجه الانحرافات الهدامة ... إلخ⁰

ووصل كثير من مفكرى الإسلام إلى نفس النتيجة التي وصل إليها الإمام الغزالي، حتى قال إمام الحرمين : "لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام"⁽¹⁾ وقال : "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به"⁽²⁾ وأخرج الخطيب عن الوليد الكرابيسي⁽³⁾ أنه لم حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا : لا قال : فتتهموني؟ قالوا : لا قال : فإني أوصيكم، أتعلمون؟ قالوا : نعم، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم"⁽¹⁾

ثامناً : كشف رجال الأصالة الإسلامية (السنة) أن النزعة العقلية التي دافع عنها المعتزلة كادت تخنق العقيدة وأنها حولتها من يسرها وبساطتها إلى مذهب فلسفى معقد بعيد عن روح الإسلام، وكانت أخطاء المعتزلة : تحكيم العقل فى الوحى، وإعلاء العقل على الوحى⁰

تاسعاً : استطاع مفهوم السنة، وهو مفهوم الأصالة الإسلامية الجامع أن يقضى على الغلو فى كل تلك الفرق وبذلك تعين أن السنة ليست مذهباً معيناً بين المذاهب وليست طرفاً من الأطراف بل هى الحكم بين الأطراف فأهل السنة لأمع هؤلاء ولأمع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف يوافقونهم فيه، وهم براء من باطلهم، فهم حكام بين الطوائف لا يعاملون بدعة ببدعة ولا يرمون باطلاً بباطل، ولا يحملهم شتان قوم ألا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق ويحكمون فى مغالاتهم بالعدل⁰

إن السنة المطهرة هى مدرسة الأصالة الإسلامية التى تجمع خير ما فى الفرق وتحكم بينها وترتفع عن الخلاف حول الأفراد والأشخاص، وتقرر أن هذا الخلاف هو الذى أفسد المفاهيم الإسلامية

أ⁰هـ(2)

- (1) المنتقى فى منهاج الاعتدال ص 22 0
- (2) منهاج السنة لابن تيمية 1 / 13 0
- (3) قال فيه الحافظ ابن حجر : صدوق، يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً، شديداً على أهل البدع⁰ مات سنة 177هـ أو 178هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 1 / 417 رقم 2795، والكاشف 1 / 485 رقم 2276، والثقات للعجلي ص 217، رقم 664، والثقات لابن حبان 6 / 444، ومشاهير علماء الأمصار ص 201 رقم 1353، والثقات لابن شاهين ص 169 رقم 528 0
- (4) منهاج السنة لابن تيمية 1 / 13 0

(5) حماد بن سلمة : هو حماد بن سلمة بن دينار المصرى، أبو سلمة، ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخره، مات سنة 167هـ، له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 238 رقم 1054، وتذكرة الحفاظ 1/ 202 رقم 197، والكاشف 1/ 349، رقم 1220، والثقات للعجلي ص 131 رقم 330، والثقات لابن حبان 6/ 216، ومشاهير علماء الأمصار ص 188 رقم 1243، وشذرات الذهب 1/ 262 0

(6) منهاج السنة لابن تيمية 1/ 13 0

(7) الإمام الشافعى: هو أبو عبد الله، محمد بن أدريس بن العباس بن شافع القرشى المطلبى، الإمام الجليل، صاحب المذهب المعروف، من أشهر مصنفاته "الأم" و"الرسالة" و"أحكام القرآن" مات سنة 204هـ له ترجمة في : طبقات الشافعية لابن السبكي 2/ 71 رقم 14، وشذرات الذهب 2/ 9، ووفيات الأعيان 4/ 163 رقم 558، وطبقات الفقهاء للشافعيين لابن كثير 1/ 3-93 0

(8) منهاج السنة لابن تيمية 1/ 14 0

(1) انظر : اللآلئ المصنوعة للسيوطى 1/ 325، وتنزيه الشريعة لابن عراق 1/ 385، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى ص 367 0

(2) انظر : المقاصد الحسنة للسخاوى ص 97، رقم 189، وتنزيه الشريعة 1/ 397 0

(3) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 93 0

(4) ابن أبي الحديد هو: عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، أبو حامد، الأديب، الفقيه الأصولى، الشيعى الغالى، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمى، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشاغبة في التشيع والأدب، من مؤلفاته "شرح نهج البلاغة" و"الفلك الدائر على المثل السائر" وغير ذلك 0 مات سنة 655هـ له ترجمة في : البداية والنهاية 13/ 213، ووفيات الأعيان 1/ 248، والنجوم الزاهرة 8/ 19، وذيل طبقات الفقهاء للشافعيين للعبادى ص 76، والأعلام 3/ 289 0

(5) شرح نهج البلاغة 1/ 135 0

(6) انظر : اللآلئ المصنوعة 1/ 388، وتنزيه الشريعة 2/ 8، والفوائد المجموعة ص 407 0

(151/1)

(7) انظر : الموضوعات لابن الجوزى 2/ 28، واللآلئ المصنوعة 1/ 390، وتنزيه الشريعة 2/ 16، والفوائد المجموعة ص 407 0

- (1) الخليلي : هو أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني، ثقة حافظ عارف بكثير من علل الحديث ورجاله، عالى الإسناد، كبير القدر مصنف كتاب "الإرشاد في معرفة المحدثين" مات سنة 446هـ له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي ص 430 رقم 973، والعبر 3/ 211 وتذكرة الحفاظ للذهبي 3/ 1123 رقم 1008 0
- (2) الإرشاد في معرفة المحدثين ص 12 0
- (3) السنة ومكانتها في التشريع ص 81، 80 بتصرف 0
- (4) انظر : اللآلئ المصنوعة 1/ 292، وتنزيه الشريعة 1/ 350، والفوائد المجموعة ص 342 0
- (5) انظر : تنزيه الشريعة 2/ 4، والفوائد المجموعة ص 404 0
- (6) انظر: الموضوعات لابن الجوزي 2/ 23، والالآئ المصنوعة 1/ 387، وتنزيه الشريعة 2/ 7،
الفوائد المجموعة ص 406 0
- (1) انظر : الموضوعات 2/ 31، والالآئ المصنوعة 1/ 393، وتنزيه الشريعة 2/ 10، والفوائد
المجموعة ص 402 0
- (2) الباعث الحثيث للأستاذ محمد شاکر ص 72 0
- (3) الألوسي: هو محمود شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني أبو المعالى، عالم بالأدب والدين، والتاريخ، ومن الدعاة إلى الإصلاح، من مصنفاته، روح المعاني، ومختصر التحفة الإثني عشرية، مات بغداد سنة 1342هـ له ترجمة في الأعلام للزركلي 7/ 172، 173 0
- (1) السدى الكبير : هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدى، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة كان يبيع بها المقانع، صدوق يهم، ورمى بالتشيع مات سنة 127هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 97 رقم 464، والكاشف 1/ 247 رقم 391، والثقات للعجلي ص 66 رقم 94،
والجرح والتعديل 2/ 184 رقم 625 0

(152/1)

-
- (2) السدى الصغير : هو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل الكوفي، متهم بالكذب 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 2/ 131 رقم 6303، والجروحين لابن حبان 2/ 286، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص 358، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص 219 رقم 565، والجرح والتعديل 8/ 86 رقم 364، والضعفاء لأبي زرة الرازي 2/ 657 رقم 306 0

(3) الغزالي : هو محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، الملقب بحجة الإسلام، كان بارعاً في الفقه، وأصول الدين، وأصول الفقه، والمنطق والفلسفة، من أشهر مصنفاته : المستصفى في أصول الفقه، وإحياء علوم الدين، مات سنة 505هـ له ترجمة في : وفيات الأعيان لابن خلكان 4/ 216 رقم 588، وطبقات الشافعية لابن السبكي 6/ 389 رقم 694، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص 69، وشذرات الذهب 4/ 10 0

(4) مختصر التحفة الإثني عشرية للعلامة الألوسي ص 32، 33، بتصرف، وانظر : منهاج السنة لابن تيمية 3/ 246 0

(1) تاريخ الجهمية ص 56، وانظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي 821/2، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص 273 0
(2) السنة ومكانتها في التشريع ص 7، وانظر : الفرق بين الفرق ص 127، والملل والنحل 32/1، وموقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها للدكتور أبولبابة حسين ص 42-46 0
(3) مقالات الإسلاميين مقدمة المحقق 1/ 23، وانظر : فجر الإسلام ص 474، وضحي الإسلام 95، 96/3 0

(1) الملل والنحل 1/ 53، 54 0

(2) الملل والنحل 1/ 50 0

(3) مقالات الإسلاميين 2/ 277 0

(4) مقالات الإسلاميين 2/ 278، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية ص 130، 131 0

(153/1)

(5) انظر: تفصيل تأثر المعتزلة بغيرها من الفرق، وتأثيرها في غيرها سواء مما تأثرت به أو غيرها في: مقالات الإسلاميين 1/ 187، ورسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة 1/ 79، وضحي الإسلام 3/ 207 و فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام 2/ 865، والشيعية الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير ص 562، والمعتزلة واتجاههم العقلي وأثره في تطور الفكر الإسلامي الحديث ص 420، 421، 422، والاتجاه الاعتزالي في الفكر الإسلامي الحديث للدكتور أحمد محمد عبد العال 0
(6) انظر : المؤامرة على الإسلام للأستاذ أنور الجندى ص 21، وموقف المعتزلة من السنة للدكتور أبو لبابة ص 169-172، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص 131 0

(7) الحسن البصري : هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت كان عالماً رفيعاً ثقة حجة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر 0 ومات سنة 110 هـ له ترجمة في: وفيات الأعيان 2/ 69 رقم 156، وتهذيب التهذيب 2/ 263 رقم 488، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 150 رقم 144، وتذكرة الحفاظ 1/ 71 رقم 66، ومشاهير علماء الأمصار ص 113 رقم 642 0

(1) انظر: الملل والنحل للشهرستاني 1/ 40، والفرق بين الفرق للبغدادى ص 116، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام 2/ 822، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص 179-198

(2) انظر : الفرق بين الفرق ص 112 - 115، وفرق معاصرة 2/ 822 0

(3) الخياط: هو أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، شيخ المعتزلة البغدادية من نظراء الجبائي، وله مكانة عند المعتزلة 0 من آثاره: الانتصار، والرد على من أثبت خير الواحد 0 له ترجمة في : تاريخ بغداد 11/ 87 رقم 5770، ولسان الميزان 4/ 342 رقم 5156، وسير أعلام النبلاء 14/ 220 رقم 121، واللباب في تهذيب الأنساب 1/ 475، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 85 0

(4) الانتصار ص 188، 189 0

(154/1)

(1) رسائل العدل والتوحيد 1/ 76، 77، وانظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية كلاهما للدكتور محمد عمارة ص 186، 187، 196 0

(1) فرق معاصرة 2/ 823، 824، 832، وانظر: فتح الباري 13/ 357، وانظر: شرح الأصول ص 197، وفضل الاعتزال ص 140-141، وأدب المعتزلة ص 136، 135، ومقالات الإسلاميين 1/ 235، والملل والنحل 1/ 40، وموقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها للدكتور أبو لبابة ص 33

(2) فرق معاصرة 2/ 825 0

(3) فرق معاصرة 2/ 834، وانظر : شرح الأصول ص 301، والملل والنحل 1/ 41، والفصل في الملل والنحل لابن حزم 3/ 164 والمغنى في أبواب التوحيد والعدل 3/ 8 0

- (4) فرق معاصرة 2 / 824، 825، وانظر : موقف المعتزلة من السنة للدكتور أبو لبابة ص 31 0
- (5) جزء من الآية 8 من سورة الرعد 0
- (6) الآية 21 من سورة الحجر 0
- (1) الآية 49 من سورة القمر 0
- (2) شرح الأصول ص 134، وانظر : الملل والنحل 1 / 42، والمعتزلة زهدى جار الله ص 51، 52، وفضل الاعتزال ص 154 0
- (3) الآية 48 من سورة النساء 0
- (4) الآية 53 من سورة الزمر 0
- (5) الآية 48 من سورة البقرة 0
- (6) جزء من الآية 18 من سورة غافر 0
- (1) الفرق بين الفرق للبغدادى ص 116، وانظر : الملل والنحل 1 / 42، وشرح الأصول ص 137، 697، وفضل الاعتزال 17، 64 0
- (2) الآية 104 من سورة آل عمران، وانظر : شرح الأصول ص 141، 744 0
- (3) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ... إلخ 1 / 296، 297 رقم 49 من حديث أبي سعيد الخدرى 0 t
- (1) فرق معاصرة 2 / 849 - 851، وانظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية ص 256، 261، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للأستاذ عواد عبد الله ص 273، 276 0
- (2) شرح العقيدة الطحاوية 2 / 286 0
- (3) رسائل العدل والتوحيد 1 / 76، وانظر : رسائل الجاحظ 1 / 287، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص 181، 182 0
- (1) الانتصار ص 151 0

(155/1)

(2) أبو الهذيل العلاف : هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصرى العلاف، من أئمة المعتزلة، له مقالات فى الاعتزال، وانفرد بآراء مات سنة 235هـ وقيل غير ذلك 0 له ترجمة فى : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 44، وتاريخ بغداد 3/ 366 رقم 1482، ولسان الميزان 5/ 597 رقم 8222،

ووفيات الأعيان 265/4 رقم 606، وشذرات الذهب 85/2، وسير أعلام النبلاء 542/10 رقم 0 173

(3) مقالات الإسلاميين 0 145/2

(4) الانتصار للخياط ص 0 152

(5) البلخي : هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، نسبة إلى ما تريد محله بسمرقند، من أئمة الكلام 0 مات سنة 333هـ له ترجمة في : الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي ص 335، ومفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى 0 21/2

(6) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 137/1، وانظر : ضحى الإسلام 177/3-180 0

(1) النّظام : هو إبراهيم بن سار بن هاني البصري، أبو إسحاق النظام، شيخ المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة، وانفرد بآراء تابعته فرقة من المعتزلة سميت النظامية 0 اتهم بالزندقة، وكفره جماعة، مات سنة بضع وعشرين ومائتين 0 وله كتب في الفلسفة والاعتزال 0 له ترجمة في : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 49، تاريخ بغداد 97/6 رقم 3131، سير أعلام النبلاء 541/10 رقم 172، لسان الميزان 96/1 رقم 176، ومروج الذهب 371/6 0

(2) الفرق بين الفرق ص 137، وانظر : الانتصار للخياط ص 230، وآراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً للدكتور علي بن سعد بن صالح ص 347 0

(3) الفرق بين الفرق ص 137، 138، وانظر : الانتصار للخياط ص 232، والملل والنحل 1 50/، وتأويل مختلف الحديث ص 28 0

(156/1)

(4) الحازمي : هو أبو بكر، محمد بن موسى بن عثمان بن حازم، كان من الأئمة الحفاظ، العالمين بفقهاء الحديث ومعانيه ورجاله، ثقة نبيلاً حجة زاهداً ورعاً عابداً، أدركه أجله شاباً، من مصنفاته، الناسخ والمنسوخ، وعجالة المبتدئ في الأنساب، وشروط الأئمة الخمسة، مات سنة 584هـ 0 له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي ص 484 رقم 1071، وتذكرة الحفاظ 4/1363 رقم 1106، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي 2/192، وشذرات الذهب 4/282، والبداية والنهاية 12/332، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي 6/109 0

(1) شروط الأئمة الخمسة ص 47، وأبو حاتم بن حبان : هو محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم

البسقى التميمي، كان من أوعية العلم في الفقه، والحديث، واللغة، والوعظ، وفنون العلم، وولى قضاء سمرقند، من مصنفاته، المسند الصحيح، والتاريخ، والضعفاء، مات سنة 354هـ له ترجمة في: تذكرة الحفاظ 3/ 920 رقم 879، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 375 رقم 847، والبداية والنهاية 11/ 295، والرسالة المستطرفة ص 20، وشذرات الذهب 3/ 16، والوافي بالوفيات 2/ 317 0 (2) جزء من الآية 65 من سورة الأنفال 0

(3) الفرق بين الفرق ص 124، 125، وانظر: الملل والنحل 1/ 47 0

(1) الكعبي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، البلخي، رأس طائفة من المعتزلة تسمى الكعبية، وله تصنيف في الطعن على الخدثين، يدل على كثرة إطلاعه وتعصبه 0 مات سنة 319 هـ له ترجمة في: لسان الميزان 3/ 716 رقم 4054، وشذرات الذهب 2/ 281 ووفيات الأعيان 2/ 248 رقم 330، والبداية والنهاية 11/ 284، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 25، 49 0

(157/1)

(2) أبو الحسين: هو محمد بن علي بن الطيب البصري، أبو الحسين، أحد أئمة المعتزلة، قال الخطيب البغدادي: له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته، من آثاره: "المعتمد في أصول الفقه، وتصفح الأدلة، وليس بأهل للرواية، مات سنة 436هـ له ترجمة في: طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 118، والكامل في التاريخ 9/ 27، ووفيات الأعيان 4/ 271 رقم 609، وميزان الاعتدال 3/ 654 رقم 7972، والبداية والنهاية 12/ 53 0

(3) الدقاق: هو محمد بن محمد بن جعفر الدقاق الشافعي، الفقيه الأصولي، القاضي كان عالماً فاضلاً، له كتاب في أصول الفقه، مات سنة 392هـ له ترجمة في: تاريخ بغداد 3/ 229 رقم 1294، والنجوم الزاهرة 4/ 206، والوافي بالوفيات 1/ 116 0

(4) الإحكام للآمدي 2/ 27، وانظر: المسودة في أصول الفقه آل تيمية ص 234 0

(5) الإحكام للآمدي 2/ 39، والمسودة في أصول الفقه ص 236، والبرهان 1/ 217 0

(6) الإحكام لابن حزم 1/ 110، وانظر: الاعتصام للشاطبي 1/ 187 0

(7) تدريب الراوي 1/ 70 0

(1) الحاكم: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري يعرف بابن البيع، كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته، صالحاً ثقة، يميل إلى التشيع، صاحب المستدرک على الصحيحين،

وتاريخ نيسابور، ومعرفة علوم الحديث، ومناقب الشافعي وغير ذلك، مات سنة 405هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 3/ 1039 رقم 962، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 410 رقم 927، وشذرات الذهب 3/ 175، وطبقات الشافعية لابن السبكي 4/ 155 رقم 328، وتاريخ بغداد 5/ 473 رقم 3024، والبداية والنهاية 11/ 355، والرسالة المستطرفة ص 21، وميزان الاعتدال 3/ 608 رقم 7804، ووفيات الأعيان 4/ 280 رقم 615

(158/1)

(2) ابن الأثير : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، كان إماماً علامة بالسير وأيام الناس، حافظاً، لغوياً، من مصنفاته : اسد الغابة في معرفة الصحابة، واللباب في تهذيب الأنساب، مات سنة 630هـ له ترجمة في تذكرة الحفاظ 4/ 1399 رقم 1124، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 495 رقم 1090، والبداية والنهاية 13/ 139، وشذرات الذهب 5/ 137، ووفيات الأعيان 3/ 348 رقم 460، والعبر 5/ 120 0

(3) تدريب الراوي 1/ 71، وانظر : ص 124-127 0

(4) فتح الباري 13/ 246 أرقام 7250 - 7257، وانظر : سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم ص 209 رقم 267 0

(5) الآمدي : هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، المكنى بأبي الحسن، الملقب بسيف الدين، كان فقيهاً أصولياً منطقياً حسن الأخلاق فصيح اللسان بارع البيان 0 من مصنفاته : الإحكام في أصول الأحكام، ودقائق الحقائق في الحكمة، مات سنة 631هـ له ترجمة في : وفيات الأعيان 3/ 293 رقم 432، وطبقات الشافعية لابن السبكي 8/ 306 رقم 1207، والبداية والنهاية 13/ 140، وشذرات الذهب 5/ 144 0

(6) الإحكام للآمدي 2/ 68، 75، وانظر : المعتمد في أصول الفقه 2/ 106 0

(7) الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، المكنى بأبي المعالي، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي t من مؤلفاته : البرهان في أصول الفقه، والإرشاد في علم الكلام 0 مات سنة 478هـ له ترجمة في : سير أعلام النبلاء 11/ 137 رقم 4313، وشذرات الذهب 3/ 360، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 2/ 466-470 رقم 8 0

(1) البرهان في أصول الفقه 1/ 228، 231، وانظر : المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص

238، والمعتمد في أصول الفقه 2/ 106 وما بعدها0 وفضل الاعتزال ص 195 0

(2) الفرق بين الفرق ص 168 ، وانظر : الملل والنحل 1/ 66 0

(3) انظر : تدريب الراوى 1/ 72 0

(4) البرهان للجويني 1/ 231 0

(159/1)

(5) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص 236، 238 0

(6) ابن عُليّة : هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم، أبو بشر البصري، المعروف بابن عُليّة، ثقة حافظ في غير بدعته0 مات سنة 193هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 90 رقم 417، والكاشف 1/ 243 رقم 350، والثقات لابن حبان 6/ 44، ومشاهير علماء الأمصار ص 192 رقم 1277، ولسان الميزان 1/ 50 رقم 65، والمغنى في الضعفاء 1/ 10 رقم 39 0
(6) تدريب الراوى 1/ 75، وانظر : آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً للدكتور علبن سعد بن ص 333 .

(1) أعلام الموقعين 2/ 275، 276 0

(2) انظر : الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال 1/ 199 0

(3) تأويل مختلف الحديث ص 84 وما بعدها، وانظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية ص 210-212

(4) المعتمد في أصول الفقه 2/ 549، وانظر : شرح الأصول الخمسة ص 565 0

(5) انظر : المعتمد في أصول الفقه 2/ 102، وشرح الأصول ص 769 0

(6) الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى، مولاهم، أبو عثمان، المشهور بالجاحظ، البصري، المعتزلى، كان متبحراً في الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، ليس بثقة ولا مأمون، وكان من أئمة البدع، من مؤلفاته الحيوان، والبيان والتبيين، ومجموع رسائل وغيرها0 مات سنة 255هـ له ترجمة في : تاريخ بغداد 12/ 212 رقم 6669، ووفيات الأعيان 3/ 470 رقم 506، وميزان الاعتدال 3/ 247 رقم 6333، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزى 2/ 223 رقم 2545، والبداية والنهاية 11/ 19، ولسان الميزان 5/ 286 رقم 6300 0

(7) رسالة التبريع والتدوير، ضمن رسائل الجاحظ 3/ 58 0

(8) كتاب المعلمين 0 ضمن رسائل الجاحظ 3/ 58 0

(160/1)

(1) القاضي عبد الجبار : هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، أبو الحسين، قاضي، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون ذلك على غيره، من مصنفاته: تنزيه القرآن عن المطاعن، وشرح الأصول الخمسة، والمغنى في أبواب التوحيد والعدل 0 وغير ذلك 0 مات سنة 415هـ له ترجمة في : تاريخ بغداد 11/ 113 رقم 5806، وميزان الاعتدال 2/ 533 رقم 4737، وطبقات الشافعية لابن السبكي 5/ 97 رقم 443، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 7، 43، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 262 رقم 248، ولسان الميزان 4/ 211 رقم 4939 0

(2) شرح الأصول ص 770، وانظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص 182، والمعتمد في أصول الفقه 2/ 549 0

(3) الانتصار ص 152، 153 0

(1) الانتصار ص 152، 153 0

(2) ومن عجيب الأمر أن الخياط يعيب على المحدثين عدم أخذهم بأصل المعتزلة بالبراءة من معاوية، وعمرو بن العاص ومن في شقهما، فيقول [ولقد أفرطوا في ذلك حتى تولوا من قامت الحجة بعدواته والبراءة منه] انظر : الانتصار ص 213 0

(3) راجع : ص 111 0

(4) الفرق بين الفرق ص 117، وانظر: الملل والنحل للشهرستاني 1/ 43، وميزان الاعتدال للذهبي 4/ 329 .

(1) الفرق بين الفرق ص 118، وانظر : الملل والنحل للشهرستاني 1/ 43 0

(2) الفرق بين الفرق ص 140-142، وانظر : ضحى الإسلام 3/ 86 0

(3) الفرق بين الفرق ص 143 0

(161/1)

(4) الشهرستاني : هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، الملقب بالأفضل، كان إماماً في علم الكلام، وأديان الأمم، ومذاهب الفلاسفة، له معرفة بالأصول والأدب، من مصنفاته الملل والنحل، والإرشاد إلى عقائد العباد، وغير ذلك 0 مات سنة 548هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 4 / 1313 في ترجمة السبكي رقم 1088، ووفيات الأعيان 4 / 273 رقم 611، وطبقات الشافعية لابن السبكي 6 / 128 رقم 653، ولسان الميزان 6 / 304 رقم 7760، والوفاء بالوفيات 3 / 278 رقم 1319، وشذرات الذهب 4 / 149 0

(1) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أو المروزي، أبو محمد وقيل أبو عبد الله، كان ثقة دينا فاضلاً، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن، ومعانيه، والشعر، والفقه، من مصنفاته : تأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، والمعارف 0 وغير ذلك 0 مات سنة 276هـ له ترجمة في : تاريخ بغداد 10 / 170 رقم 5309، وميزان الاعتدال 2 / 503 رقم 4601، والفهرست لابن النديم ص 123، والبداية والنهاية 11 / 48، وتذكرة الحفاظ 2 / 633، ووفيات الأعيان 3 / 42 رقم 328، وطبقات المفسرين للداودي 1 / 251 رقم 234

(2) تأويل مختلف الحديث ص 33 – 44 0

(3) السنة ومكانتها في التشريع ص 6، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص 54، وانظر : ما قاله الأئمة عن فساد دين رؤوس المعتزلة في تأويل مختلف الحديث ص 28، والفرق بين الفرق ص 143 0

(4) الاعتصام 1 / 186 وما بعدها 0

(1) انظر : موقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها للدكتور أبو لبابة ص 43، 73، 97، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص 212-215 0

(2) الإبانة للأشعري ص 14 0

(3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 114، 115 0

(162/1)

(1) سيأتى بالبرهان الواضح أن القضية مع المعتزلة في العقائد ليست قضية متواتر وآحاد، وإنما قضية أصولهم فهي الأصل، والقرآن والسنة الفرع، بدليل تأويلهم لآيات القرآن المتواترة في أحاديث

- العقائد لتعارضها مع أصولهم، ولو صدقوا في دعواهم بأن الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، فلماذا يؤولون تأويلاً أشبه بالرد، الآيات المتواترة في العقائد؟ انظر : موقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها للدكتور أبو لبابة حسين ص 97، 98 0
- (2) انظر: الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 332 بتصرف، والسنة ومكانتها في التشريع ص 142، والضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم الشيخ 1/ 189-196 0
- (3) انظر : العقيدة والشريعة لجولدتسيهر ص 100 - 102، 118 - 120، وانظر : تراث الإسلام لجوزيف شاخ ص 203، 218، ودراسات في حضارة الإسلام لهاملتون جب ص 268 - 269، 274، ودائرة المعارف الإسلامية ص 576، 580، 584 0
- (4) ضحى الإسلام 3/ 207 0
- (5) انظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي 0
- (6) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأستاذ الأمين الصادق الأمين 0
- (1) انظر : أضواء على السنة محمود أبو رية ص 377 وما بعدها، والأضواء القرآنية السيد صالح أبو بكر 1/ 16، 36، وتبصير الأمة بحقيقة السنة إسماعيل منصور ص 656، ومجلة روزاليوسف العدد 3586 ص 38 - 40، والعدد 3559 ص 48-50، مقالات لأحمد صبحي منصور 0
- (1) محمد بن سيرين : هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، مات سنة 110هـ له ترجمة في تقريب التهذيب 2/ 85 رقم 5966، والكاشف 2/ 178 رقم 4898، والثقات للعجلي ص 450 رقم 1464، والثقات لابن حبان 5/ 348، والجرح والتعديل 7/ 280، ومشاهير علماء الأمصار ص 113 رقم 643 0
- (2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين 1/ 84 0

(163/1)

-
- (1) صون المنطق للسيوطي 3/ 183، نقلاً عن أبي المظفر في كتابه الانتصار 0
- (2) انظر : طبقات الشافعية لابن السبكي 3/ 260، وسير أعلام النبلاء 18/ 474 0
- (3) الكرابيسي هو : الوليد بن أبان الكرابيسي، بفتح أوله والراء، نسبة إلى بيع الثياب، انظر : اللباب في تهذيب الأنساب 3/ 88، أحد أئمة الكلام، له ترجمة في: تاريخ بغداد 13/ 446 رقم 7317، وميزان الاعتدال 1/ 414، وسير أعلام النبلاء 10/ 548 رقم 1717 0

(1) شرف أصحاب الحديث ص 108، 109 رقم 105، وانظر: تاريخ بغداد 13/ 441، وسير
أعلام النبلاء 10/ 548 0

(2) المؤامرة على الإسلام للأستاذ أنور الجندى ص 229 : 234 بتصرف وتقديم وتأخير 0

(164/1)

8 أول

+@

أعداء السنة النبوية من المستشرقين

وتحتة أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالاستشراق 0

المبحث الثاني : منهج المستشرقين في دراسة الإسلام 0

المبحث الثالث : المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية 0

المبحث الرابع : موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين 0

المبحث الأول

التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحاً

الاستشراق لغة : استشرق من الفعل "شرق" يقال : شرقت الشمس أى طلعت، واسم الموضع
المشرق، والشرق : المشرق، والجمع إشراق 0 والتشريق الأخذ في ناحية المشرق، يقال : شتان بين
مشرق ومغرب، وشرقوا أى ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، وكل ما طلع من المشرق فهو
شرق(1) 0

واستشرق : أى طلب دراسة ما يتعلق بالشرق، فالألف والسين والتاء في أى فعل تدل على الطلب
كاستغفر أى طلب المغفرة 0

الاستشراق اصطلاحاً : هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وهو تعبير أطلقه الغربيون على

الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم⁰ وهذا معنى عام للاستشراق⁰ وهناك معنى خاص كان هدفهم الأساسى وهو : دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربى لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية(2)0 وهذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذى يعيننا، وهو الذى ينصرف إليه الذهن فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً فى كتابات المستشرقين المعنيين(3)0 والمستشرقون : هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار⁰

(165/1)

ومع الدراسات الاستشراقية الموجهة لأغراض التبشير والاستعمار، قام بعض محبى العلم بدراسات استشراقية حيادية غير موجهة، وكان من بعض هؤلاء إنصاف للحقيقة وبعض هؤلاء المنصفين تأثر بالإسلام وبالخصارة الإسلامية فأسلم(1)0 هذا ومما لا شك فيه أن الاستشراق كان له أكبر الأثر فى صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام وأمتة، وفى تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة وحتى يومنا هذا(2)0 والاستشراق من تعريفه الخاص السابق، موقف عقائدى وفكرى معاد للإسلام يقفه الكافرون بهذا الدين بوجه عام، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى بوجه خاص⁰ وهذا الموقف - فى جوهره النابع من العداوة فى العقيدة - ليس بجديد وإنما هو امتداد لموقف أسلافهم الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب - منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم : وهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول - صلى الله عليه وسلم -، وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - وسنته المطهرة بوجه خاص، لتشكيك المسلمين فى دينهم، ومحاولة ردهم عنه⁰ وقد تختلف وسائل المشركين ووسائل أهل الكتاب، ولكنهم - فى نهاية المطاف - يلتقون حول الهدف : وهو محاولة منع الخير - وهو الإسلام - عن المسلمين، ومحاولة ردهم عنه كما قال الله تعالى : { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (3)0 وقال تعالى {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} (4)0

المبحث الثاني

منهج المستشرقين في دراسة الإسلام

(166/1)

قبل أن نتعرف على موقف المستشرقين من السنة النبوية المطهرة يجدر بنا أن نتعرف أولاً على منهجهم في دراستهم الاستشراقية للإسلام، فبمعرفة هذا المنهج سنقف على أثره في نظرهم للإسلام، وللسنة النبوية المطهرة ونحن كثيراً ما نسمع المستشرقين يكثرون من القول: إن التحقيق والموضوعية والتحرر منهجهم في كل ما يبحثون لا فرق في ذلك عندهم بين عدو وصديق أو بين قريب وبعيد، ويكثرون من القول أيضاً: أنهم يدرسون العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ... هكذا يدعون!

والحق أنهم بعيدون كل البعد عن البحث العلمي النزاهة ولا يمتنون إليه بصلة، ويستوى في هذا سائر المدارس الاستشراقية (1)0

ولا أدري كيف يكون منهج الاستشراق اللاهوتي الوليد من عصبية وحقد النصراني للإسلام ولأمتنا الإسلامية - لا أدري كيف يكون نزياً ومحايداً في دراسته للإسلام ...؟! وحتى بعد تطوره في العصر الحديث إلى استشراق علماني استعماري لم يتخل عن العصبية الدينية، وإن لم تطغ هذه العصبية طغيانها قديماً فهو استشراق استعماري طامع في خيرات هذه الأمة حاقداً عليها ولا أمل له في السيطرة على هذه الأمة إلا بإضعاف عقيدتها بدينها وتاريخها وحضارتها ولا يكون ذلك إلا بالاستشراق اللاهوتي التبشيري، وكذلك حال الاستشراق اليهودي في منهجه، كانت تحركه نزعتين : إحداهما دينية : تحمل أشد العداوة والحقد للإسلام والمسلمين0

وثانيهما سياسية : تحمل في داخلها حلم إعادة مملكة سيدنا داود عليه السلام في فلسطين وحكم العالم أجمع0

(167/1)

والبحث العلمي النزيه لا صلة له إطلاقاً بما يكتبون عن الإسلام والمسلمين؛ لأنهم وهم يكتبون لا يتخلون أبداً عن أهوائهم وحقدهم الدفين ضد الإسلام ونبيه - صلى الله عليه وسلم -، وأمتة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وحتى لو فرضنا أن هذا لا يكون في نفوس بعضهم حين يكتبون عن الإسلام، فإنه مما لا شك فيه يكون في نفوسهم الطمع في خيرات هذه الأمة وهذا يحملهم أيضاً على التحامل على الإسلام، وصدق رب العزة في بيان نزعتهم الدينية في قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (1)0

وصدق رب العزة في بيان نزعتهم الاستعمارية في قوله تعالى: {مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (2)0

والمستشرقون في كتاباتهم عن الإسلام لن يتخلوا أبداً عن هاتين النزعتين الدينية والاستعمارية، لأن التحول عنهما، إنما يعنى التحول إلى الإسلام، وهذا التحول إلى الإسلام يعنى في الوقت نفسه التحول عن الاستشراق وأهدافه الخبيثة، وهذا ما حدث بالفعل لبعض المستشرقين ممن أكرمهم رب العزة بالإسلام وهداهم إليه0

وصدق رب العزة في بيان سبب عدم تخليهم عن نزعتهم الدينية سواء يهودية أو نصرانية في قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ} (3)0

(168/1)

فالسبب أنهم أبداً وإلى أن تقوم الساعة في شك من هذا الدين ومن نبوة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهم دائماً في موقف الحذر منه والترص به0 ومهما حدث من أمور يظهرون من خلالها التودد والجمالة، إلا أن ذلك يخفى حقيقة في قلوبهم لا يريدون إظهارها ففعلهم في واد، وقلوبهم في واد آخر0

وإذا كان هناك من رضا متوقع، فلن يكون إلا في حين اتباع ملتهم، والسير خلفهم، وعدم مخالفتهم فيما يفعلون أو يكتبون من خرافات وأساطير عن الإسلام أما دون ذلك فلا، قال تعالى: {وَلَنْ

تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (1) وقال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} (2)0

فالولاء الوحيد في قلوب هؤلاء؛ إنما هو لدينهم ولمصلحتهم لا للإسلام ولا للمسلمين كما قال تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (3)0 وإذا كان هؤلاء المستشرقون صادقين في ادعائهم الموضوعية والحيدة فيما يكتبون، فنحن نطلب منهم أن يلتزموا بأوليات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم فعندما أرفض وجهة نظر معينة لابد أن أبين للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ثم لي بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها0 وعلى هذا الأساس نقول عندما يكتب عن الإسلام : إن الكيان الإسلامى كله يقوم على أساس الإيمان بالله ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - الذى تلقى القرآن وحياً من عند الله0 ويجب على العالم النزيه والمؤرخ الحايذ أن يقول ذلك لقرائه عندما يتعرض للحديث عن الإسلام حتى يستطيع القارئ أن يفهم سر قوة هذا الإيمان في تاريخ المسلمين (4)0 ثم له بعد ذلك أن يخالف المسلمين في معتقداتهم وتصوراتهم أو يوافقهم؛ غير أن هذا المنهج المنطقي والطبيعي قلما يتبع مع الأسف، ويتبعون بدلاً منه منهجهم القائم على ما يلى :

(169/1)

- 1- تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوروبية، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمحدود والمغلوط الذى يجهل حقيقة الإسلام (5)0
- 2- تبني فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها، وذلك منهج معكوس وليد الهوى0
- 3- اعتمادهم على الضعيف، والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت منها (1) .
- 4- تحريف النصوص، ونقلها نقلاً مشوهاً، وعرضها عرضاً مبتوراً (2)، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه (3)0
- 5- غربتهم عن العربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعى، حتى ولو اختص أحدهم بأمر واحد من أمور الإسلام طيلة حياته (4)0
- 6- تحكمهم في المصادر التى ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ويصححون ما ينقله (الدميرى) (5) في كتاب "الحيوان" ويكذبون ما يرويه "مالك" في "الموطأ" كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن

الحق(6)0

- 7- إبراز الجوانب الضعيفة، والمعقدة، والمتضاربة، كالاخلاف بين الفرق، وإحياء الشبه، وكل ما يفرق، وإخفاء الجوانب الإيجابية والصحيحة وتجاهلها(7)0
 - 8- الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وليدة التعصب، وجعلها أحكاماً ثابتة يؤكدونها أحدهم المرة تلو المرة، ويجمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم(8)0
 - 9- النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية(9)0
 - 10- تفسير سلوك المسلمين، أفراداً وجماعات بأنه مدفوع بأغراض شخصية، ونوازع نفسية دنيوية، وليس أثراً لدافع ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة(1)0
- وهذا المنهج في دراسة الإسلام ونبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وأمثه وتاريخهم المجيد سيبدو واضحاً في وسائلهم للكيد للسنة النبوية المطهرة0

(170/1)

ونتيجة لهذا المنهج نشروا صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وزعموا كذباً أن هذه الصورة الفاضحة هي صورة الإسلام والمسلمين التي يعتقدونها ويعيشونها قديماً وحديثاً، واقتنع بها أبناء جلدتهم، وبعض من أبناء جلدتنا ممن يجهلون دينهم، أو يرغبون في الشهرة، أو مخدوعين بما يدعيه أولئك الأعداء من المنهج العلمي المزعوم، مما جعلهم يصدقون كل ما يكتبه المستشرقون عن الإسلام، بل يعجبون به ويتعصبون له في كثير من الأحيان0

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور السباعي(2) : [ترى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمي التي يستعملها المستشرقون في نقد القرآن والسنة وتاريخنا، في نقد كتبهم المقدسة، وعلومهم الموروثة، ماذا يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة؟ وماذا يكون فيها من ثبوت؟ نعم سنخرج بنتيجة من الشك وسوء الظن أكبر بكثير مما يخرج به المستشرقون بالنسبة إلى مصادر ديننا وحضارتنا وعظمتنا فحضارتهم مهلهلة رثة الثياب، ورجال هذه الحضارة من علماء وسياسيين وأدباء يبدون في صورة باهتة اللون لا أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير0

نعم لو فعلنا ذلك كما يفعلون لرأوا كيف عاد هذا المنهج الذي زعموا أنهم يستخدمونه لمعرفة (الحقيقة) في ديننا وتاريخنا، وبالأعلى عليهم، لعلهم ينجلون - بعدئذ - من استمرارهم في التحريف والتضليل والهدم(3) أ0هـ

ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمود زقزوق :

1- إن الاستشراق - من بين شتى العلوم الأخرى - لم يطور كثيراً في أساليبه ومناهجه⁰ وفي دراسته للإسلام لم يستطع أن يحرر نفسه تماماً من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذى انبثق منه الاستشراق أساساً⁰

(171/1)

2- أن الاستشراق فى دراسته للديانات الوضعية مثل البوذية والهندوسية وغيرها غالباً ما تكون دراسات موضوعية بعيدة عن أى تجريح ولكن الإسلام وحده من بين كل الأديان هو الذى يتعرض للنقد والتجريح والمحاربة على الرغم من أنه دين يؤمن بالله ويحترم اليهودية والمسيحية ويؤمن بموسى، وعيسى، ويرفعهما، فوق النقد بوصفهما من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام⁰ والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعاً هم الذين يصفون بشتى الأوصاف الدينية⁰

3- إن الإسلام الذى يعرضه هؤلاء المستشرقون - المتحاملون على الإسلام - فى كتبهم هو إسلام من اختراعهم، وهو بالطبع ليس الإسلام الذى ندين به، كما أن محمداً الذى يصورونه فى مؤلفاتهم ليس هو محمد الذى نؤمن برسالته، وإنما هو شخص آخر من نسيج خيالهم(1)⁰

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق فى دراسته للإسلام، ليس علماً بأى مقياس علمى، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويح تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات(2)⁰

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - : الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث، وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتحرر، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه(3)⁰

وتقول الدكتورة عزيزة على طه شاهدة على منهج المستشرقين بعد أن تتلمذت على بعضهم فى الولايات المتحدة، أثناء حصولها على درجة الماجستير فى مقارنة الأديان، قالت: [وما كنت أتخيل بأن هؤلاء الناس الذين برعوا فى جميع أوجه الحياة بما فى ذلك إبداع كل العلوم والمعارف المعاصرة ...، لم أكن أتخيل أنهم بهذا القدر من التعصب الأعمى والتمسك بملة آبائهم وأجدادهم دون تدبر ولا وعى، ولا إدراك⁰

(172/1)

ليس هذا فحسب، بل إنهم اشتطوا في العدوان على عقائد من خالفهم الرأي ولم يتورعوا عن الكذب والدس والبهتان كي يبرروا معتقداتهم الباطلة ويسينئوا إلى العقائد الأخرى، وخاصة الدين الإسلامي الحنيف ورغم ما كنت ألقيه من عنت ومشقة في الصبر على أذاهم باستماعي لطعنهم في دين الله - سبحانه - ، بجانب مضايقاتهم المتكررة لي باعتباري مسلمة يجب أن تترد عن دينها، أو حتى تحاول أن تهدم بعض أركانه باسم التطور، إلا أنني صبرت ... مكتفية بممارسة أضعف الإيمان في تغيير هذا المنكر⁰ وكان هدفي من الصمود أمام تحدياتهم وكثير بلواهم طيلة هذه المدة، الإحاطة بكل ما يمكن معرفته من عقائدهم الفاسدة ووسائلهم المنكرة في نشرها بين الناس، من طرق تنصير وغيره، واستراتيجية تهجمهم على الديانات الأخرى وخاصة الإسلام (1)0

وأخيراً أقول كما قال الدكتور مصطفى السباعي : "إذا كنا نشدد هذه الشدة في حق جمهور المستشرقين الخرفين والمضللين أمثال "جولد تسيهر"، فإننا لا نغمت غيرهم من المنصفين حقهم ممن درسوا الإسلام بموضوعية ونزاهة علمية وأنصفوه وأنصفوا أهله وأدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام" (2)0

وإن كنت أرى أن هؤلاء أيضاً سواء من أنصف الإسلام منهم ظاهراً أو حتى ممن كانوا مسلمين لا يجوز الاغترار بإنصافهم هذا ولا الاعتماد في فهم ديننا على ما يكتبون، فكثير منهم دس السم في الدسم، وبعضهم أسلم ثم ارتد بعدما أدى الدور الذي كان مطلوباً منه⁰ وهذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى في موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين⁰

المبحث الثالث

المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية

أدرك المستشرقون أهمية السنة النبوية بالنسبة للإسلام عموماً والقرآن الكريم خصوصاً، وأنه بالتشكيك والنيل منها نبيل من القرآن الكريم بل من الإسلام نفسه⁰

يقول المبشر الأمريكي (جب) : "إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شئ، وصار شبه صبيرة طومسون، وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء" (1)0

وأول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي كان المستشرق اليهودي "جولد تسيهر" الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي، كما وصفه بذلك "بفاغوللر" وقال : وبالأحرى كان "جولد تسيهر" يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني 0 فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول : عد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام 0

كما بارك جولد تسيهر موقف المعتزلة من السنة النبوية، ورأى أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشددین الحرفيين الجامدين على النصوص (2)0

وعلى درب "جولد تسيهر" في موقفه من السنة صار المستشرقون ورددوا شبهاته واعتبروا أنفسهم مدينين له فيما كتبه من شبهات حول السنة 0 وفي هذا يقول عنه كاتب مادة (الحديث) في دائرة المعارف الإسلامية : "إن العلم مدين ديناً كبيراً لما كتبه (جولد تسيهر) في موضوع الحديث، وقد كان تأثير "جولد تسيهر" على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأى من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديداً حاسماً اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات" (1)0

(174/1)

ومن هنا كان الرد على هذا الداهية الحبيث رداً على عصابة المستشرقين إجمالاً فيما أثاروه من شبهات وطعون حول السنة النبوية المطهرة 0 وسيأتى الجواب عن هذه الشبهات ومن قال بها من أبناء المسلمين المنخدعين بمنهجهم العلمى المزعوم في الباب الثانى وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد للسنة الشريفة 0هـ

- (1) القاموس المحيط 241/3، ومختار الصحاح ص 336 0
- (2) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص 50 بتصرف، وانظر :
الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري للأستاذ الدكتور محمود زقزوق ص 24 0
- (3) الاستشراق للدكتور زقزوق ص 24، 25، وانظر : المستشرقون والتاريخ الإسلامي للدكتور علي الخربوطلي ص 26، ورؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب ص 7 0
- (1) أجنحة المكر الثلاثة ص 50، 51 0
- (2) الاستشراق للدكتور زقزوق ص 20 0
- (3) الآية 105 من سورة البقرة 0
- (4) الآية 109 من سورة البقرة، وانظر : رؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب ص 11،
181

- (1) وهي المدرسة النصرانية، والمدرسة اليهودية، والمدرسة العلمانية، والمدرسة الإلحادية الشيوعية 0
انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص 124، 125، والاستشراق
والخلفية الفكرية للصراع الحضاري للدكتور زقزوق ص 48، 49 0
- (1) الآية 109 من سورة البقرة 0
- (2) الآية 105 من سورة البقرة 0
- (3) الآية 55 من سورة الحج 0
- (1) الآية 120 من سورة البقرة 0
- (2) الآية 89 من سورة النساء 0
- (3) جزء من الآية 73 من سورة الأنفال 0
- (4) نقد كتاب فييت (مجد الإسلام) للدكتور حسين مؤنس ملحق بكتاب الفكر الإسلامي الحديث
وصلته بالاستعمار ص 459 : 463، وانظر : الاستشراق للدكتور زقزوق ص 95 0

(175/1)

-
- (5) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 188، والاستشراق والمستشرقون للدكتور
السباعي ص 49، ومناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية لجماعة من العلماء
ص 364، والإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء ص 191، والاستشراق والمستشرقون وجهة

نظر للأستاذ عدنان محمد وزان ص 124 0

(1) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص 188، والاستشراق والمستشرقون للدكتور السباعي ص 43، والإسلام والمستشرقون لنبذة من العلماء ص 251 0

(2) انظر : الإسلام والمستشرقون ص 248 0

(3) السنة ومكانتها في التشريع ص 188، والاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص 130 0

(4) انظر : الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كتابات المستشرقين للأستاذ نذير حمدان ص 16 0

(5) الدميري : هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء الشافعي من أهل دميرة بمصر، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، أديب، نحوي، من آثاره : "حياة الحيوان"، "الديباجة" في شرح سنن ابن ماجه و "النجم الوهاج" في شرح منهاج النووي 0 مات سنة 808هـ له ترجمة في : الضوء اللامع للسخاوي 10/ 59 - 62، والبدر الطالع للشوكاني 2/ 272، وشذرات الذهب 7/ 79 - 80، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة 12/ 65، والأعلام للزركلي 7/ 118 0

(6) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص 188-189 0

(7) الإسلام والمستشرقون لنبذة من العلماء ص 241 0

(8) المصدر السابق ص 247 0

(9) انظر : الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كتابات المستشرقين ص 16 0

(1) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص 147، 148 0

(2) السباعي : هو مصطفى حسني السباعي، من نتاج بيت من بيوت العلم في الشام، ونتاج الأزهر حيث نال منه شهادة الدكتوراه في علمي الفقه والحديث، من مؤلفاته السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، والاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، وغير ذلك ، مات سنة 1964هـ انظر : أعلام القرن الرابع عشر للأستاذ أنور الجندي 1/ 435 رقم 4 من الباب الخامس 0

(176/1)

(3) السنة ومكانتها في التشريع ص 24 وما بعدها بتصرف 0

(1) انظر : الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص 473، والاستشراق للدكتور محمود

زفروق ص 138 - 143 بتصرف 0

- (2) الاستشراق للدكتور زقزوق ص 144، وانظر: الإسلام في تصورات الغرب للدكتور زقزوق ص 14
- (3) دفاع عن العقيدة والشريعة ص 8، وقارن بالإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد
- ص 53، وانظر: ص 61 كلامه عن استمرار الاستشراق في تشويه صورة الإسلام والمسلمين إلى الآن بالرغم أن الشعور الديني فيه ما هو إلا قضية من قضايا الماضي 0 وانظر: رؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب، ص 37 وما بعدها 0
- (1) منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 15، 14، وللاستزادة في بيان حقيقة منهجهم 0 انظر: رؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب ص 79، والمستشرقون والتراث للدكتور عبد العظيم الديب ص 27 وما بعدها 0
- (2) السنة ومكانتها في التشريع ص 25، 26 بتصرف يسير 0
- (1) التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد والدكتور عمر فروخ ص 98 0
- (2) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام ص 109، 110 0
- (1) دائرة المعارف الإسلامية ص 231، وانظر: الاستشراق للدكتور محمود حمدي زقزوق ص 122، 123 0

(177/1)

المبحث الرابع

موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين

... عرفنا مما سبق أن الاستشراق وليد من عصبية وحقد النصارى للإسلام ولأمتنا الإسلامية، وحتى بعد تطوره إلى العلمانية، لم يخرج عن هذه العصبية، وارتبط ارتباطاً وثيقاً أولاً بالتبشير اللاهوتي، ثم ثانياً بالاستعمار ولم ينفصل عنهما معاً، وتكاثرت تلك الجيوش الثلاثة من أجل محاربة الإسلام والمسلمين، وتحقيق مصالحهم وأطماعهم، وعرفنا أن منهج الاستشراق بعيد كل البعد عن المنهج العلمي النزيه في دراسته للإسلام والمسلمين 0

... وإذا كان للحركة الاستشراقية أثر كبير في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم العربي، وأثر أخطر في أجيال من أبناء جلدتنا ممن وقعوا في شباكهم؛ ففسدت عقائدهم وعملوا على إفساد عقائد

المسلمين، من أجل هذا كان لابد وأن يكون للمسلمين موقف من هذه الحركة الاستشراقية، ومن أنصارها الذين تعصبوا لها وخدعوا بما زعمه أعداء الإسلام من التزامهم الموضوعية في الكتابة، وصدقوا ما كتبوه من أباطيل ضد الإسلام، واعتمدوا على مؤلفاتهم في كتاباتهم عن الإسلام في التفسير، أو الحديث، أو السيرة، أو التاريخ ... إلخ⁰ وراجت مؤلفات هؤلاء الأنصار بين شباب المسلمين مع ما فيها من دسائس، ودس للسم في العسل⁰

ولهؤلاء ولمن يقرأون لهم نقول كما قال الأستاذ محمد سرور بن نايف: "لا يجوز أن يعتمد المسلمون في فهم دينهم على كتب المستشرقين مهما قيل في مدحهم والثناء عليهم، والإشادة بحيادهم (1) 0

نعم، قد نلقى بعضهم منصفاً معتدلاً غير متحامل ولا متعصب، ولكنه شاذ لا يقاس عليه⁰ وإن كانت معظم كتاباتهم المعتدلة تتركز في تاريخ العلوم التجريبية عند المسلمين، وأثر المسلمين في هذا المجال لا يناع فيه إلا مكابر، وهم في هذا لم يأتوا بجديد غير إحقاق الحق، ومن هذا القبيل كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرق زغريد هونكة)⁰

(1) دراسات في السيرة النبوية ص 175 0

(178/1)

... أما العلوم الشرعية؛ فلا نكاد نجد لها منصفاً خطورتها، وأهميتها في حياة الإنسان، ولأن العلوم الشرعية هذه مرتبطة برسالة الإسلام، الدعوة العالمية للتوحيد، وإقامة منهج الله (على الأرض، وهذا بلا ريب يهدد معاقل الشرك والوثنية أينما كانت، فلا عجب حينئذ أن ينتشر جنود إبليس للتصدي لهذه الدعوة، والنيل منها بكل وسائل التسفيه والتشكيك (1) 0

وكتب المستشرقين التي مدحوا من أجلها⁰

إما مصنفات مستقلة عبارة عن بحوث ودراسات، تتعلق بالحضارة الإسلامية، والفقه الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، وتاريخ الحديث الشريف وغيرها⁰ وهذه مصنفات طافحة بالدس والتشويه، وهي منحرفة كلياً عن منهج البحث السديد⁰

... وإما مصنفات مبنية على مصنفات أخرى كفهارس القرآن الكريم، وفهارس كتب الحديث؛ فهي جهود محمود، ولكنها غير إبداعية؛ لأنهم مسبقون إليها من أئمتنا المتقدمون - رضوان الله عليهم (2) - وهذا لا يعنى انتقاص قيمة هذا العمل، فهو حقاً عمل رائع، ولكنه نال من الثناء أكثر مما يستحق، لأنه لو قام به جماعة من المسلمين في نفس الظروف التي أنجز فيها هذا العمل الكبير لأتوا بمثله أو أحسن منه، ولنا في الأعمال الفردية التي قام بها بعض علمائنا الأجلاء قديماً وحديثاً خير دليل على ذلك (3) 0

-
- (1) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص 283، 284 0
 - (2) فصل ذلك الأستاذ أحمد محمد شاکر في كتابه تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، وفي مقدمة مفتاح كنوز السنة لفنسلک 0
 - (3) انظر : في ذلك "طرق تخريج حديث رسول الله (لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي، وكشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث خير الأنام لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود 0 ففيهما بيان لجهود علماء المسلمين قديماً وحديثاً في صنع الفهارس والمعاجم، وانظر : ضوابط الرواية ص 287، 288 0

(179/1)

... وأما عملهم في تحقيق كتب التراث؛ فهو أيضاً نال من المديح أكثر مما يستحق، فهم منذ بدأوا جريمتهم بسرقة المخطوطات الإسلامية من الشرق بدأ منذ عام 1311م واستولوا على كل المخطوطات الموجودة في المساجد والزوايا، حتى جمع أحد الرهبان (زانسى) ستة آلاف مخطوط من الشرق نقلها إلى ميلانو، وتوالت بعثات الاستعمار والفاشيكان إلى العالم الإسلامي لجمع المخطوطات، كان هدفهم هو "حبس التراث الإسلامي في مكتبات الغرب واتخاذ سلاحاً ضد المسلمين، فهم يبرزون الكتب التي تثير الفتن والنزاع بكل صوره الفكرى والمذهبي والسياسي؛ ككتب الفرق، والخلاعة، والمجون، والتصوف الفلسفي، ويخفون كتب العلوم، فيأخذون نظرياتهم، وينسبونها إلى أنفسهم وعلمائهم، ويحرمون أصحابها منها (1) 0

-
- (1) وصدق الدكتور محمود قاسم : "لقد نقلنا المستشرقون إلى ارسطوا، على حين نقلوا أنفسهم

وقومهم إلى مناهج المسلمين وعلومهم" نقلاً عن المؤامرة على الإسلام للأستاذ أنور الجندى ص 209، وانظر : الغارة على التراث الإسلامى للأستاذ جمال سلطان ص 54-59، والمؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية الدعوة والدعاة بحث الأستاذ الدكتور طلعت أحمد محسن الاستشراق وواقعه وجهود المستشرقين ص 595 - 597 0

(180/1)

... ومعظم الكتب التى حققها المستشرقون وأعادوا كتابتها كانت تستهدف إذاعة آراء معينة وتيارات مضللة تفقدنا الثقة بعقيدتنا وماضينا، وحضارتنا، وقادتنا، ولذلك فإنه لا يمكن القول بأن هذه الكتب قد طبعت، أو حققت لخدمة الأدب العربى، أو اللغة العربية، ومن هذه الكتب : ألف ليلة وليلة، والأغاني، وأخبار الحلاج، ورسائل إخوان الصفا ... إلخ (1) 0

... يقول الدكتور عبد العظيم الديب : "إن عنايتهم بالتراث كانت وما زالت وستظل من باب (اعرف عدوك)، فهذه الكتب التراثية هى الخرائط، والصور لعقولنا، وعواطفنا، ومشاعرنا، واتجاهاتنا، واهتماماتنا، وحبنا، وبغضنا، وغضبنا، ورضانا 0 فهى المفاتيح التى عرفوا بها كيف يخططون لتدميرنا ثقافياً، واجتماعياً، وفكرياً، وعلمياً، بعدما حطمونا عسكرياً وسياسياً" (2) 0

(1) مقدمات العلوم والمناهج للأستاذ أنور الجندى 154/5، وانظر : له أيضاً مسئولية الاستشراق وسموم دائرة المعارف الإسلامية بحث قدم للمؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ص 601-606، وراجع المستشرقون والتاريخ الإسلامى للدكتور على الخربوطلى ص 59، 60، والمستشرقون والتراث للدكتور عبد العظيم الديب ص 23 - 26 0
(2) المستشرقون والتراث ص 43، 44 0

(181/1)

... وليس معنى هذا تسفيه كل جهودهم فى تحقيق كتب التراث، فالإنصاف يقتضى ألا نغمر الناس حقهم، على أن لا نقوم بتمجيدهم صباح مساء كما يفعل المستغربون من أبناء أمتنا ظناً منهم أنه

عمل في قمة التفوق والإبداع، غير مسبوقين فيه، على ألا يغيب عن ذهننا أنهم ما صنعوا فهارس القرآن الكريم، وفهارس كتب الحديث، وحققوا كتب التراث؛ إلا إطفاءً لنور الإسلام" (1) ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون وصدق ربنا (: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (2) 0

... وحسبنا دليلاً على عدم الاعتماد في فهم ديننا على كتب المستشرقين؛ أنهم ليسوا من أهل العدالة والتي على رأس شروطها الإسلام 0 وقد قال رب العزة (وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ) (3) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (4) فإذا كان خبر المسلم الفاسق مردود على صحة اعتقاده، فخير الكافر من المستشرقين أولى بالرد 0

وحسبنا أيضاً دليلاً على عدم الاعتماد في فهم ديننا وتاريخنا على كتب المستشرقين، أن المعتدل منهم وإن كان ظاهره الإنصاف للإسلام والمسلمين في العلوم الشرعية؛ فقد دس السم في الدسم 0

-
- (1) فالمستشرق فنسنتك مؤلف مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث بالاشتراك، ورئيس دائرة المعارف الإسلامية 0 يعد عدواً لدوراً للإسلام ونبيه (كما قال الدكتور مصطفى السباعي في كتابه الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ص 42 0 وانظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص 450، ورؤية إسلامية للاستشراق ص 89 – 104 0
 - (2) الآية 36 من سورة الأنفال 0
 - (3) الآية 73 من سورة آل عمران 0
 - (4) الآية 6 من سورة الحجرات 0

(182/1)

... والدسم هنا هو باب التقدير والثناء والمدح، يدخل من هذا الباب وهو يكتب عن الإسلام ونبيه (حتى يخدع القارئ ويكسب ثقته، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفية متتالية في إطار هذا المديح الكاذب، كل ذلك دون منهج موضوعي يتحرر فيه من أهوائه ورواسبه الموروثة ويلتزم فيه النقد التقويمي ونزاهة البحث، وهذا أسلوب جديد حرص عليه المستشرقون في هجومهم على

الإسلام بعدما تبين لهم فشل أو ضعف تأثير الهجوم على الإسلام ومصادره بعنف دون موارد أو
حيل (1) 00هـ

(1) شبهات التغريب للأستاذ أنور الجندى ص 91، وانظر: الغارة على العالم الإسلامي 1. ل شاتليه
ص 27

(183/1)

... فالواجب يقتضى من المسلم أن يحذر السير وراء أقوال معسولة، وآراء مغرية، ومواقف خادعة،
يمكن أن تخدع عقول البسطاء من المسلمين، وتؤثر على اقتناعهم بأن المستشرقين يمدحون الإسلام،
أو يمدحون النبي () ، ويثنون على صفاته، ويعدون شخصيته (في مقدمة المصلحين وعباقره العالم، فقد
تظاهر بعضهم بالإسلام وتزيا بزى العلماء حين زار العالم الإسلامى كما فعل صنمهم الأكبر "جولد
تسيهر" اليهودى المجرى، وسنوك هرجونية المستشرق الهولندى، وتقدم آخرون ببحوث مجمعية
لينخرطوا بين الجمعيين، فتصبح آراؤهم موضع القبول والرضا، وأثبتت الدراسات أن ربع أعضاء
الجامع العلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت من هؤلاء المستشرقين، والأزمة الفكرية التى
اختلقها (مرجليوت) (1) فى اصطناع الشعر الجاهلى، والفساد العقائدى الذى نشره (لرى ماسينون)
حول القرآن وعامية العربية فى القاهرة، وما كتبه جولد تسيهر وشاخت وغيرهم عن السنة المطهرة لا
تزال آثاره ماثلة للعيان 0

... فلا يفرح مسلم من ثناء مستشرق على الإسلام أو الرسول () ، ويعد هذا كسباً للعلم والتاريخ،
فإن هذا قد يكون مرحلة من مراحل التغريب فى العقيدة والفكر، وأسلوباً من أساليب المكر والخديعة
(2) 0

(1) مرجليوت: هو دافيد صمويل مرجليوت، إنجليزى يهودى، من كبار المستشرقين، متعصب ضد
الإسلام، ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية)، كان عضواً بالجمع اللغوى المصرى، والجمع العلمى
فى دمشق، عين أستاذ للعربية فى جامعة أكسفورد 0 له كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً
فيها للعلم 0 مات سنة 1940م من مؤلفاته : "التطورات المبكرة فى الإسلام"، و "محمد ومطلع

الإسلام"، و "الجامعة الإسلامية" وغير ذلك 0 له ترجمة في : الأعلام 329/2، والمستشرقون 518/2، والاستشراق ص 36، وآراء المستشرقين حول القرآن 88/1 0
(2) شبهات التغريب للأستاذ أنور الجندى ص 91 - 93 0

(184/1)

... يقول الدكتور محمد حسين : "لذلك كان من الواجب على المسلمين أن يدركوا إدراكاً واضحاً أن البحوث الإسلامية التي يكتبها المستشرقون هي بحوث موجهة ضد الإسلام والمسلمين، فتمجيد الإسلام في كتب المستشرقين يقصد به خلق جوٍّ من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربي من ناحية، ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين بمجاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية، ويقصد بذلك أيضاً أن يقوم تفاهم بين الشرق والغرب، ودعوة الباحثين من المسلمين في مؤتمراتهم، وفي غيرها من الكتب والبحوث الإسلامية، بقصد المعاونة في تحقيق التقارب بين الثقافتين، ومزج إحداها بالأخرى، وبالطبع مزج الفكر الفلسفي اليوناني الغربي بالفكر الإسلامي العربي، والنتيجة الطبيعية لهذا المزج الخروج بفكر منحرف مجافٍ لإسلامنا وحضارتنا تماماً كما حدث مع أصحاب الفرق من المعتزلة والمتكلمين وغيرهم ممن تأثروا بالفكر الفلسفي اليوناني والفارسي والهندي، وخرجوا بأصول ومناهج كان لها أثرها السيئ فيما أثر حول السنة من شبهات (1) 0
... فكثير من المستشرقين المعتدلين لم تكن كتاباتهم إنصافاً للإسلام والمسلمين، وإنما مرحلة جديدة من مراحل تغريب الأمة الإسلامية في عقيدتها وفكرها بأسلوب ماهر خبيث ينخدع به المفتونون بهم 0
... يقول الأستاذ محمد سرور بن نايف : "وأتحدى أن يكون هناك مستشرق منصف فيما يكتب عن الإسلام والمسلمين" (2) 0

... ويؤكد ذلك الأستاذ محمد أسد بقوله : "صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقوا أوربة" (3) 0

(1) الإسلام والحضارة الغربية ص 121 - 124 بتصرف 0

(2) دراسات في السيرة النبوية ص 175 0 ...

(3) الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ترجمة الدكتور عمر فروخ ص 54 0

(185/1)

... فلو أخذنا مثلاً "بروكلمان" (1) في كتابيه (تاريخ الأدب العربي) و (تاريخ الشعوب الإسلامية) وهما من المراجع المهمة عند كثير من المتخصصين بعلم التاريخ؛ لأنهما في نظرهم من المراجع الهامة التي أدت ولا زالت تؤدي خدمات جليلة للباحثين في شتى مجالات العلوم العربية والإسلامية (2) 0 لو قرأنا بإمعان هذين الكتابين واللذين هما في نظر المنتصرين للمستشرقين من المراجع الهامة في التعريف بإسلامنا وتاريخنا، وصاحبه من المعتدلين، لرأينا أن صاحبه صليبي، حاقده على الإسلام والمسلمين، وقد تجاوز كل حد في شططه عن الحق وإعراضه عن الصواب، وبعده عن الموضوعية والتحرر، ولم يترك مركباً للدس والتضليل إلا امتطاه، وذلك بترديده أقوال من سبقه من المستشرقين، ولكن بأسلوب مكرر دس فيه السم بالدمسم 0 في كل ما كتبه عن القرآن الكريم والسنة المطهرة والنبى (وصحابته الكرام 0

(1) بروكلمان : هو كارل بروكلمان 0 مستشرق ألماني، تعلم اللغة العربية وكان عالماً بتاريخ الأدب العربي 0 عضو المجمع العربي وكثير من المجمع الأخرى بألمانيا 0 مات 1956م 0 من أثاره : "تاريخ الأدب العربي" و "تاريخ الشعوب الإسلامية" وغيرها 0 له ترجمة في : الأعلام 211/5 - 212، والمستشرقون نجيب العقيلي 777/2 - 783، والمستشرقون الألمان تراجمهم جمع صلاح الدين المنجد ص 153 - 162 0

(2) الإسلام في تصورات الغرب للأستاذ الدكتور حمدي زقزوق ص 11 0

(186/1)

... فكارل بروكلمان وهو يتحدث عن نبوة محمد (، يردد أكاذيب وأباطيل سلفه من اليهود والنصارى فيقول : "وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد (1) ،

وعن الوحي يردد أكاذيب سلفه؛ بأنه وحى نفسى قائلاً : "لقد تحقق عنده - أى عند الرسول (- أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضح في أعماق نفسه هذا السؤال : إلى متى يمددهم الله في ضلالهم، ما دام هو (قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟! وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة (2) 0

(1) تاريخ الشعوب الإسلامية ص 34 0

(2) المصدر السابق ص36، وانظر : أمثلة أخرى لعدم إنصافه في : دراسات في السيرة النبوية للأستاذ الدكتور محمد سرور بن نايف ص 127 - 137، ومقدمات العلوم والمناهج 397/1، 219/5

(187/1)

ولا ننسى المستشرق (موريس بوكاي) في كتابه : "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، فشهادته بصدق القرآن بقوله : "إن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث" (1) وعلى الرغم من أن كلامه على القرآن الكريم لا يسلم من المآخذ، إلا أننا نراه في موقفه من السنة المطهرة يردد أقوال من سبقه من المستشرقين مشككاً في صحة نقلها وحجيتها، كقوله : "فقد كتبت أولى الأحاديث بعد عشرات من السنوات من موت محمد (مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف المسيح، إذن فالأحاديث والأناجيل شهادات بأفعال مضت) (2) 0 ثم وصفة لكلام النبي (؛ بأنه كلام بشر قد يخطئ ويصيب ... (3) ، وأن هناك مبادئ للقرآن صريحة في الأمر دائماً بالرجوع إلى العلم والعقل في الحكم على الأحاديث (4) 0

... إلى غير هؤلاء من المستشرقين الذين وصفوا بإنصاف الإسلام ونبيه ((5) ؛ لأنهم وصفوه ومجدوه بالعبرية، وبأن دعوته حركة إنسانية إصلاحية، واتخذ بذلك بعض المسلمين غافلين عن السم الذى وراء هذا الدسم (الثناء والمدح)، وهو تجريد النبي (من النبوة، ومن مزية أن القرآن الكريم والسنة النبوية وحى من عند الله (وأن رسالته (ربانية صالحة لكل زمان ومكان إلى يوم الدين، وليست حركة إصلاحية إنسانية لم تعد صالحة في عصرنا هذا، كما يهدف أعداء الإسلام ومن اغتر

- (1) دراسة الكتب المقدسة ص 15، 16 0
- (2) دراسة الكتب المقدسة ص 13، 156، 158، 290، 291، 298، 302 0
- (3) المصدر السابق ص 299 0
- (4) المصدر نفسه ص 14 0
- (5) قام الدكتور أحمد غراب بدراسة لبعض المستشرقين الموصوفين بالموضوعية مثل فنسك - ريلاند - جوستاف لوبون - مونجمرى وات وغيرهم 0 وبين حقدهم على الإسلام والمسلمين 0 انظر: رؤية إسلامية للاستشراق ص 79 - 139 0

(188/1)

... يقول الأستاذ محمد سرور بن نايف -بعد أن تحدى أن يكون هناك مستشرق منصف فيما يكتب عن الإسلام والمسلمين- قال : "بل لا يجوز الاعتماد فيما نكتبه عن الإسلام على أقوال المستشرقين ولو كانوا مسلمين وذلك للأسباب التالية :

- 1- ثبت أن نفراً منهم : أسلم خلال وجوده في بلدان العالم الإسلامي لغاية في نفوسهم، وارتدوا عن الإسلام عندما عادوا إلى أوطانهم وأدوا الدور الذى كان مطلوباً منهم 0
- 2- وبعضهم : كان متخصصاً بالعلوم الفلسفية، واطلع خلال بحثه على مؤلفات ابن عربى وغيره من غلاة الصوفية الذين يؤمنون بالحلل، ووحدة الوجود، أو اطلع على مؤلفات الشيعة والمعتزلة والمتكلمين وباقى الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ثم راحوا يكتبون عن الإسلام من خلال تلك الفرق التى أشربوا حبها ووصفوها بأنها صاحبة فكر عقلى ثورى تحررى - مع خروج غلاتها عن الإسلام 0

(189/1)

- 3- وآخرون منهم : مزجوا بين الإسلام وعادات وتقاليد الغربيين، وهذا المزيج المشوه أسموه إسلاماً، ومن سلم من هذه الانحرافات من المستشرقين (1) لا يستطيع الكتابة بعمق وشمولية عن العقائد الإسلامية أو غيرها من بقية العلوم والمعارف الإسلامية، وهذا ما اعترفت به إحدى المجالات التبشيرية

الألمانية قائلة : "إنه رغماً من اطلاع المستشرقين الألمانين وطول باعهم في المؤلفات الإسلامية؛ فإن التعليم والعقائد التي تلقى في المساجد والمعاهد الإسلامية لم تنزل خافية علينا" (2) إن العلوم الإسلامية لها رجالها الذين حفظ الله (بهم دينه، وفي طليعتهم الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعون ومن بعدهم من الأئمة الجهابذة - رضوان الله عليهم أجمعين - (3) 0

4- هذا بالإضافة إلى جهل معظمهم باللغة العربية ولأبعادها ومراميها، بل إن بعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية من أمثال "سلفتردي ساس"، و "أليس عرينان" و"جيراردمتر" (4) 0

-
- (1) من هؤلاء المستشرقين : المفكر الفرنسي الكاثوليكي رينيه جينو الذي سمي نفسه عبد الواحد يحيى، والمستشرق ناصر الدين دينية، وهدلى الفاروق، ومحمد أسد الذي كان يسمى ليوبولد فايس، ومن أشهر الذين ارتدوا عن الإسلام فيلبى الذي كان يسمى عبد الله 0 نقلاً عن دراسات في السيرة النبوية ص 175 هامش 0 وانظر : أجنحة المكر الثلاثة ص 131، 132 0 وأوروبا والإسلام للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ص 51 - 113 0
 - (2) الغارة على العالم الإسلامي 0 ل شاتليه ص 89 0
 - (3) دراسات في السيرة النبوية ص 175، 176 بتصرف 0
 - (4) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام للدكتور سعد الدين صالح ص 111 0

(190/1)

... يقول الدكتور السباعي : "وفي جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها يهودياً يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان أيضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية، وهناك تعلم العربية، وتلك هي مؤهلاته التي بوأته هذا القسم، ومن العجيب أني رأيت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الاستشراق : تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشف للزمنخشي "أى والله وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية" ودراسة أحاديث من البخارى ومسلم، وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة، وسألته عن مراجع هذه الدراسات؛ فأخبرني أنها من كتب المستشرقين أمثال : جولدتسيهر، ومرجليوث، وشاخت، وحسبك هؤلاء عنواناً على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين" (1) 0

... يقول الأستاذ سرور : "ليكتب إخواننا المستشرقون المسلمون عن فساد الحضارة الأوروبية، وعن
أخبار وتفكك الأسرة الغربية، وليقدموا لنا دراسات وأبحاثاً عن عقائد وتصورات المغضوب عليهم
والضالين من اليهود والنصارى، وعن الخرافات والأساطير التي اتخذوها ديناً، وليكشفوا فضائح
المستشرقين، وفساد مناهجهم، وليترجموا أمهات الكتب الإسلامية إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية
وغيرها من اللغات التي يجيدونها، وليكونوا دعاة إلى الله (في أقوامهم، وليحرصوا على دراسة الإسلام
وفهمه فهماً صحيحاً ليس فيه أى غلو أو انحراف، وليعيدوا النظر في جميع التصورات والمفاهيم
المشوهة عن الإسلام التي سبق وأخذوها عن بنى قومهم 0 هذا ما ننصحهم به ورحم الله (امرءاً عرف
قدر نفسه 0هـ (2) 0

(1) السنة ومكانتها في التشريع ص 14، وانظر : الاستشراق والمستشرقون للدكتور السباعي
ص 67

(2) دراسات في السيرة النبوية ص 175، 176 بتصرف 0

(191/1)

... وإذا كان ما سبق بيان لموقف المسلمين من كتابات المستشرقين وعدم الاعتماد عليها في فهم
ديننا، ولا الاعتماد عليها فيما نكتبه عن الإسلام ومصادره من قرآن، وسنة، وسيرة، وتاريخ ...
إلخ 0 حتى لو كان هؤلاء المستشرقين مسلمين للأسباب السابقة 0 فإن هذا لا يعنى أن نلقى تلك
الكتابات بعيداً، ونقول : إنها كلام فارغ ... صحيح أن فيه كذباً وتضليلاً : صحيح أنه صادر عن
حقد عميق، ولكنه ليس كلاماً فارغاً، ولا يخدمنا في شئ أن نلقيه بعيداً، ثم نجر اللحاف وننام ... لأن
هذا "الكلام الفارغ" هو الحديد والنار اللذان يحاربنا بهما أعداؤنا في بلادهم وبلادنا 0 والحديد والنار
لا يقابلان إلا بالحديد والنار، وفي ميدان العلم 0 الحديد والنار، هما العمل، والعمل الطويل نواجه به
مكر أعدائنا فإذا كان أعداؤنا يعملون بتخطيط ومكر، فعلينا أن نخطط ونمكر لنفسنا عليهم خططهم
ومكرهم 0 وإذا كانوا يكتبون عن الإسلام والمسلمين "كلاماً فارغاً ... فلنشر نحن عن سواعدها
ولنكتب نحن الشئ الملبان أداً للأمانة التي حملنا الله (إياها في أعناقنا بتبليغ رسالته إلى خلقه كافة 0
كما قال (: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (1) 0هـ 0

(1) الآية 28 من سورة سبأ0 وانظر : نقد كتاب فييت (مجد الإسلام) للدكتور حسين مؤنس ملحق بكتاب الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص 470، وللاستزادة في بيان موقف المسلمين من الحركة الاستشراقية انظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للدكتور محمود زفروق ص 147 وما بعدها، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور البهي ص 421 وما بعدها0

(192/1)

الفصل الثالث

أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً
العلمانية، البهائية، القاديانية

... وتحت مبحثان :

- المبحث الأول: التعريف بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع حديثاً وبيان خطرهم
- المبحث الثاني : موقف أهل الأهواء والبدع حديثاً من السنة النبوية0 وتحت ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول : العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية0
- المطلب الثاني : البهائيون وموقفهم من السنة النبوية0
- المطلب الثالث : القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية0

المبحث الأول

التعريف بأعداء السنة من أهل الأهواء
والبدع حديثاً وبيان خطرهم

... إن من أخطر ما يواجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللادينية بينهم من العلمانية (1) ،

(1) العلمانية لغةً : لم يوجد لها مكان في معاجم اللغة العربية! أما في بعض المعاجم الحديثة فقد جاء :

أ- في المعجم العربي الحديث تأليف الدكتور خليل الجسر : "علماني : ما ليس كنيسياً ولا دينياً" 0

ب- فامعجم الوسيط لجمع اللغة في القاهرة: "العلماني:نسبة إلى العلم،وهو خلاف الديني أو

الكهنوتي

- وعدم وجود الكلمة في المعجم القديم يدل على حداثةها، ويلاحظ بعض الباحثين أنها وردت أولاً

في المعاجم اللبنانية المسيحية في وقت مبكر (1870م) - وفي المعجم الوسيط لجمع اللغة العربية،

صدرت طبعته الأولى سنة 1960م انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور على جريشة ص

0 73 وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص 367 0

- العلمانية بالإنجليزية (SEC- سبحانه -LAR- عز وجل -SM) وترجمتها الصحيحة :

اللا دينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات

اللا دينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم (SC- عز وجل -ENCE)

والمذهب العلمي (SC- عز وجل -ENT- عز وجل -SM) وبعض العلمانيين ينكرون

وجود الله أصلاً0 وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة

الإنسان، فالعلمانية في نظر هؤلاء فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي0 انظر :

الموسوعة الميسرة ص 370 0

- يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى : "العلمانية في الشرق لا معنى لها إلا معاداة الإسلام،

والتريص له في كل مرصد0 والعمل على طعنه في كل مكان يتوهم أن فيه مقتله، ولذا فقد كتب

الكاتبون من المتحمسين "للعلمانية" في مجالات عدة كلها تتعلق "بالإسلام"، وكلها يتصل بمحاربة

الإسلام0 ومناصبته العداء0 انظر : الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ص 223،

وانظر: في الموسوعة الميسرة أفكار ومعتقدات "العلمانية" ص 370 0 وانظر : أساليب الغزو

الفكري للعالم الإسلامي للدكتور على جريشة والدكتور محمد الزبيق ص 59-74، والعلمانية

وموقفها من العقيدة والشريعة للدكتور عبد العظيم المطعني ص 58-62، والعلمانية وموقف الإسلام

منها للدكتور عزت عبد المجيد مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 1109، والعلمانية نشأتها

وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر الحوالي0

(1) البهائية نسبة إلى : (بهاء الله) لقب يدعى به ميرزا حسين على وهو الزعيم الثاني للمذهب الذى تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية له كتاب سماه (الأقدس) وقد توفي البهاء سنة 1892م0 - وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة إلى "الباب" وهو لقب ميرزا على محمد رضا الشيرازى (1235-1265هـ) (1819 - 1849م) الذى ابتدع هذه النحلة، وأعلن أنه الباب سنة 1844م/1260هـ0 انظر : البابية والبهائية فى الميزان لجماعة فن نوابغ العلماء ص 11، وجاء فى الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة البابية والبهائية حركة نشأت سنة 1260هـ- 1844م تحت رعاية الاستعمار الروسى واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزى بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية الموسوعة الميسرة ص 63، وانظر : البهائية فى خدمة الاستعمار ص 11-30 0

- وجاء فى فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أن مذهب البهائية باطل : ليس من الإسلام فى شئ ... ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتدّاً خارجاً عن دين الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام، ويأبأها كل الإباء، منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب، وادعاء الكفر لمن يخالفه وادعاء أن المذهب ناسخ لجميع الأديان، إلى غير ذلك0 انظر : البابية والبهائية فى الميزان== ص93، 94، وانظر : أفكار ومعتقدات البهائية فى الموسوعة الميسرة ص 63، 64، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجى 1/405 - 479، والبهائية وسائل وغايات لفضيلة الأستاذ للدكتور طه حبيشى ص 13-59

(194/1)

والقاديانية (1) ، وغير ذلك من المذاهب الهدامة التى نشأت وترعرعت فى أحضان أعداء الإسلام من اليهودية العالمية والصليبية الحاقدة المستعمرة، فتحت رعاية هؤلاء نشأت تلك المذاهب الفاسدة بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وإفساد عقيدتهم، وتفكيك وحدتهم، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية0

(1) القاديانية: حركة نشأت سنة 1900م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية⁰ انظر: الموسوعة الميسرة ص 389، ويقول الدكتور غالب عواجي : القاديانية هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة ... وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية، وسموا أنفسهم في إفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية تمويها على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول (، انظر : فرق معاصرة 487/2، وفي الحقيقة هم ينتسبون إلى ميرزا غلام أحمد القادياني (1839 – 1908م) أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية⁰ وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن⁰ ومن مؤلفاته "إعجاز أحمدى"، "براهين أحمدية"، "تجليات الهية" وغير ذلك، انظر: الموسوعة الميسرة ص 389، "والقاديانية ثورة على النبوة الحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية كما يذكر الندوى" القادياني والقاديانية ص 5، وللاستزادة وانظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام 487/2 – 573، والفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار للدكتور محمد البهى ص 38-42، والقاديانية لفضيلة الشيخ الخضر حسين ص 30-87، والقاديانية ومصيرها في التاريخ لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 6-194⁰

(195/1)

... واستطاع أعداء الإسلام أن يستميلوا كتاباً وأساتذة جامعيين وغير جامعيين وأدباء وشعراء وصحفيين، يحملون أفكار ومعتقدات تلك المذاهب الهدامة، من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم، ليكونوا أكثر تأثيراً في الأجيال الناشئة (1) ⁰

وهؤلاء على حد تعبير الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله تعالى- سفراء فوق العادة لليهود والنصارى، والفرق بينهم وبين السفراء الرسميين أن هؤلاء لهم تقاليد تفرض عليهم الصمت، وتصبغ حركاتهم بالأدب، أما أولئك المستشرقين السفراء؛ فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف وفي المجالس وأن يختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة، وليذهبوا بجزء من مهابته في النفوس، وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاثفت فيه الصهيونية والصليبية في العصر الحديث، إن هؤلاء نفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من الأعداء السافرين، فإن

النفاق الذى برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم، وقد يقولون كلمات من الحق تمهيداً لألف كلمة من الباطل تحيى عقيبتها (2) 0هـ

... ويقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى - : ومن المؤسف أن يسير وراء أعداء الإسلام في الحاضر فئة ممن لا نشك في صدق إسلامهم من العلماء والكتاب، ولكنهم منخدعون بمظهر التحقيق العلمي "الكاذب" الذى يلبسه هؤلاء الأعداء من المستشرقين والمؤرخين والغربيين عن حقيقة أهدافهم ومقاصدهم، فإذا هم - وهم مسلمون - ينتهون إلى الغاية التى يسعى إليها أولئك - وهم يهود أو مسيحيون أو استعماريون - من إشاعة الشك والريبة في الإسلام وحملته، من حيث يدرون أو لا يدرون، فالتقى أعداء الإسلام وبعض أبنائه على صعيد واحد لا يشرف هؤلاء ولا أولئك، لا في ميدان العلم، ولا في سجل التاريخ 0

(1) أجنحة المكر الثلاثة للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص 134 0

(2) ظلام من الغرب في المقدمة 0

(196/1)

... ومن الملاحظ أن هؤلاء الذين ينخدعون من المسلمين بالمستشرقين والمؤرخين والكتابين من أعداء الإسلام الغربيين، لا يوقعهم في الفخ الذى نصبه لهم هؤلاء ألا أحد أربعة أمور غالباً :

- 1- إما جهلهم بحقائق التراث الإسلامى، وعدم إطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية 0
- 2- وإما انخداعهم بالأسلوب العلمى "المرعوم" الذى يدعيه أولئك الخصوم 0
- 3- وإما رغبتهم في الشهرة والتظاهر بالتححر الفكرى من ريقه التقليد كما يدعون 0
- 4- وإما وقوعهم تحت تأثير "أهواء" و "انحرافات" فكرية، لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتستر وراء أولئك المستشرقين والكتابين بتلقف آرائهم الفاسدة ومبادئ مذهبهم الباطلة وترديدها كالبعغاء، متوهمين أن ذلك فيه عز للإسلام والمسلمين، فأضروا بأنفسهم وبغيرهم وشغبوا على دينهم، وأحدثوا بلبلة فكرية، حار فيها العوام وأنصاف المتعلمين (1) 0 ويضيف فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود عبد اللطيف عاملاً خامساً وهو :

(1) السنة ومكانتها في التشريع ص 4، 3، انظر : السنة النبوية الشريفة للدكتور أحمد كريمة، هدية

مجلة الأزهر، عدد ربيع الأول لسنة 1418هـ ص 26، 27 0 وانظر : دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص 372، وقصة الهجوم على السنة للدكتور على أحمد السالوس ص 35-37 0

(197/1)

5- جهلهم بالسنة النبوية وعلومها وإن كان بعضهم برز في تخصصه ومجاله العلمي الدقيق، وهؤلاء هم أدعياء العلم بالسنة النبوية الذين قرؤوا فيها قراءات عابرة لا تنهض من كبوة أو تبعث من رقدة، فعرفوا منها القشر دون اللباب، وخيل إليهم أنهم أعلم الخلق في هذا الباب، وليس بالضرورة أن يكون أدعياء العلم بالسنة أتباعاً لواحد من هذه المذاهب الهدامة، أو لبعضها في كل أصولها العقائدية؛ لأنهم قوم نشهد لهم بقوة الدين وتمام الفضل، لكنهم - فيما نراه - قلدوا غيرهم في بعض أفكارهم المنحرفة من غير تروٍّ، أو تعمق، وإن غالوا في اعتزازهم بآرائهم، وسفهوا عقول مخالفيهم، وحملوهم عليها بقوة اللهجة والأسلوب 0

... والمتأمل في أحوال هؤلاء القوم يجد أن بينهم وبين العلم المتعمق في السنة وعلومها بوناً شاسعاً، وليس بينهم وبينها من صلة إلا بمقدار قراءتهم لها فيما تمس الحاجة إليه منها 0

... فهم ما بين خطيب، وفقه، وأديب، وطبيب، وقانوني، ومتكلم، ومؤرخ، وغيرهم من الذين لم يتخصصوا في السنة وعلومها، وإنما تخصصوا بغيرها من شتى الفنون، وقد يكون هناك الدعى على العلم والعلماء، ولم يتخصص في شئ سوى الافتراء على الإسلام ونبيه (، وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين (1) 0

(1) السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ص 129 - 131 بتصرف 0

(198/1)

... والدليل على استمالة أعداء الإسلام لبعض أبناء المسلمين لحمل أفكارهم وشبهاتهم حول السنة المطهرة ونشرها بين المسلمين ما قاله الأستاذ الصديق بشير نصر في كتابه (ضوابط الرواية عند المحدثين) : "والذى تبين لى أن المستشرقين قد بذروا بذور الشك في الحديث الشريف، وتعهدوها

بالرعاية حتى عثروا على من يتولى أمرها من أبناء المسلمين المستغربين، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من المستشرقين في المعارف الأخرى، والذي أكد لي هذا الظن وقوعي على كتاب بعنوان : "توثيق الأحاديث النبوية، مجادلات في مصر الحديثة" لمؤلفه جانيبول⁰ هذا الكتاب الذي اعتقد أنه وضع لتحسس مدى تأثير المستشرقين في أبناء الإسلام، وكأنه وضع لمعرفة ما إذا كانت تلك البذور التي غرست قد أُنعت وأثمرت أم لم تنبع ولم تثمر بعد⁰

... وقد أكد هذا الكتاب لي حقيقة أن هؤلاء الناس يخططون لأمد بعيد، وكل كتاب يخرج منهم إنما هو وفق هذا المخطط المرسوم وإليك عرضاً سريعاً لهذا الكتاب⁰

عرض كتاب (توثيق الأحاديث) لجانيبول :

... يقع هذا الكتاب (وما زال الكلام للأستاذ صديق) في تسعة فصول هي على التوالي :

1- مسح لما صدر من كتب ومقالات في توثيق الأحاديث⁰

2- التوثيق في نظر محمد عبده⁰

3- النقاش حول التوثيق في مجلة المنار⁰

4- مناقشات أخرى في التوثيق⁰

5- مناقشة حول التدوين⁰

6- مناقشة حول العدالة⁰

7- مناقشة حول عدالة أبي هريرة⁰

8- مناقشة حول الوضع في الحديث⁰

9- رواية الأحاديث⁰

... والكتاب يعرض لكل ما كتبه المسلمون في الحديث، سواء كان على شكل كتب، أو مقالات

ابتداء من محمد عبده، ورشيد رضا في مجلة المنار، وانتهاءً بأحمد أمين، وهيك، وأبي رية⁰

(199/1)

... ثم يتحدث الكتاب عن الزوبعة التي أثارها كتاب (أضواء على السنة المحمدية) للشيخ أبي رية، والذي نشر سنة 1958م، والردود التي تعرض لها من علماء المسلمين؛ كالدكتور محمد أبو شهبة في

دفاع عن السنة، ومحمد السماحي في أبو هريرة في الميزان، ودفاع عن الحديث النبوي، وتفنيد شبهات خصومه لمجموعة من العلماء أمثال السباعي، وسليمان الندوي، ومحب الدين الخطيب، وعبد الرازق حمزة في ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، وعبد الرحمن اليماني في الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، ومصطفى السباعي في السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ومحمد عجاج خطيب في (أبو هريرة راوية الإسلام)، والسنة قبل التدوين، ومن يقرأ كتاب (جاينبول) هذا، يرى مبلغ تحامله فيه، فهو يسفه ويسخر من كتاب المسلمين الثقات، الذين ذبوا عن سنة نبيهم (،) ويطرى ويمدح صنائع المستشرقين بالرغم من التفاوت العظيم بين كتابات أولئك الأفاضل أمثال أبي شهبة واليماني والسباعي، وتلك الدمى المتحركة أمثال : أمين، وأبي رية فاستمع إليه وهو يقول في أحمد أمين : "شكوكه في توثيق الأحاديث واضحة بينه، وضعت على أساس مناقشات العلماء الغربيين"، وينقل جاينبول كلام فيه بأنه : "الكاتب الفذ، وصاحب المحاولة الرائدة في تقديم المنهج النقدي في علم التاريخ الإسلامي والعربي"0 وعندما يأتي على ذكر "السباعي" يصف أسلوبه بأنه : خليط من السباب ويصفه بالسطحية0

(200/1)

... وهذا الكلام مجاف للواقع بكثير، فأسلوب السباعي - رحمه الله تعالى - هادئ رصين، ولم يتبع فيه أسلوب السباب والشتيمة كما يدعي جاينبول مطلقاً، وهذا الكتاب بين أيدينا يشهد على نفسه، وتلك -والعياذ بالله- عادة المستشرقين في الطعن في كل من تتبع أوهامهم وسقطاتهم، فهم لا يتورعون عن رميه بالتعصب والحمية تارة، وبالجهل والسطحية تارة أخرى، وإلا لو أنصف هؤلاء القوم لشهدوا بأن كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) للدكتور السباعي : هو كتاب القرن في موضوعه، وجديته، فصاحبه لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بمبحثه إلا ذكرها، وما وقف على شبهة إلا هدمها، ولا وهم إلا بدده بأسلوب منهجي دقيق (1) 0

وصفوة القول في الكتاب وصاحبه ما قاله الأستاذ جمال البنا في كتابه السنة ودورها في الفقه الجديد قال : كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي يستحق به أن يكون "شافعي العصر الحديث" (2) 0

ولكن أنى للمستشرقين أن يشهدوا بذلك؟ فهم لا يشهدون بذلك إلا لمن تربوا على أيديهم وتبنوا آراءهم وأفكارهم الهدامة 00هـ

المبحث الثاني

موقف أهل الأهواء والبدع حديثاً من السنة النبوية

... وتحتة ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية 0

المطلب الثاني : البهائيون وموقفهم من السنة النبوية 0

المطلب الثالث : القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية 0

المطلب الأول

العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية

(1) ضوابط الرواية عند المحدثين 294 – 298 بتصرف 0

(2) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 74 0

(201/1)

... يتلخص موقف دعاة العلمانية من السنة النبوية الشريفة، في موقف أساتذتهم من المستشرقين الذين حرصوا على إحياء شبهات أهل الفرق المبتدعة، والانطلاق من مناهجهم، للتشكيك في حجية السنة النبوية ومكانتها التشريعية جملة وتفصيلاً تارة، والتشكيك في حجية خبر الآحاد، ووجوب العمل به تارة أخرى، ولهم في ذلك شبهات سيأتى ذكرها والرد عليها في الباب الثانى 0

المطلب الثاني

البهائيون وموقفهم من السنة النبوية

... تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن -رحمها الله تعالى- : خلاصة موقف البهائيين من القرآن والسنة :

- 1- التأويل البهائي لآيات القيامة واليوم الآخر بما جهل المسلمون المراد بالقيامة الكبرى : انتهاء الدورة المحمدية بالظهور البهائي 0 فهذا برهان صدق القرآن، حباً من الله تعالى 0
- 2- تعيين وقت الساعة وانتهاء أجل الأمة المحمدية، بالحساب اليهودي لفواتح السور، بعد أجد هوز 0
- 3- اتمام رواية الحديث ورواته، فليس صحيحاً منه إلا ما وافق الظهور الجديد للبهاء وأمكن تأويله به، وإلا فهو مختلق، وعلى شرطهم يصح الحديث في العد اليهودي لحروف الفواتح، وما جاء عن المهدي ونزول عيسى - عليه السلام - آخر الزمان، مراداً بهما الباب الشيرازي والبهاء المازندراني (1) 0

... من ذلك قول : "المرزّه حسين النوري بهاء الله : "والآن انظر إلى الناس كيف أنهم لا يدركون أبداً هذه الأحاديث المحكمة، ولكنهم يتمسكون بالأحاديث التي لا يعلم صحتها من سقمها ... ويتمسكون ببعض الأحاديث التي لم يفهموا معناها، وبذا أعرضوا عن ظهور الحق وجمال الله، واستقروا في سقر" (2) 0

-
- (1) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية 546/2 0
 - (2) الحجج البهية للجرفادقاني نقلاً عن المصدر السابق 543/2 0

(202/1)

... ويقول "أبو الفضائل الجرفادقاني" مرشد ومربي حسين المازندراني بهاء الله وشارح كتابه (الأيقان) : "ومع ذلك فليست كل الأحاديث باطلة، بل فيها ما هو الصحيح فيطابق الواقع - في الظهور الجديد - فإن طابقت مدلولها كانت صحيحة لا محالة، وإلا فهي مختلفة 0

... ويقول أيضاً : "ولما كانت هذه العلامات كلها منطبقة على بهاء الله، إذن المقصود بهذه الأحاديث هو بهاء الله 0 كنى عنه بعيسى بن مريم، وأضمر اسمه تعظيماً" (1) 0

... ويقول الدكتور غالب عواجي مبيناً خلاصة موقف البهائيين من السنة النبوية المطهرة : "وكما أولوا آيات القرآن الكريم، أولوا كذلك الأحاديث النبوية على طريقتهم الباطنية الملحدة التي زعموا أن الأحاديث كلها شأن القرآن تدل على نهاية الشريعة المحمدية - وظهور القيامة بمجئ البهاء، والوقوف على ظاهر الأحاديث دون تأويلها بظهور البهاء - يعتبر كفراً بالرسول محمد (نفسه، ويعتبر خروجاً بالأمة إلى الشرك والضلال، كما زعم البهائي الحاقد الدكتور رشاد خليفة إمام مسجد توسان بولاية أريزونا الأمريكية (2) 0

... وقال في كتابه "القرآن والحديث والإسلام" : "والسنة أمر مهمل، والتمسك بها خطأ يجب على الأمة أن تقيّل نفسها منه، وأن تصحح مسارها بإلقاء السنة عن كواهلها" 0

... ويقول أيضاً : "والنبي محظور عليه أن يبين من عنده كلمة من القرآن أو يفسرها" (3) ويقول : "إن المؤمنين مأمورون من الله بأن لا يأخذوا في دينهم عن الرسول شيئاً غير القرآن، ولا أن يطبعوه في كلمة غير ما يبلغ من القرآن" (4) 0

(1) التبيان والبرهان نقلاً عن المصدر السابق 545/2 0

(2) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام 469/1، وانظر : قصة هذا الرجل في كتاب مسيلمة في

مسجد توسان لفضيلة الدكتور طه حبيشى 0

(3) انظر : القرآن والحديث والإسلام ص1، 2، 17، وقرآن أم حديث ص 16، وانظر : مسيلمة

في مسجد توسان ص 56 0

(4) القرآن والحديث والإسلام ص 17 وما بعدها 0

(203/1)

... وفي كتابه "قرآن أم حديث" ذهب إلى القول : "بأنه من المستحيل إتباع القرآن والحديث، إذ لا بد من عمل اختبار، فالمؤمن بالقرآن منكر للحديث والسنة، والمؤمن بالحديث والسنة منكر للقرآن" (1) 0

... وقال : "ثم كشف البحث الدائم من ذلك الوقت، عن حقيقة مذهلة : وهى أن الحديث والسنة بما لهما من مكانة مقدسة فى الشعوب الإسلامية، لا علاقة لها بالنبي محمد وأن الالتزام بالحديث والسنة يمثل عصياناً صارخاً لله ورسوله⁰ وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة فى كل مكان⁰ وبناءً على ذلك فإن شعبي، بل شعبية الإعجاز العددى القرآنى أيضاً عرضة لتهديد حياتى وسمعتى، بما يتوقع يقيناً من إبلاغهم أن الحديث والسنة هى بدع شيطانية⁰ ولما كان الإقرار بأن الحديث والسنة بدع شيطانية تؤيده النصوص والأدلة الثابتة، فإن جميع ذوى الفكر الحر سوف يقبلون الاكتشافات المدونة فى كتابى هذا⁰ وبالنسبة لهؤلاء فإن هذه النتائج تتضمن إحساساً جديداً بالخلاص التام، وبالليقطة الكاملة، والوعى بأن الجماهير المسلمة سقطت فى الفخ ضحية للمخططات الشيطانية" أ⁰ (2) 0

... ويستدل المتنبي الكذاب على أن السنة النبوية من عمل الشيطان بآيات من كتاب الله (وهى قد نزلت فى شياطين الأنس مثله، قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (3) 0

(1) قرآن أم حديث المقدمة، وانظر : ص 22، والمسلم العاصى لأحمد صبحى منصور ص 28، والسنة فى مواجهة أعدائها ص 45 0

(2) القرآن والحديث والإسلام فى المقدمة⁰ وانظر: المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة 557/2، 558

(3) الآية 112 من سورة الأنعام، وانظر : قرآن أم حديث ص 49 0

(204/1)

... ثم يستدل على أن رواة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين - مجرمون خونة - بقوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (1) 0

وإذا كان محظور على النبي (بيان ما أجمل فى القرآن الكريم، وعدم طاعته) فى كلمة غير القرآن،

فالرجوع إلى السنة والعمل بها فيما فصلته مما أجمل في القرآن، أو خصصته مما عمم، أو بينته مما أشكل، واستقلت بتشريعه دون سابق ذكر له في القرآن الكريم، الرجوع إلى السنة في كل ذلك والعمل بها، إنما هو في نظر الدجال رشاد خليفة دليل على زيف إسلام المسلمين على مر تاريخهم إذ يقول : "يعلمنا القرآن الكريم أن الحديث هو الاختيار الضروري للتمييز بين المسلم الحقيقي والمسلم المزيف، فالمسلم الحقيقي يصدق ربه ويعلم أن القرآن تام كامل مفصل، ولا يجوز الرجوع إلى غيره، أما المسلم المزيف فيصغى إلى الحديث ويرضاه ... " (2) 0

-
- (1) الآية 31 من سورة الفرقان، وانظر : المصدر السابق ص 22 - 25، والقرآن والحديث والإسلام ص 13، 14، والمسلم العاصي ص 5، 6، وعذاب القبر والثعبان الأقرع ص 4، 5
(2) قرآن أم حديث ص 22، وانظر : ص 44 - 48، والقرآن والحديث والإسلام ص 20، 21، 42 والسنة في مواجهة أعدائها ص 52 0

(205/1)

... وخلف رشاد خليفة في موقفه هذا من السنة المطهرة صديقه الدكتور أحمد صبحي منصور، الذي تخرج في الأزهر وحصل على العالمية في التاريخ من الجامعة، وتبرأ من السنة فتبرأت منه الجامعة، وخرج منها مدحوراً إلى أمريكا ليكون حوارى المتنبئ رشاد خليفة (1) ، وليكتب من مسجد توسان "الأزهر يكفر بالقرآن" قائلاً : المشكلة الأزلية للأزهر أنه مسجد سيئ الاستخدام (مسجد ضرار) يقوم على حماية التراث البشرى (2) ، الذي يناقش القرآن الكريم، ويتهم كتاب الله بأنه غامض يحتاج إلى توضيح، وأنه ناقص يحتاج إلى تفصيل واستدل على ذلك بآيات تبين أن القرآن كامل وتام ومفصل ولا حاجة له إلى بيان السنة وتفصيلها" (3) 0

-
- (1) راجع قصته في كتاب "مسيلم في مسجد توسان" لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى 0
(2) يقصد السنة النبوية فهي في نظره "عمل شيطاني ورواة السنة مجرمون خونة" كما سبق حيث استدل بما استدل به مسيلم الكذاب رشاد خليفة 0
(3) سيأتى ذكر هذه الآيات والرد عليها في شبهة الإكتفاء بالقرآن وعدم الحاجة إلى السنة ص 184، 185 0

... ثم علق رشاد خليفة على مقالته قائلاً : "إن الأزهر يرفض التأكيدات المتكررة للقرآن بأنه كامل وتام ومفصل تماماً⁰ إن الأزهر يأخذ موقفاً رسمياً من أن القرآن ليس كاملاً ولا مفصل، ومن ثم فإن الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة، إن أى مسلم يمتلك قدراً من التفكير والبداهة يستطيع أن يرى أن الأزهر لا يحترم إرادة الرب، ولكنه يحترم إرادة إبليس⁰ أحمد صبحي منصور هو أول عالم أزهري يكتشف الحقيقة، ويقف في وجه السلطات في قلعة إبليس (الأزهر) وفي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، أوضح منصور الطبيعة المحمدية للأزهر ودوره في قلب المسلمين المخلصين إلى محمديين مؤهلين للوثنية" (1) أ⁰هـ ، ويشيرون بذلك إلى موقفهم من النبي (حيث يعتبرون الصلاة والسلام على النبي (شرك، وتقديره كفر ووثنية (2) ، وأنه لا عصمة للنبي (من الكبائر يقول أحمد صبحي : [إن الرسول معرض للوقوع في أعظم الذنوب وهو الشرك بالله ... والرسول سيحاسبون ولو كانوا معصومين لكان حاسبهم عبثاً وتعالى الله عن العبث] (3) أ⁰هـ

-
- (1) مجلة منظور المسلم نقلاً عن مسيلمة في مسجد توسان ص 247-249 أ⁰
- (2) انظر : القرآن والحديث والإسلام رشاد خليفة ص 10، 11، 12 والأنبياء في القرآن أحمد صبحي منصور ص 31 وما بعدها أ⁰
- (3) الأنبياء في القرآن ص 40، 45، وانظر : ص 23، 31، 32، 35 أ⁰ والقرآن والحديث والإسلام ص 8 وما بعدها وانظر : أيضاً ممن طعنوا في عصمة النبي (الدكتور نصر أبو زيد في كتابه نقد الخطاب الديني ص 126، والمستشار سعيد العشماوى في كتابيه "الإسلام السياسى" ص 86، "وأصول الشريعة" ص 143 أ⁰

... وما هو جدير بالتنبيه : أن بعض دعاة اللادينية عندما يظهرون أمام المسلمين بتعظيم الإسلام ونبي الإسلام، وأن الإسلام حق، والرسول حق، يفعلون ذلك تقية ونفاقاً حتى يطمئن إليهم المسلمون، ثم يخلطون الحق بالباطل الدسم بالسّم، بالتشكيك في السنة النبوية وفي عقائد المسلمين،

ويبدو هذا واضحاً في مقالات أحمد صبحي منصور عندما يكتب تحت عنوان "القرآن هو الحل" و "القرآن لا يزال هو الحل" في جرائدنا القومية وغيرها من الجرائد والمجلات اليسارية (1) 00هـ

المطلب الثالث

القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية

(1) انظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي فصل السبب في انتشار تعاليم البهائية 499/1- 473 0

(208/1)

... وكانت الحركة الإصلاحية التقدمية التي ادعاها السيد أحمد خان (1) ، المقدمة والتمهيد لنشأة القاديانية، تلك العقيدة التي تفرع منها فيما بعد ذلك المذهب الذي يعرف بالأحمدية (2) ، وفرقة أهل القرآن بالهند وباكستان (3) 0

(1) هو السيد أحمد خان بن أحمد مير المتقي بن عمار الحسيني، ولد في دهلي 17 أكتوبر عام 1817م، بدأ دراسته بالقرآن الكريم، ثم درس بعض كتب الفارسية والعربية، عمل في المحاكم الإنجليزية -مساعد قاضي- مات عام 1897م، انظر : في ترجمته دائرة المعارف البريطانية 369/1، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين البهي ص 100 0

(2) أغلب المستشرقين مولعون باستمرار بوصف الإسلام بأنه الدين الحمدي، أو المذهب الحمدي نسبة إلى محمد كما تنتسب المسيحية إلى المسيح، ولكن هناك سبباً آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم، وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد وليس من عند الله أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطى لديهم هذا الانطباع لاعتقادهم أن المسيح ابن الله 0 انظر الإسلام في تصورات الغرب لفضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق ص 21 هامش، ومنهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة علي طه ص 24 0

(3) انظر دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي 28 وما بعدها، وقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين ص 100 ما بعدها 0

... والسيد أحمد خان قد وضع لبنة عامة للتشكيك في السنة كلها فقال : "بعد وفاة الرسول (ظلت الروايات تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب المعتمدة، غير أننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الهيئة التي دونت بها كتب الأحاديث تلك، التي كان مبناها روايات الذاكرة ... ، بينما البعد الزمني كفيل بمزج الزائد بها وإضافة الجديد إليها" (1) 0

... ويضيف قائلاً : "بأن ما دون في هذه الكتب من الأحاديث إنما هي ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي - الصادر من شفثيه عليه الصلاة والسلام والمعبّر به من وفاق أو خلاف، وليس من العجب أن يخطئ أحد الرواة في فهم الحديث مما يكون سبباً في ضياع المفهوم الصحيح (2) 0" ... وبناء على موقفه هذا جعل الأحكام المستنبطة من السنة بوجه عام أحكاماً لا يجب على المسلمين اتباعها، "وأن ما استخرج العلماء من نصوصها الحالية إنما هي أحكام اجتهادية لا نصية فيها ولا حتمية، لاحتمال ألا يكون ذلك مقصود عليه الصلاة والسلام" (3) 0

-
- (1) مقالات سير سيد جمع وترتيب محمد إسماعيل 23/1 نقلاً عن القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين البهي ص 104 وسيأتي الرد على هذا في شبهة التأخر في تدوين السنة 0
- (2) مقالات سير سيد 49/1 وسيأتي الرد على هذا في شبهة رواية الحديث بالمعنى ص 368-378
- (3) مقالات سير سيد 69/1 0

... ثم خطأ خطوة أخرى إلى الأمام فعاتب المحدثين، محملاً إياهم عدم تمحيص متون السنة مثل السند، فقال : "وإنا لنشكر للمحدثين جهودهم المبذولة في هذا الشأن غير أن جل مساعيهم، بل كلها لم تتجاوز توثيق الرواة وعدمه، بينما أولئك الرواة كان قد مضى على وفاتهم زمن طويل، ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم، بحيث يكون هو العمدة في قبول الحديث ورده، فإن لم يكن هذا العمل مستحيلاً؛ فلا يخلو أن يكون أمراً في غاية الصعوبة" (1) 0

... ويقول في المعنى نفسه : "وأنا لا ندرى عن الأحاديث التي وثقت أو وجهت الجهود إليها من حيث المضمون والمحتوى أم لا؟ وأى السبل سلكت في ذلك" (2) 0

... وأخيراً حاول السيد أن يجهز على السنة بوضعه الشروط التي يتعذر توفرها في أغلب الأحاديث، يقول : فقال "والمعيار السليم لقبولها هو أن ينظر إلى إن المروى بمنظار القرآن فما وافقه أخذناه، وما لم يوافقه نبذناه ... ، وإن نسب شئ من ذلك إلى الرسول () ، فيجب فيه توفر شروط ثلاثة :

1- أن يكون الحديث المروى قول الرسول بالجزم واليقين 0

2- أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوى هي الكلمات النبوية بعينها 0

3- ألا يكون للكلمات التي أتى بها الرواة معانٍ سوى ما ذكره الشراح، فإن تخلف أحد هذه

الشروط الثلاثة؛ لم يصح نسبة القول إلى الرسول () ، أو أنه حديث من أحاديثه" (3) 0

(1) مقالات سير سيد 23/1، وسيأتي الرد على هذا في الجواب عن دعوى تقصير المحدثين في تقديم

للمتن ص 667-672 0

(2) مقالات سير سيد 23/1 0

(3) مقالات سير سيد 40/1 0

(211/1)

... وهذه الحركة الإصلاحية، أو المجددين الإسلاميين (1) - الهنود - كان من المحبب إليهم تسمية أنفسهم المعتزلة المحدثين، كما حكى ذلك عنهم المستشرق جولد تسيهر في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" (2) ، ويرى جولد تسيهر أن تلك الحركة تستحق تنويعاً خاصاً لموقفها الجاد القوي (3) ، حيث يقفون موقفاً حراً بالكلية تجاه الحديث، على أنه مصدر الأسس التي يعد تخليدها عقبة في سبيل حرية النمو، ويرى جولد تسيهر أن الحديث في نظرهم (ونظرة أيضاً)، خرافة وأساطير كقصص ألف ليلة وليلة (4) ، ثم يحكى عنهم : أن الاعتماد على الحديث يجعل الإسلام مساوياً في قيمته للعب الأطفال ... ولا مكسب في نظرهم للمرء من المرويات التي تشتمل عليها كتب الحديث بما في ذلك صحيح البخاري ومسلم - رضى الله عنهما - إلا الظن، وأن ما اشتملت عليه كتب الرجال،

والتاريخ من أخبار هي جديرة بالشك في وقوعها، فيقول جولد تسيهر نقلاً عن سير سيد أحمد خان بهادر في كتابه "تبرئة الإسلام عن شين الأمة والغلّام" "إذا أردنا أن ننظر إلى الأخبار التي تضمنتها تلك الكتب على أنها أسس للمسائل الدينية، فسيكون الإسلام -والعياذ بالله في هذا- مساوياً

(1) الأستاذ أحمد أمين شبه سيد أحمد خان في الهند، بالشيخ محمد عبده في مصر من حيث إن كلاً منهما كان مصلحاً دينياً، وهو في هذا القول تابع للمستشرقين كما قال الدكتور البهي في كتابه الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ص 33، 38، 145، وانظر : مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ص 347 وما بعدها 0

(2) ص 342 0

(3) مذاهب التفسير الإسلامي ص 337، وانظر: ثناء جماعة من المستشرقين على السيد أحمد خان وعلى حركته القرآنية 0 في كتاب وجهة الإسلام نظره في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي لجماعة من المستشرقين ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريده ص 125، 119، 47-133، 223 0

(4) مذاهب التفسير الإسلامي ص 344، وانظر : وجهة الإسلام ص 126 وما بعدها 0

(212/1)

في قيمته للعب الأطفال، أو الخرافات ولا ريب أن المحدثين قد دفعهم القصد النبيل إلى جمع الأحاديث ونقدها، ولكن على الرغم من ذلك لا يكسب المرء من المرويات التي تشتمل عليها كتب الحديث -ولا يستثنى من ذلك البخاري ومسلم - إلا الظن 0 فكيف يكون الحال إذاً في كتب الرجال والتاريخ وما فيها من أخبار جديرة بالشك في وقوعها، إذا نحن أردنا أن نستمد القوانين الدينية من مثل هذه المصادر ... (1) 0

... ولأن الأمة أجمعت على حجية السنة، واعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولم يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في الإسلام، فقد طعن هؤلاء المعتزلة المحدثون في حجية الإجماع، وادعى أحمد خان بهادر؛ أنه أول من يظهر معترضاً سبيل الإجماع (2) ، وكذب فما هو إلا ذيل لسلفه ومن تبعه في إنكاره حجية الإجماع (3) 0

... يقول جولد تسيهر : "وكما أنحت هذه الدوائر بمعول الهدم على اعتماد صحة الحديث، فقد

سلطت ذلك المعول على ركن أساسى آخر فى بناء مذهب أهل السنة، فهم

لا يعترفون بالإجماع، وهو سند أهل السنة فى شرعية العادات والمؤسسات المتقدمة العهد، بحجة معتبرة فى جميع الأزمان، ويسمون الاعتراف الأعمى به تقليداً يأباه الثقافات من أهل السنة أنفسهم"0

... ثم يصرح جولد تسهير بهدف الطعن فى الإجماع، وهو الطعن فى المجمع عليه، ومن حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام فيقول : [وهم يطعنون بالوضع والاختلاق فى الأحاديث التى يعتمد عليها مذهب أهل السنة فى عدم تسرب الضلالة إلى إجماع الأمة] (4) 0هـ

(1) المصدر السابق ص 344 0

(2) مذاهب التفسير الإسلامى ص 345 0

(3) انظر : أدلة حجية الإجماع فى مبحث أدلة حجية السنة ص 480، 481 0

(4) مذاهب التفسير الإسلامى ص 345، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش 0 مبحث (القرآنيون وموقفهم من عصمة النبى () ص 315، ومبحث (القرآنيون وموقفهم من ختم النبوة) ص 321 0

(213/1)

الفصل الرابع

أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً

فى

الكيد للسنة

أهداف أعداء الإسلام فى الكيد للسنة المطهرة

... أجمعت أمة الإسلام قديماً وحديثاً على التمسك بسنة النبى (، والعض عليها بالنواجذ، وضرورة

تطبيقها، والسير على هديها في كل جوانب حياة المسلمين؛ لأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي المتلازم للمصدر الأول وهو القرآن الكريم ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وبهذين المصدرين معاً - القرآن الكريم والسنة النبوية - قام بناء الإسلام، وتأسست دولة الإسلام، واستمدت منهجها من القرآن الكريم والسنة النبوية معاً، ولم يمار في هذه الحقيقة الساطعة إلا نفر ممن لا يعتد بخروجهم على إجماع الأمة من الخوارج والروافض قديماً ومن سار على دربهم حديثاً⁰

... وقد بلغ من سمو السنة المطهرة؛ أنها جذبت أنظار أعداء الإسلام إليها قديماً وحديثاً، فراحوا يراقبونها وما جاءت به معترفين بشموليتها لكل أمور الحياة، وأنها مفتاح نخصة المسلمين وحضارتهم، وهي فوق كل هذا الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، والعمل بما حفظ لكيان الإسلام وتقدمه، وتركها هدم لدين الإسلام وتأخر المسلمين⁰ فيها هو ذا مشرك ينطق بشمول السنة لكل أمور الحياة، معترفاً على نفسه ومن على شاكلته؛ بأنهم يحرصون على معرفة تعاليم السنة⁰

... فغن سلمان (1) ؛ أنه قيل له : "قد علمكم نبيكم (كل شئ حتى الخراء؟ قال : قال : أجل، لقد نمنا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجى باليمين أو أن نستبخرى بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجى برجيع أو بعظم" (2) 0

-
- (1) سلمان : هو سلمان الفارسي، صحابي جليل⁰ له ترجمة في : الإصابة 62/2 رقم 3369، والاستيعاب 634/2 رقم 1014، واسد الغابة 510/2 رقم 2150، وتاريخ الصحابة ص 116 رقم 533، ومشاهير علماء الأمصار ص 56 رقم 274 0
- (2) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الطهارة، باب الاستطابة 154/2 رقم 262 0

(214/1)

... وانظر إلى قول السائل : "لقد علمكم نبيكم كل شئ" تجد أنها تدل على تتبع هؤلاء لأمر السنة، واعترافهم - مع أهلها - بشمولها لكل أمور الحياة (1) 0

... ولا تخفى مكانة السنة النبوية "الحديث" في التشريع الإسلامي وأثرها في الفقه الإسلامي منذ عصر النبي (، والصحابة حتى عصور أئمة الاجتهاد، واستقرار المذاهب الاجتهادية، مما جعل الفقه

الإسلامي ثروة تشريعية لا مثيل لها في الثروات التشريعية لدى الأمم جميعها في الماضي والحاضر، ومن يطالع على القرآن والسنة يجد أن للسنة الأثر الأكبر في اتساع دائرة التشريع الإسلامي وعظمته وخلوده مما لا ينكره كل عالم بالفقه ومذهبه⁰

... هذا التشريع العظيم الذي بهر أنظار علماء القانون والفقه في جميع أنحاء العالم، هو ما حمل ويحمل أعداء الإسلام في الماضي والحاضر على مهاجمة السنة، والتشكيك في حجيتها، وصدق جامعيتها، ورواتها من أعلام الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين الثقات الأعلام⁰

... وعلى هذا الهدف التقى أعداء الإسلام من زنادقة الفرس وغيرهم في عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة، مع أعداء الإسلام اليوم من المستشرقين ومن لف لفهم في الحضارة الغربية الحاضرة (2) ⁰

(1) السنة النبوية مكانتها⁰ عوامل بقائها⁰ تدوينها لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 66، 67 ⁰

(2) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 2 ⁰

(215/1)

... هذا مع اعتراف المستشرقين، وعلى رأسهم صنمهم الأكبر "جولد تسهير" أننا لا نستطيع فهم الإسلام بدون القرآن والسنة، حيث لا يكفي القرآن وحده قائلاً: "إننا لا نفهم الإسلام بلا قرآن، لكن القرآن وحده بعيد عن أن يكفي لمواجهة العقلية الإسلامية النامية في سيرها التاريخي" (1) ⁰ فهذا المستشرق أدرك أن السنة تجعل الإسلام ديناً شاملاً كاملاً، وبالتالي فلا سبيل لهدم هذا الدين إلا بالتشكيك في السنة، والإدعاء بأن أكثرها موضوع، وهو المنهج الذي تبناه جولد تسهير⁰

... ومن هنا يظهر هدف أعداء الإسلام من وراء دعوتهم الخبيثة وهي الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، فهدفهم هو هدم نصف الدين أو إن شئت فقل: "تقويض الدين كله؛ لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدى ذلك - ولا ريب - إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل: على الإسلام العفاء (2) ⁰ وهذا ما يدركه أعداء

الإسلام ويهدفون إليه، وفي ذلك يقول المبشر الأمريكي "جب" : "الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة، لم يبق من الإسلام شئ وصار أشبه بصبيرة طومسون⁰ وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شئ" (3) 0

(1) العقيدة والشرعية في الإسلام للمؤلف ص 41، وقارن بالسنة المفترى عليها للمستشار

الهنساوى ص 327 0

(2) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهية ص 15، 16 0

(3) التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد، وعمر فروخ ص 98 0

(216/1)

... ويقول العلامة المجرى المسلم : محمد أسد "ليوبولدفيس" في تصوير مكانة السنة في الإسلام :
"لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلال الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وأن ترك السنة هو انحلال الإسلام⁰ لقد كانت السنة هي الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيد هشك بعد أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟ ... إن التعبير الذي يتردد على مسامعنا اليوم كثيراً "لنرجع إلى القرآن الكريم، ولكن يجب ألا نجعل من أنفسنا مستعبدين للسنة" هذا التعبير يكشف بكل بساطة عن جهل بالإسلام، إن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلاً يريد أن يدخل قصراً ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب (1) 0

... ويكشف محمد أسد السر في محاربة السنة : فيقول : "إن الهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله (والمسلمون الأوائل، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته (2) 0

(1) الإسلام على مفترق الطرق ترجمة الدكتور عمر فروخ ص 87، 91 0

(2) الإسلام على مفترق الطرق ص 88 - 95، وانظر : من نفس الكتاب ص 108 (السنة النبوية تجعل المجتمع مستقراً متماسكاً) 0

(217/1)

ويقول : ولكي يستطيع نقده الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم، فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة المطهرة؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون على أوجه من التفكير السطحي أى حسب ميل كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو، ولكن تلك المنزلة الممتازة التي للإسلام على أنه نظام خلقى وعملى، ونظام شخصى واجتماعى تنتهى بهذه الطريقة إلى التهافت والاندثار، وإن الذين غرهم المدينة الغربية لا يجدون مخرجاً من مأزقهم إلا برفض السنة على أنها غير واجبة الإلتباع على المسلمين، ذلك لأنها قائمة على أحداث لا يوثق بها، وبذلك يصح تحريف تعاليم القرآن الكريم لكي تظهر موافقته لروح المدينة الغربية أكثر سهولة 0 إن اطراح السنة اطراح لحقيقة الإسلام (1) 0

... فالطعن في السنة النبوية هدم للإسلام في عباداته، ونظمه، وأخلاقه، وذلك هدف رئيسى من أهداف أعداء الإسلام وهم يحاربون السنة المطهرة، ويشككون في حجيتها 0 فالإسلام هو عدوهم الحقيقى والمسلم فقط هو العدو اللدود لهم (2) ، وأعلنوا ذلك صراحة فقال "لورانس براون" : "كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودى، والخطر اليابانى الأصفر، والخطر البلشفي، لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقى علينا موجود فى الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته المدهشة" (3) 0

(1) المصدر السابق ص 97، 98، 110 بتصريف يسير 0

(2) انظر : الإسلام على مفترق الطرق ص 64 استمرارية عداوة العرب للإسلام والمسلمين 0

(3) انظر : التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد وعمر فروح ص 148 0

(218/1)

... ويبدو من تصريحات أعداء الإسلام من المستشرقين والمستعمرين أنهم يشنون الحرب على الإسلام لعوامل عديدة منها :

1- أنه العقبة القائمة في تبشيرهم بالنصرانية وفي ذلك يقول المستر "بلس" : "إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضةً لا من جهل السكان، ولا من وثنياتهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية" (1) 0

2- أنه جدارٌ صلبٌ يهدر أطماعهم الاستعمارية في أمتنا الإسلامية، ومن هنا قالوا : "إن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم" (2) 0

... وقال لورانس : "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي" (3) ويقول "غلادستون" رئيس وزراء بريطانيا سابقاً : "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان" (4) 0

(1) الغارة على العالم الإسلامي شاتليه ص 15 0

(2) المصدر السابق ص 50 0

(3) التبشير والاستعمار ص 184 0

(4) الإسلام على مفترق الطرق ص 41 0

(219/1)

3- إن الإسلام بحضارته المجيدة يهدد حضارتهم الزائفة، وفي ذلك يقول "أيوجين روستو" رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام 1967 : "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية 0 لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصورة مختلفة 0 ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع

التراث الإسلامى للتراث المسيحى⁰ ويتابع قائلاً : "إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا، إنما هي جزء مكمل للعالم الغربى، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك؛ فإنها تتنكر للغتها، وفلسفتها، وثقافتها، ومؤسستها"⁰ إن رستو يحدد أن هدف الاستعمار فى محاربة الإسلام فى أمتنا الإسلامية هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمرار للحروب الصليبية (1) ⁰

... ويقول مسئول آخر فى وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952 : "ليست الشيوعية خطر على أوروبا فيما يبدو لى، إن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامى، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربى، فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص بهم ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية فى الحضارة الغربية"⁰

(1) انظر : قادة الغرب يقولون للأستاذ عبد الودود يوسف ص 23، 24 ⁰

(220/1)

... فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعى فى نطاقه الواسع انطلقوا فى العالم يحملون تراثهم الحضارى الثمين، وانتشروا فى الأرض يزيلون منه قواعد الحضارة الغربية ويقذفون برسالتها إلى متاحف التاريخ⁰ إن العالم الإسلامى عملاق مقيد، عملاق لم يكشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لخطأه وتخلفه، فلنعط هذا العالم الإسلامى ما يشاء، ولنقوى فى نفسه الرغبة فى عدم الإنتاج الصناعى والفنى، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد يؤن بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربى، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهى به الغرب، وتنتهى معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم" (1) ⁰ وسلك أعداء الإسلام كل مسلك من أجل تحقيق أهدافهم فى محاربة الإسلام من :

1- تشكيك للمسلمين في دينهم والادعاء كذباً؛ بأنه تركيب ملفق من اليهودية، والمسيحية، والوثنية العربية⁰

2- وتشكيكهم في كتاب ربهم (كما قال المبشر تاكلي : "يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً" (2) ، ويقول المبشر "وليم جيفورد بالكران" : "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يندرج في طريق الحضارة الغربية بعيد عن محمد وكتابه (3) 0

(1) جندالله ص 22، وانظر : قادة الغرب يقولون ص 36 - 38 0

(2) التبشير والاستعمار ص 40 0

(3) الغارة على العالم الإسلامي ص 35 0

(221/1)

3- تدمير أخلاق المسلمين والتي لو رجعوا إليها لسادوا العالم شرقاً وغرباً كما قال "مرماديوك باكتول" : "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها سابقاً⁰ بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم" (1) 0

4- تجزئة المسلمين أينما كانوا من الأرض، والقضاء على وحدتهم بتوسيع دائرة الخلاف بينهم بإحياء عقائد وآراء الفرق الهدامة، والتركيز على الشخصيات المناققة والشعبوية فيها حتى يحال بين الأمة وبين الوحدة التي تصبح نعمة لهذا العالم الغارق في بحور الظلمات يقول المبشر "لورانس براون" : "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة⁰ أما إذا بقوا متفرقين؛ فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير⁰ ويكمل حديثه : "يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير" (2) 0

... والسنة النبوية المطهرة من الأسس القوية التي عليها وحدة المسلمين، وفي ذلك يقول الأستاذ (جمال البنا) : وهو يتحدث عن الأثر النفسي لإيمان الأمة بالسنة "بل لقد وصلت هذه النفسية

النمطية" من القوة درجة تحت فيها الفروق بين الأجناس واللغات، فشخصية المسلم العربي هي شخصية المسلم الهندي أو السوداني أو حتى الأوروبي الذي استسلم للتيار ... فقد أوجدت السنة رباطاً و "كومنولث" إسلامي أقوى من أي كومنولث آخر ... " (3) 0

(1) انظر قادة الغرب يقولون ص 48 0

(2) جذور البلاء ص 202، وانظر : قادة الغرب يقولون ص 51 0

(3) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 20، وفي ذلك رد على قاسم أحمد، وأحمد حجازي، في زعمهما بأن العامل الأساسي في فرقة المسلمين واختلافهم هو تمسكهم بالمبالغ فيه بالحديث 0 انظر: إعادة تقييم الحديث ص 60، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي للدكتور أحمد حجازي السقا ص 39 0

(222/1)

5- تشويه تاريخ الأمة الإسلامية الحالية والغابرة، بكل وسيلة من وسائل الكذب والافتراء،

والتدليس بغية أن يكون هذا الجيل من أحفاد المسلمين أسيراً لثقافتهم اللادينية 0

6- خداع المسلمين بربط كل صورة من صور التقدم الحضاري بالتخلي عن الإسلام، وربط كل

صورة من صور التخلف الحضاري بالاستمسك بالإسلام وبما ينادى به علماء المسلمين من عودة

الأمة الإسلامية إلى كتاب ربها عز وجل وسنة نبيها (للنجاة مما هي فيه 0

... كما جاء في جريدة "التايمز" بتاريخ 14/3/1970م مقالاً غداة إقصاء سلطان عمان تقول فيها

: "إن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في عمان كانت بالغة السوء والتخلف؛ لأنها ظلت على ما

كانت عليه زمن النبي محمد (1) 0

ويعد

... فإذا كانت المعركة بين الإسلام وخصومة لم تنقطع منذ أكثر من خمسة عشر قرناً إلى يومنا هذا

وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإننا لا نشك في أن النصر حليف للحق دائماً وأبداً كما قال عز

وجل (نَقُذِرْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) (2) 0

- (1) موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي للدكتور جعفر السقا ص 48 0
- (2) الآية 18 من سورة الأنبياء 0

(223/1)

الباب الثاني

وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد
للسنة النبوية المطهرة

... ويشتمل على تمهيد وستة فصول :

الفصل الأول : شبهات حول حجية السنة النبوية 0

الفصل الثاني : وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد 0

الفصل الثالث : وسيلتهم في التشكيك في رواية السنة المطهرة 0

الفصل الرابع : وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث 0

الفصل الخامس : وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة 0

الفصل السادس : وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التاريخ للسنة الشريفة ورواتها

الثقات الأعلام (رضوان الله عليهم أجمعين) 0

تمهيد :

... من المعلوم عند علماء المسلمين جميعاً أن السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل قديماً وحديثاً، ولم يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام 0 أجمعت على ذلك أمة الإسلام 0

... ومعنى كون السنة هي المصدر الثاني للتشريع؛ أنها واجبة الاتباع والتنفيذ، وهي في ذلك مثل القرآن الكريم سواء بسواء، ولكن أعداء الإسلام ومعهم بعض من ينتسبون زوراً وبهتاناً إليه ممن تظاهروا بالإسلام والمحافظة عليه، وتطهيره مما طرأ عليه من تغيير وتبديل لا يروقهم ذلك، ويجاولون

التشكيك في حجية السنة النبوية، والنيل منها محاولين أن يصلوا في النهاية إلى الطعن في الشريعة الإسلامية التي ختم الله بها دينه الذي بعث به جميع أنبيائه ورسله قال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (1) وقال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (2) 0

(1) جزء من الآية 19 من سورة آل عمران 0

(2) الآية 85 من سورة آل عمران 0

(224/1)

... وشبهات أعداء الإسلام حول السنة من حيث هي لا تشكل خطراً عليها، لأنها قلعة راسخة لا تؤثر فيها الشبهات، وإن كانت قد ألحقت بعقول بعض المسلمين نوعاً من الأذى 0 ولكن الخطورة فيها أنها استغلت للتشكيك في الدين والطعن في رسالة النبي (، ولو أننا ضربنا صفحاً عن حكاية هذه الشبه، وبيان فسادها : لكان منا ذلك رأياً متيناً، ومذهباً صحيحاً 0 إذ الإعراض عن القول المطروح أخرى لإماتته وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجهال عليه 0 غير أنا لما تخوفنا من شرو العواقب واغترار الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد الشبهات التي يروجها أعداء الإسلام رأينا الكشف عن فساد هذه الشبه، ورددها بقدر ما يليق بها من الرد، فذلك نصح للأنام، وأحمد للعاقبة إن شاء الله تعالى (1) 0

... ولما كانت شبهات خصوم السنة وافترائهم حول حجية السنة المطهرة، ووسائلهم في الكيد لها كثيرة لا حصر لها ولا عد 0 وإذا كنا لن نستطيع أن نتبع كل ناعق ينطق في دين الله (، وسنة نبيه (، وجب على كل مسلم أن يتنبه إلى حجر الزاوية الذي يركزون عليه فيحطمه ويسحقه، ويبحث عن القاعدة التي ينطلقون منها؛ فيخربها ويدمرها على من فيها 0

...

... وهذا ما سنحرص عليه بمشيئة الله تعالى في حديثنا عن وسائلهم في الكيد للسنة المطهرة، خصوصاً بعد أن وسع أعداء الإسلام دائرة هذه الشبهات وجعلوها موضع نظر في بحوثهم ودراساتهم، فاغتر بها من اغتر من أبناء الإسلام 0

... وسوف نبسط تلك الشبهات التي اتخذوها قواعد ينطلقون منها للتشكيك في السنة المطهرة في ستة فصول، نخلل من خلالها تلك الشبهات الواهية⁰ ونبين مواقع التدليس فيها، والالتباس بشأنها، فلا تبقى حجة للمتنتهين في حجية السنة، ولا يبقى في قلب مؤمن شبهة أو ريب والله المستعان وبه التوفيق⁰

(1) اقتباس (بتصرف يسير) من كلام الإمام مسلم في مقدمه صحيحه، باب بيان أن الإسناد من الدين 1/133 0

(225/1)

الفصل الأول

شبهات حول حجية السنة النبوية الشريفة

... وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

- 1- المبحث الأول : شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم⁰ ونذكرها في مطلبين :
- 1- المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها⁰
- 2- المطلب الثاني : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله (بحفظها والرد عليها⁰
- 2- المبحث الثاني : شبهات بنيت على أحاديث من السنة النبوية⁰ وينقسم إلى تمهيد وثلاثة مطالب :

... 1- المطلب الأول: شبهة عرض السنة على القرآن الكريم والرد عليها⁰

... 2- المطلب الثاني : شبهة عرض السنة على العقل والرد عليها⁰

... 3- المطلب الثالث : وفيه شبه الآتية :

2- شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية والرد عليها⁰

... 2- شبهة التأخر في تدوين السنة المطهرة والرد عليها⁰

... 3- شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها⁰

... 4- شبهة كثرة الوضعيات للحديث والرد عليها⁰

3- المبحث الثالث : أدلة حجية السنة النبوية 0 وتحتة خمسة مطالب :

1- المطلب الأول : العصمة 0

2- المطلب الثاني : القرآن الكريم 0

3- المطلب الثالث : السنة النبوية 0

4- المطلب الرابع : إجماع الأمة 0

5- المطلب الخامس : العقل والنظر 0

المبحث الأول

شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم

تمهيد :

(226/1)

... إننا لو فتشنا عن المحاربين لسنة النبي (، لوجدنا أنهم يتظاهرون بإجلال القرآن واحترامه، وأنه الحجة التي ليس وراءها حجة، فيقولون : علينا بالاكْتفاء بالقرآن الكريم فقط؛ فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المصدر الأول للإسلام، وهو الذي سلم من التغيير والتبديل ... إلى آخر ما يقولونه تظاهراً بحبهم للإسلام، ودفاعاً عنه، وغيره على ما في كتاب الله (من شريعة وأحكام، غير أنهم لا يريدون - مع ذلك - أن يضبطوا أنفسهم وعقولهم بهذا الذي أمر القرآن الكريم بضبط أنفسنا وعقولنا به، من اتباع سنة المصطفى (مصطنعين لأنفسهم ما يشاءون من آيات القرآن الكريم، يستدلون بها على الاكتفاء بالقرآن وحده، وعدم حجية السنة والحاجة إليها 0

وما استدلوا به من آيات قرآنية بنوا عليها شبهتين جعلوهما قاعدتين ينطلقون منهما تشكيكاً في حجية السنة 0 نذكرهما في مطلبين :

1- المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها 0

2- المطلب الثاني : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها والرد عليها 0

المطلب الأول

شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية

... واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم بآيات عدة وهي :

- 1- قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (1) 0 واستدل بهذه الآية الدكتور توفيق صدقي (2) ، ومحمود أبو ربه (3) ، ومحمد نجيب (4) ، وقاسم أحمد (5) 0

(1) الآية 38 من سورة الأنعام 0

(2) مجلة المنار المجلد 9/516، 907، وأيده جمال البنا في كتابه السنة ودورها في الفقه الجديد ص33

(3) أضواء على السنة المحمدية 404 0

(4) الصلاة ص 23 0

(5) إعادة تقييم الحديث 86 0

(227/1)

-
- 2- وقوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (1) 0
 - 3- وقوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) (2)
 - 4- وقوله تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) (3) 0

... واستدل بهذه الآيات الكريمات وما في معناها (4) عدد من أعداء السنة المطهرة المنكرين لحجيتها قديماً وحديثاً، الزاعمين أن القرآن في غنى عن السنة؛ لأن فيه بيان وتفصيل كل شيء؛ فقديماً على سبيل المثال لا الحصر : الطائفة التي ناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها واستدلوا بقوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (5) 0

(1) جزء من الآية 89 من سورة النحل 0

(2) جزء من الآية 114 من سورة الأنعام 0

(3) جزء من الآية 115 من سورة الأنعام0

(4) كقوله تعالى : "وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" الآية 52 من سورة الأعراف، وقوله تعالى : "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" الآية 3 من سورة فصلت0

(5) الآية 89 من سورة النحل، وانظر : الأم كتاب جماع العلم باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها 0 250/7

(228/1)

... وحديثاً : الدكتور توفيق صدقي (1) ، وأبو رية (2) ، ومحمد نجيب (3) ، ومصطفى كمال المهدي (4) ، وأحمد صبحي منصور (5) ، وقاسم أحمد (6) ، وجمال البنا (7) ، ورشاد خليفة (8) 0

(1) مجلة المنار المجلد 9/907 0

(2) أضواء على السنة ص 404 0

(3) الصلاة ص 22 0

(4) مصطفى كمال المهدي : مستشاري لبي معاصر ينكر حجية السنة النبوية، من مؤلفاته : البيان بالقرآن من جزأين 0 وانظر : استشهاد بالآيات السابقة في كتابه البيان بالقرآن 10/1، 29 0

(5) الصلاة في القرآن ص 32، 60، 61، ولماذا القرآن ص 10 0

(6) إعادة تقييم الحديث 86 0

(7) جمال البنا : هو جمال البنا ابن العالم المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا صاحب الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، وشقيق الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأول، من مصنفاته التي طعن فيها في حجية السنة النبوية المطهرة، الأصلان العظيمان، وكتاب السنة ودورها في الفقه الجديد0 وانظر: استدلاله بالآيات السابقة فكتابه السنة ودورها فالفقه الجديد ص 33 0

(8) رشاد خليفة : هو رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، عمل خبيراً زراعياً بالولايات المتحدة الأمريكية، كان عميلاً للبهائية ويدعو إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة ومات مقتولاً داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا حيث كان يقوم

بتدريس أفكاره البهائية التي تشكك في الإسلام، وفي حجية السنة المطهرة، انظر : قصته في كتابي الدفاع عن السنة ص 42 وما بعدها، ومسيلمة في مسجد توسان ص 16، 70، كلاهما لأستاذنا الدكتور طه حبيشى ص 16، 70 ورشاد خليفة صنيعة الصليبية العالمية للدكتور خالد نعيم ص 16-59، وانظر : استدلاله بالآيات السابقة في قرآن أم حديث ص 6، والقرآن والحديث والإسلام ص 32 0

(229/1)

-
- 5- وقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (1) 0 واستدل بهذه الآية أبو رية (2) ، ومحمد نجيب (3) 0
- 6- وقوله تعالى : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) (4) 0 واستدل بهذه الآية الدكتور أحمد صبحي منصور (5) ، وإسماعيل منصور (6) 0
- 7- وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (7) 0 واستدل بهذه الآية الدكتور إسماعيل منصور (8) 0
- 8- وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (9) 0 واستدل بهذه الآية محمد نجيب (10) ، وإسماعيل منصور (11) 0

-
- (1) جزء من الآية 3 من سورة المائدة 0
- (2) أضواء على السنة ص 404 0
- (3) الصلاة ص 23 0
- (4) الآية 19 من سورة الأنعام
- (5) مجلة منظور المسلم نقلاً عن مسيلمة في مسجد توسان ص 249 0
- (6) إسماعيل منصور : هو إسماعيل منصور جودة، تخرج من جامعة القاهرة، وحصل على العالمية في الطب البيطري من الجامعة، تبرأ من السنة وزعم أنها أكذوبة كبيرة وخطيرة، وداهية كبرى أريد بها التشويش على كلام الله تعالى 0 من مصنفاته : تبصير الأمة بحقيقة السنة، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين 0 وغير ذلك، انظر : استدلاله بالآيات السابقة في

- تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 11 0
- (7) الآية 170 من سورة الأعراف 0
- (8) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 15 0
- (9) الآية 51 من سورة العنكبوت 0
- (10) الصلاة ص 22 0
- (11) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 10 0

(230/1)

... هذه الآيات الكريمات وما في معناها؛ استدل بها دعاة الفتنة على عدم حجية السنة النبوية المطهرة، وشبهتهم في هذه الآيات؛ أنها تبين أن القرآن تام قد حوى كل شيء، كما في آية الأنعام "وَمِمَّا كَلِمَةٌ رَبِّكَ"، والله (ما فرط في الكتاب من شيء، كما في آية الأنعام "مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" فأنى بالعام ثم فصله تفصيلاً، كما في آية الأنعام "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا" وغيرها، وأتى بالمجمل ثم بينه للناس تبييناً تاماً، كما في آية النحل "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ" فهو لا يحتاج بعد هذا البيان إلى شيء آخر، وإلا لو احتاج إلى شيء آخر لكان القرآن غير صادق فيما قال، وهذا أمر مستحيل على الله (، ومستحيل على كلامه 0

... هذه هي ناصية الشبهة الأولى وجماعها، وهم يذكرون لها حشداً عظيماً من الآيات التي تؤيدها سواء كان الدليل في موضوعه كما في الآيات التي استشهدوا بها سابقاً، أو في غير موضوعه كما في باقى الآيات "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" "وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ" "وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ" "أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ" 0

... فهؤلاء المدلسون ما عليهم إلا أن يفتحوا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وينقلوا منه الآيات التي يشوشون بها على المسلمين، ويضعون أمام كل آية جملة تلائمها، ولا يهتمهم بعد ذلك أبقيت وحدة الموضوع بين أيديهم أم لم تبق 0

... على أية حال فإن هذه هي الشبهة الأولى في أصلها الأصيل وجلياتها التي لا تخرج عنها مهما علا

(1) السنة في مواجهة أعدائها للأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 64، 63 بتصرف 0

(231/1)

... ويقول الدكتور السباعي - رحمه الله تعالى - تتلخص حجة من يرد الأخبار كلها كما حكاها الشافعي في قولهم : إن القرآن جاء تبيناً لكل شيء، فإن جاءت الأخبار بأحكام جديدة لم ترد في القرآن؛ كان ذلك معارضة من ظني الثبوت وهي الأخبار، لقطعيه - وهو القرآن - والظني لا يقوى على معارضة القطعي، وإن جاءت مؤكدة لحكم القرآن؛ كان الاتباع للقرآن لا للسنة، وإن جاءت لبيان ما أجمله القرآن، كان ذلك تبيناً للقطعي الذي يكفر منكر حرف منه، بظني لا يكفر من أنكر ثبوته، وهذا غير جائز 0

... وربما يتبادر إلى الذهن أنهم على هذا يقبلون المتواتر من الأخبار؛ لأنها قطعية الثبوت، فكيف عمم الشافعي بقوله : "رد الأخبار كلها"؟ والذي يظهر أنهم لا يعتبرون المتواتر قطعياً أيضاً بل هو عندهم ظني؛ لأنه جاء من طرق آحادها ظنية، فاحتمال الكذب في رواته لا يزال قائماً ولو كانوا جمعاً عظيماً" (1) 0هـ

والجواب عن هذه الشبهة :

... إن أعداء السنة المطهرة فهموا أن المراد من الكتاب في قوله تعالى (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (2) القرآن، ولكن مجموع الآيات ابتداء ونهاية، يفيد أن المراد بالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ الذي حوى كل شيء، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، على التفصيل التام كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله (يقول : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة 0 قال : وعرضه على الماء" (3) 0

(1) السنة ومكانتها في التشريع ص 151 0

(2) جزء من الآية 38 من سورة الأنعام 0

(3) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 452/8

رقم 2653 0

(232/1)

... وهذا هو المناسب لذكر هذه الجملة عقب قوله تعالى : (وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ) (1) 0 والمثلية في الآية ترشح هذا المعنى؛ لأن القرآن الكريم لم ينظم للطير حياة كما نظمها للبشر، وإنما الذى حوى كل شئ للطير والبشر، وتضمن ابتداءً ونهاية للجميع هو اللوح المحفوظ 0 يقول الحافظ ابن كثير : أى الجميع علمهم عند الله (، لا ينسى واحداً من جميعها، من رزقه وتديره سواء كان برياً أو بحرياً؛ كقوله تعالى : (وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (2) 0 أى مفصح بأسمائها وأعدادها ومظاهرها وحاصر لحركاتها وسكناتها" (3) 0 والآية نظير قوله تعالى : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (4) 0 وقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (5) 0

... وعلى هذا الأساس، ففهم أن المراد بالكتاب في قوله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) 0 هو القرآن غير دقيق، ويأباه السياق العام للآية وربطها بما قبلها، وبغيرها من الآيات التى فى معناها وسبق ذكرها 0

(1) الآية 38 من سورة الأنعام 0

(2) الآية 6 من سورة هود 0

(3) تفسير القرآن العظيم 131/2، 132، وانظر : فتح القدير للشوكاني 61/3 0

(4) الآية 59 من سورة الأنعام 0

(5) جزء من الآية 3 من سورة سبأ 0

(233/1)

... ومن المعلوم بداهة أن الكلمة في اللغة العربية يكون لها أكثر من معنى، ويتحدد المعنى المراد منها من خلال سياق الكلام الذي وردت فيه، وكلمة "الكتاب" تجئ في القرآن بمعنى الفرض، والحكم، والقدر (1) 0 فبمعنى القدر قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) (2) 0

... يقول الحافظ ابن كثير : أى لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له، ولهذا قال تعالى : (كِتَابًا مُؤَجَّلًا) 0 وكقوله تعالى (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) (3) 0 وكقوله تعالى : (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) (4) 0

... وبمعنى الفرض قوله تعالى : (الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (5) قال ابن عباس أى مفروضاً (6) ، والكتاب يأتى في القرآن الكريم تارة مراداً به اللوح المحفوظ كما سبق وأن بينا، وتارة أخرى يأتى مراداً به القرآن الكريم كما في قوله تعالى : (الرَّكِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (7) 0 إلى غير ذلك من الآيات الكريمة

(1) القاموس المحيط 120/1، ومختار الصحاح ص 562 0

(2) الآية 145 من سورة آل عمران 0

(3) جزء من الآية 11 من سورة فاطر 0

(4) الآية 2 الأنعام، وانظر : تفسير القرآن العظيم 410/1 0

(5) الآية 103 من سورة النساء 0

(6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 550/1 0

(7) الآية الأولى من سورة إبراهيم 0

(234/1)

... ومع هذا فنحن نسلم لكم أن المراد من الكتاب "القرآن"، ولكننا نقول لكم : إن هذا العموم غير تام، بل هو مخصص بقول الله تعالى : (وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (1) 0 والذي يجعلنا نذهب إلى تخصيص هذا العام أمران :

1- لتتفق آيات القرآن ولا تتعارض في ظاهرها؛ فإن القرآن ملئ بالآيات التي فوض الله نبيه (في شرح أحكامها0

2- إن كثيراً من الأمور الجزئية في حياة المجتمع تحتاج إلى حكم، وليس في القرآن إلا قواعده الكلية العامة0 وعلى هذا فلا بأس أن يكون الكتاب في الآية الكريمة هو القرآن الكريم (2) 0

ونقول لكم : نعم لم يفرط ربنا (في كتابه في شئ من أمور الدين على سبيل الإجمال، ومن بين ما لم يفرط في بيانه وتفصيله إجمالاً بيان حجية السنة وجوب اتباعها والرجوع والتحاكم إليها؛ فالقرآن جامع - دون تفريط - كل القواعد الكبرى للشريعة التي تنظم للناس شئون دينهم ودنياهم، والسنة النبوية هي المبينة لجزئياتها وتفصيلاتها وهي المنيرة للناس طريق الحياة، وتنسجم هذه الآية مع الآيات الأخرى التي تؤكد بالنص أهمية السنة تجاه ما في الكتاب من القواعد التي تحتاج إلى تخصيص أو تقييد أو توضيح أو تبين ... إلخ (3) 0

(1) الآية 64 من سورة النحل0

(2) انظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي 441/1 0

(3) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص 384، 385، والسنة بين إثبات

الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي 18-24 0

(235/1)

... وهنا نأتى للرد على الآيات الأخرى التي استدلوا بها على أن القرآن أنزل مفصلاً وتبياناً لكل شئ، فلا يحتاج بعد هذا البيان إلى السنة المطهرة0 أما قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) (1) 0 وقوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) (2) 0

(1) جزء من الآية 114 من سورة الأنعام0

(2) جزء من الآية 89 من سورة النحل0

(236/1)

... فالمراد بالتفصيل والبيان هنا : تفصيل وبيان كل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجملة، أما تفاصيل تلك القواعد وما أشكل منها؛ فالبيان فيها راجع إلى السنة النبوية قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (1) فقاعدة وجوب اتباع الرسول (والتحاكم إلى سنته المطهرة من القواعد الكلية المجملة لهذا الدين، وفصلها ربنا (في كتابه العزيز كما في الآية السابقة 0 وقوله تعالى : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) (2) يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى (تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ) عن ابن مسعود (3) قال : قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شئ وقال مجاهد (4) : كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم – وقال الأوزاعي : "تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ" أى بالسنة (5)

(1) الآية 44 من سورة النحل 0

(2) الآية 64 من سورة النحل 0

(3) ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود صحابي جليل 0 له ترجمة في : الاستيعاب 987/3 رقم 1659، واسد الغابة 381/3 رقم 3182، وتاريخ الصحابة ص 149 رقم 718، وتذكرة الحفاظ 13/1 رقم 5، وطبقات الحفاظ ص 14 رقم 6، وتجريد أسماء الصحابة 334/1، ومشاهير علماء الأمصار ص 16 رقم 21، والإصابة 360/2 رقم 4969 0

(4) مجاهد : هو مجاهد بن جبر، بفتح الجيم، وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة، إمام في التفسير، والعلم، مات سنة 104هـ وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 159/2 رقم 6501، وتذكرة الحفاظ 92/1 رقم 83، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 42 رقم 81، والثقات للعجلي ص 420 رقم 1538، والثقات لابن حبان 419/5، وطبقات المفسرين للداودي 305/2 رقم 617 0

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 582/2 0

... ولا تعارض بين القولين - ابن مسعود والأوزاعي - فابن مسعود يقصد العلم الإجمالى الشامل، والأوزاعي يقصد تفصيل وبيان السنة لهذا العلم الإجمالى 0

... ومن هنا؛ فالقول بأن القرآن الكريم تبيان لكل شئ قول صحيح فى ذاته بالمعنى الإجمالى السابق ولكن الفساد فيما بنوه عليه من الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم 0
وإلا فرب العزة هو القائل فى نفس سورة النحل وقبل هذه الآية قال تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (1) 0

(1) الآيتان 38، 39 من سورة النحل 0

(238/1)

... وقال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (1) وقال تعالى : (أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (2) فتلك ثلاث آيات كريمات فى نفس سورة النحل وسابقة لآية (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (والثلاث آيات تسند صراحة مهمة البيان والتفصيل إلى النبى (صاحب السنة المطهرة، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلب الله (هذه المهمة - البيان، التى هى من مهام الرسل جميعاً كما قال ((أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (3) 0 وقال (: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (4) 0 ويوقع التناقض بآية (الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) 0

إن كل الرافضين لحجية السنة، لابد أن يلتزموا بهذه النتيجة التى تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وبمن أنزل الكتاب جل جلاله، سواء أقرروا بلسانهم بهذا النقض أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا؟؟!

(1) الآية 44 من سورة النحل 0

(2) الآية 64 من سورة النحل 0

(3) الآية 4 من سورة إبراهيم 0

(4) الآية 187 من سورة آل عمران 0

(239/1)

... ويجدر بنا أن نشير إلى نصوص لبعض العلماء تؤكد الذى قلناه فى معنى البيان الوارد فى الآية التى استشهدوا بها يقول الإمام الشاطبى (1) : "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلى لا جزئى، وحيث جاء جزئياً فمأخذه على الكلية، إما بالاعتبار أو بمعنى الأصل، إلا ما خصه الدليل مثل خصائص النبى (0) ويدل على هذا المعنى - بعد الاستقراء المعتمر - أنه محتاج إلى كثير من البيان، فإن السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هى بيان للكتاب كما سيأتى شرحه إن شاء الله تعالى 0

... وقد قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (2) وإذا كان الأمر كذلك فالقرآن على اختصاره جامع، ولا يكون جامعاً إلا والمجموع فيه أمور كليات لأن الشريعة تمت بتمام نزوله؛ لقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (3) وأنت تعلم أن الصلاة والزكاة والجهاد وأشباه ذلك لم يتبين جميع أحكامها فى القرآن، إنما بينتها السنة، وكذا تفاصيل الشريعة من الأنكحة والعقود والقصاص والحدود، وغير ذلك 0

(1) الإمام الشاطبى: هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشهير بالشاطبى، العلامة المؤلف النظار المفسر الأصولى اللغوى المحدث الورع الزاهد، له تأليف نفيسة منها : الموافقات فى أصول الفقه، والاعتصام فى الحوادث والبدع، توفى سنة 790هـ له ترجمة فى: شجرة النور الزكية محمد مخلوف ص 231 رقم 828، والمجددون فى الإسلام عبد المتعال الصعيدى ص 305، والفتح المبين عبد الله المراعى 204/2، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل ص 384 0

(2) الآية 44 من سورة النحل 0

(3) جزء من الآية 3 من سورة المائدة 0

(240/1)

... فعلى هذا لا ينبغي فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر فى شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياً وفيه أمور كلية كما فى شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر فى بيانه، وبعد ذلك ينظر فى تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة، فإنهم أعرف به من غيرهم، وإلا فمطلق الفهم العربى لمن حصله يكفى فيما أعوز من ذلك، فبيان الرسول (بيان صحيح لا إشكال فى صحته؛ لأنه لذلك بعث، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (1) ولا خلاف فى هذا البيان النبوى (2) 0

... ويقول الدكتور إبراهيم محمد الخولى : "التبيين" هنا غير "التبليغ" الذى هو الوظيفة الأولى للنبي (قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ) (3) ، و"التبيين" و "التبليغ" وظيفتان موضوعهما واحد هو "القرآن العظيم" عبر عنه فى آية "التبليغ" بهذا اللفظ : "ما أنزل إليك" وعبر عنه فى آية التبيين بلفظ مختلف : "ما نزل إليهم" وبينهما فروق لها دلالتها، مردها إلى الفروق بين الوظيفتين "فالتبليغ" تأدية النص؛ تأدية "ما أنزل" كما "أنزل" دون تغيير ما على الإطلاق، لا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ...

... و "التبيين" إيضاح، وتفسير، وكشف لمراد الله من خطابه لعباده، كى يتسنى لهم إدراكه، وتطبيقه، والعمل به على وجه صحيح 0

... و "التبليغ" مسئولية "المبلغ" وهو المؤتمن عليها، وهذا سر التعبير : "وأنزلنا إليك" حيث عدى الفعل "أنزل" بـ "إلى" إلى ضمير النبي (، المخاطب 0

... و "التبيين" : مهمة، فرضتها حاجة الناس لفهم ما خوطبوا به، وبُلبغوه، وإدراك دلالاته الصحيحة، ليطبقوه تطبيقاً صحيحاً 0

(1) الآية 44 من سورة النحل 0

(2) الموافقات للشاطبي 274/3 - 276، 300، 301، 330 - 338 بتصرف يسير 0

(3) الآية 67 من سورة المائدة 0

... ومن هنا كانت المخالفة في العبارة ... "ونزل إليهم" ... حيث عدى الفعل "نزل" بـ (إلى) مضافاً إلى الضمير "هم" ... أى الناس، وعُدِيَ الفعل "لتبين" إلى الناس بـ "اللام" أن كانت حاجتهم إلى "التبيين" هي السبب والحكمة من ورائه، وهي توحى بقوة أن رسول الله (، ليس بحاجة إلى ما احتاج إليه الناس من هذا التبيين، ولعمري إنه كذلك ... ، فقد أوحى إليه بيانه وأهمه، فالتقى في نفسه "البيان" و "المبين" معاً، وأصبح مؤهلاً لأن يقوم بالوظيفتين : وظيفة البلاغ، ووظيفة التبيين على سواء ... ، واختلاف الناس في فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ واختلافهم في فهم درجات الإصابة، ودركات الخطأ ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبيين" لكتاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين (1) 0

... ويقول الإمام الشافعي : "والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع : فجماع ما أبان الله (خلقه في كتابه، مما تعبد بهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه :

1- منها ما أبانه خلقه نصاً مثل إجمال فرائضه في أن عليهم صلاة، وزكاة، وحجاً، وصوماً، وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص على الزنا، والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصاً "إجمالاً" 0

2- ومنها ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة، والزكاة ووقتها، إلى غير ذلك من فرائضه التي أنزلها في كتابه عز وجل 0

3- ومنها ما سن رسول الله (مما ليس لله فيه نص محكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله (، والانتهاه إلى حكمه فمن قبل عن رسول الله بفرض الله قبل (2) 0

تعليق :

(1) السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم محمد الخولى ص 4، 5، 13، 47-69 0

(2) الرسالة للشافعي ص 22، 20 0

... مما سبق من قول الإمامين الشاطبي والشافعي يتأكد ما ذكرناه في أن المراد من معنى البيان والتفصيل الوارد في الآيات التي استشهد بها أعداء السنة المطهرة؛ بيان وتفصيل القرآن لكل شيء من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجملة، ومن بين تلك القواعد التي فصلها وبينها ربنا (؛ وجوب اتباع نبيه (، والتحاكم إلى سنته المطهرة (1) ، ففي تلك السنة المطهرة إيضاح هذه القواعد وتفصيلها، فجاءت السنة موافقة ومؤكدة للقرآن، ومخصصة لعامه، ومقيدة لمطلقه، ومفصلة لمجمله، وموضحة لمشكله، ومستقلة بتشريع أحكام دون سابق ذكر لها في كتاب الله (كما سيأتي مفصلاً في المبحث الثالث 0

... يقول الإمام الشاطبي : "القرآن فيه بيان كل شيء على ذلك الترتيب المتقدم؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة ولا يعوزه منها شيء؛ فهو أساس التشريع، وإليه ترجع جميع أحكام الشريعة الإسلامية، والتي منها السنة النبوية، فهي حاصلة فيه في الجملة، والدليل على ذلك أمور :

1- منها : النصوص القرآنية، كقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (2) وقوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (3) وقوله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (4) وقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (5) وأشباه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى وشفاء لما في الصدور، ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء (6) 0

(1) انظر : البحر المحيط للزركشي 1/441 0

(2) الآية 3 من سورة المائدة 0

(3) الآية 89 من سورة النحل 0

(4) الآية 38 من سورة الأنعام 0

(5) الآية 9 من سورة الإسراء 0

(6) الموافقات 3/333، 334 بتصرف يسير 0

2- ومنها : ما جاء في الأحاديث والآثار المؤذنة بذلك كقوله (: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله" (1) 0 وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما حضر رسول الله (- وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب؛ فقال النبي (: "هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بعده" 0 فقال عمر : إن رسول الله (قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن 0 حسبنا كتاب الله (2) ، وأشبه هذا مما روى مرفوعاً وموقوفاً بالاختصار على القرآن فقط 0

... يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - الاختصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم؛ ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي (به لقوله تعالى : (ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) 0 (3)

وكلام الحافظ ابن حجر السابق نقله مبتوراً الأستاذ جمال البنا فقال : "التمسك بالقرآن والعمل بمقتضاه إشارة إلى قوله (: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله" 0 وترك جمال البنا، بيان أن العمل بالقرآن الكريم يقتضى العمل بالسنة المطهرة كما صرح ابن حجر (4) 0

وهذا ما فعله أيضاً الدكتور أحمد صبحي منصور في كتابه "حد الردة" نقل كلام الحافظ ابن حجر الذى نقلناه، ووتر منه لفظة النبي (فصارت العبارة : "فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به" (5) 0هـ ...

(1) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحج، باب حجة النبي (431/4،

432 رقم 1218 من حديث جابر بن عبد الله (0)

(2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء 6/100

رقم 1638

(3) جزء من الآية 7 من سورة الحشر، وانظر : فتح الباري 5/425، 426 رقم 2740 حديث

عبدالله بن أبي أوفى (0

(4) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 246 0

(5) حد الردة ص 89 0

وفي هذا الجواب الأخير تعلم الجواب عن باقى الآيات التى استشهد بها أعداء السنة على الاكتفاء بالقرآن، وعدم حجية السنة، للاقتصار على ذكر القرآن فقط، والوصية به كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (1) 0 وقوله تعالى: (وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ) (2) 0 وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ) (3) 0 وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) (4) 0 وقوله تعالى (وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) (5) 0 وأشبه هذه الآيات الكريمة التى ورد الاقتصار فيها على الوصية بكتاب الله (، وما ذلك إلا كما علمنا، أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه فى الشرائع والأحكام واتباعه، والعمل بما فيه عمل بالسنة النبوية المستمدة حجيتها ومصدريتها التشريعية منه 0 فهى من الوحي الغير متلو، والوحي ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن فى قوله تعالى: (نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (6) وهذا ما أنكره أعداء السنة ... فىلى بيان شبهتهم والرد عليها 0

المطلب الثانى

شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها والرد عليها

... زعم أعداء السنة المطهرة أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (7) وقالوا: لو كانت السنة حجة ووحياً مثل القرآن؛ لتكفل الله عز وجل بحفظها؛ كما تكفل بحفظ القرآن الكريم 0

(1) جزء من الآية 3 من سورة المائدة 0

(2) جزء من الآية 115 من سورة الأنعام 0

(3) جزء من الآية 170 من سورة الأعراف 0

(4) جزء من الآية 51 من سورة العنكبوت 0

(5) جزء من الآية 19 من سورة الأنعام 0

(6) الآية 9 من سورة الحجر 0

(7) الآية 9 من سورة الحجر 0

... ومن ذهب إلى ذلك؛ الدكتور توفيق صدقي (1) ، وإسماعيل منصور (2) ، وأيدهما جمال البنا (3) ، وذهب إلى ذلك أيضاً فرقة (أهل القرآن) بالهند وباكستان (4) 0

الجواب :

... مما لا شك فيه أن منشأ هذه الشبهة في كلمة (الذكر) حيث اقتصر فهم المنكرين لحجية السنة المطهرة على أن المراد بكلمة الذكر في الآية هو "القرآن الكريم" وحده دون السنة، وأن الضمير في قوله تعالى "له" عائد على القرآن، وأن الآية فيها حصر بتقديم الجار والمجرور وهذا الحصر يفيد عندهم قصر الحفظ على القرآن وحده دون ما عداه (5) 0

... ونقول رداً على ذلك : إن رب العزة قد تكفل بحفظ ما صح من حديث رسوله (، ويدل على ذلك الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والعقل، والتاريخ (6) 0

أولاً : أما الدليل من كتاب الله (على تكفل الله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ كتابه الكريم :
1- قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (7) ، يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد ندا في الآية الكريمة إخبار من الله تعالى : بأن السنة مبينة للقرآن، وقد تكفل الله بحفظه في قوله تعالى : (نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (8) 0 فيلزم من هذا أن يكون قد تكفل أيضاً بحفظ السنة؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما 0

(1) مجلة المنار المجلد 9/ 911 - 913 0

(2) تبصير الأمة بحقيقة السنة 23 0

(3) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 33 وما بعدها 0

(4) مقام الحديث ص 6-18 نقلاً عن دارسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي 32/1،

وانظر القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص 99 0

(5) السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي ص 25 0

(6) خلافاً لما زعمه الدكتور إسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 256 0

(7) الآية 44 من سورة النحل 0

(8) الآية 9 من سورة الحجر 0

(246/1)

2- وقال تعالى : (عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (1) 0 فإنه نص صريح يدل على أن الله قد تكفل بحفظ السنة على وجه الأصالة والاستقلال لا على طريق اللزوم والتتبع؛ لأنه تكفل فيه ببيان القرآن في قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) 0 أى بيان القرآن، والبيان كما يكون للنبي (يكون لأئمة من بعده 0 وهو يكون للنبي (بالإيحاء به إليه ليبلغه للناس، وهو المراد في الآية السابقة : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (2) وقوله تعالى : (أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) (3) فالسنة النبوية على هذا منزلة من عند الله (بوحي غير متلو) وفي هذا رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور؛ بأن البيان للذكر لم ينزل مع الذكر (القرآن) وإلا لكان النص على نحو : "وأنزلنا إليك الذكر وبيانه" (4) 0 ويكون البيان للأمة من بعده (بحفظ السنة التي بلغهم النبي (إياها 0

... ولو شغب مشاغب بأن هذا الخطاب: "عَلَيْنَا بَيَانَهُ" متوجه إلى الله (فقط دون الأمة وإلا قال :)"عليكم بيانه" لما أمكنه هذا الشغب في قوله (: (عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ) فمن الذي جمع القرآن الكريم؟! الله (بذاته المقدسة؟ أم قيض لذلك رجالاً من خلقه وعلى رأسهم من أنزل عليه (وصحابته الكرام فمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؟!

(1) الآيات 17-19 من سورة القيامة 0

(2) الآية 44 من سورة النحل 0

(3) الآية 64 من سورة النحل 0

(4) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 260 0

(247/1)

فإن أجاب بالأولى، استغنى بجهله هذا عن مناظرته، وإن أجاب الثانية؛ بطل قوله بأن بيان الكتاب متوجه إلى الله (في كتابه فقط وليس إلى نبيه (وإلى الأمة من بعده 0 وفي ذلك رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور بأن حفظ الرجال للسنة يجعلهم يتساوون مع الله (في القدرة بحفظه كتابه)، فتستوى بذلك قدرة الله وقدرة المخلوقين (1) 0

... يقول فضيلة الدكتور محمد السيد ندا : "فهذان دليان على أن الله تكفل بحفظ السنة كما تكفل بحفظ القرآن، وتحقيقاً لهذا الوعد الكريم من الله (هياً الأسباب لحفظها، والذود عن حياضها؛ فأثار في نفوس المسلمين عوامل المحافظة عليها، والدفاع عنها؛ فكانت موضع اهتمامهم ومحل تقديرهم ورعايتهم منذ أن أشرقت شمسها إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (2) 0

3- ويذكر الإمام ابن حزم دليلاً ثالثاً من كتاب الله على تكفله جل علاه بحفظ السنة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (3) 0

(1) المصدر السابق ص 258، 288، 289 0

(2) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة 531/2، 532 بتصرف 0

(3) الآية 59 من سورة النساء 0

(248/1)

... يقول الإمام ابن حزم : "هذه الآية الكريمة جامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها، وذكرت أصولاً ثلاثة وهي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ) (0 فهذا أصل وهو القرآن، ثم قال تعالى: (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (0 فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله (، ثم قال تعالى: (وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (0 فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله (حكمه، وصح لنا بنص القرآن، أن الأخبار هي أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع، قال تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (0 والبرهان على أن المراد بهذا الرد؛ إنما هو إلى القرآن، والخبر عن رسول الله (؛ لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس؛ كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله (وكل من أتى

بعده عليه السلام وقبلنا ولا فرق، وقد علمنا علم ضرورة أنه لا سبيل لنا إلى رسول الله (وحتى لو شغب مشاغب بأن هذا الخطاب إنما هو متوجه إلى من يمكنه لقاء رسول الله (، لما أمكنه هذا الشغب في الله (، إذ لا سبيل لأحد إلى مكالمته تعالى؛ فبطل هذا الظن، وصح أن المراد بالرد المذكور في الآية التي نصصنا إنما هو إلى كلام الله تعالى، وهو القرآن وإلى كلام نبيه (المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل، وأيضاً فليس في الآية المذكورة ذكر للقاء ولا مشافهة أصلاً، ولا دليل عليه، وإنما فيه الأمر بالرد فقط، ومعلوم بالضرورة؛ أن هذا الرد إنما هو تحكيم أوامر الله تعالى وأوامر رسوله (دون تكلف تأويل ولا مخالفة ظاهر 0

(249/1)

... والقرآن والخبر الصحيح بعض من بعض وهما شئ واحد في أنهما من عند الله تعالى، وحكمها حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما للآية المذكورة وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (1) 0

(1) الآيتان 20، 21 من سورة الأنفال 0

(250/1)

... وكلام النبي (كله وحى لقوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (1) 0 والوحى ذكر بإجماع الأمة كلها، والذكر محفوظ بالنص قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (2) فصح أن كلام رسول الله (كله في الدين وحى من عند الله (؛ لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحى نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل 0 فالوحى كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه؛ فمضمون ألا يضيع منه، وألا يحرف منه شئ، أبداً تحريفاً لا يتأتى البيان ببطلانه، إذ لو جاز غير ذلك؛ لكان كلام الله تعالى كذباً وضمانه خائساً، وهذا لا يخطر ببال ذى مسكة عقل، فوجب أن الدين الذى أتانا به محمد (محفوظ بتولى الله تعالى حفظه، مبلغ كما هو إلى كل ما طلبه مما يأتى أبداً إلى انقضاء الدنيا قال تعالى : (لَا تُدْرِكُهُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) (3) فإذا كان ذلك كذلك؛ فبالضرورة نتيقن أنه لا سبيل ألبته إلى ضياع شئ

قاله رسول الله (في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطاً لا يتميز عند أحد من الناس بيقين، إذ لو جاز ذلك؛ لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (4) 0 كذباً ووعداً مخلفاً، وهذا لا يقوله مسلم

(1) الآيتان 3، 4 من سورة النجم 0

(2) الآية 9 من سورة الحجر 0

(3) الآية 19 من سورة الأنعام 0

(4) الآية 9 من سورة الحجر 0

(251/1)

... فإن قال قائل : "إنما عني تعالى بذلك القرآن وحده، فهو الذي ضمن تعالى حفظه دون سائر الوحي الذي ليس قرآنًا 0 قلنا له وبالله تعالى التوفيق : "هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل، وما كان هكذا فهو باطل لقوله تعالى : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (1) فصح أنه لا برهان له على دعواه، فليس بصادق فيها، والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه (من قرآن أو من سنة وحيًا يبين بها القرآن، وأيضاً فإن الله تعالى يقول : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (2) فصح أنه عليه الصلاة والسلام مأمور ببيان القرآن للناس 0

... وفي القرآن مجمل كثير؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزما الله تعالى فيه بلفظه، ولكن بين لنا رسول الله (، فإذا كان بيانه - عليه الصلاة والسلام - لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه؛ فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه، لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها، وما أخطأ فيه المخطئ أو تعمد فيه الكاذب الكاذب، ومعاذ الله من هذا (3) 0

4- ويذكر الإمام ابن قيم الجوزية : دليلاً رابعاً من كتاب الله (على تكفله - جل جلاله - بحفظ السنة في قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)

(4) وقال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (5) 0 وقال تعالى : (الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ) (6) 0

(1) الآية 111 من سورة البقرة 0

(2) الآية 44 من سورة النحل 0

(3) الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم 96/1، 117، 118 بتصرف يسير 0

(4) الآية 3 من سورة المائدة 0

(5) الآية 85 من سورة آل عمران 0

(6) الآية 19 من سورة آل عمران 0

(252/1)

... يقول ابن قيم الجوزية : فنقول لمن جوز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شرائع الإسلام غير
محفوظ، وأنه يجوز فيه، التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطاً لا يتميز أبداً، أخبرونا عن
إكمال الله تعالى لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا ديناً، ومنعه من قبول كل دين سوى الإسلام 0 أكل
ذلك باق علينا ولنا وإلى يوم القيامة؟ أم إنما كان ذلك للصحابة (فقط؟ أولاً للصحابة ولا لنا؟ ولا بد
من أحد هذه الوجوه 0

... فإن قالوا : لا للصحابة ولا لنا؛ كان قائل هذا القول كافراً لتكذيبه الله جهاراً، وهذا لا يقوله
مسلم 0 وإن قالوا : بل كل ذلك لنا وعلينا وإلى يوم القيامة؛ صاروا إلى قولنا ضرورةً، وصح أن شرائع
الإسلام كلها كاملة والنعمة بذلك علينا تامة 0

... وهذا برهان ضرورى وقاطع على أن كل ما قاله رسول الله (فى الدين، وفى بيان ما يلزمنا محفوظ
لا يختلط به ما ليس منه أبداً 0

... وإن قالوا : بل كان ذلك للصحابة فقط، قالوا : الباطل، وخصصوا خطاب الله بدعوى كاذبة، إذ
خطابه تعالى بالآيات الكريمة التى ذكرها عموم لكل مسلم فى الأبد، ولزمهم مع هذه العظيمة أن دين

الإسلام غير كامل عندنا، والله تعالى رضى لنا منه ما لم يحفظه علينا وألزمنا منه ما لا ندرى أين نجده، وافترض علينا اتباع ما كذبه الزنادقة⁰ ووضعوه على لسان رسوله (، أو وهم فيه الواهمون مما لم يقله نبينهم (- وهذا بيقين ليس هو دين الإسلام، بل هو إبطال لدين الإسلام جهاراً، ولو كان هذا - ومعاذ الله أن يكون - لكان ديننا؛ كدين اليهود والنصارى الذين أخبر الله تعالى أنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا : هذا من عند الله، وما هو من عند الله⁰

(253/1)

... ونحن قد أيقنا بأن الله تعالى هو الصادق في قوله : (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ (1) وأنه تعالى قد هدانا للحق، فصح يقيناً أن كل ما قاله رسول الله (، هدانا الله تعالى له، وأنه حق مقطوع به حفظه الله تعالى، وقد قال تعالى : (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (2) 0

... وقال تعالى : (تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) (3) 0 فلو جاز أن يكون ما نقله الثقات الذين افترض الله علينا قبول نقلهم والعمل به والقول بأنه سنة الله وبيان نبيه يمكن في شئ منه التحويل أو التبديل؛ لكان إخبار الله تعالى بأنه لا يوجد لها تبديل ولا تحويل كذباً، وهذا لا يجيزه مسلم أصلاً؛ فصح يقيناً لا شك فيه أن كل سنة سنّها الله (لرسوله، وسنّها رسوله لأمتّه، لا يمكن في شئ منها تبديل ولا تحويل أبداً، وهذا يوجب أن نقل الثقات في الدين؛ يوجب العلم بأنه حق كما هو من عند الله ((4) 0هـ

(1) الآية 213 من سورة البقرة 0

(2) الآية 43 من سورة فاطر 0

(3) الآية 64 من سورة يونس 0

(4) مختصر الصواعق المرسلة 543/2، 544 0

(254/1)

ثانياً : أما الدليل من السنة النبوية الصحيحة على تكفل الله (بحفظ سنة نبيه) قوله ("أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (1) وقوله ("تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض" (2) 0

... ففي هذه الأحاديث وغيرها - مما سيأتى فى المبحث الثالث يخبر النبى (؛ أن له سنة مطهرة تركها لأمته، وحثهم على التمسك بها، والعص عليها بالنواجذ؛ ففي اتباعها الهداية، وفي تركها الغواية، فلو كانت سنته المطهرة غير محفوظة، أو يمكن أن يلحقها التحريف والتبديل؛ فلا يتميز صحيحها من سقيمها، ما طالب أمته بالتمسك بها من بعده، فيكون قوله مخالف للواقع، وهذا محال فى حقه (فأمره بالتمسك بها، يدل على أنها ستكون محفوظة تأكيداً لقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (3) 0 فدل ذلك على إخبار بالغيب صادق فى الواقع 0

ثالثاً : الدليل العقلى على تكفل رب العزة بحفظ سنة نبيه (: ... يقول الدكتور رءوف شلبى : "ليس بلازم فى الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن الكريم وحده، لأمرين :

(1) سبق تخريجه ص 38 0

(2) سبق تخريجه ص 196، كما سبق أن ذكرت أن ما ورد فى الصحيحين بالاقصرار على الوصية بالكتاب محمول كما قال الحافظ ابن حجر "لكونه أعظم وأهم واتباع الناس لما فيه عمل بكل ما أمرهم به النبى (فى سنته المطهرة 0

(3) الآية 9 من سورة الحجر 0

(255/1)

1- أنه لو كان المراد من الذكر القرآن الكريم وحده؛ لصرح المولى (به باللفظ، كما صرح به فى كثير من الموضوعات كما فى قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (1) 0 وقوله تعالى :

(هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) (2) وقوله تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) (3) 0
2- لو كان المراد بالذكر القرآن لعبّر عنه بالضمير (إنا نحن نزلناه) إذ افتتاح السورة فيه نص وذكر
للقرآن (تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) (4) والتعبير بالضمير في نظر اللغة أجود؛ لأن العلم في
المرتبة الثانية من الضمير، إذ هو أعرف المعارف، وهو عمل يتفق مع منزلة القرآن، وتعتمده الصناعة
الإعرابية 0

... وإذن : فليس بالحتّم أمام فهم العقل أن يكون المراد من الذكر هو القرآن فقط دون غيره، بل إن
تفسير الذكر بالقرآن فقط احتمال بعيد في نظر العقل؛ لعدم وجود مرشح لهذا التفسير يقوى على
مواجهة الأمرين السالفين اللذين يقويان بالمنزلة والعرف النحوي 0

وإنه لأقرب من هذا التفسير أحد الاحتمالين :

-
- (1) الآية 9 من سورة الإسراء 0
 - (2) الآيتان 21، 22 من سورة البروج 0
 - (3) الآية 17 من سورة القمر 0
 - (4) الآيات الأولى من سورة الحجر، وانظر : شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج الحديث للدكتور
السيد محمد نوح 80/1 0

(256/1)

الأول : أن يكون المراد من الذكر الرسالة والشرف الذي استحقه الرسول (واتصف به بنزول النبوة
والقرآن عليه، ويقوى عندنا هذا الاحتمال أمام نظر العقل افتتاح سورة "الحجر" حيث صورت
مقالات الكافرين المعتدين على النبوة بأوصاف مفتراه ذكرها رب العزة في كتابه حكاية على لسانهم
(وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (6) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنْ
الصَّادِقِينَ (7) مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ (1) 0

... فالآيتان الأوليان تصوران اتهامات الكافرين الكاذبة، والآيتان التاليتان ترد على هذه الاتهامات، وتعد بحفظ الرسالة والشرف الذى نزل على رسول الله (0)

... ويرشح لهذا الاحتمال قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) (2) فعود الضمير فى الآية "إنه" على ما ذكر قبلاً فى قوله تعالى : (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ) (3) دليل على أن التصريح به مراد الشرف، لا سيما ومن قبل ذلك قال تعالى : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (4) 0 فذكر القرآن بالنص أولاً، وذكره بالوحي ثانياً، ووصف ذلك بأنه ذكر للنبي (ولقومه، مما يقوى الاحتمال العقلى، أن المراد من الذكر فى سورة الحجر هو الرسالة والشرف 0

(1) الآيات 6 – 9 من سورة الحجر 0

(2) الآية 44 من سورة الزخرف 0

(3) الآية 43 من سورة الزخرف 0

(4) الآية 31 من سورة الزخرف 0

(257/1)

الثانى : أن يكون المراد من الذكر الشريعة مطلقاً، ويرشح لهذا الاحتمال ما تناولته السورة بعد الآية التى معنا فى ذكر موقف الأمم السابقة مع رسلهم، يقول الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) (1) 0

... والأنبياء يكلفون الأمم بالشرائع، والشريعة : كتاب الله (وسنة نبيه)، والذى يستعرض حالات الأمم مع الأنبياء يقف أن محاجة الكافرين مع الرسل، تدور كلها حول التكليف الذى مصدره ما ينزله الله بالوحي المعبر عنهما بالكتاب والسنة؛ فالسنة ليست من المسائل الخاصة بالنبي (، كما سنبينه فى المبحث الثالث إن شاء الله تعالى 0

... وتكون الآية التي معنا قد نبهت على أمر خطير : هو أنه إذا كان الأمر في الأمم السالفة ينتهي إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل وأممهم؛ فإن هذه الشريعة قرآناً وسنة سيحفظها رب العزة إلى قيام الساعة من كيد أعدائه وأعداء دينه كما وعد في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (2) 0

... وعلى ذلك فإن الذكر في الآية مراد به الشريعة، ويكون الضمير في قوله "له" عائد على الشريعة بمصدريها الأساسين القرآن الكريم، والسنة المطهرة (3) 0
قلت : ومما يرشح لهذا الاحتمال الثاني : تفسير الإمام الشاطبي للحفظ المضمون في الآية الكريمة؛ بأنه حفظ أصول الشريعة وفروعها فيقول : "من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو ملح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا ملحه 0 فهذه ثلاثة أقسام :

(1) الآيات 10-13 من سورة الحجر 0

(2) الآية 9 من سورة الحجر 0

(3) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي ص 25-29
بتصرف 0

(258/1)

... القسم الأول : هو الأصل والمعتمد، والذي عليه مدار الطلب، وإليه تنتهي مقاصد الراسخين وذلك ما كان قطعاً أو راجعاً إلى أصل قطعي 0 والشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة في أصولها وفروعها؛ كما قال الله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) ؛ لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التي بها يكون صلاح الدارين : وهي الضروريات والحاجيات، والتحسينات وما هو مكمل لها ومتمم لأطرافها وهي أصول الشريعة، وقد قام البرهان القطعي على اعتبارها، وسائر الفروع مستندة إليها، فلا إشكال في أنها علم أصل، راسخ الأساس، ثابت الأركان (2) 0

... يقول الدكتور رءوف شلبي : "لكن بقي أن يقال : كيف يعود الضمير على القرآن والسنة معاً،

ولم يذكر إلا القرآن وحده؟ ولكننا نجد في القرآن الكريم نفسه استعمالاً للضمير استناداً على ما يفهم من السياق، و مدلولات الحديث، يشهد لهذا قوله تعالى : (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَتْرَابًا) (3) 0 فتلك صفات الحور العين مع أنه لم يجر لهم ذكر في قسم أصحاب اليمين في سورة الواقعة، ولكن السياق العام للسورة وما ذكر في الأقسام السابقة يجعل الذهن يدرك أن الضمير عائد على أمر مفهوم الفحوى والسياق والأسلوب 0

(1) الآية 9 من سورة الحجر 0

(2) الموافقات للشاطبي 32/1، 70، 368/2 – 371 0

(3) الآيات 35 – 37 من سورة الواقعة 0

(259/1)

... كذلك يقوى هذه الشهادة في استعمال القرآن الضمير على ما يستند على الأسلوب النحوى، قوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) (1) 0 ففى قوله : "توارت" ضمير فاعل يعود على الشمس مع أنه لم يجر لها ذكر في السورة بالنص، ولكن السياق العام يجعل الذهن يدرك أن الضمير عائد على الشمس 0 وما معنا في آية الحجر من هذا القبيل والكل استعمال قرآنى تركيبة اللغة، ويقويه الإعراب القرآنى، فليس هناك وجه للاعتراض، وعليه يسلم تفسير الذكر بالشريعة قرآناً وسنة (2) 0

... قلت : وفيما سبق رد على ما زعمه كذباً الدكتور إسماعيل منصور بأنه : "لو كانت السنة من الذكر الذى نزله الله تعالى؛ للزم بيان ذلك الحكم صراحة، ولما صح إبهامه حتى يأتى من باب التأويل "الفاسد" الذى لا يصح بأى حال! فضلاً عن أن الذكر قد ورد صراحة في القرآن الكريم، ليدل على أنه القرآن الكريم وحده دون منازع – كما في قوله تعالى : (وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) (3) 0 وقوله تعالى : (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) (4) وغير ذلك من الآيات التى استدلت بها على أن الذكر هو القرآن الكريم وحده (5) 0

ونسلم لكم أيها المعاندون لحجية السنة أن المراد بالذكر؛ هو القرآن الكريم وحده، وأن الضمير في

قوله تعالى : "له" عائد على القرآن المراد منه الذكر، ولكن الحصر الذى تستدلون به على أن السنة النبوية لم تدخل فى دائرة الحفظ لقصره على القرآن فقط، وترتبون على هذا الحصر عدم صحة الاحتجاج بالسنة، وأنها ليست مصدراً من مصادر التشريع⁰

-
- (1) الآية 32 من سورة ص⁰
 - (2) السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص 29، 30 0
 - (3) الآية 50 من سورة الأنبياء⁰
 - (4) الآية 58 من سورة آل عمران⁰
 - (5) انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 23 - 25، 256 وما بعدها⁰

(260/1)

... هذا الحصر ليس حصراً حقيقياً؛ بل هو حصر إدعائى، والدليل على ذلك؛ أن رب العزة قد حفظ أشياء كثيرة مما عداه منها :

- 1- حفظه جل جلاله للسموات والأرض أن تزولا كما قال (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (1) 0
- 2- حفظه جل جلاله لنبيه (من القتل كما قال (: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (2) 0 وإذا فسدت حقيقة القصر؛ فقد فسد المترتب عليها : وهو عدم الاعتراف بحجة السنة المطهرة (3) 0

... يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق (4) : "والحصر الإضافى بالنسبة إلى شئ مخصوص، يحتاج إلى دليل وقرينة على هذا الشئ المخصوص، ولا دليل عليه سواء أكان سنة أم غيرها⁰

-
- (1) الآية 41 من سورة فاطر⁰
 - (2) جزء من الآية 67 من سورة المائدة⁰
 - (3) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبى ص 31، 30 بتصرف⁰
 - (4) عبد الغنى : هو عبد الله الغنى محمد عبد الخالق، نشأ فى أسرة علمية عرفت بالعلم والدين والفضل، ولها نصيب من النسب الشريف، تخرج من كلية الشريعة عام 1935، وحصل على درجة

العالمية (الدكتوراه) في أصول الفقه سنة 1940م، وقد تخرج على يديه أجيال من العلماء الأجلاء 0
من مؤلفاته : حجية السنة، مات سنة 1983 0 انظر : ترجمته في كتابه حجية السنة ص 5-18
بقلم الدكتور طه العلواني 0

(261/1)

... فتقديم الجار والجرور ليس للحصر، وإنما هو لمناسبة رؤوس الآي 0 بل: لو كان في الآية حصر
إضافي بالنسبة إلى شيء مخصوص: لما جاز أن يكون هذا الشيء هو السنة؛ لأن حفظ القرآن متوقف
على حفظها، ومستلزم له بما أنها حصنه الحصين، ودرعه المتين، وحارسه الأمين، وشارحه المبين؛ تفصل
مجمله، وتفسر مشكله، وتوضح مبهمه، وتقيد مطلقه، وتبسط مختصره، وتدفع عنه عبث العابثين،
وهو اللاهين، وتأويلهم إياه على حسب أهوائهم وأغراضهم، وما يمليه عليهم رؤساؤهم وشياطينهم 0
وحفظها من أسباب حفظه، وصيانتها صيانة له 0

... ولقد حفظها الله تعالى كما حفظ القرآن فلم يذهب منها - والله الحمد - شيء على الأمة؛ وإن لم
يستوعبها كل فرد على حدة" (1) 0

رابعاً : الدليل التاريخي على تكفله جل جلاله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ القرآن الكريم :
أنه لو تتبع أعداء الإسلام الحوادث والتاريخ، وتبعوا السيرة النبوية العطرة؛ لظهر لهم بكل جلاء
ووضوح وبما لا يدع مجالاً للشك؛ أن سنة المصطفى (نالت من العناية والاهتمام لدى المسلمين ما لم
تنله سيرة أى عظيم من العظماء، ولا بطل من الأبطال، ولا رئيس من الرؤساء، ولا ملك من الملوك 0
ذلك أن رسول الله (في واقع الأمر ليس إنساناً عادياً، ولا رسولاً عادياً، ولا قائداً يشبه في أخلاقه
وصفاته الإنسانية أحداً، "فهو أفق وحده لا يدانيه أفق" ولذلك كان هو الأسوة، وهو النبراس
المضى 0

... أدرك هذه الحقيقة أصحابه وتابعوهم، والمسلمون من بعدهم فعكفوا على نقل، وتدوين وحفظ،
وتطبيق كل ما صدر عن رسول الله (من قول، أو فعل، أو تقرير، حتى الحركات والسكنات،
وبالجملة 0 نقلت حياته برمتها وكلياتها وجزئياتها في عباداته ومعاملاته، في سلمه وحربه، وفي نومه

ويقظته، في أدق الأمور، وفيما نعه من أسرار حياتنا كمعاشرته، إلى غير ذلك بصورة لم تحظ بها سيرة أحد غيره من البشر⁰

(1) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 390، 391 0

(262/1)

... وهذا يمثل إشارة قوية إلى أن الله (تكفل بحفظ هذه السنة بما هيأ لها من رجال أفنوا أعمارهم في ضبطها والسهر عليها، وتدوينها، وحفظها، وشرحها، وتمييز صحيحها من سقيمها؛ فنقشوها في صفحات قلوبهم الأمانة، وفي كتبهم الواعية، فكان تكفله (بحفظ كتابه في قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) 0 يشمل السنة النبوية حيث قبض الله لها من الرواة الثقات والأئمة الأعلام، ما قبض لكتابه العزيز من ثقات كل قرن، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها⁰

... ولولا إرادة المولى (بحفظها، لاندثرت مع تعاقب الدهور لكثرة ما وجه إليها من طعون، ولكثرة ما صادفت من أعداء أضمرها لها شراً، وأرادوا بها سوءاً، فجعلهم الله الأخسرين بما قبض لها من الرجال الأوفياء في كل عصر، وفي كل جيل، وفي كل مكان (2) 0

... وأخيراً فإننا لا نستطيع إلا أن نرتاب في أمر هؤلاء الناس الذين قرروا إطلاق أنفسهم من ربة القرآن الكريم وأحكامه، قبل أن يقرروا إطلاقها من مقتضيات السنة وأحكامها⁰ ولكن شق عليهم أن يواجهوا الناس بخروجهم على القرآن الكريم وتعليماته، فأضافوا إلى القرآن الكريم ما لا مضمون له إلا ما تهواه أنفسهم ويتفق مع رغائبهم وأغراضهم ... وكان غرضهم الوحيد من ذلك هو أن يبعدوا السنة عن طريقهم ويقطعوا ما بينها وبين القرآن الكريم من علاقة التفسير والتكامل والبيان⁰

(1) الآية 9 من سورة الحجر⁰

(2) انظر : مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة بحث الشيخ عز الدين الخطيب وتعقيب فضيلة الأستاذ للدكتور/ أحمد عمر هاشم 58/2 - 560، 602 بتصرف، وراجع : هنا مبحث "الحديث النبوي تاريخ الإسلام" ص 50 0

... وقد سبقهم إلى ذلك - في عصور سالفه - بعض الزنادقة والمارقين⁰ فما كان حالهم في الظهور والافتضاح إلا شراً ممن جاهرُوا بالكفر والعصيان ومحاربة كتاب الله (وغدت الأمة الإسلامية تتقى شرهم أكثر مما تتقى مجاهرة الكافر بكفره، والفاسق بفسقه (1) 0

... "نعم" إن الاختصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم، خارجين عن الطريقة المثلى، وخارجين عن السنة المطهرة، فأداهم ذلك إلى الانحلال عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله فضلو وأضلوا" (2) 0

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

-
- (1) مؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة بحث الدكتور محمد البوطي 0 462/2
(2) الموافقات للإمام الشاطبي 401/4، 432 بتصرف 0

المبحث الثاني

شبهات بُنِيَتْ على أحاديث من السنة النبوية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

- 1 - المطلب الأول : شبهة عرض السنة على القرآن الكريم والرد عليها .
- 2_ المطلب الثاني : شبهة عرض السنة النبوية على العقل والرد عليها .
- 3_ المطلب الثالث : وفيه الشبه الآتية:
- 1_ شبهة النهي عن كتابة السنة والرد عليها .

2_ شبهة التأخر في تدوين السنة والرد عليها .

3_ شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها .

4_ شبهة كثرة المواضيع للحديث والرد عليها .

تمهيد :

بعد أن تحايل أعداء السنة المطهرة على بعض آيات من القرآن الكريم ليحوروا معانيها، ويستدلوا بهذا التحوير على صحة الاحتجاج بالسنة النبوية، نجدهم هنا باسم السنة ونصوصها يستشهدون بها أيضاً على إنكار حجيتها، ويتظاهرون بحرصهم على السنة، بل هم بإنكارهم حجيتها أشد حرصاً على السنة من المؤمنين بحجيتها(1) .

وهكذا عكس المشاغبون القضية ، ونظروا في السنة النبوية المطهرة، فما وافق دعواهم منها قبلوه ، واعترضوا به على منازعيهم واحتجوا به مع وضعه أو ضعفه سنداً ودلالة، وهذا العمل مع جهالته أخطر منطق عكسي في التدليل على فساد الشيء بمادته، نصاً وأسلوباً ؛ لأنه إذا كان من الخطأ والخطأ(2) والخطر قبول الأحاديث الباطلة والموضوعة، وعزوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فمثله في البطلان رد الأحاديث الصحاح الثابتة بالهوى والعجب والتعالم على الله ورسوله، وسوء الظن بالأمة وعلمائها وأئمتها في أفضل أجيالها ، وخير قرونها .

إن قبول الأحاديث المكذوبة يدخل في الدين ما ليس منه ، أما رد الأحاديث الصحيحة، فيخرج من الدين ما هو منه ، ولا ريب أن كليهما مرفوض مذموم: قبول الباطل ورد الحق(4) . ولأعداء السنة المطهرة شبهات على عدم حجية السنة بنوها على أحاديث مكذوبة، وضعيفة، وأخرى صحيحة مع ضعف دلالتها على ما احتجوا به . وسوف نذكر تلك الشبهات في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

(265/1)

1 واستدل بالحديث الأول قديماً الشيعة الإثني عشرية كما رواه الكليني في الكافي(1). والرافضة منهم ، والزنادقة كما حكاه الحافظ السيوطي في مفتاح الجنة(2)، والطائفة التي ردت الأخبار كلها وناظر

الإمام الشافعي واحدًا من أتباعها(3)، وأهل الرأي كما حكاه أحمد أمين في فجر الإسلام(1). والمعتزلة وهو أحد الأصوب الخمسة عند الإمام القاسم بن إسماعيل الرسي كما سبق في أصول المعتزلة(2) وحديثًا استدلل به الدكتور توفيق صدقي(3)، ويجيي كامل أحمد(4).
1 واستدل بالحديث الثاني الدكتور توفيق صدقي(5)، والأستاذ جمال البنا(6).
1 واستدل بالحديث الثالث الدكتور توفيق صدقي(7).
1 واستدل بالحديث الرابع الأستاذ جمال البنا(8)، كما استدلل بحديث عبد الله بن أبي أوفى(9) في وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرض موته بالاختصار على كتاب الله - سبحانه - (10)، ونقل كلام الحافظ ابن حجر مبنورًا، وسبق بيان ذلك كما سبق بيان المراد من الأحاديث المرفوعة والموقوفة بالاختصار على كتاب الله وحده(11).
وحجة المنكرين لحجية السنة النبوية من الروايات السابقة: أنها تفيد عرض السنة على القرآن فما وافق القرآن؛ فهو من السنة، وتكون السنة في هذه الحالة لحض التأكيد، والحجة هو القرآن فقط، وما خالف القرآن بإثبات حكم شرعي جديد؛ فهو ليس من السنة، ولم يقله النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا حجة فيه.
يقول محمد نجيب: فإذا كانت سنة الرسول وحديثه متفقة مع سنة الله وحديثه فاتباعها حكم من متبعها أنها أحسن من سنة الله، وأنها حديث خير من حديث الله، وليس في هذا إلا تكذيب لله القائل: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}(1) وهذا يحتم عدم الأخذ بسنة غير الله، وحديث غير الله، ولو كان متفقًا مع كلام الله فاتباعه خلط لدين الإنسان، وخروج عن الدين الخالص لله وحده إذ بذلك يكون الدين خليطًا.

(266/1)

أما إذا كانت السنة والحديث غير متفقة مع كلام الله، وحديث الله، وسنة الله، فلا يمكن أن يعمل بها مسلم، أو أن يقبلها(2).

يقول الدكتور أحمد صبحي منصور: مع أهمية المناقشة بالقرآن لكل ما جاء في التراث من أحكام فقهية وروايات خرافية(3).

ويقول الأستاذ جمال البنا: هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن، فما لا يخالف القرآن يقبل، وما يخالفه يستبعد، فتحريم زواج المرأة على عمتها وخلتها.

وتحريم لحم الحمر الأهلية، أمور لا نرى مانعاً فيها ، ونجد فيها قياساً سليماً (4) .
وهكذا اتخذ أعداء السنة من منهج عرض السنة على القرآن الكريم قاعدة ينطلقون منها للتشكيك
في حجية السنة المطهرة وهدمها . وهم يصرحون بتلك الحقيقة وأهدافها .
ومن قاعدة عرض السنة على كتاب الله - سبحانه - ، انطلق أعداء الإسلام من الرفض والزنادقة
يشككون في حجية السنة المطهرة وتابعهم دعاة الفتنة وأدعياء العلم؛ أمثال الدكتور أحمد صبحي
منصور (4)، وإسماعيل منصور (5) ، ومحمود أبو رية (6) ، ومحمد نجيب (7) ، وقاسم أحمد (8) وغيرهم
من سبق ذكرهم وفيما يلي الجواب عن شبهتهم هذه.
وتكلم العلماء عن هذا الحديث كلاماً يستلزم أن يكون من أشد الموضوعات أو الضعيف المردود
ونختار من أقوالهم ما يأتي :

قال الإمام الشافعي : ما روي هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغر ولا كبر .. وإنما هي رواية منقطعة
عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء (5) .
ويلقب الأستاذ أحمد شاكراً (6) في تحقيقه لكتاب الرسالة على هذا الحديث فيقول: هذا المعنى لم يرد
فيه حديث صحيح ولا حسن، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة، كلها موضوع، أو بالغ الغاية في الضعف،
حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد (7) .

(267/1)

وقال الإمام بن عبد البر (6) : وقد أمر الله - سبحانه - بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يقيد
بشيء، كما أمرنا باتباع كتاب الله، ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ، قال عبد الرحمن
بن مهدي : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ... وهذه الألفاظ لاتصح عنه - صلى الله عليه
وسلم - عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيم، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم،
وقالوا : نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما
عرضناه على كتاب الله وجدناه لكتاب الله؛ لأننا لم نجد في كتاب الله ألا يقبل من حديث رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى به ، والأمر بطاعته،
ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال (1) أ. ه .

وقال فضيلة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف معقباً على تقوية ابن عراق للحديث (2)، تبعاً
للسيوطي (3) : الحديث باطل منكر جداً، كما قال العقيلي وغيره، ومحاولة المؤلف تبعاً للسيوطي

تقويته غلط، فإن الحديث من وضع بعض الزنادقة للتلاعب بالسنة، وغفل السيوطي، ثم المؤلف _ رحمهما الله _ عن هذا المقصد الخبيث(4).

أما الحديث الثاني : إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ... إلخ فأخرجه الشافعي(5)، والبيهقي(6) ، ومن من طريق طاووس(7) ، وقال الإمام الشافعي: هذا منقطع، وكذلك صنع - صلى الله عليه وسلم - ، وافترض عليه أن يتبع ما أوحى إليه، ونشهد أن قد اتبعه - صلى الله عليه وسلم - وما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله في الوحي اتباع سنته، فمن قبل عنه فإنما قبل بفرض الله قال تعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}(1) .

قال البيهقي : وقوله في الحديث : في كتابه إن صحت هذه اللفظة فإنما أراد فيما أوحى إليه، ثم ما أوحى إليه نوعان؛ أحدهما وحي يتلى، والآخر وحي لا يتلى(2).

(268/1)

ويشهد لما قاله البيهقي في أن المراد بكلمة في كتابه أعم من القرآن ، ويشمل الوحي بنوعيه، المتلو ، وغير المتلو . قوله - صلى الله عليه وسلم - لوالد الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم : والذي نفسي بيه لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد. وعلى ابنك جلد مائة ، وتغريب عام(3) قال الحافظ ابن حجر: المراد بكتاب الله ما حكم به وكتب على عباده، ويؤيده رواية القرآن وهو المتبادر. وقال ابن دقيق العيد(4) : الأول أولى ؛ لأن الرجم والتغريب ليسا مذكورين في القرآن إلا بواسطة أمر الله باتباع رسوله، قيل وفيما قال نظر لاحتمال أن يكون المراد ما تضمنه قوله تعالى: {أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} (5) فبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن السبيل جلد البكر ونفيه، وجلد الثيب ورجمه، فيما رواه الإمام مسلم عن عبادة بن الصامت(6) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :خذوا عني . خذوا عني. قد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر جلد مائة جلة مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب. جلد مائة والرجم(1) .

قال الحافظ ابن حجر قلت: وهذا أيضًا بواسطة التبيين(2) .

وقلت : حتى لو صحت هذه اللفظة في كتابه وحملت على المتبادر منها وهو القرآن الكريم. فلا حجة في الحديث للمنكرين لحجية السنة، فالحديث عليهم لا لهم؛ لأن ما يحرمه أو يحله الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، هو حرام أو حلال في كتاب الله - سبحانه - الذي أمر بطاعته، ونهى عن مخالفته - صلى الله عليه وسلم - . ويؤيد ذلك ما ثبت في صحيح السنة من حديث المقدم بن معد

يكره الكندي (3) t ؛ أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي ، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله - سبحانه - ، فما وجدنا من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما حرم الله - سبحانه - (4) .

(269/1)

قال الإمام الشافعي معقّباً : فقد ضيق رسول الله على الناس أن يردوا أمره بفرض الله عليهم اتباع أمره (5) وقال الإمام البيهقي: وهذا خبر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده - صلى الله عليه وسلم - (6) .
أما قول الدكتور توفيق صدقي: فهذا الحديث صح أو لم يصح فالعقل يشهد له ويوافق عليه، وكان يجب أن يكون مبدءاً للمسلمين لا يحيدون عنه (1) فسيأتى الرد على ذلك في المطلب الثاني (شبهة عرض السنة على العقل) .

(1) انظر : السنة ودورها في الفقه الجديد للأستاذ جمال البنا خاتمة الكتاب (نحن أحرص على السنة منكم) ص 267 .

(2) السنة الإسلامية للدكتور رءوف شليبي ص 33 .

(3) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب وقد خطّـلَ في كلامه من باب طَرَب و (أخطَل) أي أفحش .

انظر : مختار الصحاح ص 181 ، والقاموس المحيط 3 / 357 .

(4) مؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة بحث الدكتور يوسف القرضاوي 2 / 795 ، 796 .

(1) أخرجه الكليني في الكافي كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب 1 / 69 رقم 5 عن أبي عبد الله - رضي الله عنهم - ، وانظر : الشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 244 .

(2) مفتاح الجنة ص 13 ، 14 .

(3) الرسالة 225 .

- (1) فجر الإسلام ص 224 ، وانظر: البحر المحيط للزركشي عزاه إلى أكثر المتكلمين 4 / 351.
- (2) راجع : إن شئت ما سبق في أصول المعتزلة وموقفهم من السنة ص 105،110 ، وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 84 .
- (3) مجلة المنار المجلد 9 / 523 .
- (4) تطبيق الشريعة بين الحقيقة وشعارات الفتنة ص 12 .
- (5) مجلة المنار المجلد 9 / 907 .
- (6) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 246 .
- (7) مجلة المنار المجلد 9 / 907 .
- (8) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 246 .

(270/1)

-
- (9) عبد الله بن أبي أوفى : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 3 / 870 رقم 1478 ، واسد الغابة 3 / 181 رقم 2830 ، وتاريخ الصحابة ص 155 رقم 742 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 62 رقم 320، وتجريد أسماء الصحابة 1 / 299 ، والإصابة 2 / 274 رقم 4573 .
 - (10) أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) كتاب الوصايا، باب الوصايا، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (وصية الرجل مكتوبة عنده) 5 / 420 رقم 2740 ، ومسلم (شرح النووي) كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه 6 / 98 رقم 1634 .
 - (11) راجع : إن شئت ص 201 ، 202 .
 - (1) الآية 23 من سورة الزمر .
 - (2) انظر: الصلاة ص 278 ، 279 .
 - (3) انظر: مجلة روزاليوسف العدد 3563 ص 36 ، وانظر : البحث في مصادر التاريخ الديني لأحمد صبحي منصور ص 40 ، 287.
 - (4) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 254، وسيأتي الرد على ذلك وأنه غير مخالف للقرآن في مبحث أدلة حجية السنة ص 533 .
 - (5) يعني معيار عرض السنة على القرآن بمفهوم أعداء السنة .
 - (1) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 7 .

- (2) المصدر السابق ص 248 .
- (3) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 265 .
- (4) مجلة روزاليوسف العدد 3563 ص 35 .
- (5) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 18 _ 20 .
- (6) أضواء على السنة ص 19 ، 391 _ 395 .
- (7) الصلاة ص 279 .
- (8) إعادة تقييم الحديث ص 136 .
- (1) الحديث والمحدثون ص 211 .

(271/1)

-
- (2) حديث علي t أخرجه الدارقطني في السنن كتاب في الأقضية والأحكام ، باب كتاب عمر t إلى أبي موسى الأشعري 4 / 208 رقم 20 وقال الدارقطني : والصواب عن عاصم عن زيد عن علي بن الحسين مرسلاً ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . وقال العلامة العظيم آبادي في التعليق المغني على الدارقطني 4 / 208 ، 209 الحديث فيه جبارة بن المغلس ضعفه ابن معين، وقال البخاري مضطرب الحديث وقال السخاوي، وقد سئل شيخنا _ يعني ابن حجر _ عن هذا الحديث فقال: إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال، وانظر: في ترجمة جبارة الضعفاء والمتروكين للنسائي ص 72 رقم 103 ، والمجروحين لابن جبان 1 / 221 .
 - (3) حديث أبي هريرة رواه الدارقطني أيضاً في نفس الأماكن السابقة برقم 17 وقال الدارقطني عقبه فيه صالح بن مة سي ضعيف لا يحتج بحديثه .
 - (4) حديثا بن عمر، وثوبان أخرجهما الطبراني في الكبير 12 / 316 رقم 13224 ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 1 / 170 حديث بن عمر فيه أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه وهو منكر الحديث . وحديث ثوبان فيه لا يزيد بن ربيعة وهو متروك منكر الحديث، انظر: مجمع الزوائد 1 / 170، والموضوعات لابن الجوزي 1 / 258 .
 - (5) الرسالة للشافعي ص 225 .
 - (6) أحمد شاكر : هو العلامة محمد شاكر، يكنى: أبا الأشبال محدث ومحقق، وقاضي شرعي، وعضو المحكمة الشرعية العليا سابقاً من مؤلفاته الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ونظام الطلاق

في الإسلام، وغير ذلك . مات سنة 1377هـ . انظر: ترجمته في كتابه كلمة الحق بقلم الأستاذ محمود محمد شاكر .

(7) الرسالة للشافعي ص 224 .

(1) الآية 7 من سورة الحشر .

(2) الآية 80 من سورة النساء .

(3) الآية 105 من سورة النساء .

(272/1)

(4) الإمام البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، كان أوجد أهل زمانه في الإتقان والحفظ والفقه والتصنيف، كان فقهياً وأصولياً وإماماً من أئمة الحديث، من مصنفاته: السنن الكبرى ، ودلائل النبوة، توفي سنة 458هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 3 / 1132 رقم 1014 ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 433 رقم 979، ووفيات الأعيان 1 / 75 رقم 28، طبقات الشافعية لابن السبكي 4 / 8 رقم 50 ، والبداية والنهاية 12 / 94، وشذرات الذهب 3 / 304 .

(5) دلائل النبوة 1 / 27 .

(6) الإمام ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، أبو عمر، كان حافظ علماء الأندلس، وكبير محدثيها في وقته، وكان أولاً ظاهرياً ثم صار مالكيّاً، فقيهاً حافظاً مكثرًا عالماً بالقراءات والحديث والرجال، والخلاف ، كثير الميل إلى أقوال الشافعي، من مصنفاته. التمهيد شرح الموطأ ، والاستذكار مختصره، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وجامع بيان العلم وفضله. وغير ذلك مات سنة 463هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 3 / 1128 رقم 1013، وطبقات للسيوطي ص 431، 432 رقم 978 ، والديباج المذهب لابن فرحون ص 440 رقم 626، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 2 / 458 رقم 23، والرسالة المستطرفة ص 15، وشجرة النور الزكية 1 / 119 رقم 337 .

(1) جامع بيان العلم وفضله 2 / 190، 191، وانظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص 291، وإرشاد الفحول 1 / 157 ، 158 ، وكشف الخفاء للعجلوني 1 / 76 ، رقم 220 ، 2 / 386 /

- (2) تنزيه الشريعة 1 / 264، 265 ، وانظر : الموضوعات لابن الجوزي 1 / 258 .
(3) اللآلئ المصنوعة 1 / 195 ، والنكت البديعات على الموضوعات ص 48 ، 49 رقم 23 .

(273/1)

(4) تنزيه الشريعة 1 / 265 هامش . وفيما سبق رد على الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة _ رحمه الله تعالى _ في تقويته للحديث في كتابه (لحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث) ص 29 ، 30 . وفيما سبق أيضاً رد على إدعاء جولدتسهير بأن المحدثين يقررون احتجاجاً بهذا الحديث، انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام ص 55، وأعجب من إدعاء جولدتسهير ، إدعاء أحد أدعياء العلم وهو يحيى كامل أحمد الذي وصف الذين حكموا بوضع هذا الحديث بأنهم ملاحدة قائلًا : [إن بعض الملاحدة زعموا أن هذا الحديث (فيما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ..) من وضع الزنادقة ، ليبيحوا لأنفسهم عدم التقيد بآيات القرآن، للتقول في أمور الدين بما يشاءون.. فيرددون الأباطيل والإسرائيليات والخرافات بدعوى أنها أحاديث للرسول - صلى الله عليه وسلم - على حين أن القرآن يسقطها ، ويثبت كذبها بتعارضها مع آياته الكريمة] أ. ه . انظر تطبيق الشريعة بين الحقيقة وشعارات الفتنة ص 12 ، 13 ، والشيعية هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 251 ، 252 .
(5) الأم كتاب جماع العلم، باب الصوم 7 / 288، وفي كتاب الصلاة، باب صلاة المريض 1 / 80، 81 .

(6) المدخل إلى السنن والآثار كتاب السير، باب الرجل يموت في أرض العدو قبل الغنيمة 13 / 155 رقم 17742 .

(7) طاووس: هو طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن، يقال اسمه ذكوان، وطاووس لقب، من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتقشفًا في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من الفرس، ولكنه ولد في اليمن، متفق على توثيقه مات سنة 106هـ له ترجمة في : صفة الصفوة لابن الجوزي 2 / 284 رقم 243 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 150 رقم 955 ، والثقات لابن حبان 4 / 391 ، الثقات للعجلي ص 234 ، رقم 720 ، والثقات لابن شاهين ص 182 رقم 587 ، وتقريب التهذيب 1 / 448 رقم 3020 ، والكاشف 1 / 512 رقم 2461 ، ووفيات الأعيان 2 / 509 رقم 306 .
(1) جزء من الآية 7 من سورة الحشر .

- (2) مفتاح الجنة ص 42، 43.
- (3) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا 12/ 140 رقم 6827 ، 6828. وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا 6/ 214 رقم 1697 ، 1698 واللفظ له .
- (4) ابن دقيق العيد :هو محمد بن علي وهب المنفلوطي ، تقى الدين أبو الفتح، إمام حافظ فقيه، كان من أذكىء زمانه ، وقل أن ترى العيون مثله، وله يد طولى في الأصول والمعقول، ولي قضاء الديار المصرية وتخرج به أئمة ، من مصنفاته: الاقتراح في علوم الحديث، وشرح العمدة، مات سنة 702هـ له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي 516 رقم 1134 ، وتذكرة الحفاظ للذهبي 4 / 1481 رقم 1168 ، والرسالة المستطرفة للكتاني ص 180 ، والديباج المذهب لابن فرحون ص 411 رقم 566 ، والدرر الكامنة 4/ 91 رقم 256، والبداية والنهاية 14/ 27، وشذرات الذهب 6/ 5 ، والوافي بالوفيات 4/ 193 .
- (5) الآية 15 من سورة النساء.
- (6) عبادة بن الصامت: صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 2/ 807 رقم 1372 ، واسد الغابة 3/ 158 رقم 2891، وتاريخ الصحابة ص 190 رقم 1004 ، والإصابة 2/ 268 رقم 4515، ومشاهير علماء الأمصار ص 66 رقم 334 .
- (1) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحدود، باب حد الزني 6/ 240 رقم 1690.
- (2) انظر : فتح الباري 12/ 142 _ 144 رقمي 6827 ، 6828.
- (3) المقدم بن معد يكرب: صاحبي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 4/ 1482 رقم 2562، واسد الغابة 5/ 244 رقم 5077، وتاريخ الصحابة ص 240 رقم 1317 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 69 رقم 365، والإصابة 3/ 455 رقم 8202.

(4) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة 4/ 200 رقم 4604 ، والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - 5/ 36 رقم 2664 وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه بن ماجه في سننه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه 1/ 20 رقم 12، واللفظ له وابن حبان في صحيحه (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان)، باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمرًا وزجرًا 1/ 107 رقم 12، والحاكم في المستدرک 1/ 191 رقم 371 ، وسكوت عنه الحاكم والذهبي، وصححه أحمد شاكر في هامش الرسالة للشافعي ص 90، 91 .

(5) الرسالة للشافعي ص 226 .

(6) دلائل النبوة للبيهقي 1/ 25 .

(1) انظر : الأم كتاب جماع العلم، باب الصوم 7/ 288 ، وفي كتاب الصلاة ، باب صلاة المريض 1/ 80، 81.

(2) الإحكام في أصول الأحكام 2/ 212 .

(3) الآيتان 3، 4 من سورة النجم .

(4) انظر: الإحكام لابن حزم 2/ 212 .

(5) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 164 .

(6) انظر : نيل الأوطار 1/ 187 .

(7) ثوبان : هو ثوبان بن بجدر أبو عبد الله مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب جليل له ترجمة في: الاستيعاب 2/ 218 رقم 282، واسد الغابة 1/ 480 رقم 624، وتاريخ الصحابة ص 56 رقم 174، ومشاهير علماء الأمصار ص 64 رقم 324 ، والإصابة 1/ 204 رقم 969 .

(8) الدارقطني كتاب الطهارة ، باب في الوضوء من الخارج من البدن كالرعاف والقيء والحجامة ونحوه 1/ 151 رقم 41 .

(1) انظر: مجلة المنار المجلد 9/ 515 رقم 913 .

(2) الدارمي في سنته المقدمة ، باب السنة قاضية على كتاب الله 1/ 153، 154 رقم 589 بلفظ : السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة: وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيره حرج) .

- (3) مكحول : هو مكحول الشامي، أبو عبد الله ، ثقة، فقيه كثير الإرسال مات سنة 113هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب 2 / 211 رقم 6899 ، والكاشف 2 / 291 رقم 5620 ، وحاشية بن العجمي هامش على الكاشف 2 / 291 _ 293 ، والثقات للعجلي ص 439 رقم 1628 ، والثقات لابن حبان 5 / 446 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 141 رقم 870 .
- (4) الطبراني في الأوسط 4 / 392 رقم 4011 ، وقال الطبراني : (لم يرو هذا الحديث عن محمد إلا عيسى تفرد به عبد الله ، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط ، وقال : لم يروه عن أبي سلمة إلا عيسى بن واقد تفرد به عبد الله بن الرومي ، ولم أر من ترجمة . انظر : مجمع الزوائد 1 / 172 ، وانظر مجمع البحرين في زوائد المجمعين الصغير والأوسط للطبراني 1 / 233 رقم 256 .
- (5) انظر : ميزان الاعتدال 2 / 422 رقم 4317 ، ولسان الميزان 3 / 286 رقم 1208 .
- (6) انظر : الإحكام للآمدي 1 / 127 ، وإرشاد الفحول للشوكاني 1 / 155 ، وأصول الفقه للخضري ص 250 ، 251 .
- (1) متفق عليه من حديث أبي هريرة t : البخاري (شرح فتح الباري) كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور 1/282 رقم 135 ، ومسلم (شرح النووي) كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة 1/104 رقم 225 واللفظ له .
- (2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في المنى والمذي 1 / 193 رقم 114 ، وقال هذا حديث حسن .
- (3) عمران بن حصين: صاحبي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 3 / 1208 رقم 1969 ، واسد الغابة 4 / 269 رقم 4048 ، وتاريخ الصحابة ص 183 رقم 949 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 48 رقم 218 ، والإصابة 3/26 رقم 6024 .
- (4) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التيمم باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء 1 / 533 رقم 344 ، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة 300 / 199 رقم 682 .
- (5) الآية 6 من سورة المائدة .

- (1) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري t البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : من حمل علينا السلاح فليس منا 13/ 26 رقم 7071 ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - من حمل علينا السلاح فليس منا 1 رقم 100 .
- (2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن 6/ 479 رقم 1848.
- (3) الآية 33 من سورة المائدة .
- (4) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الديات، بال قول الله تعالى النفس بالنفس والعين بالعين 12/ 209 رقم 6878، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم 6/ 179 رقم 1676.
- (5) الآية 217 من سورة البقرة .
- (6) منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 499 ، وانظر: الموافقات للشاطبي 4/ 9 _ 14 .
- (7) الآية 7 من سورة الحشر .

- صلى الله عليه وسلم - - صلى الله عليه وسلم -

t t

(278/1)

عنه كقوله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (1) .

ومثال السنة المحرمة : قوله - صلى الله عليه وسلم - لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها(2) فأصل ذلك التحريم في الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، قوله تعالى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (3).

وهذا استدلال من لا يرى استقلال السنة بالتشريع، وقد عرفت مما سبق استدلال من يرى استقلالها.

فأمثال هذه السنة سواء كانت (واجبة أو محرمة) الأخذ بها هدى وتركها بعدم فعلها إذا كانت واجبة،

وفعلها إذا كانت محرمة (ضلالة) كما في الحديث، وهو ما يتمشى مع تعريف الواجب والحرام عند الأصوليين .

فالواجب: مرادف للفرض عند الجمهور، هو ما طلب الشارع فعله على وجه اللزوم بحيث يأثم تاركه وقال الآمدي : والحق في ذلك أن يقال : الوجوب الشرعي عبارة عن خطاب الشارع بما ينتهض تركه سبباً للذم شرعاً في حالة ما(4) .

أما الحرام فهو ضد الواجب: قال الآمدي : والحق فيه أن يقال: هو ما ينتهض فعله سبباً للذم شرعاً بوجه ما من حيث هو فعل له(5) .

أما قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث : وسنة في غير فريضة ؛ فالمراد بذلك السنة المباحة والمندوبة وقوله : الأخذ بها فضيلة وتركها ليس بخطيئة أي في فعلها ثواب، وليس في تركها عقاب، وهذا هو المباح والمندوب عند أهل الأصول .

فالمندوب: هو ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه، أو هو ما طلب الشارع فعله طلباً غير حتم(6) . وقال الآمدي: فالواجب أن يقال : هو المطلوب فعله شرعاً من غير ذم على تركه مطلقاً(1) ومن ومن أسمائه : النافلة، والسنة، والمستحب، والتطوع وذلك عند الجمهور(2) .

(279/1)

ومثاله : الرواتب مع الفرائض، وصلاة العيدين، والاستسقاء، والكسوف، وصدقة التطوع... إلخ والأصل في ذلك حديث الأعرابي الذي علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - شرائع الإسلام وفرائضه ، وأنه ليس عليه غيرها إلا أن التطوع فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله على شيئاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أفلح أن صدق. أو دخل الجنة إن صدق(3) .

والمباح : هو ما خير الشارع المكلف فيه بين فعله وتركه من غير مدح ولا ذم(4) . وقال الآمدي : والأقرب في ذلك أن يقال : هو ما دل الدليل السمعي على خطاب الشارع بالتخيير فيه الفعل والتترك من غير بدل(5) .

ومن أسمائه : الحلال، والمطلق، والجائز(6) ، ومثاله قوله تعالى : {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ}(7) . وقوله : لحمزة بن عمرو الأسلمي(8) لما سأله عن الصيام في السفر : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر(9) .

فأمثال هذه السنن المباحة والمندوبة الأخذ بها فضيلة ويثاب ويمدح الإنسان على فعلها، وإن تركها لم يكن مخطئاً ، ولا عقاب ولا لوم عليه .

وأصل هذه السنن في كتاب الله قوله تعالى : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (1) .

فهذا هو معنى الحديث على فرض صحته، فأين الدلالة فيه على عدم حجية السنة ووجوب عرضها على كتاب الله؟؟

وبعد

هذا ما قاله أهل العلم في أحاديث عرض السنة المطهرة على القرآن الكريم، التي أسس عليها أعداء الإسلام منهجاً خاصاً بهم في الحكم على صحة السنة بوجوب عرضها على الكتاب .

فما وافقه؛ فهو حجة، وما خالفه ولو مخالفة ظاهرة يمكن الجمع بينهما؛ فباطل مردود ليس من السنة .

(280/1)

وهذا منهج باطل، مردود، عماده الكذب والخديعة: لأنه يفضي إلى نفي حجية السنة النبوية التي لها دور في بيان الكتاب وتفسيره، أو التي أفادت حكماً مستقلاً : لأن كلاً من النوعين غير موجود فيه، فنكون وظيفة السنة مقصورة على تأكيد القرآن فقط، وبالتالي الحجة فيه وحده، ولا حجة في السنة على أي حكم شرعي بذاتها؛ لأنها لو كانت حجة على شيء لما توقف ذلك على ثبوت الشيء بحجة أخرى، وهذا كلام باطل لا يصح؛ لأن أحاديث العرض عند عرضها على كتاب الله وجدناها مخالفة لما فيه؛ لأنه لا يوجد في كتاب الله أن لا يقبل من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ما وافق كتاب الله بل يوجد في كتاب الله إطلاق التأسى به، والأمر بطاعته مطلقة من غير تقييد، والتحذير من مخالفة أمره جملة على كل حال .

وكما سبق من قول الأئمة : البيهقي، وابن عبد البر، وابن حزم(2) ومن ثم فقد رجعت أحاديث العرض على نفسها بالبطلان، ثم إنه ورد في بعض طرقها عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنه سيأتيكم مني أحاديث مختلفة، فما أتاكم موافقاً لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما أتاكم مخالفاً لكتاب الله وسنتي فليس مني(3). قال البيهقي : تفرد به صالح بن موسى الطلحي، وهو ضعيف لا يحتج بحديثه(1) .

قال السيوطي: قلت: ومع ذلك فالحديث لنا لا علينا : ألا ترى إلى قوله : موافقاً لكتاب الله وسنتي(2) .

ومع أن أحاديث عرض السنة على القرآن الكريم لا وزن لها سنداً عند أهل العلم كما سبق، إلا أن معناها صحيح وعمل بها المحدثون في تقديمهم للأحاديث متناً فجعلوا من علامات وضع الحديث مخالفته لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل .
إلا أنهم وضعوا لذلك قيماً وهو استحالة إمكان الجمع والتأويل، فإذا أمكن الجمع بين ما ظاهره التعارض من الكتاب أو السنة أو العقل _ جمعاً لا تعسف فيه يصار إلى الجمع والقول معاً ولا تعارض حينئذ ، وإن كان وجه الجمع ضعيفاً باتفاق النظار، فالجمع عندهم أولى(3) .

(281/1)

وإعمال الأدلة أولى من إهمال بعضها ، وإلا فلنتعرف على الناسخ والمنسوخ فنصير إلى الناسخ ونترك المنسوخ، وإلا نرجح بأحد وجوه الترجيحات المفصلة في كتب الأصول وعلوم الحديث(4) ، والعمل بالأرجح حينئذ متعين، وهؤلاء المبتدعة لم يرفعوا بهذا الأصل رأساً ، جهلاً به أو عناداً كما قال الشاطبي(5) .

وإن لم يتمكن العالم من ذلك للتعادل الذهني فاختلفوا على مذاهب منها:

1_ التخيير 2_ تساقط الدليلين والرجوع إلى البراءة الأصلية

3_ الأخذ بالأغلظ 4_ التوقف .

ومعلوم بأن التوقف هنا حتى يمكن الجمع أو التأويل أو الترجيح . وكل ما سبق قال به من المعتزلة صاحب المعتمد في أصول الفقه في باب الأخبار المعارضة، وباب ما يترجح به أحد الخبرين على الآخر(1) .

قال الحافظ ابن حجر: فصار ما ظاهرة التعارض واقعاً على هذا الترتيب الجمع إن أمكن ، فاعتبار الناسخ والمنسوخ، والترجيح إن تعين، ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين ، والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط، لأن خفاء ترجيح أحدهما على الآخر، إنما هو بالنسبة للمعتبر في الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفى عليه وفوق كل ذي علم عليم(2) .

ولا أعلم نقلاً عن أحد من العلماء برفض ورود الحديث بمجرد المخالفة الظاهرية مع القرآن الكريم ، أو السنة ، أو العقل مع إمكان الجمع، أو التأويل، أو الترجيح ، حتى من نقل عنهم الأصوليون إنكار

الترجيح وردوا عليهم إنكارهم ، قالوا عند التعارض: يلزم التخيير أو الوقف(3) .
نعم لم ينقل رد السنة وجحدها بمجرد المخالفة الظاهرية إلا عن أهل البدع والأهواء كما حكاها عنهم
الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام(4) ، وتابعهم ذيوهم في العصر الحديث من أصحاب المذاهب
اللا دينية .

(282/1)

وقصاري القول : إن أهل العلم مجمعون على أن السنة الصحيحة لا تخالف كتاب الله - سبحانه - ،
ولا تخالف سنة أخرى صحيحة مثلها، ولا تخالف العقل، وما يبدو حيناً من تعارض هو من سوء
الفهم لا من طبيعة الواقع، كما قال فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - : لا يتعارض
حديث مع كتاب الله أبداً ، وما يبدو من تعارض هو من سوء الفهم لا من طبيعة الواقع (5) .
وعن دعوى تعارض الأحاديث مع بعضها يقول الحافظ ابن خزيمة : لا أعرف أنه روى عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتي به لأؤلف
بينهما (1) .

قال الإمام ابن حزم: ليس في الحديث الذي صح شيء يخالف القرآن الكريم ولا سبيل إلى وجود خبر
صحيح يخالف لما في القرآن أصلاً ، وكل خبر شريعة فهو إما مضاف إلى ما في القرآن ومعطوف عليه
ومفسر لجملة، وإما مستثنى منه لجملة، ولا سبيل إلى وجه ثالث. فإن احتجوا بأحاديث محرمة أشياء
ليست في القرآن قلنا لهم: قد قال الله - سبحانه - { وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ } (2)
فكل ما حرمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل الحمار الأهلي، وسباع الطير، وذوات
الأنياب(3) ، وغير ذلك؛ فهو من الخبائث، وهو مذكور في الجملة المتلوه في القرآن ومفسر لها،
والمعترض بها يسأل: أيجرم أكل عذرتة أم يحلها؟ فإن أحلها خرج عن إجماع الأمة وكفر، وإن حرّمها؛
فقد حرم ما لم ينص الله تعالى على اسمه في القرآن، فإن قال هي من الخبائث قيل له : وكل ما حرم
عليه السلام؛ فهو كالخنزير، وكل ذلك من الخبائث . فإن قال قد صح الإجماع على تحريمها ، قيل له
: قد أقررت بأن الأمة مجمعة على إضافة ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من السنن إلى
القرآن الكريم ، مع ما صح عنه - صلى الله عليه وسلم - قال : لا أُلْفِين أَحَدَكُمْ مَتَكُنًّا عَلَى أَرِيكَتِهِ
يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نُهِيتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي؟ ما وجدنا في كتاب الله اتباعناه (4) . فهذا حديث
صحيح بالنهي عما تعلل به هؤلاء الجهال(1) .

ويقول ابن حزم في موضع آخر : إذا تعارض الحديثان، أو الآيتان، أو الآية والحديث، فيما يظن من لا يعلم، ففرض على كل مسلم استعمال كل ذلك، لأنه ليس بعض ذلك أولى بالاستعمال من بعض، ولا حديث بأوجب من حديث آخر مثله، ولا آية أولى بالطاعة لها من آية أخرى مثلهما، وكل من عند الله - سبحانه - ، وكل سواء في باب وجوب الطاعة والاستعمال ولا فرق (2) .

ويتأيد ما قاله ابن حزم بما قال الإمام الشاطبي عند كلامه على حديث العرض: ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله _ الحديث قال : إن الحديث إما وحي من الله صرف، وإما اجتهاد من الرسول _ عليه الصلاة والسلام _ معتبر بوحى صحيح من كتاب أو سنة، وعلى كلا التقديرين لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله ؛ لأنه _ عليه الصلاة والسلام _ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أ. ه .

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

المطلب الثاني

شبهة عرض السنة النبوية على العقل والرد عليها

لم يكتف أهل الزيغ والهوى بعرض السنة المطهرة على القرآن الكريم للحكم عليها قبولاً أو رفضاً ، وإنما سلكوا مسلكاً آخر في الحكم عليها والتشكيك فيها بعرضها على العقل (الصريح) ، فما وافقه قبل ولو كان آحاداً _ صح أو لم يصح _ وما لم يوافقه _ حتى ولو مع إمكان التأويل _ ردوه ولو كان متواتراً صحيحاً .

وهذا المسلك والمنهج (عرض السنة على العقل بالمفهوم السابق من أصول أهل الكفر والبدع والأهواء كما حكاها عنهم الأئمة : ابن قيم الجوزية ، وابن أبي العز ، وابن قتيبة، والشاطبي . يقول ابن قيم الجوزية: وبالجملية فمعارضة أمر الرسل أو خبرهم بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار (1)

ويقول ابن أبي العز (2) : كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً ،

فما وفقه قال: إنه محكم، وقبله ، واحتج به ، وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تقويضاً ، أو حرفه وسمى تحريفه تأويلاً(3) .

(284/1)

ويقول الشاطبي في باب (مأخذ أهل البدع بالاستدلال) : ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها، ولما ردوها بتحكم العقول كان الكلام معهم راجعاً إلى أصل التحسين والتقبيح العقليين، فإن محصول مذهبهم تحكيم عقول الرجال دون الشرع، وهو أصل من الأصول التي بنى عليها أهل الابتداع في الدين، بحيث أن الشرع إن وافق آراءهم قبلوه، وإلا ردوه(1) .

وبهذه الشبهة قال أهل الزيغ والهوى حديثاً : مثل محمود أبو رية(2) ، وقاسم أحمد(3)، وسعيد العشماوي(4)، ومحمد شحرور(5) ، وإسماعيل منصور(6)، وجمال البنا(7)، ونصر أبو زيد وغيره . ومن الأحاديث التي يستشهد بها خصوم السنة المطهرة في وجوب عرضها على العقل، ما روي عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تتكرونها، قلته أو لم أقله، فصدقوا به، وإني أقول ما يعرف ولا ينكر وإذا حدثتم عني بحديث تنكرون، لا تعرفونه، فكذبوا به، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف(9) .

وهذا الحديث استدل به قديماً: الطائفة التي ردت الأخبار كلها، وناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها كما حكاه الإمام الشافعي عنهم(10).

واستدل به حديثاً ؛ الدكتور توفيق صدقي(11) ، والأستاذ جمال البنا(12) ، وغيرهم ممن سبقوا . ووجه استدلالهم من هذا الحديث: أنه يفيد في نظرهم وجوب عرض ما نسب إلي النبي - صلى الله عليه وسلم - على المستحسن المعروف عن الناس - حتى ولو كانوا أهل زيغ وضلالة - فما وافق عقول هؤلاء الناس؛ فهو من السنة حتى ولو لم يقله النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلاً ، وما خالف تلك العقول، فكذب ليس من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يقله حتى ولو جاء متواتراً صحيحاً فالحجة عندهم في تلك العقول لا في السنة النبوية المطهرة .

الجواب عن الحديث:

(285/1)

هذا الحديث الذي استشهد به خصوم السنة المطهرة روي من طرق مختلفة كلها ضعيفة لا يصلح شيء منها، بل ولا مجموعها للاحتجاج والاستشهاد. وكشف عن ذلك علماء الحديث .

فقال الإمام البيهقي : قال ابن خزيمة: في صحة هذا الحديث مقال، لم نر في شرق الأرض ولا غربها أحدًا يعرف خبر ابن أبي ذئب (1) من غير رواية يحيى بن آدم (2) ، ولا رأيت أحدًا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة . وهو مختلف على يحيى بن آدم في إسناده ومتمنه اختلافًا كثيرًا

يوجب الاضطراب، منهم من ينكر أبا هريرة، ومنهم من لا يذكر ويرسل الحديث، ومنهم من يقول في متمنه : إذا رويت الحديث عن فاعرضوه على كتاب الله (3) .

وقال البخاري في تاريخه: وقال يحيى بن آدم عن أبي هريرة وهو وهم، ليس فيه أبو هريرة (4) ، وفي علل ابن أبي حاتم قال : قال أبي : هذا حديث منكر، الثقات لا يرفعونه (5) . أى لا يرفعون في إسناده فوق المقبري، ليوافق قول البخاري .

وقال العقيلي في الضعفاء: ليس له إسناد يصح (6) والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (1) ، وتعقبه في حكمه الحافظ السيوطي في كتابيه النكت البديعات على الموضوعات (2) ، والآلئ المصنوعة (3) مقويا الحديث بشواهد، ووافقه على ذلك ابن عراق في تنزيه الشريعة (4) ، وتعقب السيوطي، وابن عراق في تقوية الحديث بشواهد الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف _ رحمه الله تعالى _ وسبق قوله في حديث عرض السنة على القرآن (5) .

كما تعقب الأستاذ العلمي اليماني الإمام السيوطي في شواهد الحديث بروايته أحمد وابن ماجة .

(286/1)

فالشاهد الأول رواية أحمد بن فيه وهمه؛ بأنه ذكرها بسند متن آخر وهو: المؤمن القوي خير وأفضل ... إلخ (6) ، والمتن الشاهد في رواية أحمد في سنده أبو معشر (7) : وهو نجيح السندي، كان أول أمره ضعيفًا ، ثم اختلط اختلاطًا شديدًا، وجاء بأحاديث منكرة، ولا سيما في روايته عن سعيد المقبري، وهو الذي روى عنه هذا الحديث الشاهد (8) ، مع أن سعيدًا نفسه اختلط أيضًا (9) ، قال الحافظ الهيثمي (10): أبو معشر نجيح ضعفه أحمد وغيره وقد وثق (11) .

كما تعقب المعلمي اليماني الإمام السيوطي في الشاهد الثاني رواية ابن ماجة؛ بأن في سندها المقبري (1) . وهو عبد الله بن سعيد أبي سعيد، متروك ساقط البتة (2) .

وأمثل شاهد روي في هذا المعنى، واستشهد به الحافظ السيوطي ما أخرجه أحمد والبخاري عن أبي حميد وأبي أسيد مرفوعاً : إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب؛ فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد؛ فأنا أبعدكم منه(3) .

والحديث أخرجه البخاري في تاريخه بلفظ: إذا جاءكم الحديث عنى يلين قلوبكم، فأنا أمرتكم به ، ثم أخرج من طريق عباس بن سهل عن أبي بن كعب قال: إذا بلغكم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يعرف ويلين الجلد، فقد يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - الخير، ولا يقول إلا الخير . قال البخاري: هذا أشبه وأصح(4). قال البيهقي: يعني أصح من رواية من رواه عن أبي حميد، أو أبي أسيد وقد رواه ابن لهيعة، عن بكير بن الأشج، عن عبد الملك بن سعيد عن القاسم بن سهل، عن أبي بن كعب قال ذلك بمعناه، فصار الحديث المسند معلولاً(5) . وهذا ما رجحه المعلمي من أربعة أوجه في تحقيقه للحديث في الفوائد المجموعة(6) . وبالجمله : فالحديث بطرقه وشواهد لا يصلح للاحتجاج والاستشهاد.

(287/1)

يقول الإمام الشوكاني : فهذا الحديث بشواهد لم تسكن إليه نفسي، وإني أظن أن ابن الجوزي قد وفق للصواب بذكره في موضوعاته(1) . ويشهد لبطلان الحديث ما فيه من إباحة الكذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - : قلته أو لم أقله فصدقوا به . وفي لفظ: ما بلغكم عنى من قول حسن لم أقله فأنا قلته . قال ابن حزم : وهذا هو نسبة الكذب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأنه حكى عنه أنه قال : لم أقله فأنا قلته فكيف ما لم يقله أيستجير هذا إلا كذاب زنديق كافر أحق(2)؟. قلت : وفي هذا رد على ما زعمه كذاباً جولدسيهر من أن المحدثين يقررون احتجاجاً مثل حديث ما قيل من قول حسن فأنا قلته(3) . وحسبنا بهذه الطائفة المستشهدة بهذا الحديث أنهم مقرون على أنفسهم، بأنهم كاذبون، وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين(4) أ . ه . وعلى فرض صحة الحديث، فلا دلالة فيه على عدم حجية السنة النبوية، فكل ما يدل عليه أنه من

أدلة صدق الحديث أن يكون وفق ما جاءت به الشريعة من المحاسن، فإن جاء على غير ذلك كان دليلاً على كذبه، ونحن نقول بذلك على ما هو مقرر عند المحدثين من علامات وضع الحديث ، تكذيب الحسن له (5) .

ويقول الحكيم الترمذي (6) في تأويل الحديث: قوله - صلى الله عليه وسلم - : إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه، ولا تنكرونيه فنقول من تكلم بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بشئ من الحق، وعلى سبيل الهدى؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - سابق إلى ذلك القول وإن لم يكن قد تكلم بذلك اللفظ الذي أتى به من بعده ، فقد أتى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأصله مجملًا كما ثبت في صحيح السنة من حديث ابن مسعود - صلى الله عليه وسلم - ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه (1) .

(288/1)

فلذلك قال: فصدقوا به قلته أو لم أقله ، أي إن لم أقله بذلك اللفظ الذي يحدث به عني فقد قلته بالأصل والأصل مؤد عن الفرع، فجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأصل ، ثم تكلم أصحابه والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين من بعده بالفروع، فإذا كان الكلام معروفاً عن المحققين غير منكر؛ فهو قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - قاله أو لم يقله ، يجب علينا تصديقه _ وخاصة إذا لم يكن مما يقال من قبل الرأي ولم يرفعه؛ لأن الأصل قد قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأعطاه لنا، وإنما قال ذلك لأصحابه الذين عرفهم بالحق، وإنما يعرف الحق الحق بهم، وهم أولوا الأبواب والبصائر (2) رضوان الله عليهم أجمعين .

أما الشواهد لهذا الحديث وهو متن : إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم ... إلخ .

فعلى فرض صحته فلا دلالة فيه على وجوب عرض السنة على العقل، فكل ما يدل عليه التشييت عند سماع الحديث وخاصة إذا كانت فيه ظلمة وركاكة ومجازفات باردة لا يقول مثلها النبي وهذا ما قرره المحدثون، وجعلوه من دلائل الوضع في الحديث وإن صح سنده (3) .

وفي ذلك يقول ابن الجوزي : واعلم أن الحديث المنكر يقشعر له جلد طالب العلم، وينفر منه قلبه

في الغالب وروى عن الربيع بن خثيم(4) قال : إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكرة(1) .

(289/1)

يقول الأستاذ يحيى المعلمي اليماني : وعلى فرض صحة الخبر، فلا سبيل إلى أن يفهم منه ما تدفعه القواطع، فمن المقطوع به، أن معارف الناس وآراءهم وأهواءهم تختلف اختلافاً شديداً ، وأن هناك أحاديث كثيرة، تقبلها قلوب، وتنكرها قلوب. وبهذا يعلم أن ما يعرض للسامع من قبول واستبشار، أو نفور واستنكار. قد يكون حيث ينبغي ، وقد يكون حيث لا ينبغي ، وإنما هذا _ والله أعلم _ إرشاد إلى ما يستقبل به الخير عند سماعه، وقد يكون منشأ ذلك: أن المنافقين كانوا يرجفون بالمدينة ويشيعون الباطل، فقد يشيعون ما إذا سمعه المسلمون، وظنوا صدقه ارتابوا في الدين، أو ظنوا السوء برسول الله ، فأرشدوا إلى ما يدفع عنهم بادرة الارتياب، وظن السوء ، ومع العلم بأن بادی الظن ليس بحجة شرعية، عليهم النظر والتدبر، والأخذ بالحجج المعروفة(2) .

ويعد

فهذا قول أهل العلم في حديث: إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونيه ... إلخ وشواهد وتبين لنا أنه لا حجة فيه لأعداء السنة وفي منهجهم بعرض السنة على العقل حيث الحكم عليها بالقبول أو الرفض .

ونقول أيضاً في بيان ثقافت وبطلان شبهة: عرض السنة على العقل سائلين القائلين بها :

1 أيهما الحاكم على الآخر النقل أم العقل ؟

1 ما أراد بالعقل الصريح الذي ترددونه؟ وما حدوده؟ وما مدى الاتفاق عليه؟

1 وهل يتعارض النقل مع العقل؟ وإذا تعرضا فأيهما أحق التقديم؟

وأخيراً هل أهمل المحدثون _ حقاً _ العقل في قبولهم للحديث وتصحيحه كما تدعون؟

الجواب

إننا إذا نظرنا في كتب الأصول نجد الإجابة على السؤال الأول أيهما الحاكم على الآخر النقل أم

العقل ؟

فعند أهل الأصول العلم بالأحكام (الحكم ، والحاكم، والمحكوم عليه، والمحكوم فيه) هو القطب الأول

من الأقطاب الأربعة التي تندرج تحتها أصول الفقه، من هنا كان لابد من تعريف الحكم حيث له تعلق بالحكم، والمحكوم عليه، والمحكوم فيه .

(290/1)

فنقول : الحكم لغة : المنع والصرف، ومنه الحكمة للحديدة التي في اللجام، ومعنى الإحكام ، ومنه الحكيم في صفاته سبحانه(1) .

وفي الاصطلاح : على المختار من قول الآمدي قال هو : خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية(2) وإذا تبين أن الحكم (خطاب الشارع) علم أنه لا حاكم على المكلفين سوى الله - سبحانه - ولا حكم إلا ما حكم به - سبحانه - {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(3) وهذا بإجماع الأمة سوى من شذ من المعتزلة ، حيث حكموا العقل وجعلوه حاكمًا .

وأنكر ذلك شارح مسلم الثبوت وقال : إن هذا مما لا يجترئ عليه أحد ممن يدعى الإسلام، بل إنما يقولون : إن العقل معرف لبعض الأحكام الإلهية سواء ورد به الشرع أم لا . وهذا مأثور عن أكابر مشايخنا أيضاً(4) .

والجمهور من الأصوليين، والمحدثين، والفقهاء، على خلاف ما ذهب إليه العلامة ابن عبد الشكور(5) ؛ حيث أثبتوا أن المعتزلة حكموا عقولهم، وجعلوها حاكمة لا محكومة بحكم خالقها . ولهذا فرع علماء الأصول على مسألة (أنه لا حاكم سوى الله، ولا حكم إلا ما حكم به) فرعوا على ذلك خلافاً للمعتزلة : أن العقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا يوجب شكر المنعم، وأنه لا حكم قبل ورود الشرع(1) .

ثم إن الله - سبحانه - جعل العقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري - سبحانه - في إدراك جميع ما كان ، وما يكون، وما لا يكون، إذا لو كان كيف يكون .

(291/1)

فمعلومات الله لا تنتهي ، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوى ما لا يتناهي، وهذا قول ابن خلدون(2) : واعلم أن الشارع أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا ؛ لاطلاعاً على ما وراء الحس،

والعقل يقف عاجزاً عن إدراك عالم ما وراء الطبيعة ، ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها، والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفه رأيه في ذلك ، وأعلم أن الوجود منحصر في مداركه لا يعدوها(3) .

ويقول الشاطبي مبطلا زعم من قال : إن مصالح الدنيا تدرك بالعقل في قوله : إن مصالح الدار الآخرة ومفاسدها لا تعرف إلا بالشرع . وأما الدنيوية فتعرف بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتربات .

ويقول الشاطبي ردًا : أما إن ما يتعلق بالآخرة لا يعرف إلا بالشرع فكما قال، وأما ما قال في الدنيوية فليس كما قال من كل وجه، بل ذلك من بعض الوجوه دون بعض . ولذلك لما جاء الشرع بعد زمان فترة ، تبين به ما كان عليه أهل الفترة من انحراف الأحوال عن الاستقامة، وخرجهم عن مقتضى العدل في الأحكام ومن أجل(1) الآية 7 من سورة الحشر .

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة t : البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب النكاح، باب لاتنكح المرأة على عمتها 9 / 64 رقم 5109، ومسلم (بشرح النووي) كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح 5 / 205 رقم 1408.

(3) الآية 23 من سورة النساء .

(4) البحر المحيط للزركشي 1 / 181 _ 184 ، والإحكام للآمدي 1 / 92 ، وأصول الفقه للخصري ص 39 .

(5) الإحكام للآمدي 1 / 106 .

(6) أصول الفقه للخصري ص 54، وانظر : أصول الفقه للشيخ خلاف ص 111.

(1) الإحكام للآمدي 1 / 111 .

(2) البحر المحيط للزركشي 1 / 284 .

(292/1)

(3) متفق عليه من حديث طلحة بن عبيد الله t البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإلام 1 / 130 رقم 46، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام 1 / 198 رقم 11 .

(4) أصول الفقه الحصري ص 60، وانظر : أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص 115 .

- (5) الإحكام للآمدي 1 / 115.
- (6) البحر المحيط للزركشي 1 / 276.
- (7) الآية 101 من سورة النساء .
- (8) حمزة بن عمر الأسلمي : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 1 / 375 رقم 542 ، واسد الغابة 2 / 71 رقم 1252 ، وتاريخ الصحابة ص 67 رقم 233 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 22 رقم 51، والإصابة 1 / 354 رقم 1837 .
- (9) متفق عليه من حديث عائشة _ رضى الله عنها _ البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار 4 / 211 رقم 1943 ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصوم، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر 4 / 253 رقم 1121 .
- (1) الآية 21 من سورة الأحزاب ، وانظر : التعريفات للجرجاني ص 161 ، 162 .
- (2) راجع : ص 224 ، 225.
- (3) أخرجه الخطيب في الكفاية ص 603، وانظر : مفتاح الجنة في الاحتجاج بالنسبة ص 38 .
- (1) انظر: تقريب التهذيب 1 / 433 رقم 2902، والكاشف 1 / 499 رقم 2364، والمجروحين 1 / 369، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص 136 رقم 314 ، والضعفاء لأي زرة الرازي 2 / 627 رقم 154، وخلاصة تهذيب الكمال ص 172 .
- (2) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالنسبة ص 39 .
- (3) قال الإمام فخر الدين الرازي في الحصول : والدليل القاطع ضربان : عقلي، وسمعي فإن كان المعارض عقلياً نظرنا فإن كان خبر الواحد قابلاً للتأويل كيف كان أولناه فلم نحكم بردة انظر: الحصول في أصول الفقه 2 / 210 .

(293/1)

-
- (4) انظر: إرشاد الفحول 2 / 369 _ 408 ، والحصول في أصول الفقه 2 / 434 _ 488 ، والإحكام للآمدي 4 / 206 ، والموافقات للشاطبي 4 / 640 ، والمستصفى للغزالي 2 / 392 ، والإبهاج في شرح المنهاج 3 / 208 ، والبحر المحيط 6 / 108 _ 194 ، والمعتمد في أصول الفقه 2 / 176 _ 178 ، وأصول السرخسي 2 / 145 ، 249 ، وفتح المغيث للعراقي ص 337 _ 339 ، وتدريب الراوي 2 / 198 _ 203 ، والاعتبار في الناسخ والمنسوخ للحازمي ص 59 _ 90 ،

- وانظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص 172، 173 .
- (5) الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال 1/ 200 ، 201، وانظر : الإحكام لابن حزم 161 / 1 .
- (1) المعتمد في أصول الفقه 2/ 176، 188، وانظر : الإحكام للآمدي 4/ 221، والبحر المحيط 6/ 115، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص 449 .
- (2) نزهة النظر ص 35 ، وانظر: فتح المغيـث للسـخاوي 3/ 73 ، وتدريب الراوي 2/ 202 .
- (3) الإبهـاج في شرح المنهاج 2/ 209، وفتح المغيـث السـخاوي 3/ 73، وانظر: المصادر السابقة نفس الأماكن.
- (4) الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال 1/ 199 .
- (5) مائة سؤال في الإسلام 1/ 244، وانظر: المكانة العلمية لعبد الرزاق في الحديث النبوي لفضيلة الأستاذ==الدكتور إسماعيل الدفتار 2/ 626 مبحث (حقيقة التعارض إنما هي في الفهم) . ومختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين للدكتور نافذ حسين حماد ص 125 _ 188 .
- (1) علوم الحديث لابن الصلاح ص 173، وتدريب الراوي 2/ 196، وفتح المغيـث للعراقي ص 336، وفتح المغيـث للسـخاوي 3/ 71 .
- (2) الآية 157 من سورة الأعراف .
- (3) سيأتي تخريجه ص 451، وانظر: أمثلة أخرى عل ما اعترضوا عليه من الأحاديث الصحيحة لمخالفتها في نظرهم القرآن الكريم، ولا مخالفة في الحقيقة في الباب الثالث، حديث رؤية الله - سبحانه - .

(294/1)

-
- (4) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة 4/ 200 رقم 4605 ، والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - 5/ 36 رقم 2663 ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتغليظ على من عارضه 1/ 20 رقم 13 من حديث أبي رافع t .
- (1) انظر: الإحكام في أصول الأحكام 2/ 215، 216 بتصرف، وانظر : البرهان في علوم القرآن

للزركشي فصل الأحاديث النبوية وربطها بالقرآن 127/2 .

(2) الإحكام في أصول الأحكام 161 / 1 .

(1) مختصر الصواعق المرسلة 121 / 1 .

(2) ابن أبي العز: هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي أبو محمد، أحد الأئمة الأعلام، الملقب بسلطان العلماء، من مصنفاته : قواعد الأحكام في مصالح الأنام، والإمام في أدلة الأحكام ، والتفسير الكبير، مات سنة 660هـ . له ترجمة في : طبقات المفسرين للداودي 1/ 315 رقم 288 ، والبداية والنهاية 13 / 335 ، شذرات الذهب 5 / 301، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 2 / 873 رقم 10، وذيل طبقات الفقهاء للشافعيين للعبّادي ص 36.

(3) شرح العقيدة الطحاوية 2 / 80 .

(1) الاعتصام 1 / 186، 187، 2 / 589.

(2) أضواء على السنة ص 19، 143 .

(3) إعادة تقييم الحديث ص 59 .

(4) حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص 91 ، 92.

(5) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 726 .

(6) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 659 .

(7) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 86، 161، وانظر: كتابه الإسلام والعقلانية ص 38 وما بعدها .

(8) نقد الخطاب الديني ص 101 ، 103، 131، 132، وانظر له مفهوم النص ص 28.

(295/1)

(9) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب في الأقضية والأحكام وغير ذلك باب، كتاب عمر t إلى أبي موسى الأشعري 4 / 208 رقمي 18، 19، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول الأصل الرابع والأربعون فيما يعدونه صدق الحديث 1 / 357 واللفظ له . وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير 1 / 32، 33 رقم 14، والخطيب في تاريخه 11 / 311 رقم 6268 ، والبحاري في تاريخه 3 / 473 رقم 1585 .

(10) الأم كتاب سير الأوزاعي ، باب سهم الفارس الراحل وتفضيل الخيل 7 / 339 .

(11) مجلة المنار المجلد 9 / 522 .

(12) الأصلان العظيمان ص 231 .

- (1) هو : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث ، المدني، أحد الأعلام، ثقة فقيه فاضل. مات 158 هـ . وقيل 159 هـ . له ترجمة في: تقريب التهذيب 2 / 105 رقم 6102، والكاشف 2 / 194 رقم 5001 والثقات لابن شاهين ص 278 رقم 1140، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني 2 / 444 رقم 1695.
- (2) هو : يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي، أبو زكريا ، مولى بني أمية، أحد أعلام ثقة حافظ فاضل مات سنة 203 هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 2 / 296 رقم 7523 ، والكاشف 2 / 360 رقم 6124، والثقات للعجلي 468 رقم 1789 ، والتعريف برواة مسند الشاميين للدكتور على جماز ص 463 رقم 874.

(3) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص 39 .

(4) التاريخ الكبير 3 / 474 رقم 1585 ترجمة سعيد المقبري .

(5) العلل لابن أبي حاتم 2 / 310 .

(6) الضعفاء الكبير 1 / 32 ، 33 رقم 14 .

(1) الموضوعات 1 / 257، 258 .

(2) النكت البديعات على الموضوعات ص 48 رقم 23 .

(3) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 1 / 213 .

(4) تنزيه الشريعة 1 / 264 .

(5) راجع : ص 221 .

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 2 / 366 .

(7) المصدر السابق 2 / 367، 483 .

(296/1)

-
- (8) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة 279 هامش؛ والكاشف 2 / 317 رقم 5802، والتقريب 2 / 241 رقم 7126، وتهذيب التهذيب 10 / 419 رقم 758، ولسان الميزان 7 / 409 رقم 5015 وميزان الاعتدال 4 / 246 رقم 9017 ، والجرح والتعديل 8 / 493 رقم

2263 ، والمغنى 2/ 694 ، والضعفاء لابن نعيم ص 153 رقم 254، والضعفاء والمتروكين ص 235 رقم 618.

(9) نهاية الاغتيباط بمن روى من الرواة بالاختلاط ص 132 رقم 40 .

(10) الحافظ الهيثمي هو : على بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين أبو الحسن ، إمام حافظ، رافق الحافظ العراقي في السماع، سمع جميع ما سمعه، من مصنفاته مجمع الزوائد، وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، وغير ذلك، مات سنة 807هـ . له ترجمة في :طبقات الحافظ للسيوطي ص 545 رقم 1178، وأنباء الغمر 2/ 307، وشذرات الذهب 7/ 70، والأعلام 4/ 266.

(11) مجمع الزوائد 1/ 154 .

(1) أخرجه ابن ماجة في سننه المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه 1/ 23 رقم 21.

(2) الفوائد المجموعة ص 279 هامش، وانظر: في ترجمة عبد الله المقبري، الكاشف 1/ 558 رقم 2752، والتقريب 1/ 497 رقم 3367 ، وتهذيب التهذيب 5/ 237 رقم 412، وميزان الاعتدال 2/ 429 رقم 4353، ولسان الميزان 7/ 263 رقم 3532 ، والجرح والتعديل 5/ 71 رقم 336، والمغنى 1/ 340، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص 199، والضعفاء والمتروكين ص 152 رقم 360.

(3) أخرجه أحمد في مسنده 33/ 497، 5/ 425 ، وأخرجه البزار (كشف الأستار) 1/ 105 ، وقال البزار لا نعلمه يروى من وجه أحسن من هذا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 149، 150، رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

(4) التاريخ الكبير 5/ 514 رقم 1349 .

(5) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص 41.

(6) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص 281، 282 هامش .

(1) المصدر السابق ص 281 .

(297/1)

(2) أخرجه ابن حزم في الإحكام 2/ 213 بسند فيه اشعث بن بزار، وقال فيه: كذاب ساقط لا يؤخذ حديثه، وبسند آخر فيه الحارث والعزمي وعبد الله بن سعيد، وضعف الأولين وقال في الثالث

- كذاب مشهور. وانظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص 39 ، 40 .
- (3) العقيدة والشريعة في الإسلام ص 55.
- (4) سبق تخريجه ص 40 .
- (5) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ص 51، وانظر: السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 164 .
- (6) الحكيم الترمذي هو : الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، الزاهد، الواعظ، المؤذن، صاحب التصانيف النافعة، منها نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، والرد على المعطلة ، وختم الأولياء عاش إلى = حدود 320 هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 2/ 645 رقم 668، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 286 رقم 642، ولسان الميزان لابن حجر 5/ 308، رقم 1033، وطبقات الشافعية لابن السبكي 2/ 145، وتاريخ بغداد 11/ 373 رقم 6226.
- (1) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البيوع 2/ 5 رقم 2136، وسكت عنه هو والذهبي، وأخرجه من حديث جابر، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي، ومن وجه آخر عن جابر وصححه الذهبي على شرط مسلم.
- (2) نواذر الأصول ، الأصل الرابع والأربعون فيما يعدونه صدق الحديث 1/ 360، 361.
- (3) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ص 50 رقم 53 .
- (4) الربيع بن خثيم: بضم المعجمة وفتح المثلثة، ابن عائد بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم==رباني حجة، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأحبك ، مات سنة 63 هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 294 رقم 1893، والكاشف 1/ 391 رقم 1529، والثقات لابن حبان 4/ 224، والثقات للعجلي ص 154 رقم 419 والثقات لابن شاهين ص 126 رقم 339، ومشاهير علماء الأمصار ص 125 رقم 737 .
- (1) الموضوعات لابن الجوزي 1/ 103 ، والكفاية ص 605 .

(298/1)

(2) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص 282 هامش .

(1) البحر المحيط للزركشي 1/ 117 .

(2) الإحكام للآمدي 1/ 90 .

(3) الآية 50 من سورة المائدة .

(4) لفوائح الرحموت بشرح مسلم الثبوت 1/ 25 .

(5) ابن عبد الشكور: هو محب الله بن عبد الشكور البهاري الهندي، الفقيه الحنفى الأصولى المنطقي، توفي سنة 1119هـ . له ترجمة في الفتح المبين عبد الله المراغي 3/ 122، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل ص 507 ، 508 .

(1) انظر: تفصيل ذلك في المستصفى للغزالي 1/ 8 ، والإحكام للآمدى 1/ 76 _ 90 ، والإبهاج في شرح المنهاج 1/ 43 ، 135، وإرشاد الفحول 1/ 56 ، وأصول الفقه للخضري ص 23، 24 .

(2) ابن خلدون : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد، الفيلسوف المؤرخ العالم البحاثة، ولي قضاء المالكية بمصر، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر مات سنة 808هـ . له ترجمة في : الضوء اللامع 4/ 145 رقم 378 ، والأعلام 3/ 330 .

(3) المقدمة الفصل العاشر في علم الكلام ص 508، وانظر: الإسلام على مفترق الطرق الأستاذ محمد أسد ص 100 وما بعدها .

(7)

(299/1)

هذا القصور في تلك العقول وقع الإعذار والإنذار كما قال - سبحانه - : {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (1).

ولو كان الأمر على ما قال بإطلاق ، لم يحتج في الشرع إلا إلى بث مصالح الدار الآخرة، خاصة وذلك لم يكن، وإنما جاء بما يقيم أمر الدنيا والآخرة معاً ، وإن كان قصده بإقامة الدنيا والآخرة، فليس بخارج عن كونه قاصداً لإقامة مصالح الدنيا، حتى يتأتى فيها سلوك طريق الآخرة، وقد بث في ذلك من التصرفات ، وحسم من أوجه الفساد التي كانت جارية، ما لا مزيد عليه .

فالعادة تحيل استقلال العقول في الدنيا بإدراك مصالحها ومفاسدها على التفصيل، اللهم إلا أن يريد هذا القائل أن المعرفة بما تحصل بالتجارب وغيرها، بعد وضع الشرع أصولها فذلك لا نزاع فيه (2) . ومن هنا وجب أن يقدم ما حقه التقديم _ وهو الشرع _ ويؤخر ما حقه التأخير وهو نظر العقل؛

لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكمًا على الكامل؛ ولأنه خلاف المعقول والمنقول ، ولذلك قال :
اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك، تنبيهًا على تقدم الشرع على العقل(3) .
ومن قدم العقل على الشرع لزمه القدح في العقل نفسه؛ لأن العقل قد شهد للشرع والوحي بأنه
أعلم منه، فلو قدم عليه؛ لكان ذلك قدحًا في شهادته، وإذا بطلت شهادته؛ بطل قبول قوله، بل إن
من قدم العقل على الشرع؛ لزمه القدح في الشرع أيضًا .
يقول الإمام الشاطبي :
أولاً : إنه لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل، لم يكن الحد الذي حده النقل فائدة، لأن الفرض أنه حد
له حدًا ، فإذا جاز تعديه صار الحد غير مفيد، وذلك في الشريعة باطل، فما أدى إليه مثله .
ثانيًا: ما تبين في علم الكلام والأصول، من أن العقل لا يحسن ولا يقبح، ولو فرضناه متعديًا لمأخذه
الشرع، ولكان محسنًا ومقبحًا ، وهذا خلف .

(300/1)

ثالثًا : أنه لو قدم العقل على النقل؛ لجاز إبطال الشريعة بالعقل، وهذا محال باطل.
وبيان ذلك : أن معنى الشريعة أنها تحد للمكلفين حدودًا في أفعالهم ، وأقوالهم، واعتقاداتهم وهو جملة
ما تضمنته. فإن جاز للعقل تعدى حد واحد، جاز له تعدى جميع الحدود؛ لأن ما ثبت للشيء ثبت
لمثله ، وتعدى حد واحد هو بمعنى إبطاله ، أي ليس هذا الحد بصحيح، وإن جاز إبطال واحد، جاز
إبطال السائر، وهذا لا يقول به أحد، لظهور محاله(1) فكان تقديم العقل على النقل _ لا لشيء إلا
لأنه عقل _ يتضمن القدح في العقل والنقل _ كما مر وهذا ظاهر لا خفاء فيه .
ويقول الدكتور السباعي _ رحمه الله تعالى _ : ولننظر إلى المسألة من ناحية أخرى. ولنفرض أن تحكيم
العقل في الأحاديث هو الصواب ، فنحن نسأل: أي عقل هذا الذي تريدون أن تحكموه؟
أعقل الفلاسفة؟ إنهم مختلفون، وما من متأخر منهم إلا وهو ينقض قول من سبقه.
أعقل الأدباء؟ إنه ليس من شأنهم ، فإن عنايتهم _ عفا الله عنهم _ بال نوادر والحكايات .
أعقل علماء الطب، أم الهندسة ، أم الرياضيات ؟ ما لهم ولهذا؟
أعقل المحدثين؟ إنه لم يعجبكم ، بل إنكم تهمونه بالغباوة والبساطة .
أعقل الفقهاء؟ إنهم مذاهب متعددة، وعقليتهم _ في رأيكم _ لعقلية المحدثين .
أعقل الملحدين؟ إنهم يرون أن إيمانكم بوجود الله ، جهل منكم وخرافة .

أعقل المؤمنون بوجود الله ؟ فنحن نسألکم : عقل أي مذهب من مذاهبهم ترتضون؟
أعقل أهل السنة والجماعة؟ هذا لا يرضى الشيعة، ولا المعتزلة .
أم عقل المعتزلة ؟ إنه لا يرضى جمهور طوائف المسلمين فأی عقل ترتضون(2) ؟
فمجرد الاتفاق على طبيعة العقل الحاكم غير واردة .

(301/1)

يقول ابن قيم الجوزية: فإن قالوا : إنما تقدم العقل الصريح الذي لم يختلف فيه اثنان على نصوص الأنبياء فقد رموا الأنبياء بما هم أبعد الخلق منه، وهو أنهم جاءوا بما يخالف العقل الصريح هذا وقد شهد الله وكفى بالله شهيدا، وشهد بشهادته الملائكة وأولوا العلم؛ أن طريقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي الطريقة البرهانية للحكمة كما قال تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ}(1) . وقال تعالى : {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}(2)
فالطريقة البرهانية هي الواردة بالوحي كتابًا وسنة معظمة للرشد داعية إلى الخير ، والطريقة العقلية _ التقليدية التخمينية هي المأخوذة من رجل _ من يونان _ وضع بعقله قانونا من مقدمتين ونتيجة _ يصحح بزعمه علوم الخلائق وعقولهم، فلم يستفد به عاقل تصحيح مسألة واحدة في شئ من علوم بنى آدم، بل ما وزن به علم إلا أفسده، وما برع فيه أحد إلا انسلخ من حقائق الإيمان كانسلاخ القميص عن الإنسان(3) .

ونقول لمن حكموا عقولهم في شرع الله - سبحانه - ، وقدموها عليه: إن تحكيم العقل وهو مخلوق في خالقه بحيث يقولون : يجب عليه بعثه الرسل، ويجب عليه الصلاح والأصلح، ويجب عليه اللطف، ويجب عليه كذا، وكيف يجوز هذا في حق الله - سبحانه - مما ورد في صفاته وأسمائه جل جلاله _ في كتابه العزيز وسنة نبيه المطهرة؟ وكيف المعجزة؟ وكيف اليوم الآخر ، وما فيه من حساب، وعقاب، وجنة، ونار، وميزان، وصراط، وشفاعة...؟ إلى آخر ما ينطق به في تلك الأشياء (الإلهيات والنبوات والمعجزات للأنبياء والسمعيات الغيبية) .

(302/1)

نقول: إن قولكم بعقولكم في تلك الأمور _ اعتراضاً _ هذا يجب، هذا يستحيل، كيف هذا . هذا منكم اجتراء على الله - سبحانه - ، وعلى عظمته جل جلاله ، واعتراض على حكمه وشرعه الحكيم، وتقديم بين يدي الله ورسوله، ومن أجل الباري وعظمه وعظم حكمه وشرعه، لم يجترئ على ذلك، فله - سبحانه - الحجة البالغة والحكمة الكاملة، ولا معقب لحكمه ؛ فوجب الوقوف مع قوله تعالى : {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}(1) . وقوله تعالى : {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}(2) . وقوله تعالى : {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ}(3). وكيفيك في فساد عقل معارض الوحي قرآنًا وسنة اجتراءه على عصمة ربه - سبحانه - .

فكيف نجعل العقل حاكمًا على شرعه كتابًا وسنة ، ونقدمه عليه بعد كل هذا، وكيف نتصور أن الشارع الحكيم يشرع شيئًا يتناقض مع العقول المحكومة بشرعه الحنيف. يقول الدكتور السباعي : من المقرر في الإسلام أنه ليس فيه ما يرفضه العقل، ويحكم باستحالته ولكن فيه _ كما في كل رسالة سماوية _ أمور قد يستغربها العقل ولا يستطيع أن يتصورها(4) في (الإلهيات والنبوات والمعجزات والسمعيات) فتلك الأمور فوق نطاق العقل وإدراكه، وقد يحصل الغلط في فهمها فيفهم منها ما يخالف صريح العقل، فيقع التعارض بين ما فهم من النقل وبين ما اقتضاه صريح العقل، فهذا لا يدفع(5) .

يقول ابن خلدون : لأن هذه العقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعديل عليه ...، فإذا هدانا الشارع إلى مدرك؛ فينبغي أن نقدمه على مداركنا، ونثق به دونها ، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه، بل نعلم ما أمرنا به اعتقادًا وعلمًا ، عما لم نفهم من ذلك ونفوضه إلى الشارع، ونعزل العقل عنه(6) .

(303/1)

ويقول في موضع آخر: وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح؛ فأحكامه يقينية، لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الإلهية ، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال... ، ومن يقدم العقل على السمع في أمثال هذا القضايا، فذلك لقصور في فهمه، واضمحلال رأيه، وقد تبين لك الحق من ذلك(1) .

وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية : إن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء؛ لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة . ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار؛ وجد ما خالف

النصوص الصريحة الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها .
فتأمل ذلك في مسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد؛ تجد ما يدل عليه صريح العقل، ونحن نعلم قطعاً أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، وإن أخبروا بمجازات العقول فلا يخبرون بما يحيله العقل(2) .

ونختتم قضية التعارض بين العقل والنقل بسؤال افترضه الإمام يحيى بن الحسين القاسم الرسي العلم الثاني من علمى الأئمة الزيدية (ت 298هـ) قال : فإن قيل: هل يجوز أن تتضاد حجج الله وتختلف، فما تثبته حجة العقل تبطلها حجة الكتاب والسنة، وما تثبته حجة الكتاب والسنة تبطلها حجة العقل؟

(304/1)

فإن قال : نعم .ويكون ذلك ويوجد، استغنى عن مناظرته بجهله، واستدل على كفره بذلك، وخالف الخلق أجمعين، وقال بما لم يقل به أحد من العالمين، وافتضح عند نفسه فلا عن غيره ؛ لأنه يزعم أن حجج الله تتناقض وتتضاد، وما تناقض وتضاد فليس بحجة الله على العباد، ولو تناقضت حججه، لبطلت فرائضه ، ولو بطلت فرائضه ؛ لبطل معنى إرساله للرسل....، فبان بحمد الله، لكل ذي عقل وفهم وتميز أن من قال بتناقض حجج الرحمن غير عارف به ولا مقرر به، ومن لم يعرف الله جل جلاله فلم يعبد، ومن لم يعبد فقد عبد غيره ومن عبد غيره؛ فهو من الكافرين، ومن كان الكافرين فقد خرج بحمد الله من حد المؤمنين، فنعوذ بالله من الجهل والعمى ونسأله الزيادة في الرحمة والهدي(3) .

يقول الإمام البيهقي : وعلى الأحوال كلها حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثابت عنه : قريب من العقول موافق للأصول، لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذي وضع به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، من دينه، وما افترض على الناس من طاعته، ولا ينفر منه قلب من اعتقد بتصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به، وكما هو جميل حسن من حيث الشرع، جميل في الأخلاق حسن عند أولى الألباب(1) .

وأخيراً هل أهمل المتحدثون _ حقاً _ العقل في قبولهم للحديث وتصحيحه كما زعم أعداء السنة النبوية المطهرة؟

هذا السؤال أجاب عنه الشيخ عبد الرحمن المعلمي _ رحمه الله تعالى _ في كتابه الأنوار الكاشفة

بقوله : كلا ، راعوا ذلك في أربعة مواطن : أولاً: عند السماع ، ثانياً : عند التحديث ، ثالثاً : عند الحكم على الرواة، رابعاً: عند الحكم على الحديث.

(305/1)

أولاً : أما مراعاة المحدثين للعقل في قبول الحديث ورده عند السماع: فيبدو ذلك واضحاً في اعتمادهم صحة سماع الصبي متى كان مميزاً فاهماً للخطاب ورد الجواب، سواء كان ابن خمس، أو أقل، وروى ذلك بعد بلوغه الحلم، ومتى لم يكن العقل فهم الخطاب ، ورد الجواب لم يصح سماعه حتى قال ابن الصلاح(2): وإن كان ابن خمسين سنة(3) . ويقول المعلمي في شرح ذلك فالمثبتون إذا سمعوا خبراً تمتنع صحته أو تبعد ، لم يكتبوه ولم يحفظوه ، فإذا حفظوه لم يحدثوا به ، فإن ظهرت مصلحة للذكر، ذكروه مع القدر فيه وفي الرواي الذي عليه تبعته(4) .

ويقول الأستاذ أبو غدة _ رحمه الله تعالى _ : المراد بمراعاة العقل عند السماع، فحص التلميذ الواعي وانتباهه لحال الشيخ الرواي، الذي يريد أن يتلقى عنه، قبل سماعه منه، فإذا وجه سعي الحفظ ، أو مضطرباً في الحديث أو شديد التدليس عند التحديث ، أو يروى الواهيات، أو المنكرات، أو يسوق الموضوعات والخرافات، أو يقلب الأسانيد أو المتون ، أو صاحب بدعة تتصل بحديثه، أو لا تتصل: أعرض عن التحمل عنه، والسماع منه . وكانوا يوغلون ، ويدققون جدّاً في البحث عن الشيخ والكشف عن حاله قبل الأخذ عنه، حتى يقال لهم: أتريدون أن تزوجه؟ روى الخطيب في الكفاية بسنده إلى : شاذان الأسود بن عامر _ قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كنا إذا أردنا أن نكتب عن الرجل سألنا عنه حتى يقال لنا : أتريدون أن تزوجه؟ (1) .

وكثير من طلبة الحديث كانوا لا يكتبون عن أحد حتى يسأله عنه أئمة الشأن الذين يعرفون الرواة ، ومن يجوز أن يكتب عنه ، ومن لا يحل كتب حديثه للاحتجاج أو الاعتبار، فعن أبي العباس بن باذام قال : قال لي والوليد بن مسلم القرشي : وكنت إذا أردت أن آتي الشيخ أسمع منه شيئاً ، سألت عنه قبل أن آتية الأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز، فإذا رأياً أن آتية أتيته(2) ونحو ذلك كثير منتشر في أخبار الرواة والمحدثين.

(306/1)

وكثيراً ما كان بعض الطلبة يمتحنون الشيخ قبل التلقى عنهم، فيقبلون لهم بعض الأسانيد في بعض الأحاديث، ويركبون عليها المتن، ويسألهم عنها على أنها من أحاديثهم وروايتهم، يفعلون هذا عمداً: امتحاناً للشيخ قبل السماع منه ، فإن انتبه عرفوا ضبطه ومتانة حفظه وشدة يقظته ودقة وعيه، وأخذوا عنه، وإن تلقن وأقر : الحديث المقلوب والمغلوط تركوا الرواية عنه .
ومن نماذج مراعاتهم للعقل في قبول الحديث ورده عند السماع.

1_ ما رواه الدارقطني في سننه عن سفيان بن عيينة قال : دخلت على الحجاج بن أرطاة (3) ، وسمعت كلامه ، فذكر شيئاً أنكرته ، فلم أحمل عنه شيئاً . وقال يحيى بن سعيد القطان: رأيت الحجاج بن أرطاة بمكة ، فلم أحمل عنه شيئاً (1) .

2_ وروي الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن عبد الله المبارك (2) ، قال : لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله محمر الجزري الرمي (3) قاضي الرقة _ لاخترت أن ألقاه ، ثم أدخل الجنة ، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلى منه (4) .

ثانياً : وأما مراعاة الخدين للعقل في قبول الحديث ورده عند الحديث _ لا عند السماع والتحمل، فيبدو ذلك واضحاً في اشتراطهم العدالة، والضبط في صحة قبولهم للحديث، وتصحيحه .
ومن شروط العدالة بعد الإسلام : البلوغ والعقل ، فلا يقبل حديث غير البالغ على الصحيح (5)، ولا المجنون سواء المطبق والمنقطع إذا أثر في الإفاقة (6) .

وأما الضبط فيعرف بمدى موافقته لأهل الحفظ، فإن وافقهم غالباً ، ولو أتى بأنقص لا يتغير به المعنى ، أو في المعنى ؛ فهو ضابط محتج بحديثه، وإن وافقهم نادراً ، وكثرت مخالفته لهم والزيادة عليهم فيما أتى به؛ فهو مخطئ مغفل، عديم الضبط، لا يحتج بحديثه، وإلى ذلك أشار الإمام الشافعي _ رحمه الله تعالى _ فيمن تقوم به الحجة؛ فقال: إذا شارك أهل الحفظ وافق حديثهم (1) .

(307/1)

ويقول أيضاً : ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه، بأن الحديث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو ما يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالة بالصدق منه (2) .
وقال الخطيب في الكفاية: باب وجوب اطراح المنكر والمستحيل من الأحاديث (3) يقول الأستاذ عبد

الرحمن المعلمي: وفي الرواة جماعة يتسامحون عند السماع وعند التحديث، لكن الأئمة بالمرصاد للرواة، فلا تكاد تجد حديثاً بين البطلان، إلا وجدت في سنده واحداً أو اثنين أو جماعة قد جرحهم الأئمة(4) .

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة _ رحمه الله تعالى _ : إن المحدثين الحفاظ المتوسعين في جمع الحديث جرت عادتهم على سماع ما يحدث به من الأحاديث وما لا يحدث به، لأنه ينفع في وجوه كثيرة من علوم الحديث، ولذلك قالوا وقرروا هذا القاعدة، التي عبر عنها الحفاظ بحسب معين بقوله : إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش أى عند تحمل الحديث وتلقيه عن شيوخ الرواية، يجمعون منه ما استطاعوا عن كل شيخ، ولكن عند تحديثهم يفتشون فيما تحملوه من الأسانيد والمتون، فلا يحدثون إلا بالأسانيد المتصلة بالعدول الثقات الضابطين عن مثلهم، والمتون الخالية من الشذوذ والعلة . وما تبين لهم من كذب أو وهم أو بلايا للرواة في الأسانيد، أو الشذوذ ، أو علة في المتنون يمكسون عن التحديث بها، ولا يذكرونها إلا مع البيان لما في تلك الأسانيد أو المتنون من ضعف وشذوذ، وربما يحرقون هذه الكتب ويقطعونها، وكل هذا تجده مذكوراً في تراجم طائفة كبيرة من الرواة المجروحين .

(308/1)

ونسوق هنا نموذج من ذلك : جاء في الميزان، وتهذيب التهذيب في ترجمة خالد بن يزيد بن أبي مالك الدمشقي قال ابن أبي الحواري(1) : سمعت يحيى بن معين يقول: بالشام كتاب ينبغي أن يدفن : كتاب الديات لخالد بن يزيد بن أبي مالك . لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة. قال أحمد بن أبي الحواري. قد كنت سمعت هذا الكتاب من خالد بن يزيد، ثم أعطيته لابن عبدوس العطار، فقطعه وأعطى للناس فيه الحوائج(2) .

ثالثاً : وأما مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على الرواة: فهذا يظهر كثيراً في كتب التراجم، فالأئمة كثيراً ما يجرحون الراوى بخبر واحد منكر جاء به فضلاً عن خبرين أو أكثر ، ويقولون : للخبر الذي تمتنع صحته أو تبعد : منكر أو باطل ، وتجده ذلك كثيراً في تراجم الضعفاء، وكتب العلل والموضوعات والمشتبهون لا يوثقون الراوى حتى يستعرضوا حديثه، وينقدوه حديثاً حديثاً(3) .

رابعاً : وأما مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على متون الأحاديث فهذا واضح في جعلهم من دلائل الوضع في الحديث مخالفته لبدهيات العقل(4) ، إلا أن ذلك مقيّد بعدم إمكان التأويل والمقصود بالتأويل هنا : محاولة التوفيق بين ما ظاهره التعارض بين المنقصول والمعلول وبشرط : ألا يسرح العقل

في مجال النظر والتأويل _ وهو يوفق _ إلا بقدر ما يسرحه النقل (5) .
كما أن العقل مقيد بالمستنير بكتاب الله - سبحانه - ، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - الثابتة .
وفي ذلك يقول الحكيم الترمذي : وإنما تعرف ، وتنكر العقول التي لها إلى الله سبيل يصل إلى الله ونور الله سراجها والعقل بصيرته ، والحق خبثته والسكينة طابعه فرجع إلى خلقه والحق عنده أبلج يضيء في قلبه كضوء السراج يقيئنا وعلماً به كما قال ربيع بن خثيم : إن على الحق نوراً وضوءاً كضوء النهار نعرفه ، وإن على الباطل ظلمة كظلمة الليل ننكرة .

(309/1)

فالحققون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل وكذلك وعد الله تعالى المتقين فقال : {يَأْتِيهَا اللَّيْنُ ءَامِنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} (1) .
أما العقل المخلط المكب على شهوات الدنيا المحجوب عقله عن الله - سبحانه - فليس هو المغنى بهذا؛ لأن صدره مظلم، فكيف يعرف الحق؟ وإنما شرط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إذا جاءكم عنى حديث تعرفونه، ولا تنكرونها (2) .
قلت : وما سبق يتبين لنا أن قاعدة عرض السنة على العقل في الحكم على السنة النبوية المطهرة، قاعدة مقررة عند المحدثين والفقهاء، وطبقوها فعلاً في قبولهم للأحاديث وتصحيحها، إلا أنها مقيدة باستحالة التأويل بالجمع بين ما ظاهره التعارض بين النقل وما استغربه العقل الواقف عند الحدود التي وضعها له خالقه، فلا يحسن إلا ما حسنه الشرع، ولا يقبح إلا ما قبحه الشرع، ولا يقدم حكمه على حكم رب العباد - سبحانه - .
وأخيراً : صدق الفاروق عمر t قال : ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوا فأفتوا برأيهم فضلوها وأضلوا، ألا وإنا نقتدى ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر وفي رواية قال : إياكم ومجالسة أصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنة، أعيتهم السنة أن يحفظوها ، ونسوا الأحاديث أن يعوها، وسئلوا عما لا يعلمون، فاستحيوا أن يقولوا لا نعلم، فأفتوا برأيهم فضلوها وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، إن نبيكم لم يقبضه الله حتى أغناه الله بالوحي عن الرأي، ولو كان الرأي أولى من السنة، لكان باطن الخفين أولى بالمسح من ظاهرهما (3) .
وقال الحافظ ابن عبد البر : ومن أعف نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه،

ورام أن يردّها إلى مبلغ نظره؛ فهو ضال مضل، ومن جهل كذلك كله أيضاً وتقحم في الفتوى بلا علم؛ فهو أشد عمى وأضل سبيلاً... واعلم يا أخي: أن القرآن والسنة هما أصل الرأى... ومن جهل الأصل لم يصل الفرع أبداً (1) أ. هـ.

(310/1)

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

المطلب الثالث

وفيه الشبه الآتية:

- أولاً: شبهة النهى عن كتابة السنة المطهرة والرد عليها.
- ثانياً: شبهة التأخر في تدوين السنة المطهرة والرد عليها.
- ثالثاً: شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها.
- رابعاً: شبهة أن الوضع وكثرة الوضاعين للحديث أضعفت الثقة بالسنة النبوية.
- والرد عليها.

أولاً: شبهة النهى عن كتابة السنة المطهرة

وفيما ما يلي:

أ _ استعراض الشبهة وأصحابها والرد عليها بما يلي:

- أولاً: ذكر نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في النهى عن كتابة السنة النبوية.
- ثانياً: بيان درجة الأحاديث والآثار الواردة في النهى عن كتابة السنة النبوية.
- ثالثاً: الجواب عن زعمهم بأن النهى يدل على عدم حجية السنة النبوية.
- رابعاً: بيان علة النهى عن كتابة السنة كما وردت في الأحاديث والآثار التي استشهد بها خصوم السنة على شبهتهم.

ب _ بيان علة النهى عن كتابة السنة عند أعدائها والرد على مزاعمهم الآتية :
أولاً : أن النهى عن كتابة السنة المطهرة يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه t أرادوا ألا يكون مع كتاب الله - سبحانه - كتاب آخر .
ثانياً : أن النهى يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه t أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم .
ثالثاً : أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة t كانوا يجتهدون في مقابل السنة الشريفة ولا يأخذون بها .
رابعاً : أن النهى عن الإكثار من الرواية يدل على حجية السنة، واتهام على من أبي بكر وعمر t للصحابة بالكذب .

شبهة النهى عن كتابة السنة
استعراض الشبهة وأصحابها

(311/1)

تتخلص هذه الشبهة في زعم المستشرقين وذيولهم من أعداء السنة : أن السنة النبوية لو كانت حجة لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتابتها ، ولعمل الصحابة والتابعون t أجمعين من بعده على جمعها وتدوينها ، حتى يحصل القطع بثبوتها بكتابتها كما هو الشأن في القرآن الكريم، ولكن الثابت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - _ نهي عن كتابتها، وأمر بمحو ما كتب منها، وكذلك فعل الصحابة والتابعون، ولم يقتصر الأمر منهم على ذلك، بل امتنع بعضهم عن التحديث ، أو قلل منه، ونهى الآخرون عن الإكثار منه .

واستدل بتلك الشبهة بعض غلاة الشيعة حيث ذهبوا إلى عدم صحة النهى عن كتابة السنة النبوية من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وسقم قول من يقول بذلك والذهاب إلى أن النهى عن كتابة السنة والمنع من التحديث بها كان نابغاً من موقف سياسى اتخذته الخليفة أبو بكر ، ثم عمر ، ومن بعده الخلفاء للحد من نشر فضائل أهل البيت، وتخوفاً من اشتهاار أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في فضل على وأبنائه ما دل على إمامتهم. مضافاً إلى مساس هذا التحديث بأصل مشروعية خلافتهم .

وأن روايات منع الكتابة إنما اختلفت في وقت متأخر لتبرير منع الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ومن هذا حذوهما .

وعلى أساس هذه الشبهة بنى على الشهرستاني (1) كتابه منع تدوين الحديث أسباب ونتائج (2) ، وكذا مرتضى العسكري (3) في كتابه (معالم المدرستين) (4) ، وزكريا عباس داود (5) في كتابه تأملات في الحديث عند السنة والشيعة (6) ، ومروان خليفات (1) في كتابه (وركت السفينة) (2) وغيرهم من أعداء السنة (3) .

واتفق المستشرقون مع الشيعة في عدم صحة النهي عن كتابة السنة في أول الأمر في عهد النبوة المباركة، بناءً على رأيهم في السنة النبوية بأنها وضعت على النبي - صلى الله عليه وسلم - ونسبت إليه، مما هي إلا نتيجة للتطور الديني، والسياسي، والاجتماعي للمسلمين (4) .

(312/1)

وقد تزعم هذه الفرية صنمهم الأكبر جولدتسيهر ، والذي ذهب إلى أن الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة، والأحاديث الأخرى التي تحث على كتابتها ، ما هي إلا أثر من آثار تسابق أهل الحديث في جانب وأهل الرأي في جانب آخر، إلى وضع الأقوال المؤيدة لنزعتهم المتناقضتين . فأهل الحديث يذهبون إلى كتابة السنة؛ لتكون دليلاً على صحتها والاحتجاج بها . فيقول : إن الجميع متفقون على أنه لا يمكن إنكار أن تدوين الأحاديث كان له خصوم، وهذه الكراهية للكتابة لم تكن موجودة منذ البداية، ولكنها نشأت بسبب التحامل الذي ظهر فيما بعد (5) ويقول في موضع آخر: وفي هذا الموضوع هنالك مجموعتان من الآراء في حالة تناقض، ولكي نبين ذلك لابد لنا من الرجوع إلى حقب زمنية مبكرة من هذا النزاع .

وللفريقين آراؤهما الخاصة، وقد سبقت في صورة أحاديث نبوية، فيروى أحد الفريقين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً فليمححه (6) بينما يروى ابن جريج من الفريق الثاني حديثاً عن ابن عمرو؛ أنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - : هل أقيد العلم؟ فوافقه النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك، وعندما سئل عن معنى تقييده أجاب بأنها الكتابة (7)

(1) الآية 165 من سورة النساء .

(2) الموافقات 2 / 360 وانظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام ابن عبد السلام 1 / 5 _ 10 .

(3) الاعتصام للشاطبي 2 / 568 .

(1) الموافقات 1 / 78 ، 79 ، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة 1 / 110 .

(2) السنة ومكانتها في التشريع 39 ، 40 .

(1) الآية 174 من سورة النساء .

(2) الآية 113 من سورة النساء .

(3) مختصر الصواعق المرسلة 1 / 112 ، 113 بتصرف .

(1) الآية 149 من سورة الأنعام .

(2) الآية 23 من سورة الأنبياء .

(3) الآية 41 من سورة الرعد .

(4) السنة ومكانتها في التشريع ص 34 بتصرف يسير .

(313/1)

(5) انظر : أمثلة على ذلك مما رفضوه بعقوبتهم والرد عليهم في الباب الثالث حديث رؤية الله - سبحانه - 2 / 219-229 ، وحديث عذاب القبر ونعيمه 2 / 282-294 ، وانظر أيضاً : حديث الذباب 2 / 342-353 .

(6) المقدمة لابن خلدون الفصل الحادي عشر، في علم الإلهيات ص 548 بتصرف يسير .

(1) المصدر السابق الفصل العاشر في علم الكلام، ص 509 بتصرف يسير .

(2) مختصر الصواعق المرسلة 1 / 114 وما بعدها .

(3) رسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة 2 / 301 _ 303 بتصرف . وانظر : مختصر

الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية 1 / 114 _ 130 ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 1 /

171 ، وانظر : ما سبق في الجواب عن شبهة عرض السنة على القرآن ص 236-239 .

(1) مفتاح اللجنة في الاحتجاج بالسنة ص 41 .

(2) ابن الصلاح : هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي،

أبو عمرو، كان من أعلام الدين، وأحد فضلاء عصره في التفسير، والحديث، والفقه، والأصول ،

متبحراً في ذلك يضرب به المثل، من مؤلفاته، علوم الحديث ، وشرح مسلم، وغير ذلك . مات سنة 643هـ وله ترجمته في: طبقات الحفاظ للسيوطي ص 503 رقم 1107 ، وتذكرة الحفاظ /4 1430 رقم 1141 ، والبداية والنهاية 13/ 168 ، والعبر 5/ 177 ، وشذرات الذهب /5 221، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 382 _ 384 رقم 327، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص 84 .

(3) علوم الحديث لابن الصلاح ص 97، وانظر: فتح المغيـث للسخاوي 2/ 14، 15، وتدريب الراوي للسيوطي 2/ 6 .

(4) الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمي ص 6 .

(1) الكفاية في علم الرواية ص 93 .

(2) تهذيب الكمال للمزي 3/ 1475 .

(314/1)

(3) الحجاج بن أرطاة: هو حجاج بن أرطاة _ بفتح الهمزة _ ابن ثور بن هبيرة النخعي، أبو أرطاة الكوفي،== القاضي، أحد فقهاء ، صدوق، كثير الخطأ ، والتدليس. مات سنة 149هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 188 رقم 1122 ، والكاشف 1/ 311 رقم 928 ، وتذكرة الحفاظ 1/ 186 رقم 181 ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص 87 رقم 172 ، والثقات للعجلي ص 107 رقم 250 ، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد الذهبي ص 5 رقم 78، وحاشية سبط ابن العجمي على الكاشف 1/ 311 .

(1) الدارقطني في سننه كتاب الحدود والديات وغيره 3/ 175 رقم 266.

(2) عبد الله بن المبارك : هو عبد الله بن المبارك بن واضح الخنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الأعلام وكان ثقة، عالماً ربانياً ، متنبئاً ، صحيح الحديث مات سنة 181هـ . له ترجمة في: تذكرة الحفاظ 1/ 274 رقم 260، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 123 رقم 249 ، والثقات للعجلي ص 275 رقم 876، والثقات لابن حبان 7/ 7، والديباج المذهب ص 212 رقم 261، وطبقات المفسرين لداودي 1/ 250 رقم 232، ومشاهير علماء الأمصار ص 227 رقم 1564 ، والفهرست لابن النديم ص 377، 378.

(3) عبد الله بن محرز، بمهمات ، الجزري، القاضي، متروك، مات في خلافة أبي جعفر. له ترجمة في :

- تقريب التهذيب 1/ 528 رقم 3584 ، والكاشف 1/ 592 رقم 2944 ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص 148 رقم 348 ، والمجروحين لابن حبان 2/ 22 ، والجرح والتعديل 5/ 176 رقم 824 ، والضعفاء لأبي نعيم ص 151 رقم 118 .
- (4) مسلم (شرح النووي) المقدمة ، باب بيان أن الإسناد من الدين 1/ 131 ، وانظر: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 172 _ 174 .
- (5) انظر : فتح المغيـث للسـخاوي 1/ 307 ، وهو الذي حكاه النووي عن الأكثرين ، انظر: تدريب الراوي 1/ 300 .
- (6) انظر : فتح المغيـث للسـخاوي 1/ 307 وما بعدها ، وتدريب الراوي 1/ 300 .

(315/1)

-
- (1) الرسالة للإمام الشافعي ص 371 فقرة رقم 1001 ، وانظر : فتح المغيـث للسـخاوي 1/ 328 .
- (2) الرسالة للشافعي ص 399 فقرة رقم 1099 .
- (3) الكفاية ص 603 .
- (4) الأنوار الكاشفة ص 6 ، 7 .
- (1) ابن أبي الحواري: هو أحمد بن عبد الله بن ميمون بن العباس التغلبي بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام، يكنى أبا الحسن بن أبي الحواري، بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الراء، ثقة زاهد. مات سنة 246هـ له ترجمة في: تقريب التهذيب 1/ 39 رقم 61 ، والكاشف 1/ 197 رقم 51 ، والثقات لابن حبان 8/ 24 ، والإرشاد للخليلي ص 134 ، 135 ، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور 3/ 162 .
- (2) ميزان الاعتدال 1/ 645 رقم 2475 ، وتهذيب التهذيب 3/ 126 رقم 232 ، وانظر: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 174 _ 176 .
- (3) الأنوار الكاشفة للمعلمي ص 7 .
- (4) انظر: تدريب الراوي للسيوطي 1/ 276 ، وتوضيح الأفكار للصنعاني 2/ 96 وهذا ما قاله ابن خلدون في مقدمته، مقررًا ما قرره أهل الحديث، بدليل دفاعه عن النقل وتقديمه على العقل إذا تعارض معه، وسفه عقول من يقدمون العقل على النقل عند التعارض الظاهري ، انظر المقدمة ص

508، ولكن قاسم أحمد في إعادة تقييم الحديث ص 59، استدل بكلام ابن خلدون على وجوب أن تكون السنة مؤيدة بالقرآن والقياس العقلي _ بمفهوم أعداء السنة . ولا حجة له فيما نقله عن ابن خلدون، لقوله بالقاعدة بمفهوم أهل الحديث .
(5) الموافقات للشاطبي 78 / 1 .
(1) الآية 29 من سورة الأنفال .
(2) نواذر الأصول للحكيم الترمذي الأصل الرابع والأربعون فيما يعدونه صدق الحديث 1 / 361، وانظر: قواعد التحديث للقاسمي ص 165 .

(316/1)

(3) الفقيه والمتفقه للخطيب 1 / 453 ، 454 رقمي 477، 478، وقال ابن قيم الجوزية وأسانيد هذه الآثار = عن عمر في غاية الصحة. انظر: أعلام الموقعين 1 / 55، وانظر: في نفس المصدر 1 / 66، 67، معنى الرأي ، ومتى يكون محمودًا ، ومتى يكون مذمومًا ، وانظر : المدخل إلى السنة للأستاذ الدكتور عبد المهدي ص 114، 125.
(1) جامع بيان العلم وفضله 2 / 173 بتصرف يسير .

(1) علي الشهرستاني: كاتب شيعي معاصر، من مصنفاته منع تدوين الحديث أسباب ونتائج، طعن فيه في حجية السنة النبوية وفي روايتها من الصحابة الأعلام ، وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية (رضي الله عنهم أجمعين).

(2) منع تدوين الحديث ص 19، 185، 210، 357، 365، 505.

(3) مرتضى العسكري: كاتب شيعي معاصر، وعميد كلية أصول الدين الأهلية ببغداد (سابقًا) من مصنفاته: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ومعالم المدرستين، وخمسون ومائة صحابي مختلف، وأحاديث عائشة وأطوار من حياتها، وهو في كل مؤلفاته السابقة يعلن مذهب الرافضة في السنة والصحابة .

(4) معالم المدرستين المجلد 2 / 60، 61 .

(5) زكريا عباس داود: كاتب سوري شيعي معاصر، من مؤلفاته تأملات في الحديث عند السنة والشيعة، أعلن فيه مذهب الرافضة في السنة والصحابة .

(6) تأملات في الحديث ص 37، 42، 44 _ 62 .

- (1) مروان خليفات : كاتب سورى معاصر حصل على العالية (الليسانس) من كلية الشريعة بسوريا، تشيع وغالي في تشييعه من مؤلفاته : وركبت السفينة .
- (2) وركبت السفينة ص 173 _ 180 .
- (3) مثل محمود أبو رية القائل عقب حديث (لا تكتبوا عني .. إلخ) هذا الحديث الذي بنينا عليه كتابنا هذا، انظر: أضواء على السنة ص 34، وانظر: ممن قال بهذه الشبهة حسين الدراكهي الرافضي في مقدمة كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين لابن المطهر الحلي .
- (4) سيأتى تفصيل تلك الشبهة والرد عليها في شبهة التأخر في تدوين السنة ص 346-374 .

(317/1)

- (5) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا ، العدد 10، ص 566 .
- (6) سيأتى تحريجه انظر: ص 271.
- (7) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم 1/ 188 رقم 362، وانتقده الذهبي بأن فيه ابن المؤمل ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 152 ، وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه=

(318/1)

- وقد حدث حماد بن سلمة أن جد عمرو بن شعيب سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - : هل يكتب كل ما سمعه منه . فأجابه النبي - صلى الله عليه وسلم - : نعم فقال له : في الغضب والرضا؟ قال : نعم؛ فإني لا أقول في الغضب والرضا إلى الحق(1) .
- ويقول أبو هريرة : إن رجلاً من الأنصار جلس يسمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - الأحاديث فلم يقدر على حفظها، فشكى ذلك إليه ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - استعن على ذلك بيمينك(2) .
- وباخترع هذه الأحاديث حاول كلا الفريقين المتنافسين أن يقدم الحجج على صحة مذهبه دون أن يكشف أي منهم عن دوافعه . وسبب هذه القناعات الدينية(3) .

أما ذيول المستشرقين من دعاة اللادينية، فمع اعترافهم بصحة النهي عن كتابة السنة من النبي - صلى الله عليه وسلم - في أول الأمر - لعل سيأتى ذكرها إلا أنهم أعرضوا عن تلك العلل ، وسفهبوا رأى من يقول بها من أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء وسائر علماء المسلمين إلى يومنا هذا .

بالرغم من أن علة النهي عن كتابة السنة في أول الأمر واردة في الأحاديث التي استشهدوا بها على عدم حجية سواء كانت أحاديث مرفوعة أو آثار موقوفة ومقطوعة .
وهم في نفس الوقت أعرضوا عن الأحاديث التي تحت على كتابة السنة النبوية وأكثرها مرفوع إليه - صلى الله عليه وسلم - وأكثر منها موقوف على الصحابة ، ومقطوع على التابعين، وفيه حرص كل منهم على كتابة السنة وتدوينها، وهم أنفسهم الذين روى عنهم النهي عن كتابة السنة، والنهي عن الإكثار منها .

ولم يبين لنا خصوم السنة سر هذا التناقض الظاهري في المرويات في الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة؟ مع عدم إقرارهم بعلة وحكمة النهي؟

(319/1)

ولا يمكن أن يقبل منهم الإجابة بأن سر هذا التناقض في الروايات الناهية للكتابة والمرخصة لها - بأن النهي ناسخ للإذن ، وأن هذا النهي من النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين - رضى الله عنهم أجمعين - دليل منهم على أنهم أرادوا ألا يجعلوا الأحاديث ديناً وشريعة عامة؛ كالقرآن، كما ذهب إلى ذلك الدكتور توفيق صدقي وتأثر به الأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - وتابعه في ذلك محمود أبو رية، وجمال البنا، وعبد الجواد ياسين، وغيرهم. إذ لا دليل على ذلك كما سيأتي في موضعه(1) .

ثم إن أعداء السنة وهم في إنكارهم لحجية السنة النبوية خلطوا بين النهي عن كتابة السنة وبين تدوينها - حيث فهموا خطأ أن التدوين هو الكتابة - وعليه فإن السنة النبوية - ظلت محفوظة في الصدور لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول الهجري، في عهد عمر بن عبد العزيز، وهو فهم غير صحيح، كما سيأتي في شبهة التأخر في التدوين .

ثم إنهم خانوا الأمانة العلمية . وهم يؤرخون للسنة المطهرة إذ استدلو على عدم حجيتها بأحاديث مرفوعة وأخرى موقوفة على الصحابة، ومقطوعة على التابعين - وكلها تنهى عن كتابتها ومحو ما

كتب منها، وجمعوا تلك الأحاديث من كتب الأئمة وهم يستعرضونها تمهيداً للرد عليها ، فنقلوا هذه الأحاديث التي تشير إلى شبهتهم، ولم ينقلوا الرد .
فالحافظ الخطيب البغدادي في كتابه تقييد العلم، عقد باباً بعنوان الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتابة العلم ، ثم أتبعه باب ثان بعنوان وصف العلة في كراهة كتاب الحديث ، ثم أتبعه باب ثالث بعنوان الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم(2).

(320/1)

وكذلك فعل الحافظ ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله عقد باباً بعنوان ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف ثم أتبعه باب عنوانه بيان أن السلف كانوا يكرهون كتابة الحديث وبعده باب بعنوان ما ورد في كراهية السلف كتابة العلم ، وإنما كانوا يعتمدون على الحفظ وبعده باب ذكر الرخصة في كتابة العلم وأخيراً باب استحباب السلف كتابة العلم خشية النسيان(3) .

وكذلك فعل الحافظ الدارمي في كتابه السنن : ففي المقدمة عقد باباً وأسماء من لم ير كتابة الحديث وأتبعه باب من رخص في كتابة العلم(1) .
هذا فضلاً عن الأبواب التي تحدثوا فيها عن حجية السنة، فما على خصوم السنة إلا بنقل الباب الذي يؤيدهم في دعواهم الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتابة العلم وغض الطرف عن بقية الأبواب التي تفحمهم وتفضح كذبهم وتقيم عليهم الحجة ك باب وصف العلة في كراهة كتابة الحديث وباب الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم .

وهذا دأب أعداء الإسلام دائماً يتصيدون أدلتهم من تراثنا الإسلامي الخالد، ولا يكلفون أنفسهم شيئاً _ فهو قوم تخصصوا في الخيانة العلمية وإلباس الحق ثوب الباطل.
ومن سلك ذلك المسلك واستدل بتلك الشبهة من أعداء السنة : الدكتور توفيق صدقي(2) ، ومحمود أبو رية(3) ، وقاسم أحمد(4) ، وأحمد صبحي منصور(5) ، وإسماعيل منصور(6)، ومحمد شحرور(7)، وأحمد حجازي السقا(8)، وجمال البنا(9)، ومصطفى المهدي(10)، ونيازي عز الدين(11)، ورشاد خليفة(12)، وعبد الجواد ياسين(1)، وأحمد أمين(2)، وحسين أحمد أمين(3)، ومحمد حسين هيكل(4) وغيرهم .

نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في النهي عن كتابة السنة النبوية :
أولاً : الأحاديث المرفوعة :

(321/1)

- 1_ حديث أبي سعيد الخدري t ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن ؛ فليمحه ؛ وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً ؛ فليتبوأ مقعده من النار (5) وفي رواية عنه قال : استأذنا النبي في الكتابة فلم يأذن لنا (6) .
 - 2_ حديث أبي هريرة t (7) قال : كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فخرج علينا ؛ فقال : ما هذا تكتبون ؟ فقلنا : ما نسمع منك ، فقال : أكتب مع كتاب الله ؟ فقلنا : ما نسمع . فقال : اكتبوا كتاب الله المحضوا كتاب الله ، اكتبوا كتاب الله أو خالصوه ، قال : فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ، ثم أحرقناه بالنار . قلنا : أي رسول الله أنت تحدث عنك ؟ قال : نعم . تحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً ؛ فليتبوأ مقعده من النار قال فقلنا : يارسول الله أنت تحدث عن بني إسرائيل ؟ قال : نعم . تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ؛ فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه (1) .
 - 3_ وروي أيضاً عن زيد بن ثابت مرفوعاً (2) .
- ثانياً : الآثار الموقوفة والمقطوعة :

ذهب إلى النهي عن كتابة السنة النبوية جمع من الصحابة والتابعين منهم :

- 1_ أبو بكر الصديق t (3) فعن عائشة _ رضي الله عنها _ قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت خمسمائة حديث . فبات ليلة يتقلب كثيراً . قالت فغممة فقلت : أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال : أي بنيه هلمي الأحاديث التي عندك . فجئته بها . فدعا بنار فأحرقها وقال : خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل أئمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني . فأكون قد نقلت ذلك (4) .
- وفي رواية أخرى ، زاد بعد قوله فأكون قد نقلت ذلك ، ويكون قد بقي حديث لم أجده فيقال : لو كان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما غاب على أبي بكر . إني حدثتكم الحديث ولا أدرى لعلني لم أتبعه حرفاً حرفاً .

(322/1)

قال الحافظ ابن كثير: هذا غريب من هذا الوجه جدًا، وعلى بن صالح لا يعرف، والأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر من هذا المقدار بآلاف ولعله إنما اتفق له جمع تلك الأحاديث فقط ثم رأى ما رأى لما ذكر . وقال الحافظ السيوطي (1) أو لعله جمع ما فاته سماعه من النبي - صلى الله عليه وسلم - وحدثه عنه به بعض الصحابة كحديث الجدة (2) ونحوه ، والظاهر أن ذلك لا يزيد على هذا المقدار، لأنه كان أحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم كحديث : (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض) (3) ، ثم خشى أن يكون الذي حدثه وهم فكره نقل ذلك، وذلك صريح في كلامه (4) أ . ه .

2_ عمر بن الخطاب t : عن عروة بن الزبير (5) : أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله عز وجل فيها شهرًا، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له ، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكتبوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشئ أبدًا (1) .

3_ علي بن أبي طالب t روى عنه قال : أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمحاها، فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم، وتركوا كتاب ربهم (2) .

4_ أبو سعيد الخدري t فعن أبي نضرة قال (3) : قيل لأبي سعيد لو اكتتبنا الحديث فقال: لا نكتبكم، خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا (4) - صلى الله عليه وسلم - . وعنه من طريق آخر: قال : أتريدون أن تجعلوها مصاحف، إن نبيكم - صلى الله عليه وسلم - كان يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ (5) .

وعنه من طرق آخر: قال : قلت لأبي سعيد الخدري t : إنك تحدثنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثًا عجيبيًا ، وإننا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص قال أردتم أن تجعلوه قرآنًا لا ، لا ، ولكن خذوا عنا ، كما أخذنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (6) .

5_ أبو هريرة t روى عنه أنه قال : نحن لا نكتب ولا نكتب (7) . بفتح نون الفعل الأول ، وضم نون الفعل الثاني .

وروي عن ساعد بن أبي الحسن (1) قال : لم يكن من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أبي هريرة حديثاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإن مروان زمن ما كان على المدينة أراد أن يكتب حديثه، فأبى ، وقال : ارووا كما نروى فلما أبى عليه تغفله فأقعد له كاتباً لَقْنًا ثقافاً فجعل أبو هريرة يحدثه ويكتب الكاتب، حتى استفرغ حديثه أجمع، قال : ثم قال مروان: تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع؟ قال : وقد فعلتم؟ قال نعم. قال فاقراءوه على إذا، قال : فاقراءوه عليه، فقال أبو هريرة: أما إنكم قد حفظتم ، وإن تطعني قمحه، قال: فمحاها (2) .

6_ ابن عباس _ رضى الله عنهما _ روى عنه أنه قال : إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه (3) وفي رواية قال: إنا لا نكتب في الصحف إلا الرسائل والقرآن (4) .

7_ ابن مسعود t روى عنه : أن علقمة (5) جاءه بكتاب أو صحيفة من مكة أو اليمن فيها أحاديث في أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فدعا جاريته ثم دعا بطست فيها ماء فجعل يمحوها ويقول : {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (6) القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بما سواه (7) .
وفي رواية لابن عبد البر زيادة قال أبو عبيد (1) : يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب، لهذا كره عبد الله النظر فيها (2) .

وفي رواية للدارمي عن مرة الهمداني (3) ، قال : جاء أبو مرة الكندي بكتاب من الشام فحمله فدفعه إلى عبد الله بن مسعود، فنظر فيه فدعا بطست ثم دعا بماء فمرسه فيه، وقال: إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم . قال حصين: فقال مرة : أما إنه لو كان من القرآن أو السنة لم يمحاه ، ولكن كان من كتب أهل الكتاب (4).

8_ أبو موسى الأشعري (5) t روى عن أبي بردة (6) قال : كتبت عن أبي كتبت كثيرة فمحاها وقال خذ عنا كما أخذنا (7) .

(324/1)

وعنه من طريق آخر عن أبي بردة قال: كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها، فحدثنا يوماً بأحاديث فقمنا لنكتبها فظن أنا نكتبها فقال : أنكتبان ما سمعنا مني؟ قالوا : نعم .
قال: فجئنا به فدعا بماء فغسله، وقال احفظوا عنا كما حفظنا (1) .
وعنه من طريق آخر عن أبي بردة أبي موسى قال كتبت عن أبي كتاباً فقال: لولا أن فيه كتاب الله

لأحرقته، ثم دعا بمركن أو بإجانة(2) فغسلها، ثم قال: دع عني ما سمعت مني ، ولا تكتب عني؛ فإنني لم أكتب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابًا كدت تهلك أباك(3) .

9_ عمرو بن دينار(4) _ رحمه الله _ : روى عن سفيان الثوري(5) قال : قيل لعمرو: إن سفيان يكتب، فاضطجع وبكى وقال اخرج على من يكتب عني قال سفيان : وما كتبت عنه شيئًا ، كنا نحفظ(6) .

10_ الضحاك(7) _ رحمه الله _ : روى عنه أنه قال : لاتتخذوا للحديث كرايس ككرايس المصاحف(8) وعنه من طريق آخر قال : يأتي على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغبرة لا ينظر فيه(9) .

11_ عبيدة السلماني(1) t _ رحمه الله _ : روى عنه أنه دعا بكتبه عند موته، فمحاها وقال: أخشى لأن يليها أحد بعدى، فيضعوها في غير مواضعها(2) .

12_ إبراهيم(3) _ رحمه الله _ : روى عن فضيل بن عمرو(4) قال: قلت لإبراهيم : إني آتيك وقد جمعت المسائل، فإذا رأيته كأنما تختلس مني وأنت تكره الكتابة قال: لا عليك؛ فإنه ما طلب إنسان علمًا إلا آتاه الله منه ما يكفيه، وقل ما كتب رجل كتابًا إلا اتكل عليه(5) .

13_ علقمة _ رحمه الله _ روى أن مسروق(6) قال له : أكتب لي النظائر قال: أما علمت أن الكتاب يكره؟ قال : بلى إنما أريد أن أحفظها ثم أحرقها، قال فلا بأس(7) .

14_ ابن عون(8) _ رحمه الله _ روى عن حماد بن زيد(9) قال : قال لي ابن عون: إني أرى هذه الكتب ، يا أبا إسماعيل ستضل الناس(1) .

درجة الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة:

(325/1)

تكلم عن بيان درجة الأخبار والآثار الواردة في النهي عن كتابة السنة الشيخ عبد الرحمن المعلمي في كتابه (الأنوار الكاشفة)(2) ، هذا فضلًا عن حكم بعض أئمة الحديث قديمًا على بعضها ، كما مر حكم الذهبي، وابن كثير على رواية أبي بكر الصديق t وإحراقه للأحاديث التي جمعها، والحافظ الهيثمي تكلم عن بعضها في مجمع الزوائد(3) .

وخلاصة القول في الأحاديث المرفوعة: إنه لم يصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في النهي عن كتابة السنة إلا حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه مسلم مع اختلاف بعض العلماء في رفعه

ووقفه، واعتبروا ذلك علة، فقال الحافظ ابن حجر : ومنهم من أعل حديث أبي سعيد وقال :
الصواب وقفه على أبي سعيد ، قاله البخاري وغيره(4) .
واعتقد أن هذا الرأي مجانب للصواب؛ حيث إن الحديث مخرج في صحيح الإمام مسلم مرفوعاً _
كما سبق ويؤيد الرفع أمران:

أولاً : ما ذهب إليه جمهور المحدثين وصححوه في مسألة حكم تعارض الرفع والوقوف من بعض
الثقات أو من راو واحد أن الحكم للرفع كما قال ابن الصلاح؛ لأن الرفع مثبت وغيره ساكت، ولو
كان نافيًا فالمثبت مقدم عليه؛ لأنه علم ما خفى عليه .
ويقول الحافظ العراقي في تحريجه الكبير للإحياء عقب حكم اختلاف راويه في رفعه، ووقفه الصحيح
الذي عليه الجمهور: أن الراوي إذا روى الحديث مرفوعًا وموقوفًا ، فالحكم للرفع؛ لأن معه في حالة
الرفع زيادة، هذا هو المرجح عند أهل الحديث(1) . ونحوه قول الخطيب : اختلاف الروايتين في
الرفع والوقف لا يؤثر في الحديث ضعفًا ؛ لجواز أن يكون الصحابي يسند الحديث، ويرفعه إلى النبي
- صلى الله عليه وسلم - مرة ، ويذكره مرة على سبيل الفتوى بدون رفع، فيحفظ الحديث عنه على
الوجهين جميعًا(2)، وهذا ما نقله الماوردي عن الشافعي - رحمه الله - أنه يحمل الموقوف على مذهب
الراوي، والمسند على أنه من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يعني فلا تعارض حينئذ(3) .

(326/1)

ثانيًا : على فرض صحة وقف هذا الحديث على أبي سعيد الخدري t : لكان له حكم المرفوع المسند؛
لأن النهي عن كتابة السنة النبوية _ وهي المصدر الملازم للقرآن الكريم في التشريع الإسلامي ، هذا
النهي مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا يقال من قبل الرأي ، فله حكم المرفوع المسند ، جزم به الرازي
في الحصول وغير واحد من أئمة الحديث تحسينًا للظن بالصحابي(4) ، بل وبالصحابة جميعًا الذين
امتنلوا لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنهي عن الكتابة مع وجود علة النهي ، والأذن
بالكتابة مع عدمها، حفاظًا على القرآن الكريم والسنة النبوية معًا ، فما استمدت السنة حجيتها إلا
من كتاب الله - سبحانه - ، ومن كتاب الله والسنة النبوية معًا استمدت بقية المصادر التشريعية
حجيتها.

فلأن الحديث مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا مجال للرأي فيه، فحكمه الرفع ، ولا سيما وقد رفعه
الراوي أيضًا(5) .

وفي صحة هذا الحديث رد على بعض غلاة الشيعة في زعمهم عدم صحة النهي عن كتابة السنة من النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن روايات النهي عن كتابة السنة اختلفت في وقت متأخر لتبرير منع الشيخين أبي بكر وعمر من هذا حذوهما. وفي ذلك أيضًا إبطال للأساس الذي أسسوا عليه كتبهم في مسألة كتابة السنة وتدوينها كما فعل مرتضى العسكري، وعلى الشهرستاني، ومروان خليفات وغيرهم ممن سبقوا .

أما الآثار الموقوفة فصح منها الحافظ الهيثمي رواية أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بإسناد الطبراني في المعجم الكبير، والبخاري في مسنده وبقية الروايات الموقوفة، وكذا المقطوعة يؤيد بعضها بعضًا، وتصلح حجة في بابها (1) .

ويشهد لذلك اعتبار الأئمة ؛ كالخطيب، وابن عبد البر، والدارمي وغيرهم اعتمادهم بعض تلك الروايات في بيان موقف الصحابة والتابعين من كتابة السنة، وكراهيتهم للتدوين؛ لعل سيأتي ذكرها .

(327/1)

وفي ذلك رد على المستشرقين التابعين لصنمهم الأكبر جولدتسيهر في زعمه؛ بأن أحاديث النهي عن كتابة السنة مخترعة من قبل أهل الرأي لتأييد مذهبهم في إنكار صحة السنة والاحتجاج بها . وفي ذلك يقول الدكتور يوسف العش ردًا على جولدتسيهر: إنه لم يصب حين قال: إن من ادعى عدم جواز الكتابة هم أهل الرأي، وأن مخالفهم هم من أهل الحديث، فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين ؛ لأن من أهل الرأي من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس (187هـ) ، وحماد بن زيد (179هـ) ، وعبد الله بن إدريس (192هـ) ، وسفيان الثوري (161هـ) ، وبينهم من أقرها كحماد بن سلمة (167هـ)، والليث بن سعد (175هـ) ، وزائدة بن قدامة (161هـ) ، ويحيى بن اليمان (189هـ) وغيرهم .

ومن المحدثين من كره الكتابة كابن عليه (200هـ) ، وهشيم بن بشير (183هـ) ، وعاصم بن ضمرة (174هـ) ، وغيرهم ، ومنهم من أجازها كبقية الكلاعي (197هـ)، وعكرمة بن عمار (159هـ) ، ومالك بن أنس (179هـ) وغيرهم (2) .

الجواب عن زعم أعداء السنة بأن النهي عن كتابة السنة يدل على عدم حجيتها

أما أعداء السنة من دعاة اللادينية فمع اعترافهم بصحة النهي عن كتابة السنة من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن صحابته الكرام؛ إلا أنهم اتخذوا من ذلك النهي دليلاً على عدم حجية السنة النبوية . غاضين الطرف كما سبق وأن أشرت عن علل النهي الواردة في نفس الأحاديث السابقة التي احتجوا بها ، بل غاضين الطرف من الأمر الصادر من النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه - رضي الله عنهم - عقب نهيمهم عن الكتابة وهو التحديث والتبليغ للسنة النبوية بعد حفظها، وهو نفس الأمر الصادر من الصحابة للتابعين بعد نهيمهم عن الكتابة ، وعلى نفس الدرب صار التابعون من الناهين للكتابة، أمروا من نهيمهم عن الكتابة من تابعي التابعين بحفظ السنة وتبليغها كما حفظوها عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما تنبأ به : تسمعون ، ويسمع منكم، ويسمع ممن سمع منكم(1) .

(328/1)

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق _ رحمه الله _ : وكيف يكون نهيه - صلى الله عليه وسلم - دليلاً على عدم الحجية والنهي - صلى الله عليه وسلم - عقب هذا لنهي مباشرة عندما أمر الصحابة بالتحديث عنه، وفي الوقت نفسه يتوعد من يكذب عليه متعمداً أشد الوعيد، كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم .

ويقول - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع : ألا ليلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه(2) .

ويقول أيضاً : نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه(3) ويقول - صلى الله عليه وسلم - لوفد عبد القيس _ بعد أن أمرهم بأربع ونههم عن أربع : احفظوه وأخبروا به من وراءكم(1) . ويقول : ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حرم الله(2) .

(329/1)

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق : أليس الأمر بالتحديث والتبليغ والحفظ، والإبعاد على الكذب عليه أشد الوعيد، والنهي عن عدم الأخذ بالسنة؛ دليلاً على أن السنة لها شأن خطير ، وفائدة جلية للسامع والمبلغ؟ فما هذه الفائدة وما هذا الشأن العظيم؟ أليس هو أنها حجة في الدين، وبيان للأحكام الشرعية. كما يدل عليه تعقيبه- صلى الله عليه وسلم - الأمر بالتبليغ والتحديث _ في الروايات السابقة _ بقوله - صلى الله عليه وسلم - : فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه احفظوه وأخبروا من وراءكم وقوله - صلى الله عليه وسلم - .. إلا وإن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما حرم الله وقوله - صلى الله عليه وسلم - وحدثوا عني ولا حرج ألا يشعرك هذا القول أن القصد من تبليغ السامع الحديث لمن بعده، أن يأخذ الغائب ما اشتمل عليه الحديث من فقه وحكم شرعي؟ وهل يكون ذلك إلا إذا كان الحديث حجة، ودليلاً تثبت به الأحكام التي تضمنها؟ وهل يصح أن يذهب من عنده ذرة من عقل وإيمان إلى أن أمره - صلى الله عليه وسلم - بالتحديث والتبليغ إنما كان لمجرد التسلية والمسامرة في المجالس كما يفعل بتواريخ الملوك والأمراء؟ كلا: فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أجل وأعظم وأشد عصمة من أن يأمر أمته بما لا فائدة فيه، وبما هو مدعاة للهمهم وعيهم .

واليك ما قاله الشافعي _ تعليقاً على حديث نضر الله امرأة سمع منا شيئاً ... المتقدم مما فيه تأييد لما ذكرنا لك .

= ابن معين وابن حبان ، وقال ابن سعد: ثقة قليل الحديث، وقال الإمام أحمد: أحاديثه مناكير .
والحديث أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 68، والحدث الفاصل ص 364 .
(1) أخرجه أبو داور في سننه كتاب العلم، باب في كتاب العلم 3 / 318 رقم 3646 .

(330/1)

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب الرخصة فيه 5 / 38 رقم 2666 وقال : ليس إسناده بذاك القاتم. ونقل عن الإمام البخاري أن أحد رجال الإسناد وهو الخليل بن مرة منكر الحديث. وأخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 65 من عدة طرق في بعضها (الخليل بن مرة) .
وأخرجه الخطيب أيضاً في الجامع لأخلاق الراوي 1 / 249 رقم 503. وفي إسناده (الخليل بن مرة) أ.هـ .

(3) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير . نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 /

567 ، 568 .

- (1) انظر : ص 305-314 .
- (2) تقييد العلم ص 29 _ 113 .
- (3) انظر : جامع بيان العلم /1 63 _ 77 .
- (1) انظر : سنن الدرامي المقدمة 1 / 130 _ 140 .
- (2) مجلة المنار المجلد 9 / 913 .
- (3) أضواء على السنة ص 46 .
- (4) إعادة تقييم الحديث ص 114 _ 128 .
- (5) حد الردة ص 89، وعذاب القبر ص 5، 6 ، ومجلة روزاليوسف العدد 3530 ص 50 .
- (6) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 7، 14، 225 .
- (7) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 546 ، 565 .
- (8) حقيقة السنة النبوية ص 12 .
- (9) الأصولان العظيمان ص 268، 269، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 7 .
- (10) البيان بالقرآن 1 / 25 .
- (11) إنذار من السماء ص 117 ، 134 .
- (12) القرآن والحديث والإسلام ص 19 .
- (1) عبد الجواد ياسين: قاضى مصرى سابق، تخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة 1976 ، من مؤلفاته السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ) شكك في هذا الكتاب في حجية السنة وفي روايتها. انظر : استشهاده بالشبهة التي معنا في كتابة السلطة في الإسلام ص 238 .

(331/1)

-
- (2) أحمد أمين: هو : أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، تخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية ، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية فعميداً لها . من مؤلفاته : فجر الإسلام ، وضحاها، وظهره وقد تحدث في كتبه السابقة عن الحديث فمزج بالدم، وخلط الحق بالباطل. مات سنة 1954 م. له ترجمة في الأعلام 1 / 379، انظر : استشهاده بالشبهة التي معنا في كتابيه فجر الإسلام ص 208 ، 21، 233، وضحي الإسلام 2 / 106 .

- (3) حسين أحمد أمين: كاتب مصري معاصر، وهو ابن الأستاذ أحمد أمين. من مؤلفات حسين أحمد أمين دليل المسلم الحزين ردد فيه طعون المستشرقين في حجية السنة، وانظر استشهاده بالشبهة التي معنا في كتابه دليل المسلم الحزين ص 43 .
- (4) محمد حسين هيكل : كاتب مصري من رواد المدرسة العقلية الحديثة؛ تأثر فيما كتب عن السنة وسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمستشرقين . انظر : تأثره بالشبهة التي معنا في كتابة حياة محمد ص 55.
- (5) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الزهد والرفائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابه العلم 9/ 356 رقم 3004 .
- (6) أخرجه الترمذي كتاب العلم: باب ما جاء في كراهية كتابة العلم 5/ 37 رقم 2665 . قال أبو عيسى: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضاً عن زيد بن أسلم، رواه همام عن يزيد بن أسلم وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم يركب كتابة الحديث 1/ 131 رقم 451، والخطيب في تقييد العلم ص 32، والقاضي عياض في الإلماع ص 148 .
- (7) ستأتي ترجمته في مبحث (أبو هريرة راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين) 2/ 103-116.

(332/1)

-
- (1) أخرجه أحمد في المسند 3/ 12 _ 13 ، والخطيب في تقييد العلم ص 34، وفيه عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، متفق على ضعفه انظر : في ترجمته : تقريب التهذيب 1/ 570 رقم 3879، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص 158 رقم 377 ، والضعفاء لابي نعيم ص 102 رقم 122 والمجروحين لابن حبان 2/ 57، والتاريخ الصغير ص 208 رقم 370، والتاريخ الكبير 5/ 284 رقم 922، والجرح والتعديل 5/ 233 رقم 1107 ، ولسان الميزان 8/ 488 رقم 13376 .
- (2) أخرجه أبو داود في سنته كتاب العلم، باب في كتاب العلم 3/ 318 رقم 3647 ، وأحمد في المسند 5/ 182، وابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 63، والخطيب في تقييد العلم ص 35، والقاضي عياض في الإلماع ص 148 .
- (3) أبو بكر الصديق: صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 3/ 963 رقم 1633 ، واسد الغابة 13/ 310 رقم 3066 ، وتاريخ الصحابة 23 رقم 1، وتذكرة الحفاظ 1/ 2 رقم 1، ومشاهير علماء الأمصار ص 10 رقم 2، والإصابة 2/ 341 رقم 4835 .

(4) ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ 1/ 5 وقال لا يصح. والعجب ممن يدعون الأمانة العلمية مثل صاحب أضواء على السنة الذي نقل الرواية السابقة من التذكرة، ولم ينقل حكم الذهبي !!، انظر: أضواء على السنة ص 49، وأعجب منه كذب إسماعيل منصور على الإمام الذهبي حيث قال إسماعيل منصور بعد نقله الرواية السابقة من التذكرة وحسب المنصف أن يرى هذه الرواية وهي كما وردت موثقة في تذكرة الحفاظ للذهبي) أ. هـ . انظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 226 .

(333/1)

(1) السيوطي : هو عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي ، جلال الدين، كان إمامًا حافظًا بارعًا ذا قدم راسحة في علوم شتى، فكان مفسرًا ، محدثًا فقهياً أصوليًا ، لغويًا ، مؤرخًا ، له تأليف بلغت نحو ستمائة مصنف منها : الأشباه والنظائر في القواعد الفقهية، والأشباه والنظائر في العربية ، والدر المنتور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن ، والجامع الكبير والصغير، والأزهار المنتثرة في الأخبار المتواترة مات سنة 911هـ . له ترجمة في : حسن المحاضرة للسيوطي 1/ 335 رقم 77 وشذرات الذهب 8/ 51، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 3، والبدر الطالع للشوكاني 1/ 328 رقم 228.

(2) سيأتي تحريجه 2/ 25، 26.

(3) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الجنائز، باب رقم 33، 3/ 338 رقم 1018 وقال : أبو عيسى هذا حديث غريب. وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه. وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه. فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضا . وهذا الشاهد الذي ذكره الترمذي أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الجنائز ، باب ذكر وفاته - صلى الله عليه وسلم - 1/ 520 رقم 1628 واللفظ له . وفي إسناده الحسين بن عبد الله الهاشمي فيه خلاف انظر: مصباح الزجاجة للبوصيري 1/ 542 .

(4) انظر منتخب كنز العمال 4/ 58 ، 59 ؛ ودلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 503، وانظر: كذب محمود أبو رية على محمد رشيد رضا بأنه صحح هذه الرواية، في حين أن رشيد رضا نقل حكم الأئمة السابق انظر مجلة المنار 10/ 764 ، وأضواء على السنة ص 49 هامش .

(334/1)

-
- (5) عروة بن الزبير: هو عروة بن الزبير بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، روى عن أبويه، وخالته، وعلى، وخلق، وعنه بنوه عثمان، وعبد الله، والزهرى، كان فقيها عالما كثير الحديث ثبتا مأمونا، مات سنة 94هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 671 رقم 4577 ، والكاشف 2/ 18 رقم 3775 ، والطبقات الكبرى لابن سعد 5/ 179، والثقات للعجلي ص 331 رقم 1121 ، والثقات لابن حبان 5/ 694 ، وتذكرة الحفاظ 1/ 62 رقم 51، والبداية والنهاية 9/ 101 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 82 رقم 428 .
- (1) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 64، والخطيب في تقييد العلم ص 49 .
- (2) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 63 ، 64 .
- (3) أبو نصر: هو المنذر بن مالك بن قطعة، بضم القاف وفتح المهملة، العبدي أبو نصر، مشهور بكنيته، روى عن أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعن علي مرسلاً ، وعنه قتادة، وعوف، وابن أبي عروبة وخلق. متفق على توثيقه مات سنة 108هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 2/ 213 رقم 6915 ، والكاشف 2/ 295 رقم 5632 ، والثقات للعجلي 439 رقم 1633 ، والثقات لابن حبان 5/ 420، طبقات ابن سعد 7/ 207، ومشاهير علماء الأمصار ص 122 رقم 709.
- (4) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 64 .
- (5) المصدر السابق 1/ 64، وأخرجه الخطيب في المحدث الفاصل ص 379، وتقييد العلم ص 36، 37 .
- (6) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم يرك كتابة الحديث 1/ 133 رقم 471، وابن المبارك في مسنده ص 142 رقم 231، وقال المحقق الأستاذ صبحي البدري السامرائي إسناده صحيح، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 64 ، والخطيب في تقييد العلم ص 38، والمحدث الفاصل ص 363 .
- (7) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم يرك كتابة الحديث 1/ 133، رقم 472 وابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 66 ، والخطيب في تقييد العلم ص 42 .

- (1) هو سعيد بن أبي الحسن البصري، أخو الحسن البصري، روى عن أمه، وأبي هريرة، وعنه أخوه، وعوف، وسليمان التيمي، متفق على توثيقه، مات سنة 100 هـ. له ترجمة في: تقريب التهذيب 1/ 350 رقم 2291، والكاشف 1/ 433 رقم 866، والثقات للعجلي ص 182 رقم 536، والثقات لابن حبان 4/ 276، مشاهير علماء الأمصار ص 115 رقم 657.
- (2) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 41.
- (3) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 64، والخطيب في تقييد العلم ص 42.
- (4) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 42، 43 ز
- (5) علقمة هو: علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، أبو شبل، أخو يزيد بن قيس، روى عن أبي بكر وعمرو ابن مسعود، وعنه ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد، وابن أخته إبراهيم النخعي، وسلمه بن كهيل، وآخرون ثقة ثبت فيه عابد مات 62 هـ. له ترجمة في: تقريب التهذيب 1/ 687 رقم 4697، والكاشف 2/ 34 رقم 3873، وتذكرة الحفاظ 1/ 48 رقم 24، وطبقات الحفاظ ص 20 رقم 24، والثقات للعجلي 339 رقم 1161، والبداية والنهاية 8/ 219، ومشاهير علماء الأمصار ص 125 رقم 741.
- (6) الآية 3 من سورة يوسف.
- (7) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 54.
- (1) أبو عبيد هو: القاسم بن سلام بالتشديد، البغدادي، أبو عبيد، الإمام المشهور ثقة، فاضل، مصنف، له أقواله في شرح الغريب، مات سنة 224 هـ له ترجمة في: تقريب التهذيب 2/ 19 رقم 5479، تهذيب التهذيب 8/ 315 رقم 572، الكاشف 2/ 128 رقم 4511، وسؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم ص 249 رقم 338، وتاريخ بغداد 12/ 403 رقم 6868، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 1/ 150 رقم 44.
- (2) جامع البيان العلم 1/ 66.

(336/1)

- (3) مرة الهمداني هو: مرة بن شراحيل الهمداني، بسكون الميم، أبو إسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له مرة الطيب، وإنما سمي طبيباً لكثرة عبادته، روى عن ابن مسعود وعمر، وعنه عمرو بن مرة، وابن أبي خالد، ثقة عابد مات 76 هـ. وقيل بعد ذلك في: تقريب التهذيب 2/ 170 رقم 6583،

الكاشف 2/ 253 رقم 5361 ، الثقات للعجلي 424 رقم 1555 ، مشاهير علماء الأمصار 127 رقم 754 ، والأنساب المتفقة في الخط لابن القيسراني ص 99 رقم 162 .

(4) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة ، باب من لم ير كتابه الحديث 1/ 134 رقم 477 .

(5) أبو موسى الأشعري: صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 3/ 979 رقم 1639 ، واسد الغابة 6/ 299 رقم 6296 ، وتاريخ الصحابة ص 154 رقم 741 ، وتذكرة الحفاظ 1/ 23 رقم 10 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 47 رقم 216 ، والإصابة 2/ 359 رقم 10950 .

(6) أبو بردة هو : أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه عامر، وقيل الحارث، روى عن أبيه، وعلى، والزبير، وعنه عبد الله، ويوسف ، وحفيدة، بريد ابن عبد الله، متفق على توثيقه، مات سنة 104هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 2/ 360 رقم 7981 ، والكاشف 2/ 407 رقم 6508 ، وتذكرة الحفاظ 1/ 95 رقم 86 ، وطبقات الحفاظ ص 43 رقم 84 ، وطبقات ابن سعد 7/ 133 ، والثقات للعجلي ص 491 رقم 1903 ، مشاهير علماء الأمصار ص 130 رقم 776 .

(7) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 39 .

(1) أخرجه بن عبد البر في جامع البيان العلم 1/ 66 ، والخطيب في تقييد العلم ص 39 ، 40 .

(2) إجابة : إناء فيه ماء متغير الطعم واللون. انظر: النهاية في غريب الحديث 1/ 26 .

(3) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف 9/ 53 ، والطبراني في الكبير، ولم أجده في الجزء المطبوع من المعجم، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 151 ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير والبخاري بنحوه إلا أن البخاري قال : (احفظ كما حفظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورجاله رجال الصحيح أ. هـ .

(337/1)

(4) هو : عمرو بن دينار المكي، أبو محمد ، روى عن بن عباس، وابن عمر، وجابر، وعنه شعبة والسفيانان، ومالك، ثقة ثبت، وما قيل عنه من التشيع فباطل، مات سنة 126هـ . له ترجمة في: تقريب التهذيب 1/ 734 رقم 5040 ، والكاشف 2/ 75 رقم 4152 ، والثقات للعجلي 363 رقم 1257 ، والثقات لابن حبان 5/ 167 ، والتاريخ الكبير للبخاري 6/ 328 رقم 2544 .

(5) سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، روى عن عمرو بن دينار، وابن المنكدر، وسلمة بن كهيل، وعنه القطان، وعلى بن الجعد،

والفريابي، متفق على توثيقه، مات 161هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 371 رقم 3452،
الكاشف 1/ 449 رقم 1996 ، والثقات للعجلي 190 رقم 571 ، وتذكرة الحفاظ والأنساب
المثقفه في الخط لابن القيسراني ص 43 رقم 41 .

(6) أخرجه الخطيب في تقييد العلم، ص 47 .

(7) الضحاك هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، الخرساني ، أبو القاسم ، أبو محمد، صدوق كثير
الإرسال مات سنة 105هـ . له ترجمة في تقريب التهذيب 1/ 444 رقم 2989 ، والكاشف 1/
509 رقم 2437 ، والثقات لابن حبان 6/ 185، ومشاهير علماء الأمصار ص 227 رقم
1562.

(8) أخرجه الخطيب في تقييد العلم، ص 47 .

(9) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 65 .

(1) عبيدة السلماني هو : عبيدة بن عمرو السلماني بسكون اللام، ويقال بفتحها . أبو عمرو
الكوفي، تابعي كبير، مخضرم، فقيه ثبت مات سنة 72هـ أبو بعدها ، والصحيح أنه مات قبل سنة
سبعين . له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 649 رقم 4429، والكاشف 1/ 694 رقم 3647 ،
والثقات للعجلي 325 رقم 1092 ، والثقات لابن حبان 5/ 139، ومشاهير علماء الأمصار
125 رقم 735 ، وتذكرة الحفاظ 1/ 50 رقم 27 .
(2) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 67 ، والخطيب في تقييد العلم ص 61.

(338/1)

(3) إبراهيم هو : إبراهيم بن سويد النخعي روى عن علقمة، والأسود، وعنه فضيل بن عمرو،
وسلمة بن كهيل، ثقة ، لم يثبت أن النسائي ضعفه له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 57 رقم
184، والكاشف 1/ 213 رقم 145، والثقات للعجلي 52 رقم 26 ، والثقات لابن حبان 6/
6، مشاهير علماء الأمصار 194 رقم 1290.

(4) هو فضيل بن عمرو الفقيمي ، بالفاء والقاف مصغراً ، أبو النضر الكوفي، روى عن إبراهيم،
والشعبي، وجمع، وعنه أبان من تغلب ، وحجاج بن ارطأة ، ثقة، مات سنة 110هـ . له ترجمة في :
تقريب التهذيب 2/ 15 رقم 5447 ، والكاشف 2/ 142 رقم 4487 ، والجرح والتعديل 7/
73 رقم 415، والثقات للعجلي 384 رقم 1356 ، والثقات لابن حبان 7/ 314، ومشاهير

علماء الأمصار 197 رقم 1313 .

(5) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 68 / 1 .

(6) مسروق هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي روى عن أبي بكر ومعاذ وعلقمة، وعنه إبراهيم، وأبو إسحاق، ويحيى بن وثاب، ثقة فقهى عابد، مخضرم، مات سنة 63هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 2 / 175 رقم 6622 ، والكاشف 2 / 256 رقم 5391، مات سنة 63هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 2 / 175 رقم 6622 ، والكاشف 2 / 256 رقم 5391، والثقات للعجلي 426 رقم 1561، والثقات لابن حبان 5 / 456 ، ومشاهير علماء الأمصار ص 126 رقم 746، وتذكرة الحفاظ 1 / 49 رقم 26 .

(7) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 66 / 1، والخطيب في تقييد العلم ص 58، 59 .

(8) ابن عون : هو عبد الله بن عون بن أرطبان ، أبو عون البصري، من أتباع التابعين، روى عن أبي وائل، وإبراهيم، وحماد، وعنه شعبة، والقطان، متفق على توثيقه مات سنة 150هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب 1 / 520 رقم 3530 ، والكاشف 1 / 582 رقم 2896، والثقات للعجلي 270 رقم 859 ، والثقات لابن شاهين 183 رقم 590، ومشاهير علماء الأمصار 180 رقم 1185 .

(339/1)

(9) هو : حماد بن زيد درهم الأزدي ، الجهضمي ، أبو إسماعيل البصري، روى عن ابن عون، وثابت، وأبي = حمزة، وعنه مسدد، وعلى ، متفق على توثيقه مات سنة 179هـ . له ترجمة في تقريب التهذيب 1 / 238 رقم 1503 ، والكاشف 1 / 349 رقم 1219 ، والثقات لابن شاهين ص 102 رقم 239 ، والثقات لابن حبان 6 / 217 ، والثقات للعجلي ص 130 رقم 329، ومشاهير علماء الأمصار ص 188 رقم 1244 .

(1) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص 57 .

(2) الأنوار الكاشفة ص 34 _ 43 ، وانظر: دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي 1 / 76 _ 78 .

(3) مجمع الزوائد 1 / 150 _ 152 .

(4) فتح الباري 1 / 251 رقم 113 ، وقال العلامة أحمد محمد شاکر : وهذا غير جيد، فإن

الحديث صحيح. انظر: الباعث الحثيث ص 111 .

- (1) انظر: المغيـث للسـخاوي 1/ 194 ، 195 ، وشرح الفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكـرة للعراقي 1/ 178، وتدريب الراوي للسيوطي 1/ 221 _ 223 ، وتوضيح الأفكار للصنعاني 1/ 343 .
- (2) الكفاية للخطيب ص 587، 588 .
- (3) انظر: البحر المحيط للزركشي 4/ 341، والمحصل للرازي 2/ 229، 230، وفتح المغيـث للسـخاوي 1/ 195 .
- (4) المحصول للرازي 2/ 221 ، وانظر: فتح المغيـث للسـخاوي 1/ 144 ، وتدريب الراوي 1/ 190، 191، وتوضيح الأفكار 1/ 280 .
- (5) انظر: فتح المغيـث للسـخاوي 1/ 195 .
- (1) انظر: شروط الاحتجاج بالضعيف في علوم الحديث لابن الصلاح ص 35، وفتح المغيـث للسـخاوي 1/ 86، 87، وتدريب الراوي 1/ 176، 177، والباعث الحثيث ص 34 .
- (2) انظر: تقييد العلم للخطيب، تصدير الدكتور يوسف العش ص 21، 22، ودلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 209 ، 231 .

(340/1)

-
- (1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم 3/ 321 رقم 3659 ، وأحمد في مسنده 1/ 321، والحاكم في المستدرک کتاب العلم: باب فضيلة مذاكرة الحديث 1/ 95 وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ولم يخرجاه، وفي الباب أيضا عن ابن مسعود، ووافقه الذهبي وقال على شرطهما ولا علة له .
- (2) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قال الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ 13 / 433 رقم 7447 ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض 6/ 182 رقم 1679 واللفظ له من حديث أبي بكر t .
- (3) سبق تخريجه ص 39 .
- (1) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان 1/ 157 رقم 53، ومسلم بشرح النووي كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين 1/ 212 رقم 17، واللفظ له، من حديث بن عباس _ رضى الله عنهما _ .

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - 5 / 37 رقم 2664، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجة في سننه المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتغليظ على من عارضه 1 / 20 رقم 12 من حديث المقدم بن معد يكرب .

- صلى الله عليه وسلم - - صلى الله عليه وسلم -

t t

- سبحانه - - سبحانه -

(7)

- صلى الله عليه وسلم - t - رضي الله عنهم - u - سبحانه - 1

- صلى الله عليه وسلم - t - رضي الله عنهم - u - سبحانه -

(1)

(341/1)

... قال (: "فلما ندب رسول الله (إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها أمراً يؤديها، والامرء واحد - دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلال، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير فقيه ويكون له حافظاً، ولا يكون فيه فقيهاً" (1) 0هـ

... ثم نقول "ولا زال الكلام للدكتور عبد الغنى" : لا شك في أنه (إنما نص على خصوص الكذب عليه، وخصه بهذا الوعيد الشديد مع دخوله في عموم الكذب المعلوم حرمة للجميع؛ لأن الكذب عليه (مستلزم لتبديل الأحكام الشرعية، واعتقاد الحلال حراماً، والحرام حلالاً وهذا الاستلزام لم يتفرع إلا عن حجية السنة، وأنها تدل على الأحكام الشرعية0
... وإذا أردت أن تتحقق مما قلناه؛ فعليك بما رواه الشيخان عن المغيرة؛ أنه (قال : "إن كذباً على

ليس ككذب على أحد 0 فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (2) ثم انظر إلى ما رواه مسلم عن أبي هريرة؛ أن رسول الله (قال : "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فيأياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم (3) 0

... وأخبرني بربك : إذا لم يكن الحديث عن رسول الله (حجة، فعلام هذا التحذير من الأحاديث المكذوبة عنه؟ ولم يحصل بها الضلال والفتنة؟

-
- (1) الرسالة للشافعي ص 402، 403، رقم الفقرات 1103، 1104، وانظر : سنن الدارمي المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله (وتعليم السنن 145/1 من رقم 542 - 561 0
- (2) البخاري(بشرح فتح الباري)كتاب الجنائز،باب ما يكره من النياحة على الميت 3/191رقم 1291، ومسلم(بشرح النووي)المقدمة،باب تغليظ الكذب على رسول الله(101/1 رقم 4 واللفظ له 0
- (3) مسلم(بشرح النووي)المقدمة،باب النهعن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها 111/1رقم 7

(342/1)

ولو كان المقصود من التحديث بأحاديث رسول الله (مجرد التسلية واللهو كرواية الأشعار وأخبار العرب وغيرهم أفلا يستوى الصادق منها والكاذب في هذا المعنى؟

ولو كان هناك فرق بينهما أفيستحق هذا الفرق التحذير الشديد من الضلال والفتنة؟ كلا 0 ... وبالجمله : فكل ما نقلناه لك من هذه الأحاديث ونحوها يؤيد ما قلناه من حجية السنة، وهو بمثابة التصريح من الرسول (بذلك عند من له سمع يسمع وعقل يدرك، وهو في الوقت نفسه صريح في رغبته (في نقل السنة والحفاظة عليها 0 فكيف مع هذا كله يزعم زاعم بأن نفيه عن كتابتها دليل على رغبته في عدم نقلها والحفاظة عليها وعلى عدم حجيتها (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ((1) 0

... قلت : بل كيف مع هذا يصح زعم زاعم أن نهي (عن الكتابة ناسخ للإذن كما ذهب إلى ذلك الأستاذ محمد رشيد رضا (2) ، وتابعه على ذلك محمود أبو رية (3) ، وجمال البنا (4) وغيرهم 0 ... وإذا افترضنا صحة هذا القول منهم (5) ،

(1) الآيتان 52،53 من سورة الروم، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص 424

- 426 بتصرف 0

(2) مجلة المنار المجلد 10/767،768، ووجهة نظر رشيد رضا فهذا الأمر لم تجد التأييد الكافي حتمن تلاميذه، ومنهم محمد الخولي أيد أئمة الحديث في أن النهي سبق الجواز-انظر: مفتاح السنة ص 16

(3) أضواء على السنة 48 0

(4) الأعلان العظيمان 268 - 275 والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 198 0

(5) وهو لا يصح بحال "أن يكون النهي ناسخ للإذن لأمر ثلاثة :

1- أن أحاديث الإذن متأخرة : فحديث أبي شاة عام الفتح 0 وذلك في أواخر حياة النبي (وحديث أبي هريرة في المقارنة بينه وبين عبد الله بن عمرو متأخر أيضاً لأن أبا هريرة متأخر الإسلام 0 وهو يدل أيضاً على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبي هريرة وحديث همه (بكتابة كتاب لن تضل الأمة بعده كان في مرض موته (0 ويبعد جداً أن يكون حديث أبي سعيد الخدري قد تأخر عن هذه الأحاديث كلها خصوصاً حديث (الهم، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخر عن هذه الأحاديث فما للإذن والجواز، لعرف ذلك عند الصحابة يقيناً صريحاً

2- إجماع الأمة القطعي بعد عصر الصحابة والتابعين على الإذن وإباحة الكتابة وعلى أن الإذن متأخر عن النهي كما سبق 0 وهو إجماع ثابت بالتواتر العملي عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول -رضي الله عنهم أجمعين- كما قال الأستاذ أحمد محمد شاكر في الباعث الحثيث ص 112، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني ص 447 0

3- سيأتي قريباً : أنه لا نسخ أصلاً حيث يصر إلى النسخ عند تعذر الجمع بين الدليلين المتعارضين وهو ممكن لنا كما سيأتي 0 فلا يصح أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر ص 290،291 0

فأين دليل نسخ الإذن بالتحديث والتبليغ الذى هو أبلغ فى حجية السنة كما مر، بل وأبلغ وأقوى من النقل بالكتابة على ما سيأتى فى شبهة تأخر التدوين وهذا الإذن بالتحديث كما هو وارد عن رسول الله (عقب نهي عن الكتابة، هو أيضاً وارد عن الصحابة والتابعين عقب نهيهم عن الكتابة انظر إلى قول أبي سعيد الخدرى : " ... إن نبيكم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ " وفى لفظ آخر "خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا (وانظر إلى قول أبي هريرة : "ارووا كما كنا نروى" وأبي موسى الأشعري "خذ عنا كما أخذنا" وفى لفظ آخر "احفظوا عنا كما حفظنا" وكل هذه الروايات سبقت وهى مما استشهدوا بها على شبهتهم، وروى عن سليم بن عامر (1) ، قال : كان أبو أمامة إذا قعدنا إليه يميننا من الحديث بأمر عظيم ويقول للناس : "اسمعوا واعقلوا، وبلغوا عنا ما تسمعون" قال سليم : بمنزلة الذى يشهد على ما علم" (2) 0

... وعن سليم بن عامر قال كنا نجلس إلى أبي أمامة فيحدثنا حديثاً كثيراً عن رسول الله (فإذا سكت قال أعقلتم بلغوا كما بلغتكم (3) 0

(1) هو سليم بن عامر الكلاعى، ويقال الخبائرى بخاء معجمة وموحدة، أبو يحيى الحمصى روى عن أبي الدرداء، وعوف بن مالك، وعنه ثور ومعاوية بن صالح 0 ثقة وغلط من قال أدرك النبي (مات سنة 130هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 381/1 رقم 2535، والكاشف 456/1 رقم 2064، والثقات للعجلي ص 199 رقم 600، والتاريخ الكبير 125/4 رقم 2190

(2) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب البلاغ عن الرسول (وتعليم السنن 146/1 رقم 544

(3) أخرجه الطبرانى فى الكبير 187/8، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث ص 168 رقم 189، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 140/1 وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير بسند حسن 0

(344/1)

... وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : "إننا كنا نحفظ الحديث، والحديث يحفظ عن رسول الله (فأما إذا ركبتم الصعب والذلول، فهيهات (1) 0أهـ

... وعلى نفس درب الصحابة صار تلاميذهم من التابعين أمروا من نهم عن الكتابة بالحدف
بعد حفظهم 0 انظر إلى قول سفان الثورى عقب نى شىخه عمرو بن دىنار "وما كتبت عنه شىئاً كنا
نحفظ" 0

... فالصحابة (صاروا على المنهج النبوى، نوا عن الكتابة مع وجود علتها، وفى نفس الوقت أذنوا
بالكتابة مع الأمن من العلة، وعلى درىهم صار التابعون (، وفى نفس الوقت الكل (النبى) -
والصحابة والتابعين) أمروا بالحفظ والحدف (2) 0

(1) أخرجه ابن ماجة فى المقدمة، باب التوقى فى الحدف عن رسول الله (25/1 رقم 27، وابن
المبارك فى مسنده 141 رقم 229، واللفظ لابن ماجة، ورجال إسنادة ثقات 0
(2) وما جاء عن بعض الصحابة من الامتناع عن الحدف أو الإقلال منه، والنهى عن الإكثار منه،
فذلك منهم كان إتباع لأمر النبى (، ولمنهمجه فى الحفاظ على رسالة الإسلام قرآناً وسنة 0 كما سياتى
قريباً ص 325-332 0

(345/1)

فلا تعارض حينئذ بين كراهيتهم لكتابة الحدف وبين حبهم ورغبتهم فى روايته، على ما زعمه الدكتور
حسين الحاج (1) 0

فهل عند من يزعمون عدم حجىة السنة، أو يزعمون أن النهى عن الكتابة ناسخ للأذن؟
هل عندكم دليل لنسخ هذا الأمر النبوى بحفظ سنته وتبليغها للناس كافة؟؟ وإن لم تجدوا دليلاً ولن
تجدوا،

فعلام يدل عندكم هذا الأمر النبوى-بحفظ سنته وتبليغها؟
هل يدل على مجرد اللهو والعبث؟ أم يدل على أنه (والصحابة والتابعين أرادوا ألا يجعلوا السنة
القولية ديناً وشريعة عامة كالقرآن، كما ذهب إلى ذلك خصوم السنة، وتأثر بهم بعض المسلمين (2)
)، وتلك دعوى يكذبها قول وفعل النبى (، ومن صار على دربه إلى يوم الدين، وسيأتى تفصيل ذلك

في : علة النهي عن كتابه السنة عند أعدائها (3) 0

علة النهي عن كتابة السنة كما وردت في الأحاديث والآثار
التي استشهد بها خصوم السنة على شبهتهم

-
- (1) حسين الحاج : هو حسين الحاج حسن، كاتب سورى لبناني، حصل على العالمية، من جامعة القديس يوسف، وكانت رسالته بعنوان (نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية) خلط فيها بين الحق والباطل، ودس السم في الدسم، وكانت جل اعتماده في مراجعه على ما كتبه محمود أبو رية، وطه حسين، وأمثالهما، ورسالته مطبوعة⁰ ومن مؤلفاته أدب العرب في صدر الإسلام، ونظم إسلامية، وغير ذلك⁰ قال في معرض كلامه عن نشأة الحديث : "أما إذا انتقلنا إلى عصر الصحابة وجدناهم غالباً يكرهون تدوين الحديث، بينما يرغبون في روايته، وهو أمر غريب، يحبون رواية الحديث ويكرهون تدوينه! سؤال يحتاج إلى بحث وتفسير!! انظر : نقد الحديث في علم الرواية والدراية 1/142 0
- (2) كالأستاذ محمد رشيد رضا (رحمه الله تعالى)⁰
- (3) انظر : ص 298، 299-306 0

(346/1)

... أشرت فيما سبق عند عرض شبهة النهي عن كتابة السنة إلى أن أصحابها أغمضوا أعينهم عن علة النهي، وسفها رأى من يقول بها من أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء، وسائر علماء المسلمين إلى يومنا هذا، بالرغم من أن هذه العلة واردة في نفس الأحاديث التي احتجوا بها علينا⁰

... وأولى هذه العلل كما جاء في الأحاديث :

- 1- المحافظة على كتاب الله (وصيائنه عن خلطه بالسنة دون تمييز بينهما⁰ ويبدو هذا واضحاً في رواية أبي هريرة : "أكتب مع كتاب الله ... امحضوا كتاب الله أو خالصوه" وهذه الرواية مع ضعف سندها لوجود عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ المتفق على ضعفه (1) ، إلا أن رواية أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (والتي أخرجها الطبراني في الكبير والبراز في مسنده بإسناد صحيح، كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (2) تشهد لصحة رواية أبي هريرة، كما تشهد لصحة هذه العلة؛ ففيها

التصريح الذى لا لبس فيه بأن الأحاديث كتبت بجوار القرآن فى صحيفة واحدة بلا تمييز يؤمن معه سلامة القرآن⁰ وهذا قول أبى موسى الأشعرى صريحاً : "لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته"⁰

... ففى رواية أبى هريرة، وكذا فى قول أبى موسى الأشعرى ما يبين أن السنة فى عهد النبوة والصحابة كانت تكتب بجوار القرآن فى صحيفة واحدة بلا تمييز يحفظ معه القرآن من اشتباهه بالسنة التى كتبت بجواره⁰

... ويؤكد ذلك القراءات الشاذة، فما هى إلا تفسير لبعض كلمات القرآن كتبت بجوارها للإيضاح والبيان- ومن فعل ذلك من الصحابة كان محققاً لما تلقاه عن النبى (قرآناً، وذلك كقراءة ابن عباس-رضى الله عنهما-: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) (3)

(1) راجع : ص 262 0

(2) مجمع الزوائد 1/151 0

(3) الآية 198 من سورة البقرة⁰

(347/1)

فى مواسم الحج (1) وكقراءة ابن مسعود (: وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ (2) من أم (3) ، وكقراءة ابن مسعود (: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ (4) متتابعات (5) 0

... فمثل هذا عند الأئمة من القراءات الشاذة، وحكمة التفسير (6) على خلاف فى العمل به هل له حكم الرفع أم هو مذهب الراوى (7) ؟

... وإذا كان هذا يؤكد أنه وجد من الصحابة من يكتب السنة بجوار القرآن فى صحيفة واحدة، مع خطورة هذا الأمر، فقد وجد فى التابعين من يكتب رأى بجوار السنة ولا يبعد كتابتهم الرأى بجوار القرآن⁰

- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ" 34/8 رقم 0 4519
- (2) جزء من الآية 12 من سورة النساء 0
- (3) أخرجه الدارمى فى سننه كتاب الفرائض، باب الكلالة 462/2 رقم 2975، وسعيد بن منصور فى سننه كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء 1187/3 رقم 592، والبيهقى فى سننه كتاب الفرائض، باب فرض الأخوة والأخوات للأُم 231/6 0
- (4) جزء من الآية 89 من سورة المائدة 0
- (5) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 91/2، ونيل الأوطار 238/8 0
- (6) انظر : الإتيقان للسيوطى 208/1 فقرات رقم 1049، 1109-1111، ومناهل العرفان للزرقانى 429/1 0
- (7) عند البخارى ومسلم أن تفسر الصحابي الذى شهد الوحي والتنزيل حديث مسند إذا كان ما فسرهُ ما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي (ولا مدخل للرأى فيه 0

(348/1)

- ... يدل على هذا ما روى عن الشعبي (1) أن مروان (2) أجلس لزيد بن ثابت (3) رجلاً وراء الستر، ثم دعاه فجلس يسأله ويكتبون فنظر إليهم زيد، فقال : يا مروان عذراً إنما أقول برأى" (4) وروى عن يحيى بن سعيد (5) قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب (6) ،
- (1) انظر : تدريب الراوى للسيوطى 192/1، 193، وفتح المغيث للسخاوى 138/1، 139 0
- (2) الشعبي هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار، الشعبي الحميرى، أبو عمرو، علامة التابعين، كان إماماً حافظاً يضرب المثل بحفظه، روى عن على، وأبى هريرة، وعائشة، وابن عمر وغيرهم 0 مات سنة 103هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 461/1 رقم 3103، والكاشف 522/1 رقم 2531، والثقات للعجلى ص 243 رقم 751، ووفيات الأعيان 12/3-16 رقم 317 0
- (3) مروان هو ابن الحكم بن أبى العاص، بن أمية، أبو عبد الملك الأموى، المدنى، ولى الخلافة فى آخر سنة 64هـ لا تثبت له صحبة- روى عن عمر، وعثمان، وعلى، وعنه سهل بن سعد، وعلى بن الحسين، وعروة مات سنة 105هـ له ترجمة فى : الجرح والتعديل 271/8، وتقريب التهذيب

171/2 رقم 6588، والكاشف 253/2 رقم 5363 0

(4) طبقات ابن سعد 117/5، وسير أعلام النبلاء للذهبي 476/2 رقم 102 0

(5) هو : يحيى بن سعيد بن فروخ، التميمي، أبو سعيد القطان البصري، أحد الأئمة الأعلام، ثقة حافظ متقن، كان رأساً في العلم والعمل، روى عن هشام بن عروة، وحמיד والأعمش 0 وعنه أحمد وعلى ويحيى مات 198هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 303/2 رقم 7584، والكاشف

366/2 رقم 6175، ومشاهير علماء الأمصار ص 192 رقم 1278، وتذكرة الحفاظ 298/1

رقم 280، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 131 رقم 268 0

(6) سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام، أبو محمد المخزومي، أحد العلماء الإثبات، الفقهاء الكبار، روى عن عمر وعثمان وسعد، وعنه الزهري، ويحيى بن سعيد وقتادة، مات بعد التسعين 0 له ترجمة في

: تقريب التهذيب 364/1 رقم 2403، والكاشف 444/1 رقم 1960، تذكرة الحفاظ 54/1

رقم 38، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 25 رقم 37، ومشاهير علماء الأمصار ص 81 رقم 426

0

(349/1)

فسأله عن شيء، فأملأه عليه، ثم سأله عن رأيه؛ فأجابه فكتب الرجل فقال رجل من جلساء سعيد :
أيكتب يا أبا محمد رأيك؟ فقال سعيد للرجل : ناولينها فناوله الصحيفة فخرقها" (1) 0

... وكان مجاهد يقول لأصحابه : "لا تكتبوا عنى كل ما أفتيت به، وإنما يكتب الحديث 0 ولعل كل
شيء أفتيتكم به اليوم أرجع عنه غداً" (2) 0

... ومن هنا ندرك صحة علة النهي عن كتابة شيء - في أول الأمر - سوى القرآن الكريم صيانة لهذا
الكتاب المعجز ممن كانوا حديثي عهد بالإسلام ولم يعتادوا على أسلوبه وأكثرهم من الأعراب الذين
لم يكونوا فقهوا في الدين 0

... وفي نفس الوقت تعليم للصحابة وللأمة من بعدهم المنهج الأمثل في المحافظة على هذا الكتاب

الخالد 0

مع العلم بأن النهى فى أول الأمر كان يشمل وقت نزول القرآن أو بعده، ممن يمكن أن تقع فى يده هذه الصحيفة وهو من غير أهل العلم حتى إذا تعلموا الدرس، جاء الإذن بكتابة السنة لمن اعتادوا أسلوب القرآن وتمييزه كعبد الله بن عمرو وغيره ممن أذن لهم النبى (، مع استمرار النهى عن كتابة السنة مع القرآن فى صحيفة واحدة حتى وإن كان مميزاً بينهما0

-
- (1) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/144 0
(2) الميزان للشعرانى 1/32، وانظر : قواعد التحديث للقاسمى ص 52، وانظر : أثر آخر عن جابر بن زيد فى جامع بيان العلم 2/31، وانظر: تقييد العلم ص 20، تصدير الدكتور يوسف العش0

(350/1)

أما رفض دعاة اللادينية وغلاة الشيعة لهذه العلة بحجة أن تلك العلة تعنى جعل الأحاديث من جنس القرآن فى الأسلوب والبلاغة، وفى ذلك إبطال لإعجاز القرآن الكريم (1) 0

... فأقول : ليس فى ذلك إبطال لإعجاز القرآن، بل حفاظاً لهذا الإعجاز بمنهج نبوى طبقة النبى (قولاً وعملاً، واستوعبه الخلفاء وطبقوه كما فهموه من النبى (، لأنه إذا كان هناك من كبار الصحابة من يدرك ويميز بين الأسلوب القرآنى وإعجازه وبين الأسلوب النبوى، فهناك من عامة الصحابة من لا يدرك ذلك، وهذا هو حال جميع الناس فى جميع العصور والأمصار وهذا أمر بديهي لا يجادل فيه منصف0

... فكان من المنهج الربانى فى المحافظة على كتابه العزيز النهى عن كتابة ما سواه فى أول الأمر؛ لأنه متعبد بلفظه فى الصلاة وغيرها، ولا يجوز إبدال حرف منه بآخر؛ فكان لابد من المحافظة على هذا الإعجاز ممن لا يدركه فى زمن النبوة المباركة، وجميع العرب فيما بعد ذلك، وجميع الأعاجم والمستعربين فى جميع العصور0 ممن لا يؤمن أن يلحقوا ما يجدون فى الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام رب العباد0

(1) ممن ذهب إلى ذلك توفيق صدقي في مقالة (الإسلام هو القرآن وحده) انظر : مجلة المنار المجلد 515/9 ومحمود أبو ريه في أضواء على السنة ص 50، 51، وإسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 26، 291، 310، وجمال البنا في : السنة ودورها في الفقه الجديد ص 199، وعبد الجواد ياسين في السلطة في الإسلام ص 244، ومن غلاة الشيعة مروان خليفات في كتابه وركبت السفينة ص 181، وزكريا عباس داود في تأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص 41، 40 0 وغيرهم من أعداء السنة السابق ذكرهم عند استعراض الشبهة وأصحابها 0

(351/1)

... أما سؤال بعضهم : لماذا لم يأمر النبي (بكتابة السنة في صحف على حدتها، ويكتب عليها ما يفيد أنها أقوال النبي (فتتميز السنة على القرآن فلا يؤمن اختلاطهما (1) 0

فنقول : أذن النبي (بكتابة سنته المطهرة في صحف على حدتها، وميزها من أذن له النبي (بذلك كعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة وغيرهم ممن عددهم الدكتور الأعظمي في كتابه "دراسات في الحديث النبوي" (2) كما أملى النبي (كثير من سنته المطهرة في حياته المباركة، وهذا ما استوعبه الدكتور امتياز أحمد في كتابه "دلائل التوثيق المبكر للسنة" (3) 0

فالنبي (نهي عن الكتابة في أول الأمر، ثم أذن بعد ذلك، وكان النهي دائر مع الخوف، والإذن دائر مع الأمن وجوداً وعدماً، وكان خلال الإذن كتابات ولكن لم تدون تلك الكتابات في مكان واحد، كيف والقرآن نفسه كتب في عهده (، ولم يدون في مكان واحد بين دفتيه إلا في عهد الصديق (0

... ومع وجود كتابات في زمن النبوة في وقت الإذن إلا أنه لم يأمر بكتابة سنته كلها للفرق الشاسع بين حجم القرآن، وحجم السنة التي من وظيفتها الشرح والبيان له، وعادة الشرح أن يكون أكبر حجماً من المشروح، ولو فرض كتابة السنة كلها زمن النبوة كما كتب القرآن الكريم، وأمن من التمييز بينهما لم يؤمن انشغال الناس بها دون القرآن 0

(1) ممن سأل هذا توفيق صدقي انظر : مجلة المنار المجلد 912/9، وتابعه عليه إسماعيل منصور في

تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 27، 28، ونيازی عز الدين في إنذار من السماء ص 114 0
(2) انظر: دراسات في الحديث النبوى فصل كتابة الصحابة والكتابات عنهم 92/1 وانظر : دلائل
التوثيق المبكر للسنة ص 500-541 0
(3) انظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة، فصل الكتابات المبكرة 368-415، وانظر : السنة قبل
التدوين للدكتور عجاج الخطيب ص 343-361 0

(352/1)

1- وهذه هى العلة الثانية الواردة فى الأحاديث التى تنهى عن كتابة السنة : خشية الانشغال عن
القرآن الكريم ومضاهاته بغيره من الكتب حتى ولو كانت السنة 0

... والمراد بالانشغال بالسنة عن القرآن الكريم تقديمها فى الاهتمام بها قبل الاهتمام أولاً بكتاب الله
(مما يؤدى إلى ترك كتاب الله) وإهماله وهذا ما صرح به الفاروق عمر (بعد عدوله عن تدوين السنة
وموافقة الصحابة "وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً" (1) وإعلان سيدنا عمر (هذا على ملاء
من الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- وإقرارهم بذلك يدل على استقرار أمر هذه العلة فى
نفوسهم (2) 0

... وأكثر صراحة من ذلك فتأكيد المراد بالانشغال بالمعنى السابق قول الضحاك -رحمه الله- "يأتى
على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبق المص -حف بغارة لا ينظر فيه" 0

(1) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث 132/1 رقم 464 0
(2) انظر : منهج نقد المتن للدكتور نور الدين عتر ص 44، والسنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة
الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 243 0

(353/1)

... وعن أبي خالد الأحمر (1) قال : "يأتى على الناس زمان تعطل فيه المصاحف، لا يقرأ فيها، يطلبون الحديث والرأى، ثم قال : أياكم وذلك؛ فإنه يصفق الوجه، ويكثر الكلام، ويشغل القلب" كما كان الخوف من التشبه بالقرآن الكريم في شكله، وفي ذلك يقول أبي سعيد الخدرى (: "أتريدون أن تجعلوها مصاحف" ويقول الضحاك : "لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف" وروى عن إبراهيم النخعى : أنه كان يكره أن يكتب الحديث في الكراريس ويقول : "يشبه بالمصاحف" (2) 0

كذا كان هناك خوف من التشبه بالقرآن في روايته باللفظ وعدم إجازة رواية السنة بالمعنى، وذلك واضح في رواية أبي سعيد الخدرى لما قال له أبو نضرة : إنك تحدثنا عن رسول الله (حديثاً عجيباً، وإننا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص " فكانت إجابة أبي سعيد : "أردتم أن تجعلوه قرآناً لا، لا، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله ((3) ، وفي رواية ابن المبارك في مسنده "لن أكتبكموه، ولن أجعله قرآناً" 0

وكان يشتد الخوف والغضب إذا كان التشاغل والمضاهاة بكتب أهل الكتاب 0

-
- (1) أبو خالد الأحمر هو : سليمان بن حيان الأزدي الكوفي روى عن عاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وعنه أحمد، وإسحاق، وهناد، صدوق يخطئ، مات سنة 190هـ أو قبلها 0 له ترجمة في: تقريب التهذيب 384/1 رقم 2555، والكاشف 458/1 رقم 2080، والثقات للعجلي 201 رقم 607، ولسان الميزان 375/8 رقم 12825، وتهذيب الكمال 394/11 رقم 2504 0
- (2) أخرجه الدارمى في سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث 132/1 رقم 464 0
- (3) انظر : أثر آخر عن واثلة بن الأسقع (في جامع بيان العلم 79/1 0

(354/1)

... كما جاء في رواية جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فقال يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله (يتغير فقال : أبو بكر : ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله (: فنظر عمر إلى وجه رسول الله (فقال : أعوذ بالله، من

غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فقال رسول الله (:
"والذى نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان
حيّاً وأدرك نبوتى لاتبعنى (1) ، وفى بعض الروايات : "...

(1) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبى (126/1 رقم 435،
وأحمد فى مسنده 387/3، والسنة لابن أبى عاصم 27/1 رقم 50 واللفظ للدارمى وفيه مجالد
بن سعيد، الجمهور على تضعيفه لأنه اختلط فى آخر عمره 0 لكن روايته لهذا الحديث مقبولة؛ لأنه
قد سمعه منه هشيم قبل الاختلاط قال ابن عدى : رواية القدماء عنه كهشيم وشعبة وحماد بن زيد
مقبولة، وقال ابن عدى : له عن الشعبى عن جابر أحاديث صالحة يعنى كما فى سند هذا الحديث،
قال يعقوب بن سفيان صدوق، وأخرج له مسلم مقروناً، وقال النسائى : ليس سند هذا الحديث،
قال يعقوب بن سفيان صدوق، وأخرج له مسلم مقروناً، وقال النسائى : ليس بالقوى، وقال مرة :
ثقة، انظر : مجمع الزوائد 173/1، 174، وانظر : تقريب التهذيب 159/2 رقم 6498،
والكاشف 239/2 رقم 5286، والثقات للعجلى ص 420 رقم 1537، والضعفاء للنسائى ص
223 رقم 579، والجروحين لابن حبان 10/3، والحديث صحح إسناده الحافظ ابن كثير من رواية
أحمد فقال يعد إيراده فى (بيان الإذن فى الرواية عن أخبار بنى إسرائيل) قال : تفرد به أحمد وإسناده
على شرط مسلم 0 انظر : البداية والنهاية 123/2، وانظر من نفس المصدر 185/1 0

(355/1)

ثم جعل أى النبى (يتبعه رسماً رسماً فيمحوه بريقة وهو يقول: "لا تتبعوا هؤلاء؛ فإنهم قد هوكوا
وهوكوا" حتى مح آخره حرفاً حرفاً (1) 0

وعلى هذا الدرب صار الصحابة كما روى عن عمر بن الخطاب؛ أنه أتى برجل من عبد القيس
مسكنه بالسوس (2) فقال له عمر : أنت فلان ابن فلان العبدى قال : نعم، فضربه بعضاً معه فقال
الرجل : مالى يا أمير المؤمنين، فقال له عمر : اجلس فجلس فقرأ عليه (الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ
الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ) (3) 0

... فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال الرجل : مالى يا أمير المؤمنين فقال : أنت الذى نسخت كتب دانيال (4) ، قال : مرني بأمرك اتبعه قال : انطلق فاعمه بالحميم (5) والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت، ولا تقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً

-
- (1) انظر : تفسير القرآن العظيم 0 468/2
- (2) بلدة بخورستان فى بلاد فارس بما قبر دانيال النبى عليه السلام، وفتحت الأهواز فى أيام عمر ابن الخطاب (وكان آخر ما فتح منها السوس، انظر : معجم البلدان 280/3، 0 281
- (3) الآيات 1-3 من سورة يوسف
- (4) دانيال : أحد أنبياء بنى إسرائيل فى الفترة ما بين داود وسليمان وبين زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام، وقد ذكر الحافظ ابن كثير فى كتابه : البداية والنهاية شىء من خبره تحت عنوان "شىء من خبر دانيال عليه السلام" 0 37/2
- (5) الحميم هو : المار الحار 0 انظر : القاموس المحيط 0 102/4

(356/1)

من الناس؛ لأتھكتك عقوبة، ثم قال له : اجلس فجلس بين يديه قال : انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به فى أديم (1) فقال رسول الله (ما هذا الذى فى يدك يا عمر؟ فقلت : يا رسول الله : كتاب نسخته لنزداد علماً إلى علمنا فغضب رسول الله (حتى أحمرت وجنتاه (2) ... ونقل قصته بنحو رواية جابر بن عبد الله السابقة 0

ومثل هذه القصة وقعت مع الإمام أبى حنيفة لما دخل شخص الكوفة بكتاب دانيال فكاد أبو حنيفة أن يقتله، وقال له أكتابٌ مَّ غير القرآن والحديث (3) ؟

-
- (1) أديم، أى جلد، وقيل المدبوغ منه 0 انظر : لسان العرب 0 45/1
- (2) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ولم أجده فى الجزء المطبوع من المسند، وعزاه إليه الحافظ الهيثمى وقال: فيه عبد الرحمن إسحاق الواسطى، ضعفه أحمد، وجماعة كما قال الحافظ الهيثمى فى مجمع

الزوائد 173/1، 182 0 فهل يعاب عمر (في اقتداءه بالنبي) في هذا الأمر أم يمدح؟ وهل في هذه القصة دليل على كراهة عمر للتحديث والتدوين بشكل مطلق، سواء كان من سنة النبي أو غيرها، وسواء كان من صحيح ما ورد من أخبار الأمم السالفة أو سقيمها، كما زعم على الشهرستاني في كتابه منع تدوين الحديث ص 105-107 0
(3) انظر : قواعد التحديث للقاسمي ص 298 0

(357/1)

... وكذلك صنع ابن مسعود (في الصحيفة التي قُدِمَ بها عليه من الشام محاسنها ثم تلا نفس الآية التي تلاها عمر (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ) (1) 0

... وقال : "القلوب أوعية فاشغولها بالقرآن ولا تشغلوها ما سواه، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتاب ربهم" 0

وهو يعنى بالكتب هنا كتب أهل الكتاب أو ما أخذت عنها كما قال أبو عبيد أحد رواة هذا الحديث في رواية ابن عبد البر : "يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلهذا كره عبد الله النظر فيها" 0

... ويؤكد مرة الهمداني الراوى عن ابن مسعود كما في رواية الدارمي أن الصحيفة ليست من السنة، وإنما كانت من كتب أهل الكتاب بقوله : "أما أنه لو كان من القرآن أو السنة لم يحده، ولكن كان من كتب أهل الكتاب" 0

وفيما سبق رد على ما ذهب إليه بعض غلاة الشيعة، أن محو السنة في زمن الخلفاء، لأجل ما في الأحاديث من فضائل لأهل البيت وحجتهم رواية ابن مسعود عند الخطيب (2) 0

(1) وفيما سبق أبلغ رد على ما ذهب إليه بعض غلاة الشيعة من أن النهي عن الكتابة نابع من موقف سياسى 0 أى سياسة هنا! أليس في قصة عمر مع ناسخ كتاب (دانيال) عليه السلام سنة

بقصته مع رسول الله (؟ فجاء النهي من عمر ابتداء بنهي النبي (له لعل خشية الاشتغال بها عن كتاب الله وسنة رسوله وهي نفس العلة التي فهمها ابن مسعود وسائر الصحابة وسائر الأئمة من بعدهم⁰

(2) معالم المدرستين مرتضى العسكري المجلد 44/2-45، ومنع تدوين الحديث لعل الشهرستان ص 64، وقد تناقض في ذلك مرة بتأييده لذلك هنا ص 64 ثم رفضه لذلك السبب وتضعيفه ص 66، 70 ثم تأييده ثانية ص 71، 81، 358، 361، 362 0

(358/1)

... ولو فُرض صحة رواية الخطيب، أن الصحيفة التي محها ابن مسعود كانت فيها أحاديث في فضائل أهل البيت، فذلك الخو محمول على أنها كانت أحاديث مكذوبة في فضائل أهل البيت، وإلا لو كانت صحيحة لكانت من السنة وما محها (كما قال مرة الهمداني "أما إنه لو كانت من القرآن أو السنة لم يححه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب (1) 0

وكتب أهل الكتاب هذه هي التي قال فيها أيضاً ابن عون : "إني أرى هذه الكتب يا أبا إسماعيل ستضل الناس⁰

وهذه الكتب أو ما أخذ منها هو ما جعل السلف الصالح يكرهون الكتابة خشية الاشتغال بها عن القرآن الكريم والسنة النبوية معاً⁰

(1) وما زعمه بعض غلاة الشيعة من أن سبب النهي عن كتابة السنة زمن أبي بكر وعمر هو خوفهم من اشتها أحاديث فضائل أهل البيت-عليهم الصلاة والسلام يكذبه الواقع فكتب السنة الصحيحة بين أيدينا، تشهد بكذب هذا الزعم، بمجرد النظر في كتب المناقب وفضائل الصحابة، نجدها مملوءة بالأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل آل البيت-عليهم الصلاة والسلام-ثم إن النهي عن كتابة السنة لم يرد فقط عن أبي بكر وعمر كما يزعمون وإنما ورد أيضاً عن الإمام علي كرم الله وجهه وعلته في ذلك هي نفس أخوانه من الصحابة وعلى رأسهم سيدنا عمر (حيث قال الإمام علي: "فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم"

... وفي ذلك يقول الخطيب (1) -رحمه الله تعالى- : "فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ؛ لأنه لا يعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها⁰ مع أن القرآن كفى منها، وصار مهيمناً عليها" (2) 0

... وفي نفس الوقت الذى كان فيه نهى عن الكتابة سواء في عهد النبوة، أو الصحابة، أو التابعين؛ كان الأمر بالتحديث بالسنة وتبليغها⁰

وكان هذا التبليغ للسنة معتمداً بجوار الكتابة على ملكة الحفظ، والتي هي العمدة والأساس في وصول القرآن والسنة إلينا سالمين من التصحيف والتحريف والتبديل⁰

وملكة الحفظ من مفاخر العرب وهى ملكة طبعوا عليها، والاعتماد على الكتابة يضعفها مع أهميتها، فكان التوجيه النبوى بالنهاى عن الكتابة لتقوية تلك الملكة⁰

... كما قال (: "نصر الله أمراً سمع منا حديثاً فحفظه" 0 وقوله ("احفظوه وأخبروا به من وراءكم" 0

... وصار الصحابة والتابعون على الدرب نھوا عن الكتابة خوف الإتكال عليها وترك الحفظ لا سيما والإسناد قريب والعهد غير بعيد وهذه هى العلة الثالثة المصرح بها فى الأخبار والآثار الواردة فى النهى عن الكتابة⁰

(1) الخطيب : هو أحمد بن على بن ثابت بن مهدى، أبو بكر، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، من مؤلفاته، الكفاية فى علم الرواية، وتقعيد العلم، والفقيه والمتفقه، وشرف أصحاب الحديث، وغير ذلك مات سنة 462 هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 3/1135 رقم 1015، = والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص 153 رقم 176، ووفيات الأعيان 1/92 رقم 34، تهذيب بن عساكر 1/399، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص 433 رقم 980، والرسالة

المستطرفة ص 52، وشذرات الذهب 311/3، والعبر 3/253، وطبقات الفقهاء الشافعيين
لابن كثير 441/2 رقم 1 0

(2) تقييد العلم ص 57، ونفس المعنى قاله الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم 68/1 0

(360/1)

-
- 3- خوف الاتكال على الكتابة وترك الحفظ، وفي ذلك يقول إبراهيم النخعي : "وقل ما كتب رجل كتاباً إلا اتكل عليه" ويقول سفيان : "بئس المستودع العلم القراطيس" ومن كتب كتب ليحفظه فإذا حفظه محاه كما في قول مسروق : "إنما أريد أن احفظها ثم أحرقها" فأقره علقمة بقوله "فلا بأس" وروى مثل ذلك عن ابن شهاب ومالك، وعاصم بن ضمرة، وغيرهم (1) ومر قول أبي سعيد الخدري "احفظوا عنا كما حفظنا" وقول سفيان الثوري : "وما كتبت عنه شيئاً كنا نحفظ" (2) 0
- 4- والعلة الرابعة الواردة في نفس أحاديث النهي عن الكتابة "خوف صيران الأحاديث إلى غير أهلها" فلا يعرف أحكامها، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها في الأصل، وهذا كله وما أشبهه قد نقل عند المتقدمين الاحتراس منه" (3) ولعل الأصل في ذلك ما صح من أنه (، "كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو (4) 0"

(1) انظر : سنن الدارمي في المقدمة، باب من رخص في كتابه العلم 139/1 رقم 508، وتقييد

العلم ص 58-60، وجامع بيان العلم 64/1 0

(2) ومع ذمة الاتكال على الكتاب وأمره بالحفظ، كان مع ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقاً فيما رواه عنه ابن عبد البر قال سفيان : إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث أكتبه أريد = أن اتخذه ديناً، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعأ به" انظر : جامع البيان العلم وفضله 76/1 0

(3) تقييد العلم ص 61 0

(4) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو 155/6 رقم 2990، ومسلم (بشرح

النووى) كتاب الإمارة، باب النهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو إذ خيف وقوعه بين أيديهم
17/7 رقم 1869 واللفظ له 0

(361/1)

... وعلى هذا يحمل ما ورد عن الصديق (في إحراقه ما جمعه من أحاديث على فرض صحته (1))
ونحوه قول عبيدة السلماني : بعد محو كتبه عند موته : "أخشى أن يليها أحد بعدى، فيضعوها في غير
مواضعها" 0

ويقول أبو قلابة في وصيته لأحد تلاميذه المقربين أيوب السختياني : "ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان
حيًا، وإلا فأحرقوها (2) 0

... ويقول الأوزاعي : "كان هذا العلم شريفًا إذا كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما
صار في الكتب؛ ذهب نوره، وصار إلى غير أهله" (3) 0

... هذه هي علل النهى عن كتابة السنة تعلن عن نفسها بوضوح في الأخبار والآثار التي استشهد بها
أصحاب هذه الشبهة 0

وقد يتساءل بعضهم (4) عن سبب العدول عن علل كراهة كتابة السنة وإباحة كتابتها في عصر
التدوين وما بعده إلى يومنا هذا 0
... والإجابة على هذا؛ هي ما أجاب به الخطيب بقوله : "إنما اتسع الناس في كتب العلم وعولوا على
تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك، لأن الروايات انتشرت، والأسانيد طالت، وأسماء الرجال
وكتناهم وأنسابهم كثرت والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا ... مع
رخصة رسول الله (، لمن ضعف حفظه في الكتاب، وعمل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من الخالفين بذلك" (5) 0

... وكما قال ابن الصلاح : "ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة" (6) ، ولقد صدق

رحمه الله تعالى 0

ويعد

(1) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 457 0

(2) تقييد العلم ص 62 0

(3) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث 132/1 رقم 467، وابن عبد

البر في جامع بيان العلم 68/1 0

(4) مثل نيازى عز الدين في إنذار من السماء ص 127، وإسماعيل منصور في تبصير الأمة ص 311-

0 318

(5) تقييد العلم ص 64، 65 0

(6) فتح المغيث للسخاوى 145/2، تدريب الراوى 65/2 0

(362/1)

... فقد ظهر واضحاً جلياً أن النهى عن كتابة السنة ليس لذاته، بل لعل نصت عليها الأحاديث
ذاتها التي نمت عن كتابة السنة وتدوينها 0

تلك العلل التي أغمض أعداء السنة أعينهم عنها بالرغم من وجودها صراحة في نفس الأخبار والآثار
التي احتجوا بها لشبهتهم، فإن سلموا بصحة تلك الأحاديث فعليهم التسليم بالعلل الواردة فيها، ولا
يكونوا ممن قال فيهم رب العزة (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (1) 0

... وإن لم يسلموا بصحة ما استشهدوا به من الأخبار والآثار لم يبق لشبهتهم أساس في أن النهى عن
كتابة السنة زمن النبوة، والصحابة، والتابعين، دليل على عدم حجية السنة المطهرة، لأنه في الوقت
الذى كان فيه نهى عن الكتابة زمن النبوة، والصحابة، والتابعين، كان في الوقت ذاته إذن بالكتابة 0

ولا أقول هنا بنسخ أحدهما للآخر (2)، لأن النسخ لا يصار إليه إلا عند تعذر الجمع وهو ممكن
هنا 0 وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الغنى-رحمه الله تعالى- في الجمع بين

أحاديث النهي وأحاديث الإذن⁰ قال : "وقد قال بالنسخ جمهور العلماء (3) ، واختاره بعض المتأخرين (4) 0

(1) جزء من الآية 85 البقرة⁰

(2) لا نسخ النهي بالإذن، ولا الإذن بالنهي، ولو صح الأول فلا يصح الثاني بحال كما سبق ص276

(3) أى نسخ أحاديث النهي بأحاديث الإذن، على ما حكاه ابن تيمية في جوابه في كتابة صحة أصول مذهب أهل المدينة ص 37 0 وفي مقابل الجمهور من عكس فذهب إلى أن الإذن منسوخ بالنهي كالأستاذ محمد رشيد رضا ومن تابعه وسبق الرد عليه ص 276-278 0

(4) كالأستاذ الخولى في مفتاح السنة ص 17، والأستاذ أحمد محمد شاكر في الباعث الحثيث ص112

(363/1)

والحق أنه لا نسخ أصلاً، وأن النهي دائر مع الخوف -من العلل السابقة- والأذن دائر مع الأمن وجوداً وعدماً... فإنه يجب أن لا نقول بالنسخ إلا عند عدم إمكان الجمع بغيره، وقد أمكننا الجمع بتخصيص النهي بحالة الخوف، والإذن بحالة الأمن، مع التحديث والتبليغ في الحالتين، وهو جمع معقول المعنى⁰ فما الذى يضطرنا إلى القول بالنسخ؟

ثم إنه لا داعى للتخصيصات بالصحف أو الأشخاص أو الأزمنة كما يذكر فى بعض أقوال الجمع، بل المدار فى النهى على حصول الاشتباه من كتابة السنة مع القرآن أو مستقلة ومن كاتب الوحى أو من غيره⁰ وفى زمن نزول الوحى أو فى غيره⁰ والمدار فى الإذن على الأمن من الاشتباه فى هذه الأحوال كلها (1) أ⁰هـ

... وهكذا شاءت إرادة الله (، أن يكون النهى عن كتابة السنة جزء من هذا المنهاج العظيم الذى حفظت به رسالة الإسلام القائمة على الكتاب والسنة معاً⁰

... وفي ذلك يقول الدكتور همام عبد الرحيم : "ولولا ذلك لكثرت الشروح والتعليقات على آيات القرآن الكريم، ثم اختلط الأمر على الكاتين أو من يأتي بعدهم، فلا يستطيعون تمييز النص المتعبد بتلاوته عن سائر النصوص -سنة كانت أو رأى فقيه- وهذا ما حدث لرسالات الأنبياء قبل رسول الله (، فقد اختلطت الحقيقة بالخيال، والخطأ بالصواب، والوحي بالرؤى والأحلام⁰ حتى ذهب الأصل واختفى تحت وطأة الزيادات والإضافات، فلم يعد للوحي تميزه وهيئته، وأصبح الوحي عند اليهود والنصارى : حركة التاريخ بمعنى أن كل شيء يحدث في التاريخ يضاف إلى الوحي، باعتباره إرادة الله وحركة ذلك في الأحداث⁰

(1) حجية السنة للدكتور عبد الغنى 446 - 447 بتصرف⁰

(364/1)

وما القراءات الشاذة -عندنا كما سبق⁰ إلا إضافات تفسيرية كتبت إلى جانب الآيات (1) ، ثم ظن الكاتب أنها من القرآن الكريم، ولكن الكثرة الكاثرة من الصحابة الذين أفردوا النص ولم يكتبوا شيئاً إلى جانبه، بالإضافة إلى الذين حفظوه كل هؤلاء تواترت الرواية القرآنية عنهم، وحكموا على الزيادة بالشذوذ وعدم القبول (2) أ⁰هـ

علة النهى عن كتابة السنة عند أعدائها
والرد على مزاعمهم الآتية

أولاً : أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبي (؟وأصحابه (أرادوا ألا يكون مع كتاب الله (كتاب آخر⁰

ثانياً : أن النهى يدل على أن النبي (وأصحابه أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم⁰

ثالثاً : أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة (كانوا يجتهدون في مقابل السنة

الشريفة ولا يأخذون بها⁰

رابعاً : أن النهى عن الإكثار من الرواية دليل على عدم حجية السنة النبوية، واتهام من أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما- للصحابة بالكذب⁰

استعراض شبه النهى عن كتابة السنة عند أعدائها والرد عليها

... زعم أعداء السنة أن العلة الحقيقية في نهى النبي (، والصحابة، والتابعين عن كتابة السنة هو : أولاً : أنهم لم يريدوا أن يكون مع كتاب الله (كتاب آخر⁰ وفي ذلك يقول جمال البنا : "والحق الذى لا مرأى فيه أن الرسول نهى عن تدوين أحاديثه⁰ حتى لا يكون مع كتاب الله كتب أخرى، وحديث أبي هريرة صريح فى هذا قال أبو هريرة خرج علينا لرسول الله ونحن نكتب أحاديثه ... وذكر الحديث ثم قال وهذا هو ما فعله أبو بكر عندما أحرق الأحاديث المدونة التى كانت عنده قبل أن يموت⁰ كما أن عمر بعد أن استشار الصحابة فى كتابة السنن ... وذكر الحديث" (3) ⁰

(1) راجع : ص 279، 280 ⁰

(2) الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم ص 40، 41 ⁰

(3) السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 199 ⁰

(365/1)

... وينفس هذه العلة وأدلتها يصرح نيازى عز الدين فيقول بعد اعتراضه على علة الخوف من اختلاط السنة بالقرآن : "وذلك التخوف لم يكن موجوداً من الأساس، بدليل أحاديث الرسول (وأحاديث كبار الصحابة، بل كان الخوف كله من أمر آخر ذكره الرسول (وذكره الصحابة أجمعون، وقد قرأنا قبل قليل فى حديث أبي هريرة، وفى الحديث المروى عن عمر بن الخطاب (، عندما أراد أن يكتب السنن وهو ألا يكون إلى جانب كتاب الله كتاب آخر، وانشغال الناس بالحديث عن كتاب الله وهذا التخوف ما زال موجوداً إلى اليوم ... ثم يقول فى موضع آخر، وهذا السبب وحده -يعنى ألا يكون إلى جانب كتاب الله كتاب آخر- ملزم بعدم كتابة الأحاديث إلى يوم يبعثون- ولا يمكن لهذا

الأمر أن ينسخ أبداً" (1) 0

ثانياً : وتارة ثانية يزعم خصوم السنة أن العلة في نهي النبي (، والصحابة والتابعين، عن كتابة السنة المطهرة هو : أنهم لم يريدوا أن يجعلوها ديناً وشرعة عامة كالقرآن الكريم 0
... وفي ذلك يقول توفيق صدقي : "إن ما بينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الأوقات المختلفة" (2) وفي موضع آخر يقول : "وكان بعض الصحابة ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها ولتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مشبط لهم" (3) 0

(1) إنذار من السماء ص 123، 127 0

(2) مجلة المنار المجلد 9/521، 908 – 912 0

(3) المصدر السابق 9/913 0

(366/1)

... وبهذا القول تأثر الأستاذ محمد رشيد رضا (1) -رحمه الله- إذ يقول : "هل الأحاديث ويسمونها بسنن الأقوال دين وشرعة عامة وإن لم تكن سنناً متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لا سيما في الصدر الأول (2) ؟

(1) الأستاذ محمد رشيد رضا : هو محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وتفسير المنار، والوحي المهدى، والوهابيون والحجاز، وغير ذلك من مؤلفاته النافعة 0 وهو رحمه الله أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة، كان في أول أمره متأثراً بوجهة شيخه محمد عبده، وكان مثله في أول الأمر قليل البضاعة من الحديث قليل المعرفة بعلمه، ولكنه كما قال الدكتور السباعي - رحمه الله - : "منذ أن استلم لواء الإصلاح بعد وفاة الإمام محمد عبده، وأخذ يخوض غمار الميادين الفقهية والحديثية وغيرهما وأصبح مرجع المسلمين في أنحاء العالم في كل ما يعرض لهم من مشكلات، كثرت بضاعته من الحديث وخبرته بعلمه، حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة وأبرز أعلامها ... ويقول الدكتور السباعي رداً على استشهاد أبي رية بكلام السيد رشيد رضا في كتابه أضواء على السنة قال : "وكنيت أتردد على بيته فأستفيد من علمه وفهمه للشرعة ودفاعه عن

السنة ما أجد من حق تاريخه على أن أشهد بأنه كان من أشد العلماء أخذاً بالسنة (القولية) وإنكاراً لما يخالفها في المذاهب الفقهية وإني على ثقة بأنه لو كان حياً حين صدر (أبو رية) كتابه، لكان أول من يرد عليه في أكثر من موضع في ذلك الكتاب، أ0هـ ومات رحمه الله سنة 1354هـ - 1935م0 له ترجمة في الأعلام 361/6، وانظر: المجددون في الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ص 539 - 544، والسنة ومكانتها للدكتور السباعي ص 30، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص 170-187، ومحمد رشيد رضا وجهوده في السنة للدكتور يوسف عبد المقصود، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 1266 0

(2) الحق أن السنة القولية كانت متبعة بالعمل كالسنة العملية وهذا بلا نزاع ولا خلاف منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا0 وهذا ما سنثبتته إن شاء الله تعالى في الرد على هذه الشبهة انظر: ص 299-306

(367/1)

إن قلنا : نعم فأكبر شبهة ترد علينا؛ نهي النبي (عن كتابة شيء عنه غير القرآن (1) ، وعدم كتابة الصحابة للحديث (2) ، وعدم عناية علمائهم وأئمتهم بالخلفاء بالتحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه (3) ، ونفس هذا الكلام كرره في موضع آخر قائلاً : "وإذا أضفت إلى هذا ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه بل في نهيمهم عنه قوى عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً، كالقرآن0 ولو كانوا فهموا عن النبي (أنه يريد ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة، وجمع الراشدون ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه إلى عمالهم ليلغوه ويعملوا به ولم يكتفوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور بجريان العمل بها" (4) 0

... وأيد الأستاذ رشيد رضا في ذلك محمود أبو رية (5) ، وجمال البنا في كتابه : "السنة ودورها في الفقه الجديد" إذ يقول: "ولا جدال في صحة ما ذهب إليه السيد رضا-رحمه الله- من أن الصحابة لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً دائماً كالقرآن" فالحق أبلج، ولا يقف في سبيله تلك الدعاوى والتعلات" (6) ، وفي موضع آخر يصرح بذلك من قوله قائلاً : "نهى الرسول عن كتابة حديثه ورفض الخلفاء والصحابة الكتابة، الدلالة الوحيدة التي تستخلص من هذه الوقائع : الرسول والخلفاء الراشدون والصحابة أرادوا عدم تأييد ما جاءت به السنن من أحكام" (7)

-
- (1) سبق الرد على ما ذهب إليه بأن النهي ناسخ للإذن ص 276 0
- (2) سيأتي ما يثبت كتابتهم في الجواب عن شبهة التأخر في التدوين ص 347-353 0
- (3) مجلة المنار المجلد 9/929 وسيأتي استعراض هذه الشبهة والرد عليها ص 298، 299-306 0
- (4) مجلة المنار المجلد 10/768 0
- (5) أضواء على السنة ص 48 - 50 0
- (6) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 225 0
- (7) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 202، وانظر : السلطة في الإسلام للمستشار عبد الجواد ياسين ص 238 0

(368/1)

... وهكذا يذهب أعداء السنة إلى أن علة النهي عن كتابة السنة هي : أن الرسول (والصحابة أرادوا ألا يجعلوا مع كتاب الله (كتاب آخر، وأنهم ما أرادوا أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم، ويستدلون على ذلك بما مر من حديث أبي هريرة مرفوعاً وحديثي أبي بكر وعمر الموقوفان، ويزعمون أن تلك الأحاديث صريحة في دعواهم 0

الجواب عن شبهة أن النهي عن كتابة السنة يدل على أن النبي (؟) وأصحابه أرادوا ألا يكون مع كتاب الله (كتاب آخر 0

إن ما استدلل به أعداء السنة على زعمهم لا حجة لهم فيه، لأنه إذا جاء في حديث أبي هريرة قوله ("أكتاب غير كتاب الله" ألم يقل (بعدها مباشرة (احضوا كتاب الله أو خلصوه) وهو مما يشير إلى العلة الحقيقية في النهي، وهي : صيانة كتاب الله مما اختلط به من السنة بلا تمييز؛ بدليل : رواية أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (وهي أصح سنداً من رواية أبي هريرة 0 ثم أليس في حديث أبي هريرة (أمر النبي (بالتحديث والتبليغ وهو أبلغ في حجية السنة كما مر ... وكذا حديث أبي بكر (على فرض صحته أليس فيه دليل على كتابة السنة في عهده (، وما حرقه (لما جمعه من أحاديث ليس شكاً منه

في حجية السنة، كيف! وقد علل ذلك بخشيته أن يكون الذي حدثه وَهُمْ فَكَّرَهُ تقلد ذلك كما خشي أن يتوهم متوهم أن ما جمعه هو كل ما قاله رسول الله (فيقول هذا المتوهم، كما قال أبو بكر معللاً صنيعه : "لو كان قاله رسول الله (ما غاب على أبي بكر" ثم يصرح (بعد ذلك مباشرة بأنه حدث بحديث رسول الله (ولم يجمع في الصحيفة التي حرقها كل أحاديث رسول الله (فيقول : "إني حدثكم الحديث ولا أدري لعلى لم أتبعه حرفاً حرفاً"0

(369/1)

... أما حديث عمر (ففيه أبلغ حجة على حجية السنة عند الصحابة أجمع (فعمر (عندما هم بكتابة السنة - ليس مجرد الكتابة0 فهي كانت مكتوبة- وإنما المراد بالكتابة تدوينها تدويناً عاماً في مكان واحد، كما كان (صاحب اقتراح تدوين القرآن الكريم تدويناً عاماً في مكان واحد زمن أبو بكر الصديق (وتردد أبو بكر وزيد بن ثابت في هذا التدوين في أول الأمر - كان منهم تورعاً كما قالوا : "كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (؟!"

فهل يستطيع مخلوق على وجه الأرض أن يقول أن تردد أبو بكر وزيد -رضى الله عنهما- دليل على عدم حجية كتاب الله (عندهم (1) ؟؟
ألم يقل لهم الفاروق عمر "أنه والله خير"، فكان الأمر كما قال0

... وعندما هم بتدوين السنة تدويناً عاماً، كالقرآن، واستشار في ذلك الصحابة هل تردد واحد منهم؟ كلا! كما جاء في الحديث "فأشاروا عليه بأن يكتبها" ولكنه عدل عن هذا التدوين في زمنه لعدم الأمن من انشغال الناس بها والاهتمام بها على حساب كتاب الله ((2) حتى لا يبقى المصحف بغبرة لا ينظر فيه كما قال الضحاك، وهذا هو معنى قوله "وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً"، ولم يقل : "حسبنا كتاب الله"0

ولو كان المراد بالانشغال عن السنة في قول النبي (والصحابة (خشيتهم أن تكون السنة حجة وكتاباً آخر مع كتاب الله (كما فهم أعداء الإسلام وزعمهم بأن هذا السبب "ملزم بعدم كتابة الأحاديث إلى يوم يبعثون، ولا يمكن لهذا الأمر أن ينسخ أبداً" كما مر من قول نيازي عز الدين0

لو كان هذا -الفهم الأعوج- هو المراد بالانشغال الذي كان من أجله النهي عن كتابة السنة :

أ- ما كان للنبي (أن يكتب 0

ب- ولما كان له أن يأذن بالكتابة عنه 0

ج- وما كان له أن يأمر بالتحديث عنه 0

د- ولما كان للصحابة والتابعين أن يقتدوا بالنبي (فيما سبق، من الكتابة والإذن بالتحديث

(1) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني ص 454 0

(2) المصدر السابق ص 455 0

(370/1)

هـ- ولما كان هناك مَعْنَى [لَهُمْ] عمر بالتدوين وإقرار الصحابة له على ذلك ثم عدوله عنه، إذ كيف

يهم بتدوين شيء ليس بحجة، وكيف يجوز على الصحابة أجمع إقراره على هذا التدوين؟

و- بل ولم يجوز تدوين السنة تدويناً رسمياً في عهد عمر بن عبد العزيز (0

ز- ولما جاز إجماع الأمة بعد عصر الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا على كتابتها وتدوينها

ح- بل ولما جاز منهم الإجماع على حجيتها واعتبارها المصدر التشريعي الثاني الملزم لكتاب الله (لا

ينفصل أحدهما عن الآخر 0

ثانياً : الجواب عن شبهة أن النهي عن كتابة السنة يدل على أن النبي (وأصحابه (أرادوا ألا تكون

السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم :

... إذا بطل هذا الفهم الأعوج من أعداء الإسلام لمعنى "خوف النبي (والصحابة (من الانشغال

بالسنة عن كتاب الله، بالألا يكون مع كتاب الله كتاب آخر، بطل أيضاً ما فهموه من أن النهي عن

كتابة السنة من النبي (والصحابة والتابعين (0 دلالة عدم صلاحية السنة لكل زمان ومكان، وعدم

تأييد ما جاء به السنن من أحكام 0

وهذا ما تأثر به رشيد رضا -رحمه الله- وعبر عنه بأنهم: "لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً

كالقرآن" 0

- وكيف يصح القول بأن مراد النبي (من نهي عن كتابة سنته ألا تكون ديناً عاماً دائماً كالقرآن 0
- 1- فعلا م إذن يقرها مع كتاب الله (مبيناً أن الاعتصام بهما عصمة من الضلال في قوله: "إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه" (1) 0
- 2- وعلا م يأمر بتبليغ سنته المطهرة في قوله : "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع (2) 0

(1) سبق تخريجه ص 196 0

(2) سبق تخريجه ص 273 0

(371/1)

- 3- وعلا م يوصى بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين والعض عليها بالنواجذ عند الاختلاف في قوله (: "فإنه من يعش منكم : فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ (1) 0
- 4- وعلا م التحذير الشديد من الكذب (: "إن كذباً على ليس ككذب على أحد 0 فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (2) 0
- 5- وعلا م يحذر ممن يأتيه الأمر مما أمر به أو نهى عنه فيعتز ويقول : "بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، ثم يبين (أن ما يجرمه بوحى مثل ما حرمه الله في كتابه قائلاً : "إلا وإن ما حرم رسول الله (مثل ما حرم الله" (3) وذلك التحريم دينٌ دائمٌ إلى يوم القيامة كما سيأتى من قول عمر ابن عبدالعزيز : "فما أحل على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة" 0
- 6- علا م يصف الزائع عن سنته المطهرة بأنه هالكٌ كما قال (: "قد تركتكم على البيضاء 0 ليلها كنهارها 0 لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك" (4) 0

(1) سبق تخريجه ص 38 0

(2) سبق تخريجه ص 275 0

(3) سبق تخريجه ص 223 0

(4) جزء من حديث طويل أخرجه ابن ماجة في سنته المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 29/1 رقم 43، وابن أبي عاصم في كتاب السنة، باب ذكر قول النبي (تركتم على مثل البيضاء وتحذيره أيهم أن يتغيروا عما يتركهم عليه 26/1 رقم 48، واللفظ لابن ماجة 0

(372/1)

... فعلام يدل هذا إذا لم تكن السنة النبوية حجة وديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم! إن كل ما نقلناه هنا من هذه الأحاديث ونحوها كثير بمثابة التصريح من رسول الله (بأن سنته المطهرة حجة ودين عام دائم ملازم للقرآن الكريم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (1) وهذا ما فهمه الصحابة من رسول الله (فهم أول المخاطبين بما سبق من الأحاديث، وهم أول المخاطبين بكتاب الله (وفيه الأمر بطاعته (والتحذير من مخالفة أمره قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2) 0

... فهل هذا الأمر الإلهي بإتباع أمر نبيه (الوارد في سنته المطهرة أراد به رب العزة ألا يكون ديناً عاماً دائماً كالقرآن ؟؟؟

(1) الآية 37 من سورة ق 0

(2) جزء من الآية 63 من سورة النور 0

(373/1)

إن القول بهذا طعن في القرآن نفسه، وفي عالمية الدعوة الإسلامية؛ ثم إن رب العزة يقسم بذاته المقدسة على عدم إيمان من لم يحكم رسوله في كل شأن من شئون حياته ومن المعلوم بالضرورة أننا نحكم الرسول (بذاته وهو حي، فإذا انتقل الرسول (إلى الرفيق الأعلى حكمنا سنته المطهرة، على أنه ليس فقط أن نحكم الرسول (وسنته، بل لابد وأن تمتلئ قلوبنا بالرضا والسعادة بهذا الحكم النبوي وأن نخضع له خضوعاً كاملاً مع التسليم التام قال تعالى : (فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (1) وعلى ذلك يؤكد

النبي (بقوله : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" (2) 0

... ولم يخالف في ذلك أحد من أصحاب رسول الله (، ولا يقول بخلاف هذا إلا من جهل طريقتهم في العمل بأحكام الدين وكيف كانوا يأخذونها0

(1) الآية 65 من سورة النساء0

(2) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي (12/1 رقم 15، والبعوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء 145/1 رقم 104 وقال النووي في أربعينه : "هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح" انظر : جامع العلوم والحكم 393/2، وقواعد التحديث للقا سمي ص 45 0

(374/1)

... فالصحابه أجمع وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين كانوا يعظمون حديث رسول الله (ويحكمونه في كل شأن من شئون حياتهم0 فعن ميمون بن مهران (1) قال : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله (في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله (قضى في ذلك بقضاء؟ فرما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله (فيه قضاءً فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله (جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به (2) 0

... وعن جابر بن زيد (3) ، أن ابن عمر لقيه في الطواف، فقال له : يا أبا الشعثاء، إنك من فقهاء البصرة، فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلك وأهلك (4) 0

(1) ميمون بن مهران : هو ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب الرقي، روى عن عائشة، وأبي هريرة، وأبي عباس، وطائفة، وعنه أبو بشر، والأوزاعي، وخلق كثير، متفق على توثيقه0 مات 117هـ له

ترجمة في: تذكرة الحفاظ 98/1 رقم 91، وتقريب التهذيب 234/2 رقم 7075، والكاشف
302/2 رقم 5764، والثقات للعجلي ص 445 رقم 1669 0
(2) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة 69/1، 70 رقم 161، وانظر:
إعلام الموقعين 62/2 0
(3) جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدي، روى عن ابن عباس، وعنه قتادة، وأيوب، وخلق 0 متفق
على توثيقه مات 93هـ له ترجمة في تقريب التهذيب 152/1 رقم 867، والكاشف 287/1 رقم 728،
والثقات للعجلي ص 93 رقم 194 0
(4) الدارمي في سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة 70/1، 71 رقم 164، وجامع بيان
العلم 56/2 0

(375/1)

... وأخرج الدارمي عن شريح (1) : أن عمر بن الخطاب كتب إليه : "إن جاءك شيء في كتاب الله
فاقض به، ولا يلتفتك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ()، فاقض
بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب ولم يكن فيه سنة من رسول الله () فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ
به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله () ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فاختر أي
الأمرين شئت : إن شئت أن تحتهد برأيك ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن فتأخر فتأخر، ولا أرى
التأخير إلا خيراً لك (2) ، ونحو ذلك روى عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم (3) -رضى الله
عنهم أجمعين- 0

... وبذلك كانت مصادر الأحكام في الصدر الأول أربعة :

1- القرآن الكريم : وهو المصدر الأول لهذا الدين وعمدة الملة، وكانوا يفهمونه واضحاً جلياً، لأنه
بلسانهم نزل مع ما امتازوا به من معرفة أسباب نزوله 0

2- السنة النبوية : وهي المصدر الثاني الملازم للمصدر الأول، وقد اتفقوا على اتباعها متى ظفروا
بها 0

3- القياس، أو الرأي المستند إلى كتاب الله أو سنة رسول الله (0)

4- الإجماع المستند إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس (4) 0

-
- (1) شريح هو : القاضى شريح بن الحارث بن قيس الكندى أبو أميه الكوفى، روى عن عمر، وعلى، وابن مسعود رضى الله عنهم، وعنه الشعبي والنخعي وابن سيرين وطائفة، مخضرم ثقة 0 مات قبل الثمانين أو بعدها له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 59/1 رقم 44، والثقات للعجلي 216 رقم 660، وتقريب التهذيب 416/1 رقم 782، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص 27 رقم 42 0
- (2) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة 71/1، 72 رقم 167، وانظر: جامع بيان العلم 56/1 0
- (3) انظر :سنن الدارمى، وجامع بيان العلم فى الأماكن السابقة، وانظر :أعلام الموقعين 57/1-86 0
- (4) انظر : تاريخ التشريع الإسلامى للشيخ محمد الخضرى ص 75، 76، وأصول الفقه الإسلامى للدكتور طه جابر العلوانى ص 6-10 0

(376/1)

... ولم يزل أئمة الإسلام من المحدثين والفقهاء من التابعين فمن بعدهم إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة على تحكيم سنة رسول الله (يقول القاسمى : " كان عندهم أنه إذا وجد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول إلى غيره، وإذا كان القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية عليه، فإذا لم يجدوا فى كتاب الله أخذوا بسنة رسول الله (سواء كان مستفيضاً دائراً بين الفقهاء، أو كان مختصاً بأهل بلد، أو أهل بيت أو بطريق خاصة، وسواء عمل به الصحابة والفقهاء أو لم يعملوا به، ومتى كان فى المسألة حديث فلا يتبع فيها خلاف أثر من الآثار، ولا اجتهد أحد من المجتهدين، وإذا فرغوا جهدهم فى تتبع الأحاديث، ولم يجدوا فى المسألة حديثاً، أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين، ولا يتقيدون بقوم دون قوم، ولا بلد دون بلد ... فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شئ فهو المقنع، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم علماً، وأورعهم ورعاً، أو أكثرهم ضبطاً، أو ما اشتهر عنهم، ... وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم (1) كما مر فى الأحاديث الموقوفة 0

فأين الاتفاق الذى زعمه محمد رشيد رضا -ومن قال بقوله من أعداء السنة- أن الصدر الأول من الصحابة (لم يعملوا بالأحاديث القولية ولم تكن عندهم سنناً متبعة بالعمل؟

بل أين نزاع صحابى واحد فى عدم العمل بالأحاديث القولية وعدم اعتبارها من السنة المطهرة؟!

(1) انظر : قواعد التحديث للقاسمي، مبحث الفرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأي ص 338، للاستزادة انظر : من نفس المصدر باب السنة حجة على جميع الأمة وليس عمل أحد حجة عليها ص 273 - 281 وباب حال الناس في الصدر الأول وبعده ص 344 - 351، وانظر : أعلام الموقعين فصل "أئمة الإسلام يقدمون الكتاب والسنة" 229/2، وجامع بيان العلم وفضله، "باب معرفة أصول العلم وحقيقته" 23/2 - 29 0

(377/1)

... وكيف يصح هذا القول في حق أناس أشربت قلوبهم بحب رسول الله (وسنته المطهرة وتعظيمها وتوقيرها وزجر من لم يعظمها وهجره0

... يدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن المغفل (1) (أنه رأى رجلاً يخذف (2) فقال له لا تخذف فإن رسول الله (نهي عن الخذف أو كان يكره الخذف-وقال: إنه لا يصاد به صيداً ولا ينكأ (3) به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين0 ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أحدثك عن رسول الله (أنه نهي عن الخذف -أو كره الخذف- وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا" (4) ، وفي رواية للدارمي: "والله لا أشهد لك جنازة ولا أعودك في مرض، ولا أكلمك أبداً" (5)

(1) عبد الله بن المغفل صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 372/2 رقم 4988، والاستيعاب 996/3 رقم 1667، وتاريخ الصحابة 160 رقم 776، ومشاهير علماء الأمصار 48 رقم 221، واسد الغابة 395/3 رقم 3202 0
(2) الخذف هو: وضع الحصاة أو النواة بين السبابتين ثم الرمي بها، انظر: النهاية في غريب الحديث 16/2
(3) ينكأ: ويكتب بغير همز، والمعنى: تكثر الجراح والقتل في العدو، انظر: النهاية في غريب الحديث 117/5

(4) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبنفقة 522/9 رقم 5479، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيد، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو، وكراهة الخذف 117/7 رقم 1954 0

(5) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد 409/2 رقم 873، والدارمى فى سننه المقدمة، باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبى (حديث فلم يعظمه ولم يوقره 128/1 رقم 440 واللفظ له 0

(378/1)

... وعن ابن عمر (أن رسول الله (قال : إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها 0 فقال فلان ابن عبد الله إذا والله أمنعها! فأقبل عليه ابن عمر، فشتمه شتمة لم أره شتمها أحداً قبله، ثم قال : أحدثك عن رسول الله (وتقول : إذاً والله أمنعها؟! (1) 0

... وفى رواية لابن عبد البر : قال بلال بن عبد الله بن عمر (2) فقلت أما أنا فسأمنع أهلى فمن شاء فليسرح أهله فالتفت إلى وقال : لعنك الله، لعنك الله، لعنك الله، تسمعى أقول أن رسول الله (أمر أن لا يُمنَعَنَّ، وقام مغضباً" (3) 0

... وعن عبادة بن الصامت أن النبى (نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان : ما أرى بهذا بأساً يداً بيد، فقال عبادة أقول : قال النبى (وتقول : لا أرى به بأساً؟! والله لا يظلمنى وإياك سقفٌ أبداً" (4) 0

(1) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة باب تعجيل عقوبة من مؤلفه عن النبى (حديث فلم يعظمه ولم يوقره 128/1 رقم 442 0

(2) بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشى، العدوى، ثقة، وعده يحيى القطان : فى فقهاء المدينة 0 له ترجمة فى : تقريب التهذيب 140/1 رقم 783، والكاشف 277/1 رقم 659، والثقات للعجلي ص 87 رقم 173، والثقات لابن حبان 65/4 0

(3) جامع بيان العلم 195/2 0

(4) أخرجه الدارمى فى سننه فى المقدمة، باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبى (حديث فلم يعظمه ولم يوقره 129/1 رقم 443، وانظر : شذرات من علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الأحمدي ص 84 – 97 0

... وعلى الدرب صار التابعون فمن بعدهم من أئمة المسلمين، فعن قتادة (1)، قال : حدث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي (فقال رجل : قال فلان كذا وكذا0 فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبي (وتقول : قال فلان وفلان كذا وكذا؟ !! لا أكلمك أبداً (2) 0

(1) قتادة هو : قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي، أبو الخطاب البصري الأكمه، أحد الأعلام روى عن أنس، وابن سيرين، وابن المسيب، وخلق، وعنه أبو حنيفة، وشعبة والأوزاعي وخلق، ثقة ثبت، قال أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة لم يسمع شيئاً إلا حفظه، مات 117هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 122/1 رقم 107، وطبقات الحفاظ ص54 رقم 104، وتقريب التهذيب 26/2 رقم 5535، والكاشف 134/2 رقم 4551 0
(2) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي (حديث فلم يعظمه ولم يوقره 128/1 رقم 441 0

... وقال الحميدى (1) : سأل رجل الشافعى عن مسألة، فأفتاه قائلاً : قال النبي (كذا وكذا، فقال الرجل : أتقول بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال الشافعى : رأييت فى وسطى زناراً؟ أترانى خرجت من الكنيسة؟ أقول : قال النبي (، وتقول لى : أتقول بهذا؟ أروى عن النبي (ولا أقول به (2) ؟

... ومن هنا حث السلف الصالح على التأدب مع السنة المطهرة فيمن دعى إلى التحاكم إليها يقول الإمام النووي -رحمه الله- : "وكذلك ينبغي إذا قال له صاحبه : هذا الذى فعلته خلاف حديث رسول الله (أو نحو ذلك أن لا يقول : لا التزم الحديث، أو لا أعمل بالحديث، أو نحو ذلك من العبارات المستبشرة، وإن كان الحديث متروك الظاهر لتخصيص أو تأويل أو نحو ذلك، بل يقول عند ذلك : هذا الحديث مخصوص أو متأول أو متروك الظاهر بالإجماع وشبه ذلك" (3) 0

- (1) الحميدى : هو عبد الله بن الزبير الأزدي أبو بكر المكي أحد الأئمة روى عن ابن عيينة، ومسلم الزنجي، وخلق، وعنه البخارى، والذهلى، وخلق0 قال أحمد : الحميدى عندنا إمام، وقال أبو حاتم هو : ثقة إمام، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث مات 219هـ له ترجمة في تذكرة الحفاظ 413/2 رقم 419، وطبقات الحفاظ ص181 رقم 400، وتقريب التهذيب 492/1 رقم 3331، والكاشف 552/1 رقم 2721، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص 307 رقم 374، وشذرات الذهب 45/2، وسير أعلام النبلاء 616/10 رقم 212، والوافي بالوفيات 179/17، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 138/1 رقم 33
- (2) أعلام الموقعين 266/2، وانظر : مناقب الشافعى للرازى ص 317 0
- (3) الأذكار، باب ما يقول من دعى إلى حكم الله تعالى ص 280 0

(381/1)

... قوم هذا حالهم في تعظيمهم وتوقيرهم لسنة نبيهم (وتحكيمها في كل شأن من شئون حياتهم، وزجرهم وهجرهم -ولو كان قريباً لهم- من لم يتأدب معها إذا دعى إلى التحاكم إليها، كيف يقال أنهم يريدوا أن يتخذوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن (1) !!!

... اللهم إن هذا إنكار لإجماع الأمة منذ عهد نبيها (إلى يومنا هذا! وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - بحجية السنة المطهرة واتخاذها ديناً عاماً دائماً ملازماً لكتاب الله (وهذا الإجماع قائم على الحقائق الثابتة في كتاب ربنا (، وسنة نبينا (وسنة الخلفاء الراشدين والصحابة أجمع (أجمعين وعلى هذا الإجماع أئمة المسلمين من التابعين فمن بعدهم إلى يومنا هذا0

- (1) ممن رد هذه الشبهة الدكتور محمد أبو زهو في الحديث والمحدثون ص 237 - 238، والدكتور الأعظمي في دراسات في الحديث 80/1، والدكتور يوسف عبد المقصود في رسالته للدكتوراه (محمد رشيد رضا وجهوده في خدمة السنة) رد أيضاً موقف السيد رشيد رضا من التدوين، والجمع بين أحاديث النهي والإباحة وأيد رد فضيلة الدكتور محمد أبو زهو على السيد رشيد رضا قال "وبعد هذا أقول : إنه ليس من دليل قائم يساند الشيخ محمد رشيد رضا فيما يذهب إليه في التدوين ... والدليل الذى عليه هو في جانب الشيخ محمد أبي زهو 0هـ، وانظر : محمد رشيد رضا وجهوده في خدمة السنة ص 282-283 0

وما أصدق ما قاله عمر بن عبد العزيز في إحدى خطبه قال : "يا أيها الناس، إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتاباً، فما أحل الله على لسان نبيه (؛ فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه (؛ فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملاً، ألا وأنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله، ألا هل أسمعت" (1) 0

... وقال أيضاً -رحمه الله- "سن رسول الله (وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله (، واستكمال لطاعة الله (، وقوة على دين الله (، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو المهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله تعالى ما تولاه، وأصله جهنم وساءت مصيراً" (2) 0

وقال الحافظ ابن عبد البر : "ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن النبي (ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه بأثر مثله، أو إجماع، أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه، أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته، فضلاً عن أن يتخذ إماماً ولزمه إثم الفسق (3) 0

والله أعلم

-
- (1) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي (وقول غيره عند قوله (126/1 رقم 433 0
- (2) انظر : الشريعة للآجری ص 48، 65، وجامع بيان العلم لابن عبد البر 186/2، 187 0
- (3) جامع بيان العلم 194/2 0

في مقابل السنة الشريفة، ولا يأخذون بها والرد عليها

ذهب بعض غلاة الشيعة إلى تقسيم الصحابة إلى مدرستين (1) ، أو إلى طائفتين (2) ، باعتبار تعاملهم مع النصوص الصادرة عن الرسول () :

- 1- المدرسة أو الطائفة الأولى : "طائفة التعبد المحض" وهي التي انتهجت منهاج الطاعة والامتثال المطلق للأحكام الصادرة عن الله (ورسوله) ويعنون بهم أنفسهم⁰
- 2- المدرسة أو الطائفة الثانية : "طائفة الاجتهاد والرأى" وهي التي انتهجت منهاج الاجتهاد في مقابل النص وخرجوا عليه وتأولوه -ويعنون بهم أهل السنة من السلف وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون- ((3) 0

... ويستدلون على هذا التقسيم الباطل، بمواقف اجتهدية وقعت من الصحابة زمن النبوة وبعدها⁰

-
- (1) على حد تعبير السيد مرتضى العسكري في كتابه "معالم المدرستين"⁰
 - (2) على حد تعبير علي الشهرستاني في كتابه "منع تدوين الحديث أسباب ونتائج"⁰
 - (3) معالم المدرستين المجلد 2/67، ومنع تدوين الحديث ص 85، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 233، 295، وتأملات في الحديث زكريا عباس ص 48-62، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 27، 28، 31 0

(384/1)

والجواب : يبطل التقسيم السابق الذى ذهب إليه بعض غلاة الشيعة ما هو مقرر عند الأصوليين من اتفاقهم على جواز الاجتهاد (1) بعد الرسول ((2) أما في عصره (فقد اختلفوا فيه، فذهب أكثر أهل الأصول على جوازه في حضرته وغيبته (والتعبد به (3) ومنع من ذلك الجبائي (4) وأبي هاشم (5) ،

-
- (1) الاجتهاد لغة: مأخوذ من الجهد، وهو المشقة والطاقة، فيختص بما فيه مشقة ليخرج عنه ما لا مشقة فيه وقال الرازى في الحصول : هو في اللغة عبارة عن است فراغ الوسع، في أى فعل كان يقال استفرغ وسعة في حمل الثقل، ولا يقال : استفرغ وسعة في حمل النواة⁰ انظر : القاموس المحيط

283/1، والمحصل 489/2، والإحكام لابن حزم 629/8 0 وأما في عرف الفقهاء : فهو :
استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم مع استفراغ الوسع فيه 0 وهذا سبيل مسائل الفروع،
ولذلك تسمى هذه المسائل مسائل الاجتهاد، والناظر فيها مجتهد وليس هذا حال الأصول انظر :
المحصل للرازي 489/2، وانظر : تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد للإمام السيوطي ص 29-66
0

(2) نقل هذا الاتفاق الآمدي في الإحكام 152/4، والرازي في المحصول 494/2، والسبكي وولده
في الإبهاج 252/3 0

(3) اختاره جماعة من المحققين منهم الغزالي في المستصفى 354/2، وأبي الحسين في المعتمد 213/2
(4) الجبائي هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي 0 ينسب إلى جبي -من قرى
البصرة- كان من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه تنسب الطائفة الجبائية 0 له
مقالات وآراء انفرد بها 0 من آثاره: "كتاب الأصول" "التفسير الكبير" وغير ذلك مات سنة 303
هـ 0 له ترجمة في: وفيات الأعيان 267/4-269 رقم 607، وسير أعلام النبلاء 183/14 رقم
102، والبداية والنهاية 134/11، ولسان الميزان 320/6 رقم 7783، وطبقات المفسرين
للداودي 191/2 رقم 529، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 7، 57، 68، والأعلام 256/6
0

(5) أبو هاشم : هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن أبي علي الجبائي من رؤوس المعتزلة هو
وأبوه له تصانيف منها "تفسير القرآن" "والجامع الكبير" مات 321هـ 0 له ترجمة في : البداية والنهاية
188/11، وتاريخ بغداد 56/11 رقم 5735، والفهرست لابن النديم 305، ولسان الميزان
359/4 رقم 5180، وطبقات المفسرين للداودي 307/1 رقم 281، وطبقات المعتزلة لأحمد
المرتضى ص 77، 7، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص 290-294

(385/1)

وهو قول ضعيف كما قال الزركشي : لأنه لا يؤدي إلى مستحيل فإن أرادوا منع الشرع توقف على
الدليل وهو مفقود (1) 0

... ويدل على ما سبق، من وقوع الاجتهاد من الصحابة -بما فيهم الإمام عليّ كرم الله وجهه- زمن

النبوة بحضرته وغيبته (، والتعبد بذلك الاجتهاد0

(1) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي 220/6، وانظر : تاريخ التشريع الإسلامى للشيخ محمد الخضرى ص74 وما بعدها، والفقه الإسلامى مرونته وتطوره لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص 37-43 0

(386/1)

... حديث معاذ بن جبل (1) ، أن رسول الله (لما بعثه إلى اليمن قال : "كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بما فى كتاب الله، قال فإن لم يكن فى كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله (قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله (؟ قال : اجتهد رأيي، قال معاذ فضرب رسول الله (صدرى، ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول الله (لما يرضى رسول الله ((2) 0

(1) معاذ بن جبل : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة 426/3 رقم 8055، وتاريخ الصحابة ص229 رقم 1231، واسد الغابة 187/5 رقم 4960، والاستيعاب 1402/3 رقم 2416، ومشاهير علماء الأمصار ص63 رقم 321 0

(2) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأفضية، باب اجتهد الرأى فى القضاء 303/3 رقم 3592، وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأحكام، باب ما جاء فى القاضى كيف يقضى 616/3 رقمى 1327، 1328 وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندى =بمتصل0 قال ابن قيم الجوزية : هذا الحديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك ... فلا يعرف فى أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، لا يشك أهل العلم بالنقل فى ذلك، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث؟ وقد قال بعض أئمة الحديث : إذا رأيت شعبة فى إسناده حديث فاشدد يدك به0 انظر : أعلام الموقعين 202/1، وقال الشوكانى هو حديث مشهور له طرق متعددة، ينهض مجموعها للحجية0 انظر : إرشاد الفحول 322/2، هذا والحديث مما تلقاه الناس بالقبول، وأجمعوا على معناه، واشتهر عند أئمة الحديث بغير نكير منهم، وما كان كذلك يحكم له بالصحة وكان غنياً عن الإسناد، انظر:تدريب الراوى

67/1، فالحديث صحيح رغم أنف بعض غلاة الشيعة، في زعمهم أن الحديث من وضع أهل السنة 0
انظر: الشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 155

(387/1)

... يقول الإمام ابن قيم الجوزية : "وقد اجتهد الصحابة في زمن النبي (في كثير من الأحكام ولم يعنفهم كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بني قريظة (1) ، فاجتهد بعضهم وصلوها في الطريق، وقال لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخروها إلى بني قريظة فصلوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ، وما عنف واحداً من الفريقين، وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس (2) 0
واجتهد سعد بن معاذ (3) في بني قريظة وحكم فيهم باجتهاده، فصوبه النبي (وقال: "لقد حكمت فيهم بحكم الله (" (4) 0

(1) الحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب مرجع النبي (من الأحزاب.. إلخ 471/7 رقم 4119، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين 340/6 رقم 1770 من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما -0
(2) أعلام الموقعين 203/1 بتصرف 0
(3) سعد بن معاذ : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 37/2 رقم 3204، وتاريخ الصحابة ص 112 رقم 504، والاستيعاب 602/2 رقم 958، واسد الغابة 461/2 رقم 2046 0
(4) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل 191/6 رقم 3043، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم عدل أهل للحكم 335/6 رقم 1768، واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري (0

(388/1)

... وعن زيد بن أرقم (1) (قال : كان علي (باليمن فأتي بإمرأة وطئها ثلاثة نفر في طهر واحد فسأل اثنين أتقران لهذا بالولد فلم يقرأ، ثم سأل اثنين أتقران لهذا بالولد فلم يقرأ، ثم سأل اثنين، حتى فرغ، يسأل اثنين اثنين عن واحد فلم يقرأ، ثم أقرع بينهم فألزم الولد الذي خرجت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية، فرفع ذلك للنبي (فضحك حتى بدت نواجذه"0 وفي رواية فقال : "لا أعلم إلا ما قال علي ((2) 0

... وعن البراء بن عازب (3) (قال : لما صالح رسول الله (أهل الحديبية كتب علي ابن أبي طالب (بينهم كتاباً، فكتب "محمد رسول الله" فقال : المشركون لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسولاً لم نقاتلك فقال لعلي : المحمـة0 فقال علي : ما أنا بالذي أمحاه، فمَحَاهُ رسول الله (يَبْدِهِ ... الحديث" (4) 0

(1) زيد بن أرقم : صحابي جليل له ترجمة في ت: الإصابة 560/1 رقم 2880، والاستيعاب 535/2 رقم 837، وتاريخ الصحابة 107 رقم 476، ومشاهير علماء الأمصار 59 رقم 296، واسد الغابة 342/2 رقم 1819 0

(2) أخرجه أحمد في المسند 373/4، 374 0 وانظر في المسند 77/1، اجتهاده في قصة أخرى وإقرار النبي (له من حديثه (بسند قال فيه الهيثمي فيه حنش وثقة أبو داود، وفيه ضعف، وبقيته رجاله رجال الصحيح، انظر : مجمع الزوائد 287/6، أما حديث زيد بن أرقم فقال فيه الشوكاني إسناده صحيح إرشاد الفحول 323/2، وانظر : أعلام الموقعين 203/1 0

(3) البراء بن عازب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 142/1 رقم 618، والاستيعاب 155/1 رقم 173، وتاريخ الصحابة ص42 رقم 103، ومشاهير علماء الأمصار ص55 رقم 272، واسد الغابة 362/1 رقم 389 0

(4) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلح باب كيف يكتب "هذا ما صالح فلان ابن فلان ... إلخ 357/5 رقم 2698، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية 376/6 رقم 1783، واللفظ للبخاري 0

... ففي امتناعه (من محو اسمه الشريف من الصحيفة أبلغ رد على ما يذهب إليه غلاة الشيعة من تقسيم الصحابة إلى مدرستين أو طائفتين، زاعمين أن الإمام على (لم يجتهد زمن النبوة وأنه (وشيعته من طائفة التعبد المحض وباقي الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وسائر أهل السنة من طائفة الاجتهاد والرأى في مقابل النص⁰ ولا يخفى أن امتناعه (بعد طلب النبي (محو ما كتب اجتهاد منه في مقابل النص النبوي⁰ وإذا كان هذا موقف اجتهادى منه في صلح الحديبية، فموقف الفاروق عمر الاجتهادى في نفس الصلح، طعن به، على الشهرستاني، في عقيدة عمر (، وهو قول عمر للنبي ("ألست نبي الله حقاً؟ قال بلى⁰ قلت فلم تعطى الدَّيَّةَ في ديننا إذا؟ ... إلخ الحديث" (1) استدل بذلك على أنه (شك في صحة قول الرسول وعدم الاطمئنان بكلامه (، وأن هذا النص يوضح أنه (لم يكن من أتباع مسلك التعبد المحض (2) ⁰

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب الشروط في الحرب، والمصالحة مع أهل الحرب ... إلخ 390/5 رقمى 2731، 2732، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية 377/6 رقم 1785 ⁰
- (2) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج ص 92، 93 ⁰

(390/1)

والحقيقة أنه لو لم يرد عن سيدنا عمر (سوى حديث تقبيله الحجر الأسود وقوله (: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبي (يقبلك ما قبلتك" (1) لكفى في بيان أنه من أهل التعبد المحض بالسنة المطهرة، وهو القائل : "إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله" (2) ⁰

... والحق أن في نفس القصة ما يدحض افتراء الشهرستاني ومن قال بقوله، فموقف عمر لم يكن شكاً بل طلباً لكشف ما خفى عليه، وحثاً على إذلال الكفار، لما عرف من قوته في نصرته الدين⁰

فإن أراد على الشهرستاني الشك في الدين فمردود بما وقع في رواية ابن إسحاق (3) " أن أبا بكر لما قاله له: الزم غرزه (4) فإنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله" (5) ⁰

... وإن أراد على الشهرستاني الشك في المصلحة وعدمها، فمردود أيضاً 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود 540/3 رقم 1597، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف 20/5 رقم 1270 واللفظ للبخارى 0
- (2) أخرجه الدارمى في سننه المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة 62/1 رقم 119
- (3) ابن إسحاق : هو محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبى، مولا هم المدنى، نزىل العراق، إمام المغازى، صدوق يدلّس، ورمى بالتشيع والقدر، مات سنة 150 هـ ويقال بعدها 0 له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ 172/1 رقم 167، والثقات للعجلى 400 رقم 1433، والثقات لابن شاهين 280 رقم 1147، وتقريب التهذيب 54/2 رقم 5743 0
- (4) الغرز للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد به التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذى يمسك بركب الفارس فلا يفارقه 0 انظر : فتح البارى 408/5 رقم 2733، والنهاية فى غريب الحديث والأثر 359/3 0
- (5) السيرة النبوية لابن هشام 317/3 0

(391/1)

قال الحافظ ابن حجر : "والذى يظهر أنه توقف منه ليقف على الحكمة فى القصة وتنكشف عنه الشبهة، ونظيره قصته فى الصلاة على رأس المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول 0 فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال "لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله (1) بن عبد الله، إلى رسول الله (فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلى عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال : تصلى عليه وهو منافق، وقد نكأك الله أن تستغفر لهم؟ قال : إنما خيرنى الله أو أخبرنى الله - فقال "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم" (2) فقال : سأزيده على سبعين 0 قال فصلى عليه رسول الله (وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) (3) 0

- (1) عبد الله بن عبد الله بن أبي : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 335/2 رقم 2802، ومشاهير علماء الأمصار ص31 رقم 103 والاستيعاب 940/3 رقم 1590، وتاريخ الصحابة ص164 رقم 816، واسد الغابة 297/3 رقم 3039 0
- (2) جزء من الآية 80 من سورة التوبة 0
- (3) الآية 84 من سورة التوبة، والحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب "وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ" 189/8 رقم 4672، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفات المنافقين وأحكامهم 134/9 رقم 2774 واللفظ للبخاري 0

(392/1)

... يقول الحافظ ابن حجر : "وإن كان في الأولى (أى في قصة الحديبية) لم يطابق اجتهاده الحكم بخلاف الثانية طابق اجتهاده الحكم، ونزل القرآن الكريم مؤيداً لهذا الاجتهاد، بقوله تعالى : (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) (1) 0

... إلا أنه (بالرغم من اجتهاده في هذا الموقف ترك رأى نفسه، واجتهاده، وتابع النبي (وصلى معه كما جاء في الحديث : "فصلى عليه رسول الله (وصلينا معه" وإلا فقد جاء اجتهاده (موافقاً لحكم الله (0

... أما موقفه الاجتهادى في صلح الحديبية، فقد عمل أعمالاً صالحة ليكفر عنه هذا التوقف في الامتثال للأمر النبوى ابتداءً، وورد ذلك صريحاً في رواية ابن إسحاق : "وكان

-
- (1) وفي ذلك أبلغ رد على الرافضى على الشهرستانى واستدلالة بهذه القصة على أن عمر (كان من طائفة الاجتهاد في مقابل النص 0 انظر : منع تدوين الحديث ص 94 0

(393/1)

رابعاً : إنهم كانوا ينهون أو يمتنعون عن التحديث والإكثار منه، إذا كانت الأحاديث من المتشابهات التي يعسر على العامة، وضعاف العقول فهمها، فيحملونها على خلاف المراد منها، ويستدلون بظاهرها، ويكون الحكم بخلاف ما فهموا، وقد تؤدي تلك المتشابهات إلى تكذيب الله ورسوله (1) 0

... وفي ذلك يقول ابن مسعود (: "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (2) ويقول على ("حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (3) 0

... يقول الإمام الذهبي: "فقد زجر الإمام على (، عن رواية المنكر، وحث على التحديث بالمشهور، وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرقائق، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان في معرفة الرجال" (4)

-
- (1) شرف أصحاب الحديث 161، 162، والبداية والنهاية 106/8، وانظر : الموافقات للشاطبي فصل (ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره) 4/548 0
- (2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع 108/1 رقم 5 0
- (3) أخرجه البخاري (بشرح النووي) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا 272/1 رقم 127، بدون (ودعوا ما ينكرون) 0
- (4) تذكرة الحفاظ 13/1 0

(394/1)

... ويقول الإمام ابن حجر : والمراد بقوله "بما يعرفون" أى يفهمون 0 وقوله : "ودعوا ما ينكرون" أى يشتبه عليهم فهمه 0 وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة 0 ومن كره التحديث ببعض دون بعض، الإمام أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبي هريرة (حيث يروى عنه البخاري أنه قال : "حفظت من رسول الله (وعاءين : فأما أحدهما فبثنته 0 وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم" (1) 0

... قال ابن حجر : وحمل العلماء الوعاء الذى لم يبيته على ما يتعلق بالفتن، واشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم فى آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه ويعترض عليه من لا شعور له به" (2) 0
ويؤيد ذلك قول أبي هريرة : "لو حدثتكم بكل ما فى جوفى لرميتونى بالبعر" قال الحسن : راوى الحديث عن أبي هريرة : صدق والله ... لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس" (3) 0

ويؤيد أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها قوله (: "إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة 0 ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (4) 0

-
- (1) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم، باب حفظ العلم 261/1 رقم 120، وانظر : فتح البارى 272/1 رقم 127 0
(2) فتح البارى 262/1 رقم 120 0
(3) أخرجه بن سعد فى الطبقات الكبرى 57/4، 0 119
(4) الآيتان 159، 160 من سورة البقرة، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب حفظ العلم 258/1 رقم 118 0

(395/1)

... وأبو هريرة فى كل هذا، بل والصحابة أجمع، لا يكتمون علماً ينتفع به حتى ولو كان هذا العلم ليس فيه حكم شرعى 0

كيف! وهو (الراوى لقوله (: "ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه، إلا أتى به يوم القيامة مُلْجِماً بلْجِامٍ من النار" (1) 0

وهذا أبو ذر (يقول : "لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّنَمَ (2) عَلَى هَذِهِ (وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ) ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَعُ
كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ (قَبْلَ أَنْ تُخَيَّرُوا عَلَيَّ لِأَنْفَعَتُهَا " (3) 0

فالمراد بمنع التحديث هنا كما قال الحافظ ابن حجر في ضابطه : "أن يكون ظاهر الحديث يقوى
البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب (4)
0

وهذا يعنى أن من لا يخشى عليه ذلك يبلغونه خروجاً من إثم كتمان العلم 0

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب كراهية منع العلم 321/3 رقم 3658، والترمذى
في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم 29/5 رقم 2649، وقال أبو عيسى : حديث
حسن، وأخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه 98/1 رقم 261، والحاكم في
المستدرک کتاب العلم 181/1 رقمى 344، 345، وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم
يخرجاه، ووافقه الذهبي 0

(2) الصَّنَمَ بِمَهْمَلَتَيْنِ الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ هُوَ السِّيفُ الصَّارِمُ الَّذِي لَا يَنْثَنِي، وَقِيلَ الَّذِي لَهُ حَدٌ وَاحِدٌ،
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 52/3، والقاموس المحيط 138/4، ومختار الصحاح ص 370
(3) أخرجه البخارى معلقاً في صحيحه (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب العمل قبل القول
والعمل 192/1، وأخرجه الدارمى في سننه المقدمة، باب البلاغ عن الرسول (وتعليم السنن
146/1 رقم 545 0

(4) فتح البارى 272/1 رقم 127 0

(396/1)

ويقول صاحب توجيه النظر : "إن المحدث يجب عليه أن يراعى حال من يحدثهم، فإذا كان فيما ثبت
عنده ما لا تصل إليه أفهامهم وجب عليه ترك تحديثهم به دفعاً للضرر، فليس كل حديث يجب نشره
لجميع الناس" (1) 0

... وعلى هذا يحمل مرسل ابن أبي مليكة عن أبي بكر الصديق (، فلو كان له أصل فكونه عقب

الوفاة النبوية - كما جاء في الرواية - يشعر بأنه يتعلق بأمر الخلافة، كأن الناس عقب البيعة بقوا يختلفون، يقول أحدهم : أبو بكر أَهْلُهَا؛ لأن النبي (قال كيت وكيت، فيقول آخر : وفلان، قد قال له النبي (كيت وكيت، فَأَحَبَّ أبو بكر صرفهم عن الخوض في ذلك، وتوجيههم إلى القرآن وفيه قوله تعالى (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (2) 0

... وما فعله الفاروق عمر (وصار فيه على نهجه الصحابة (من المنع من التحديث والإكثار منه كان اتباعاً لمنهاج النبي (القائل : "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"، وعلى الدرب صار أئمة المسلمين من التابعين فمن بعدهم 0

فعن ابن وهب قال : قال لى مالك : اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع 0 ولا يكون إماماً أبداً، وهو يحدث بكل ما سمع" ونحوه روى عن عبد الرحمن بن مهدى (3) ، وغيره 0

(1) توجيه النظر ص 63 0

(2) جزء من الآية 38 من سورة الشورى، وانظر : الأنوار الكاشفة للمعلمي ص 54 0

(3) الآثار السابقة أخرجها مسلم (بشرح النووي) المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع

107/1 رقم 5 0

(397/1)

بقى الكلام على حبس عمر (لبعض الصحابة؛ وهل يكفى حبسهم أنهم أكثروا من الرواية؟! وهل كان هذا من عمر طعناً منه في الصحابة، وتكديباً لهم كما زعم بعض غلاة الشيعة (1) ؟!

الجواب :

أولاً : أما حبس عمر (لبعض الصحابة فعلى فرض صحة الأثر، فليس المراد بالحبس أنه زج بهم في السجن (وحاشاه من ذلك)، وإنما المراد أنه (استبقائهم في المدينة حتى يتثبت من لفظهم ويشهد لذلك رواية الخطيب السابقة (لفظهم سواء) (2) أى أنه استبقاهم في المدينة ليتثبت من لفظهم، ويؤيد ذلك أنهم لما قالوا له تنهاننا؟ قال لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم،

نأخذ منكم، ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات" فمع إنكاره عليهم الإكثار لم يمنعهم منه، عندما قالوا له تنهانا؟ فأجاب لا، أقيموا عندى أى استبقاهم فى المدينة لماذا؟ ليس لمنعهم من الإكثار، وإنما كما قال "نأخذ منكم، ونرد عليكم" فالأمر إذن تثبت فى الحديث فكانوا كما جاء فى الأثر (لفظهم سواء)0

(1) كعلى الشهرستانى فى كتابه منع تدوين الحديث، استدل بمروسل ابن أبى مليكة على اتهام أبى بكر جميع الصحابة بالكذب على رسول (انظر : منع تدوين الحديث ص49، كما استدل بحديث قرظة على اتهام عمر أيضاً لجميع الصحابة بالكذب على رسول الله (، انظر : منع تدوين الحديث ص104، 105 0

(2) هذه اللفظة ذكرها الخطيب كما سبق، ولم يذكرها على الشهرستانى، رغم أنه عزا الرواية إلى الخطيب فى شرف أصحاب الحديث، انظر : منع تدوين الحديث ص 186 0

(398/1)

ومما يؤكد لنا أنه لم ينج بأحد فى السجن، ما جاء فى رواية الرامهرمزي من قول شيخه أبى عبد الله البرى قال : "يعنى منعهم الحديث، ولم يكن لعمر حبس" (1) وهذا على فرض صحة الأثر، وإلا فهو منقطع، لأنه من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولم يسمع من عمر كما رجحه الهيثمى وأحمد محمد شاكر، وابن حزم وقال : "ثم هو فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد، لأنه لا يخلوا عمر من أن يكون اتهم الصحابة، وفى هذا ما فيه، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ سنن رسول الله (إلى المسلمين، وألزمهم كتمانها وجحدها وألاً يذكروها لأحد، فهذا خروج عن الإسلام، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل هذا، ولئن كان سائر الصحابة متهمين فى الكذب على النبى (فما عمر إلا واحد منهم، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً، ولئن كان حبسهم، وغيرهم متهمين لقد ظلمهم! فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أى الطريقتين الحبيثتين شاء، ولا بد له من أحدهما0

وإنما معنى نهى عمر (من الحديث عن رسول الله (لو صح، فهو بَيِّنٌ فى الحديث الذى أوردناه من طريق قرظة، وهو إنما نهى عن الحديث بالأخبار عن سلف من الأمم، وعما أشبه0

... وأما نهي عن الحديث بالسنن عن النبي (فهذا ما لا يحل لمسلم أن يظنه بمن دون عمر من عامة المسلمين، فكيف بعمر 0)

(1) المحدث الفاضل ص 133، وانظر : السنة قبل التدوين ص 110 0

(399/1)

ودليل ما قلنا أن عمر قد حدث بحديث كثير عن النبي (0 فإن كان الحديث عنه عليه السلام مكروهاً، فقد أخذ عمر من ذلك بأوفر نصيب، ولا يحل لمسلم أن يظن بعمر (أنه نهي عن شيء وفعله، لأنه قد روى عنه (خمسمائة حديث ونيف، على قرب موته من موت النبي (فصح أنه كثير الرواية، والحديث عن النبي (، وما في الصحابة أكثر رواية عن النبي (من عمر بن الخطاب إلا بضعة عشر منهم فقط 0 فصح أنه قد أكثر الرواية عن النبي (، فصح بذلك التأويل الذي ذكرناه لكلامه (" (1) 0هـ

... قلت : وكيف يظن بعمر بنهي عن الإكثار من الرواية ليتثبت فيها كما سبق، أنه يأمر بكتمان ما أنزل الله (على لسان نبيه (وهو المعظم الموقر لسنة النبي (الحاكم بها في كل شأن من شئون حياته، وشئون رعيته (2) ، وهو القائل (: "تعلموا الفرائض، واللعن والسنن، كما تعلمون القرآن" (3) ، وهو القائل أيضاً : "سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله" (4) وهو القائل : "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا" (5) 0

(1) الإحكام لابن حزم 266/2، 267 بتصرف يسير، وانظر : الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ

حمود بن عبد الله التويجري ص 102 - 110 0

(2) سبق تفصيل ذلك راجع إن شئت ص 301-304 0

(3) أخرجه الدارمي في سنته كتاب الفرائض، باب في تعليم الفرائض 441/2 رقم 2850، وابن

عبد البر في جامع بيان العلم 123/2 0 وسبق قول أبي موسى الأشعري (لأهل البصرة "بعثني إليكم

عمر أعلمكم كتاب ربكم وستنكم"، راجع ص 329 0

(4) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة 62/1

رقم 119، وابن عبد البر في جامع بيان العلم 123/2، وابن حزم في الإحكام 267/2 0

(5) سبق تخريجه ص 62 0

(400/1)

... فصح بكل هذا أن عمر (أَمَرَ بتعليم السنن، وبين أن أصحابها أعلم الناس بكتاب الله)، وفي المقابل أعداء السنن، وأجهل الناس بكتاب الله (هم أهل الرأي المذموم 0
فهل يصح بعد هذا القول بأن نهي عمر عن الإكثار من الرواية كتماناً للسنة أو أنه أراد ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن؟! "سبحانك هذا بهتان عظيم 0

أو أنه (كان يتهم الصحابة جميعاً بالكذب على رسول الله) فيكون بهذا متهماً لنفسه بأنه من أصحاب الرأي، ومتهماً لنفسه أيضاً بالكذب فما هو إلا واحد من الصحابة؛ وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً كما سبق من قول ابن حزم 0

كما أنه لا يقول بواحد من الأمرين السابقين إلا الرافضة أمثال (مرتضى العسكري (1) ومروان خليفات (2)، وزكريا عباس (3)، وعلى الشهرستاني، الذي مال إلى الأمرين معاً :
أولهما : "إن الخليفة عمر قد أمر بكتمان ما أنزل الله على لسان نبيه (فمنع من التحديث لكتمان ما ورد في فضائل أهل البيت وما يدل على إمامتهم" (4) 0
ثانيهما: أن الخليفة عمر بن الخطاب وكذا أبو بكر (5) ؛ كانا يتهما الصحابة جميعاً بالكذب على رسول الله (، وعاب على الإمام ابن حزم، ومن تبعه من الأعلام قديماً وحديثاً أنهم لم يرتضوا بهذين الأمرين وقال : "لذلك اضطروا إلى حمل نهي عمر على النهي عن التحديث بأخبار الأمم السالفة، وهذا حمل تبرعى لم يدل عليه دليل من روايات منعه" (6) 0

(1) معالم المدرستين المجلد 44/2، 45، 64 0

(2) وركبت السفينة ص 107 - 146، 173 - 181 0

- (3) تأملات في الحديث ص 42 – 62 0
(4) منع تدوين الحديث على الشهرستاني ص 57، 64 0
(5) المصدر السابق ص 49 0
(6) المصدر نفسه ص 104، 105، وسبق الرد بما جاء في رواية السائب بن يزيد 0

(401/1)

... وصدق الإمام الذهبي : "فوالله ما يغض من عمر إلا جاهل ... أو رافضى فاجر، وأين مثل أبي حفص، فما دار الفلك على مثل شكل عمر، وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل" (1) ، إن دعوى أن نهى عمر عن الإكثار من الرواية أنه يتهم الصحابة جميعاً بالكذب على رسول الله (دعوى لا برهان لها، إلا فى كتب الروافض من غلاة الشيعة، ومن قال بقولهم من المستشرقين، ودعاة اللادينية الملحدة 0

الجواب عن شبهة : "النهى عن الإكثار من التحديث اتّهام من أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما-، للصحابة بالكذب :
إن الصحابة جميعاً وعلى رأسهم عمر، كانوا أبعد الناس فى أن يشك بعضهم فى صدق بعض، والأدلة على هذا متوافرة جداً، فقد كان الصحابي إذا سمع من صحابي آخر حديثاً صدق به، ولم يخالجه الشك فى صدقه، وأسنده إلى الرسول (كما لو كان سمعه بنفسه، وعلى هذا اعتماد أئمة الحديث فى مرسل الصحابي (2) 0

... يدل على ذلك ما روى عن عمر (قال : "كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد، وهى من عوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله (ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جنته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك ... " (3) ، ولو لم يكن سوى هذا الحديث لكفى فى رد هذه الشبهة، ولكن كما قلنا الأدلة على هذا متوافرة جداً 0

(1) تذكرة الحفاظ 6/1 0

- (2) انظر: تدريب الراوى 207/1، وفتح المغيـث للسـخاوى 171/1، 170، وتوضيح الأفكار 317/1
(3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب التناوب فى العلم 223/1 رقم 89 0

(402/1)

فعن البراء بن عازب (قال : "ليس كلنا سمع حديث رسول الله (، كانت لنا ضبيعة وأشغال، ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب (1) ، وأخرج الطبرانى عن حميد قال كنا مع أنس بن مالك (فقال : والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله (سمعناه منه، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً" (2) 0

وعن عائشة -رضى الله عنها- قالت : "ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله (، من الكذب (3) وعن الأعمش -رحمه الله- قال : "لقد أدركت قوماً، لو لم يتركوا الكذب إلا حياءً لتركوه" (4) 0

-
- (1) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب فضل توفير العالم 216/1 رقم 438 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي 0
(2) أخرجه الطبرانى فى الكبير 246/1 رقم 699، وعزاه إليه الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد 153/1، وقال : رجاله رجال الصحيح 0
(3) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الصدق والكذب 307/4 رقم 1973 وقال : هذا حديث حسن، وأخرجه أحمد فى مسنده 152/6، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق 112 رقم 139، 145، والحديث ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد 142/1، وعزاه إلى أحمد، والبخارى، وقال إسناده صحيح 0
(4) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت ص 263 رقم 544 0

(403/1)

... وأخيراً : يقول عمر لأبى موسى الأشعرى لما حدثه بحديث (الاستئذان ثلاثاً)، وطلب منه البينة على ذلك (1) 0 قال : "أما إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ((2) 0

وفي رواية : "فقال عمر لأبي موسى والله إن كنت لأميناً على حديث رسول الله (، ولكن أحببت أن أستثبت، ونحوه في رواية أبي بردة حين قال أبي بن كعب لعمر : "يا بن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله (، قال : سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت" (3) 0

(1) القصة في صحيح البخارى(بشرح فتح البارى) كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان 28/11 رقم 6245، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الآداب، باب الاستئذان 387/7 رقم 2154 0

(2) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان، باب الاستئذان 734/2، 735 رقم 3 وروايته منقطعة 0

(3) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الآداب، باب الاستئذان 387/7 رقم 2154 0

(404/1)

قال ابن عبد البر : يحتمل أن يكون حضر عنده من قرب عهده بالإسلام فخشى أن يختلق الحديث عن رسول الله (عند الرغبة، والرغبة، طلباً للمخرج مما يدخل فيه، فأراد أن يعلمهم أن من فعل شيئاً من ذلك ينكر عليه حتى يأتى بالمخرج (1) ، وزاد غيره فأراد عمر سد هذا الباب وردع غير أبي موسى لا شكاً في روايته، فإن من دونه إذا بلغته قصته، وكان في قلبه مرض أو أراد وضع حديث خاف من مثل قضية أبي موسى، فالمراد غيره (2) 0 وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي : "وفي تشديد عمر على الصحابة في رواياتهم حفظ لحديث رسول الله (، وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السنن ما ليس منها، لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول، المشهود بصحة النبى (، قد شدد عليه في روايته، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب، ولما يلقي الشيطان في النفس من تحسين الكذب أرهب" (3) 0

... وفي القصة دليل على ما كان الصحابة عليه من القوة في دين الله وقول الحق والرجوع إليه وقبوله، فإن ألباً (أنكر على عمر تهديد أبي موسى، وخاطبه مع أنه الخليفة (ببنا ابن الخطاب) أو يا عمر؛ لأن المقام مقام إنكار" (4) 0

وفي ذلك رد على الرافضة الطاعنين في الصحابة ووصفهم بالجن والتقية خوفاً من درة عمر أو مهابة له، وأنهم وافقوه في النهي عن كتابة السنة والإكثار منها تقية منهم وجبناً" (5) 0

-
- (1) شرح الزرقاني على الموطأ 4/426، وفتح الباري 11/32 رقم 6245 0
 - (2) شرح الزرقاني على الموطأ 4/426 0
 - (3) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص 163 0
 - (4) شرح الزرقاني على الموطأ 4/426، 427 0
 - (5) منع تدوين الحديث على الشهرستاني ص 28، 228، وقد تناقض في إفكه هذا، ووصفهم بالشجاعة في موضع آخر ص 254، 342 0

(405/1)

... وهكذا كانت ثقة الصحابة جميعاً وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون، ثقة لا يشوبها شك، ولا ريبة، لما يؤمنون به من تدينهم بالصدق، وأنه عندهم رأس الفضائل، وبه قام الإسلام، وساد أولئك الصفوة المختارة من أهله الأولين" (1) 0

... وبالجملية : ما فعله كبار الصحابة وتبعهم فيه الصحابة أجمع، ومن بعدهم من النهي أو الامتناع عن الإكثار من التحديث، كان لوجوه وأسباب وردت صراحة في الآثار الواردة عنهم، وكانوا في كل سبب من تلك الأسباب مقتدين بسنة النبي (، وهو ما حرصنا على تأكيده فيما سبق 0

فما فعلوه كان احتياطاً للدين كتاباً وسنة ورعاية لمصلحة المسلمين لا زهداً في الحديث النبوي، ولا تعطيلاً له 0

ولا إخفاءً لأحاديث فضائل أهل البيت، وما يدل على إمامتهم كما تزعم الرافضة، فأحاديث فضائل أهل البيت، وما يدل على إمامتهم، وعظيم منزلتهم، مدونة في سائر كتب السنة (في كتب المناقب، وفضائل الصحابة) 0

فلا يجوز أن يفهم أو يتوهم من منهاج الصحابة، القائم على المنهاج النبوى ومن تشدد عمر خاصة
هجر الصحابة للسنة أو زهدهم فيها لعدم حجيتها، أو أنهم أرادوا ألا يجعلوها ديناً عاماً دائماً
كالقرآن، معاذ الله أن يقول بهذا أحد منهم⁰

فلا يقول بهذا إلا جاهل مغرور، أو رافضى فاجر، لا علم له بقليل من السنة، ولم تخالط قلبه روح
الصحابة، ولا أنار سبيله، قيس من هداهم⁰

... فقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث النبوى، وتعظيمهم، وتوقيرهم له، وتحكيمهم له في
كل شأن من شئون حياتهم، وزجرهم وهجرهم كل من لم يعظم قوله (، وقد حرصوا على المحافظة على
الحديث النبوى بكل وسيلة تفضى إلى ذلك، فكان لهم جميعاً الفضل الأول في المحافظة على كتاب الله
(، وسنة نبيه (، وتميز منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عن عمر، وعن أصحاب رسول
الله (أجمعين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أ⁰⁰

والله تبارك وتعالى

(1) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعى ص 263 0

(406/1)

أعلى وأعلم

(407/1)

ثانياً : شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية والرد عليها

استعراض الشبهة وأصحابها :

... روى الإمام البخارى -رحمه الله- في صحيحه تعليقا، قال : وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي

بكر بن حزم (1) ، "انظر ما كان من حديث رسول الله (فآكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله (، ولتفشو العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً" (2) 0

(1) أبو بكر بن حزم هو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى البخارى، اسمه وكنيته واحد، وقيل أنه يكنى أبا محمد، من سادات التابعين، ثقة عابد، مات سنة 120هـ وقيل غير ذلك له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 100 رقم 544، وتقريب التهذيب 367/2 رقم 8017، والكاشف 412/2 رقم 6537، والثقات لابن حبان 561/5، والجرح والتعديل 337/9 رقم 1492 0

(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم 234/1، والدارمى فى سننه المقدمة، باب من رخص فى كتابة العلم 137/1 رقمى 487، 488، والخطيب فى تقييد العلم 105/1، 106 0

(408/1)

... بهذه الرواية تعلق أعداء الإسلام من الرافضة، والمستشرقين، ودعاة اللادينية المتفرجة، فقالوا : إن السنة لم تدون إلا فى مطلع القرن الثانى الهجرى، لأن أول من أمر بتدوينها هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (، وهو قد تولى الخلافة سنة 99هـ وتوفى سنة 101هـ (1)

(1) أضواء على السنة محمود أبو رية ص 260 0 ويتناقض أعداء السنة عن جهل تارة، وعن علم تضليلاً للقارئ تارة أخرى، وهم يؤرخون للتدوين الرسمى للسنة المطهرة 0 فنرى مصطفى المهدوى يقول : "إن الثابت أن الأحاديث لم تدون إلا بعد زمن بعيد من وفاته (وعلى رأس المائة الثالثة من الهجرة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز 0 وأين عمر من المائة الثالثة؟ انظر: البيان بالقرآن 25/1، ثم يتناقض ويكذب على أئمة المسلمين قاتلاً : "يتفق جمهور الفقهاء على أن تدوين هذا التراث إنما بدأ فى أواسط القرن الثانى الهجرى" انظر : المصدر السابق 197/1 0 ويقول سعيد العشماوى : (غير أن الأحاديث لم تجمع إلا فى عصر التدوين فى العصر العباسى الأول، وفى النصف الثانى من العام الثانى الهجرى) انظر : حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص 81، 82، 84، وأيد

العشماوى فى تأريخه السابق المستشار عبد الجواد ياسين فى كتابه السلطة فى الإسلام ص 237،
238، 277 وقال بذلك أيضاً أحمد صبحى منصور فى كتبه الحسبة ص 8، ولا ناسخ ولا منسوخ
ص 10، وعذاب القبر ص 6، والصلاة فى القرآن 44، والقرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة
ص 36، ويذهب محمود أبو رية إلى أن التدوين المعتمد لدى الجمهور لم يقع إلا حوالى منتصف القرن
الثالث إلى القرن الرابع، انظر: أضواء على السنة ص 268، ويذهب قاسم أحمد إلى أنه تم جمع السنة
بعد فترة تمتد من قرنين إلى أربعة قرون من=

=وفاة النبى (0) انظر : إعادة تقييم الحديث ص 94، وانظر : نقد الخطاب الدينى نصر أبو زيد
ص 126، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر إسماعيل منصور 117/1، والأصلاى العظيمان جمال البنا
ص 275، وضحى الإسلام لأحمد أمين 107/106/2 0 ويذهب إسماعيل منصور إلى التأريخ
للتدوين، تارة بأنه فى سنة 250هـ، وتارة فى سنة 200هـ انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة
ص 13، 7، 111، 288، ويذهب محمد شحرور إلى التأريخ بسنة 250هـ انظر: الكتاب والقرآن
قراءة معاصرة ص 565، ويذهب أحمد صبحى منصور إلى التأريخ بالقرن الثالث الهجرى
انظر: عذاب القبر ص 6، ومجلة روزاليوسف العدد 3559 ص 48، ويذهب محمد حسين هيكل إلى
التأريخ بعصر المأمون المتوفى سنة 218هـ انظر : حياة محمد ص 55، والدكتور على حسن عبد
القادر يؤرخ بسنة 200هـ انظر : نظرة عامة فى تاريخ الفقه ص 119 0

(409/1)

0

... وهذه المدة الطويلة تكفى لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل (1) 0 ولذا حصل
فى السنة التبديل والزيادة ككتب أهل الكتاب، لعدم كتابتها فى عهده (، وعدم حصر الصحابة لها فى
كتاب معين، وعدم تبليغها للناس بالتواتر، وعدم حفظهم لها جيداً فى صدورهم، حتى أباحوا نقلها
بالمعنى، واختلفت الرواية عنهم لفظاً ومعنى (2) ، ولا يمكن بغير الكتابة أن يحصر ما قاله النبى (أو
فعله فى ثلاثة وعشرين عاماً مما سهل على قوم أن يستبيحوا لأنفسهم وضع الحديث ونسبته كذباً إلى
رسول الله ((3) 0

- (1) مجلة المنار المجلد 515/9، وأضواء على السنة 258، 259، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازي السقا ص 80 0
- (2) مجلة المنار المجلد 911/9، وأضواء على السنة ص 80، 259 0
- (3) فجر الإسلام أحمد أمين ص 210، 211، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث للعشماوى ص 84، والأصلان العظيمان جمال البنا ص 268 0

(410/1)

أما غلاة الشيعة : فيزعمون أنهم حفظة السنة وأساس تدوينها، والسبق إلى التدوين فضيلة لهم، فهم أساس بناء مدرسة التعبد المحض (1) 0 أما أهل السنة وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما- فهم أساس مدرسة الاجتهاد والرأى، وهم الذين منعوا تدوين الأحاديث، وأضاعوا سنة نبيهم (2) ، التي قاموا بتدوينها على رأس المائتين بعد انقراض دولة بني أمية، وتحول الدولة إلى بني العباس (3) 0

أما المستشرقون : فيتلخص موقفهم من السنة النبوية وتدوينها، في موقف المستشرق اليهودي (جولدتسيهر) الذى ذهب إلى : "أن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى، والسياسى، والاجتماعى فى القرنين الأول، والثانى، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام فى عهده الأول، عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج" (4) 0

-
- (1) انظر : الشيعة وفنون الإسلام حسن الصدر ص 27، 28، والمطالعات والمراجعات والردود لمحمد الحسين آل كاشف ص 56، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكري المجلد 375/2، ومنع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلى الشهرستانى ص 76، 342، 397، 424، 442، 447، وتأملات فى الحديث عند السنة والشيعة لذكريا عباس داود ص 42 0
- (2) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلى الشهرستانى ص 312، 339، 468، 504، وتأملات فى الحديث لذكريا عباس داود ص 70، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 107 ويقول الرافضة، قال المستشرقون، انظر : منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 59 0
- (3) تأسيس علوم الشيعة حسن الصدر 278، 279 0

(4) العقيدة والشريعة في الإسلام جولدتسيهر ص 53، 251، وانظر : دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 0 564/10

(411/1)

... وهذا الذى زعمه جولدتسيهر؛ اتخذ المستشرقون وذيولهم "إنجيلاً مقدساً"، ورددوه فى بحثهم ودوائر معارفهم (1) 0

... وكان هذا الزعم لدى (شاخ) (2) حجر الأساس له، ولكل باحث يريد التشكيك فى السنة النبوية المطهرة، فأكد ما قاله سلفه جولدتسيهر وتجاوزه بزعمه : "أنه لا صحة لأى حديث منسوب للنبي (، وأن المجموعة الأولى المعول عليها من الأحاديث النبوية التى تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريباً، وهو التاريخ الذى يحدد حسب رأيه، بداية فترة تدوين الأحاديث (3) 0

(1) انظر : دائرة المعارف الإسلامية 570/2 - ترديد (ماكدونالد) مقولة جولدتسيهر، وكذا (كارل بروكلمان) فى تاريخ الشعوب الإسلامية ص 71، وانظر دراسة الكتب المقدسة للدكتور موريس بوكاى ص 152، 273 0 وانظر : مفهوم النص نصر أبو زيد وزعمه بأن النص (قرأناً وسنة) منتج ثقافى وأن ذلك بديهية لا تحتاج لإثبات 0 مفهوم النص ص 23 - 24 0

(2) شاخ : هو جوزيف شاخ 0 مستشرق ألماني 0 ولد عام 1902/ عمل محاضراً للدراسات الإسلامية فى عدد من الجامعات 0 كان من أعضاء الجمع العلمى العربى فى دمشق 0 وقد أشتهر بدراسة التشريع الإسلامى، قال الدكتور السباعى : (ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين) من مصنفاته : إعادة تقييم الحديث، وأصول الفقه المحمدى، والتطور الحديث للفقه الإسلامى بمصر، وغير ذلك، له ترجمة فى : المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به فى الدراسات العربية جمع صلاح الدين المنجد 803/2 - 805، والاستشراق للدكتور السباعى ص 38، والأعلام 234/8 0

وجوزيف شاخ بقلم : برنارد لويس ترجمة الأستاذ الصديق بشير، ويوسف شاخ حياته وأثاره بقلم : روبر برو نشفيج ترجمة الدكتور عبد الحكيم الأربد 0 نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 0 644-622/11

(412/1)

... وكانت نزعة الشك عند شاخت أكثر شدة منها عند جولدتسيهر، ويتضح هذا من "القاعدة المنهجية" التي تترتب، حسب رأيه، على استنتاجات جولدتسيهر⁰ وهي "قاعدة

السكوت عن الحديث في موطن الاحتجاج دليل على عدم وجوده" استخدم شاخت هذه القاعدة كثيراً ليثبت عدم وجود كثير من الأحاديث إبان فترة الإسلام الأولى⁰ ويعبر عن ذلك بقوله : "إن أحسن طريق لإثبات عدم وجود حديث في عهد معين، هو أن نظهر أن ذلك الحديث لم يستعمل كدليل فقهي في نقاش يستوجب الاستدلال بذلك الحديث لو كان بالفعل موجوداً ... " (1) 0

... وهذا الذى زعمه شاخت في كتابه (أصول الفقه المحمدى) أصبح "إنجيلاً ثانياً" لعالم الاستشراق حيث غير من نظرة سلفه جولدتسيهر التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها بقوله : "إن المجموعة الأولى المعول عليها من الأحاديث النبوية التي تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثانى الهجرى تقريباً لمواجهة أقوال الصحابة وغيرهم" (2) 0 ويقول : "يكاد يكون من المستحيل توثيق أى من هذه الأحاديث فيما يتعلق بأمور التشريع الدينى" (3) 0

-
- (1) سنعود إلى بقية نص هذا الكلام عند نقد قاعدة شاخت⁰ انظر : أصول الفقه المحمدى ص 140 نقلاً عن نقد قاعدة شاخت للأستاذ ظفر إسحاق الأنصارى بحث قدم لمؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحاضرة 589/2 0
- (2) أصول الفقه المحمدى ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 652/11 0

(3) مدخل إلى الشريعة لشاغت نقلاً عن نقد قاعدة شاغت للأستاذ ظفر الأنصاري، انظر : مؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة 0 589/2

(413/1)

... ولقد ترك كتابه هذا أثراً عميقاً في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية، حتى تنبأ البرفسور جب قائلاً : "أنه - يعني كتاب شاغت سيكون في المستقبل أساساً لكافة الدراسات عن الحضارة الإسلامية والتشريع، وعلى الأقل في الغرب" (1) 0

... وعن خطورة هذا الكتاب ومكانته عند المستشرقين يقول الأستاذ الصديق بشير : "وليس من قبيل المبالغة إذا قلت إن كل من كتب بعده من المستشرقين في هذا الحقل المعرفي هم عيال عليه، وحسبك أنه لا تكاد توجد جامعة من جامعات الغرب لها اعتناء بالدراسات الإسلامية إلا ونجد هذا الكتاب مقررّاً على طلابها" (2) أ0هـ

الجواب عن شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية :

... بادئ ذي بدء - نحن نجزم بصحة هذه الرواية التي صدرنا بها البحث، وهي التي تفيد أن عمر بن عبد العزيز؛ هو أول من أمر بتدوين السنة، نجزم بصحتها لأنها وردت في أوثق مصادرنا، وأصحها بعد كتابه تعالى، ألا وهو صحيح البخاري، ولكننا نخدّف من وراء هذا البحث إلى إثبات حقائق هامة وهي :

1- الحقيقة الأولى : أن الكثيرين خلطوا بين النهي عن كتابة السنة، وبين تدوينها حيث فهموا خطأ أن التدوين هو الكتابة، وعليه فإن السنة النبوية - ظلت محفوظة في الصدور لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -

(1) دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي المقدمة 0

(2) مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 646/11 بحث الأستاذ الصديق بشير (أصول الفقه المحمدي في كتابات الغربيين) 0

(414/1)

... ولو أن المعاصرين فهموا حقيقة الكتابة، وحقيقة التدوين، وأدركوا الفرق بينهما، لما تعارضت النصوص في فهمهم، ولما صح تشكيك أعداء الإسلام في السنة النبوية بدعوى تأخر تدوينها مدعين أنه دخلها الزيف، لأن العلم الذي يظل قرناً دون تسجيل لا بد وأن يعتريه تغيير ويدخله التحريف، فإن الذهن يغفل والذاكرة تنسى، أما القلم فهو حصن آمان لما يدون به (1)

الكتابة، والتدوين، والتصنيف في اللغة :

... وهذا تعريف موجز للكتابة والتدوين والتصنيف : يتضح منه الفرق بين الكتابة والتدوين :

أ- الكتابة : قال في اللسان: "كتب الشيء كتباً، وكتاباً، وكتابة، وكتبه خطه" فكتابة الشيء خطه (2) 0

ب- التدوين : قال في اللسان : "والديوان مجتمع الصحف" (3) 0 وقال في تاج العروس : "وقد

دونه تدويناً جمعه 0 وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة في ديوان ليحفظها (4) 0

ج- التصنيف : قال في اللسان : والتصنيف : تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنف الشيء ميز

بعضه من بعض 0 وتصنيف الشيء جعله أصنافاً 0 وعليه فالتصنيف تمييز الجزئيات، كأن يميز المصنف

الصواب من الخطأ، أو الأهم من المهم" (5) 0

... ومن هذه التعاريف : يتضح لنا أن الكتابة غير التدوين، فالكتابة مطلق خط الشيء، دون مراعاة

لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، أما التدوين فمرحلة تالية للكتابة ويكون بجمع الصحف

المكتوبة في ديوان يحفظها" (6) 0

(1) انظر: السنة النبوية 0 مكانتها 0 عوامل بقائها 0 تدوينها 0 لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمهدي عبدالقادر 94-96، وانظر: تصدير الدكتور يوسف العش في تقييد العلم للخطيب البغدادي ص 7،

0 8

(2) لسان العرب 698/1، وانظر : القاموس المحيط 120/1، ومختار الصحاح ص 562 0

(3) لسان العرب 166/13 0

(4) تاج العروس 204/9 0

(5) لسان العرب 198/9 0

(6) السنة النبوية مكانتها للأستاذ الدكتور عبدالمهدي عبد القادر ص 97 0

أما التصنيف؛ فهو أدق من التدوين، فهو ترتيب ما دون في فصول محدودة، وأبواب مميزة (1) 0

وعلى ذلك فقول الأئمة إن السنة دوت في نهاية القرن الأول لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد : أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل لدرجة التدوين وهو : جمع الصحف في دفتر 0

وما فهمه المعاصرون، من أن التدوين هو الكتابة، فهو خطأ منشأه عدم التمييز بين الكتابة والتدوين (2) 0

وبالتالى فالمقولة "أول من دون العلم ابن شهاب الزهري" (3) تم ترجمتها خطأ بمعنى : أول من كتب العلم (الحديث) كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول، أو بداية القرن، الثاني الهجري، ... ولهذا فالمقولة السابقة يجب تفسيرها على أساس أن أول من دون أو صنف المجموعات المكتوبة من الأحاديث كان ابن شهاب الزهري" (4) 0

(1) انظر : تصدير الدكتور يوسف العش في تقييد العلم ص 8، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 283، 284 0

(2) السنة النبوية 0 مكانتها 0 للأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 97 0

(3) ابن شهاب الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، القرشي، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته واتقانه 0 مات سنة 125 هـ وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة في: تقريب التهذيب 2/133 رقم 6315، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 50، 49 رقم 95، والكاشف 2/219 رقم 5152، وتذكرة الحفاظ 1/108 رقم 97، والثقات للعجلي ص 412 رقم 1500، والثقات لابن حبان 5/351، والجرح والتعديل 8/71 رقم 318، ومشاهير علماء الأمصار ص 87 رقم 444، والثقات لابن شاهين ص 276 رقم 1137 0

(4) انظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 281، وانظر : شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد محمد نوح ص 108، 109

... والمتتبع لكلام الأئمة السابقين يتضح له أنه كان معلوماً لديهم الفرق بين الكتابة والتدوين، وهم يؤرخون لتدوين السنة حيث كان مدار حديثهم على التدوين، وليس في

حديثهم شئ يتعلق بالكتابة، كقول الحافظ ابن حجر : "وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير" (1) وقال أيضاً : "اعلم، علمني الله وإياك أن آثار النبي (لم تكن في عصر الصحابة، وكبار تابعيهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة (2) 0أ0

2- الحقيقة الثانية : أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - حينما أمر بتدوين السنة لم يبدأ ذلك من فراغ، ولكنه اعتمد على أصول مكتوبة كانت تملأ أرجاء العالم الإسلامي كله، من خلال روح علمية نشطة، أشعلها الإسلام في أتباعه، فأصبحوا يتقربون إلى الله تعالى بأن يزدادوا في كل يوم علماً، وخير العلوم-قطعاً- ما كان متعلقاً بالقران والسنة0

وحينما ثبت أن تدوين السنة قام على أساس المكتوب في عصر النبي (، وبإذن منه (شخصياً، فإننا لن نتعسف الأدلة أبداً وصولاً إلى تلك الغاية؛ لأننا لن نقول في هذا الشأن قولاً إلا ونشفعه بالدليل القوى المستمد من أوثق المصادر وأكدها وأصحها0

-
- (1) فتح الباري 251/1 رقم 113، وانظر 235/1 رقم 100، وانظر : جامع بيان العلم لابن عبد البر 73/1، وتذكرة الحفاظ للذهبي 160/1، وشرح الزرقاني على الموطأ 14/1، والسنة النبوية0 مكانتها0 للدكتور عبد المهدي ص 94، 98 0
- (2) هدى الساري ص 8 0

(417/1)

كما نحب أن ننبه إلى أننا لسنا أبداً أول من قال بهذا القول، وإنما القول بأن السنة قد بدأت كتابتها منذ عصر النبي (إلى زمن تدوينها تدويناً رسمياً أصبح حقيقة علمية مؤكدة ثبتت بالبراهين القطعية، وتضافرت على إثبات هذه الحقيقة الساطعة أقوال جملة من الباحثين الثقات الأتبات (1) 0

كالدكتور محمد عجاج الخطيب في كتابه "السنة قبل التدوين" والدكتور محمد مصطفى الأعظمي في كتابة : "دراسات في الحديث النبوي"، والدكتور امتياز أحمد في كتابه : "دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث"، والدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب في كتابه : "توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته) وغيرهم0

نماذج من أشهر ما كتب من السنة النبوية في حياة النبي (وبعده إلى زمن التدوين الرسمي :
1- ما ورد عن أبي هريرة (: أنه لما فتح الله (على رسوله (مكة قام الرسول (وخطب في الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاة فقال : يا رسول الله اكتبوا لي، فقال : اكتبوا له" (2) 0

(1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 68 بتصرف 0
(2) الحديث بطوله ونص الخطبة في صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب العلم، باب كتابة العلم 248/1 رقم 112 0

(418/1)

2- وأيضاً كتابه (في الصدقات والديات والفرائض والسنن، الذي أرسله إلى عمرو بن حزم (1) ، حين بعثه إلى اليمن، أخرجه النسائي، وأبو عبيد القاسم في الأموال (2) 0
3- وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (لَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) فَرَائِضَ الصَّدَقَةِ، الَّذِي سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ " (3) 0

(1) هو : عمرو بن حزم بن عبد عوف الأنصاري الخزرجي، ثم البخاري، كنيته أبو الضحاك، وأول مشاهده الخندق0 وهو ابن خمس عشرة سنة، واستعمله رسول الله (على أهل نجران سنة 10هـ بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد، فأسلموا، وكتب له كتاباً فيه الفرائض، والسنن، والصدقات، والديات0 انظر : الاستيعاب 1173/3، وتخريج الدلالات السميعة على ما كان في عهد رسول الله (من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ص 67، مات بالمدينة سنة 51، وقيل : 53، وقيل : 54هـ له ترجمة في:الإصابة2/532 رقم 5810، واسد الغابة 202/4 رقم 3905، والاستيعاب

1172/3 رقم 1907، وتجريد أسماء الصحابة 404/1، وتاريخ الصحابة ص 174 رقم 886، ومشاهير علماء الأمصار ص 30 رقم 96 0

(2) النسائي في سننه كتاب القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له 57/8 رقم 4853-4859، والأموال ص 358-362، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة ص 368 وما بعدها 0 ذكر كثير من الكتابات والصحف التي كتبت في عهده (، وانظر : "مكاتب الرسول" للأستاذ على الأحمدى جمع فيه مؤلفه كتب الرسول و صحفه ورسائله التي بكتب الحديث والسيرة 0

(3) الحديث أخرجه البخارى (شرح فتح البارى) كتاب الزكاة، باب العرض في الزكاة 365/3 رقم 1448، وفي باب زكاة الغنم 371/3 رقم 1454 بتمامه، وفي غير هذين الموضوعين 0 وانظر : دراسات في الحديث النبوى للدكتور محمد الأعظمى 93/1 0

(419/1)

4- وكتب عمر بن الخطاب (إلى عتبة بن فرقد (1) بأذريجان كتاباً فيه أن رسول الله (نهى عن الحزير إلا هكذا، وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام" (2) 0
... ومع أن الفاروق عمر كان يوصف بأنه واحد من أشد المعارضين لكتابة الحديث، ومنع تدوينها كما يزعم غلاة الشيعة، إلا أننا على العكس نراه أول متثبت لكتابة الأحاديث بهمه بتدوين السنة المطهرة 0

فكان أول مقترح بتدوينها حفاظاً لها كما كان أول مقترح بتدوين القرآن الكريم تدويناً عاماً في مكان واحد حفاظاً لكتاب الله (زمن أبو بكر الصديق (ففى همّه بكتابة السنة - ليس مجرد الكتابة - فهى كانت مكتوبة - وإنما المراد بالكتابة تدوينها تدويناً عاماً في مكان واحد 0

وهذا الهمُّ بالتدوين فيه أبلغ حجة وأبلغ رد على غلاة الشيعة الزاعمين أن أهل السنة، وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما-، كانوا من أنصار منع تدوين السنة 0

وهذا يكذبه الواقع، فعمر (عندما همَّ بتدوين السنة استشار في ذلك أهل الحل والعقد فلم يتردد

واحد منهم في الموافقة كما جاء في الأثر : "فأشاروا عليه بأن يكتبها" (3) فإذا كان الأمر كما يزعمون فلماذا يَهْمُ عمر (إذن بالتدوين؟

وعلام وافقوه كلهم على هذا؟ ألا يدل هذا الهمّ والموافقة على حجية السنة عندهم كما سبق (4) 0

(1) عتبة بن فرقد صحابي جليل له ترجمة في الإصابة 455/2 رقم 5412، وتجريد أسماء الصحابة

371/1، وتاريخ الصحابة لابن حبان ص 187 رقم 979، واسد الغابة 561/3 رقم 3557

(2) أخرجه البخارى (يشرح فتح البارى) كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، وقدر ما يجوز منه

295/10 رقم 5828 0

(3) سبق تخريجه ص 264، 265 0

(4) راجع : ما سبق في الجواب عن شبهة النهى عن كتابة السنة ص 298، 299، وانظر : حجية

السنة للدكتور عبد الغنى ص 455 0

(420/1)

ويدل على أنهم من أنصار تدوين السنة المطهرة، وحفظتها رغم أنف الرافضة! ولا يمكن أن نستنتج

من همّ عمر بالتدوين ثم عدوله عنه أنه لم يكن راغباً في تدوين الأحاديث في كتب أو أن التدوين

منهى عنه، كلاً، إذ كيف يصح أن يهتم بشئ منهى عنه ويوافقه عليه الصحابة أجمع؟

وكيف يرفض تدوين السنة في حين أنه كتب إلى عمّاله كتاباً كما مر في كتابه إلى عتبة بن فرقد (؟) وهو

القاتل "قيدوا العلم بالكتاب" (1) ، وهو الجامع الوثائق الخاصة بالزكاة والخراج والمسائل المالية

الأخرى (2) ، وهو نفسه الذى أدخل نظام الدواوين في الأعمال الرسمية (3) 0

... كل هذه الحقائق تدحض دعوى الرافضة - الذين امتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً على الفاروق عمر

(، وزعمهم أنه تزعم دعوى منع تدوين السنة، وصار على دربه الصحابة فمن بعدهم من التابعين

وسائر أئمة أهل السنة 0

- (1) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب العلم 1/187، 188 رقمی 359، 360 وقال : صحيح من قول عمر، وقد أسند من وجه غير معتمد، ووافقه الذهبي وقال وصح مثله من قول أنس (0) وانظر : جامع بيان العلم 1/72، وتقييد العلم 87، 88، وكشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث سيد الأنام للأستاذ الدكتور عبد الموجود 1/108-110 0
- (2) سنن أبي داود كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة 2/98 - 99 رقم 1570 والأموال للقاسم بن سلام ص 367 رقم 934 0
- (3) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد 3/203، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 198 0

(421/1)

نعم إن السنة لم تدون في عهد ابن الخطاب لأن التدوين منهي عنه، بل لعل أساسية هي : إبعاد الأمة الإسلامية عن الخطأ الأثيم الذي ارتكبه أهل الكتاب من قبل بتبديل كتاب الله التوراة، والإنجيل بوصايا الرسل وجعلوها هي الكتب المنزلة (1) 0

كذلك حفاظاً على كتاب الله (والتمكين له أولاً في قلوب المؤمنين كما مر في وصيته لقرظة بن كعب) وهو متوجه إلى الكوفة 0

... لهذا خشى أن تدون السنة فينكب عليها المسلمون، ويتشاغلوا بها عن القرآن الكريم فيتشبهون بأهل الكتاب كما قال "ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً، فأكبو عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشئ" (2) 0

... من أجل هذا فهو يمتنع عن التدوين بعد أن استشار، وظل يستخير ربه شهراً كاملاً 0

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي "وكان الصواب ما رأى عمر، فالعصر عصر صحابة للنبي (لا عصر تابعين، وهم أشبه ما يكون بخواري عيسى عليه السلام، ولنا في أهل الكتاب تجربة حين سجل أصحاب النبي عيسى عليه السلام ما سمعوه وما رأوه، نسبت الأنجيل إليهم لا إلى عيسى ولا إلى الله، ... فكان الحذر والحيلة من عمر (بالعدول عن التدوين، إذ لو فعل لم يأمن أن تتعدد كتب

السنة بتعدد قائلها، وتتنوع بتنوع أسماء كاتبها، فتكون أناجيل في الأمة، ويهمل الكتاب الأصلي الذى هو درة التاج وقلادة العقد
لمن هذه البصيرة النافذة إن لم تكن لعمر بعد النبي (؟)
ولمن هذا القول الفصل إن لم يكن للفاروق بعد الرسول (؟)
ولمن هذا الحرص الشديد إن لم يكن لهذا الغيور على دينه؟
فياليت قومي يعلمون (3) 0هـ

-
- (1) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للأستاذ الدكتور رءوف شلبي ص 170،
171، وقارن بحجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 456، 457 0
(2) سبق تخريجه ص 265 0
(3) السنة في مواجهة أعدائها ص 243، 244 0

(422/1)

وعودة إلى أشهر ما كتب من السنة في زمن النبوة وبعده إلى زمن التدوين الرسمى
5- الصحيفة الصادقة التى كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص (عن رسول الله)، وإن لم
تصل هذه الصحيفة كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد وصل إلينا محتواها، لأنها محفوظة في مسند
الإمام أحمد (1)، حتى ليصح أن نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهد
رسول الله (، ويزيدنا اطمئناناً إلى صحة هذه الوثيقة أنها كانت نتيجة طبيعة محتومة لفتوى النبي (لعبد
الله بن عمرو، عندما أتى إلى النبي (وقال : "كنت أكتب كل شئ أسمع منك أريد حفظه فنهتني
قريش وقالوا : أتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله (بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن
الكتابة، (هنا يفى النبي (فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال : "اكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا
حق" (2) 0

... وآية اشتغال ابن عمرو بكتابة هذه الصحيفة وسواها من الصحف قول أبي هريرة (: "ما من
أصحاب رسول الله (أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا
أكتب" (3) 0

-
- (1) انظر : مسند عبد الله بن عمرو في مسند أحمد 158/2 - 0 226
- (2) أخرجه أبو داود في سنته كتاب العلم باب في كتاب العلم 318/3 رقم 0 3646
- (3) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب العلم، باب كتابة العلم 249/1 رقم 0 113

(423/1)

وهذا لا يعارضه ما روى أن أبي هريرة (كان يكتب، فعن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري (1) قال : "تحدثت عن أبي هريرة بحديث فأنكره فقلت إني سمعته منك، فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله (، فوجد ذلك الحديث، فقال : قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي" (2) 0

... ويمكن الجمع بين ذلك بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده 0

قال الحافظ ابن حجر : قلت : وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه" (3) 0

-
- (1) الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري المدني، نزيل مصر، تابعي، صدوق روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وعنه، عبيد الله بن أبي جعفر، وابن إسحاق، والمصريون 0 مات بالإسكندرية 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 10/2 رقم 5416، والكاشف 121/2 رقم 4462، والثقات للعجلي ص 383 رقم 1350، والثقات لابن حبان 0 296/5
- (2) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة الدوسي (584/3 رقم 6169، وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي : هذا منكر لم يصح، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 0 74/1
- (3) فتح الباري 250/1 رقم 0 13

(424/1)

6- والصحيفة الصحيحة التي كتبها همام بن منبه (1) ، زوج ابنة أبي هريرة (كتبها أمام أبي هريرة، وهذه الصحيفة مكانة خاصة في تدوين الحديث، لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام بن منبه عن أبي هريرة، فكانت جديرة باسم "الصحيفة الصحيحة" (2) على مثال "الصحيفة الصادقة" لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد سبقت الإشارة إليها0 ونحب أن ننبه أن مصطلح "صحيفة وكتاب وجزء ونسخة ... إلخ لا يعنى بالضرورة "مجموعات صغيرة أو مذكرة عن الحديث" كما كان يعتقد أحياناً وهذا ما أكد صحته الدكتور امتياز أحمد في كتابه "دلائل التوثيق المبكر للسنة" (3) 0 ... وهذه الكتابات السابقة وغيرها الكثير (4) ؛ تقطع بكتابة السنة المطهرة في عصر النبوة والصحابة والتابعين (5) 0

-
- (1) همام بن منبه هو : ابن كامل الصنعاني، أبو عتبة، أخو وهب0 روى عن أبي هريرة، ومعاوية، وعنه ابن أخيه عقيل بن معقل، ومعمّر، متفق على توثيقه0 مات سنة 132هـ على الصحيح0 له ترجمة في تقريب التهذيب 270/2 رقم 7343، والكاشف 339/2 رقم 5984، والثقات للعجلي ص 461 رقم 1750، والثقات لابن شاهين ص 344 رقم 1471 0
- (2) وهذه الصحيفة أخرجها الإمام أحمد بنصبها في مسنده 312/2 - 319، وقد طبعت عدة مرات بتحقيق الدكتور محمد حميد الله0 انظر : السنة النبوية0 مكانتها0 لفضيلة الدكتور عبد المهدي ص 119، وعلوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 32 0
- (3) ص 148، 158، 161 0
- (4) انظر : دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي 84/1 - 142، ودلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز ص 463 - 590 0
- (5) وفي تلك الكتابات رد على الأستاذ محمد رشيد رضا، ومن تابعه كمحمود أبو رية، والسيد صالح أبو بكر (في أن الصحابة لم يكتبوا، وعدم كتابتهم دليل على أنهم لم يريدوا أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن0 وسبق تفصيل الرد على ذلك ص 298-306 0

وتؤكد ما سبق وأن ذكرناه في التوفيق بين النهى عن كتابة السنة والإذن بكتابتها، وهو أن النهى دائر مع الخوف من علة النهى التى سبق تفصيلها، والإذن دائر مع الأمن منها (1)

... وهذا يؤكد أيضاً أن كل من نُقل عنه (أى من الصحابة والتابعين) النهى عن كتابة السنة فقد نُقل عنه عكس ذلك أيضاً (2) ، ما عدا شخصاً أو شخصين، وقد ثبتت كتابتهم أو الكتابة عنهم، وبذلك صرح الدكتور محمد مصطفى الأعظمى (3) ، وأكدته باستفاضة في كتابه (دراسات في الحديث النبوى) حيث عقد الفصل الأول من الباب الرابع لبيان كتابة الصحابة ومن كتب عنهم في حياتهم (4) ، والفصل الثانى فى "كتابة كبار التابعين، ومن كتب عنهم فى حياتهم (5) حتى زمن التدوين الرسمى فى عهد عمر بن عبدالعزيز (، بل وبعد زمنه أيضاً (6)

... كل ذلك يؤكد الحقائق التى سبق ذكرها من الفرق بين الكتابة، والتدوين وأن عمر بن عبد العزيز حينما أمر بالتدوين الرسمى للسنة لم يبدأ من فراغ ولكنه اعتمد على أصول الكتابات - التى سبق ذكر بعضها وكانت تملأ أرجاء العالم الإسلامى 0

-
- (1) راجع : علة النهى عن كتابة السنة ص 281، 288، 291، 292 0
 - (2) بل والندم على عدم الكتابة، كما روى عن عروة بن الزبير (إذ يقول : "كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أنى فديته بمالى وولدى وأنى لم امحه" 0 أخرجه الخطيب فى تقييد العلم ص 60 0
 - (3) انظر : دراسات فى الحديث النبوى 1/76 0
 - (4) انظر : المصدر السابق 1/92-142 0
 - (5) انظر : دراسات فى الحديث النبوى 1/143 - 167 0
 - (6) انظر : دراسات فى الحديث النبوى 1/168 - 325 0 فأين كل هذا مما زعمه الدكتور موريس بوكاى من أنه ليس هناك أية مجموعة أحاديث قد ثبتت نصوصها فى عصر النبى (0 انظر : دراسة الكتب المقدسة ص 152 0

وفي ذلك رد على الصنم الأكبر للمستشرقين (جولدتسيهر) ومن تابعه من بنى جنسه، وغيرهم من المفتونين بهم من أدعياء العلم : "من أنه ليس صحيحاً ما يقال أن الحديث وثيقة للإسلام في عهده الأول .. إلخ" (1) 0

نقد قاعدة شاخت :

... وأبلغ رد على "جوزيف شاخت" في أنه لا صحة لأى حديث منسوب للنبي (في أحاديث الأحكام، وأن المجموعة الأولى من أحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجرى 0 أبلغ رد عليه في ذلك ما سبق ذكره من كتاب النبي (إلى واليه (عمرو بن حزم () والكتاب في الصدقات، والديات، والفرائض، والسنن،
أليس هذا الكتاب في الأحكام الفقهية التى يشكك فيها شاخت؟

... وكذلك كتاب عمر إلى عامله عتبة بن فرقد بالنهاى عن الحرير، وكتابه في الزكاة، والخراج، والمسائل المالية الأخرى 0
وكتاب أبى بكر لعامله أنس بن مالك لما وجهه إلى البحرين 0
أليس ذلك وغيره مما ذكرناه، من أحاديث الأحكام الفقهية التى يزعم "شاخت" ومن صار على دربه أنها نشأت في منتصف القرن الثاني الهجرى؟!

(1) للاستزادة فى الرد على هذه الشبهة انظر : الحديث والحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 302، 303، والسنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص 195 - 197، والسنة قبل التدوين للدكتور عجاج ص 249، ومنهج النقد فى علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص 463-466

(427/1)

... ويقول الدكتور ظفر إسحاق الأنصارى (1) فى نقد قاعدة شاخت : "إن قراءة عابرة لكتاب (أصول الفقه المحمدى) لجوزيف شاخت توضح أن قاعدته فى البحث واستدلالاته سطحيان للغاية فقاعدته (المنهجية المزعومة) القائمة على إنكار وجود خبر أو أثر بناء على سكوت المصادر عنه، وهو ما يقوم عليه موقف شاخت من إنكار توثيق الأحاديث بصفة عامة 0 فقولہ : "إن حديثاً ما

سيعد غير موجود في وقت من الأوقات إذا لم يحتج بذلك الحديث في مواطن الخلاف حيث يكون الاستدلال به أمراً لازماً" (2) 0

... إنَّ التجاء شاخت إلى هذه الحجة بدا كأنه يوحي بأن علماء المسلمين في القرون الأولى كانوا في حالة (نقاش وجدل) مستمر، وهو افتراض يرفضه العقل السليم بداهة ولا تسلم لشاخت قاعدته إلا إذا سلمنا بالافتراضات الآتية :

1- أنه كلما ذكرت الأحكام الشرعية في القرون الأولى من الهجرة المباركة ذكرت معها أدلتها المؤيدة، ولا سيما الأحاديث 0

2- أن الأحاديث المعروفة لفقيه ما (أو محدث) ينبغي أن تعرض بالضرورة عند كل فقهاء عصره ومحدثيه في زمنه 0

3- أن جميع الأحاديث التي (نشرت) في عهد معين، قد دوت تدويناً كاملاً، وصارت مشهورة على نطاق واسع، وأصبحت محفوظة تماماً، بحيث أننا إذا لم نجد حديثاً في كتاب من كتب أحد العلماء المعروفين فهذا يعني بالضرورة، عدم وجود ذلك الحديث في عهده، سواء في منطقته أو في سائر أنحاء العالم الإسلامي آنذاك 0

... ولا يسلم واحد من هذه الافتراضات مع الشهادات التاريخية والحقائق المعروفة في تلك القرون الأولى 0

(1) مدير مركز البحوث الإسلامية - بالجامعة الإسلامية - إسلام آباد - باكستان 0

(2) أصول الفقه المحمدي ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا

العدد 698/11

(428/1)

أولاً : لأن من المصنّفات المتقدمة مدون فيها أحكام فقهية مستنبطة من آيات القرآن الكريم، ومن أحاديث نبوية دون أي إشارة إلى تلك الآيات أو الأحاديث حيث كان أولئك المؤلفون يكتبون بتسجيل آراء مذاهبهم، ولم يهتموا بالضرورة، ببيان الأحاديث عن رسول الله (أو عن الصحابة) لتأييد تلك الآراء، هذا إذا كان عنده علم بها، وقد يكون سبب عدم ذكره للحديث عدم بلوغه

وعلمه به أو لأنه لم يثبت عنده، أو لمعارضة الحديث لما هو أقوى منه سنداً أو دلالة، كالإمام مالك -رحمه الله- في تقديمه عمل أهل المدينة على خبر الواحد⁰ ثانياً : "إن الإحاطة بحديث رسول الله (لم تكن لأحد من الأمة، وقد كان النبي (يحدث، أو يفتي أو يقضى، أو يفعل الشيء، فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً، ويبلغه أولئك - أو بعضهم - لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله تعالى من العلماء، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم⁰ ثم في مجلس آخر قد يحدث، أو يفتي، أو يقضى، أو يفعل شيئاً، ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم⁰ فيكون عند هؤلاء من العلم، ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء⁰ وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم، بكثرة العلم، أو جودته⁰ وأما إحاطة واحد بجميع حديث رسول الله (، فهذا لا يمكن ادعاؤه قط⁰ واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين (الذين هم أعلم الأمة بأمور رسول الله (وسنته، وأحواله⁰

... وإذا كان هذا هو حال أعلم الأمة وأفقهها، وأتقها وأفضلها؛ فمن بعدهم أضعف وخفاء بعض السنة عليهم أولى، فلا يحتاج ذلك إلى بيان⁰

... فمن اعتقد، أن كل حديث قد بلغ كل واحد من الأئمة، أو إماماً معيناً، فهو مخطئ خطأ فاحشاً قبيحاً" (1) ⁰

(1) رفع الملام عن الأئمة لأعلام لابن تيمية ص 9، 10، 17، وانظر : علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 303 وما بعدها⁰

(429/1)

ثالثاً : لا يسلم الافتراض الثالث لما هو معلوم، وسيأتي أن السنة النبوية قد مرت بمراحل ثلاث :
1-الكتابة، 2-التدوين، 3-التصنيف⁰

... "ولا يقولنَّ قائلٌ : إنَّ هذه الأحاديث قد دونت وجمعت فخفاؤها والحال هذه بعيد، لأن هذه الدواوين المشهورة في السنن، إنما جمعت بعد ذهاب الأئمة المتبوعين (رحمهم الله) ومع هذا، فلا يجوز

أن يدعى انحصار حديث رسول الله (في دواوين معينة⁰

... ثم لو فرض انحصار حديث رسول الله (فيها، فليس كل ما في الكتب يعلمه العالم، ولا يكاد ذلك يحصل لأحد، بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة، وهو لا يحيط بما فيها" (1) 0
... وهكذا لم يسلم واحد من الافتراضات الثلاثة حتى تسلم لشاخذ قاعدته⁰

يقول الدكتور ظفر : "ويكون من المفيد البحث عن الأحاديث التي وجدت في الكتب السابقة، ولكنها لم تذكر في الكتب اللاحقة، وهذا يعنى إمكان العمل على طريق معاكس لافتراض شاخذ، وهذا سوف يأتى بنتائج مهمة للغاية، لأنه إذا كان من الممكن وهو في نظرنا من الممكن - أن نثبت أن كثيراً من الأحاديث الواردة في كتب متقدمة لا توجد في كتب

(1) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص 17، 18 0

(430/1)

متأخرة، فضلاً عن الكتب المعاصرة، وكان ذلك لأن فقهاء العصر الذى نتكلم عنه لم يعتبروا أنفسهم ملزمين بذكر الأحاديث الكثيرة التي عرفوها ولو كانت مؤيدة لأرائهم، هذا فضلاً عن الأحاديث التي لم يحيطوا بها علماً كما سبق، فهذا كله يضع استدلال شاخذ موضع شكوك خطيرة، ويبطل قاعدته التي على أساسها كان تشكيكه في الأحاديث والوثوق بها بصفة عامة

... وحتى يظهر بطلان قاعدة شاخذ قام الدكتور ظفر بعقد مقارنة لطائفة من الآراء الفقهية لبعض فقهاء القرن الثاني الهجرى، وذلك من خلال مقارنة "موطأ الإمام مالك" برواية (يحيى الليثي) (1) ورواية (الشييباني) (2) حيث أن عدداً كبيراً من الأحاديث الموجودة بموطأ مالك برواية يحيى الليثي، ولا توجد بموطأ رواية الشييباني⁰ على الرغم من أن الشييباني كان الأصغر سناً، وتأخر عهده عن الإمام مالك⁰ والأعجب من ذلك أننا نرى أحياناً أن بعض أحاديث الموطأ للإمام مالك التي تؤيد آراء مذهب الإمام الشييباني، لا توجد في موطأ الشييباني أصلاً⁰

(1) يحيى الليثي هو : يحيى بن يحيى بن كثير الليثي مولا هم القرطبي، أبو محمد، صدوق فقيه، قليل الحديث ، وله أوهام مات سنة 234هـ، على الصحيح 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 318/2 رقم 7697، وتهذيب التهذيب 300/11 رقم 580، وسير أعلام النبلاء 519/10 رقم 168، وشذرات الذهب 82/2، والديباج المذهب ص 431 رقم 608

(2) الشيباني : هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، قال في الميزان : لينه النسائي وغيره من قبل حفظه 0 وقال ابن عدى لم تكن له عناية بالحديث، وقد استغنى أهل الحديث عن تخريج حديثه وكان من بحور العلم قوياً في مالك 0 له ترجمة في : سير أعلام النبلاء 134/9 رقم 45، ولسان الميزان 121/5 رقم 410، ووفيات الأعيان 184/4 رقم 567، وشذرات الذهب 321/1، والجروحين لابن حبان 275/2، والجرح والتعديل 227/7 رقم 1253 0

(431/1)

... وهذا مثلاً لتأكيد ما قلناه : يشتمل باب أوقات الصلاة في الموطأ برواية يحيى الليثي على ثلاثين حديثاً (1)، بينما لا نجد منها في موطأ مالك برواية الشيباني (2) إلا أربعة أحاديث (3) 0

... وهكذا مرت السنة النبوية منذ عهد النبوة المباركة بمراحل ثلاث حتى ظهور المصنفات الحديثية :
1-الكتابة 2-التدوين 3-التصنيف 0

... وفي ذلك يقول العلامة فؤاد سزكين في "تاريخ التراث العربي" يقول : "فقد مرت مكتبة الحديث بالمراحل التالية :

أ- كتابة الأحاديث : وقد سجلت الأحاديث في هذه المرحلة في كراريس الواحد منها له اسم

الصحيفة أو الجزء، وامت هذه المرحلة في عصر النبوة والصحابة وأوائل التابعين 0

ب- تدوين الحديث : وفي هذه المرحلة ضمنت التسجيلات المتفرقة، وتم هذا في الربع الأخير من القرن الأول للهجرة، والربع الأول من القرن الثاني 0

(1) انظر : الموطأ برواية يحيى الليثي 37/1 وما بعدها 0

(2) انظر : الموطأ برواية الشيباني ص 31 وما بعدها 0

(3) انظر : مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة 587/2 - 595، وانظر: توثيق

الأحاديث النبوية (نقد قاعدة شاخت، للدكتور ظفر ترجمة الأستاذ جمال محمد نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 694/11 - 706 0 ومزيد من الرد على شاخت في كتابه أصول الفقه الحمدي، انظر : دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي 440/2 - 456 0

(432/1)

ج- تصنيف الحديث : وقد رتب الأحاديث في هذه المرحلة وفق مضمونها، في فصول وأبواب، وبدأ هذا مع الربع الثاني من القرن الثاني، واستمر إلى أن ظهرت في أواخر القرن الثاني للهجرة طرق أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء صحابة رسول الله (في كتب يحمل الواحد منها اسم المسند" (1) أهـ 0

حتى إذا أطل علينا القرن الثالث الهجري كانت السنة النبوية قد استقرت في بطون الكتب المعروفة لدينا الآن وعلى رأسها الكتب الستة (2) ومسند الإمام أحمد، ومن أجل هذا، ولأنه العصر الذهبي لتمييز فيه صحيح السنة من ضعيفها اعتبره العلماء العصر الذهبي للسنة المطهرة (3)

-
- (1) تاريخ التراث العربي المجلد 1/119، وانظر : السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي ص 160 - 195، وتوثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته للدكتور رفعت فوزي ص 23-71 0
 - (2) الكتب الستة هي صحيح البخاري ومسلم، وسنن كل من : الترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه وهناك غيرها كثير صدر في القرن الثالث الهجري وفيما بعده من القرون مثل سنن الدارمي، والدارقطني، وصحيح ابن حبان، وابن خزيمة، ومصنف ابن أبي شيبة، وسنن سعيد بن منصور، وسنن البيهقي، وغيرها كثير وكثير 0 انظر : الرسالة المستطرفة للكتاني ص 10-62، وفي رحاب السنة الكتب الصحاح الستة لدكتور محمد أبو شهبة ص 25-28 0
 - (3) انظر : لمحة عابرة عن التدوين في القرنين الثاني والثالث بعبارة موجزة للحافظ ابن حجر في هدى الساري ص 8-9، والحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 316 - 420، وعلوم الحديث للدكتور مروان شاهين ص 67-90 0 وانظر : مقارنة بين الأسس التي تم بموجبها جمع وتدوين السنة النبوية ومقارنة ذلك بطرق وجمع وتدوين الأناجيل في منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة علي طه ص 480 - 493 0

... هذا ولم يكن تدوين السنة قائماً على المكتوب فقط وإنما كان قائماً جنباً إلى جنب بجانب الحفوظ في الصدور، فالعبرة عند المحدثين بالعدالة، والضبط وهو نوعان :

1- ضبط صدر وهو : أن يحفظ الراوى ما سمعه ويثبت منه ويعيه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء إن حدث حفظاً⁰

2- ضبط كتاب وهو: أن يصون الراوى كتابه من أن يتطرق إليه خلل من حين كتابته أو سماعه إلى أن يؤدي منه ولا يدفعه إلى من يمكن أن يغير فيه إن كان منه يروى (1) وعلى هذين النوعين كان تبليغ سنة النبي(على مر العصور، وبالحفظ أكثر في القرون الأولى (2) 0
كما أن الحفظ أقوى من الكتابة لبعده عن التصحيف والغلط، ومن هنا فهو مرجح على المكتوب إذا تعارض حديث مسموع وحديث مكتوب⁰

قال الآمدى : "وأما ما يعود إلى المروى فترجيحات الأول : أن تكون رواية أحد الخبرين عن سماع من النبي (والرواية الأخرى عن كتاب⁰ فرواية السماع أولى: لبعدها عن تطرق التصحيف والغلط" (3) 0

-
- (1) توضيح الأفكار 119/2-120، وتدريب الراوى 301/1، وفتح المغيـث للسخاوى 314/1، وانظر : مقاصد الحديث في القديم والحديث لفضيلة الدكتور مصطفى التازى 64/2، واختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان ص 397-409 0
- (2) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى مبحث (الكتابة ليست من لوازم الحجية والكتابة لا تفيد القطع ص 399-402، والمكانة العلمية لعبد الرزاق بن همام فى الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار مبحث "الكتابة ليست أوثق من الحفظ القلبي إذا توافرت دواعيه 239/1، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 2332 لسنة 1396هـ 1976م 0
- (3) الإحكام للآمدى 215/4، وانظر : الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ للحازمى ص 64 0

... ويدل على أن الكتابة دون الحفظ قوة ما هو مقرر عند أهل الحديث والأصول أن أعلى وجوه الأخذ من الشيخ سماع لفظه، واتفاقهم على صحة رواية الحديث بالسماع (1) ، واختلافهم في صحة الرواية بطريق المناولة أو المكاتبه 0 مع ترجيح تصحيحهما (2) 0

... وفوق كل هذا دلالة على قوة الحفظ في المكانة عن الكتابة أن الاعتماد في نقل القرآن الكريم والقطع به، إنما حصل على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب 0 فالحفظ وحده كان الاعتماد عليه في نقل القرآن الكريم في عهد النبي (، وعمر وسنين من عهد عثمان، لأن تلك القطع التي كتب فيها القرآن في عهد النبي (كانت مفرقة عند بعض الصحابة لا يعرفها إلا من هي عنده، وسائر الناس غيره يعتمدون على حفظهم 0 ثم لما جمعت في عهد أبي بكر لم تنشر هي ولا الصحف التي كتبت عنها، بل بقيت عند أبي بكر، ثم عند عمر، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين حتى طلبها عثمان، ثم اعتمد عليه في عامة المواضع التي يحتمل فيها الرسم وجهين أو أكثر، واستمر الاعتماد عليه حتى استقر تدوين القراءات الصحيحة" (3) ، وكان الاعتماد عليها وعلى نقل القرآن بالحفظ 0

-
- (1) تدريب الراوى 8/2، وفتح المغيـث للسـخاوى 20/2، وتوضيح الأفكار 295/2 0
(2) تدريب الراوى 44/2-58، وفتح المغيـث للسـخاوى 100/2 - 127، وتوضيح الأفكار 329/2 - 343، وإرشاد الفحول 252/1، 253 0
(3) الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمى ص 77 0

(435/1)

... يقول المحقق ابن الجزرى : (1) "ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب 0 وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن النبي (قال : "إن ربي قال لى قم فى قريش فأنذرهم، فقلت له : أى رب إذن يثْلَعُوا رَأْسِي حتى يدعوه حُبْرَةٌ فقال : إني بمتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يُغْسِلُهُ الماء، تُقَرَّوهُ نَائِماً وَيَقْظَان، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك" (2) 0 فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ فى كل حال

كما جاء في صفة أمته : "أنا جيلهم صدورهم"0 وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب" (3) 0

ويقول الشيخ محمد الزرقاني -رحمه الله- : "قلنا غير مرة إن المعوّل عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقى والأخذ، ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام إلى النبي (، وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب، إنما هي مرجع جامع للمسلمين، على

-
- (1) ابن الجزرى هو: محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزرى، أبو الخير، كان إماماً في القراءات لا نظير له، حافظاً للحديث وغيره أتقن منه، ولى قضاء الشام وشيراز، من مؤلفاته : النشر في القراءات العشر، وطبقات القراء، وغير ذلك مات سنة 833هـ له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطى ص 549 رقم 1183، والدرر الكامنة لابن حجر 3/395، وطبقات المفسرين للداودى 2/64 رقم 430، وشذرات الذهب 7/204، والبدر الطالع للشوكاني 2/257 0
- (2) مسلم (شرح النووي) كتاب الجنة، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار 9/214 رقم 2865 0
- (3) النشر فى القراءات العشر 1/6، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 407، ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني 1/243 0

(436/1)

كتاب ربهم، ولكن فى حدود ما تدل عليه وتعينه، دون ما لا تدل عليه ولا تعينه0 وقد عرفت أن المصاحف لم تكن منقوطة، ولا مشكولة، وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، وإذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه فى مصحف، ثم كتبت فى مصحف آخر بوجه آخر وهلم جراً0

... فلا غرو أن كان التعويل على الرواية والتلقى هو العمدة فى باب القراءة والقرآن (1)

نقول : كل هذا رداً على من يشككون فى تدوين السنة على الحفوظ فى الصدور بحجة أن الحفظ خوان (2) ، وقوة حفظ الحفاظ خرافة (3) ، لأن الحفظ وإن كان خوان وضعيف عندهم وعند أهل

العصور المتأخرة في زماننا فلا يصح هذا القول في عرب العصور الأولى الذين كان جُلُّ اعتمادهم في تواريتهم وأخبارهم وسائر أحوالهم على الحفظ (4) 0

وازداد عندهم هذا الأمر بعد دخولهم في الإسلام، وقضيههم الله (لحفظ الشرع وصيانته وحمله وتبليغه لمن بعدهم (5) 0

(1) مناهل العرفان للزرقاني 411/1 0

(2) أضواء على السنة ص 268 0

(3) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 571/10،

وانظر : بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمن لاسماعيل منصور ص 23، 133 0

(4) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 403، وضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ

الصديق بشير ص 126 0

(5) انظر : حجية السنة ص 404، وضوابط الرواية عند المحدثين ص 124، 128، ومبحث نوادر

الحفظ وعجائب الحفاظ ص 129 0

(437/1)

فكانوا يتذكرون حديث رسول الله (فرادى أو مجتمعين مع اليقظة، وشدة التحرى، وبذل الوسع في إصابة النص الوارد عن المعصوم (وحفظه، عملاً بتوجيهه (، في الحث على حفظ السنة وتبليغها في قوله: "نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (1) وقوله (لوفد عبد القيس -بعد أن أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: "احفظوه وأخبروا به من وراءكم" (2)

... فعن أنس بن مالك (قال : "كنا نكون عند النبي (، وربما كنّا نحوّاً من ستين إنساناً فيحدثنا

رسول الله (، ثم يقوم فنتراجعه بيننا، هذا، وهذا، وهذا، فنقوم وكأنا قد زرع في قلوبنا" (3) 0

... وعن أبي هريرة (قال : "إني لأجزئ الليل ثلاثة أجزاء فثلث أنام وثلث أقوم، وثلث أتذكر

أحاديث رسول الله ((4) 0 كما كان ابن عباس وزيد بن أرقم يتذاكران السنة (5) ، كما تذاكر أبو

موسى وعمر بن الخطاب حتى الصبح (6) 0

وحفلت مذكره السنة بتوجيه الرسول (وتقريره لها0
... فعن معاوية بن أبى سفيان قال : ... وكنت مع النبى (يوماً فدخل المسجد فإذا هو يقوم فى
المسجد قعود، فقال النبى (: ما يقعدكم؟ قالوا : صلينا الصلاة المكتوبة ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله
وسنة نبيه (، فقال (: "إن الله إذا ذكر شيئاً تعظم ذكره" (7) 0

-
- (1) سبق تخريجه ص 273 0
 - (2) سبق تخريجه ص 274 0
 - (3) أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه 263/2 رقم 950، والإلماع للقاضى عياض ص 142 0
 - (4) الدارمى فى سننه المقدمة، باب العمل بالعلم وحسن النية فيه 94/1 رقم 264، والجامع
لأخلاق الراوى 319/2، 320 0
 - (5) مسند أحمد 374/4 0
 - (6) أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه 267/2 رقم 954 0
 - (7) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب إن الله تعالى إذا ذكر شيئاً تعظم ذكره 172/1
رقم 321 وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي0

(438/1)

بل كان (يستمع لمذاكرتهم، ويوجههم إلى الدقة فى الحفظ وبذل الطاقة فى إدراك النص وحفظه كما
جاء فى حديث البراء بن عازب وتعليم النبى (له دعاء النوم، فلما سمعه من رسول الله (قال :
"فرددتهن لاستذكرهن فقلت آمنت برسولك الذى أرسلت قال قل : آمنت بنبيك الذى أرسلت"
(1) 0

وفى الحث على مذاكرة السنة وحفظها كان الصحابة (يحضون، فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب
(يقول : "تذاكروا الحديث فإنكم إلا تفعلوا يندرس" (2) 0
... وعن أبى سعيد الخدرى (قال : "تذاكروا الحديث فإن مذاكرة الحديث تهيج الحديث" (3) وروى

مثل ذلك عن ابن سعود وابن عباس وغيرهم، وعلى دريهم صار التابعون فمن بعدهم (4) 0

الجواب على ما يزعمه بعض غلاة الشيعة بأن لهم فضل السبق في التدوين :

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة مواضع منها : كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء 426/1 رقم 247، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع 38/9 رقم 2710 واللفظ له 0
 - (2) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب فضيلة مذاكرة الحديث 173/1 رقم 324 0
 - (3) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب فضيلة مذاكرة الحديث 173/1 رقم 323 0
 - (4) انظر : دراسات فى الحديث للدكتور الأعظمى 330/2 - 334، وانظر : كشف اللثام للدكتور عبد الموجود 72/1 - 79 0

(439/1)

سبق وأن فصلنا بالأدلة القوية أن السنة النبوية كُتبت فى عهد النبوة وبإذنه (كما أنها كُتبت فى عهد الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وأصبحت كتابة السنة فى مرحلة مبكرة (فى عصر النبى نفسه) حقيقة لا تقبل الشك ولا ينكرها إلا جاحد، وعلى تلك الكتابات بجوار المحفوظ فى الصدور اعتمد عمر بن عبد العزيز فى التدوين الرسمى للسنة المطهرة فكان له الفضل كل الفضل رغم أنف أعداء السنة المطهرة (1) 0

-
- (1) كإسماعيل منصور الذى وصف تدوين الخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه "كان مخالفاً للمنهادج النبوى الأمثل، ولمنهادج الصحابة الأفاضل، كل المخالفة، وبذلك فقد وقعت به أكبر كارثة فى تاريخ المسلمين" 0 انظر تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 232، والرافضى على الشهرستانى يصفه بعدم خلوص النية فى التدوين 0 انظر : منع تدوين الحديث ص 309 0

(440/1)

ولم لا يكون له الفضل وقد تحقق على يده ما تنبأ به النبي (1) من تدوين سنته المطهرة في قوله (:
"أى الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا الملائكة قال : وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ وذكروا الأنبياء
قال : وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا فنحن؟ قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟
قالوا فمن يا رسول الله؟ قال قوم يأتون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بها" (2) 0 قال الحافظ
السخاوى : استدل بهذا الحديث على الوجداء وهو علم من أعلام النبوة من إخباره عما سيقع، وهو
تدوين القرآن وكتبه في صحفه وكتابة الحديث" (3) 0

... ويقول الدكتور على السالوس : رداً على دعوى أن الشيعة لهم فضل السبق في التدوين قال :
"والفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، ولها عقائد خاصة بها، لم تظهر كتبها إلا بعد استقرار عقائدها،
ووضوحها لدى معتنقيها 0 وهذا أمر بديهي، لأن الكتب إنما توضع لتأييد هذه العقائد، والدعوة لها،
فلا بد أن تسبق العقائد هذه الكتب بل إن هناك مرحلة تلى العقائد وتسبق الكتب، وهى وضع
الأخبار وتنقلها والاحتجاج بها قبل أن تجمع في كتاب، وقبل أن يوضع كتاب مرة واحدة 0

(1) بل وكان فعله (تحقيقاً لما هم به أبيه عبد العزيز بن مروان عندما كان والياً على مصر، وجده
عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم أجمعين - انظر : السنة قبل التدوين 373 - 375 0
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة باب ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين
96/4 رقم 6993 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي بل محمد = ابن
أبي حميد ضعفه 0 والحديث عزاه الهيثمي إلى البزار بسند حسن في مجمع الزوائد 65/10، وأشار إلى
تصحيحه الحافظ السخاوى في فتح المغيث 140/2 0 وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير
0 41، 42/1

(3) فتح المغيث للسخاوى 144/2 0

(441/1)

... فبالنسبة للشيعة مثلاً : وجدنا بعد موت كل إمام حدوث تفرق جديد، فكانت كل فرقة تحتج
بأخبار تؤيد ما انتهت إليه في تلك المرحلة، إلى أن تصل إلى الإمام الأخير الذى تستقر عنده آراؤها،
وما كانت أى فرقة لتضع أخباراً في إمام إلا بعد ولادته، لأنها لا تعلم الغيب في واقع الأمر، وإن زعم
منها من زعم أنه يعلم مثل هذا العلم" 0

ثم أخذ فضيلة الأستاذ الدكتور السالوسى يؤكد كلامه ببعض ما جاء فى كتاب من كتب الشيعة أنفسهم، وهو كتاب فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختى، وسعد بن عبد الله القمى، والاثنان عاشا فى القرن الثالث، وأدركا بداية القرن الرابع وبعد أن فصل ذلك قال : "ونلاحظ أن كل هذه الفرق أكدت أن الحسن العسكرى لا خلف له ما عدا فرقة مع فرقة الإمامية⁰ ومعنى هذا أن الشيعة الإثنى عشرية لم تبدأ فى وضع الأخبار التى تتصل بالإثنى عشر إماماً إلا بعد الحسن العسكرى، أى فى النصف الثانى من القرن الثالث⁰ وبعد هذا تبدأ مرحلة الكتب⁰ والواقع العملى يؤيد ما بينته هنا، فكتب الحديث الأربعة المعتمدة عندهم أولها ظهر فى القرن الرابع، وهو الكافى - الذى يعد عندهم مثل البخارى عندنا - ثم جاء بعده باقى الكتب" (1) 0 فأين فضل سبق التدوين الذى يزعمونه كذباً؟!

الجواب على ما يزعمه بعض الرافضة أن أهل السنة وفى مقدمتهم أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- أضاعوا سنة نبىهم (

(1) مع الشيعة الإثنى عشرية 3/83-104، وراجع كيفية أخذ الشيعة العلم من أهل البيت، وكيف أن جميع فنونهم من الكلام والعقائد والتفسير ونحوها مستمدة من كتب غيرهم، وانظر حال رواة كتب الحديث الأربعة عندهم والمملوءة بمن هو فاسد العقيدة، وكذاب بإجماعهم، فى مختصر التحفة الإثنى عشرية للألوسى 69، 66 0 وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية للدكتور = عمر الفرمائى مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص 47-61 0

(442/1)

هذا الزعم بهتان عظيم لا يجزئ على القول به إلا شيعة غلاة ملاحدة ومن قال بقولهم من أعداء الإسلام؛ لأن السنة النبوية من الذكر الذى وعد رب العزة بحفظه فى قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) 0 وسبق تفصيل ذلك بأدلته من الكتاب، والسنة، والعقل، والتاريخ (2) 0

ولو كانت السنة النبوية المطهرة ضائعة غير محفوظة كما يزعم الرافضة ما طالب رب العزة عباده باتباع سنة نبىه (والتحذير من مخالفة أمره، كما قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ

فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (3) وقال تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)
(4) 0

ثم كيف يصح أن يسند رب العزة إلى نبيه (مهمة البيان في قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (5) ثم يضيع هذا البيان!!
... وكيف يصح أيضاً أن يطالب النبي (أمته بالتمسك بسنته كما قال (: "فعلیکم بسنتی وسنة
الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ" (6) وقال (: "تركت فيكم شيئين لن
تضلوا بعدهما كتاب الله عز وجل وسنتي؟! (7) فلو كانت السنة

المطهرة غير محفوظة أو يمكن أن يلحقها التحريف والتبديل والضياع لكان ذلك القول تكذيب لرب
الغرة بما أخبر به في كتابه من الوعد بحفظ سنة نبيه (التي أمرنا باتباعها وتحكيمها في كل شئون
حياتنا، وذلك في عشرات الآيات القرآنية0

(1) الآية 9 من سورة الحجر0

(2) راجع : ص 198-212 0

(3) الآية 63 من سورة النور0

(4) الآية 7 من سورة الحشر0

(5) الآية 44 من سورة النحل0

(6) سبق تخريجه ص 38 0

(7) سبق تخريجه ص 196 0

(443/1)

فالقول بضياع السنة النبوية لا يقوله مسلم، ويكذبه الواقع التاريخي الذي يشهد بنقل سنة النبي (من
قول، أو فعل، أو تقرير حتى الحركات والسكنات، وبالجملية نقلت حياته كلها برمتها في عباداته
ومعاملاته، في سلمه وحربه، وفي نومه ويقظته، في أدق الأمور، وفيما نعه من أسرار حياتنا،
كمعاشرته، وما يقوله عندما يخرج من بيته، إلى غير ذلك نقلت حياته برمتها ووكلياتها وجزيئاتها بماذا؟

بأدق طرق النقل الذى لا تعرف له الدنيا مثيلاً، فكان فى ذلك التطبيق، وكان فى ذلك النقل، وكان فى ذلك التدوين إشارة قوية إلى أن الله (تكفل بحفظ هذه السنة النبوية بما هيأ لها من رجال أفنوا أعمارهم فى ضبطها والسهر عليها، وتدوينها، وحفظها، وشرحها وتمييز صحيحها من سقيمها، فنقشوها فى صفحات قلوبهم الأمانة، وفى كتبهم الواعية، فكان تكفله (بحفظ كتابه فى قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) يشمل السنة النبوية حيث قيض الله لها من ثقات الحفظة من الرواة الثقات العدول، والأئمة الأعلام ما قيض لكتابه العزيز من ثقات الحفظة فى كل قرن، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها (2) 0

(1) الآية 9 من سورة الحجر 0

(2) مؤتمر السنة النبوية ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة (بحث للشيخ عز الدين الخطيب، وتعقيب فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم 558/2 - 560، 602 بتصرف وتقديم وتأخير 0

(444/1)

... وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى فى المسألة الثانية عشرة : (هذه الشريعة معصومة من الضياع والتبديل إلى أن تقوم الساعة) بعد أن تحدث عن حفظ القرآن الكريم وقال فيه "أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر، فضلاً عن القراء الأكابر" قال عن حفظ السنة النبوية : "ثم قيض الحق سبحانه رجالاً يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله (، وعن أهل الثقة والعدالة من النقلة، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوى فى الأخذ لفلان عن فلان، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله ((1) فى بطون كتب السنة الموجودة بين أيدينا الآن، ولم يفقد منها شئ 0 يقول الإمام الشافعى -رحمه الله- : "لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شئ فإذا جمع علم عامة أهل العلم بما أتى على السنن ... وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها : دليلاً على أن يطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه، حتى يأتى على جميع سنن رسول الله (، بأبى هو وأمى، فيتفرد جملة العلماء بجمعها وهم درجات فيما وعوا منها" (2) 0

- (1) الموافقات للشاطبي 368/2 - 371، وراجع من نفس المصدر 32/1، 70 0 مقابلة بما سبق في الرد على شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها ص 198-212 0
- (2) الرسالة للشافعي ص 42، 43 رقم الفقرات 139، 140، 141 0

(445/1)

... يقول الأستاذ أحمد شاكر - رحمه الله - معقباً على كلام الإمام الشافعي : "هذا الذي قاله الشافعي في شأن السنن : نظر بعيد، وتحقيق دقيق، وإطلاع واسع على ما جمع الشيوخ والعلماء من السنن في عصره، وفيما قبل عصره 0 ولم تكن دواوين السنة جمعت إذ ذاك، إلا قليلاً مما جمع الشيوخ مما رويوا 0 ثم اشتغل العلماء الحفاظ بجمع السنن في كتب كبار وصغار، فصنف أحمد بن حنبل - تلميذ الشافعي - مسنده الكبير المعروف، وقال يصفه : "إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله (فارجعوا إليه، فإن كان فيه، وإلا فليس بحجة 0 ومع ذلك فقد فاتته شئ كثير من صحيح الحديث، وفي الصحيحين أحاديث ليست في المسند 0

... وجمع العلماء الحفاظ الكتب الستة، وفيها كثير مما ليس في المسند، ومجموعها مع المسند يحيط بأكثر السنة، ولا يستوعبها كلها 0 ولكننا إذا جمعنا ما فيها من الأحاديث مع الأحاديث التي في الكتب الأخرى المشهورة، كمستدرك الحاكم، والسنن الكبرى للبيهقي، والمنتقى لابن الجارود، وسنن الدارمي، ومعجم الطبراني الثلاثة، ومسند أبي يعلى، والبزار : إذا جمعنا الأحاديث التي في هذه الكتب استوعبنا السنن كلها إن شاء الله، وغلب على الظن أن لم يذهب علينا شئ منها، بل نكاد نقطع به 0 وهذا معنى قول الشافعي : "إذا جمع علم عامة أهل العلم بما أتى على السنن 0 وقوله "فيتفرد جملة العلماء بجمعها" وكان الشافعي قد قاله نظراً، قبل أن يتحقق بالتأليف عملاً، لله دره

(1) 0 0 0

وبعد

... فهذه سنة النبي (مستقره في بطون الكتب المعتمدة من علماء الأمة الثقات مميّزاً صحيحها من ضعيفها فمنها :

(446/1)

ما هو معلوم الصحة كالصحيحين (للبخارى والمسلم)، والموطأ والمستخرجات، وصحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح أبي عوانة، والصحاح لابن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمختارة لضيء المقدسى، ومستدرك الحاكم على ما فيه من تعقبات (1) 0 ومنها ما جمع بين الصحيح، والحسن، والضعيف وهو منبه عليه في كتبهم أو مميزاً محكوم عليه في تخريجهم، وذلك ككتب السنن وعلى رأسها السنن الأربعة : وهى سنن أبي داود، والترمذى والنسائى، وابن ماجة، وكذا سنن الدارمى، والدراقطى وسنن سعيد بن منصور، والسنن الكبرى للبيهقى، وغيرها الكثير (2) ، هذا فضلاً عن كتب المسانيد، ومن أشهرها وأجمعها مسند الإمام أحمد، ومسند أبي يعلى الموصلى، ومسند أبي داود الطيالسى وغيرهم الكثير (3) 0 وكذا كتب المصنفات كمصنف عبد الرازق، ومصنف ابن أبي شيبة (4) ، وكتب المعاجم ومن أشهرها معاجم الطبرانى الثلاثة (الصغير، والكبير، والأوسط) (5) 0 ... وهذه الكتب الحديثية وغيرها الكثير تتحدى فى طرق جمعها وتدوينها وصحتها طرق أهل الكتاب فى جمع وتدوين عهدهم القديم والجديد (6) 0

(1) الرسالة المستطرفة ص 20 وما بعدها 0

(2) المصدر السابق 37 0

(3) المصدر نفسه 62 0

(4) الرسالة المستطرفة ص 40 0

(5) المصدر السابق ص 135 0

(6) راجع: منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 460-550 حيث عقدت مقارنة بين السير الذاتية لأصحاب الكتب الستة وبين سير أصحاب أسفار العهد الجديد، وبين شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث، وتطبيق هذه الشروط على أسفار العهد الجديد 0

(447/1)

وتتحدى طرق الشيعة الرافضة الممتلئة كتبهم وعلى رأسها أصولهم الأربعة (الكافي) و (من لا يحضره الفقيه) و (التهذيب) و (الاستبصار) بالكذابين والملاحدة، والشعوبيين، وفاسدى العقيدة، والمذمومين من أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص (ورغم هذا يصرح علماؤهم بأن كل ما فى هذه الأربعة صحيح واجب العمل به (1)، وسبب ذلك أن دينهم من أصله فاسد، وهل يثمر الفاسد إلا الفساد؟ (2) 0هـ

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

-
- (1) انظر : أصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص 210-219 0
(2) انظر: مختصر التحفة الإثني عشرية ص 69 0 ومقدمة محقق الكتاب الأستاذ محب الدين الخطيب 0

(448/1)

ثالثاً : شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها

... زعم أعداء السنة من غلاة الشيعة، والمستشرقين، ودعاة اللادينية : أن تأخر تدوين السنة كان له ضرر كبير على السنة من روايتها بالمعنى، وزعموا بأن رواية الحديث بالمعنى هى القاعدة الأصلية الثابتة المقررة عند علماء الحديث، حيث كان اهتمامهم بالمعنى أكثر من اهتمامهم باللفظ حتى وصلت إلينا الأحاديث وقد انطمست معالم ألفاظها ومعانيها، ولذلك لم يحتج النحاة بالأحاديث المروية، ولم يستشهدوا بها فى إثبات اللغة أو قواعد النحو، لأن ألفاظها مرهونة بالتأثر الشخصى للرواة (1) 0

... تلك هى خلاصة شبهة أعداء الإسلام حول رواية الحديث بالمعنى، والتى من خلالها يشككون فى حجية السنة النبوية، ومكانتها التشريعية 0

(1) دراسات محمدية لجولدتسيهر ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 571-573 وانظر : مجلة المنار المجلد 9 ص 911، 913 مقال الدكتور توفيق صدقي "الإسلام هو القرآن، وحدة" وأضواء على السنة ص 20، 21، 76 - 82، 97، 107، 259، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ص 35، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 104، 177، 220، 238، 239، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 58، 61، 162، ونقد الخطاب الديني للدكتور لنصر أبو زيد ص 119، 126، ونقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية للدكتور حسين الحاج، 315/1 - 325، وانظر : له أيضاً أدب العرب في صدر الإسلام ص 93، وتأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص 75 - 83، ودين السلطان ص 75، وإنذار من السماء 113، ونقد الخطاب الديني لنصر أبو زيد ص 119، 126، ونحو تطوير التشريع الإسلامي لأحمد نعيم ص 45، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص 290 0

(449/1)

... أولاً وقبل بيان فساد زعم دعاة الفتنة وأدعياء العلم بأن رواية الحديث بالمعنى هي القاعدة الأصلية الثابتة المقررة عند علماء الحديث، وأن اهتمامهم بالمعنى أكثر من اللفظ قبل بيان بطلان هذا الزعم، نحرر أولاً القول في حكم رواية الحديث بالمعنى عند علماء الأمة من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين، حيث سيتضح جلياً كيف قلب أعداء السنة المطهرة الأصل إلى فرع؟ والفرع إلى أصل؟

... من المعلوم أن للعلماء في رواية الحديث بالمعنى مذاهب عدة (1) ، نستخلص منها مذهبين : المذهب الأول : أن رواية الحديث بالمعنى لا تجوز لمن لا يعلم مدلول الألفاظ في اللسان العربي ومقاصدها وما يحيل معناها والمحتمل من غيره، والمرادف منها، وذلك على وجه الوجوب بلا خلاف بين العلماء، لأن من اتصف بذلك لا يؤمن بتغييره من الخلل، ووجب على من هذا حاله أن يروى الحديث بالألفاظ التي سمع بها مقتصرراً عليها بدون تقديم، ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص لحرف فأكثر، ولا إبدال حرف أو أكثر بغيره، ولا مشدّدٍ بمثقل، أو عكسه (2) ؛ "إذ جميع ما يفعله من ذلك تحكم بالجهالة، وتصرف على غير حقيقة في أصول الشريعة، وتقوّل على الله ورسوله بما لم يحط به علماً"

- (1) انظرها في : إرشاد الفحول 234/1 - 239، وتوجيه النظر ص 298 - 314، وانظر :
السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص 65 - 69 وأصول السرخسي 355/1 - 357، والحديث =
= النبوى فى النحو العربى ص 64 وما بعدها 0 والسير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث فى النحو
العربى 54/1 - 56 كلاهما للدكتور محمود فجال 0
- (2) فتح المغيـث للسـخاوى 207/2 بتـقديم وتـأخير، وانظر : تـدريب الراوى 98/2 0
- (3) الإلماع للقاضى عياض ص 174 0

(450/1)

... أما من كان عالماً بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت
بينهما 0 فاختلف فيه السلف وأصحاب الحديث وأرباب الفقه والأصول، فالمعظم منهم أجاز له
الرواية بالمعنى إذا كان قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذى بلغه سواء فى ذلك الحديث المرفوع، أو غيره
(1) 0

... المذهب الثانى : المنع من الرواية بالمعنى مطلقاً، بل يجب نقل اللفظ بصورته من غير فرق بين
عارف بمعانى الألفاظ أو غير عارف، وهو مذهب كثير من السلف، وأهل التحرى فى الحديث، وهو
مذهب الإمام مالك، ومعظم المحدثين، وهو مذهب الظاهرية (2) 0

... وهنا يظهر لنا جلياً أن الأصل فى رواية الحديث روايته باللفظ للعالم بالألفاظ ومدلولاتها وغيره،
والفرع هو الترخص فى الرواية بالمعنى للعالم دون غيره 0 وهذا هو خلاصة المذهب الأول، وهو المختار
عند الجمهور من السلف وأصحاب الحديث والفقه والأصول واختاره منهم الآمدى (3) وقال :
ويدل عليه النص والإجماع والأثر، والمعقول 0

(1) خلافاً للإمام مالك حيث رخص فى غير حديث النبى (ولم يرخص فيه، ومن ذلك قوله: "ما كان
من حديث رسول الله (" فلا تعد اللفظ، وما كان من غيره فأصبت المعنى فلا بأس" انظر: الكفاية
للخطيب ص 188، 189، وجامع بيان العلم 81/1، وتدريب الراوى 99/2، 101، وفتح

المغيث للسخاوى 208/2، وفح المغيث للعراقى 48/3-49، وتوضيح الأفكار 392/2
(2) انظر : إرشاد الفحول للشوكاني 1/236، 237، وانظر : السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة
ص 65، 66
(3) الإحكام للآمدى 2/93، وانظر : إرشاد الفحول 1/237، والمستصفى 1/168، 169،
والمحصول للرازى 2/231، 233، وتدريب الراوى 2/99، ونزهة النظر ص 44، وفتح == المغيث
للسخاوى 208/2 - 217، والكفاية ص 202، 203، ودفاع عن السنة للدكتور أبوشهبة 32،
55، 63، والسنة للدكتور أحمد كريمة ص 66، واختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث
للدكتور عبد الله شعبان ص 291-298 0

(451/1)

... أما النص : فإن النبى (كان مقررًا لآحاد رسله إلى البلاد فى إبلاغ أوامره ونواهييه بلغة المبعوث
إليهم دون لفظ النبى (وهو دليل الجواز (1) 0

... وأيضاً : فإن النبى (أمر أصحابه بتبليغ سنته المطهرة فى حياته وبعد وفاته فى أحاديث كثيرة منها
: "ألا لبيلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه" (2) 0

... هذا فى الوقت الذى كان فيه النهى عن كتابة السنة المطهرة : "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير
القرآن فليمححه وحدثوا عني ولا حرج - الحديث" (3) فلو كان اللازم لهم أن يؤدوا تلك الألفاظ
التي بلغت أسماعهم بأعيانها بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ... لكتبها أصحاب رسول الله
(، فهل جاءنا عن أحد منهم أنه فعل ذلك من أجل رواية الأحاديث بلفظها بلا تقديم ولا تأخير؟!

كيف، وسائر الأخبار تشهد بأنهم كانوا يؤدونها حفظاً وبعضهم كتابة، ويقدمون، ويؤخرون، وتختلف
ألفاظ الرواية فيما لا يتغير معناه فلا ينكر ذلك منهم، ولا يرون بذلك بأساً" (4) 0

... يقول الأستاذ عبد الرحمن المعلمى : "هذا أمر يقينى لا ريب فيه، وعلى ذلك جرى عملهم فى
حياة النبى (وبعد وفاته 0 من بقى منهم حافظاً للفظ على وجهة أداه كذلك ومن بقى ضابطاً للمعنى
ولم يبق ضابطاً للفظ أداة بالمعنى من غير نكير منهم (5) 0

... يقول الدكتور أبو زهو بعد أن أفاد المعنى السابق : فدل ذلك على أن "المقصود منها (أى السنة) المعنى دون اللفظ، ولذلك لم يتعبد بتلاوتها، ولم يقع التحدى بنظمها، وتجاوز روايتها بالمعنى"
(6) 0

(1) الإحكام للآمدى 93/2، 94 0

(2) سبق تخريجه ص 273 0

(3) سبق تخريجه ص 259 0

(4) نواذر الأصول للحكيم الترمذى 549/2، 550 بتصرف 0

(5) الأنوار الكاشفة ص 78 بتصرف وتقديم وتأخير 0

(6) الحديث والمحدثون ص 200 0

(452/1)

ويدل أيضاً على أن المقصود من السنة المعنى دون اللفظ ما قاله الإمام الآمدى : "أن النبى (كان يذكر المعنى فى الكرات المتعددة بألفاظ مختلفة، بل المقصود إنما هو المعنى، ومع حصول المعنى، فلا أثر لاختلاف اللفظ، وهذا أحد وجوه دليل العقل التى استشهد بها الآمدى (1) 0

... وهذا المقصود كان يعيه الصحابة جيداً وحرصوا على تعليمه لمن بعدهم يدل على ذلك ما روى عن أبي نضرة، أنه قال : قلت لأبي سعيد الخدرى (: إنك تحدثنا عن رسول الله (حديثاً عجيباً، وإننا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص 0 قال : أردتم أن تجعلوه قرآناً لا، لا، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله ((2) 0 ...

فتأمل قول أبي نضرة : (إننا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص) 0 ثم قول أبي سعيد (أردتم أن تجعلوه قرآناً لا، لا، ولكن خذوا عنا ...) (3) 0 فدل ذلك على أن الأصل فى كتاب الله (اللفظ، لأنه متعبد بتلاوته ومتحدى بأقصر سورة منه، وليست كذلك السنة المطهرة 0

وليس هذا هو مفهوم ولا مقصود أبي سعيد الخدرى وحده، بل هو مقصود ومفهوم الصحابة أجمع، ويدل على ذلك روايتهم للقصة الواحدة بألفاظ مختلفة من غير إنكار من أحد منهم، فكان إجماعاً تصير به الحجة (4) 0

(1) الإحكام للآمدى 0 94/2

(2) سبق تخريجه ص 265 0

(3) راجع في ذلك أيضاً ما نقله السيوطى في التدريب 100/2 عن واثلة بن الأسقع (0)

(4) فتح المغيـث للسـخاوى 215/2 وانظر : علوم الحديث لابن الصلاح ص 189، والإحكام للآمدى 94/2، والكفاية ص 308 0

(453/1)

... ويشهد لصحة ذلك أيضاً الرخصة في قراءة القرآن الكريم على سبعة أحرف (1) ، وهذه الأحرف الستة الزائدة، عبارة عن أنواع من المخالفة في بعض الألفاظ للفظ الحرف الأول بدون اختلاف في المعنى (2) 0

... واحتج حماد بن سلمة بأن الله تعالى أخبر عن موسى عليه السلام وعدوه فرعون بألفاظ مختلفة في معنى واحد، كقوله تعالى : (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) (3) وقوله تعالى (يَقْبَسُ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ) (4) ، وكذلك قصص سائر الأنبياء عليهم السلام في القرآن، وقولهم لقومهم بألسنتهم المختلفة، وإنما نقل إلينا ذلك بالمعنى (5) ، لأن من ذلك ما يطول فيبلغ الحد المعجز، ومنه ما يكون عن لسان أعجمي، ومنه ما يأتي في موضع بألفاظ، وفي آخر غيرها ... ويطول في موضع، ويختصر في آخر" (6) 0 وهذا يشهد لجواز التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ متعددة 0

(1) استدلل بذلك الإمام الشافعى في الرسالة ص 274 فقرة رقم 752، وانظر : ما قاله تعليقاً ص 274 فقرة رقم 753 0

(2) الأنوار الكاشفة ص 76، وقال في الهامش : (المراد بالاختلاف في المعنى هو الاختلاف المذكور في قول الله تعالى : "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً" الآية 82 من سورة النساء،

فأما أن يدل أحد الحرفين على معنى، والآخر على معنى آخر، وكلا المعنيين معاً حق، فليس باختلاف بهذا المعنى 0هـ وإذا كان هذا من رأفة الله (بعباده مع كتابه، فبالحديث أولى 0 وقد روى ما هو شبيه بهذا عن يحيى بن سعيد القطان في الكفاية ص 316، وانظر : الجواب عن الطعون الموجهة إلى حديث القراءات في الباب الثالث 0

(3) جزء من الآية 7 من سورة النمل 0

(4) جزء من الآية 10 من سورة طه 0

(5) فتح المغيـث للسـخاوى 214/2 0

(6) الأنوار الكاشفة ص 78، ونفس المعنى قاله الدكتور أبو زهو في الحديث والمحدثون ص 209، وانظر : توثيق السنة في القرن الثاني الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص 425 0

(454/1)

... ومن أقوى الحجج كما قاله الحافظ ابن حجر ما حكاه الخطيب البغدادي من : "اتفاق الأمة من جواز شرح الشريعة للعجم بلسانهم للعارف به، فإذا جاز الإبدال بلغة أخرى، فجوازه باللغة العربية أولى" (1) 0 وهذا هو أحد وجوه أدلة العقل التي استشهد بها الآمدي في الأحكام (2) 0

... فإن قيل : إن هذه الأدلة السابقة معارضة لقول النبي (: "نضر الله أمراً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (3) ومعارض لقوله (للبراء بن عازب (لما استذكر دعاء النوم قائلاً : (آمنت برسولك الذى أرسلت، فقال له النبي (، قل : آمنت بنبيك الذى أرسلت" (4) 0

أجيب عن الحديث الأول : من وجهين :

الوجه الأول : القول بموجبه، وذلك لأن من نقل معنى اللفظ من غير زيادة ولا نقصان يصح أن يقال أدى ما سمع كما سمع 0 ولهذا، يقال لمن ترجم لغة إلى لغة، ولم يغير المعنى، أدى ما سمع كما سمع 0

وبدل على أن المراد من الخبر إنما هو نقل المعنى دون اللفظ، ما ذكره الخبر من التعليل وهو اختلاف الناس في الفقه، إذ هو المؤثر في اختلاف المعنى 0 وأما الألفاظ التي لا يختلف اجتهد الناس في قيام بعضها مقام بعض، فذلك مما يستوى فيه الفقيه، والأفقه، ومن ليس بفقيه، ولا يكون مؤثراً في تغيير المعنى 0

(1) فتح المغيـث للسـخاوى 214/2، وانظر : الكفاية ص 303-305، وتدريب الراوى 101/2

0

(2) الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى 94/2 0

(3) سبق تخريجه ص 34 0

(4) سبق تخريجه ص 361 0

(455/1)

... الوجه الثانى : أن هذا الخبر يعينه يدل على جواز نقل الخبر بالمعنى دون اللفظ، لأن رواية هذا الخبر نفسه قد رويته على المعنى، فقال بعضهم : رحم الله مكان نضر الله ومن سمع بدل (امراً سمع) وروى "مقالتي" بدل (منا حديثاً) (وبلغه) مكان (أداه) وروى (فرب مبلغ أفاقه من مبلغ) مكان (فرب مبلغ أوعى من سامع)، وألفاظ سوى هذه متغايرة تضمنها هذا الخبر 0 فالظاهر يدل على أن هذا الخبر نقل على المعنى، فلذلك اختلفت ألفاظه، وإن كان معناها واحداً 0 فالحديث حجة لنا لا علينا

(1) 0

أما الحديث الثانى "لا ونبيك"؛ ففي الاستدلال به نظر؛ لاحتمال أن يكون المنع؛ لكونها ألفاظ أذكار توفيقية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة على اللفظ الذى وردت به" (2) 0 أو لعله أراد أن يجمع بين الوصفين فى موضع واحد، ولا شك أنه (نبي مرسل، فهو إذن أكمل فائدة، وذلك يفوت بقوله : (وبرسولك الذى أرسلت) وأيضاً فالبلاغة مقتضية لذلك لعدم تكرار اللفظ لوصف واحد فيه، زاد بعضهم أو لاختلاف المعنى، لأن برسولك يدخل جبريل وغيره من الملائكة الذين ليسوا بأنبياء" (3) 0

قلت لا تعارض بين الحديثين المعترض بهما على ما سبق ذكره من الأدلة، فهى كلها تشهد برأى الجمهور المختار وهو أن الأصل رواية الحديث باللفظ على فرض التسليم بما اعترض به من حديث : "نضر الله إمرأاً" وحديث "لا ونبيك" 0

والفرع هو الترخيص في الرواية بالمعنى للعالم بالألفاظ ومدلولاتها دون غيرها، ويشهد لذلك ما سبق ذكره من أدلة، وحينئذ فلا تعارض⁰

(1) الأحكام للآمدى 95/2، وانظر : فتح المغيث للسخاوى 215/2، والكفاية للخطيب ص

305

(2) فتح المغيث للسخاوى 215/2 0

(3) المصدر السابق 266/2 وانظر : الكفاية ص 306 0

(456/1)

... وحتى مع التسليم بأن الأصل هو الرواية بالمعنى، فلسنا نرى أن الرواية بالمعنى تفضى إلى النتائج الخطيرة التي يزعمها دعاة الإلحاد؛ لأن اختلاف ألفاظ الأحاديث لا يرجع إلى الرواية بالمعنى وحدها، بل يرجع إلى رسول الله (الذي كانت تختلف ألفاظه بتعدد الأزمنة والأمكنة، والحوادث والأحوال، والسامعين والمستفتين، والمتخاصمين والمتقاضين، والوافدين والمبعوثين، ففي كل ذلك تختلف ألفاظه)، إيجازاً، واطناً، وتقديماً، وتأخيراً، وزيادة، ونقصاناً، بحسب ما تقتضيه الحال ويدعوا إليه المقام (1) 0

فقد يسأل عن أفضل الأعمال مثلاً؛ فيجيب كل سائل بجواب غير جواب صاحبه، ... فيظن من لا علم له أن هذا من باب التعارض، أو من عدم ضبط الرواة، أو من آثار الرواية بالمعنى، وواقع الأمر أن رسول الله (كان طبيب النفوس، فيجيب كل إنسان عن مسألته بما يناسبه، وبما يكون أنفع له أو للناس في جميع الظروف أو في الظرف الذي كان فيه الاستفتاء " (2) أ0ه0

(1) وهذا من أساليب القرآن الكريم انظر : إلى قوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" الآيتان 6، 7 من سورة البقرة وقوله تعالى : "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" الآية 23 من سورة الجاثية 0 فقارن التقديم والتأخير في الختم على القلب والسمع في الآيتين البقرة والجاثية 0

(457/1)

... ويرجع اختلاف الأحاديث أيضاً إلى أنها ليست كلها قولية، بل منها ما هو إخبار عن أفعال النبي (وهي كثيرة، ومنها ما أصله قولي، ولكن الصحابي لا يذكر القول بل يقول : أمرنا النبي (بكذا، أو نأمرنا عن كذا، أو قضى بكذا ... وأشبه هذا وهذا كثير أيضاً⁰ وهذان الضربان ليسا محل نزاع⁰ ولا دخل للرواية بالمعنى فيهما، والكلام في ما يقول الصحابي فيه : قال رسول الله (كيت وكيت، أو نحو ذلك، ومن تتبع هذا في الأحاديث التي يرويها صحابيان أو أكثر ووقع اختلاف فإنما هو في بعض الألفاظ، وهذا يبين أن الصحابة لم يكونوا إذا حكوا قوله (يهتمون ألفاظه البتة، لكن منهم من يحاول أن يؤديها، فيقع له تقديم وتأخير أو إبدال الكلمة بمرادفها (1) ⁰

(1) انظر : الأنوار الكاشفة للأستاذ عبد الرحمن المعلمي ص 79 ⁰

(458/1)

ومنهم من يشدد ويصحح ما يسمعه من الرواة من تغيير اللفظ النبوي بالتقديم والتأخير، أو استبدال كلمة بمرادفها، كابن عمر (فعن عُبَيْد بن عمير (1) ؛ أن ابن عمر كان جالساً مع أبيه وعندهم مغيرة بن حكيمة - رجل من أهل صنعاء - إذ قال : قال رسول الله (: "إنما مثل المنافق مثل الشاة بين الربيعين (2) من الغنم"، فقال عبد الله بن عمر : ليس هكذا قال رسول الله (فقال رجل : لو علمت علمه، علمت أنه لم يقل إلا حقاً ولم يتعمد الكذب، فقال : إنه لثقة، ولكني شاهد رسول الله (يوم قال، هذا فقال كيف يا أبا عبد الرحمن؟ فقال : قال رسول الله (: "مثل المنافق مثل الشاة بين الغنمين"⁰ فقال عُبَيْد بن عُمَيْر هي واحدة إذا لم يجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً، فلا يضرك أن قدمت شيئاً أو أخرته؛ فهو واحد" (3) ⁰

(1) عُبَيْد بن عُمَيْر هو : ابن قتادة الليثي أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي (قاله مسلم، وعده

غيره في كبار التابعين، وكان قاضي أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر 0 له ترجمة في: تقريب التهذيب 645/1 رقم 4401، وتذكرة الحفاظ 50/1 رقم 28، وطبقات الحفاظ ص 22 رقم 28، وخلاصة تذهيب الكمال ص 21، وطبقات القراء لابن الجزري 496/1 0 (2) الريض : الغنم نفسها، والريض : موضعها الذي تربض فيه، أراد أنه مذبذب كالشاة الواحدة بين قطيعين من الغنم، أو بين مربضيها 0 انظر : النهاية في غريب الحديث 185/2 0 (3) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من رخص في الحديث إذا أصاب المعنى 105/1 رقم 318، والخطيب في الكفاية ص 268، 269 واللفظ له، وانظر : توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزي ص 417 0

(459/1)

... وسمع ابن عمر أيضاً رجلاً يردد حديث الأركان الخمسة، فقدم بعضها وآخر بعضاً مخالفاً بذلك الرواية التي سمعها ابن عمر بنفسه من رسول الله (، فقال له ابن عمر -رضى الله عنهما- : "اجعل صيام رمضان آخرهن، كما سمعت من في رسول الله (1) 0

... وروى الخطيب بسنده عن العلاء بن سعد بن مسعود قال : قيل لرجل من أصحاب رسول الله (مالك لا تحدث كما يحدث فلان وفلان؟ فقال : ما بي ألا أكون سمعت مثل ما سمعوا، أو حضرت مثل ما حضروا، ولكن لم يدرس الأمر بعد، والناس متماسكون، فأنا أجدر من يكفيني، وأكره التزيد والنقصان في حديث رسول الله (2) 0

... وفي عصر التابعين، وأتباع التابعين ظل كثير من الرواة يؤدي حديث رسول الله (بلفظه ونصه، حتى في الحروف وفي ذلك يقول الأعمش : "كان العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخبر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو ألفاً أو دالاً" (3) 0

... وكان مالك -رحمه الله- يتقى في حديث رسول الله (الباء والتاء ونحوهما (4) 0 وممن اعتمد ذلك الإمام مسلم -رحمه الله- فإنه في صحيحه يميز اختلاف الرواة حتى في حرف من المتن، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى، وربما كان في بعضه اختلاف في المعنى، ولكنه خفي لا يفتن له، إلا من

هو في العلم بمكان، وكذا سلكه الإمامان البخارى، وأبو داود، وسبقهما لذلك شيخهما الإمام أحمد
(5) 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم 64/1 رقم 8، ومسلم
(بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام 209/1 رقم 16 وانظر :
الكفاية ص 271 0
(2) الكفاية ص 266 0
(3) المصدر السابق ص 274 0
(4) انظر : الكفاية ص 275، وانظر : تدريب الراوى 101/2، والإلماع ص 179 0
(5) فتح المغيـث للسخاوى 211/2 0

(460/1)

... ومن أمثلة ذلك : ما روى عن أبى هريرة (قال : قال رسول الله (: "لأسلم وغفار، وشئ من
مزينة وجهينة، أو شئ من جهينة ومزينة، خير عند الله، قال : أحسبه قال يوم القيامة، من أسد،
وغطفان، وهوازن وقيم" (1) وهناك من اشتد حرصه على لفظ سماعه فأبى تبديل حرف مشدد
بمخفف، فعن أم كلثوم بنت عقبة (2) - رضى الله عنها - قالت : "ليس الكاذب من أصلح بين
الناس فقال خيراً أو نعى خيراً" قال حماد سمعت هذا الحديث من رجلين فقال أحدهما : نعى خيراً
خفيفة، وقال الآخر : نعى خيراً مثقلة (3) 0

... وأشد من كل هذا تخرج بعضهم من تغيير اللحن الوارد في كلام الراوى صحابياً كان أو تابعياً،
لأنه سمعه هكذا، فلا ضير من استعمال (حوث) بدلاً من "حيث" (4) ، أو "لغيت" بدلاً من
"لغوت" (5) ، و "عوثاء السفر"، بدلاً من "وعثائه" (6) ؛ ولذلك رووا عن محمد بن سيرين؛ أنه
"كان يلحن كما يلحن الراوى" (7) 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة
وأشجع 627/6 رقم 3523، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل

غفار وأسلم وجهينة 314/8 رقم 2521 واللفظ له 0

(2) أم كلثوم بنت عقبة : صحابية جلييلة لها ترجمة فى : الإصابة 491/4 رقم 12238، وتاريخ الصحابة لابن حبان ص 274 رقم 1546، والاستيعاب 1953/4 رقم 4203، واسد الغابة 376/7 رقم 7585 0

(3) أخرجه الخطيب فى الكفاية ص 278، وابن عبد البر فى ترجمة أم كلثوم -رضى الله عنها- فى الاستيعاب 1953/4 رقم 4203 0

(4) انظر : الكفاية ص 280 0

(5) المصدر السابق ص 281 0

(6) المصدر نفسه ص 277 0

(7) الكفاية ص 285 ، وانظر : أثر عن أبي معمر فى سنن الدارمى المقدمة، باب من رخص فى الحديث إذا أصاب المعنى 106/1 رقم 320 0

(461/1)

... ثم رأى العلماء أن يميزوا فى هذا الموضوع بين لحن يحيل المعنى، وآخر لا يحيله، فأروا أنه لابد من تغيير اللحن الذى يفسد المعنى، وقالوا بضرورة رد الحديث إلى الصواب إذا كان راويه قد خالف موجب الإعراب" (1) 0

... وبكل ذلك يسقط قول دعاة الفتنة وأدعياء العلم : "أن الرواية بالمعنى هى القاعدة الثابتة فى رواية الحديث (2) ، وأن الرواة تناقلوا الحديث بألفاظهم فى جميع العصور (3) 0

(1) فتح المغيـث للسـخاوى 230/2، وللعراقى 55/3، والكفاية ص 297، والإلماع ص 185، وانظر: علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص 83 0

(2) ممن صرح بذلك إسماعيل منصور فى كتابة تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 238، 239، وأيده جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد" ص 58، 61، 162، وانظر : السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث فى النحو العربى، فصل "الرواية بالمعنى مرتبطة بعصر التدوين" 48/1، والحديث

(462/1)

"ومن أجل ذلك كله نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون : "إن الرواية بالمعنى لم يكن لها أثر فى ثبوت السنة وحجيتها ولم تفض إلى النتائج الخطيرة التى يزعمها دعاة الإلحاد، لأنها كانت قبل فساد اللسان العربى، من صحابة عايشوا الوحي، وتنزلاته، وخالطوا صاحب الشرع (، ومن أئمة كبار فى اللغة والشرع معاً، وكانوا يرونها رخصة عند الاضطرار (1) ، وكان نسيانهم قليلاً، بل نادراً، فإن كان ففى بعض حروف العطف، أو المفردات، أو بعض الجمل" (2) 0 ... وكانوا يقيدون ذلك ببعض العبارات الدالة على الحيلة والورع فى روايتهم بالمعنى كقولهم : "أو كما قال"، "أو كما ورد" "أو نحوه" "أو شبهه" (3) 0

(1) ولم يرخسوا بها فيما تضمنته بطون الكتب، لأن من ملك تغيير اللفظ، فلا يملك تغيير تصنيف غيره، وهذا بلا خلاف كما قال ابن الصلاح فى علوم الحديث 189 وانظر : الباعث الحثيث ص 120، 121 هامش 0

(2) الحديث والمحدثون 207 بتصرف 0

(3) روى ذلك عن ابن مسعود (، أخرجه ابن ماجة فى سننه المقدمة، باب التوقى فى الحديث عن رسول الله (24/1 رقم 23 0 وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة 48/1 إسناده صحيح، احتج الشيخان بجميع روايته، وأخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم 193/1 رقم 376، وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وأخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط 97/1 رقم 281، وابن المبارك فى مسنده 140 رقمى 2270، 228، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 79/1، والخطيب فى الكفاية ص 310، والقاضى عياض فى الإلماع ص 177 0

(463/1)

يقول الأستاذ محمد أسد : "إذا كان مئات الصحابة قد حفظوا جميع القرآن الكريم غيباً بلفظه، وبما فيه من فروق ضئيلة في الرسم (التهجئة) فلا ريب في أنه كان ممكناً لهم، وللتابعين من بعدهم أن يحفظوا أقوال الرسول (متفرقة كما حفظوا القرآن سواء بسواء، ولكن من غير أن يزيدوا على الأحاديث أو أن ينقصوا منها شيئاً⁰ إن المحدثين يرون أن الحديث الصحيح ما رُوى واحداً في معناه ولكن بأسانيد مختلفة مستقلة" (1) 0

الاحتجاج بالسنة والاستشهاد بها في قواعد النحو واللغة :
... عرفنا فيما سبق أن الأصل في رواية الحديث روايته بلفظه، وذلك منذ عصر النبوة المباركة، والصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى عصر التدوين الرسمي للسنة⁰ والفرع هو الترخص في روايته بالمعنى للعالم بالألفاظ ومدلولاتها، كما عرفنا كيف كانوا يتشددون في الرواية باللفظ والاعتراض على من يقدم ويؤخر في اللفظ النبوي، أو يستبدل كلمة بمرادفها، بل كان سقوط أحدهم من السماء أحب إليه من أن يزيد في الحديث واواً أو ألفاً أو دالاً، وبلغ من شدة المحافظة على اللفظ النبوي أن بعضهم يأبى تبديل حرف مشدداً بمخفف أو العكس، بل ويأبى بعضهم تغيير اللحن الوارد في كلام شيخه ما دام سمعه منه، حتى إذا شك الراوى في لفظين أوردهما جميعاً متشككاً كما جاء في الحديث : "وهل يكبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" (2) 0 وهكذا حافظ رواة السنة على لفظ النبي (، حتى وصلت إلينا سنة المصطفى (سالمة من كل تحريف وتبديل 0

(1) الإسلام على مفترق الطرق ص 96 0

(2) أخرجه الترمذى في سنته كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة 13/5 رقم 2616،

وقال: هذا حديث حسن صحيح 0

... نعم : وصلت إلينا السنة المطهرة بلفظ النبي (، بلفظ أبلغ ما عرف في لغة العرب، وعرف الدارسون من البيان البشرى، وفي ذلك يصف أبو حيان بلاغة السنة قائلاً : "والثاني : سنة رسول الله (، فإنها السبيل الواضح، والنجم اللائح، والقائد الناصح، والعلم المنصوب والأمر المقصود،

والغاية في البيان والنهاية في البرهان، والمفزع عند الخصام، والقدرة لجميع الأنام" (1) 0

... من أجل ذلك؛ فإن الاحتجاج بالحديث في اللغة، والنحو أمر طبيعي، وما زعمه المانعون من عدم الاحتجاج به؛ لأنه روى بالمعنى، ولا نستطيع الجزم بأنه لفظ النبي (2) فهذا الزعم يسقط بما سبق ذكره، وتفصيله من أن الأصل في رواية الحديث أن تكون باللفظ، والفرع هو الترخص في روايتها بالمعنى للعالم بالألفاظ ومدلولاتها، ولفظه في هذه الحالة أيضاً حجة، ولم لا، وعلماء اللغة عندما جمعوا اللغة العربية النقية البعيدة عن الخطأ واللحن كانوا يذهبون إلى البوادي ليستمعوا إلى اللغة من فصحاء العرب، ومن بلغاء البادية مختارين القبائل التي اشتهرت بفصحاتها، مثل قریش، وقيم، وهذيل وأسد وغيرهم 0

-
- (1) البصائر والذخائر 8/1، وانظر : ما قاله الجاحظ في البيان والتبيين 17/2، 18، وانظر : بلاغة الرسول للدكتور علي محمد العماري، والحديث النبوي للدكتور محمد الصباغ ص 51 0
- (2) انظر: الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص 19، وقارن بكشف الظنون ص 405-407، والسير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي للدكتور محمود فجال 20/1-24 0

(465/1)

... وكانوا يتحرون في اختيار الفصحاء، فلم يأخذوا إلا من الذي وثقوا في فصاحته، ولم يشكوا في مخالطته لغير العرب، وقد حدد العلماء بعض العصور التي أخذوا عنها اللغة؛ كالعصر الجاهلي، وصدر الإسلام، وبنى أمية، حتى القرن الثاني الهجري، ولم يلتفتوا إلما جاء بعد ذلك عن العرب من شعر ونثر، باعتبار أنه لا يحتج به (1) 0 وكل هذا ينطبق على رواية السنة والأحاديث المروية، لأن الرواية بالمعنى كانت في القرن الأول قبل فساد اللسان العربي وعلى قلة وفي حدود ضيقة، هذا في الوقت الذي كانت فيه كتابات عديدة للصحابة في زمن النبوة وبعده، وكذلك كتابات التابعين فمن بعدهم حتى زمن التدوين الرسمي للسنة في القرن الأول نفسه، مما يرجح أن الذي في مدونات الطبقة الأولى لفظ النبي (نفسه، فإن كان هناك إبدال لفظ بمرادفه فالذي أبدله عربي فصيح يحتج بكلامه العادي، حتى إذا دونت السنة المطهرة منع من الرواية بالمعنى وتغيير اللفظ المدون بلا خلاف كما قال

... ويقول الدكتور محمد الصباغ : "ومهما يكن من أمر الحديث فإنه أحسن حالاً بكثير من الأشعار والأبيات التي يلجأ إليها النحويون ويميلون بها كتبهم، وبعضها منحول، والآخر مشكوك فيه، أو مجهول لا يعرف قائله (3) 0

-
- (1) دراسات في تراث العرب اللغوى للأستاذ فتحي جمعة ص 14-16، وانظر : مجلة الوعي الإسلامي العدد 375 لسنة 1417 ص 72 0
- (2) علوم الحديث لابن الصلاح ص 136، وانظر : الحديث والمحدثون ص 218، 220، والحديث النبوي للدكتور الصباغ ص 131، وعلوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 329، 330، والسير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي للدكتور محمود فجال 62/1 - 64 0
- (3) الحديث النبوي للدكتور الصباغ 132 0

(466/1)

... ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني : "إن ما في روايات الحديث من ضبط ودقة وتحري لا يتحلى ببعضه كل ما يحتاج به النحاة، واللغويون من كلام العرب (1) 0 ثم إن المطلوب في نقل قواعد اللغة والنحو من حديث رسول الله (هو غلبة الظن، والغالب على الظن أن الحديث لم يتغير لفظه (2) 0

-
- (1) أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغاني ص 47 وانظر: علوم الحديث للدكتور الصباغ ص 331، 332
- (2) انظر : الاستشهاد والاحتجاج باللغة للأستاذ محمد عيد ص 109 - 112، والحديث والمحدثون للدكتور أبو زهو ص 219، والحديث النبوي في النحو العربي للدكتور فجال ص 107، 108 0

(467/1)

أما ما زعموه من وقوع اللحن في بعض الأحاديث بسبب عجمة بعض الرواة (1) ؛ فهو شيء - إن وقع - قليل جداً، لا يبنى عليه حكم، ولا يقوم بهذا الزعم حجة لأحد ولا يصح أن يمنع من أجله الاحتجاج بالحديث الصحيح (2) ، وهل يمنع عاقل الاحتجاج بالقرآن إذا لحن به بعض الناس؟! 0 ثم إن اللحن كان موجوداً في غير نصوص السنة من موارد اللغة التي اعتمد عليها النحاة من شعر ونثر، ورغم ذلك فقد قبلت؛ لأن العبرة بغلبة العصر لا بلحن الأفراد 0 ولم يقل أحد أنه لا يحتج بهما في اللغة والنحو (3) 0 ثم إن ما ذكره هؤلاء من اللحن في الأحاديث الصحيحة لم يكن لحناً وإنما هو لغة من لغات العرب - وسيأتي بعد قليل أمثلة على ذلك - وقد حذر العلماء من اللحن في الحديث أشد التحذير، وعد بعضهم الحديث الملحون كذباً على النبي (: قال الأصمعي (4) :

(1) انظر : الاقتراح ص 21 0

(2) الحديث النبوي للدكتور الصباغ ص 132، وانظر : الحديث النبوي للدكتور فجال ص 122 0

(3) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص 110 - 114 بتصرف، وانظر : السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث للدكتور فجال 102/1 0

(4) الأصمعيُّ : بفتح الألف، وسكون الصاد المهملة، وفتح الميم، وبالعين المهملة في آخره 0 هذه النسبة إلى الجدد، وهو الإمام المشهور أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن أعصر الباهلي الأصمعيُّ، من أهل البصرة، أحد أئمة اللغة والنحو والغريب والأخبار، والملاحم والنوادر، أثنى عليه في السنة، أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال ابن حجر في التقريب : صدوق سني 0 من مؤلفاته : اللغات، والنوادر، والنسب، وغريب الحديث، وغير ذلك، مات سنة 217هـ، وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة في : اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير 70/1، والفهرست لابن النديم ص 86، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 144/1 رقم 38، وتقريب التهذيب 618/1 رقم 4219، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي 273/2، ونزهة الألباب في طبقات الأدباء لابن الأنباري ص 112، وإنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطي 197/2، ولسان الميزان 492/9 رقم 15492 0

(468/1)

"إن أخوف ما أخاف على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله (: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (1) 0 لأنه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فيه (2) فقد كذبت عليه (3) 0

أما ما زعموه من أن أحداً من أئمة النحو المتقدمين لم يحتج في كتبه بالحديث (4) 0 فذلك إن صح كما يقول الدكتور محمود فجال : فليس معناه أنهم كانوا لا يجيزون الاستشهاد به إذ لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به، ف (سيبويه) مثلاً إذا ذهبنا نقرأ كتابة المسمى بـ (الكتاب) فلن نجد فيه كلاماً رفعه للنبي (ولا مرة واحدة، وفي (الكتاب) نصوص كثيرة توافق الأحاديث النبوية ... ولكن (سيبويه) لم يستشهد بما على أنها أحاديث من النبي (بل على أنها من كلام العرب 0

(1) سبق تخريجه ص 275 0

(2) المراد باللحن هنا : مخالفة صواب الإعراب، ويطلق أيضاً على النطق بكلمة على وجه لا يثبت عند العرب، وإن لم يكن خطأ في الإعراب، واستعمله في ذلك الفقهاء وأهل اللغة؛ كالنوى، والحريري 0 أفاده فضيلة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف - رحمه الله - على هامش تحقيقه لتدريب الراوى 106/2 0

(3) رواه ابن الصلاح في علوم الحديث ص 110-114، والقاضى عياض في الإلماع ص 183-184، وذكره العراقي في فتح المغيث 53/3، والسخاوى في فتح المغيث 224/2، والسيوطى في التدريب 106/2، والصنعانى في توضيح الأفكار 393/2 - 394 وقال عقبة : "قلت وإنما قال الأصمعى "أخاف" ولم يجزم، لأن من لم يعلم بالعربية، وإن لحن لم يكن متعمداً الكذب" انتهى 0 وانظر : بقية أقوال المحدثين في التحذير من اللحن في المصادر السابقة 0

(4) انظر : الاقتراح في علم أصول النحو ص 21، والسير الحثيث للدكتور فجال 22/1 0

(469/1)

... قال (سيبويه) في كتابة (1) : "وأما قولهم : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه" (2) فانظر كيف جعله كلاماً صادراً من العرب الذين يحتج بكلامهم (3)

... يقول الدكتور محمود فجال : إن عدم استدلال بعضهم بالحديث على أنه مرفوع للنبي (لا يعنى أنهم لا يجيزون الاستدلال به، وإنما يعنى عدم خبرتهم بهذا العلم الدقيق، وهو علم رواية الحديث ودرايته، لأن تحصيله بحاجة إلى فراغ، وطول زمان، كما يعنى عدم تعاطيهم إياه (4) 0

... أما (ابن مالك) فهو إمام في الحديث بالإضافة إلى إمامته في علم العربية، وهذا هو السبب الذى حدا به إلى الاستشهاد بالحديث 0

... قال (الصلاح الصفدى) : كان-ابن مالك-أمة في الإطلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهدٌ عدلٌ إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهدٌ عدلٌ إلى أشعار العرب (5) 0

(1) انظر : الكتاب لسيبويه 396/1 0

(2) الحديث بنحوه أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين 290/3 رقم 1385، ومسلم (بشرح النووى) كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين 458/8 رقم 2658 0
(3) فهارس كتاب سيبويه للأستاذ محمد عبد الخالق ص 762، وانظر : الحديث النبوى في النحو العربى للدكتور فجال ص 109 0

(4) الحديث النبوى في النحو العربى ص 110، 126 0

(5) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى 134/1، وانظر : الحديث النبوى للدكتور فجال ص 110، 126 0

(470/1)

... والقدامى لم يثيروا هذه القضية، ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث، وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به، وإنما هو استنتاج من المتأخرين الذين لاحظوا - خطأ - أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث، فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به ثم حاولوا تعلل ذلك 0 إذأ فقد كان المتأخرون مخطئين فيما أدعوه من رفض النحاة القدامى الاستشهاد بالحديث وكانوا واهمين حينما ظنوا أنهم هم أيضاً برفضهم الاستشهاد بالحديث إنما ينهجون نهجهم 0 ونحن نحمل (ابن الضائع) و "أبا حيان" تبعة

شيوع هذه القضية الخاطئة فهما أول من روج لها، ونادى بها، وعنهما أخذها العلماء، دون تمحيص أو تحقيق ثقة في حكمهما ... ولعل منشأ تلك الفكرة الخاطئة، هو أن القدماء سكتوا عن الاستشهاد بالحديث، واكتفوا بدخوله تحت المعنى العام لكلمة (نصوص فصحاء العرب) ثم حين جاء من بعدهم ودونوا هذه الفكرة كانوا يفهمون ذلك فلم يخصوا الحديث النبوى بنص مستقل، فلما جاء (ابن الضائع) و (أبو حيان) وغيرهما ولم يجدوا نصاً مستقلاً يعد الحديث من مصادر الاحتجاج، ظنوا أن القدماء لم يكونوا يستشهدون به، وسجلوا هذا الظن على أنه حقيقة واقعة، وجاء من بعدهم فنقلوا عنهم دون تمحيص، وتابعوهم من غير بحث⁰

... ويؤيد هذا الافتراض أن (السيوطي) استنبط من قول صاحب (ثمار الصناعة) : (النحو علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى - وكلام فصحاء العرب) أن النحاة لم يكونوا يستشهدون بالحديث، فعقب على ذلك بقوله : "فقصره عليهما، ولم يذكر الحديث" (1)

(1) الاقتراح للسيوطي 134/1، وانظر : الحديث النبوى للدكتور فجال ص 111 0

(471/1)

... يقول الدكتور محمود فجال: "وهناك أسباب كثيرة تحمل على الشك في صحة ما نسب إلى الأقدمين من رفضهم الاستشهاد بالحديث، بل هناك من الدلائل ما يكاد يقطع -إن لم يكن يقطع فعلاً - أنهم كانوا يستشهدون به، ويبنون عليه قواعدهم، سواء منهم من اشتغل باللغة أو النحو أو بهما معاً⁰ ولهذا لا يسع الباحث المدقق أن يسلم بما ادعاه المتأخرون⁰ وسنده في ذلك ما يأتي : أولاً : أن الأحاديث أصح سنداً من كثير مما ينقل من أشعار العرب، ولهذا قال (الفيومي) بعد أن استشهد بحديث : "فأثنا عليه شراً" على صحة إطلاق الثناء على الذكر بشر (1) قال : "قد نقل هذا العدل الضابط، عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب، فكان أوثق من نقل أهل اللغة؛ فإنهم يكتفون في النقل عن واحد ولا يعرفون حاله (2) 0 ثانياً : أن المحدثين الذين ذهبوا إلى جواز الرواية بالمعنى شرطوا في الراوى أن يكون محيطاً بجميع دقائق اللغة، وإلا فلا يجوز له الرواية بالمعنى⁰ على أن الجيزين الرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هي الأولى، ولم يجيزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يدون في الكتب وفي حالة الضرورة فقط (3) 0 وقد ثبت

أن كثيراً من الرواة في الصدر الأول كانت لهم كتب يرجعون إليها عند الرواية، ولا شك أن كتابة الحديث تساعد على روايته بلفظه وحفظه عن ظهر قلب مما يبعده عن أن يدخله غلط أو تصحيف⁰ ثالثاً : أن كثيراً من الأحاديث دون في الصدر الأول قبل فساد اللغة على أيدي رجال يحتج بأقوالهم في العربية، فالتبديل على فرض ثبوته، إنما كان ممن يسوغ الاحتجاج بكلامه⁰ فغايتته تبديل لفظ يصح الاحتجاج به بلفظ كذلك (4) 0

(1) لسان العرب 124/14، والقاموس المحيط 304/4 0

(2) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية 201/3 0

(3) مجلة المجمع 204/3 0

(4) انظر : خزانة الأدب ولب لباب العرب لعبد القادر البغدادى 6/1 0

(472/1)

رابعاً : أن اللغويين احتجوا بالحديث في اللغة، لأجل الاستدلال على معاني الكلمات العربية، وهو ما دفع (السهيلي) إلى أن يقول : "لا نعلم أحداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل، وأبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل، وتابعهما على ذلك الإمام السيوطي (1) 0هـ0

... ويقول الدكتور صبحي الصالح معللاً عدم احتجاج أئمة النحو المتقدمين بالحديث قال: "فذلك إن صح - عائد إلى أن كتب الحديث لم تكن متوفرة لغير ذوى الاختصاص في ذلك الحين، ولولا ذلك لاقتصروا على الاستشهاد بها دون الأشعار، وقد تلافي المتأخرون هذا، فكانوا يحتجون دائماً بأحاديث رسول الله (في معجماتهم التي اشتملت على أنقى الألفاظ وأفصحها مصحوبة بشروحها وشواهداها، كما في "تهذيب" الأزهرى، و (صحيح) الجوهرى و(مقاييس) ابن فارس، و (فائق) الزمخشري وغيرهم (2) 0

(1) أصول التفكير النحوى للدكتور على أبي المكارم ص 136-141، وانظر : الحديث النبوى

للدكتور فجال ص 112، 113

(2) علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 332 0

(473/1)

... وفاقهم في ذلك كله (ابن مالك) وبلغ الذروة في كتابه "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" فقد عقده للأحاديث التي يشكل أعراجمها، وذكر لها وجوهاً يستبين بها أنها من قبيل العربي الصحيح (1) 0 بل إن (ابن الضائع) و (أبا حيان) وهما على رأس من رفض الاستشهاد بالحديث لم تخل كتبهما من بعض الأحاديث وقد فطن إلى هذا (ابن الطيب الفاسي) فقال : "بل رأيت الاستشهاد بالحديث في كلام أبي حيان نفسه مرات، ولا سيما في مسائل الصرف، إلا أنه لا يقر له عماد، فهو في كل حين في اجتهاد" (2) 0

... ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني : "وأغلب الظن أن من لم يستشهد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم، ولما التفتوا قط إلى الأشعار والأخبار التي لا تلبث أن يطوقها الشك إذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة (3) 0

(1) انظر : الدراسة النحوية للأحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك للدكتور محمود فجال في كتابة الحديث النبوي في النحو العربي ص 138-315، وانظر: دراسة نحوية للأحاديث الواردة في شرح الكافي للرضي للدكتور محمود فجال في كتابه السير الحثيث 1/119-324، 2/325-543 0

(2) تحرير الرواية في تقرير الكفاية لأبي الطيب الفاسي ص 96، وانظر : الحديث النبوي للدكتور فجال ص 106 0

(3) أصول النحو ص 49 وقارن بالحديث النبوي للدكتور فجال ص 123، والسنة النبوية في مواجهة التحدي للدكتور أحمد عمر هاشم ص 122-123 0

(474/1)

... ويمكننا أن نعد قرار مجمع اللغة العربية في مصر قولاً معتمداً في موضوع الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو⁰ وهذا القرار هو : "إن العرب الذين يوثق بعرييتهم، ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع" (1) 0

... كما رأى المجمع الاحتجاج بأنواع من الأحاديث لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج بها في اللغة، وهي : الأحاديث المدونة في الصدر الأول، ككتب الأصول الستة فما قبلها، على أن يحتج بها على الوجه التالي :

أ- الأحاديث المتواترة والمشهورة⁰

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات⁰

ج- الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم⁰

د- كتب النبي (ومعاهداته⁰

هـ- الأحاديث المروية لبيان أنه كان (يخاطب كل قوم بلغتهم⁰

و- الأحاديث التي دوّنها من نشأ بين العرب الفصحاء (2) 0

ن- الأحاديث التي عرف من رجال روايتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى، مثل القاسم بن محمد ورجاء بن حيوة، وابن سيرين⁰

ج- الأحاديث المروية من طرق متعددة، وألفاظها واحدة (3) 0

(1) نقل هذا القرار الأستاذ عباس حسن في كتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) ص 24، وانظر: الحديث النبوي للدكتور الصباغ ص 130، والحديث النبوي في النحو العربي للدكتور فجال ص 127-132 0

(2) كالأئمة مالك والشافعي، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل في الشافعي : "إن كلامه في اللغة حجة" انظر : الاقتراح للسيوطي ص 24 0

(3) مجمع اللغة العربية، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين، وإبراهيم التزوي ص 5، وانظر : أمثلة على كل ما سبق في الحديث النبوي للدكتور الصباغ ص 133 - 135 0

... يقول الأستاذ جواد رياض بعد أن نقل قرار مجمع اللغة السابق : "ومن هنا؛ فإننا نستطيع أن نعتد على الأحاديث الصحيحة اعتماداً كلياً في تأييد بعض قواعد النحو التي نطق بها رسول الله (، والتي توافق لغة من لغات العرب، حتى ولو خالفت رأى جمهور النحاة، لأن قول الرسول حجة في تصحيح أقوالنا كما هو حجة في تصحيح أعمالنا، وما ذكره هؤلاء من اللحن في الأحاديث الصحيحة لم يكن لحناً وإنما هو لغة من لغات العرب 0 مثل ما روى عن أنس (عن النبي (أنه نهي أن يَشْرَبَ الرَّجُلُ قائماً، قال فَتَادَةُ فَقُلْنَا فَلَا كُلُّ فَقَالَ : "ذَاكَ أَشْرُّ أَوْ أَحَبُّ" (1) 0

... وفي حديث آخر قال : " ... فوالذى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لِأَخَيْرٍ مِنْهُمْ" (2) 0 وطبقاً لما هو معروف عند أهل اللغة، فإنهم ينكرون لفظ "أَشْرَ" و "أَخَيْرَ" ويقولون الصواب (خير) و (شر) بدون ألف كما قال تعالى : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) (3) وقال تعالى : (أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (4) 0 ولكن لا يقبل إنكارهم فإن لفظ "أَشْرَ" و "أَخَيْرَ"

- (1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً 213/7 رقم 2024
- (2) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينه 315/8 رقم 2522 0
- (3) الآية 24 من سورة الفرقان 0
- (4) الآية 34 من سورة الفرقان 0

صحيح أيضاً، وهو عربى فصيح، وهو لغة من لغات العرب، وإن كانت قليلة الاستعمال، وبالتالي فلا يقبل إنكار هذه اللغة أو ردها ما دامت قد تكررت في الأحاديث الصحيحة، ويوجد لها نظائر مما لم يكن معروفاً عند اللغويين وجارياً على قواعدهم، لأن النحويين كما قال الإمام النووي لم يحيطوا إحاطة قطعية بجميع كلام العرب، ولهذا يمنع بعضهم ما ينقله غيره من العرب كما هو معروف (1) 0

ومن هنا يتبين أن قول الرسول (أَشَرَّ) و (أَحْيَرُ) صحيح حتى ولو كان مخالفاً لرأى جمهور النحاة،
فلاحتجاج بالحديث الصحيح هو الأولى (2) 0

-
- (1) المنهاج شرح صحيح مسلم 217/7 رقم 2024، 313/8 رقم 2522 وانظر : مجلة الوعي
الإسلامي، العدد 375 لسنة 1417هـ، ص 73 0
(2) مجلة الوعي العدد السابق نفس الصفحة 0

(477/1)

وأخيراً : (لا نملك إلا أن نرد قضية الاحتجاج إلى معيار لا يخطئ أبداً، وهو معيار الفصاحة والصفاء
والسلامة من الفساد، فلا يحتج في الحديث، ولا في غيره، بمن لابس الضعف لغته، وخالطت العجمة
كلامه، وتسربت الركة إلى لفظه مهما يسمو مقامه 0 وكان هذا المعيار الدقيق كفيلاً - لو عرفه
اللغويون المتقدمون في وقت مبكر - بإرساء قواعد اللغة وأصول النحو على دعائم ثابتة قوية،
ويقطع ثمار تلك الأصول في نتاج نحوى غنى بالشواهد كنتاج ابن مالك، وابن هشام، من رجال
النحو المتأخرين وأئمتهم الأعلام" (1) 0 ومذهبه هو الأصل السديد الصحيح، وهو الذى أخذ به
جمهور علماء اللغة الذين امتلأت معجماتهم التى تركوها بالحديث، وكذلك كتب أئمة النحو
المتقدمين؛ كابن فارس، وابن جنى، وابن برى، والسهيلي، حتى قال ابن الطيب : "لا نعلم أحد من
علماء اللغة خالف هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان (745هـ) فى شرح التسهيل، وأبو
الحسن بن الضائع (680) فى شرح الجمل، وتابعهما فى ذلك الإمام السيوطى (2) 0هـ
... والحق ما قاله الإمام مالك لا ما قاله أبو حيان، وكلام ابن الضائع كلام ضائع (3) 0 وما
احتجوا به على منعهم للاحتجاج ظهر لك ضعفه، لأن ما تعلقوا به ورد بصورة أدق وأضبط من
الذى احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر (4) 0 0هـ والله أعلم 0
رابعاً : شبهة أن الوضع وكثرة الوضعيين للحديث
أضعفت الثقة بالسنة النبوية

استعراض الشبهة وأصحابها :

(1) علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 333 0

(2) أصول التفكير النحوى 136 - 141، وانظر : الحديث النبوى للدكتور الصباغ ص 130،

0 131

(3) تحرير الرواية في تقرير الكفاية ص 101 ، وانظر : الحديث النبوى للدكتور محمود فجال ص 108، 109 0 وللاستزادة في هذا الموضوع، انظر : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث للدكتورة

خديجة الحديثي 0

(4) راجع أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغانى ص 41 0

(478/1)

... زعم أعداء السنة المطهرة من غلاة الشيعة، والمستشرقين، وأذياهم من دعاة اللادينية، أن من آثار تأخر تدوين الحديث إلى ما بعد المائة الأولى من الهجرة، أن اتسعت أبواب الرواية وفاضت أنهار الوضع بغير ضابط ولا قيد - منذ فتنة عثمان بن عفان (حتى لقد بلغ ما روى من الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف لا يزال كثير منها منبثاً بين تضاعيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مما يجعل الثقة بصحة الأحاديث ضعيفة، ويجعل المرء لا يطمئن إلى السنة النبوية من حيث ورودها (1) 0

(1) أضواء على السنة محمود أبو رية ص 18، 268، وانظر له قصة الحديث الحمدي ص 49 - 56 وشيخ المضيرة ص 218، وانظر الأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر 35/1، ومجلة المنار المجلد 516/9 - 517، والصلاة لمحمد نجيب ص 11 - 14، وفجر الإسلام 210، 211، وضحى الإسلام 123/2 كلاهما لأحمد أمين، ودليل المسلم الحزين لحسين أحمد أمين ص 45 وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 98، ونحو تطوير التشريع الإسلامى لعبد الله النعيم ص 44-50، والأصقان العظيمان 218، والسنة ودورها في الفقه الجديد كلاهما لجمال البنا ص 12، 90، 91، 109، 161، 262، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث لسعيد العشماوى ص 84، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 111، 113، 290، 427، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين كلاهما لإسماعيل منصور ص 471، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة لصالح الورداني ص 81، وتأملات

في الحديث زكريا عباس داود ص 131-164 والإمام الشافعي لنصر أبو زيد 97، 98، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين 236 - 258، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 489 - 514، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي 13، 298، 290، 158، 156، 302، وخمسون ومائة صحابي مختلف لمرتضى العسكري 50/1، 51

(479/1)

... هذه هي خلاصة شبهتهم التي طعنوا بها في حجية السنة المطهرة، وفي مصديرتها التشريعية، كما طعنوا بها في عدالة حملة الإسلام من أهل القرون الثلاثة الفاضلة الذين شهد لهم المصطفى (بالخيرية من صحابته الكرام) والتابعين لهم بإحسان من أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء⁰

... فطعنوا بهذه الشبهة في حجية السنة حيث ذهب الصنم الأكبر للمستشرقين جولد تسيهر إلى (أن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني، وأنه ليس صحيحاً ما يقال أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جمهور الإسلام في عصر النضوج، وتابعه على ذلك سائر المستشرقين (1) ، وذيبوهم من دعاة الفتنة، وأدعياء العلم في أمتنا الإسلامية؛ مثل أحمد صبحي منصور القائل : "بدلاً من أن يعكف المسلمون على القرآن ومنهجه العقلي فإنهم أضاعوا قروناً في تأليف الروايات والاختلاف حولها، وفي تأليف الخرافات والبحث عنها" (2) 0

... ويقول أيضاً : " ... لأن تلك المرويات التي كانت تعبر عن عصور السابقين وثقافتهم أصبحت في عصرنا تسمى للإسلام، علاوة على أنها أكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان (3) ، فتأمل هل هناك فرق في المعنى بين ما قاله أحمد صبحي وجولد تسيهر!!؟

... ومن أسباب وضع الحديث طعن أعداء الإسلام في عدالة حمل الإسلام من صحابة رسول الله (وأئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين⁰

(1) سبق تفصيل ذلك والرد عليه في شبهة التأخر في تدوين السنة ص 344-353 0

(2) مجلة روزاليوسف العدد 3530 ص 50 0

(3) انظر : مجلة روزاليوسف العدد 3563 ص 36، وكرر هذا الكلام إجمالاً في كتبه الآتية : حد الردة ص 5، 89، والمسلم العاصي ص 9، 8، وعذاب القبر ص 6، 5، ولا ناسخ ولا منسوخ ص 10، وانظر السنة ودورها في الفقه الجديد ص 11 0

(480/1)

1- فاتهموا الصحابة العدول الثقات (بالكذب على رسول الله)، وأنهم كانوا يكذب بعضهم بعضاً، وأنهم تسارعوا على الخلافة وانقسموا شيعاً وأحزاباً (وأخذ كل حزب يدعم موقفه بحديث يضعه على النبي)، واشتد ذلك الأمر في العصر الأموي، والعباسي حيث تحولت تلك الأكاذيب إلى أحاديث، وتم تدوينها في العصر العباسي ضمن كتب الحديث الصحاح (1) 0

(1) قاله أحمد صبحي في كتابه الحسبة ص 10، 39، وانظر مجلة روزاليوسف العدد 3563 ص 35، والصلاة في القرآن ص 56، 57، وانظر: الحديث في الإسلام للمستشرق الفريد غيوم ص 20-30 نقلاً عن منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 57، 58 0

(481/1)

2- واتهموا أئمة المسلمين الثقات من المحدثين والفقهاء بأنهم نافقوا الحكام والسلاطين، وكانوا لهم جنوداً واخترعوا لهم من الأحاديث ما يثبت ملكهم وسلطانهم، وعلى درجهم صار علماء المسلمين إلى يومنا هذا 0 وفي ذلك يقول نيازي عز الدين : "السلطان (1) كان يستخدم الأحاديث، وعلماء الحديث، ورجال الدين أصلاً من أجل إقناع الشعب الذي هو الرأي العام عنده بوجهة نظره دائماً، فكل هؤلاء كانوا يعملون للسلطان بأجر موضوع يقابل خدماتهم المطلوبة، فعليهم تنفيذ الأوامر (لذلك سميناهم في هذا الكتاب بجنود السلطان؛ لأنهم يتلقون الأوامر وعليهم الطاعة الدائمة لتلك الأوامر مهما كانت) (2) ويقول في موضع آخر : "وجنود السلطان استخدموا الأحاديث التي وضعوها ظمناً باسم الرسول (؛ ليتوصل السلطان إلى ما يريد من إخضاع الشعب بأقل تكاليف ممكنة" (3) 0

(1) المراد بالسلطان في نظر المؤلف هو معاوية بن أبي سفيان (، وصرح بذلك في كتابه دين السلطان ص 34، 41، 795 0

(2) دين السلطان ص 62 0

(3) دين السلطان ص 92 وراجع من نفس المصدر ص 10، 114، 117، 119، 153، 154، وانظر : إنذار من السماء ص 10، 124، 125، 129، 130، 134، 695، 715 0 كلاهما لنيازى عز الدين 0 وانظر : وعاظ السلاطين للدكتور على الوردى ص 15-262 0

(482/1)

... وهذا الكذب ترديد لما قاله قديماً جولد تسبهر في العقيدة والشريعة في الإسلام قائلاً: "ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول (أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى ... فالحق أن كل فكرة، وكل حزب وكل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له في الرأي يسلك أيضاً هذا الطريق ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث، ظاهرها لا تشويه أى شائبة" (1) 0

... ونفس هذا الكذب رددته حسين أحمد أمين في كتابه دليل المسلم الحزين قائلاً : "ومن ثم فقد لجأ الفقهاء والعلماء إلى تأييد كل رأى يروونه صالحاً ومرغوباً فيه بحديث يرفعونه إلى النبي ((2) 0

... ورددته أحمد أمين في فجر الإسلام قائلاً : "فلا تكاد ترى فرعاً فقهياً مختلفاً فيه إلا وحديث يؤيد هذا وحديث يؤيد ذلك" (3) 0

... ورددته أحمد صبحي مؤيداً في ذلك أحمد أمين قائلاً في دفاعه عن حل زواج المتعة : "وذلك يذكرنا بما قاله العلامة أحمد أمين في كتابة فجر الإسلام 0 "أن الخلافات الفقهية كانت من أهم أسباب اختراع الأحاديث" (4) 0

(1) العقيدة والشريعة ص 49، 50، وانظر : له دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً

عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 511، 521 0 وانظر : أصول الفقه الحمدي لشاخت
ترجمة الصديق بشير نقلاً عن المرجع السابق العدد 11 ص 689 0 راجع : منهجية جمع السنة
وجمع الأناجيل للدكتور عزيزة على طه ص 64 ما بعدها 0
(2) دليل المسلم الحزين ص 45 0
(3) فجر الإسلام ص 214 0
(4) مجلة روزاليوسف العدد 3564 ص 23 0

(483/1)

... ويقول أيضاً : "إن كل ما كتبه الأئمة السابقون (يعني ما دونوه في كتب السنة المطهرة) ليس ديناً
وإنما هو فكر ديني يقبل الخطأ والصواب (1) 0

... وردد ذلك من غلاة الشيعة على الشهرستاني في كتابه (منع تدوين الحديث أسباب ونتائج" قائلاً
: "السنة المتداولة اليوم ليست سنة الرسول بل هي سنة الرجال في كم ضخم من أبوابها ومفرداتها"
(2) وفي موضع آخر : يصف السنة المطهرة بأنها "فقه الرجال" (3) 0

الجواب على شبهة أن الوضع وكثرة المواضيع للسنة أضعفت
الثقة بالسنة الشريفة
تمهيد :

... صحيح : أنه كان هناك وضاعون وكذابون لفقوا أقوالاً، ونسبوا إلى رسول الله (0) ولكن الأمر لم
يكن بهذه البساطة التي تخيلها أصحاب هذه الشبهة، وأثاروا بها الوسواس في النفوس، وقد جهلوا أو
تجاهلوا الحقائق التي سادت الحياة الإسلامية فيما يتعلق بالسنة النبوية 0 فقد كان إلى جانب ذلك
عدد وفير من الرواة الثقات المتقنين العدول، وعدد وفير من العلماء الذين أحاطوا حديث رسول الله
(بسياج قوى يعسر على الأفاكين اختراقه

... واستطاع هؤلاء المحدثون بسعة إطلاعهم، ونفاذ بصيرتهم، وجدهم واجتهادهم ومثابرتهم أن يعرفوا
المضامين، وأن يقفوا على نواياهم ودوافعهم، وأن يضعوا أصابعهم على كل ما نسب إلى رسول الله)

على سبيل الوضع والكذب والافتراء⁰

فهؤلاء الوضاعون لم يترك لهم الحبل على الغارب يعثون في الحديث النبوى كما يشاؤون، ولم يترك لهم المجال لأن يندسوا بين رواة الأحاديث النبوية الثقات العدول دون أن يعرفوا⁰

(1) انظر : مجلة روزاليوسف العدد 3563 ص 36، وقارن شيخ المضيرة لمحمد أبو ربه ص 170،

والإمام الشافعى وتأسيس الأيدلوجية الوسطية للدكتور نصر أبو زيد ص 98، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 260، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 98، 99 وغيرهم⁰

(2) منع تدوين الحديث ص 302⁰

(3) المصدر السابق ص 330⁰

(484/1)

... فقد أدرك العلماء الثقات من المحدثين هذا الاتجاه عند الوضاعين فضربوا عليهم حصار فكرياً، وعلمياً، وعملياً، وميزوهم، وكشفوهم، وكشفوا أساليبهم، وأهدافهم، ودوافعهم، وذكرهم فرداً فرداً وبينوا حكم الدين في كل منهم (1) ، كما استعدوا عليهم الحكام والأمراء بمنعهم من التحديث، كما ميزوا الصحيح والضعيف والموضوع فدون كل على حده، وتلك مزية للسنة لم يصل إليها أى علم من العلوم، إلا أن أعداء الإسلام استطاعوا أن يصوروا هذه المزية على أنها عيب!!! بزعمهم أن الموضوع يوجد في السنة بلا تمييز (2)⁰

وإذا كان العلماء قديماً وحديثاً اتسعت مباحثهم في التعريف بالحديث الموضوع، وبدايته، وأسبابه، وحكم روايته، وضوابط معرفته، وأشهر المصنفات فيه، وكتبوا في ذلك ما يفى بالغاية - حتى يصح أن يقال : لم يدع الكاتبون زيادة لمستزيد فيه، فلنذكر خلاصة بعض تلك المباحث ففيها بيان جهود علماء الحديث في مقاومة حركة الوضع والوضاعين، وهتك سترهم، حتى خرجت السنة النبوية المطهرة سالمة من تحريفهم وإفكهم⁰ فيلى بيان ذلك⁰

التعريف بالحديث الموضوع لغة واصطلاحاً :

... الموضوع لغة : اسم مفعول، مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً، إذا حطه وأسقطه⁰ أو مأخوذ

من الضعة، وهي الانحطاط في الرتبة ويأتى (وضع) لمعانٍ عدة، منها : الإسقاط، كوضع الجنازة عنه
أى أسقطها وكوضع الأمر، أو الشئ عن كاهله، أى أسقطه 0 ويأتى بمعنى الترك، ومنه : إبل
موضوعة، أى متروكة فى المرعى 0 ويأتى بمعنى الافتراء والاختلاف كوضع هذه القصة، أى : اختلقها
وافترأها 0 والأحاديث الموضوعة : المختلقة (3) 0

(1) مؤتمر السنة النبوية ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة بحث الشيخ عز الدين التميمي 569/2-

0 570

(2) السنة النبوية 0 مكانتها 0 لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 54 0

(3) لسان العرب 396/8، 397، والقاموس المحيط 91/3، 92 0

(485/1)

والموضوع فى اصطلاح المحدثين : هو الحديث الكذب، المختلق، المصنوع فهو مما نسب إلى النبى (كذباً واختلاقاً، مما لم يقله أو يفعله أو يقره، فالمناسبة بين المعنى اللغوى، والاصطلاحى ظاهرة؛ لأن الموضوع فيه معنى السقوط، وفيه انحطاط فى رتبته عن غيره، وفيه معنى التوليد وإيجاد ما لم يكن موجوداً (1) 0

وتسمية الكلام (الموضوع) : حديثاً، لا مانع منها، فهو حديث بالنظر إلى المعنى اللغوى، كما أشار إليه الحافظ السخاوى فى فاتحة كتابه المقاصد الحسنة بقوله : "ولاحظت فى تسميتها أحاديث - المعنى اللغوى -" (2) ، وهو أيضاً (حديث) بحسب زعم واضعه، وبالنظر إلى ظاهر الأمر قبل البحث والكشف له، وإن كان اصطلاحاً ليس بحديث 0

... ويشهد لتسمية الكلام المكذوب (حديثاً) قوله (: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" (3) ، ففى هذا الحديث سمى النبى (، الكلام المكذوب (حديثاً) 0

والحديث الموضوع : تارة يكون كلاماً يخترعه الكذاب من عند نفسه، ثم يضيفه إلى رسول الله (، وهو أكثر الأحاديث الموضوعة 0

... وتارة يأخذ الواضع كلام غيره كبعض كلمات السلف الصالح من الصحابة والتابعين، أو بعض كلمات الحكماء، أو بعض الأخبار الإسرائيلية، أو غير ذلك، ثم ينسبه للرسول (0)

... وتارة يأخذ الواضع حديثاً ضعيف الإسناد، فيركب عليه إسناداً صحيحاً ليروج ويقبل 0 وتارة ينسب الكلام المستقيم ككلام بعض الصحابة أو غيرهم إلى النبي (خطأ وغلطاً، فيقال فيه أيضاً : حديث موضوع (4) 0هـ

بداية الوضع في الحديث وبراءة الصحابة (منه :

-
- (1) انظر : تدريب الراوى 274/1، وفتح المغيث للسخاوى 274/1، وتوضيح الأفكار 68/2، وتنزيه الشريعة لابن عراق 5/1 0
(2) المقاصد الحسنة ص 3 0
(3) سبق تخريجه ص 34 0
(4) لمحات من تاريخ السنة ص 80، 81 وانظر : تفصيل ذلك في الموضوعات لابن الجوزى 35/1، وتنزيه الشريعة لابن عراق 15/1-16 0

(486/1)

... اختلف العلماء في بداية ظهور الوضع في الحديث إلى قولين :

- 1- القول الأول : ذهب إلى أن بدايته في عهد النبوة المباركة، وبه قال الدكتور صلاح الدين الأدلى (1) ، والدكتور فاروق حماده (2) ، واستدلوا على ذلك بما روى عن بُرَيْدَةَ (3) قال: جاء رجل إلى قوم في جانب المدينة فقال : إن رسول الله (أمرني أن أحكم برأيي فيكم، في كذا وكذا 0 وقد كان خطب امرأة منهم في الجاهلية، فأبوا أن يزوجه، فبعث القوم إلى النبي (يسألونه، فقال : "كذب عدو الله" 0 ثم أرسل رجلاً فقال : "إن أنت وجدتته ميتاً فأحرقه" فوجده قد لدغ فمات، فحرقه، فعند ذلك قال النبي (: "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (4)

- (1) منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص 40، 41 0
- (2) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص 271 - 273 0
- (3) بُرَيْدَةُ هو : بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب، صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 185/1 رقم 217، وتاريخ الصحابة ص 43 رقم 108، ومشاهير علماء الأمصار ص 78 رقم 414، واسد الغابة 367/1 رقم 398، والإصابة 146/1 رقم 632 0
- (4) أخرجه ابن عدى في الكامل 1371/4، ونقله عنه ابن الجوزى في مقدمة كتابة (الموضوعات) 55/1، 56 من حديث بريدة (، وفي إسناده بروايته عند ابن عدى، وروايته عند ابن الجوزى (صالح بن حيان القرشي) اتفقت كلمة المحدثين النقاد على تضعيفه وجرحه، كما تراه في ترجمته في : تهذيب التهذيب 386/4، وتقريب التهذيب 427/1 رقم 2862، والجرح والتعديل 398/4 رقم 1739، والجروحين لابن حبان 365/1، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص 135 رقم 311، وخلاصة تهذيب تهذيب الكمال ص 170 وترجم له الحافظ الذهبي في الميزان 292/2 فذكر من منكراته هذا الحديث نفسه، وقال : رواه كله صاحب (الصارم المسلول) ص 169 من طريق البغوى عن يحيى الحماني عن علي بن مسهر وصححه، ولم يصح بوجهه 0 والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط 59/3 عن عبد الله بن عمرو بن العاص (، وفي إسناده عطاء بن السائب الكوفي وقد اختلط كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد 145/1، وقد نص الطبراني أن هذا الحديث لم يروه عن عطاء إلا وهيب بن خالد، وقد ذكر أبو داود أنه سمع منه بعد اختلاطه 0 انظر : نهاية الاغتيال ص 241 رقم 71، وفي تهذيب التهذيب 203/7 رقم 385 رواية وهيب عنه في جملة ما يدخل في الاختلاط، هذا وقد تتبع الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة هذا الحديث برواياته المتعددة في كتابه "لحات من تاريخ السنة" تحت عنوان "بطلان الأحاديث الدالة على وجود الكذب على النبي (في حياته ص 56 - 65، وقال : وأما الحديث الذي جاء في سبب ورود حديث "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، فهو حديث منكر لا يصح الالتفات إليه ولا التعويل عليه، انظر : لحات من تاريخ السنة ص 56

(487/1)

2- القول الثاني : ذهب إلى أن بداية الوضع في الحديث، كانت باندلاع الفتنة التي أشعل فتيلها أقوام من الحاقدين على الإسلام، ويعتبر الدكتور السباعي سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل

بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع، وبين التزايد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية بعد أن اتخذ الخلاف بين عليّ ومعاوية -رضى الله عنهما- شكلاً حربياً سالت به دماء وأزهقت منه أرواح، وبعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف متعددة (1) 0 وربما بدأ قبل ذلك، في الفتنة التي كانت زمن عثمان (، هذا إذا اعتبرناها الفتنة المذكورة في خبر ابن سيرين، والتي جعلها بداية لطلب الإسناد0

... وأياً كانت بداية الوضع في الحديث "زمن النبوة المباركة" أو "زمن الفتنة" فلا يمكن أن يكون الوضع في الحديث وقع من صحابة رسول الله (العدول الثقات المعروفين بالخيرية، والتقوى، والبر والصلاح، والذين يدور عليهم نقل الحديث0

(1) السنة ومكانتها للدكتور السباعي ص 75، ومن ذهب إلى القول الثاني الدكتور همام سعيد في كتابه الفكر المنهجي عند المحدثين ص 51، والدكتور أبو لبابة في كتابه أصول علم الحديث ص 89-91، والأستاذ أبو غدة في كتابه لمحات من تاريخ السنة ص 73 - 76 وغيرهم0

(488/1)

وعلى فرض صحة الروايات التي تشير إلى أن بداية الوضع زمن النبوة المباركة0 فليس فيها ما يشكك في صدق الصحابة، ولا ما يطعن في عدالتهم، إذ كان معهم منافقون، وهم الذين كانت تصدر منهم أعمال النفاق، فلا يبعد أن يكون الرجل الوارد في تلك الروايات واحد من المنافقين، وبذلك قال الدكتور صلاح الدين الأدلبي (1)، والدكتور فاروق حمادة (2) دفاعاً عن تهمة الصحابة بالكذب عليه (في زمانه، وهما من أصحاب القول الأول أن بداية الوضع زمن النبوة

(1) منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص 41 0

(2) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص 273، وسبقهم إلى ذلك الإمام ابن حزم في كتابة الأحكام في مباحث المرسل فصل (ليس كل من أدرك النبي (ورآه صحابياً 2/218 0 فبعد أن روى الحديث السابق من رواية بريدة (وفي إسناده أيضاً "صالح بن حيّان القرشي"، قال ابن حزم : فهذا من كان في عصره (يكذب عليه كما ترى فلا يقبل إلا من سمى وعرف فضله، وقبل ذكره للحديث

قال : "وقد كان في المدينة في عصره عليه السلام منافقون بنص القرآن، وكان بها أيضاً من لا ترضى حاله "كهيت" المخنث الذي أمر عليه السلام بنفيه، والحكم ابن أبي العاص الطريد وغيرهما، فليس هؤلاء ممن يقع عليهم اسم الصحابة أ00 وهذا الذي قاله الإمام ابن حزم قبل روايته لحديث بريدة يؤكد حملة تلك الرواية على رجل من المنافقين، لا على أحد من الصحابة العدول الثقات 0 ومن العجب أن محمود أبو رية استشهد برواية ابن حزم ولم ينقل كلامه السابق 0 انظر : أضواء على السنة ص 65، وتابعه على ذلك من الشيعة زكريا عباس داود في كتابه تأملات في الحديث ص 123، كما لم يلتفت الأستاذ أبو غدة -رحمه الله- إلى أن ابن حزم حمل رواية بريدة على رجل من المنافقين، فغلط الأستاذ أبو غدة الإمام ابن حزم ظناً منه أنه اعتد بصحة الحديث عندما ذكره في موضعين من كتابه 0 انظر : لمحات من تاريخ وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص 58 هامش 0

(489/1)

المباركة 0

أما ما زعمه غلاة الشيعة والمستشرقون ودعاة اللادينية : أن بداية الوضع كانت في زمن النبي (ووقعت من صحابته الكرام، واستدلواهم على ذلك بالروايات السابقة (1) 0 وغيرها مما جاء فيها تحطئة بعض الصحابة لبعضهم، واستشهدواهم بذلك على أنهم كانوا يشكون في صدق بعضهم بعضاً 0 ... فهذا لا يقوله إلا قوم امتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً على من اختارهم واصطفاهم ربهم (لصحبة نبيه (وتبليغ رسالته إلى الخلق كافة 0

(1) انظر : أضواء على السنة ص 65، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 139، وإنذار من السماء ص 700، 701، ودين السلطان ص 258، 325، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 294، 428، وفجر الإسلام ص 211، ومعالم المدرستين المجلد 1/435، والنص والاجتهاد عبد الحسين شرف الدين ص 335، وتأملات في الحديث عند السنة والشيعة زكريا داود ص 126، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 539

... يقول الدكتور أبو لبابة حسين : "لا يختلف منصفان في أن العصر الأول للإسلام يعد أنظف العصور وأسلمها من حيث استقامة المجتمع وتوفيق رجاله وصلاحيهم ولا غرو، فإن جلّ القيادات كانت من الصحابة (1) ، كما أن التربية القرآنية التي غرسها (في صحبه، وتعهدا بالرعاية كانت عاملاً فعالاً في تطهير نفوس الأصحاب مما يطرأ عادة على القلوب والنفوس من أهواء ورغائب تكون مدعاة للكذب والافتراء، ولا سيما القرآن الكريم يتوعد الكاذبين بأشد الوعيد، ويصف الكذب بأنه ظلم قال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) (2) ، (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (3) 0

... وكيف يكذبون! وقد اشتهر وأعلن فيهم وتواتر عنهم قوله (: "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (4) وكيف نتصور وصفهم بالكذب وعشرات من الآيات القرآنية، وعشرات أخرى من الأحاديث النبوية تركيهم وتصفهم بالصدق، والإخلاص، والتقوى!!؟

(1) أصول علم الحديث للدكتور أبو لبابة ص 89، وراجع: ما سبق في الجواب عن شبهة فضالصحابة عن الإكثار من الرواية اتمام من أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما- للصحابة بالكذب ص 336-

0 339

(2) الآية 32 من سورة الزمر 0

(3) الآية 69 من سورة يونس 0

(4) سبق تخريجه ص 275 0

... بل إنه كما يقول الدكتور السباعي -رحمه الله- : "ليس من السهل علينا أن نتصور صحابة رسول الله (الذين فدوا الرسول بأرواحهم وأموالهم وهجروا في سبيل الإسلام أوطانهم وأقرباءهم، وامتزج حب الله وخوفه بدمائهم ولحومهم : ليس من السهل أن نتصور هؤلاء الأصحاب يقدمون

على الكذب على رسول الله (مهما كانت الدواعي إلى ذلك (1) ... ولقد دلنا تاريخ الصحابة في حياة الرسول وبعده، أنهم كانوا على خشية من الله وتقوى يمنهم من الافتراء على الله ورسوله، وكانوا على حرص شديد على الشريعة وأحكامها، والذب عنها، وإبلاغها إلى الناس، كما تلقوها عن رسوله يتحملون في سبيل ذلك كل تضحية ويخاصمون كل أمير أو خليفة أو أى رجل يرون فيه انحرافاً عن دين الله (لا يخشون لوماً، ولا موتاً، ولا أذى، لا اضطهاداً⁰

نماذج من جراءة الصحابة في حفظ الشريعة :

(1) قارن بالإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ص 94 0

(492/1)

1- فهذا الفاروق عمر (الذى تهابه أعتى الإمبراطوريات ويخاف سطوته العادلة أشجع الرجال، تقف في وجهه امرأة لتقول له : لا، وذلك حين دعا إلى أمر رأت فيه هذه المرأة مخالفة لتعاليم القرآن، فقد خطب الناس يوماً فقال : "أيها الناس لا تغالوا في مهوور النساء لو كان ذلك مكرومة عند الله لكان أولاكم بها رسول الله (0 فتتصدى له امرأة على مسمع من الصحابة فتقول له : "يا أمير المؤمنين! كتاب الله (أحق أن يتبع أو قولك؟ قال : بل كتاب الله (، فما ذلك؟ قالت نهيت الناس أنفاً أن يغالوا في صدق النساء والله (يقول في كتابه العزيز : (وَأَتَيْنَهُنَّ إِخْدَافًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) (1) فقال عمر : كل أحد أفقه من عمر، مرتين أو ثلاثاً ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ألا فليفعل كل رجل في ماله ما بدا له (2)

(1) جزء من الآية 20 من سورة النساء⁰

(2) أخرجه سعيد بن منصور في سننه باب ما جاء في الصداق 166/1، 167 رقم 598 وأخرجه أبو يعلى في مسنده وفيه "كل الناس أفقه من عمر"، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 284/4 : فيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق⁰

(493/1)

2- ويذهب أبو بكر (إلى محاربة الممتنعين عن أداء الزكاة فيعارضه عمر طالما أن نصاً نبوياً يمنع دماء من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهو قوله ("أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله"، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (، لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله (قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه حق" (1) 0

3- وهذا على بن أبي طالب (يعارض عمر (في همه برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فقال له على : ليس ذاك لك : إن الله (يقول في كتابه (وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (2) فقد يكون في البطن ستة أشهر، والرضاع أربعة وعشرين شهراً فذلك تمام ما قال الله : ثلاثون شهراً، فخلي عنها عمر" (3) 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض 288/12 رقم 6924، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله 232/1 رقم 32، واللفظ له 0
- (2) جزء من الآية 15 من سورة الأحقاف 0
- (3) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، باب المرأة تلد لستة أشهر 66/2 رقم 2074 0

(494/1)

-
- 4- وهذا أبو سعيد الخدرى (ينكر على مروان من الحكم والى المدينة تقديم الخطبة على صلاة العيد مبيناً أنه عمل مخالف للسنة النبوية (1) 0
- 5- وما هو ابن عمر- كما يروى لنا الذهبي في "تذكرة الحفاظ" يقوم- والحجاج (2) يخطب فيقول : أى ابن عمر متكلماً عن الحجاج : عدو الله استحل حرم الله وخرب بيت الله وقتل

-
- (1) قصة الحديث أخرجه (بشرح فتح البارى) كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر 520/2 رقم 956، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان 296/1 رقمى 78، 79، وانظر : إنكار كعب بن عجرة (على عبد الرحمن ابن أم الحكم

خطبته يوم الجمعة قاعداً قائلاً : "انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقال الله تعالى : "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" 0هـ الآية 11 من سورة الجمعة، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجمعة باب قوله تعالى : "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" 416/3 رقم 864 0

(2) الحجاج : هو الحجاج ابن يوسف بن أبى عقيل الثقفى، الأمير، المشهور، الظالم، المبير، وقع ذكره وكلامه فى الصحيحين وغيرهما، وليس بأهل بأن يروى عنه، ولى إمرة العراق عشرين سنة، مات سنة 95هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 190/1 رقم 1144، ووفيات الأعيان 29/2 رقم 149، والجرح والتعديل 168/3 رقم 717، والكاشف 313/1 رقم 946، وسير أعلام النبلاء 343/4 رقم 117، ولسان الميزان 333/2 رقم 2351 0

(495/1)

أولياء الله، وروى الذهبى أن الحجاج خطب فقال : إن ابن الزبير بدل كلام الله، فقال ابن عمر : كذبت لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كلام الله ولا أنت، قال الحجاج : إنك شيخ قد خرفت أقعد 0 قال ابن عمر : أما إنك لو عدت عدت (1) 0

... مثل هذه الأخبار، ومئات أمثالها قد استفاضت بها كتب التاريخ، وهى تدل دلالة قاطعة على ما كان عليه الصحابة من الشجاعة، والأمانة، والجرأة فى الحق، والتفانى فى الدفاع عنه، بحيث يستحيل أن يكذبوا على رسول الله (اتباعاً لهوى أو رغبة فى دنيا، إذ لا يكذب إلا الجبان، كما يستحيل عليهم أن يسكنوا عمن يكذب على رسول الله (وهم الذين لا يسكتون عن اجتهاد خاطئ يذهب إليه بعضهم بعد فكر وإمعان نظر 0 وهذا غاية ما يكون بينهم من خلاف فقهى لا يتعدى اختلاف وجهات النظر فى أمر دينى وكل منهم يطلب الحق وينشده (2) 0

وما يرد من ألفاظ التكذيب على ألسنة بعضهم، فإنما هو تخطئة بعضهم لبعض، وبيان ما وقع فيه بعضهم من وهَم الكلام 0

(1) تذكرة الحفاظ 37/1، 39 0

(2) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 76 - 78 بتصرف 0

(496/1)

... والكذب بهذا المعنى لا يعصم منه أحد، لا من الصحابة، ولا ممن دونهم، وقد جاءت كلمة "الكذب" في أحاديث كثيرة بمعنى الخطأ، من ذلك : قول النبي (: "كذب من قال ذلك" (1) في الرد على من ظن أن عامر بن الأكوع (2) : "قتل نفسه في غزوة خيبر حيث أصابه سيفه، وهو يبارز "مرحباً" ملك اليهود وقوله (: "كذب أبو السنابل (3) ، ليس كما قال، قد حلت فانكحى" 0 وذلك في الرد على أبي السنابل الذي قال لسبيعة بنت الحارث (4) ، وقد وضعت حملها بعد وفاة زوجها بأيام : إنك لا تحلين حتى تمكثي أربعة أشهر وعشراً فذكرت ذلك لرسول الله (فقال : "كذب أبو السنابل، ليس كما قال" (5) 0

(1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر 404/6 رقم 1802،

وباب غزوة ذي قور وغيرها 419/6 رقم 1807 0

(2) عامر بن الأكوع : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 785/2 رقم 1317، واسد الغابة

114/3 رقم 2680، وتحريد أسماء الصحابة 283/1، والإصابة 350/3 رقمي 364، 393 0

(3) أبو السنابل : هو حَبَّةُ بن بَعْكُك، صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 318/1 رقم 468،

واسد الغابة 669/1 رقم 1030، وتاريخ الصحابة ص 77 رقم 299، ومشاهير علماء الأمصار

ص 28 رقم 84، والإصابة 304/1 رقم 1565 0

(4) سبيعة بنت الحارث: صحابية جلييلة لها ترجمة في: تاريخ الصحابة ص 130 رقم 630،

والاستيعاب 1859/4 رقم 3370، واسد الغابة 138/7 رقم 6979، والإصابة 326/4 رقم

11278 0

(5) أخرجه سعيد بن منصور في سننه كتاب الطلاق، باب في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها

350/1 رقمي 1506، 1508 0

(497/1)

... وعلى نحو هذا الاستعمال لكلمة "كذب" جاء استعمال الصحابة لها، كقول ابن عباس - رضى الله عنهما - عن نوف البكالى (1) : "كذب نَوْف" عندما قال صاحب الخضر ليس موسى بنى إسرائيل، وإنما موسى آخر - ونوف من الصالحين العباد، ومقصود ابن عباس : اخطأ نوف (2) 0

(1) نَوْف البكالى : هو نَوْف، بفتح النون وسكون الواو، ابن فَضَّالة، بفتح الفاء والمعجمة، البكالى، بكسر الموحدة وتخفيف الكاف، ابن امرأة كعب، شامى مستور، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب، مات سنة بعد التسعين من الهجرة 0 له ترجمة فى : تقريب التهذيب 255/2 رقم 7239، والجرح والتعديل 505/8 رقم 2311 0
(2) انظر : الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم ص 52 0

(498/1)

... ومنه قول عبادة بن الصامت (: "كذب أبو محمد" حيث قال : "الوتر واجب" ومنه قول عائشة - رضى الله عنها - لما بلغها أن أبا هريرة يحدث بأنه "لا شؤم إلا فى ثلاث" قالت : "كذب - والذي أنزل على أبى القاسم - من يقول : "لا شؤم إلا فى ثلاث - ثم ذكرت الحديث" (1) 0
"واستمع الزبير بن العوام (، إلى أبى هريرة يحدث، فجعل يقول كلما سمع حديثاً : كذب ... صدق ... كذب، فسأله عروة ابنه : يا أبت ما قولك : صدق ... كذب 0 قال : يا بنى : أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله (، فلا شك فيه، ولكن منها ما يضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه" (2) 0 فعائشة والزبير - رضى الله عنهما - لا يريدان بقولهما - كذب أى اختلق - حاشاهم من ذلك - وإنما المراد اخطأ فى فهم بعض الأحاديث ووضعها فى غير محل الاستشهاد بها، كما صرح الزبير بن العوام (، فعادلة أبى هريرة بين الصحابة أعظم من أن تمس بجرح، وما اتهم به كذباً من أعداء الإسلام تصدى للرد عليه رهط من علماء الإسلام (3) 0

(1) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب فيمن لم يوتر 62/2 رقم 1420، والنسائي فى سننه كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس والمحافظة عليها 230/1 رقم 461، والموطأ كتاب صلاة الليل، باب الأمر بالوتر 120/1 رقم 13 0

(2) البداية والنهاية لابن كثير 8/ 112، وانظر : توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزى ص 34 0

(3) انظر بعض من تصدى للدفاع عنه في "مبحث أبو هريرة راوية الإسلام رغم آنف الحاقدين" ص638

(499/1)

... فهذا كله من الكذب الخطأ، ومعناه "اخطأ قائل ذلك" 0 وسمى كذباً، لأنه يشبهه؛ لأنه ضد الصواب، كما أن الكذب ضد الصدق، وإن افترقا من حيث النية والقصد (1) وما استدرك به بعض الصحابة بعضاً في الرواية لا يعد كذباً، كيف لا والصحابة يتفاوتون في روايتهم عن النبي (بين مكثر ومقل، يحضر بعضهم مجلساً للرسول (يغيب عنه آخرون، فينفرد الحاضرون بما لم يسمعه المتخلفون، حتى يبلغوا به فيما بعد 0 ومن هذا القبيل كتاب "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" للإمام بدر الدين الزركشي 0 كما وقع لجماعة من الصحابة غيرها، استدركوا على مثلهم، ونفوا ما رواه وخطئوه فيه 0

... وبدل على ما سبق ما رواه الحاكم عن البراء بن عازب (: "ليس كلنا كان يسمع حديث النبي (، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب" (2) 0

(1) انظر : لسان العرب 1/ 704، وانظر : فتح الباري 1/ 242، والمكانة العلمية لعبد الرزاق الصنعاني في الحديث النبوي لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار مبحث (مراجعة الصحابة بعضهم لبعض في ضبط ما يروونه لا تعنى الاتهام) 1/ 295 0
(2) سبق تخريجه ص 336 0

(500/1)

... وعن القاسم بن محمد (1) قال : " لما بلغ عائشة قول عمرو بن عمر مرفوعاً : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه قالت إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطئ (2) ، وفي

رواية قالت : " يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي

أو اخطأ، إنما مر رسول الله (على يهودية تبكى عليها فقال : إنهم ليبكون عليها، وإنما لتعذب في قبرها" (3) 0

... كل ذلك وغيره الكثير، يدل على ثقة الصحابة بعضهم ببعض، ثقة لا يشوبها شك ولا ريبة، لما يؤمنون به من تدينهم بالصدق، وأنه عندهم رأس الفضائل، وبه قام الإسلام، وساد أولئك الصفوة المختارة من أهله الأولين وصدقت عائشة - رضى الله عنهما - ما كَانَ خُلُقَ أَبْغَضَ إلى أصحاب رسول الله (من الكذب (4) 0

(1) القاسم بن محمد : هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، روى عن عائشة، وأبي هريرة، وفاطمة بنت قيس، وعنه الزهري، وأبو الزناد 0 مات سنة 106 هـ على الصحيح 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 23/2 رقم 5506 والكاشف 2/130 رقم 4528 والثقات للعجلي ص 387 رقم 1370، وتذكرة الحفاظ 1/96 رقم 88، والثقات لابن حبان 5/302، ومشاهير علماء الأمصار ص 82 رقم 427 0

(2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه 3/501 رقم 929

(3) أخرجه مسلم في الموضع السابق 3/503 رقم 932، وانظر : فتح الباري 3/184 حيث نقل عن القرطبي قوله : "إنكار عائشة ذلك وحكمها على الراوى بالتخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد، لأن الرواة لهذا المعنى من الصحابة كثيرون وهم جازمون فلا وجه للنفي مع إمكان حمله على محمل صحيح .. إلخ" 0

(4) سبق تخريجه ص 337 0

(1/2)

... وعلى هذا : فإذا ورد على لسان أحد من الصحابة نفي ما رواه نظيره، أو قوله في مثيله : كذب فلان ... ، أو نحو هذا من العبارات، فالمراد به أنه أخطأ أو نسي؛ لأن الكذب عند أهل السنة هو

الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه عمداً أو نسياناً أو خطأ، ولكن الإثم يختص بالعمد، كما جاء في الحديث : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (1) 0 قال الإمام النووي بعد تعريفه للكذب عند أهل السنة : "وقالت المعتزلة، شرطة العمدية ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا، فإن قيده عليه السلام بالعمد، لكونه قد يكون عمداً، وقد يكون سهواً، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة في الكتاب والسنة متوافقة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسي والغالط، فلو أطلق (الكذب لتوهم أنه يأثم الناسي أيضاً فقيده وأما الروايات المطلقة، فمحمولة على المقيدة بالعمد (2) 0 0 0هـ

الرد على زعم أعداء السنة المطهرة بأن لفظه "متعمداً" في حديث "من كذب على" مختلفة : ... زعم أعداء السنة بأن لفظه "متعمداً" مختلفة، وأدرجها العلماء ليسوغوا بها، وضع الحديث على رسول الله (حسبة من غير عمد، كما كان يفعل الصالحون من المؤمنين ويقولون "نحن نكذب له لا عليه" أو يتكئ عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ، أو الوهم أو سوء الفهم ... إلخ" (3) 0

(1) سبق تخريجه ص 275 0 وانظر : لمحات من تاريخ السنة للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 73 0

(2) المنهاج شرح مسلم للنووي 1/104 0

(3) انظر : أضواء على السنة ص 60، وتابعه جمال البنا في كتابة السنة ودورها في الفقه الجديد ص 139 وقال بقولهم نيازي عز الدين في كتابيه إنذار من السماء ص 700، 701، ودين السلطان ص 170، 243، 258، 325، وانظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 294 0

(2/2)

... الجواب : هذا الزعم كله هراء لأن "لفظة متعمداً" أخرجها البخاري في صحيحه في أكثر رواياته

(1) ،واتفق معه الإمام مسلم في تخريجها في صحيحه (2) 0 وأفاض الحافظ ابن حجر في بيان ثبوتها (3) ، ورغم ذلك يكذب محمود أبو رية بذكره للبخاري وابن حجر ضمن من لا يثبتون هذه الزيادة (4) 0

(1) البخارى (شرح فتح البارى) كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي (243/1، 244

رقمى 108، 110 0

(2) انظر: مسلم (شرح النووى) المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله (101، 100 رقمى 3، 4

(3) فتح البارى 242/1 رقمى 108، 110 0

(4) أضواء على السنة ص 62 هامش 0

(3/2)

... يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة : ولا أحد يدري - كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله، وثوابه، وخدمة الشريعة - على حسب زعمه - بالترغيب فى فعل الخير والفضائل، وهم قوم من جهلة الصوفية، والكرامية، جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب، وربما تمسكوا بقوله تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (1) وقوله ("من كذب على ليضل به الناس" (2) 0 فكيف يجمع قصد الوضع، عدم التعمد؟! وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم 0

(1) جزء من الآية 144 من سورة الأنعام 0

(2) قال الحافظ ابن حجر : الحديث أخرجه البزار من حديث ابن مسعود وقد اختلف فى وصله وإرساله، ورجح الدارقطنى والحاكم إرساله، وأخرجه الدارمى من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للصيرورة كما فسر قوله تعالى "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ" : والمعنى أن مال أمره إلى الإضلال، أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى : "لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً" وقوله تعالى : "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ" فإن قتل الأولاد، ومضاعفة الربا والإضلال فى هذه الآيات إنما هو لتأكيد الأمر فيها لا اختصاص الحكم أ0هـ انظر : فتح البارى 241/1، 626/6، وفتح المغيـث للسخاوى 288/1، 289، وانظر : الموضوعات لابن الجوزى 94/1 - 98 0

(4/2)

... ثم إن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة، وإنما ثبت بأدلة أخرى، وقد تقرر في الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسي، ما لم يكن بتقصير منه فذكر الكلمة لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمراً مقررًا، والسر في ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً على الكاذب، والمخطئ، والساهي، والناسي، لا إثم عليهم، كان من الدقة والحيلة في التعبير التقييد بالعمد، وذلك لرفع توهم الإثم على المخطئ والغالط والناسي، وهو ما نقله الإمام النووي عن مذهب أهل السنة والمعتزلة أيضاً⁰

... على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن المخطئ، والناسي، والغالط، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطاً، أو سهواً، أو خطأً، من قبيل الشبيه بالموضوع في كونه كذباً في نسبته إلى الرسول (، ولا تحل روايته إلا مقروناً ببيان أمره، وإلى هذا ذهب الأئمة، الخليلي، وابن الصلاح، والعراقي، وغيرهم، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح - كابن معين، وابن أبي حاتم - من قبيل الموضوع المختلق، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج، ومهما يكن من شيء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن في عدالة الراوي وضبطه (1) أ⁰

... فأين هذا الذي يقرره الجهابذة من المحدثين مما يزعمه الأفاكون أمثال محمود أبو رية، في قوله كلمة "متعمداً" يتكئ عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ، أو الوهم أو سوء الفهم ... إلخ"؟؟

(1) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبه ص52، 53 بتصرف، وانظر : رد الأئمة للراوى المتساهل في التحمل والأداء وصور من ذلك التساهل في:فتح المغيث للسخاوى 385/1-389، وتدريب الراوى 1/340، 299، وتوضيح الأفكار 2/255 - 258 0

(5/2)

... يقول الشيخ المعلمي اليماني : "ولا يتوهم أحد أن كلمة "متعمداً" تخرج من حدث جازماً وهو شاك، كلا فإن هذا متعمد بالإجماع، ولا نعلم أحداً من الناس حتى من أهل الجهل والضلالة زعم أن

كلمة "متعمداً" تخرج هذا، وإنما وجد من أهل الجهل والضلال من تشبث بكلمة "علئ" فقال : نحن نكذب له لا عليه 0 فلو شكك محمود أبو ربه، ومن قال بقوله، في كلمة "علئ" لكان أقرب (1) 0

جهود حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين في مقاومة حركة الوضع في السنة النبوية

(1) الأنوار الكاشفة ص 72، وانظر : مزيد من الرد على أكاذيب محمود أبو ربه حول هذا الحديث في الأنوار الكاشفة، مع دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شبهة 0

(6/2)

... للوضع في الحديث أسبابه التي فصلها علماء المسلمين قديماً وحديثاً (1) ، والذي يهمننا هنا هو بيان جهود حملة الإسلام، ورواة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في مقاومة تلك الأسباب وأصحابها (2) ، وبيان زيف أعداء السنة بأن الفتن التي وقعت بين المسلمين كانت ضرراً كبيراً على السنة حتى اختلط الموضوع بالصحيح منها، وأصبحت غير مميزة مما يضعف الثقة بحجية السنة، وكذلك بيان إفكهم بأن الكذابين، والجهلة، والفسقة من الوضعيين، كانوا من علماء المسلمين الأثبات، وأن الملوك والأمراء استغلوهم في وضع ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم 0

... بادئ ذي بدء نحب أن نقرر أنه إذا كانت الفتن التي وقعت بين المسلمين والتي بدأت بمقتل سيدنا عمر (واشتدت بمقتل سيدنا عثمان) وتوالت بفتنة على ومعاوية -رضى الله عنهما - إذا كانت تلك الفتن ذات أثر سلبي على السنة النبوية، فإنها كانت في الوقت نفسه سبباً في بناء أقوى الطرق العلمية للنقد والتمحيص، ليس في الحديث فقط بل في سائر العلوم الإسلامية 0

(1) انظر: الموضوعات لابن الجوزي 37/1 - 47، وتنزيه الشريعة لابن عراق 11/1 - 17، وفتح المغيث للسخاوي 278/1-286، وتدريب الراوي 281/1، والسنة ومكانتها للدكتور السباعي ص 79 - 89، والوضع في الحديث للدكتور عمر بن حسن فلاتة 0 مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 901، وانظر : مقارنة بين أسباب الوضع في الحديث، وأسباب الوضع في العهد الجديد، في

منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 493 – 495 0

(2) تلك الجهود التي يتجاهلها أعداء السنة عندما يتحدثون عن الوضع في السنة على الرغم من أن ما يستشهدون به على الوضع في السنة من أسبابه وأصنافه، الفضل في التعريف بذلك إنما هو لأهل الحديث 0

(7/2)

يقول الدكتور همام سعيد : "مما لا شك فيه أن فتناً كثيرة وقعت في عصر الصحابة أولها مقتل عمر (، ثم مقتل عثمان (، ثم الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية - رضى الله عنهما - ولقد استهدفت هذه الفتن الإسلام في أصوله وفروعه، وأراد موقدوها أن يفسدوا على المسلمين أمور دينهم، ومما لا ريب فيه أن الفتنة ذات أثر سلبي، ولكنها في الوقت نفسه كانت سبباً في بناء المنهج الإسلامي، ليس فقط في الحديث وحده، بل في العقيدة والفقه، وأصوله 0 وفي الحقيقة إذا كان المسلمون قد أضاعوا دولتهم من خلال الفتنة، فقد وجدوا المنهج من خلال الفتنة وأثر الفتنة في بناء المنهج أمر لا بد أن نلتفت إليه، وما ظهر الجرح والتعديل، وطلب الإسناد وسائر علوم الحديث إلا من خلال وجود الفتنة، تماماً كما ظهر علم النحو من خلال وجود اللحن في اللغة (1) 0

... ولعل بروز الفتنة في ذلك العصر المبكر، والصحابة متوافرون كان في غاية الفائدة بالنسبة للسنة النبوية 0 وكم ستكون المشكلة كبيرة لو أن هذه الفتن وقعت بعد انتهاء عصر الصحابة (0) ... إن حدوث الفتن أفاد السنة المطهرة فائدة كبيرة، ويمكن أن نقارن هذا الأثر الإيجابي بأثر اللحن على اللغة العربية، إذ عندما ظهر اللحن وفشا، واختلط العرب بالعجم، ظهرت الحاجة إلى تقعيد النحو وضبطه وتدوين شواهده، فكان اللحن مفسدة من جهة أثره على الفطرة اللغوية السليمة، ولكنه كان حافزاً لحفظ اللغة وتأسيس مناهجها 0 وإن فشوا اللحن في ذلك الزمن المبكر حيث الفصاحة والبيان والفطرة اللغوية في قلب الجزيرة العربية، قد مكن العلماء من استنباط القواعد وجمعها، والتوصل إلى مناهج الضبط اللغوي 0 ولو تأخر اللحن حتى زالت السليقة عن طريق الاختلاط بين العرب والعجم لحدثت مشكلة لا حل لها ولا علاج 0

(1) انظر : مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، تعليق الدكتور همام عبد الرحيم
على بحث الشيخ عز الدين التميمي 602/2، 603 0

(8/2)

... وكذلك الحال بالنسبة للحديث، فقد ظهرت الفتن والصحابة أحياء، والرواية قريبة من مصدرها
الأصلي، وخطوط الاتصال بين الصحابة والنبي (قائمة مفتوحة كل هذا ساعد على استقرار المنهج،
ولو تأخرت الفتنة، ووقعت بعد عصر الصحابة، وقد بعدت الرواية عن مصدرها، فإنه لا يمكن
عندئذ استكمال القواعد المنهجية⁰

... لقد أثرت الفتنة على النظام السياسي الإسلامي، ولكنها في الوقت ذاته ساعدت على تأصيل
مختلف العلوم الإسلامية، وأبرزت مناهجها⁰

... ولقد خاب ظن أعداء الإسلام من غلاة الشيعة، والمستشرقين، ودعاة الإلحاد المتكئين على
الفتنة باعتبارها مصدر تشكيك بالسنة النبوية⁰ وكان الأجدر أن يعلموا أن الحديث قد أخذ من
المغام أكثر مما دفع من المغارم⁰
... وهذا ابن عباس -رضي الله عنهما- يأتيه من يحدثه، فلا يلتفت لحديثه، تطبيقاً لقاعدة (إن من
لا يعرف حاله لا يقبل حديثه)⁰ جاء بُشَيْرُ العدوى (1) إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال
رسول الله (، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال : يا ابن عباس، مالى لا أراك
تسمع حديثي؟ أحدثك عن رسول الله (ولا تسمع؟ فقال ابن عباس : "إننا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً
يقول : قال رسول الله (، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم
نأخذ من الناس إلا ما نعرف" وفي رواية عن ابن عباس قال : "إننا كنا نحدث عن رسول الله (إذ لم
يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول، تركنا الحديث عنه" (2) 0

(1) بُشَيْرُ العدوى هو : بُشَيْر - مصغراً - ابن كعب بن أبي الحميري العدوى أبو أيوب البصري، ثقة
مخضرم⁰ له ترجمة في : تقريب التهذيب 133/1 رقم 731، والكاشف 272/1 رقم 614،

والثقات للعجلي ص 83 رقم 159، والتعريف برواة مسند الشاميين ص 65 رقم 79 0
(2) الآثار السابقة سبق تخريجها ص 277، 327 0

(9/2)

كما كان الصحابة (أول من نهوا إلى صفة من يقبل حديثه ومن يرد 0 ويرى لنا الخطيب في ذلك،
عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال : "لا يكتب الحديث عن الشيخ المغفل" (1) 0

... فهذه النصوص وغيرها مما سبق (2) ، تدل بجلاء على تشهير الصحابة لتحذير الناس من الوقوع
في أحابيل الكذب، كما تدل على أنهم لم يكونوا في غفلة عن ظاهرة الوضع، بل انتبهوا لها، وقاوموا
الوضاعين بالتشهير والتحذير 0

(1) الكفاية في علم الرواية ص 233 0

(2) راجع : قول سيدنا عثمان ومعاوية رضي الله عنهما في الجواب عن شبهة نهي الصحابة عن
الإكثار من الرواية دليل على عدم حجية السنة، واتهام من أبي بكر وعمر للصحابة بالكذب
ص 326 0

(10/2)

... وعلى نهج الصحابة في الثبوت والتحري، درج الأئمة من التابعين وأتباعهم، فها هو محمد بن
سيرين، التابعي الكبير، يعلن عن أثر الفتنة، على البحث والنقد، فيقول : "لم يكونوا يسألون عن
الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى
أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم (1) 0 وفي رواية عنه قال : "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن
تأخذون دينكم" (2) 0

وكثيراً ما كان التابعون، وأتباعهم يتذاكرون الحديث، فيأخذوا ما عرفوا ويتركوا ما أنكروا، قال الإمام
الأوزاعي : "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف، على الصيارفة فما

عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركناه (3) ، وروى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : كتبت إلى ابن عباس أن يكتب لي ويخفي عني فقال: ولد ناصح أنا اختار له الأمور اختياراً وأخفى عنه : فدعا بقضاء عليّ فجعل يكتب منه أشياء 0 ويمر به الشيء فيقول : والله ما قضى بهذا عليّ إلا أن يكون ضل (4) 0

(1) سبق تخريجه ص 128 0

(2) أخرجه مسلم (بشرح النووى) المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين 119/1، وانظر : الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم ص 56 - 58 بتصرف 0

(3) انظر: الجرح والتعديل 20/2، 21، والحدث الفاصل ص 64، والكفاية في علم الرواية ص 605، والموضوعات لابن الجوزى 103/1، وانظر: نحوه عن الأعمش في معرفة علوم الحديث للحاكم ص 16

(4) أخرجه مسلم (بشرح النووى) المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء 112/1، 113 0

(11/2)

... وكانوا دائماً يرجعون إلى من يثقون به، قال سفيان الثوري "كنا إذا اختلفنا في شيء سألنا عنه مسعر (1) وكان أئمة الحديث على جانب عظيم من الوعي والإطلاع، فقد كانوا يحفظون الصحيح، والضعيف، والموضوع حتى لا يختلط عليهم، وعلى من بعدهم الحديث، ولیميزا الخبيث من الطيب، وفي هذا يقول الإمام سفيان الثوري : "إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه : أسمع الحديث من الرجل اتخذه ديناً، وأسمع من الرجل أقف حديثه، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته (2) 0

(1) مسعر : هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي، أبو سلمة الكوفي متفق على توثيقه، مات سنة 155هـ وقيل 153 هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 176/2 رقم 6626، وتذكرة الحفاظ 188/1 رقم 183، والثقات للعجلي ص 426 رقم 1562، ومشاهير علماء الأمصار ص 200 رقم 1344، والكاشف 256/2 رقم 5395، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 88 رقم 173، وانظر الحدث الفاصل ص 75 0

(2) أخرجه الخطيب في الكفاية ص 568، والجامع لأخلاق الراوى ص 157 وابن عدى في الكامل في الضعفاء 1/ 2 0

(12/2)

... وروى الخطيب عن الإمام أحمد بن حنبل (1) أنه رأى يحيى بن معين بصنعاء في زاوية، وهو يكتب صحيفة معمّر (2) عن أبان (3) عن أنس، فإذا طلع عليه إنسان كتبه، فقال له أحمد بن حنبل : تكتب صحيفة مَعْمَر، عن أبان، عن أنس، وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل : إنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله، أكتب هذه الصحيفة

(1) الإمام أحمد بن حنبل : هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، من مصنفاته : الزهد، والمسنند، الذي جعله للناس إماماً، مات سنة 241هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 44 رقم 96، وتذكرة الحفاظ 2/ 431 رقم 438، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 189 رقم 417، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 71 رقم 65، والإرشاد في معرفة علماء الحديث ص 187، 88، والتقيد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص 158 رقم 182، وشذرات الذهب 2/ 96، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 1/ 104 رقم 5 0 (2) مَعْمَر : هو مَعْمَر بن راشد، الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت، والأعمش، وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة، روى عن الزهري، وهمام، وعنه غندر وعبد الرزاق 0 مات سنة 154هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 2/ 202 رقم 6833، والكاشف 2/ 282 رقم 5567، والثقات للعجلي ص 435 رقم 1611، والإرشاد للخليلي ص 19 0

(3) أَبَان : أَبَان بن أبي عياش، فيروز البصري، أبو إسماعيل العبدى، متروك، روى عن أنس، وأبي العالية، وجمع، وعنه فضيل، وي زيد بن هارون، وخلق، متروك، مات في حدود 140هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 51 رقم 142، والكاشف 1/ 207 رقم 110، والجروحين لابن حبان 1/ 96، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص 45 رقم 21، والجرح والتعديل 2/ 295 رقم 1087، والضعفاء الصغير للبخارى ص 24 رقم 32، ولسان الميزان 1/ 37 رقم 25 0

(13/2)

عن عبد الرزاق (1) عن معمر، على الوجه، فأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة، حتى لا يجي بعده إنسان فيجعل بدل أبان، ثابتاً (2)، ويرويها عن معمر، عن ثابت، عن أنس ابن مالك، فأقول له : كذبت إنما هي عن معمر عن أبان، لا عن ثابت (3) 0هـ
بالإضافة إلى ما سبق فإن المحدثين كانوا يحاربون الكذابين علانية ويمنعونهم من التحديث، ويستعدون عليهم السلطان 0

(1) عبد الرزاق : هو عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحميري مولاهم، أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ مصنف، شهير، عمي في آخر عمره فتغير، وكان يتشيع، روى عن ابن جريج، ومعمر، وثور، وعنه أحمد، وإسحاق، مات سنة 211هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 599 رقم 4078، والكاشف 1/ 651 رقم 3362، والثقات للعجلي ص 302 رقم 1000، وطبقات ابن سعد 5/ 548، والجرح والتعديل 6/ 38 رقم 204، وتذكرة الحفاظ 1/ 364 رقم 357، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 158 رقم 337، وطبقات المفسرين للداودي 1/ 302 رقم 278، ولسان الميزان 8/ 507 رقم 13458 0

(2) ثابت : هو ثابت بن أسلم البُنائي : بضم الموحدة ونونين مخففين، أبو محمد البصري، ثقة، عابد، روى عن أنس، وابن عمر، وابن الزبير، وخلق : وعنه الحمّادان، ومعمر، وأمّ 0 مات سنة بضعة وعشرين ومائة 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/ 145 رقم 812، والكاشف 1/ 281 رقم 681، والجمع بين رجال الصحيحين 1/ 65 رقم 251، والثقات للعجلي ص 89 رقم 180، والثقات لابن حبان 4/ 89، ومشاهير علماء الأمصار ص 114 رقم 650، ولسان الميزان 8/ 241 رقم 12091 0

(3) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى ص 157 0

(14/2)

... يقول الإمام الشافعي رحمه الله : "لولا شعبة (1) ما عرف الحديث بالعراق، كان يجي إلى الرجل فيقول : لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان" (2) 0

... ومن تلك القواعد التي قاوم بها علماء الحديث حركة الوضع نقد الرواة وبيان حالهم، فلم يقبلوا رواية إلا من كان عدلاً ضابطاً، وعلى ذلك إجماع جماهير أئمة الحديث والفقه والأصول⁰

يقول ابن الصلاح : "أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه، وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق، وخوارم المرأة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني" (3)

(1) شعبة : هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة، حافظ متقن، كان الثوري يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذبح عن السنة، وكان عابداً، مات سنة 160هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 418/1 رقم 2798، والكاشف 485/1 رقم 2278، وتذكرة الحفاظ 193/1 رقم 187، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 89 رقم 176، والثقات للعجلي ص 220 رقم 665، ومشاهير علماء الأمصار ص 207 رقم 1399 0

(2) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى ص 149، وانظر: السنة قبل التدوين ص 228-232، وتوثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزي ص 135، 136، وشفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد محمد نوح 123/1 0

(3) علوم الحديث لابن الصلاح ص 84، 85 0

(15/2)

... وخرج بشرط العدالة : الكافر، والفاسق، والمبتدع، والصبي غير البالغ، والمجنون، والخارم للمروءة بفعل الذنوب الصغائر التي تدل على الخسة كسرقة الشيء الحقيق أو فعل المباحات التي تورث الاحتقار، وتذهب بكرامة الإنسان، كالبول في الطريق بحيث يراه الناس، وفرط المزاح الخارج عن حد الأدب، والأكل في الطريق، ونحو ذلك، فلا تقبل رواية الكافر بالإجماع سواء أعلم من دينه الاحتراز عن الكذب أم لم يعلم، وكيف تقبل رواية من يكد للإسلام ليل نهار، وكيف نأتمنهم على حديث رسول الله (، ثم إن الله (أمرنا بالتوقف في خبر الفاسق في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ

فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنَّ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (1) فإذا كان الفاسق لا تقبل روايته مع صحة اعتقاده فإن الكافر لا تقبل روايته من باب أولى؛ لأن الكفر فسق وزيادة0

... ولا تقبل رواية صاحب البدعة إذا كفر ببدعته؛ كالرفض الكامل، والغلو فيه، والخط من شأن أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة كما قال الحافظ الذهبي (2) 0

-
- (1) الآية 6 من سورة الحجرات، وانظر : تدريب الراوى 299/1، وفتح المغيـث للسـخاوى 28/1، 314، وتوضيح الأفكار للأمير الصنعاني 114/2 - 118 0
- (2) ميزان الاعتدال 4 / 1، وانظر : توثيق السنة في القرن الثاني الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص146 وما بعدها0

(16/2)

... كما خرج بشرط العدالة الكذاب، أو المتهم بالكذب، فياجماع أهل العلم لا يؤخذ حديث من كذب على النبي (تغليظاً وزجراً بليغاً عن الكذب على رسول الله (لعظم مفسدته، فإنه يصير شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة، فإن مفسدتهما قاصرة ليست عامة، فلا يقاس الكذب فى الرواية على الكذب فى الشهادة أو فى غيرها، ولا على أنواع المعاصى الأخرى (1) 0

... وخرج بشرط الضبط من عرف بالتساهل فى سماعه أو إسماعه، كمن لا يبالي بالنوم فى السماع منه أو عليه، أو يحدث لا من أصل صحيح مقابل على أصله أو أصل شيخه أو عرف بقبول التلقين فى الحديث، بأن يلقن الشئ فيحدث به من غير أن يعلم أنه من حديثه، أو عرف بكثرة السهو فى روايته، إذا لم يحدث من أصل صحيح، بخلاف ما إذا حدث منه فلا عبرة بكثرة سهوه، لأن الاعتماد حينئذ على الأصل لا على حفظه، أو عرف بكثرة الشواذ والمناكر فى حديثه (2) ، وكل هذا يجرم الثقة بالراوى وبضبطه0

... وبالتأمل فى الضوابط والقيود الموضوعة لمعرفة من تقبل روايته ومن ترد، يتبين لك عبقرية واضعها

من علماء هذه الأمة، والدقة المتناهية فيما وضعوا من قواعد أملت بصغائر الموضوع، ودقائقه فكانت منهجاً دقيقاً متفرداً لم ولن تعرف له الدنيا نظيراً

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لشحيح

...

-
- (1) الباعث الحثيث للعلامة أحمد محمد شاکر ص 85، 86، وانظر : اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان ص 322-355 0
- (2) تدريب الراوى 1/339، وانظر:فتح المغيـث للسـخاوى 1/383-389 وتوضح الأفكار 2/255، وانظر : مقاصد الحديث فى القديم والحديث للدكتور مصطفى التازى ص 79، واختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث ص 402-409 0

(17/2)

... وتبين لك مما سبق كيف أن تلك الضوابط والقيود أخرجت أصناف الوضاعين الوارد ذكرهم فى أسباب الوضع، فلم تقبل مروياتهم، فحفظت بذلك السنة النبوية المطهرة من خبثهم ومكرهم (1) ، وليس الأمر كما يصوره أعداء الإسلام من اختلاط أمرهم على المحدثين، وضياح مروياتهم فى كتب السنة الصحاح بلا تمييز، زفعلماء الأمة عندما اشترطوا فىمن تقبل روايته : أن يكون عدلاً ضابطاً، لم يتساهلوا فى ذلك البتة، وما وقع من تساهل كان فى فعل بعض المباحات، مثل الإفراط فى المزاح، والمداعبة، والأكل فى الأسواق، ونحو ذلك من ضروب المباحات التى لا يثاب فاعليها ولا يعاقب تاركها، وإن كانت تنتقص من مقامات فاعليها لما تعارف عليه الناس واشتهر عندهم على أنها من خوارم المروءة، وهى فى نفس الوقت لا تؤثر لا على عدالة الراوى بالسقوط للتفاوت المعروف بين المتشددى والمتساهلى فى قبول ورد من خرمت مروءته ببعض الصغائر (2) 0 وكذلك لا تؤثر أيضاً على عدم الوثوق فى هذا المنهج العظيم الذى هو غاية الاعتدال والإنصاف، لا شطط ولا غلو (3)

- (1) انظر : مقارنة بين تطبيق شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث وتطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد في كتاب منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 481 - 483 0
- (2) انظر : الكفاية للخطيب فصل بعنوان "باب ذكر بعض أخبار من استفسر في الجرح فذكر ما لا يسقط العدالة" الكفاية ص 110 0
- (3) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص 118، 119 بتصرف، وانظر : لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 108 - 112 0

(18/2)

... ومما يؤكد عدم تساهل المحدثين في شروط من تقبل روايته ومن ترد، اتفاقهم على أن العدالة وحدها، غير كافية في قبول رواية الراوى، بل لابد معها من الضبط، يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن أبي الزناد - رحمه الله - قال : "أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون" ما يُؤخذ عنهم الحديث يُقال : ليس من أهله" 0 وعن عبد الله بن المبارك : قال قلت لسفيان الثوري : إن "عباد بن كثير" من تعرف حاله وإذا حدث جاء بأمر عظيم 0 فترى أن أقول للناس : لا تأخذوا عنه؟ قال سفيان بلى قال عبد الله : فكنت، إذا كنت في مجلس ذكر فيه عباد، أثبت عليه في دينه وأقول : "لا تأخذوا عنه" 0 وعن يحيى بن سعيد القطان قال : "لم نر الصالحين في شئ أكذب منهم في الحديث" 0 وعن أيوب السخيتاني قال : "إن لي جاراً 0 ثم ذكر من فضله 0 ولو شهد عندى على تمرتين ما رأيت شهادته جائزة" 0

(19/2)

... وعن عبد الله بن المبارك - رحمه الله - قال : "بقيّة صدوق اللسان 0 ولكنّه يأخذ عمّن أقبل وأدبر" (1) 0 وقال يحيى بن معين رحمه الله : "إننا لنطعن على أقوام لعلمهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة" (2) قال السخاوي : "أى أناس صالحون، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث" (3) ويقول الإمام مالك : "لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك لا يؤخذ من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا سفيه معلن بالسفه، وإن كان من أروى الناس 0 ولا من رجل

يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث" (4) 0

... وبلغ من دقة المحدثين في تتبع صفات الراوى الثقة المقبول الرواية، تتبعهم لما يطرأ على ضبط الرواة من تغير، كمن ضعف حديثه في بعض الأوقات دون بعض، ومن ضعف حديثه في بعض الأماكن دون بعض، ومن ضعف حديثه عن بعض الشيوخ دون بعض (5)

وصدق الإمام الشعبي : "والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، واخطأت مرة لعدوا على تلك الواحدة (6) 0

-
- (1) أخرج الآثار السابقة الإمام مسلم (شرح النووي) المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات 119/1 – 126، وانظر : توجيه النظر لابن حجر ص 25 0
 - (2) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى ص 160 0
 - (3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص 69 0
 - (4) جامع بيان العلم 48/2، والكفاية ص 249، والجرح والتعديل 32/2، والإلماع ص 60 0
 - (5) انظر : تفصيل ذلك في شرح علل الترمذى 552/2 – 672، وانظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص 122 0
 - (6) تذكرة الحفاظ 77/1 0

(20/2)

... وهكذا بهذا المنهاج العظيم الذى لا تعرف له الدنيا بأسرها مثيلاً خاب ظن الوضاعين من الكفرة، والزنادقة، والمبتدعة، والجهلة من الصالحين، والمتصوفة، كما قال الإمام الشعراني في العهود الكبرى : "واعلم يا أخى، أن أكثر من يقع في خيانة هذا العهد المتصوفة الذين لا قدم لهم في الطريق، فرما رووا عن رسول الله (ما ليس من كلامه، لعدم ذوقهم، وعدم فرقانهم بين كلام النبوة وكلام غيرها، وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا -رحمه الله- يقول : "إنما قال بعض المحدثين أكذب الناس الصالحون، لغلبة سلامة بواطنهم، فيظنون بالناس الخير، وأنهم لا يكذبون على رسول الله (،

فمرادهم بالصالحين : المتعبدون الذين لا غوص لهم في علم البلاغة، فلا يفرقون بين كلام النبوة وغيره، بخلاف العارفين فإنهم لا يخفى عليهم ذلك" (1) 0

... وواضح مما سبق أن صلاح الكذابين : ليس المراد منه الصلاح الحقيقي الذى يتمثل فى صلاح العلماء، وأئمة الدين، وحفاظ الحديث، بل هو الصلاح الذى تحدث عنه الأئمة سابقاً، وإلا كان يجب أن يكون سعيد بن المسيب، وعروة، والشافعى، ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة والبخارى، ومسلم، وغيرهم من أئمة المسلمين، من أكذب الناس فى الحديث، وهل هناك مسلم يقول بذلك؟ (2) 0

... وإذا كان أئمة المسلمين هم أكذب الناس فى الحديث - وحاشاهم من ذلك - فمن إذن الذى كشف كذبهم؟ الكفرة والزنادقة وغلاة المبتدعين (3) ؟

... ومن الذى عرّف بالموضوع، وبأسبابه، وبأصنافه، وبعلاماته، وصنف فيه المصنفات المتعددة؟ أهم الكفرة والزنادقة أم ماذا؟

(1) انظر : قواعد التحديث للقاسمى ص 164 0

(2) السنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص 230 0

(3) انظر : قواعد التحديث للقاسمى ص 163 بيان ضرر الموضوعات على غير المحدثين وأن الدواء لمعرفتها الرسوخ فى الحديث 0

(21/2)

... كلا إنهم حراس الأرض، وخلفاء وجنود الله فى أرضه، إنهم الجهابذة الذين قال فيهم ابن المبارك لما قيل له : هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال : يعيش لها الجهابذة وتلا قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) 0 وفيهم قال يحيى بن يمان : "إن لهذا الحديث رجالاً خلقهم الله (منذ يوم خلق السماوات والأرض، وإن وكيعاً منهم" (2) رجال قال فيهم هارون الرشيد لما أخذ زنديقاً فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق : لم تضرب عنقى؟ قال : لأريح العباد منك 0 فقال : يا أمير المؤمنين : أين أنت من ألف حديث؟ وفى رواية من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم، أحرم فيها الحلال،

وأحلل فيها الحرام ما قال النبي منها حرفاً؟ فقال له هارون الرشيد : أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري (3) وعبد الله ابن المبارك؟ ينخلانها - نخلًا - فيخرجانها حرفاً حرفاً؟" (4) 0

(1) الآية 9 من سورة الحجر، وانظر : الكفاية ص 80 0

(2) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 18/1 0

(3) أبو إسحاق الفزاري هو: إبراهيم بن محمد بن الحارث بن حذيفة الفزاري، الإمام، متفق على توثيقه،

له تصانيف 0 مات سنة 185، وقيل 186هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 63/1 رقم 230،

وتذكرة الحفاظ 273/1 رقم 259، والكاشف 220/1 رقم 186، والثقات للعجلي ص 54 رقم

37، وتذكرة الحفاظ 273/1 رقم 259، وتهذيب التهذيب 152/1 رقم 271

(4) انظر : تذكرة الحفاظ 273/1 ترجمة أبي إسحاق الفزاري، وتهذيب التهذيب 152/1

رقم 271، وانظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 174، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة

للملاعلي القاري ص 40، وللمزيد من الرد على هذه الشبهة، انظر : الوضع في الحديث للدكتور

عمر حسن فلاته 0 مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 901 0

(22/2)

... والحقيقة أن المحدثين، وما ابتكروه من علم مصطلح الحديث، الذي تفردت به الأمة الإسلامية عن سائر الأمم، وتميزت بتأسيسه، وإنشائه، وتقعيده، والتفنن فيه، كان من أكبر النتائج النافعة التي تولدت عن تلك الحملة الضارية على السنة النبوية المطهرة 0

قصدت مساتي فاجتلبت مسرتي ... وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري (1)

كما كان هذا العلم صخرة صلبة تكسرت عليها كل المؤامرات التي حيكت في الظلام على أحاديث

النبي (،) وخرجت السنة النبوية من المعركة الطويلة سليمة منتصرة (2)، ولا يمكن أن تكون حركة

الوضاعين وما وضعوا من أحاديث دليلاً على ضعف السنة بمجموعها، وبالتالي عدم حجيتها 0 لأن

الوضاعين وما وضعوه لم يخف قط على المحدثين 0

... يقول الأستاذ محمد أسد : "فوجود الأحاديث الموضوعة إذن لا يمكن أن يكون دليلاً على ضعف نظام الحديث في مجموعه، لأن تلك الأحاديث الموضوعة لم تخف قط على المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوروبيين عن سذاجة، وتابعهم على ذلك بعض أدعياء العلم من أبناء أمتنا الإسلامية" (3) 0

-
- (1) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 189 0
(2) انظر : بحث الشيخ عز الدين الخطيب التميمي في مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة 0 550/2
(3) الإسلام على مفترق الطرق ص 96 بتصرف، وانظر : مقدمة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف في المقاصد الحسنة للسخاوي 0

(23/2)

... ونختم هذه الشبهة بما ذكره الإمام ابن القيم الجوزية في مختصر الصواعق المرسله قال : قال الإمام أبو المظفر (1) : [فإن قالوا قد كثرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم، قلنا : ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، فأما العلماء بها؛ فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها، ولئن دخل في أعمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث، فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث، وورثة العلماء حتى أنهم عدو أغاليط من غلط في الإسناد والمتون، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم كم في حديث غلط، وفي كل حرف حرف، وماذا صحف، فإن لم ترج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد، والمتون، فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة، وتوليدهم الأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها 0 وهو قول بعض الملاحدة، وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب يريد أن يهجن بهذه الدعوة الكاذبة صحاح أحاديث النبي (، وآثاره الصادقة، فيغالط جهال الناس بهذه الدعوى، وما احتج مبتدع في رد آثار رسول الله (بحجة أوهن ولا أشد استحالة من هذه الحجة، فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يسف في فيه، وينفى من بلد الإسلام] (2)

-
- (1) الإمام أبو المظفر هو : منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني، التميمي المروزي، الحنفي، ثم الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، كان من فحول النظر، بجرأ في الوعظ، سئل عن أخبار

الصفات فقال : عليكم بدين العجائز وصبيان الكتاتيب، صنف في التفسير، والفقه، والحديث، والأصول 0 من مؤلفاته : البرهان والاصطلاح، والقواطع في أصول الفقه، والقدر، والمنهاج لأهل السنة، وغير ذلك 0 مات سنة 489هـ له ترجمة في : طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 489/2 رقم 20، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير 138/2، 139، وشذرات الذهب 392/2، وطبقات المفسرين للداودي 339/2 رقم 651، والبداية والنهاية 164/12 (2) مختصر الصواعق المرسلة 561، 552/2، وانظر:مائة سؤال عن الإسلام للشيخ محمد الغزالي 43/1

(24/2)

أ0هـ

شبهة أن حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم كانوا جنوداً للسلطين والملوك في العصر الأموى، والعباسى والرد عليها

استعراض الشبهة وأصحابها :

... زعم أعداء السنة المطهرة، من أن حملة الإسلام من الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين، من الفقهاء والمحدثين كانوا جنوداً للسلطين والملوك في العصر الأموى، والعباسى، يضعون لهم من الأحاديث ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم 0

... ويستدلون على ذلك بأحاديث منها :

الأحاديث التى تدعوا إلى طاعة الحكام، والأمراء، وتدعوا إلى اجتناب الفتن، والنجاة من شرورها : ... مثل قوله ("من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شراً، فمات؛ فميتة جاهلية" (1) 0

... وقوله (: "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون 0 فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم 0 ولكن من رضى وتابع" قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : "لا ما صلوا" 0 أى من كره

بقلبه وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ (2) 0

... وقوله (: "إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، قالوا فما تأمرنا؟ قال : "كونوا أحلاس بيوتكم" (3) 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الفتن، باب قول النبى (: (سترون من بعدى أموراً تنكرونها 7/13 رقم 7045، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين 480/6 رقم 1849، واللفظ له من حديث ابن عباس رضى الله عنهما 0
- (2) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما خلف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك 484/6 رقم 1854، من حديث أم سلمة رضى الله عنها 0
- (3) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفتن، باب النهى عن السعى فى الفتنة 101/4 رقم 4262 0

(25/2)

... ونحو ذلك من الأحاديث التى استشهد بها جولد تسيهر على أن أهل الحديث أو الفقهاء كما يسميهم لعبوا دوراً خطيراً فى تثبيت أنظمة الحكم بوضع هذه الأحاديث التى تأمر بطاعتهم أو باعتزال الأمر وتركه (1) 0

وعلى هذا الزعم بنى نيازى عز الدين كتابه (دين السلطان)؛ فهو يعنى بالسلطان معاوية بن أبى سفيان (، وسيدنا معاوية فى زعمه هو الذى فتح باب الروايات بالأحاديث المفتراة لتحل محل القرآن، وأصبحت ديناً، وساعده على ذلك جنوده من الفقهاء، والمحدثين، وفى ذلك يقول : "والتاريخ الإسلامى يحدثنا أن معاوية كان من دهاة العرب ... فأعاد عقلية الجاهلية بتوقيفه أحكام القرآن، من خلال فتح باب الروايات بالأحاديث المفتراة لتحل محل القرآن 0 وقد وجد كثيراً من المساعدين من بين أصحاب المصالح من علماء السوء، والحساد، والمنافقين من أعداء الإسلام" (2) 0

... وبنفس هذا الزعم تقول الرافضة طاعنين بذلك فى عقيدة أهل السنة 0

(1) دراسات محمدية جولدتسيهر ص 89، 95 نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين ص 340، 342، وانظر : العقيدة والشريعة ص 58 وانظر : دراسات محمدية الفصل الثالث (الحديث النبوي وصلته بنزاع الفرق في الإسلام" ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 522/8 وما بعدها 0

(2) دين السلطان ص 36، 37 وراجع من نفس المصدر ص 34-41، 795، حيث تصريحه بأن معاوية هو السلطان، وجنوده في وضع الأحاديث، هم المحدثون، والفقهاء، وانظر: أيضاً من نفس المصدر ص 11، 103، 110، 114، 117، 119، 124، وانظر: 152، 202، 671، حيث استشهاده بالأحاديث السابقة، وقارن بكتابة إنذار من السماء ص 39، 123، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادي الفضلي ص 133، والشيعية هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 260، وأحاديث أم المؤمنين عائشة، أدوار من حياتها لمرتضى العسكري ص 284 وما بعدها 0

(26/2)

يقول صالح الورداني بعد أن ذكر نماذج من الأحاديث السابقة وما في معناها قال : "إن هذه الروايات، وهذه العقيدة، هي التي خلقت فقهاء السلاطين، وخلقت الحكام الطغاة الظالمين في تاريخ المسلمين ... ولولا هذه الروايات وهذه العقيدة ما هيمنت القبلية، والأموية، والعباسية، على واقع المسلمين 0 فإن جميع الحكومات التي قامت من بعد الرسول (، اعتمدت هذه الروايات في دعم سلطاتها ونفوذها وإضفاء المشروعية عليها" (1) 0

(1) أهل السنة شعب الله المختار ص 88، وانظر : له أيضاً الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص 55-61، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 292 وما بعدها، وانظر : قراءة في صحيح البخاري لأحمد صبحي منصور ص 41 0

(27/2)

... ويقول رافضى آخر زكريا عباس داود : "إننا عندما نبحث في أسباب الوضع نلاحظ أن الجانب السياسى، كان دافعاً قوياً لمعاوية كي يوظف السنة لخدمة أهدافه ... ، ولذا عمد لاستخدام مجموعة

من الصحابة، والتابعين، كي يضعوا أحاديث تبرر له أعماله، وتضفي الشرعية الدينية على ملكه (1)
0

(1) تأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص 145 0

(28/2)

... ومن قال بذلك أيضاً : عبد الحسين شرف الدين (1) ، ومرتضى العسكرى (2) ، ومحمود أبو رية (3) ، ومحمد نجيب (4) ، وعلى الشهرستاني (5) ، وعلى الوردي (6) ، وجمال البنا (7) ، وعبد الجواد ياسين (8) ، وإدريس الحسيني (9) ، والسيد صالح أبو بكر (10) 0

(1) عبد الحسين شرف الدين : هو عبد الحسين شرف الدين الموسوي، شيعي إمامي، ولد في الكاظمية، ببغداد سنة 1290هـ من مؤلفاته: أبو هريرة، والنص والاجتهاد 0 مات سنة 1377هـ - 1957م ترجم له محمد صادق الصدر في مقدمة كتاب النص والاجتهاد ص 5-39، انظر: استشهاد بالشبهة التي معنا في كتابيه النص والاجتهاد ص 331-332، وأبو هريرة ص 39 - 51 0
(2) معالم المدرستين المجلد 1/361، والمجلد 2/53، وأحاديث عائشة أدوار من حياتها ص 255، 359 - 409 0

(3) أضواء على السنة ص 126، 137، 179، وشيخ المضيرة ص 170 - 263 0
(4) الصلاة ص 37-41 0

(5) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج ص 32، 274، 352، 362، 387، 494 0
(6) على الوردي : كاتب معاصر، من مؤلفاته : وعاظ السلاطين، انظر : استشهاد بالشبهة التي معنا في كتابه وعاظ السلاطين ص 116-138-165 0

(7) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 182، 256 0

(8) السلطة في الإسلام ص 258 - 292، 301 0

(9) إدريس الحسيني: كاتب صحفي معاصر، تشيع، من مؤلفاته: "لقد شيعني الحسين-الانتقال الصعب في رحاب المعتقد والمذهب" والخلافة المغتصبة، انظر : استشهاد بالشبهة التي معنا في الخلافة المغتصبة ص 179، ولقد شيعني الحسين ص 247 - 290 0

(10) السيد صالح أبو بكر : كاتب مصري، كان ينتمي إلى جماعة أنصار السنة بالإسكندرية، وعندما أصدر كتابه الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها، والذي تابع فيه محمود أبو رية، قررت جماعة أنصار السنة فصله من الجماعة 0 انظر : استشهاد بالشبهة التي معنا في الأضواء القرآنية ص 45 0

(29/2)

... والناظر فيما قاله أعداء السنة سابقاً يرى أنهم يطعنون فيما يأتي :
أولاً : في صحة إسلام معاوية (، ووصفهم له بأنه كان منافقاً اعتماداً على ما ورد من أنه أسلم يوم الفتح، وكان من الطلقاء المؤلفة قلوبهم، وأنه فتح باب الوضع في السنة، وصرح بذلك الرفضة السابق ذكرهم، وتبعهم على ذلك دعاة اللادينية 0

ثانياً : وصفهم حملة الإسلام من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين، بأنهم كانوا كذابين وفقهاء سلطة 0
ثالثاً : طعنهم في الملوك والأمراء الأمويين، والعباسيين، بأنهم بعيدين عن تعاليم الإسلام مستغلين علماء المسلمين بوضع ما يثبت ملكهم 0
رابعاً : طعنهم في أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث الفتن 0

... والجواب عما سبق فيما يلي :
أولاً : الجواب عن الطعن في صحة إسلام سيدنا معاوية (، وأنه فتح باب الوضع في السنة النبوية : ما طعن به أعداء السنة المطهرة في صحة إسلام سيدنا معاوية (، دافع عنه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة بقوله : "وقد غاب عن أعداء الإسلام أن الكاتبين في تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدي، وابن سعد، أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح، وأنه أخفى إسلامه مخافة أهله، وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً، وإذا كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم في رأى البعض، ففي رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم، قال ابن عبد البر : "معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم، ذكره في ذلك بعضهم"، وهو يشعر بأن الكثيرين لا يرون هذا الرأى، ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر في ترجمته شيئاً من هذا، وإنما ذكر في ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم (1) 0

(1) انظر : في ترجمته : الاستيعاب 1416/3 رقم 2435، وتاريخ الصحابة ص 231 رقم 1239، واسد الغابة 201/5 رقم 4984، والإصابة 433/4 رقم 8068 0 وانظر : الطبقات الكبرى لابن سعد 406/7، وفتح الباري 130/7 رقم 3764، والبداية والنهاية 120/8 0

(30/2)

ومهما يكن من شيء فقد أسلم وحسن إسلامه، وحتى لو كان ممن أسلموا يوم الفتح، فلا يقدح ذلك في عدالته وصحته، بعد تركية رب العزة لمن أسلموا بعد الفتح أيضاً قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (1) 0 وكيف يصح الطعن في صحة إسلامه (، وقد كان أحد كتبه الوحي بين يدي النبي ((2) ، يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله (بعث إلى معاوية ليكتب له، فقال : أنه يأكل، ثم بعث إليه، فقال : إنه يأكل، فقال رسول الله (: "لا أشبع الله بطنه" (3) 0

(1) الآية 10 من سورة الحديد0

(2) دفاع عن السنة ص 65 بتصرف، وانظر تطهير الجنان واللسان لابن حجر الهيتمي ص 7، وما بعدها

(3) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي (أو سبه ... إلخ 399/8 رقم 3604، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ص 359 رقم 2746 واللفظ له، والبيهقي في دلائل النبوة 243/6 0

(31/2)

... يقول الأستاذ محب الدين الخطيب (1) - رحمه الله - : "قد يستغل بعض الفرق من أعداء الإسلام (2) 0 هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً في معاوية (وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي (؟) !

... فالظاهر أن هذا الدعاء منه (غير مقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله (: تربت يمينك⁰

ويمكن أن يكون ذلك منه (بباعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه (في أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشة - رضى الله عنها - مرفوعاً : " ... أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَرَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ، فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْراً" (3) 0 ولم تعرف عن معاوية (دخلة في إيمانه ولا ريبة في إخلاصه لإسلامه ولا في إمارته⁰

(1) الخطيب هو : محب الدين الخطيب بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، من كبار الكتاب الإسلاميين، ولد في دمشق وتعلم بها، أصدر مجلتيه (الزهراء) و (الفتح)، وكان من أوائل مؤسسي جمعية الشبان المسلمين، وتولى تحرير مجلة الأزهر الشريف، وانشأ المطبعة السلفية ومكتبتها، من مؤلفاته : تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس، وغير ذلك⁰ مات سنة 1969م له ترجمة في : الأعلام 282/5 0

(2) انظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والحدّثين صالح الورداني ص 264 0
(3) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب البر والصلة، باب من لعنة النبي (أو سبه أو دعا عليه 396/8 رقم 2600، وانظر : البداية والنهاية 122/8، 123 وانظر : العواصم من القواصم تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب ص 213 0

(32/2)

... يقول القاضي أبو بكر بن العربي، مبيناً ما اجتمع في معاوية من خصال الخير إجمالاً قال : "معاوية اجتمعت فيه خصال : وهي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها، لما رأى من حسن سيرته، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق⁰ وقد شهد له في صحيح الحديث بالصحة والفقه، فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة قال : "أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال : دعه؛ فإنه صحب رسول الله (0) وفي رواية أخرى قيل لابن عباس : هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا

بواحدة، قال : إنه فقيه (1)

... يقول ابن العربي : "وشهد بخلافته في حديث أم حرام - رضى الله عنها- فيما رواه أنس بن مالك (أن رسول الله (نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك؛ لأنه رأى ناساً من أمته غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر - أى وسطه ومعظمه - ملوكاً على الأسرة0 ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى فقالت له أم حرام : أدع الله أن يجعلني منهم، فقال، أنت من الأولين"، فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر0 فهلكت" (2) 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية (130/7 رقمى 3764، 3765، وانظر : كتاب مروان بن الحكم إلى معاوية بن أبى سفيان يستفتيه في مجنون قتل رجلاً0 أخرجه مالك في الموطأ كتاب العقول، باب ما جاء في دية العمد إذا قبلت وجناية المجنون 648/2 رقم 3 ، وانظر : اسد الغابة 202/5 رقم 4984 0
- (2) أخرجه البخارى (بشرح البارى) كتاب الجهاد السير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء 13/6 رقم 2788، 2789، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر 65/7 رقم 1912 0

(33/2)

قال الحافظ ابن كثير : يعنى بالأول جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة 27 أيام عثمان بن عفان، بقيادة معاوية، عقب إنشائه الأسطول الإسلامى الأول في التاريخ، وكانت معهم أم حرام في صحبة زوجها عبادة بن الصامت0 ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم0 وماتت أم حرام في سبيل الله وقبرها بقبرص إلى اليوم0

قال ابن كثير : ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد بن معاوية في غزوة القسطنطينية0 قال : وهذا من أعظم دلائل النبوة (1) في الشهادة لسيدنا معاوية، وابنه يزيد بالفضل، والمغفرة والجنة كما جاء في حديث أم حرام مرفوعاً : "أول جيش من أمتى يركبون البحر قد أوجبوا (2) 0 وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم0 فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا" (3) 0

... يقول الإمام ابن تيمية : "لم يكن من ملوك المسلمين ملك خيراً من معاوية، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده، وإذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل⁰

... وقد روى أبو بكر بن الأثرم - ورواه ابن بطة من طريقه عن قتادة قال : "لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدي⁰ وروى ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي⁰

(1) البداية والنهاية 229/8، وانظر : النهاية في الفتن والملاحم 17/1، وفتح الباري 23/6،

120 أرقام 2799، 2800، 2924 0

(2) "قد أوجبوا" قال ابن حجر : أى فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، قال المهلب وفي الحديث : منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبه لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر⁰ انظر : فتح الباري 120/6 - 121 رقم 2924 0

(3) أخرجه البخارى (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم 120/6 رقم 2924 0

(34/2)

... وروى الأثرم عن أبي هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبدالعزيز وعدله، فقال الأعمش، فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا في حلمه؟ قال : لا والله، بل في عدله⁰ وعن أبي إسحاق السبيعي أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم : كان المهدي⁰

... وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمر المؤمنين معاوية صدى استجابة الله (دعاء نبيه) لهذا الخليفة الصالح يوم قال (: "اللهم اجعله هادياً، مهدياً، واهد به" (1) 0

... وقبل أن ننهي الكلام على شهادات الصحابة، والتابعين، وآراء العلماء، في معاوية، ننقل رأياً

طريقاً للمؤرخ العلامة ابن خلدون في اعتبار معاوية من الخلفاء الراشدين قال : "إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة (2) 0

-
- (1) أخرجه الترمذى في سننه كتاب المناقب، باب مناقب لمعاوية بن أبي سفيان (5/645) رقم 3842 من حديث عبد الرحمن بن عميرة (، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب 0 وانظر : منهاج السنة 3/185، والبداية والنهاية 8/124 - 125 0
- (2) تاريخ ابن خلدون 2/458 0

(35/2)

ويقول أيضاً في مقدمته : مدافعاً عن إثارة ابنه يزيد بالعهد، دون من سواه قال : "إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية ... وهم عصابة قريش (1) وأهل الملة أجمع، وأهل الغلب منهم، فأثره بذلك دون غيره ... حرصاً على الاتفاق، واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع، ولا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوته عنه، دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هواده، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه" (2) 0

-
- (1) انظر : دفاعه عن حديث (الأئمة من قريش) ورده لما اعترض به عليه من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، في المقدمة ص 214، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص 115 0
- (2) المقدمة 228، 233 وانظر: دفاعه عما وجه إليه من اعتراض على اخذه العهد لابنه يزيد ص 240 وراجع : للاستزادة : العواصم من القواصم للقاضى أبو بكر بن العربي، والصواعق المحرقة وتطهير الجنان واللسان كلاهما لابن حجر الهيتمي 0

(36/2)

... "نذكر جميع هذه الشهادات، وقبلها الأحاديث النبوية في فضل معاوية (1) ، مع اعترافنا يشهد الله بفضل علي بن أبي طالب (، وأنه أفضل منه والحق غالبه معه، وكل كان مجتهداً (2) 0 وقد جاء في الحديث الصحيح : "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب؛ فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ؛ فله أجر" (3) 0

... وقد أوردنا هذه الأمثلة القليلة التي لا يسع المقام لأكثر منها؛ ليعلم الناس أن الصورة الحقيقية لمعاوية (تخالف الصورة الكاذبة التي يصورها الزنادقة من الرافضة ومن تابعهم من أعداء الإسلام، والسنة المطهرة، تلك الصورة التي تنكر ما جاء في السنة المطهرة عن رسول الله (، وعن الصحابة، والتابعين، من الشهادة له بالصحبة، والفقه، والملك العادل، وحسن السيرة، حتى شهد له من أدركه كمجاهد والأعمش بأنه المهدي 0

... فهل من كان هذا حاله يكون له دخل أو حتى رضا بالوضع في السنة المطهرة سواء في فضائله، وفضائل الشام أو في وضع ما يثبت ملكه، أو غير ذلك مما يزعمه أعداء الإسلام من الرافضة ومن شايعهم؟! نعم إذا لم تستح فأصنع ما شئت 0

-
- (1) لا يشك أحد في أنه وضع في فضائل معاوية وكذا الخلفاء الراشدون أحاديث كثيرة، ولكن أحصاها الأئمة، وبينوا الموضوع منها، من الصحيح، وقد عرض الحافظ ابن كثير لما ورد في فضائل معاوية (وميز الصحيح من الموضوع، انظر : البداية والنهاية 120/8 – 147، وراجع: كتب الموضوعات باب المناقب 0 وانظر : مجمع الزوائد 356/9 0
- (2) انظر : مقدمة ابن خلدون ص 227، ومختصر التحفة الإثني عشرية 305 – 324، والعواصم من القواصم ص 172 وما بعدها، ومنهاج السنة لابن تيمية ص 205، والبداية والنهاية 129/8 0
- (3) أخرجه البخاري(بشرح فتح الباري)كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو اخطأ 330/13 رقم 7352، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الأفضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ 254/6 رقم 1716 من حديث عمرو بن العاص)

ثانياً : الجواب عن اتهام رواه السنة بأنهم كانوا كذابين وفقهاء سلطة :
أما ما زعمه دعاة الفتنة وأدعياء العلم، من أن حملة الإسلام من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين من الفقهاء، والمحدثين، كانوا كذابين وفقهاء سلطه؛ فقد رد هذا الزعم الدكتور السباعي تحت عنوان "هل استجاز علمائنا الكذب دفاعاً عن الدين؟ فقال : "إن أعداء الإسلام من غلاة الشيعة، والمستشرقين، ودعاة الإلحاد، لم يصلوا ولن يصلوا إلى مدى السمو الذي يتصف به رواة السنة من الترفع عن الكذب حتى في حياتهم العادية، بل لم ولن يصل أعداء الإسلام إلى مبلغ الخوف الذي استقر في نفوسهم بجنب الله خشية ورهبة، ولا مدى استنكارهم لجرمة الكذب على رسول الله (حتى قال منهم من قال بكفر من يفعل ذلك، وقتله وعدم قبول توبته (1) ، إن أعداء الإسلام معذورون إذ لم يفهموا عن علمائنا هذه الخصائص؛ لأنه لا يوجد لها ظل في نفوسهم ولا فيمن حولهم، ومن اعتاد الكذب ظن في الناس أنهم أكذب منه، واللص يظن جميع الناس لصوصاً مثله ... وإلا فمن الذي يقول في قوم جاهرُوا بالإنكار على بعض ولا تهم لأنهم خالفوا بعض أحكام السنة؛ وتعرض بعضهم للضرب والإهانة والتنكيل في سبيل الجهر بكلمة الحق - أنهم استباحوا لأنفسهم الكذب على رسول الله (ليضيفوا إلى سنته المطهرة أحكاماً لم يقلها (2) !
أيها الناس أليست لكم عقول تحكمون بها؟ أم أنتم تتكلمون لقوم لا عقول لهم (2) ؟!

(1) انظر : الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاکر ص 65 0

(2) السنة ومكانتها في التشريع ص 201، 202 بتصرف 0

(38/2)

... نعم إن قوماً لم يحابوا في حكمهم على الرجال أحداً لا أباً، ولا ابناً، ولا أخاً، ولا صديقاً، ولا أستاذاً، لذلك عنوان صدق ديانتهم، ونزاهتهم، وأمانتهم، وعنوان غلاء الحفاظ على السنة الشريفة لديهم، وأنها عندهم أغلى من الأباء والأجداد، والأولاد، والأحفاد، فكانوا مضرب المثل في الصدق والتقوى والأمانة (1) 0

... وهاك أمثلة على نزاهتهم في حكمهم على الرجال :

المجرحون لآبائهم :

الإمام علي بن المديني سأل عن أبيه فقال : "سلوا عنه غيري" فأعادوا المسألة، فأطرق ثم رفع رأسه

فقال : "هو الدين، إنه ضعيف" (2) 0

المجروحون لأبنائهم :

(1) انظر : لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص 160 بتصرف، وانظر :
دلائل النبوة للبيهقي 0 47/1

(2) انظر : ميزان الاعتدال 401/2، ولسان الميزان 430/8 رقم 13114، ترجمة عبد الله بن جعفر بن نجيح والد علي بن الديني، والمجروحين لابن حبان 14، 15/2، وقال : ابن حجر في التقریب: ضعيف، يقال : تغير حفظه بآخره" انظر : تقریب التهذيب 483/1 رقم 3266، وتهذيب الكمال للمزى 379/14 رقم 3206 0

(39/2)

الإمام أبو داود السجستاني "صاحب السنن قال : ابني عبد الله كذاب (1) ، ونحوه قول الذهبي في ولده أبي هريرة، أنه "حفظ القرآن، ثم تشاغل عنه حتى نسيه (2) 0

المجروحون لإخوانهم :

زيد بن أبي أنيسة قال : لا تأخذوا عن أخي يحيى المذكور بالكذب (3) 0

المجروحون لأختانهم :

(1) انظر : ميزان الاعتدال 433/2 رقم 4368، ولسان الميزان 31/4 رقم 4631، ترجمة عبد الله بن سليمان بن الأشعث 0 وقال ابن عدي : هو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فيه، فما أدرى أيّش تبين له منه 0 انظر : الكامل في الضعفاء 265/4 رقم 1101، وقال الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ، وأما قول أبيه فيه، فالظاهر أنه أن صح عنه، فقد عني أنه كذاب في كلامه، لا في الحديث النبوي، وكأنه قال هذا وعبد الله شاب طري، ثم كبر وساد" انظر : تذكرة الحفاظ 772/2 رقم 768، وقال في السير : هو حجة فيما نقله، انظر : سير أعلام النبلاء 231/13 رقم

- (2) انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص 83، 84 0
- (3) انظر : ميزان الاعتدال 364/4 رقم 9463، ولسان الميزان 283/9 رقم 14826، ترجمة يحيى بن أبي أنيسه 0 قال فيه الحافظ في التقريب: ضعيف 0 انظر: تقريب التهذيب 297/2 رقم 7535، وتهذيب الكمال 223/31 رقم 6789 0

(40/2)

شعبة بن الحجاج قال : لو حَآبَيْتُ أَحَدًا لَحَابَيْتُ هِشَامَ بْنَ حَسَّانَ كَانَ خَتْنِي (1) ، ولم يكن يحفظ" (2) 0

المجرحون لبعض أقاربهم :
أبو عروبة الحراني : قال الذهبي في ترجمة الحسين بن أبي السري العسقلاني : "قال أبو عروبة الحراني : هو خال أُمي، وهو كذاب" (3) 0

من الذين لم يحابوا مشايخهم :
يحيى بن سعيد القطان : روى الإمام ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي قال : اختلفوا يوماً عند شعبة، فقالوا : اجعل بيننا وبينك حكماً فقال : قد رضيت بالأحول يعني يحيى بن سعيد القطان، فما برحنا حتى جاء يحيى فتحاكموا إليه فقضى على شعبة - وهو شيخه ومنه تعلم وبه تخرج، فقال له شعبة : ومن يطيق نقدك أو من له مثل نقدك يا أحول؟! 0

... قال ابن أبي حاتم : "هذه غاية المنزلة - ليحيى بن سعيد القطان - إذ اختاره شيخه شعبة من بين أهل العلم، ثم بلغ من دالته بنفسه وصلابته في دينه أن قضى على شعبة" شيخه ومعلمه (4) 0

- (1) ختني: الختن كل ما كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ، وخاتن الرجل الرجل إذا تزوج إليه 0 انظر: مختار الصحاح ص 169، والقاموس المحيط 214/4، 215، والنهاية في غريب الحديث 10/2
- (2) ميزان الاعتدال 487/3، ولسان الميزان 252/9 رقم 14726 ترجمة هشام بن حسان
- القرطوبسي، وقال ابن حجر: أحد الأعلام، ضعفه القطان عن عطاء، وفي تقريب التهذيب قال: ثقة، من

أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال، لأنه كان يرسل عنهما 0 انظر : تقريب التهذيب 266/2 رقم 7315، وتهذيب الكمال للمزى 181/30 رقم 6572 0
(3) انظر : ميزان الاعتدال 536/1، ولسان الميزان 272/8 رقمي 11280، 2291، وقال ابن حجر في التقريب "ضعيف" انظر : تقريب التهذيب 218/1 رقم 1348، وتهذيب الكمال 468/6 رقم 1331 0
(4) مقدمة الجرح والتعديل 232/1 رقم 102 ترجمة يحيى بن سعيد القطان 0

(41/2)

وبلغ من نزاهة أئمة الحديث أنهم كانوا لا يقبلون شفاعاة إخوانهم للسكوت عن يرون جرحه، وكيف يرتضون تلك الوساطة، وهم الذين طَعَنُوا في آبائهم، وإخوانهم، لما رأوا منهم ما يستوجب القَدْح 0

وقد صَرَبَ شعبة بن الحجاج في هذا أروع الأمثال لما كلمه حماد بن زيد، وعباد ابن عباد، وجريز بن حازم، كلموه في رجل ليكف عنه، قال حماد ابن زيد، فكأنه لان وأجابنا 0 قال : فذهبت يوماً أريد الجمعة فإذا شعبة يناديني من خلفي، فقال: ذاك الذي قلت لي فيه لا أراه يسعني 0 قال عبد الرحمن ابن مهدي : كان شعبة يتكلم في هذا حسبة (1) 0

نماذج لما كان عليه سلفنا الصالح من جراءة في الحق مع خلفائهم وملوكهم وأمراءهم، لا يخشون لوماً، ولا موتاً، ولا أذى، ولا اضطهاداً :
أما موقف الصحابة مع خلفائهم فقد سبق بما يغني عن إعادته هنا عند الحديث عن بداية الوضع وبراءة الصحابة منه (2) 0

... ونزيد هنا بموقف لأبي بن كعب (مع الفاروق عمر) أخرجه ابن راهوية عن الحسن أن عمر بن الخطاب (رد وعلى أبي بن كعب (قراءة آية، فقال أبي : لقد سمعتها من رسول الله (وأنت يلبهك يا عمر الصفق بالبيع 0 فقال عمر (: صدقت إنما أردت أن أجربكم هل منكم من يقول الحق؟ فلا خير في أمير لا يقال عنده الحق ولا يقوله" (3) 0

(1) انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 171/1، وللإستزادة في هذا المبحث انظر : فتح المنان

بمقدمة لسان الميزان للأستاذ محمد المرعشلي ص 187-191 0

(2) راجع : ص 397 0

(3) ذكره صاحب كنز العمال 361/13 رقم 36766 0

(42/2)

... وروى أن أبي بن كعب قرأ : (الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ) (1) فقال عمر (كذبت 0 قال : أنت أكذب 0 فقال رجل : تكذب أمير المؤمنين؟ قال : أنا أشد تعظيماً لحق أمير المؤمنين منك 0 ولكن كذبت في تصديق كتاب الله (، ولم أصدق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله (، فقال عمر : صدق" (2) 0

فانظر كيف يمتحن عمر الصحابة في مدى جهرهم بكلمة الحق إذا عدل عنها الأمير، وانظر كيف كان الصحابة يعرفون لأمرائهم حقهم، فإذا عدلوا عن الحق لم تأخذهم في الله لومة لائم 0 ... أما عن موقف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام، من ملوكهم وأمرائهم، فقد مر موقف أبو سعيد الخدري من مروان وإلى المدينة، وكذا موقف ابن عمر من الحجاج (3) 0 وسيأتي موقف آخر للإمام الزهري مع هشام بن عبد الملك الأموي، بعد ذكر بعض المواقف لأئمة الإسلام من ملوك وأمرائ بني العباس 0 منها ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة - ابن أبي ذئب الإمام الثبت - قال الإمام أحمد : "دخل بن أبي ذئب على المنصور فلم يهبه أن قال له الحق، وقال الظلم ببابك فاش، وأبو جعفر، أبو جعفر" 0

(1) جزء من الآية 107 من سورة المائدة 0

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره 107/5 رقم 13977، دون ذكر رد عمر عليه، وانظر : الدر

المنثور 606/3 0

(3) راجع : ص 398، 399، وانظر: موقف آخر في السياسة الشرعية لابن تيمية ص 12، يدخل

فيه أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان (فيعظه موعظة بليغة، ولم يسميه فيها بالأمير بل بالأجير⁰

(43/2)

وعن محمد بن إبراهيم تلميذ بن أبي ليلي قال : "كنت عند أبي جعفر المنصور - وعنده بن أبي ذئب، فقال أبو جعفر : ما تقول في الحسن بن زيد - وكان والياً للمدينة أيام المنصور- قال يأخذ بالإحنة - أى الحق ويقتضى بالهوى⁰ فقال له الحسن : الله الله، والله ما سلم منه أحد، وإن شئت فسله عن نفسك يا أمير المؤمنين⁰ قال محمد بن إبراهيم - فجمعت ثيابي والسياف قائم على رأس أبي جعفر، مخافة أن يأمر به فيقتل، فيصيب دمه ثوبى، قال ما تقول في؟ قال - اعفنى يا أمير المؤمنين⁰ قال لا بد أن تقول⁰ قال إنك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية⁰ فتغير وجه أبي جعفر فقام إبراهيم بن يحيى وإلى المدينة أيام المهدي- وقال : طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين؟ قال له ابن أبي ذئب - اقعد يا بنى فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور" (1) ⁰

... وموقف سفيان الثوري - رحمه الله - مع أبي جعفر المنصور مشهور؛ فقد كان سفيان - رحمه الله - قوالاً بالحق، شديد الإنكار، حتى مات في البصرة محتباً من المهدي (2)، وما موقف المحدثين - وعلى رأسهم أحمد بن حنبل - رحمه الله - مع الأمراء العباسيين في محنة خلق القرآن بعيد⁰ وغير ذلك الكثير، ولولا أن المقام لا يحتمل المزيد لنقلت لك أخباراً مشرقة عن هؤلاء الأفاضل (3) ⁰

صلة علماء المسلمين بالملوك والأمراء :

... زعم أعداء السنة، أعداء الإسلام، أن صلات علماء المسلمين بالملوك والأمراء مكنتهم أن يستغلوهم في وضع الأحاديث الموافقة لأهوائهم وتثبيت سلطانتهم⁰

-
- (1) أدب الشافعي ص 32، وذكر القصة باختصار الذهبي في التذكرة 1/192، وانظر : في نفس الصفحة، موقفاً آخر للمهدي هاب فيه ابن أبي ذئب⁰
- (2) تذكرة الحفاظ 1/206 وانظر : الثقات للعجلي ص 54 رقم 37 حكى عن أبي إسحاق

الفزاري أنه أمر سلطان ونهاه فضربه مائة سوط⁰
(3) انظر : للمزيد كتاب "الإسلام بين العلماء والحكام" للأستاذ عبد العزيز البدرى⁰

(44/2)

يقول الدكتور السباعي رداً على ذلك : "ولا ندرى كيف تكون الصلة بين أئمة المسلمين الثقات
الأئبات، وبين الملوك والأمراء علامة على استغلالهم لهم، وقديماً كان العلماء يتصلون بالخلفاء
والملوك، دون أن يمس هذا أمانتهم في شيء، فقديماً تردد الصحابة على معاوية، وتردد التابعون⁰

... فهؤلاء الأئمة إذا اتصلوا بهؤلاء الأمراء والملوك، أو اتصلوا بهم بهم، لا سبيل إلى أن يؤثر ذلك في
دينهم، وأمانتهم، وورعهم، والمستفيد منهم على كل حال، هم المسلمون الذين يغدو علماؤهم
ويروحون من حلقات العلم إلى مجالس الخلفاء يروون حديثاً، أو يبتنون فكرة، أو يبتنون حكماً، أو
يبتنون حكماً، أو يؤدبون لهم ولداً، أو يذكروهم بما للأئمة عليهم من حقوق وما عليهم من واجبات⁰

... انظر: إلى ما رواه ابن عساكر بسنده إلى الشافعي - رحمه الله - أن هشام بن عبد الملك سأل
سليمان بن يسار عن تفسير قوله تعالى : (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (1) فقال هشام
: كذبت : إنما هو على بن أبي طالب، ويظهر أن هشاماً لم يكن جاداً فيما يقول، ولكنه يريد أن يختبر
شدتهم في الحق - فقال سليمان بن يسار : أمير المؤمنين أعلم بما يقول، ثم وصل ابن شهاب، فقال
له هشام : من الذي تولى كبره منهم؟ فقال الزهري: هو عبد الله بن أبي بن سلول، فقال له هشام :
كذبت⁰ إنما هو على بن أبي طالب، قال الزهري وقد امتلاً غضباً : أنا أكذب؟ لا أبالك! فوالله لو
ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت ... حدثني فلان، وفلان، أن الذي تولى كبره
منهم، هو عبد الله بن أبي بن سلول، ... وفي القصة فقال هشام: إنا نهيح الشيخ⁰ مما يدل على أنه لم
يكن جاداً في قوله "كذبت"⁰

(1) جزء من الآية 11 من سورة النور

(45/2)

ألا ترى في هذه الحادثة ما يدل على أن الصلة بين العلماء والخلفاء أدنى وأضعف من أن تصل إلى دينهم وأمانتهم؟ رجل يقول خليفة المسلمين : لا أبا لك! وهي كلمة لا يقولها رجل عادى لآخر مثله يحترمه، لدليل على أن صلتهم بالخلفاء والأمراء ليست صلة ضعيف بقوى، ولا مخدوع بخادع بل صلة واثق بدينه، معتر بعلمه يغضب إن كُذِّب، ويثور إذا حُرِّفَت حقيقة من حقائق التاريخ المتصل بصحابة رسول الله (، ورجل يزأر في وجه الخليفة زئير الأسد لأنه كذَّبه في تفسير آية من كتاب الله (خلاف ما يعلم أهل العلم من قبله، هل من المعقول أن يميل إلى أهواء الخليفة، فيضع له أحاديث عن رسول الله (لا أصل لها؟! ألا ترى إلى قول الزهرى : "أنا أكذب؟ لا أبالك! فوالله لو ناداني مناد من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت"0

إن الزهرى كان من ذلك الطراز الممتاز في تاريخ الإنسانية الذين ربَّاهم محمد (وأخرجهم للدنيا آيات باهرات في صدق اللهجة وسمو النفس، والترفع عن الكذب حتى ولو كان مباحاً (1) 0 0هـ

... يقول الأستاذ الصديق بشير : "ثم هل أولئك الفقهاء من الخور، وقلة الورع بحيث يستغلهم الحكام لتثبيت حكمهم؟! إن تاريخ هؤلاء ينفي ذلك بشدة، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن حرم على نفسه مخالطة السلاطين الظلمة (2) 0 بل وصل الأمر ببعضهم إلى أن يضرب، ويحبس، لرفضه تولية القضاء كأبي حنيفة -رحمه الله- (3) 0

(1) السنة ومكانتها للدكتور السباعي ص 213 - 216 بتصرف0

(2) إحياء علوم الدين 155/2، 166، وانظر: ضوابط الرواية عند المحدثين ص 347 0

(3) تذكرة الحفاظ 168/1، وانظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 248 وانظر : تاريخ محنة الفقهاء والمحدثين مع خلفاء بني العباس في كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة0

(46/2)

وانظر كيف كان الخلفاء يهابون العلماء، هاهو الخليفة المهدي يدخل مسجد النبي (فلم يبق إلا قام إلا ابن أبي ذئب فقيل له : قم، فهذا أمير المؤمنين، قال : إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي

: دعوه فقد قامت كل شعرة في رأسى (1) 0

... وانظر كيف يتمنى أبو جعفر المنصور أن يجلس في وسط المحدثين لينال من صالح دعائهم لما قيل له : هل بقى من لذات الدنيا شئ لم تنله؟ قال : بقيت خصلة، أن أقعد في مصطبة، وحولى أصحاب الحديث، يقول المستملى : من ذكرت، رحمك الله، قال : فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزراء بالخابر والدفاتر، فقال : لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق، ونقله الحديث (2) 0

... ثم ماذا يبتغى هؤلاء من مسائرهم لأهواء الأمويين والعباسيين أيتغون المال؟ أم الشهرة؟ إن التاريخ يشهد بأنهم لم يستعبدوا المال ولا الشهرة، وقد قيل أنه لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش، مع شدة حاجته وفقره (3) 0

وهل يبلغ الحمق، والغباوة بهم، أن يبيعوا دينهم، وسمعتهم بين المسلمين، وهم لا يطمعون في مال ولا جاه ولا منصب؟ أهـ0

(1) تذكرة الحفاظ 1/ 192 0

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 248 0

(3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص 83 0

(47/2)

ثالثاً : الجواب عن اتهام الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين، في دينهم، ودعوى استغلالهم لعلماء المسلمين لوضع ما يثبت ملكهم :

حال الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين من الدين :

... يحرص أعداء الإسلام، والسنة المطهرة، أن يصوروا لنا الأمويين، والعباسيين، جماعة دنيويين ليس لهم هم إلا الفتح، والاستعمار، والحقْد على آل البيت، وأنهم كانوا في حياتهم العادية جاهليين لا يمتنون إلى تعاليم الإسلام وآدابه بصلّة، وهذا افتراء على الواقع والتاريخ فمن المسلّم به أن ما بين

أيدينا من نصوص التاريخ التي تمثل لنا العصر الأموي، والعباسي، لا تعدوا إلا أن تكون أخباراً تناقلتها الألسنة دون تحقيق، وهي من وضع غلاة الشيعة، والروافض الذين أحدثوا الفتنة في صفوف الأمة الإسلامية، منذ مقتل الفاروق عمر، فعثمان، فعلي، (استمراً بصراعهم مع الأمويين والعباسيين، فهؤلاء الرافضة هم الذين ناصبهم الأمويون، والعباسيون العداء، وحاربوهم، تماماً كما حاربهم الإمام عليّ (1))

... وما ناصبوا العداء يوماً قط لآل البيت (وإنما هي الفتنة التي كان يشعلها الرافضة بين آل البيت، وبين أمية وبني العباس، على مر التاريخ (2))
... ومن هنا فلا يصح الاعتماد بدون تمحيص على كتب الأخبار والتاريخ فيما يتعلق بالأمويين والعباسيين (1) (2)

(1) لا سيما وأهل التاريخ ربما وضعوا من أناس، ورفعوا أناساً، إما لتعصب أو لجهل، أو لجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به، أو لغير ذلك من الأسباب، انظر : قاعدة في المؤرخين للإمام السبكي ص 69 وما بعدها، وانظر : السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 197، والعواصم من القواصم ص 256 – 262، وشبهات حول العصر العباسي الأول للدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد ص 13 وما بعدها (2)

(48/2)

يقول الدكتور محمد مظهر صديقي : "لأنها كتبت في الأمصار العراقية، وبخاصة في الكوفة والبصرة وبغداد – بيئة الفتنة والرافضة، ولم تنج من تعصب المؤلفين ورواة الأخبار الذين لم يبتعد أكثرهم عن العصبية بكافة أنواعها" (1) (2)

... يقول الدكتور السباعي : "هذا شيء، وشئ آخر أنه حتى في هذه الحالة فإننا نجد نصوصاً كثيرة تكذب أعداء السنة فيما رموا به أمراء الأمويين، والعباسيين، من إنحراف عن

الإسلام وتحدياً لأحكامه، فابن سعد، يروي لنا في طبقاته، عن نُسك، عبد الملك، وتقواه، قبل

الخلافة، ما جعل الناس يلقبونه بحمامة المسجد، حتى لقد سئل بن عمر (أرأيت، إذا تفانى أصحاب رسول الله (من نسأل؟ فأجابهم : سلوا هذا الفتى وأشار إلى عبد الملك (2) 0

(1) الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى ص 9 بتصرف، وانظر : شبهات حول العصر العباسى الأول ص 36 وما بعدها0

(2) وانظر: ثناء ابن عمر، وأبى الزناد، والشعبي، وغيرهم فى البداية والنهاية لابن كثير 62/9-63

(49/2)

وهذا مالك (قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان فى موطأه وأبرزه فى جملة قواعد الشريعة (1) 0 أما أبوه مروان بن الحكم فأقضيته وفتاواه كثيرة فى الموطأ (2)، وفى الصحيح عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك ابن مروان كتب : إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين، على سنة الله، وسنة رسوله (، ما استطعت، وإن بنى قد أقروا بمثل ذلك (3) 0

... وقل مثل ذلك فى الوليد بن عبد الملك، فلقد أنشئت فى عصره أكثر المساجد المعروفة اليوم، حتى كان عصره للمسلمين عصرًا عمرانيًا، وقل مثل ذلك فى بقية الخلفاء بما فيهم يزيد ابن معاوية (الذى اتهم كذبًا وزورًا بأكاذيب من صنع الرافضة0

(1) من ذلك ما أخرجه فى الموطأ فى كتاب الأقضية، باب المستكرهة من النساء 564/2 رقم14، وفى كتاب المكاتب، باب القضاء فى المكاتب 604/2 رقم 3، وانظر: العواصم من القواصم ص263، ومقدمة ابن خلدون ص 228 0

(2) من ذلك ما أخرجه فى الموطأ فى كتاب المكاتب، باب عتق المكاتب إذا أدى ما عليه قبل محله 612/2 رقم 9، وانظر : لورع مروان، وابنه عبد الملك، فيما رواه الإمام مالك عن عبد الملك ابن مروان أنه وهب لصاحب له جارية ثم سأله عنها فقال قد هممت أن أهبها لابنى فيفعل بها كذا وكذا، فقال عبد الملك : لمروان كان أروع منك، وهب لابنه جارية ثم قال لا تقر بها فإنى قد رأيت ساقها منكشفة، انظر : الموطأ كتاب النكاح، باب النهى عن أن يصيب الرجل أمة كانت لأبيه 426/2

(50/2)

ولا ندرى كيف يتهم بالفسق من شهد له رسول الله (، له بالخير والمغفرة، في قوله (" ... وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور له"؟ (1) وكان هذا الجيش هو جيش يزيد بن معاوية - وكان أميراً عليه في غزوة القسطنطينية (2) 0

وكيف يعهد له أبوه (معاوية) (بالخلافة "وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق 0 حاشا الله معاوية من ذلك" (3) 0

وكيف يصح وصف يزيد بالفسق وهو يحدث نفسه إن ولى الإمارة أن يسير على سيرة الفاروق عمر (لما قال له أبوه : كيف تراك فاعلاً إن وليت؟ قال : كنت والله يا أبة عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب 0 فقال معاوية : سبحان الله يا بنى، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطققتها، فكيف بك وسيرة عمر؟ (4) 0

... ويقول العلامة ابن خلدون مدافعاً عن أمراء الدولة الأموية قائلاً : " ... وإن كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة، والبغى، إنما كانوا متحررين لمقاصد الحق جهدهم، إلا في ضرورة تحملهم على بعضها، مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو أهم لديهم من كل مقصد 0 يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء، وما علم السلف من أحوالهم ومقاصدهم 0 فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك، وأما مروان فكان في الطبقة الأولى من التابعين، وعدالتهم معروفة ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذى كانوا فيه" (5) 0

(1) سبق تخريجه ص 423 0

(2) البداية والنهاية 8/229 0

(3) مقدمة ابن خلدون مبحث في انقلاب الخلافة إلى الملك ص 228، ومبحث في ولاية العهد

- (4) البداية والنهاية 232/8، وانظر : العواصم من القواصم ص 221 - 228، والصواعق المحرقة ص 208، وتطهير الجنان ص 7-43 كلاهما لابن حجر الهيتمي 0
- (5) المقدمة، مبحث في انقلاب الخلافة إلى الملك ص 228 0

(51/2)

ويقول أيضاً مدافعاً عن أمراء الدولة الأموية والعباسية معاً في معرض دفاعه عن أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد : "ثم إنه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك، وسليمان، من بنى أمية، والسفاح، والمنصور، والمهدى، والرشيد من بنى العباس، وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم، وحسن رأيهم للمسلمين، والنظر لهم، ولا يعاب عليهم إثارة أبنائهم وإخوانهم، وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء، فإنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً (1) ، وهي حفظ وحدة المسلمين، وإنه لفي رواية الإمام مالك في موطأه لأمر بني أمية مثل عبد الملك بن مروان وأبوه مروان، وجمعه لموطأه في أيام بني العباس، والدولة لهم، والحكم بأيديهم، لأكثر دليل على أنه لم يكن هناك صراع بين بني أمية وبني العباس، وإنما كان الصراع بينهم وبين أعداء الإسلام على مر التاريخ من الرفض والزنادقة 0

وحق لو فرض أنه كان هناك صراع، فلم يكن لهذا الصراع أى تأثير على علماء المسلمين فيما يحفظون، ويدونون من حديث رسول الله (وإلا فلم لم يغير وينكر أمراء بني العباس ما في الموطأ؟

(1) المصدر السابق مبحث في ولاية العهد ص 233 0

(52/2)

وأي ما زعمه أعداء الإسلام من استغلالهم لعلماء المسلمين في وضع ما يوافق رغبتهم؟ نعم كان هناك من يتقرب إلى الملوك والأمراء بوضع ما يوافق فعلهم، ولكن هؤلاء الأدعياء لم يكونوا يمتنون إلى العلم بصله، وهم غير العلماء الذين نهضوا لجمع الحديث وتدوينه ونقده، وفي نفس الوقت لم يغفل

الأمراء عن كذبهم كما حدث من غياث بن إبراهيم النخعي (1) مع الخليفة المهدي العباسي (2) لما رآه يلعب بالحمام فحدثه بحديث أبي هريرة (: "لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر" وزاد فيه : "أو جناح" فأمر المهدي بعشرة آلاف درهم، فلما قام قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله (، وإنما استجلبت ذلك أنا فأمر بذبح الحمام فذبحت 0

(1) غياث هو : ابن إبراهيم النخعي، الكوفي، اتفقوا على تركه، فهو كذاب خبيث، كما وصفه يحيى ابن معين 0 انظر : الضعفاء للنسائي 195 رقم 509، والمجروحين لابن حبان 200/2، وميزان الاعتدال 337/3 رقم 6673، ولسان الميزان 421/5 رقم 6556، والجرح والتعديل 57/7 رقم 327، والكامل في الضعفاء 8/6 رقم 1554، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي 247/2 رقم 2689 0 وانظر : الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاکر ص 71، فقد ذكر أنه فعل نحواً من ذلك مع الخليفة الرشيد 0

(2) انظر : مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 8 ص 568 تعليق الأستاذ الصديق بشير على الفصل الثالث من دراسات محمدية لجولدتسهير، والذي اهتم فيه الخليفة المهدي بأن ابن عدى عده في قائمة الوضاعين" وتحريف جولدتسهير لهذا النص، الذي فهم منه ذلك 0

(53/2)

... يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله تعالى - : "لم يكن المهدي مغفلاً ولا جاهلاً، بل كان عاقلاً عالماً، من الملوك الذين ينشأون في العلم الذي هو شرط من شروط الولاية، فعامل المتزلف إليه بجود الملوك، وأراد قطع السبب الذي تزلف به الكذاب، وفطم نفسه عن التعلق بالحمام فذبحها - ولم يأت في الخبر أنه طرحها - ولم ينتفع بها آكل، ومثل هذا لا يغيب عن مثل الخليفة المهدي العالم (1) 0 الذي نكل بالزنادقة أيما تنكيل أيام دولته، وعين لهم رجلاً سماه "صاحب الزنادقة" وكل إليه أمر إبادتهم والقضاء عليهم وأمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين، وإقامة البراهين على المعاندين وإيضاح الحق للشاكين، وأوصى ابنه الهادي بالعمل على إبادة الزنادقة، وشرح له أمرهم، وسوء نيتهم نحو الإسلام والمسلمين، وجاء عنه أنه قال : "والله لن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينا تطرف" وقد أنفذ الهادي وصية أبيه بكل أمانة" (2) 0

(1) لمحات من تاريخ السنة ص 127 هامش، وانظر : ترجمة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور المهدي في سير أعلام النبلاء 400/7، 403 رقم 147، والبداية والنهاية 124/10، وتاريخ الخلفاء ص 253، وشذرات الذهب 230/1، 245، وتاريخ بغداد 391/5 - 401 رقم 2917، والوفاء بالوفيات 300/3 - 302 0

(2) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 339 0

(54/2)

... وخلاصة القول : أن ما وقع من وضع في السنة أيام الأمويين والعباسيين، وقع من غلاة الشيعة الرافضة، والزنادقة، وغيرهم ممن لا يمتنون إلى العلم بصلة، وأمثال هؤلاء هم الذين كانوا في صراع دائم مع الدولة الأموية، والعباسية، أما ما يزعمه أعداء الإسلام، والسنة المطهرة، بأن الوضع وقع مع العلماء الذين دأبوا على نشر السنة المطهرة، وحفظها وتنقيتها أمثال الزهري، والأوزاعي، والثوري، وابن حنبل، والبخاري، وغيرهم من رواة السنة، فذلك كذب وافتراء يرده تاريخنا الإسلامي السالم من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين 0

رابعاً: الجواب عن طعن أعداء السنة في أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث الفتن ما زعمه أعداء السنة من أن أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث اجتناب الفتن وضعها أهل الحديث لتثبيت أنظمة الحكم، فتلك دعوى يردها النقل والنظر 0

(55/2)

... يقول الأستاذ الصديق بشير : "فأما النقل : فإن الأحاديث التي ذكروها - ومعظمها في الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله (وهي تدعو إلى طاعة الحكام والأمراء، وتدعو إلى اجتناب الفتن، والنجاة من شرورها، ويظن أنها وضعت من أجل تثبيت الحكام، إما بطاعتهم، أو باعتزال الأمر وتركه، فهذه الأحاديث لو افترضنا جدلاً صحة ادعائهم، فالقرآن الكريم يؤكدنا ويصدقها، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (1)

ووجوب طاعة ولى الأمر بطاعته لله ورسوله، وقول تعالى : ذاماً الفتن ومحذراً من الارتكاس فيها
(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) (2) 0 وقال تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (3)
0 وكون الفتنة أشد من القتل لأن شرورها لا تنقطع كالنار لا تبقى على شيء 0 فهذا إذن أكبر دليل
على أن مجموع تلك الأحاديث التي تحض على الطاعة، وتجنب الفتن سبقت الخلافات والنزاع حول
الحكم 0

... وأما النظر : فإنه يكذب هذا الادعاء، لأن اجتماع الفقهاء أو أهل الحديث أو جميعهم على
وضع هذه المبادئ كما يسميها "جولدتسيهر" ويقول بها الرفضة، ومن قال بقولهم 0 لا يمكن أن
يتحقق، واجتماعهم على الكذب على الرسول (لا يتأتى 0 ففي زمن بنى أمية كان هناك كثير من
الصحابة أمثال : أنس بن مالك (ت 93هـ)، وعبد الله بن عمر (ت 73هـ)، وعبد الله ابن عباس (ت
68هـ)، وأبو هريرة (ت 59هـ)، وعبد الله بن عمرو (ت 65هـ)، والنعمان بن بشير (ت 64هـ) 0

(1) الآية 59 من سورة النساء 0

(2) الآية 25 من سورة الأنفال 0

(3) جزء من الآية 191 من سورة البقرة 0

(56/2)

... وكان هناك عدد كبير من الفقهاء والأعلام أمثال : سعيد بن المسيب (ت 91هـ)، وعروة بن
الزبير (ت 94هـ)، وخارجة بن زيد (ت 100هـ) وبقية الفقهاء السبعة المشهورون 0 وأمثال : سالم بن
عبد الله (ت 106هـ)، والشعبي (ت 105هـ)، وابن سيرين (ت 110هـ)، وهذه الدولة العباسية بدأت
بخلافة أبي العباس السفاح سنة (132هـ)، وكان ممن حضر قيامها من أئمة الفقهاء ربيعة الرأي (ت
134هـ)، وعطاء الخراساني (ت 135هـ) والأوزاعي (ت 157هـ)، وأئمة المذاهب الأربعة 0

... فهل من الممكن أن يتفق أمثال هؤلاء – وهم من هم في الورع والعلم – على تثبيت نظام من
الأنظمة، ودعوة الناس إلى مؤازرته والخضوع له، ولو أدى بهم ذلك إلى اختلاق الأحاديث، لتأكيد
هذه الدعوة، وكأنهم شرذمة من المتأمرين؟! وإذا صح لغيرهم أن يفعلوا ذلك، فهل يرضى هؤلاء

بذلك، وهم يعلمون أنه خطر يهدد الإسلام، وأن السكوت عليه خيانة للمسلمين؟! ... وكيف ترضى الفرق الأخرى التي تنازع نظام الحكم القائم بهذا الصنيع وهي تعلم أنه دس واختلاق؟! والعقل يقول : إنه لو أحس هؤلاء بأن تلك الأحاديث موضوعة لغرض تثبيت نظام الحكم الذى ينازعونه لشنعوا بذلك أيماً تشنيع، ولشهرروا بواضيعها أيما تشهير، ولكن هذا لم يوجد؛ لأنه لم يصح إلا فى ذهن الرافضة وجولدتسهير، ومن تبعهم فى ملتهم من أبناء جلدتنا⁰ وكيف فاتهم أن عصر بنى أمية وبنى العباس لم يخل من علماء نقد الحديث، وهم علماء الجرح والتعديل أمثال : شعبة بن الحجاج (ت 159هـ)، وسفيان الثوري (ت 161هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي (ت 198هـ)، ويحيى بن سعيد القطان (ت 198هـ)، وهم وغيرهم الذين غربلوا الحديث، وحذفوا الموضوعات وأظهروها، فهل غابت عنهم تلك الأحاديث التى ذكرها أعداء الإسلام، ومعظمها فى الصحيحين، حتى يأتى أدعياء العلم فى آخر الزمان ليبينوا لنا أنها موضوعة؟!

(57/2)

ثم ما المنهج الذى اتبعوه فى النقد؟ ليس ثمة منهج إلا مجموعة أفكار فاسدة وهواجس تعشعش فى أذهانهم، ولو افترضنا أن أعداء الإسلام لا يقصدون أنهم وضعوا هذه الأحاديث، أى اختلقوها فإن مجرد تسخيرهم لها لتثبيت دعائم الحكم الأموى مرة، والحكم العباسى مرة أخرى، مسبة أيضاً، وافية لا يقولها عاقل!

... كما أن إشاعة هذه الأحاديث النبوية مصلحة للناس قبل أن تكون مصلحة للحكام؛ لأنه فى أغلب الفتن لا يتأذى بويلاتها إلا الناس، ولا يبلغ الحكام إلا دخانها، وفى الفتن تختلط الأمور وتتداخل، فيدعى كل طرف فيها أنه على حق، وأن غيره على باطل، ومن لم يتبين أى الأطراف على حق، كان أولى به أن يعتزل الفتن، وهو الصواب⁰

... كما أن هذا الدين الحنيف جاء داعياً إلى التكتل والجماعة، وحذر من الفرقة والانقسام لأن هلاك المسلمين فى تفرقهم شيعاً وأحزاباً، يقول تبارك وتعالى : (واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا) (1) ويقول : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) (2) ويقول : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (3) 0

... والأحاديث النبوية التي تدعوا إلى الجماعة، وعدم الخروج عنها توضح هذه الحقيقة القرآنية، حقيقة أن فساد أمر المسلمين بافتراقهم، وهي حقيقة يعيها جيداً أعداء الإسلام، إلا أنهم يتجاهلون هذه الحقيقة ليزعموا أن هذه الأحاديث موضوعة، لخدمة الحكام، وذلك بعدم دفع المسلمين إلى الخروج على الحكام ولو كانوا جائرين، وتجاهلوا أن : من عقيدة المسلمين عدم الخروج على السلطان لجور أو ظلم ما لم يأمر بمعصية⁰

(1) الآية 103 من سورة آل عمران⁰

(2) الآية 159 من سورة الأنعام⁰

(3) الآية 105 من سورة آل عمران⁰

(58/2)

يقول الإمام الطحاوي في عقيدته : "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله (فريضة، ما لم يأمر بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة" (1) ⁰

... ويقول شارح العقيدة الطحاوية : "فقد دل الكتاب، والسنة على وجوب طاعة أولى الأمر ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (2) كيف قال : وأطيعوا الرسول، ولم يقل : وأطيعوا أولى الأمر منكم! لأن أولى الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله (0)

... وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم (3) وقل من خرج على إمام إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم ما تولد من الخير، يقول ابن تيمية في حكم قتل الأئمة والخروج عليهم : "إن من قال : إن قتلهم حد، قال : إن جانيهم؛ توجب من الفتنة، والفساد أكثر مما يوجب جناية بعض قطاع الطريق لأخذ المال" (4) ⁰

(1) شرح العقيدة الطحاوية 0 111/2

(2) جزء من الآية 59 من سورة النساء 0

(3) شرح الطحاوية 0 114/2

(4) منهاج السنة 0 201/3

(59/2)

... وأخيراً : بماذا يفسر أعداء الإسلام، ما رواه من طعنوا فيهم من المحدثين، من أحاديث مثل قوله (:"إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" (1) ،ومثل قوله (: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (2) 0 ومثل قوله (: "على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (3) وعن عبادة بن الصامت (قال : "بايعنا رسول الله (على السمع والطاعة في العسر واليسر : والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم" (4) 0

ماذا يقول أعداء الإسلام في هذه الأحاديث التي ظاهرها مجاهدة السلطان إذا أمر بالمعاصي، أو استحلتها، أو عطل حداً من حدود الله؟!

... إن الذين رَووا هذه الأحاديث، هم أنفسهم الذين رَووا تلك الأحاديث التي ينكرونها، فكيف لهم الخروج من هذه الورطة التي أوقعوا أنفسهم فيها؟ إن طاعة ولى الأمر ليست على الإطلاق، بل هي مقيدة بطاعته لله ورسوله، تلك الطاعة التي لا تكون إلا بإقامة حكم الله في الناس 0

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي 124/4 رقم 4344، والترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر 409/3 رقم 2174 0

(2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان 296/1 رقم 49 من حديث أبي سعيد الخدري (0

- (3) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية 466/6 رقم 1839 من حديث ابن عمر (0
- (4) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأحكام، باب كيف يبائع الإمام الناس 204/13 رقمى 7199، 7200، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في معصية 468/6 رقم 1709 واللفظ له 0

(60/2)

وهذا يبين أنه ليس ثمة مصلحة لهؤلاء المحدثين، والفقهاء، إلا خدمة هذا الدين، وليسوا أداة في أيدي الحكام يسخرونها متى شاؤوا وكيف شاؤوا (1) 0

بل كانوا حفظة الشريعة وحراس الأرض، ولولا هم لدرس الإسلام، فهم فرسان هذا الدين الذين وقفوا بالمرصاد لحركة الوضاعين من أعداء الإسلام، وأسفر صمودهم عن أدق منهج، وأحكمه في نقد الروايات وتمحيصها، والتمييز بين غثها وسمينها، فأبلوا في ذلك أحسن البلاء وبرزوا في هذا المضمار، واستحدثوا فيه العلوم وقعدوها، وضبطوها وأصلوها، وجاؤوا بالعجب العجائب في حفظ السنة المطهرة (2) 0 فكانوا آية تصدق آية (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (3) 0أهـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

-
- (1) ضوابط الرواية عند المحدثين ص 342 – 347 بتصرف، وانظر : مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 579/8 – 583، وللاستزادة في الجواب عن هذه الشبهة انظر : منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم لفضيلة الأستاذ الدكتور يحيى إسماعيل حبلوش 0
- (2) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثاني الهجرى للدكتور عبد المجيد محمود ص 3 بتصرف 0
- (3) الآية 9 من سورة الحجر 0

(61/2)

5عمر يقول ما زلت اتصدق، وأصوم، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً" (1) 0

... وعند الواقدي (2) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- "قال عمر لقد اعتقت بسبب ذلك رقاباً وصمت دهرًا" (3) ويقول (مبيناً ندمه على عدم رضائه عن الصلح ابتداءً، ثم امتثاله لأمر النبي (قال : "يا أيها الناس : اهتموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله (برأيي اجتهداً، فوالله ما آلوا عن الحق، وذلك يوم أبي جندل (4) والكتاب بين يدي رسول الله (وأهل مكة، فقال : اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم" فقالوا : ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب كما كنت تكتب - : باسمك اللهم 0 فرضى رسول الله وأبیت عليهم، حتى قال لى رسول الله (: "تراني أَرْضى، وتأبى أنت؟" فرضيت" (5)

(1) السيرة النبوية لابن هشام 317/3 0

(2) الواقدي هو : محمد بن عمر بن واقد الواقدي، قاضى العراق، رغم دقته فى المغازى وإمامته فيها إلا أنهم ضعفوه فى الحديث قال الذهبي : الواقدي وإن كان لا نزاع فى ضعفه، فهو صادق اللسان كبير القدر، وقال ابن حجر : متروك مع سعة علمه، من أشهر مؤلفاته "المغازى" و"الردة"، مات 207هـ له ترجمة فى : لسان الميزان 531/9 رقم 15615، والكاشف 205/2 رقم 5078، والمجروحين لابن حبان 290/2، والتقريب 117/2 رقم 6195، وتهذيب الكمال للمزى 180/26 رقم 5501 0

(3) فتح البارى 408/5، 409 رقمى 2731، 2732 0

(4) أبو جندل هو: ابن سهيل بن عمرو صحابى جليل 0 له ترجمة فى: الإصابة 34/4 رقم 9699، وتاريخ الصحابة ص 271 رقم 1507، واسد الغابة 53/6 رقم 5775، والاستيعاب 4/1621 رقم 2898 0

(5) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" 522/7، 523 رقم 4189، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية فى الحديبية 377-379 رقم 1785 وأخرجه البزار بسند رجاله رجال الصحيح، كذا فى مجمع الزوائد 6/145، 146، واللفظ للبزار 0

... يقول الحافظ ابن حجر : "والا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه" وقد غفر الله (له، ولمن شهدوا بيعه الرضوان يوم الحديبية قال تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (1) 0

... وشهد لهم رسول الله (بالخيرية : فعن جابر (قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النبي (: "أنتم اليوم خير أهل الأرض" (2) 0

... وشهد لهم بالجنة فقال (: "لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها" قالت (حفصة) (3) بلى يا رسول الله! فانتهرها 0 فقالت حفصة : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) (4) فقال النبي (قد قال (: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) (5) 0

- (1) الآية 18 من سورة الفتح، وانظر : فتح الباري 409/5 رقمي 2731، 3732 0
- (2) أخرجه البخاري(بشرح فتح الباري)كتاب المغازي،باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى:"لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ" الآية 507/7 رقم 4154، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش 6/7 رقم 1856 واللفظ له 0
- (3) حفصة بنت عمر إحدى أمهات المؤمنين وصحابيه جلييلة لها ترجمة في:الإصابة 273/4رقم 396، وتاريخ الصحابة ص83رقم339،واسد الغابة 67/7رقم6852،والاستيعاب 4/1811رقم3297
- (4) الآية 71 من سورة مريم 0
- (5) الآية 72 من سورة مريم والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة 8/296 رقم 2496 0

... ففي الأحاديث السابقة وغيرها مما ذكرها أهل الأصول دليل على وقوع الاجتهاد من الصحابة (بما فيهم الإمام علي بن أبي طالب) زمن النبوة بحضرته وغيبته (في المصالح الدنيوية والعبادات أيضاً)
(1) 0

... ومن المعلوم أن اجتهادهم (بحضرته وغيبته) يصير حجة وشرعاً ويتعبد به بإقراره (لا بمجرد اجتهادهم) (2) 0

... وإن لم يقره (أو لم يبلغه اجتهادهم كان اجتهادهم فيه الخلاف المعروف في قول الصحابي (3) 0 اللهم إلا إذا قال أحدهم قولاً لا يقال من قبل الرأي، ولا مجال للاجتهاد فيه فحكمه الرفع، على ما هو مقرر عند الأصوليين والمحدثين (4) 0

(1) من الأدلة التي استدلت بها على ذلك قوله تعالى "وشاورهم في الأمر" استدلت بها الإمام السرخسي على أن المشاورة في أحكام الشرع، كما في مصالح الدنيا فقال : "ألا ترى أنه شاورهم في أمر الأذان والقصة فيه معروفة، وشاورهم في مفاداة الأسارى يوم بدر" 0 أصول السرخسي 93/2، 94، 131، وبهذه الأدلة استدلت الزركشي في البحر المحيط كما استدلت بقوله ("قد سن لكم معاذ" البحر المحيط 223/6، 225 0

(2) إرشاد الفحول 323/2، وأعلام الموقعين 232/2 0

(3) الإحكام للآمدي 130/4، والمسودة لآل تيمية ص 336، وأصول السرخسي 105/2-116، وإرشاد الفحول 268/2، والأدلة المختلف فيها وأثرها في الفقه للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص 279-316 0

(4) المحصول للرازي 221/2، وتدريب الراوي 190/1، 191، وفتح المغيبي للسخاوي 144/1، وتوضيح الأفكار للصنعاني 280/1

... وكذا إذا اجتهدوا في شيء، وأجمعوا عليه، فيصير حجة بلا خلاف حتى يكفر جاحده (1) 0
وهذا الاجتهاد من الصحابة زمن النبوة وإقرار النبي (لهم، قد أقرهم رب العزة عليه، ولم يبين أنهم قد
أخطأوا فيه، مع أن الزمان كان زمان وحى 0 فلو كانوا في عملهم هذا مخطئين : لما أقرهم الله تعالى
عليه، لأن تقريره تعالى في زمان الوحي حجة بمثابة الوحي المنزل (2) 0

... فكان اجتهدهم حجة وسنة يعمل بها ويرجع إليها (3) ، ولم لا وقد قرن (سنتهم بسنته في
وجوب الاتباع في قوله (: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" (4) وقال :
"اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر" (5) وعلى ذلك سلف الأمة من الصحابة (6) والتابعين
فمن بعدهم من أئمة المسلمين (7) 0

-
- (1) كذا في أصول السرخسي 318/1، وانظر : الإحكام للآمدي 255/1، والمستصفي للغزالي
198/1، والبحر المحيط للزركشي 482/4 0
(2) حجية السنة للدكتور عبد الغني ص 285 0
(3) الموافقات للشاطبي 450/4، وانظر من نفس المصدر 300/3 (بيان الصحابي حجة)، والبحر
المحيط (التخصيص بقول الصحابي) 398/3 0
(4) سبق تخريجه ص 38 0
(5) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر (570/5 رقمي 3662،
3663، وباب مناقب عمار بن ياسر (626/5 رقم 3799، وقال : هذا حديث حسن، وابن
ماجة في سننه المقدمة، باب في فضائل اصحاب رسول الله (48/1 رقم 49، من حديث حذيفة بن
اليمان (، وانظر أعلام الموقعين 225/2، 226 0
(6) انظر : أثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في سنن الدارمي المقدمة، باب الفتيا وما فيه من
الشدة 71/1 رقم 166، وانظر : جامع بيان العلم 57/1 0
(7) انظر : ما روى عن عمر بن عبد العزيز في سنن الدارمي المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة
70/1 رقم 162 0

... وبالجملة فما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم للأمة فهو حجة لا يجوز العدول عنها، فأين هذا من قول غلاة الشيعة أن الخلفاء الراشدين وأتباعهم من بقية الصحابة باستثناء -الإمام علي وشيعته- يجتهدون ويقدمون رأيهم على سنة رسول الله (1)، كيف وقد تقدم عنهم جميعاً تعظيمهم لحديث رسول الله (وتحكيمه في كل شأن من شئون حياتهم، وزجرهم، وهجرهم من لم يعظم قوله) وقد تواتر من شيمهم أنهم كانوا يطلبون حكم الواقعة من كتاب الله (، فإن لم يصادفوه فتشوا في سنن رسول الله (، فإن لم يجدوها تشاوروا، ورجعوا إلى الرأي عند الاضطرار حيث لا يوجد منه بد، ولم يلزموا أحداً العمل به، ولم يحرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفه مخالفاً للدين، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورده0

فعن عمر (أنه لقي رجلاً فقال : ما صنعت؟ قال قضى عليّ وزيد بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال، فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه (لفعلت، ولكنني أردك إلى رأيي، والرأي مشترك، فلم ينقض ما قال علي وزيد" (2) 0

(1) منع تدوين الحديث ص 90-98، ومعالم المدرستين 379/2 0

(2) أعلام الموقعين 65/1 0

(66/2)

... وإذا ظهر لهم النص مع اجتهادهم رجعوا إليه وتركوا رأيهم، يدل على ذلك : ما روى أن عمر (كان يقول : "الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها" حتى أخبره الضحاك بن سفيان (1) ، أن رسول الله (كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته، فرجع إليه عمر" (2) 0 وروى عنه أنه جاء إليه رجل من ثقيف فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر، ألها أن تنفر؟ فقال عمر لا، فقال له الثقفى: إن رسول الله (أفتاني في مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرّة، ويقول له : لم تستفتني في شيء قد أفتى فيه رسول الله ((3) ؟ وغير ذلك من الأحاديث الواردة عن عمر وغيره من الصحابة (4) 0

(1) الضحاك بن سفيان (صحابي جليل له ترجمة في: تاريخ الصحابة ص141 رقم 687، والإصابة

- 206/2 رقم 4186، والاستيعاب 742/2 رقم 1250، واسد الغابة 47/3 رقم 2556 0
(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الفرائض، باب في المرأة ترث من دية زوجها 129/3، 130
رقم 2927، والترمذى في سننه كتاب الديات، باب ما جاء في المرأة هل ترث من دية زوجها 19/4
رقم 1415، وقال : هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، وأخرجه أيضاً في
كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث المرأة من دية زوجها 371/4 رقم 2110، وقال : حسن
صحيح، وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الديات، باب الميراث من الدية 85/2 رقم 2642،
والشافعى في الرسالة ص 426 رقم 1172، وانظر : أعلام الموقعين 2/265 0
(3) أعلام الموقعين 2/263 0
(4) انظر:المصدر السابق 2/260-275، والدارمى في سننه المقدمة، باب الرجل يفتى بشئ ثم
يبلغه عن النبي (فيرجع إلى قول النبي) 161/1 أرقام 641 – 644 0

(67/2)

... وعلى ذلك إجماع الأمة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين، قال عمر ابن عبد
العزيز: "لا رأى لأحد مع سنة سننها رسول الله () (1) 0

وقال الشافعى : أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله (لم يكن له أن يدعها لقول
أحد من الناس " (2) 0

... وبعد : فقد تحقق لك جواز الاجتهاد من الصحابة (في عصر النبوة المباركة، وبعده واتفاق الأمة
منذ زمن الصحابة (-إلى يومنا هذا- ولم ينكر أصل الاجتهاد واحد من الصحابة بما فيهم الإمام
على بن أبى طالب (، وإنما كانوا يتناظرون في الذب عن وجوه الاجتهاد والدعاء إلى غيرها من
الاجتهاد (3) 0

... وإذا كانت الوقائع التى جرت فيها فتاوى علماء الصحابة، وأقضيتهم لا يحصرها عد، ولا يحويها
حد حيث كانوا قايسين في قريب من مائة سنة (4) 0

إذا تقرر كل ذلك بطل ما يذهب إليه غلاة الشيعة من الطعن في الصحابة باجتهادهم زمن النبوة المباركة وبعده، وبطل ما يزعمونه من أن الصحابة طائفتان في تعاملهم مع السنة المطهرة⁰ طائفة التبعيد المحض -ويعنون بهم الإمام على وشيعته، وطائفة الاجتهاد، والأخذ بالرأى وترك السنة- ويعنون بهم أهل السنة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون⁰ فهذا التقسيم محض كذب، من رافضة امتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً على سلف هذه الأمة من صحابة رسول الله (وعلى من صار على درجهم من أهل السنة⁰)

-
- (1) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي (، وقول غيره عند قوله (125/1 رقم 432 0
- (2) أعلام الموقعين 2/263 0
- (3) البرهان في أصول الفقه للجويني 14/2 فقرة رقم 713 0
- (4) المصدر السابق 13/2 فقرة رقم 711 0

(68/2)

وبالجملة "من طعن في السلف من نفاة القياس لاحتجاجهم بالرأى في الأحكام فكلامه كما قال الله تعالى : (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) (1) 0

الصحابة (والنهي عن كثرة التحديث :

... بقى من شبهه (النهي عن كتابة السنة) ما زعمه بعض دعاة الفتنة (2) -ومن تأثر بهم من المسلمين (3) من أن امتناع بعض الصحابة عن التحديث ونهى كبار الصحابة عن الإكثار من التحديث دليل على عدم حجية السنة⁰

... وما استدلووا به على ذلك الآثار الآتية :

-
- (1) مثل محمود أبو رية في الأضواء ص 53-57، وجمال البنا في السنة ودورها في الفقه الجديد ص 16، وعبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص 134، ومرتضى العسكري في معالم

المدرسين المجلد 44/2، 45، 64، وعلى الشهرستاني في منع تدوين الحديث أسباب ونتائج ص 57، 64، وزكريا عباس داود في تأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص 42 - 48 وغيرهم 0
(2) كالأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - حيث قال : "ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه بل في نهيهم عنه قوى عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن" انظر : مجلة المنار المجلد 10/768 0
(3) الآية 5 من سورة الكهف 0 وانظر : أصول السرخسي 2/133 0

(69/2)

1- ما روى من مراسيل ابن أبي مُلَيْكَةَ (1) قال: إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم (فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه (2) 0

(1) ابن أبي مُلَيْكَةَ هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكَةَ (بالنصغير) أبو بكر أدرك ثلاثين من أصحاب النبي (وكان إماماً فقيهاً حجة فصيحا مفوهاً، متفق على توثيقه، مات 117هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 1/100 رقم 94، وتقريب التهذيب 1/511 رقم 3465، والكاشف 1/571 رقم 2838، والثقات للعجلي ص 268 رقم 848، ومشاهير علماء الأمصار ص 107 رقم 597 0
(2) تذكرة الحفاظ 1/2، 3 0

(70/2)

2- وما روى عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (1) قال : والله مامات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة (2) ، وأبا الدرداء (3) ، وأبا ذر (4) ، وعقبة بن عامر (5) ،

(1) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي 0 روى عن عمر، وعلى، وعمار، وعنه ابنه سعد، وصالح، والزهري، وقال العجلي : تابعي ثقة مدني، وذكره

ابن حبان في الثقات، وقيل له رؤية، واختلف في سماعه، من عمر بن الخطاب فأثبتته يعقوب بن شيبه، والواقدي، والطبري، وغيرهم والظاهر إنه لم يسمع منه، فإنه مات سنة 96، وقيل 95 وعمره 75 سنة فلم يدرك من حياة عمر إلا سنتين أو ثلاث 0 وهذا ما رجحه الهيثمي في مجمع الزوائد 149/1، قال : إبراهيم ولد سنة عشرين، ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين، وهذا ما رجحه أيضاً أحمد محمد شاكر في الإحكام لابن حزم 266/2 هامش 0 وإبراهيم له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص 88 رقم 450، والاستيعاب 61/1 رقم 2، والثقات لابن حبان 4/4، وتاريخ الثقات للعجلي ص 53 رقم 29، وتقريب التهذيب 60/1 رقم 206، والكاشف 217/1 رقم 165 0

(2) عبد الله بن حذيفة غير معروف، وإنما في الصحابة عبد الله بن حذافة 0

(3) أبو الدرداء هو : عويمر بن عامر بن زيد الأنصاري الخزرجي صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 24/1 رقم، واسد الغابة 306/4 رقم 4142، والإصابة 45/3 رقم 6132، والاستيعاب 1227/3 رقم 2006، وتاريخ الصحابة ص 182 رقم 941 0

(4) أبو ذر هو: أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة صحابي جليل 0 له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 17/1 رقم 7، واسد

الغابة 93/6 رقم 5869، والاستيعاب 1652/4 رقم 2944، والإصابة 63/4 رقم 9877

(5) عقبة بن عامر هو: عقبة بن عامر الجهني صحابي جليل له ترجمة في: مشاهير علماء الأمصار ص 72 رقم 378، وتذكرة الحفاظ 42/1 رقم 20، واسد الغابة 51/4 رقم 3711، والاستيعاب 1073/3 رقم 1824، وتاريخ الصحابة ص 179 رقم 925، والإصابة 489/2 رقم 5617 0

(71/2)

فقال ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا : تنهانا؟ قال لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم، ونرد عليكم، فما فارقه حتى مات (1) 0 وعنه من رواية أخرى : قال بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري (2) فقال ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله (فحبسهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء (3))

(1) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور 101/17 0

(2) أبو مسعود الأنصارى هو : عقبة بن عمرو بن ثعلبة⁰ صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص 55 رقم 270، والاستيعاب 3/ 1074 رقم 1827، واسد الغابة 4/ 55 رقم 3717، وتاريخ الصحابة ص 179 رقم 922، والإصابة 2/ 490 رقم 5622 0

(3) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث باب ذكر نهي عمر بن الخطاب عن رواية الحديث وبيان وجهه ومعناه ص 159 رقم 174 بلفظه⁰ وأخرجه ابن حزم في الإحكام فصل (في فضل الإكثار من الرواية للسنن) 2/ 266 بنحو رواية الحاكم، وقال ابن حزم هذا مرسل ومشكوك = = فيه من (شعبة) فلا يصح، ولا يجوز الاحتجاج به، ثم هو في نفسه ظاهر الكذب والتوليد وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم 1/ 193 رقمي 374، 375 بنحوه، وفيه أبي ذر بدلاً من أبي مسعود الأنصارى، وقال صحيح على شرط الشيخين، وإنكار عمر أمير المؤمنين على الصحابة كثرة الرواية عن رسول الله (فيه سنة، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وعزاه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 149 إلى الطبراني في الأوسط بنحوه وقال : قلت هذا أثر منقطع، وإبراهيم ولد سنة عشرين ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين وابن مسعود كان بالكوفة ولا يصح هذا عن عمر⁰ وذكره الحافظ الذهبي في التذكرة 7/ 1 بنحوه وليس فيه (فحبسهم بالمدينة) ولا (ثم أطلقهم عثمان) التي عزاها أبو رية في الأضواء ص 54 إلى الذهبي في التذكرة، وإنما ذكرها بلا سند، أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم ص 87، والأثر منقطع كما قال الهيثمي، وابن حزم⁰ والله أعلم

(72/2)

0

3- وروى عن السائب بن يزيد (1) قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتترك الحديث عن الأول، أو لألقنك بأرض دوس، وقال لكعب الأحبار (2) : لتترك الحديث عن الأول أو لألقنك بأرض القردة" (3) ، وعنه من طريق آخر قال : أرسلني عثمان بن عفان إلى أبي هريرة فقال : قل له يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله (... بنحو الرواية السابقة

(4) 0

(1) السائب بن يزيد : صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص 36 رقم 141، وتاريخ الصحابة ص 123 رقم 575، والاستيعاب 2/ 576 رقم 902، واسد الغابة 4/ 380 رقم

4291، والإصابة 12/2 رقم 0 3084

- (2) كعب الأحبار هو : ابن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، كان من أهل اليمن، فسكن الشام، قال ابن حجر ثقة مخضرم، وقال الذهبي في السير : "وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال محمد عوامه في تحقيقه للكاشف "ولا مجال للمنابر السياسية لتخطب هنا، وتكثر الكلام والتجريح فيه نعم انظر : "مقالات الكوثري ص32، وانظر معه فتح الباري 6/353، 13/334، 0 335 له ترجمة في: مشاهير علماء الأمصار ص145 رقم 911، والثقات لابن حبان 5/333، وتقريب التهذيب 2/43 رقم 5666، والكاشف 2/148 رقم 4662، وسير أعلام النبلاء 3/489 - 494 رقم 0 333
- (3) البداية والنهاية 8/110 0
- (4) أخرجه الخطيب في المحدث الفاصل باب، من كره كثرة الرواية ص 554 رقم 0 746

(73/2)

4- وروى عن قرظة ابن كعب قال (1) : بعث عمر بن الخطاب رهطاً من الأنصار إلى الكوفة، فبعثني معهم، فجعل يمشي معنا حتى أتى صرار (2) -وصرار : ماء في طريق المدينة- فجعل ينفذ الغبار عن رجله، ثم قال : إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قوماً لهم أزيز (3) بالقرآن، فيأتونكم فيقولون قدم أصحاب محمد (، قدم أصحاب محمد (، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأعلموا أن أسبغ الوضوء ثلاث، وثنان تجزيان، ثم قال: إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن فيقولون : قدم أصحاب محمد (، قدم أصحاب محمد (، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأقلوا الرواية عن رسول الله (وأنا شريككم فيه 0 قال قرظة : وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله (، وإني لمن أحفظهم له، فإذا ذكرت وصية عمر سكت 0 قال أبو محمد (الإمام الحافظ الدارمي) معناه عندي : الحديث عن أيام رسول الله (ليس السنن والفرائض" (4) 0

-
- (1) قرظة بن كعب هو : ابن ثعلبة الأنصاري صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص61 رقم 309، والاستيعاب 3/1306 رقم 1268، واسد الغابة 4/380 رقم 4291، والإصابة 3/231 رقم 7113، وتجريد أسماء الصحابة 2/14 0
- (2) صرار : بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق وقيل موضع بالمدينة انظر :

- (3) أريز : أى حركة واهتياج وحده 0 انظر : النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير 0 45/1
- (4) أخرجه ابن ماجة فى المقدمة، باب التوقى فى الحديث عن رسول الله (25/1 رقم 28،
والدارمى فى المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط 97/1 رقمى 279، 280 واللفظ له،
والحاكم فى المستدرک كتاب العلم 183/1 رقم 347، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد له طرق
تجمع ويذاكر بها، وقرظة ابن كعب الأنصارى صحابى جليل سمع من رسول الله (وأما سائر رواته فقد
احتجوا بهم 0 ووافقه الذهبي، فقال : صحيح وله طرق 0 وأخرجه ابن المبارك فى مسنده ص 139 رقم
0 226

(74/2)

... وفى رواية : "إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالأحاديث
فتشغلوهم، جودوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله (امضوا وأنا شريككم، فلما قدم قرظة، قالوا
حدثنا قال : نحنا عمر بن الخطاب" (1) 0

5- وروى عن عثمان بن عفان (2) (قال : "لا يحل لأحد يروى حديثاً لم يسمع به فى عهد أبى بكر
ولا فى عهد عمر، فإنه لا يمنعنى أن أحدث عن رسول الله أن لا أكون من أوعى أصحابي، إلا أنى
سمعتة يقول : من قال على فقد تبوأ مقعده من النار" (3) ، وغير ذلك من الآثار الواردة عن بعض
الصحابة فى التقليل من الرواية، وسيأتى بعضها فى الإجابة على هذه الشبهة 0
الجواب عن شبهة نهي الصحابة عن الإكثار من الرواية، وامتناع بعضهم عن كثرة التحديث دليل على
عدم حجية السنة

... بالآثار السابقة، وغيرها، احتج قديماً كما قال الحافظ ابن عبد البر، بعض من لا علم له ولا
معرفة من أهل البدع وغيرهم الطاعنين فى السنن، وجعلوا ذلك ذريعة إلى الزهد فى سنن رسول الله (
التي لا يوصل إلى مراد كتاب الله إلا بها، والطعن على أهلها (4) 0

... وتابع على ذلك حديثاً ذبوهم من المستشرقين، وغلاة الشيعة، ودعاة اللادينية، وجعلوا ذلك

(1) جامع بيان العلم 120/2، 121 0

(2) عثمان بن عفان : صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 8/1 رقم 3، ومشاهير علماء
الأمصار ص 11 رقم 4، والاستيعاب 1037/3 رقم 1778، واسد الغابة 578/3 رقم 3589،
والإصابة 462/2 رقم 5464 0

(3) أخرجه أحمد في مسنده 65/1 0

(4) جامع بيان العلم 121/2 0

(75/2)

... ولو صدق هؤلاء القوم في ادعائهم المنهجية، والنزاهة في البحث العلمي، لبينوا للقارئ عناوين
الأبواب التي نقلوا منها الآثار السابقة في مصادرها الحديثية، فلو فعلوا ذلك لتبين للقارئ لهم، بطلان
دعواهم وما فهموه من هذه الآثار، حيث أن عناوين الأبواب الواردة فيها، مشتملة على علة، وفقه
هذه الآثار، التي تفحصهم وتدحض دعواهم 0

فانظر : إلى الحافظ ابن عبد البر يذكر بعض هذه الآثار في جامع بيان العلم في باب عنوانه : "ذكر
من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم والتفقه فيه" (1) وتأمل "دون التفهم والتفقه فيه" 0
والحاكم في المستدرک يذكر بعضها في كتاب العلم في باب عنوانه "أمر عمر (بتجريد القرآن وتقليل
الرواية" (2) ، وتأمل "تجريد القرآن" وهو فقه مستنبط من صريح قول عمر بن الخطاب (0

والإمام ابن ماجة في سننه يذكر بعضها في باب "التوقي في الحديث عن رسول الله ((3) ، والدارمي
في باب "من هاب الفتيا مخافة السقط" (4) ، وباب "اتقاء الحديث عن النبي (والتثبت فيه" (5) 0
والهيثمي في مجمع الزوائد باب "الإمساك عن بعض الحديث" (6) وباب "التثبت والإمساك عن بعض
الحديث وبعض الفتيا" (7) 0

... ولو تأملنا في عناوين الأبواب السابقة، الواردة فيها الآثار، التي استشهد بها المشاغبون على عدم

حجية السنة، لوجدنا تلك العناوين، مطابقة تماماً، لحكمة النهي عن الإكثار من التحديث، وهذا ما سيظهر جلياً الآن بإذن الله تعالى⁰

(1) المصدر السابق 120/2-133 0

(2) انظر : المستدرك للحاكم 183/1 رقم 347 0

(3) انظر : سنن ابن ماجة 24/1 أرقام 29-23 0

(4) انظر : سنن الدارمي 94/1 أرقام 266-287 0

(5) انظر : سنن الدارمي 87/1 أرقام 231 : 238 0

(6) انظر : مجمع الزوائد 149/1 0

(7) مجمع الزوائد 182/2، 183 0

(76/2)

... وبالرغم من ضعف بعض الآثار السابقة كما سبق، إلا أنه مع ضعفها حجة لنا لا علينا، فلا حجة لأعداء السنة، في الآثار التي استشهدوا بها، ولا دليل فيها على ما ذهبوا إليه، لأنها اشتملت على الوجوه والأسباب التي من أجلها، امتنع بعض الصحابة عن التحديث، ونهوا عن الإكثار منه، وتلك الوجوه والأسباب هي :

أولاً : خوف الخطأ أو الزيادة والنقصان في حديث النبي (والدخول في وعيد النبي (الوارد في قوله)?"من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (1) وبذلك صرحت الآثار الواردة عمن امتنع عن التحديث أو لم يكتر منه⁰

... فعن أنس بن مالك (قال : "إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي (قال : "من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار" (2) 0

... وفي رواية أخرى عنه قال : "لولا أني أخشى أن أخطئ لحديثكم بأشياء سمعتها من رسول الله (أو قالها رسول الله (وذاك أني سمعته يقول : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (3) 0

(1) سبق تخريجه ص 275 0

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي (243/1 رقم 108

(3) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب اتقاء الحديث عن النبي (وأثبت فيه 88/1 رقم 235

(77/2)

... وعن عبد الله بن الزبير (1) قال : قلت للزبير (2) : إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله (كما يحدث فلان وفلان 0 قال : أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول : "من كذب على فليتبوأ مقعده من النار" (3) 0

(1) عبد الله بن الزبير : صحابي جليل 0 له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 150 رقم 722، ومشاهير علماء الأمصار ص 38 رقم 154، والاستيعاب 905/3 رقم 1535، واسد الغابة 241/3 رقم 2949، والإصابة 309/2 رقم 4700 0
(2) الزبير بن العوام : صحابي جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 13 رقم 9، واسد الغابة 307/2 رقم 1732، وتجريد أسماء الصحابة 188/1، والاستيعاب 510/2 رقم 808، والإصابة 5/2 رقم 2799 0
(3) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي (242/1 رقم 107 0

(78/2)

... وعن دُجَيْنُ أَبِي الغُصْنِ (1) قال: دخلت المدينة فلقيت أسلم (2) -مولى عمر بن الخطاب- فقلت : "حدثني عن عمر، فقال : لا استطيع أخاف أن أزيد أو أن أنقص، كنا إذا قلنا لعمر حدثنا عن رسول الله (قال : أخاف أن أزيد أو أن أنقص؛ إن رسول الله (قال: من كذب على، فهو فى النار" (3) 0

... وعلى هذا يحمل ما ورد عن ابن مسعود (من هيبة التحديث عن رسول الله ((4) ، وهكذا أمسك بعض الصحابة عن كثرة التحديث خوفاً من الخطأ أو الزيادة والنقصان فى الرواية عن الرسول

- (1) دُجَيْنٌ : هو ابن ثابت، أبو البرُّثُوعِي؛ البصري يروى عن هشام بن عروة، وأسلم مولى عمر، وروى عنه، ابن المبارك، ومسلم، ليس حديثه بشئ، يقلب الأخبار ولم يكن الحديث شأنه له ترجمة في : الضعفاء والمتروكين ص 99 رقم 187، والمجروحين 290/1، ولسان الميزان 36/3 رقم 3307، والجرح والتعديل 444/1 رقم 2017، والضعفاء الكبير للعقيلي 45/2 رقم 475، والكامل في الضعفاء لابن عدى 105/3 رقم 641 0
- (2) أسلم هو : أسلم العدوى مولى عمر، روى عن عمر، وأبي بكر، ومعاذ، وعنه ابنه زيد، ونافع، ثقة مخضرم مات 80 هـ وقيل بعد 60 هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 89/1 رقم 407، والكاشف 242/1 رقم 341 0
- (3) أخرجه أحمد في مسنده 46/1، 47 0 وفيه دجين بن ثابت أبو الغصن وهو ضعيف ليس بشئ 0 انظر : مجمع الزوائد 142/1 0
- (4) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله (24/1 رقم 23، بإسناد صحيح كما قال البوصيري في مصباح الرجاجة 48/1 رقم 9 0

(79/2)

... وإذا كان الإكثار من التحديث مظنة الخطأ بخلاف الإقلال، فالضبط فيه أكثر، فإن هذا لا يمنع من وجود بعض المكثرين المتميزين بالاتقان والدقة مع إكثارهم كأبي هريرة (ولذلك أذن له عمر - وهو أشهر المتشددين - بالرواية لثقتة بثبته وأمانته يدل على ذلك قول أبي هريرة : بلغ عمر حديثي فأرسل إلي فقال : "كنت معنا يوم كنا مع رسول الله (في بيت فلان"؟ قال : قلت نعم، وقد علمت لم تسألني عن ذلك؟ قال : ولم سألتك؟ قلت إن رسول الله (قال يومئذ : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، قال : أما إذا فاذهب فحدث" (1) 0

... وما أنكر عليه عمر، إنما كان من حديثه عن "الأول" (2) ، أى أهل الكتاب، أو الحديث عن بدء الخليقة، ونحوه مما لا يترتب عليه عمل (3) 0 ولهذا الأمر نفسه كان نهي عمر لكعب الأخبار - رحمه الله - 0

... فبطل بذلك ما ادعاه محمود أبو رية، وعبد الحسين شرف الدين، من مفتریات على أبي هريرة من أن عمر (ضربه بالدرة على إكثاره (4) 0 وأن أبا هريرة لم يكن له شأن زمن النبوة ... ولم يستطع أن يفتح فاه بحديث عن النبي (إلا بعد موت عمر (5) 0

-
- (1) البداية والنهاية 107/8، وسير أعلام النبلاء 2/434 0
 - (2) بترها مروان خليفات في كتابه وركبت السفينة ص 175 0
 - (3) الإحكام لابن حزم 2/266 0
 - (4) شيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص112، وأبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص 197 0
 - (5) شيخ المضيرة ص 117 0

(80/2)

كما أنه لا معنى لما زعمه رشيد رضا وتابعه عليه أبو رية في أنه لو طال عُمرُ، عمر بن الخطاب حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة عنه، ومنها 446 حديثاً في البخارى ما عدا المكرر (1) 0

... وما كان كبار الصحابة في نهيهم عن الإكثار من الرواية بدعاً في ذلك وإنما هم متبعون لأمر النبي (ولمنهجه في الحفاظ على رسالة الإسلام قرآناً وسنة 0

وفي ذلك يقول أبو عبد الله الحاكم : "انكار عمر أمير المؤمنين على الصحابة كثرة الرواية عن رسول الله (فيه سنة" (2) والسنة هنا ما روى عن أبي قتادة (؛ أنه قال: سمعت رسول الله (يقول على المنبر : "يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال على فلا يقل إلا حقاً أو إلا صدقاً ومن قال على ما لم أقل متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (3) 0

-
- (1) مجلة المنار المجلد 11/851، وشيخ المضيرة ص117، وراجع في الدفاع عن اتهام أبي هريرة بالإكثار كتاب أبو هريرة للدكتور عجاج الخطيب، ودفاع عن أبي هريرة للشيخ عبد المنعم صالح، وانظر : في هذا البحث (أبو هريرة راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين) ص638-652 0
 - (2) المستدرک 1/193 تعقيباً على حديث حبس عمر لبعض الصحابة، والحديث سبق تخريجه ص319-

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب العلم، باب التوقی عن كثرة الحديث 111/1 وقال : هذا حديث على شرط مسلم ووافقه الذهبي فقال : على شرط مسلم⁰

(81/2)

... وما روى عن عثمان بن عفان (أنه قال : "لا يحل لأحد يروى حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر ... الحديث، ومثل ذلك النهي عن معاوية (قال : "أيها الناس إياكم وأحاديث رسول الله (إلا حديثاً كان يذكر على عهد عمر (فإن عمر كان يخيف الناس في الله (1) أي كان عمر (شديداً في دين الله (يأمر بالتثبت في النقل، فلا يحدث بشيء عن النبي (إلا بما يتقن من نسبته إليه (خشية الوقوع في الوعيد الوارد في قوله (: "من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" (2) 0

فقلوه (يرى) بضم الياء أى يظن، ويجوز فتحها أى يعلم، وفي (الكاذبين) روايتان (إحداهما) بفتح الباء على إرادة التثنية (والأخرى) بكسرها على صيغة الجمع (3) 0

يقول الإمام النووي (4) "... فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ((5) 0

-
- (1) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص 163 رقم 179، وذكره الذهبي في التذكرة 7/1
 - (2) سبق تخريجه ص 34 0
 - (3) المنهاج شرح مسلم للنووي 99/1 0
 - (4) الإمام النووي هو : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، الحوراني، الشافعي، كان إماماً بارعاً حافظاً متقناً، اتقن علوماً شتى، وهو صاحب التصانيف النافعة في الحديث، والفقه، وغيرها "كشرح مسلم" وشرح المهذب، والأذكار، ومختصر اسد الغابة، والمبهمات، وغير ذلك، مات 676هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 4/1470 رقم 1162، وشذرات الذهب 5/345، وطبقات الشافعية 8/395، والعبر 5/312 0
 - (5) المنهاج شرح مسلم للنووي 106/1 0

وكفى بهذه الجملة وعيداً شديداً في حق من روى حديثاً، وهو يظن أنه كذب، فضلاً عن أن يتحقق ذلك، ولا يبينه؛ لأنه (جعل الحدث بذلك مشاركاً لكاذبة في وضعه" (1) ، وهذا ما كان يخشاه الصحابة وعلى رأسهم عمر (فكان نهيهم عن الإكثار من الرواية إتباعاً لسنة النبي (وخشية منه أن يتسع الناس في الرواية فيقع الكذب والتدليس من المنافق، والفاجر، والأعرابي، فينسبون إلى النبي) ما لم يقله كما تنبأ بذلك (بقوله (?: "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم" وقال (?: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون⁰ يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم⁰ فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم"⁰

... وهذا من أسباب ترك التحديث عن الرسول(كما قال ابن عباس-رضى الله عنهما- "إنا كنا نحدث عن رسول الله (إذ لم يكن يكذب عليه⁰ فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه وهذا أيضاً ما جعل الصحابة (يأخذون من أحاديث النبي (إلا ما كان معروفاً زمن أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما- كما جاء من قول عثمان ومعاوية -رضى الله عنهما- حيث كان التثبت والاحتياط وعدم الكذب في زمانهما، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم يأخذ من الناس عن رسول الله (إلا ما يعرف، كما قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله (ابتدرته أبصارنا⁰ وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف" (2) ⁰

- (1) قاله الأستاذ أحمد محمد شاكر على هامش فتح المغيـث للعراقى 120 0
- (2) الأحاديث والآثار السابقة أخرجها مسلم في صحيحه (شرح النووى) المقدمة، باب النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها 111/1، 112 رقمى 6،7 وفي هذا المعنى حديث موقوف على معاذ بن جبل (0 أخرج الدارمى في سننه المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه 77/1 رقم 199 0

وعلى الدرب الصحابة صار من بعدهم :
فعن الشعبي -رحمه الله- قال : "كره الصالحون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمرى
ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث (1) 0

فقوم يختاطون لسنة نبيهم (كما أمرهم، أتكون تلك الحيلة دليل على عظم شأن السنة في نفوسهم،
وحجيتها، أم دليل على عدم حجيتها، واتخاذها ديناً عاماً دائماً كالقرآن؟
ثانياً : من الوجوه والأسباب التي كان الصحابة من أجلها يمتنعون أو ينهاون عن الإكثار من
التحديث، إذا كان المخاطبون بالأحاديث قوم حديثي عهد بالإسلام ولم يكونوا قد أحصوا القرآن
واتقنوه فيخافون عليهم الاشتغال عنه بالأحاديث قبل إتقانه هو أولاً إذ هو الأصل لكل علم (2) 0
... ويشير إلى هذا السبب صراحة قول عمر (: "إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى
النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جودوا القرآن" أى جودوا الأصل الأول، وهو القرآن،
وابدؤا به أولاً، ولا تبدؤا بالأحاديث؛ فتشغلوهم عن إتقان القرآن 0

وبدل على ذلك صراحة رواية الحاكم : "فلا تبدءوهم بالأحاديث فيشغلونكم جردوا القرآن وأقلوا
الرواية" 0

(1) تذكرة الحفاظ 1/ 83 0

(2) جامع بيان العلم 2/ 121 0

(84/2)

... وعلى هذا المنهاج صار السلف الصالح من أئمة الحديث فكان كثير منهم لا يقبلون الطلاب في
حلقاتهم إلا إذا وثقوا من دراستهم للقرآن الكريم، وحفظ بعضه على الأقل، وفي هذا يقول حفص بن
غياث (1) : أتيت الأعمش فقلت : حدثني، قال أتخفظ القرآن؟ قلت 0 لا 0 قال اذهب فاحفظ
القرآن، ثم هلم أحدثك 0 قال فذهبت فحفظت القرآن، ثم جئته، فاستقرأني، فقرأته، فحدثني (2)

... أو يكون النهى متعلقاً بالأحاديث عن سيرة رسول الله (، وليس أحاديث السنن والفرائض كما قال الحافظ الدارمي معناه عندي : "الحديث عن أيام رسول الله (، ليس السنن والفرائض" (3) 0

... ويؤكد هذا قول عمر (: "أقلوا الرواية عن رسول الله (إلا فيما يعمل به" (4) أى أقلوا الرواية إلا فيما يترتب عليه عمل شرعى، فيدخل فى ذلك جميع الأحكام والآداب وغيرها، ولا يخرج إلا القصص ونحوه، فاستحب (الإقلال من القصص ونحوه، ولم يمنع من الإكثار فيما فيه عمل 0 أما تعليق محمود أبو رية على هذا الأثر وقوله : "فيما يعمل به" أى أى السنة العملية" (5) 0

-
- (1) حفص بن غياث هو : ابن طلق بن معاوية النخعي، أبو عمر، الكوفي، القاضي، ثقة فقيه، تغير حفظه قليلاً فى الآخر، روى عن عاصم الأحول، ويحيى ابن سعيد، والأعمش، وعنه أحمد، ويحيى، وإسحاق 0 مات 94، وقيل 95هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 229/1 رقم 1436، والكاشف 343/1 رقم 1165، والثقات للعجلي 125 رقم 310 0
- (2) المحدث الفاصل 19/1، وانظر : السنة قبل التدوين ص 155 0
- (3) راجع : ص 320، 321، وانظر : جامع بيان العلم 121/2 0
- (4) البداية والنهاية 110/8 0
- (5) أضواء علماء السنة ص 55 هامش، وتابعه المستشار عبد الجواد ياسين فكتابه السلطة فى الإسلام ص 240

(85/2)

فإن أراد السنة العملية المتواترة، فلا يخفى بطلانه، لأن هذا اصطلاح محدث (1) 0 ويؤيد ما سبق، ما روى عن أبي موسى أنه قال حين قدم البصرة : "بعثنى إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم، وسنتكم، وأنظف طرقكم" (2) 0

ثالثاً : من الأسباب التى كان الصحابة يمتنعون أو ينهاون من أجلها عن الإكثار من التحديث، خوفهم الاشتغال بكثرة الحديث عن تدبره وتفهمه، لأن المكثر لا تكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه (3) 0

وهذا ما وقع فيه أهل البدع والأهواء المنكرين لحجية السنة قديماً، وحديثاً، أخذوا بظاهر تلك الآثار بدون تفقه، وتدبر للمعاني المرادة منها، وهو ما بينه أئمة الحديث في عناوين الأبواب التي ذكروا فيها هذه الآثار، تلك العناوين التي لم يذكرها أعداء السنة المطهرة، إما عن جهل، وإما عن علم، وتدليس منهم على القارئ⁰

ولا يخفى أيضاً أن الإكثار، يجعل المكثّر، يسرد الحديث سرداً سريعاً يلتبس على المستمع، وهذا ما أنكرته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على أبي هريرة (في الحديث الذي رواه الشيخان، عن عروة بن الزبير (أن عائشة -رضي الله عنها- قالت : "ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي، يحدث عن النبي (يسمعي ذلك⁰ وكنت أسبح⁰ فقام قبل أن أفضى سبحتي⁰ ولو أدركته لرددت عليه : إن رسول الله (لم يكن يسرد الحديث كسرديكم (4) ⁰

(1) الأنوار الكاشفة ص 57 ⁰

(2) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله (وتعليم السنن 149/1 رقم 560

(3) قاله ابن عبد البر في جامع بيان العلم 123/2، ونقله عن جماعة فقهاء المسلمين 124/2،

وقاله الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص 161 ⁰

(4) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المناقب، باب صفة النبي (655/6 رقم 3568،

ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي (291/8 رقم

0 2493

(86/2)

المبحث الثالث

أدلة حجية السنة النبوية المطهرة

... وتحت خمس مطالب :

المطلب الأول : العصمة⁰

المطلب الثاني : القرآن الكريم⁰

المطلب الثالث : السنة النبوية⁰

المطلب الرابع : إجماع الأمة⁰

المطلب الخامس : العقل والنظر⁰

وفيه ما يلي :

أ- ذكر نماذج من المسائل العجيبة التي استنبطها أعداء السنة من القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى

بيان النبي (، واستعراض بدائلهم عن السنة المطهرة⁰

ب- بيان علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة⁰

ج- بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم⁰

د- الكلام عن استقلال السنة بتشريع الأحكام، وتحرير الخلاف في ذلك، والرد على من اتخذ كلام

الإمام الشاطبي في مسألة استقلال السنة بتشريع الأحكام ستاراً للتشكيك في حجية السنة واستقلالها

بتشريع أحكام⁰

هـ- بيان مضار إنكار السنة النبوية⁰

و- حكم منكر السنة النبوية⁰

المطلب الأول

العصمة

... السنة النبوية أصل من أصول الدين، وحجة على جميع المسلمين، وقد دل على ذلك : العصمة،

والقرآن الكريم، والسنة النبوية وإجماع الأمة، والعقل والنظر⁰

أولاً : العصمة :

... قبل أن أذكر تعريف العصمة، وبيان دلالتها على حجية السنة، بل وحجية القرآن الكريم أيضاً،

ينبغي أن أنبه على أن الكلام عن العصمة في الحقيقة من مباحث علم الكلام (1) ؛ لأنه علم يبحث

فيه عن ذات الله تعالى، وذات رسله من حيث ما يجب لهم، وما يجوز، وما يستحيل في حقهم⁰

... لكن علماء الأصول تناولوا العصمة بالحديث في مباحث السنة، نظراً لشدة التصاقها بها، حيث

تتوقف حجية السنة بل والقرآن أيضاً على عصمة النبي ((2) ، إذا علم ذلك أقول وبالله التوفيق :

(1) الإيهاج في شرح المنهاج 2/263 0

(2) انظر : دراسات أصولية في السنة للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص 19 بتصرف 0

(87/2)

... العصمة في اللغة : المنع والحفظ والوقاية 0 يقال عصمته فانعصم واعتصمت بالله : إذا امتنعت بلطفه من المعصية، وهذا طعام يعصم أى : يمنع من الجوع، ومنه قوله تعالى - على لسان ابن نوح عليه السلام - : (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) (1) أى يمنعنى من تغريق الماء، ويقال دعى إلى مكروه فاستعصم 0 أى امتنع وأبى وطلب العصمة منه، قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عليه السلام عن نفسه : (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) (2) أى تأبى عليها ولم يحبها إلى ما طلبت (3) 0 ...

... وفي الاصطلاح : حفظ الله للمكلف من الذنب، مع استحالة وقوعه من المحفوظ، والمراد عصمتهم - أى الأنبياء - من ذلك ظاهراً وباطناً، فالله تعالى عصم ظاهريهم من الزنا، وشرب الخمر، والكذب، وغير ذلك، وعصم باطنهم من الحسد، والرياء وحب الدنيا إلى غير ذلك من منهيات الباطن" (4) 0

... وقيل في تعريفها : هى خُلُق، مانع عن ارتكاب المعصية، غير ملجئ إلى تركها، فلا يكون مضطراً في ترك المعصية (5) 0

دلالة العصمة على حجية القرآن والسنة :

(1) الآية 43 من سورة هود 0

(2) جزء من الآية 32 من سورة يوسف 0

(3) انظر : لسان العرب 12/403، والقاموس المحيط 4/151، والمصباح المنير 2/566، وانظر:

حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 87 هامش 0

(4) حاشية البيجورى على الجوهرة ص 160 0

(5) دراسات أصولية في السنة للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص 19، 20، وانظر : البحر المحيط للزركشى 4/169-172، وإرشاد الفحول 1/159-164 0

(88/2)

... يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - : "اعلم أنه تجب عصمة الأنبياء عن أى شئ يخل بالتبليغ : ككتمان الرسالة، والكذب فى دعواها، والجهل بأى حكم أنزل عليهم، والشك فيه، والتقصير فى تبليغه، وتصور الشيطان لهم فى صورة الملك، وتلبيسه عليهم فى أول الرسالة وفيما بعدها، وتسليطه على خواطريهم بالوساوس، وتعتمد الكذب فى أى خبر أخبرو به عن الله تعالى، وتعتمد بيان أى حكم شرعى، على خلاف ما أنزل عليهم : سواء أكان ذلك البيان بالقول أم بالفعل، وسواء أكان ذلك القول خبراً أم غيره 0 ... فذلك كله : قد انعقد الإجماع من أهل الشرائع على وجوب عصمتهم منه لدلالة المعجزات التى أظهرها الله على أيديهم (القائمة مقام قوله تعالى : صدق رسلى فى كل ما يبلغون عنى) وعليه فإنه لو جاز عليهم شئ من ذلك، لأدى إلى إبطال دلالتها 0 وهو محال (1) 0

... كما انعقد الإجماع على أنهم معصومون من السهو، والغلط فيما يخل بالتبليغ، والذهابين إلى تجويز ذلك عليهم يجمعون على اشتراط التنبيه فوراً من الله تعالى وعدم التقرير عليه (2)

(1) حجية السنة ص 97، 102، 251 0

(2) المصدر السابق ص 99 وما بعدها، وانظر : النفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية للشيخ محمد الطاهر الحامدى ص 21 وما بعدها 0 وانظر : الحصول للراى 1/501 وما بعدها، والمنهاج شرح مسلم للنووى 8/136 رقم 2371 0

(89/2)

... وذلك يستلزم : أن كل خبر بلاغى - بعد تقرير الله له عليه - صادق مطابق لما عند الله إجماعاً : فيجب التمسك به يدل على ذلك قوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (1)

فكلمة "ينطق" في لسان العرب تشمل كل ما يخرج من الشفتين من قول أو لفظ (2) ، أى ما يخرج نطقه (عن رأيه، إنما هو بوحى من الله) (3) 0

... ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهذا واضح في إثبات أن كلامه محصوراً في كونه وحياً لا يتكلم إلا به، وليس بغيره (4) 0

... فيثبت بذلك حجية قوله (في حق القرآن : "هذا كلام الله (5)) ، وقوله في الأحاديث القدسية : "قال رب العزة كذا"، أو نحو هذه العبارة، وقوله : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان، متكئ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه" 0 ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السباع، ولا كل ذى مخلب من الطير، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقرّوه، فإن لم يقرّوه فله أن يعقبهم بمثل قراه" (6) 0

... فهذه كلها أخبار، معصوم عن الكذب : فتكون حججاً دالة على أن الوحي قسمان :

(1) الآيتان 3،4 من سورة النجم 0

(2) انظر : القاموس المحيط 277/3، ومختار الصحاح ص 666، ولسان العرب 354/10 0

(3) تفسير القرطبي 84/17، 85 0

(4) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص55

(5) انظر : في حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى، دفعه لافتراض أن القرآن كلام الله لا يثبت بذلك القول 0 حجية السنة ص 250 0

(6) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة 200/4 رقم 4604، والترمذى في سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي (37/5 رقم 2664، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه 0

القسم الأول : الكتاب المعجز المتعبد بتلاوته⁰

والقسم الثاني ما ليس بكتاب وهو قسمان :

1- حديث قدسى، وهو ما نزل لفظه (1) 0

2- وحديث نبوى وهو : ما نزل معناه، وعبر عنه النبى (، بلفظ من عنده (2) 0 وهذا القسم لقبه

رب العزة بالحكمة (3) فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى : (... وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ

عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (4) 0

... وقوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (5) 0

(1) اختلف العلماء فى ذلك هل اللفظ من عند الله، أو من عند رسول الله (، وانتصر الأستاذ الكبير

الدكتور عبد الله دراز للرأى القائل بأن لفظ الحديث القدسى من عند رسول الله(=)

=فيقول عن هذا الرأى "وهذا أظهر القولين فيه عندنا، لأنه لو كان منزلاً بلفظه لكان له من الحرمة

والقدسية فى نظر الشرع ما للنظم القرآنى، إذ لا وجه للفرقة بين لفظين منزلين من عند الله، فكان

من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعاً: وحرمة مس المحدث

لصحيفته، ولا قائل بذلك كله أ⁰ه انظر: النبأ العظيم ص 16

(2) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 280 0

(3) الحكمة فى اللغة تطلق على عدة معان منها : العلم، والفقه، والعدل، والحلم، والنبوة⁰ انظر :

لسان العرب 140، 141/12، والقاموس المحيط 100/4، والمعجم الوسيط 190/1 0

(4) الآية 231 من سورة البقرة⁰

(5) الآية 164 من سورة آل عمران⁰

(91/2)

... ومما هو جدير بالذكر أن رب العزة قد بين فى كتابه العزيز أن نوعى الوحي المعبر عنهما بالكتاب

والسنة ليسا من المسائل الخاصة بالنبى (وإنما هى سنة عامة فى الأنبياء جميعاً قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ

اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُكُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (1) ويقول رب العزة في حق آل إبراهيم : (فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (2) ويقول (في حق عيسى عليه السلام : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (3) 0

السنة النبوية وحي من الله تعالى :

... ذهب العلماء إلى أن الوحي بالنسبة إلى السنة المطهرة ينقسم إلى قسمين :

1- القسم الأول : قسم أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسول الله (، وعبر عنه الرسول (بألفاظ من

عنده 0 وهذا القسم هو الأعم الأغلب من السنة النبوية 0

1- أما القسم الثاني : فهو ما قاله الرسول (باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى، فإن وافق قوله

أو فعله مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر به رسول الله (، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو

توضيح 0 أوحى الله تعالى إلى نبيه (بذلك 0

(1) الآية 81 من سورة آل عمران 0

(2) الآية 54 من سورة النساء 0

(3) الآية 110 من سورة المائدة 0

(92/2)

والقسم الثاني هذا هو الأقل في السنة الشريفة (1) ويدخل في هذا القسم ما صدر من رسول الله (على سبيل العادة والطبيعة وأقره الله عليها، كشؤونه في طعامه وشرابه ولباسه، وجلوسه ونومه وما مائل ذلك، فإن ذلك كله بعد تقرير الله (له، يكون بمنزلة الوحي حجة على العباد ما لم يقم دليل على خصوصيته بالنبي ((2) 0

ومن الأدلة على أن السنة النبوية وحي منزل من عند الله (قوله : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (3) فهذه الآية-من سورة النساء- تدل على أن الحكمة نزلت من عند الله تعالى مثل القرآن الكريم، وفي سورة الإسراء يقول رب العزة: (ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) (4) 0 والآية واضحة في أن الحكمة وحي من الله تعالى مثل القرآن الكريم 0

(1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص

54

(2) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى ص 340 بتصرف 0

(3) الآية 113 من سورة النساء 0

(4) الآية 39 من سورة الإسراء 0

(93/2)

... ومن دقة الأداء القرآني في التعبير عن هذين النوعين من الوحي (الكتاب والسنة)؛ أنه فصل بينهما بواو العطف إذا اجتمعا، ليبين أن هذين النوعين مختلفان لضرورة التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، فالمنطق يقتضى أن الشئ لا يعطف على نفسه وصاحب العقل الفصيح يلمح الإشارة في قوله تعالى : (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (1) حيث فرق رب العزة، بين الكتاب والحكمة بحرف العطف ليدل على تغايرهما، وأفرد الضمير العائد عليهما، ليدل على وحدة مصدرهما وأن المشكاة واحدة (2) 0

(1) الآية 231 من سورة البقرة 0

(2) السنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 66 بتصرف، وفيما سبق رد على ما زعمه مؤلف لماذا القرآن أن أفراد الضمير دليل على أن الحكمة هي القرآن، ولو كانت شيئاً آخر غير القرآن لقال يعظكم بهما، انظر : لماذا القرآن لأحمد صبحي منصور ص 28 0

(94/2)

وأنت تستطيع أن تتأمل في أية الأحزاب، كما تأملها الإمام الشافعي من قبل، يتضح لك أنها أوضح مما ذكر في الدلالة على أن المراد بالحكمة السنة المطهرة، قال تعالى : (وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) (1) 0 فالتلاوة هنا المرة بعد المرة، والمتلو هنا شيئان، أولهما : آيات الله في كتابه، وثانيهما : الحكمة وهي صنف آخر من الوحي المتلو، ولا يكون ذلك إلا السنة النبوية المطهرة (2) 0

(1) الآية 34 من سورة الأحزاب 0

(2) السنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 67، وأنظر : الرسالة للإمام الشافعي ص 78، 79 فقرات رقم 252 - 257، والفقيه والمتفقه للخطيب 1/258 رقم 256، ومختصر الصواعق المرسله لابن قيم 511/2، والمدخل إلى السنن للبيهقي حيث نقل بأسانيده عن الحسن، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير - رحمهم الله - أنهم قالوا الحكمة في هذه الآية يقصد آية "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ" هي السنة، وللإستزادة انظر : السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص 32-46 0

(95/2)

... ولو شغب أعداء الإسلام على تفسير "الحكمة" بالسنة المطهرة، واعترضوا على ذلك (1) 0 قلنا لهم : ماذا تقولون في آيات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، قال تعالى : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (2) 0

... فهذه الآيات الكريمات تدلنا على أن التوجه إلى بيت المقدس كان مشروعاً من قبل، وكان ذلك التوجه حقاً وصواباً واجباً عليهم قبل التحول إلى الكعبة، فأين ذلك كله في القرآن الكريم؟
... ألا يدل ذلك على أن النبي (وأصحابه كانوا عاملين بحكم لم ينزل به القرآن، وأن عملهم هذا كان حقاً وواجباً عليهم!!

... ولا يصح أن يقال : إن عملهم هذا كان بمحض عقولهم واجتهادهم⁰ إذ العقل لا يهتدى إلى وجوب التوجه إلى قبلة "ما" في الصلاة، فضلاً عن التوجه إلى قبلة معينة، وفضلاً عن أن النبي(كان أثناء صلاته إلى بيت المقدس راغباً كل الرغبة في التوجه إلى الكعبة المشرفة

-
- (1) انظر : مجلة المنار المجلد 9/908 مقال الدكتور توفيق صدقي "الإسلام هو القرآن وحده" والصلاة لمحمد نجيب ص277، وأصول الفقه الحمدي لشاغت نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/665، قرآن أم حديث ص 29، والقرآن والحديث والإسلام ص 6 كلاهما لرشاد خليفة، = والصلاة في القرآن ص 12، 14، ولماذا القرآن ص 26 - 28 كلاهما لأحمد صبحي منصور، والإمام الشافعي نصر أبو زيد ص 89، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 568، والدولة والمجتمع ص 232-235، كلاهما لمحمد شحرور، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 75-78، وإنذار من السماء نيازي عز الدين ص 95 وما بعدها، ودليل المسلم الحزين لحسين أحمد أمين ص 44، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص 21، 114، 320، 117 0
- (2) الآيات 142 - 144 من سورة البقرة

(96/2)

... إذن : كان التوجه إلى بيت المقدس بوحى غير القرآن وهو السنة المطهرة (1) 0 ومن الأدلة على أن السنة النبوية وحى من عند الله من السنة نفسها قوله (لوالد الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم، والذي نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد0 وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام" (2) ، وليس في القرآن المتلوا إلا الجلد مائة، ومن ذلك أيضاً قوله (: "لا يستبطن أحد منكم رزقه"0 إن جبريل عليه السلام ألقى في روعى أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه؛ فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله بمعصية" (3) 0

-
- (1) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى ص 336 بتصرف0
- (2) سبق تخريجه ص 222 0
- (3) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب البيوع 2/5 رقم 2136 من حديث ابن مسعود وسكت عنه هو

والذهبي، وأخرجه الحاكم في نفس الأماكن السابقة من حديث جابر بن عبد الله (وصححه على شرط
الشيخين، وأقره الذهبي، وانظر: الرسالة للإمام الشافعي ص 93 فقرة رقم 306 0

(97/2)

... وفي الصحيحين : أنه (قال : "إن مما أخاف عليكم بعدى، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا
وزينتها" فقال رجل : أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ قال : فسكت عنه رسول الله (فقيل له ما
شأنك؟ تكلم رسول الله (ولا يكلمك؟ قال : ورأيتنا أنه يُنزلُ عليه، فأفاق يَمْسَحُ عَنْهُ الرُّخَصَاءُ 0
وقال : "أين هذا السائل" (وكأنه حمده) فقال : "إنه لا يأتي الخير بالشر ... الحديث" (1)
0 فالحديث هنا صريح في أنه (كان ينتظر الوحي فيما يسأل عنه، فينزل عليه بما ليس بقرآن : "وهو
دليل قطعي على أن السنة كانت تنزل كما ينزل القرآن" (2) ، ويستأنس لذلك بما روى عن حسان
بن عطية (3) ؛ أنه قال : "كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله (بالسنة، كما ينزل عليه
بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن" (4)

-
- (1) البخارى (شرح فتح البارى) كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها
248/11 رقم 6427، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض
154/4 رقم 1052 واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدرى (0
(2) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشى 216/6 0
(3) حسان: هو حسان بن عطية المعارى، أبو بكر الدمشقى، ثقة، فقيه، عابد، ومن أفاضل أهل
زمانه، مات بعد العشرين ومائة من الهجرة 0 له ترجمة في: تقريب التهذيب 199/1 رقم 1028،
ومشاهير علماء الأمصار ص 211 رقم 1423، والكاشف 320/1 رقم 1004، والثقات للعجلى
ص 112 رقم 269، وحلية الأولياء 70/6 رقم 330، وصفوة الصفوة 222/4 رقم 755 0
(4) أخرجه الدارمى في سننه المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله 153/1 رقم 588،
والخطيب في الفقيه والمتفقه 266/1، 267 رقمى 268، 269، وابن عبد البر في جامع بيان العلم
191/2، وأبو داود في المراسيل ص 167 رقم 567، وانظر : الموافقات 408/4، ومختصر
الصواعق المرسله 512/2، وحجية السنة للعلامة عبد الغنى ص 337، وشذرات في علوم السنة
لفضيلة الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور ص 32 0

هذا كله فضلاً عن أن الإجماع قد انعقد على أنه كان يوحى إليه غير القرآن الكريم (1) 0

وتأسيساً على ما سبق، فإننا نقول : إن السنة الشريفة وحى من الله تعالى ابتداءً وهذا هو الأغلب، أو اجتهاد من الرسول (وأقره ربه عليه إما بالموافقة أو بالتصحيح، ويكون مرد ذلك إلى الوحي أيضاً بإقرار الله تعالى لرسوله ((2) 0 وهذا النوع من الوحي يسميه جمهور الحنفية وحياً باطناً (3) 0

فتبين لك من هذا كله : أن جميع ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير حتى الحركات، والسكنات فهي وحى من عند الله تعالى بعد إقرار الله (عليه (4) 0

... والعصمة التي نتحدث عنها هنا تغنيها وحدها في إثبات حجية جميع أنواع السنة القولية والفعلية والتقريبية والاجتهادية0

إجتهاد الرسول (وتشكيك بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم
في أن السنة المطهرة كلها وحى

(1) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 338 0

(2) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين
ص54

(3) انظر : أصول السرخسى 90/2 وما بعدها0

(4) انظر : حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 340، 341 بتصرف0

... زعم بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم أن إجتهد النبي (ليس من الوحي الإلهي واتخذوا من ذلك مدخلاً للطعن في السنة النبوية، وأنها ليست كلها وحي من عند الله تعالى (1) ، ويستدلون على ذلك بحديث رسول الله (الوارد في قصة تأييد النخل بمختلف رواياته عن طلحة بن عبيد الله (2)) قال : مررت مع رسول الله (يقوم على رءوس النخل فقال : "ما صنع هؤلاء؟" فقالوا : يلحقونه يجعلون الذكر في الأنتى فيلقح، فقال رسول الله ("ما أظن يغني ذلك شيء" قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله (بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإنني لن أكذب على الله (0)

... وفي حديث رافع بن خديج (3)) قال : قال رسول الله (: "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به 0 وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر" 0 قال عكرمة : أو نحو هذا 0 وفي حديث أنس بن مالك (قال : قال رسول الله (: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" (4)

-
- (1) راجع : ما سبق في الرد على الرافضة الذين طعنوا في اجتهد الصحابة (، واتخذوا منه مدخلاً للطعن في عدالتهم ص 307-318 0
- (2) طلحة بن عبيد الله : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 764/2 رقم 1280، واسد الغابة 84/3 رقم 2627، والإصابة 229/2 رقم 4266، وتاريخ الصحابة ص 24 رقم 5، ومشاهير علماء الأمصار 12 رقم 8 0
- (3) رافع بن خديج : صحابي جليل له ترجمة في : اسد الغابة 232/2 رقم 1580، والاستيعاب 489/2 رقم 726، والإصابة 495/1 رقم 2526، وتاريخ الصحابة ص 97 رقم 419، وتجريد أسماء الصحابة 173/1، ومشاهير علماء الأمصار ص 18 رقم 29 0
- (4) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل الرأي ص 127/8، 128، أرقام 2361 – 2363 0

(100/2)

... وهذا الحديث من زمن طويل كان المشجب الذي يعلق عليه من شاء، ما شاء من أمور الشرع التي يراد التحلل منها (1) ، فقد أراد بعضهم أن يحذف النظام السياسي كله من الإسلام بهذا الحديث وحده، لأن أمر السياسة أصولاً وفروعاً من أمر دنيانا، فنحن أعلم به 0

فليس من شأن الوحي أن يكون له فيها تشريع أو توجيه، فالإسلام عند هؤلاء دين بلا دولة، وعقيدة بلا شريعة، وأراد آخرون أن يحذفوا النظام الاقتصادي كله من الإسلام كذلك، بسبب هذا الحديث الواحد المهم أن بعض الناس أراد أن يهدم بهذا الحديث الفرد كل ما حوت دواوين السنة الزاخرة، من أحاديث البيوع، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، وكأن الرسول (قال هذا الحديث لينسخ به جميع أقواله وأعماله وتقريراته الأخرى، التي تكون السنة النبوية المطهرة⁰

(1) السنة والتشريع لفضيحة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص32، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة ص 241 وما بعدها⁰

(101/2)

... وهذا الغلو من بعض الناس، هو الذى جعل عالماً كبيراً مثل المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - يعلق على هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد فيقول : "هذا الحديث مما طنطن به ملحدوا مصر، وصنائع أوروبة فيها، من عبید المستشرقين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلاً يحجون به أهل السنة وأنصارها، وخدام الشريعة وحماها، إذا أرادوا أن ينفوا شيئاً من السنة، وأن ينكروا شريعة من شرائع الإسلام، فى المعاملات وشئون الاجتماع وغيرها، يزعمون أن هذه من شئون الدنيا، ويتمسكون برواية أنس : "أنتم أعلم بأمر دينكم" (1) والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الدين، ولا بالألوهية، ولا بالرسالة، ولا يصدقون القرآن فى قرارة نفوسهم⁰ ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه ظاهراً، ويؤمن قلبه فيما يخيل إليه، لا عن ثقة وطمأنينة، ولكن تقليداً وخشية، فإذا ما جد الجد، وتعارضت الشريعة، الكتاب والسنة، مع ما درسوا فى مصر أو فى أوروبة لم يترددوا فى المفاضلة، ولم يحجموا عن الاختيار، وفضلوا ما أخذوه عن سادتهم، واختاروا ما أشربت

(1) بل وينكرون أركان الإسلام، انظر إلى ما يزعّمه جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 193، قاتلاً : "بيان النبى (فى العبادات من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو شورى ... إلخ، ليس تشريعاً دائماً لازماً" 0هـ وراجع من نفس المصدر ص 170، 195، 203، 225، وانظر : له الأعلان العظيمان ص 240 وما بعدها، وانظر : "الإسلام هو القرآن وحده" مقال الدكتور توفيق

صدقي في مجلة المنار المجلد 9/910، 911، وأضواء على السنة محمود أبو رية ص 42، 44، 93،
وانظر: قصة الحديث المحدث ص 14 - 17، ودراسة الكتب المقدسة للدكتور موريس بوكاي
ص 299، 293، والإمام الشافعي ص 84، ونقد الخطاب الديني ص 126 كلاهما للدكتور نصر أبو
زيد، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة للدكتور محمد شحرور ص 553، والسلطة في الإسلام
للمستشار عبد الجواد ياسين ص 248 وما بعدها0

(102/2)

قلوبهم، ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك أو ينسبهم الناس إلى الإسلام0 والحديث واضح صريح، لا
يعارض نصاً، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة في كل شأن، وإنما كان في قصة تلقيح النخل أن
قال لهم: "ما أظن ذلك يغني شيئاً" فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يخبر عن الله، ولم يسن في ذلك سنة حتى
يتوسع في هذا المعنى إلى ما يهدم به أصل التشريع (1) أ0هـ0

... ومن اجتهاد النبي (، وقوله "أنتم أعلم بأمر دينكم"، ذهب بعض علماء المسلمين الأجلاء إلى
تقسيم السنة النبوية المطهرة إلى قسمين :

1- سنة تشريعية ملزمة ودائمة0

2- سنة غير تشريعية غير ملزمة ولا دائمة0

... وقصدوا بغير التشريع ثلاثة أنواع :

1- ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور ... إلخ0

2- ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذي ورد في شئون الزراعة
والطب، وطول اللباس وقصره0

(1) انظر : مسند الإمام أحمد 2/177 رقم 1935 هامش، وانظر : الرد القويم على المجرم الأثيم
للشيخ التويجري ص 133-136 0

(103/2)

3- ما سبيله سبيل التدبير الإنساني كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ونحو ذلك فهذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشئون البشرية التي ليس مسلك الرسول (فيها تشريعاً ولا مصدر تشريع (1) وبهذا التقسيم قال غير واحد من علماء المسلمين (2) 0 وبالغ بعضهم حتى كاد يخرج قضايا المعاملات، والأحوال المدنية كلها، من دائرة السنة التشريعية 0 حيث كان يرى أن كثيراً من أوامر الرسول ونواهيه في المعاملات كان أساسها الاجتهاد لا الوحي (3)

(1) الإسلام عقيدة وشريعة للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص 499 وما بعدها 0
(2) كالأستاذ محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد 858/9، والدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله - في كتبه (السنة والتشريع) و (الاجتهاد) و (علم أصول الفقه) والشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه (اجتهاد الرسول)، والشيخ علي حسب الله في كتابه (التشريع)، والشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في كتابه "كيف نفهم الإسلام" نقله عن الشيخ محمد المدني، والدكتور محمد سليم العوا في العدد الافتتاحي من مجلة "المسلم المعاصر"، والدكتور يوسف القرضاوي في كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة 41، وغيرهم 0 انظر: العصريون معترلة اليوم للأستاذ يوسف كمال ص 53-72 0
(3) انظر : السنة والتشريع ص 25، 26، وعلم أصول الفقه ص 24 وما بعدها كلاهما لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله - وما ذهب إليه لا يفيد في دعواه، لأن الاجتهاد إذا أقر كان بمنزلة الوحي لأنه (لا يقر على خطأ، كما هو مقرر في علم الأصول، ولهذا يسميه علماء الحنفية (الوحي الباطن) 0 هكذا قال فضيلة الأستاذ الدكتور القرضاوي رداً على الدكتور = النمر في كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص 17 هامش 0 ولا أدري لماذا بعد ذلك يؤيد أنصار مدرسة تقسيم السنة إلى تشريع، وغير تشريع؟! أليس كل ما يقال فيه أنه سنة غير تشريعية ينطبق عليه ما قاله هنا من إقرار رب العزة لاجتهاد نبيه (فيصير وحياً، حتى ولو كانت درجته الإباحة، كما سيأتي تفصيله بعد قليل؟!)

(104/2)

0

... حتى انتهى به هذا الاتجاه إلى أن حرم برأيه ما أحلته السنة النبوية! وما أجمع المسلمون - من

جميع المذاهب والمدارس الفقهية - على حله، وذلك هو (بيع السلم) الذي رخص فيه النبي (الحاجة الناس إليه، بعد أن وضع له الضوابط اللازمة لمنع الغرر والنزاع⁰ ويسميه بعضهم (السلف) أيضاً، وبه جاء الحديث، ومضى عليه عمل الأمة أربعة عشر قرناً⁰ ففي الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قدم النبي (المدينة، وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين، فقال : "من أسلف في تمر، فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم" (1) 0 بل قال ابن عباس : أشهد أن السلف المضمون إلى أجله، قد أحله الله في كتابه، وأذن فيه⁰ ثم قرأ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) (2) وكلمة "أشهد" بمثابة "القسم" : فهذا رأى ترجمان القرآن⁰

... ولكن فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر قال عن السلم : "وهو بيع معدوم موصوف في الذمة، ويسير عليه كثير من الناس في الأرياف، مستغلين حاجات الزراع استغلالاً سيئاً، مما يجعلنا نميل إلى تحريمه⁰ من أجل هذا الاستغلال الكريه المحرم في الإسلام (3) ، يقول الدكتور القرضاوى : "وكان أولى بالشيخ هنا أن يقتصر على تحريم الظلم والاستغلال، ولا يتعدى ذلك إلى تحريم التعامل الثابت بالسنة والإجماع" (4) 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب السلم، باب السلم في وزن معلوم 501/4 رقم 2240، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساقاة، باب السلم 46/6 رقم 1604 واللفظ له، وانظر : نيل الأوطار 226/5 0
- (2) الآية 282 من سورة البقرة⁰
- (3) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر ص 42، 43، وانظر : له أيضاً علم أصول الفقه ص 28 0
- (4) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة للدكتور القرضاوى، وانظر : السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص 28 0

(105/2)

... وإذا كان عمدة الأدلة عند من يذهبون إلى أن السنة المطهرة ليست كلها وحى، أو يذهبون إلى تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وسنة غير تشريعية، إذا كان عمدة أدلتهم جميعاً، اجتهاده (، وقوله (:

"أنتم أعلم بأمر دينكم" فلنحرر القول في اجتهاده (، وبين المراد من قوله "أنتم أعلم بأمر دينكم"
فإلى تفصيل ذلك⁰

(106/2)

اجتهاد النبي (في الشريعة الإسلامية

كله وحى من عند الله)

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "اجتهاد الرسول (موضوع قديم، قتله العلماء
بجئاً، ولم يترك الأوائل للأواخر بشأنه شيئاً⁰

... وخلاصته أنهم اختلفوا : فمنهم من لم يجز له (الاجتهاد، واعتبر ما ورد من ذلك صورة اجتهاد،
وليس اجتهاداً في الواقع والحقيقة، لأن الله معه (وهو مع الله، ولأنه في جل أوقاته (يناجى من لا
نناجى، وإلهامه وحى ورؤيا منامه وحى⁰ ورب العزة يقول : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ) (1) ⁰ ويفسرون ما ظاهره الخطأ في الرأى والرجوع إلى قول الغير بأن ذلك اجتهاد في الظاهر
لتدريب الأمة على البحث والتفكير والاجتهاد في الأسباب والأخذ بالمشورة، وحقيقته : أن الله يوحى
إليه أن قل كذا، وسيقول لك فلان كذا، فقل له كذا، ويشهد لهذا ما روى عن علي بن أبي طالب (
: أن رسول الله (قال : إن جبريل هبط، فقال له خَيْرُهُمْ يعنى أصحابك في أسارى بدرٍ القتل أو
الفداء، على أن يُقْتَلَ منهم قَاتِلٌ مِثْلُهُمْ، قالوا الفداء، ويقتل منا (2) ⁰

(1) الآيتان 3، 4 من سورة النجم⁰

(2) أخرجه الترمذى في سننه كتاب السير، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء 114/4، 115
رقم 1567 قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من حديث الثورى⁰ وفي الباب عن ابن مسعود
وأنس، وأبي برزة، وجبير بن مطعم، انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/326 ⁰

(107/2)

... وجمهور المحققين من العلماء على أن النبي (؛ يجوز له أن يجتهد، وأنه اجتهد فعلاً (1) وأن
اجتهاده في بعض الأحيان القليلة كان خلاف حكم الله، فجاء الوحي بتصحيح الحكم، والإرشاد إلى
ما ينبغي (2)، كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْصَادَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ) (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (3) 0

وفي مغازي الأموي أن حُبَابُ بْنُ حُبَابٍ (4) (لما أشار على النبي (بتغير مكان نزوله يوم بدر ورجع
النبي (إلى رأيه، نزل ملك من السماء، وجبريل جالس عند رسول الله (فقال ذلك الملك : يا محمد
إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأي ما أشار به الحُبَابُ بْنُ الْمُنْدِرِ (5) 0

-
- (1) قال الآمدي في الإحكام 143/4 وهو المختار 0
(2) انظر : الإحكام للآمدي 143/4 - 187، والإحكام لابن حزم 125/5 - 133،
والمستصفي للغزالي 350/2 - 354، والإبهاج في شرح المنهاج 246/2، وأصول السرخسي
5/1، = والمعتمد 210/2، والمحصول للرازي 489/2، والبحر المحيط للزركشي 214/6 -
219، وانظر : حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغني ص 145-240، والنفحات الشذية فيما
يتعلق بالعصمة والسنة للشيخ محمد الحامدي ص 103، وأصول الفقه للشيخ محمد الخضري ص 426
(3) الآيتان 1، 2 من سورة النجم 0
(4) حُبَابُ بْنُ الْمُنْدِرِ صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 302/1 رقم 1557، والاستيعاب
458/1 رقم 483، واسد الغابة 665/1 رقم 1023، وتاريخ الصحابة ص 78 رقم 301،
ومشاهير علماء الأمصار ص 32 رقم 112 0
(5) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 292/2 0

(108/2)

أو جاء الوحي بإمضاء حكم اجتهاده مع التنبيه بما ينبغي، كما في قوله تعالى عن أسرى بدر : (مَا
كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ) (1) 0

... نعم نقول : إن الرسول (أذن له بالاجتهاد واجتهد 0

ونعم نقول : إن بعض اجتهاداته لم تصادف الصواب، لكن أين حكم الله تعالى في الأمر الذي اجتهد فيه رسول الله (ولم يصب؟

...

إن ما يصدر عن النبي (من اجتهاد إما أن يوافق حكم الله أو لا، فإن وافق حكم الله فهو حكم الله على لسان نبيه (، وإن لم يوافق حكم الله عدّله إلى حكمه جل شأنه، وإذن تصبح الأحكام الدينية التي حكم بها رسول الله (أحكام الله في النهاية، وقبل لقائه الرفيق الأعلى (2) 0 وتصير تلك الأحكام حجة إجماعاً بلا شك (3) 0

أما ما ذهب إليه بعض علمائنا الأجلاء من تقسيم السنة النبوية إلى قسمين : سنة تشريعية ملزمة عامة ودائمة، وسنة غير تشريعية ولا ملزمة0

(1) الآية 67 من سورة الأنفال0

(2) السنة والتشريع للدكتور موسى لاشين ص 18-20 بتصرف وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة ص 239 - 240 وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني 418/2-425 0 ويقول الإمام الشاطبي : "فاعلم أن النبي (مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحه ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوماً بلا خلاف، إما بأنه لا يخطئ ألبته، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض، فما ظنك بغير ذلك؟ انظر : الموافقات 458/2 وراجع من نفس المصدر ص404 0

(3) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص 283، وانظر : مصادر الشرعية الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور علي حريشة ص 38-39، والفقهاء الإسلامى مرونته وتطوره لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق ص 26-31 0

(109/2)

فيقول رداً على ذلك فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "غفر الله للقائلين بأن السنة تشريع وغير تشريع، وللقائلين بالمصلحة0 غفر الله لهم وسامحهم، لقد فتح هؤلاء وهؤلاء باباً لم يخطر لهم

على بال0

... القائلون بأن السنة تشريع وغير تشريع قصدوا بغير التشريع ما ورد منها خاصاً بالصناعات، والخبرات كالزراعة والطب، ولم يخطر ببالهم أن من سيأتى بعدهم سيستدل بتقسيمهم ليدخل المعاملات، وأحاديث البيع، والشراء، والإجارة، ويدخل ما قاله النبي (من أحاديث في العادات، وشئون الاقتصاد، والسياسة، والإدارة، والحرب، وغير ذلك في السنة غير التشريعية، وهم من هذا القول براء0

أما ما جعلوه مما سبيله الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم ... إلخ من السنة غير التشريعية، فهذا الكلام على عموم مرفوض، وفي حاجة إلى تحقيق0 فالأكل والشرب مثلاً - كلام عام يشمل المأكول والمشروب، ويشمل الأواني والهيئة أو الكيفية0

فهل بيان المأكول والمشروب المحرم، والمكروه، والمباح، من السنة غير التشريعية (1) ؟

(1) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ص 22 0

(110/2)

هل حديث : "أحلت لكم ميتتان ودمان : فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال" (1) وحديث : "أكل الضب على مائدة رسول الله (2) 0 سنة غير تشريعية؟! اللهم لا0

أحل لنا رسول الله (الطيبات، وحرم علينا الخبائث؛ فالمأكول، والمشروب سنة تشريعية من حيث الحل والحرم، أما أنه أكل نوعاً من الحلال وترك غيره يأكل نوعاً آخر، فالتشريع فيها الإباحة، إباحة ما أُكِلَ وما لم يأكل مما لم ينبه عنه0

... وأما الأواني : فقد نهي (عن الأكل والشرب في صحائف الذهب والفضة، ونهي عن الأكل في أواني الكفار إلا بعد غسلها0 وهذا تشريع قطعاً0

... أما أنه (أكل في قصعة من الفخار، ونحن نأكل في الأواني الفاخرة غير الذهبية والفضية، فهذا من المباحات والإباحة تشريع (3) 0

...

-
- (1) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال 295/2 رقم 3314، والدارقطنى في سننه كتاب الأشربة وغيرها، باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك 271، 272/4 رقم 25 من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال ابن الجوزى : أجمعوا على ضعفه، وقال البوصيرى : لكن لم ينفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر 0 قال البيهقى : إسناده الموقوف صحيح، وهو فى معنى المسند 0هـ 0 انظر : مصباح الزجاجة 85/3، قال الشوكاني فى نيل الأوطار 147/8، 148 وكذا صحح الموقوف أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو فى حكم المرفوع فىحصل الاستدلال بهذه الرواية، 0هـ بتصرف، وانظر : فتح البارى 580/9 - 585 رقمى 5537/5536 وتعليق المغنى على الدارقطنى 271/4، 272 0
- (2) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الطب 109/7 رقم 1944، وانظر : نيل الأوطار 118/8 وما بعدها 0
- (3) السنة والتشريع لفضييلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص 23، وسيأتى مزيد من بيان شرعية (المباح) بعد قليل 0

(111/2)

... وأما الهيئة : فهناك هيئات مأمور بها وهيئات منهى عنها، وهيئات أخرى كثيرة مباحة، والكل تشريع 0 "يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك" (1) هيئة أكل مشروعة (2) ، و "هى رسول الله (أن يتنفس فى الإناء" (3) هيئة ممنوعة شرعاً فى نفس الإناء، ومستحبة خارج الإناء (4) ، أما أنه (أكل بأصابعه ويده 0 ونحن نأكل بالملاعق، والشوك، والسكاكين، فهو من المباحات المشروعة 0

فماذا فى الأكل والشرب من السنة غير التشريعية!!؟

... إن قصدوا بالسنة غير التشريعية في ذلك السنة غير الملزمة، وهي المباحات كان الخلاف بيننا لفظياً⁰

... وإن قصدوا ما هو مطلوب على وجه الوجوب أو الندب، وما هو منهي عنه على وجه الحرمة أو الكراهة فهو غير مسلم⁰

-
- (1) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين 431/9 رقم 5376، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما 209/7 رقم 2022 0 من حديث عمر بن أبى سلمة (0)
- (2) انظر: مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر 1418هـ ص 630 مقال (التيامن فطرة إلهية وأفضلية تاريخية" 0
- (3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب النهى عن التنفس فى الإناء 95/10 رقم 5630، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب كراهية التنفس فى نفس الإناء واستحباب التنفس ثلاثاً خارج الإناء 217/7 رقم 267 من حديث أبى قتادة (0)
- (4) انظر : فتح البارى، وشرح النووى فى الأماكن السابقة⁰

(112/2)

ومثال ذلك يقال فى النوم واللبس، وكل ما هو خاص بالحاجة والطبيعة البشرية كما يقولون، حتى قضاء الشهوة مع الزوجة له قواعده وأصوله وحدوده المشروعة (1) 0

... والتحقيق أنه من الخطأ أن نطلق هذا الإطلاق "السنة غير التشريعية على ما سموه الحاجة البشرية من أكل وشرب، وما سبيله التجارب، والعادة الشخصية أو الاجتماعية من زراعة وطب، ولباس إلى آخره، وكذا ما يصدر عنه (بوصفه إماماً ورئيساً للدولة المسلمة، أو بوصفه قاضياً فكل هذه الأمور التى أطلقوا عليها، سنة غير تشريعية، منها الواجب شرعاً، ومنها المحرم شرعاً، ومنها المكروه، ومنها المندوب، ومنها المباح، وحتى إذا أردنا كيفية هذه الأمور نجد منها الممنوع شرعاً، كما سبقت الإشارة إليه قريباً (2) 0

... أما القائلون بالمصلحة كمصدر من مصادر التشريع فقد اشترطوا لها ألا تصادم نصاً من الكتاب

أو السنة الصحيحة، فهم أخذوا بمراعاة المصالح فيما لم يرد فيه قرآن أو حديث صحيح، أما ما ورد فيه قرآن أو حديث صحيح فالمصلحة فيما جاء به النص" (3) 0

(1) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص 22-24 بتصرف، وانظر : للأستاذ محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق" تحليل قيم لما جاءت به السنة من آداب وتقاليد تتعلق بشئون الحياة وعادات الناس، وأثرها في تميز الشخصية المسلمة، ينبغي أن يقرأ ويدرس، ويستفاد منه 0 الإسلام على مفترق الطرق ترجمة الدكتور عمر فروخ، والدكتور مصطفى الخالدي، الفصلين الأخيرين ص 87 - 110 0

(2) انظر: المزيد من التفصيل فالسنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسشاهين ص 33 وما بعدها 0

(3) السنة والتشريع لفضيلة الدكتور موسى شاهين ص 24 0

(113/2)

... واعتقد كما قال الدكتور فتحى عبد الكريم : "أن القائلين بالسنة التشريعية، والسنة غير التشريعية قد فاتهم المعنى الدقيق للتشريع الإسلامى، حيث قصر بعضهم وصف التشريع على الواجب، والحرام، ونفاه عن المندوب، والمكروه، والمباح، وأدخل بعضهم المندوب والمكروه فى التشريع، ونفاه عن المباح وحده (1) 0

... وفى ذلك يقول العلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - "هذا وإخراج الأمور الطبيعية من السنة أمر عجيب، وأعجب منه : أن يدعى بعضهم ظهوره، مع إجماع الأئمة المعبرين على السكوت عنها، وعدم إخراجها 0

(1) السنة تشريع لازم ودائم ص 44، وانظر: دراسات فى السنة وعلوم الحديث للدكتور محمد المنسى ص 228-232 0

(114/2)

... ولست أدري : لم أخرجها هؤلاء؟! أأخرجوها : لأنها لا تتعلق بحكم شرعى؟ وكيف يصح هذا مع أنها من الأفعال الاختيارية المكتسبة، وكل فعل اختياري من المكلف لابد أن يتعلق به حكم شرعى : من وجوب أو ندب أو إباحة أو كراهة أو حرمة - وفعل النبی الطبیعی مثل الفعل الطبیعی من غيره، فلا بد أن يكون قد تعلق به واحد من هذه الأحكام؟ وليس هذا الحكم الكراهة، ولا الحرمة، لعصمته وليس الوجوب، ولا الندب : لعدم القرينة فيه⁰ فلم يبق إلا الإباحة وهى حكم شرعى⁰ فقد دل الفعل الطبیعی منه (على حكم شرعى، وهو الإباحة فى حقه، بل وفى حقنا أيضاً : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (1) ⁰ ولقد أجمع الأصوليون فى باب أفعاله (على أن أفعاله الطبيعية تدل على الإباحة فى حقه (وفى حق أمته، وكل يحكى الاتفاق على ذلك، عن الأئمة السابقين (2) ⁰

-
- (1) الآية 21 من سورة الأحزاب⁰
- (2) انظر : الحصول للرازي 501/1، والإحكام للآمدى 159/1، والموافقات 437/4، والإبهاج فى شرح المنهاج 264/2، والمعتمد فى أصول الفقه 334/1، والبرهان للجوينى 181/1، =
=والبحر المحيط 176/4، وفواتح الرحموت 180/2، وإرشاد الفحول 165/1، ودراسات أصولية فى السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوى ص 65، وانظر : حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 79 ⁰

(115/2)

... أم أخرجوها : لأنهم ظنوا أن الإباحة ليست حكماً شرعياً؟ وهذا لا يصح أيضاً : فإن الأصوليين مجمعون على شرعيتها - اللهم إلا فريقاً من المعتزلة ذهب إلى عدم شرعيتها : فهُمَا منه : أن الإباحة انتفاء الحرج عن الفعل والترك (1) ⁰ وذلك ثابت قبل ورود الشرع، وهو مستمر بعده : فلا يكون حكماً شرعياً، والجمهور ينكرون : أن هذا المعنى ثابت قبل ورود الشرع، وأنه لا يسمى حكماً شرعياً ولكنهم يقولون : ليس هذا هو معنى الإباحة الشرعية، إنما هى خطاب الشارع بالتخير بين الفعل والترك من غير بدل⁰ ولا شك أن هذا حكم شرعى، وأنه غير ثابت قبل ورود الشرع⁰ ولو التفت هذا الفريق إلى هذا المعنى لم ينازع فيه⁰ فليس هناك خلاف حقيقى بينهما، فالإباحة حكم شرعى

يحتاج إلى دليل، والفعل الطبيعي منه (يدل عليه 0 ونظرة واحدة في باب أفعاله) في أى كتاب من كتب أصول الفقه – ترشدك إلى الحق في هذا الموضوع (2) 0

(1) انظر : التقرير والتحجير لابن أمير الحاج 0 144/2

(2) انظر : الإحكام للآمدى 114/1، والمحصل للرازى 20/1، والبرهان للجوينى 106/1-108، وأصول السرخسى 14/1، وفواتح الرحموت 112/1، والموافقات 95/1 193/3، 293، والمستصطفى 75/1، والإبهاج في شرح المنهاج 60/1، والبحر المحيط 241/1، 275، وإرشاد الفحول 186/1، وأصول الفقه للشيخ محمد الحضرى ص 60، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 80، وآراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً ص 152، 251، ومصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على جريشة ص 35-38 0

(116/2)

وأعلم أن التأسى به (واجب، وعلى ذلك جمهور الفقهاء والمعتزلة يقول فخرالدين الرازى في المحصول : "قال جماهير الفقهاء والمعتزلة : التأسى به واجب، ومعناه : أنا إذا علمنا أن الرسول (فعل فعلاً على وجه الوجوب : فقد تعبدنا أن نفعله على وجه الوجوب وإن علمنا أنه تنفل به : كنا متعبدين بالتفعل به، وإن علمنا أنه فعله على وجه الإباحة كنا متعبدين باعتقاد إباحته، وجاز لنا أن نفعله 0

... وقال أبو على بن خلاد من المعتزلة : نحن متعبدون بالتأسى به في العبادات، دون غيرها : كالمناكحات، والمعاملات 0 ومن الناس من أنكر ذلك في الكل، واحتج أبو الحسين محمد ابن على الطيب المعتزلى : بالقرآن والإجماع: أما القرآن فقوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (1) ولم يفرق الله تعالى بين أفعال الرسول (: إذا كانت مباحة أو لم تكن مباحة 0 وقوله تعالى : (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (2) 0 أمر بالاتباع: فيجب 0

(1) الآية 21 من سورة الأحزاب 0

(2) جزء من الآية 158 من سورة الأعراف 0

(117/2)

... أما الإجماع فهو : "أن السلف رجعوا إلى أزواجه في قبلة الصائم" (1) ، وفي أن "من أصبح جنباً لم يفسد صومه" (2) وذلك يدل على أن أفعاله لا بد من أن يمتثل فيها طريقه (3) ، ونقل الإمام الزركشى عن الكعبي البلخي رأس طائفة المعتزلة الكعبية قوله : "المباح مأمور به، لأن فعله ترك الحرام وهو واجب، فالمباح واجب" (4) 0

ويقول الإمام الشاطبي في رده على من قال : "ترك المباح طاعة على كل حال 0 قال الشاطبي : "بل فعل (المباح) طاعة بإطلاق لأن كل مباح ترك حرام 0 ألا ترى أنه ترك المحرمات كلها عند فعل المباح، فقد شغل النفس به عن جميعها 0 وهذا الثاني أولى؛ لأن الكلية هنا تصح، ولا يصح أن يقال كل مباح وسيلة إلى محرم أو منهي عنه بإطلاق، فظهر أن ما عترض به لا ينهض دليلاً على أن ترك المباح طاعة (5) ، ويشهد لهذا قول الإمام السرخسي في أصوله : "ترك العمل بالحديث الصحيح عن رسول الله (حرام كما أن العمل بخلافه حرام" (6) 0

نقض دليل تقسيم السنة النبوية إلى سنة
تشريعية وغير تشريعية

(1) انظر : حديث عمر بن أبي سلمة (، في صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته 233/4 رقم 1108، وانظر : نيل الأوطار 210/4 وما بعدها 0

(2) انظر: حديث عائشة-رضي الله عنها- في صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب 237/4 رقم 1110، وانظر: نيل الأوطار 212/4 0
(3) المحصول في أصول الفقه 511، 512/1، وقارن بالمعتمد في أصول الفقه 353/1 - 355،
والتقرير والتحبير 303/2، ونهاية السؤل في شرح منهاج الوصول 55/2 وما بعدها 0
(4) البحر المحيط في أصول الفقه 241/1، 186/4، والتقرير والتحبير 307/2 0
(5) الموافقات 100/1
(6) أصول السرخسي 7/2 0

... تحت هذا العنوان قال الدكتور فتحى عبد الكريم : "الدليل الأساسى الذى يستند إليه القائلون بتقسيم السنة إلى سنة تشريعية وغير تشريعية هو حديث رسول الله (الوارد فى قصة تأييد النخل بمختلف رواياته، ومنها قوله (: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" ففى رأى أنصار تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وغير تشريعية أنه "لو لم يكن غير هذا الحديث الشريف فى تبين أن سنته (ليست كلها شرعاً لازماً، وقانوناً دائماً لكفى0 ففى نص عبارة الحديث - بمختلف رواياته - تبين أن ما يلزم إتباعه من سنة رسول الله (، إنما هو ما كان مستنداً إلى الوحي فحسب" (1) 0 ولقد كان يكفى ما سبق ذكره رداً على نقض هذا الدليل، لأن معنى كون السنة النبوية دليلاً شرعياً عند الأصوليين أنها تفيدنا حكماً من الأحكام الشرعية، أى حكم كان : من وجوب، أو ندى، أو حرمة، أو كراهة، أو إباحة0 كان يمكن أن نرد بذلك وينتهى الموضوع، لولا أن وجه الخطورة فى الأمر (2) : أن فئة ضالة أكثر من الاستشهاد بهذا الحديث، وأرادت به عزل السنة، عن شئون الحياة العملية كلها!

... فالعادات، والمعاملات، وشئون الاقتصاد، والسياسة، والإدارة، والحرب ونحوها، يجب أن تترك للناس و لا تدخل السنة فيها آمرة ولا ناهية ولا موجهة ولا هادية (3) 0 فهل يسندهم ذلك الحديث فى تلك الدعوى الخطيرة؟!0

(1) مجلة المسلم المعاصر العدد الافتتاحى ص33 مقال الدكتور محمد العوا "السنة التشريعية وغير التشريعية"

(2) السنة تشريع لازم ودائم ص 32، 33 بتصرف0

(3) انظر : السنة مصدراً للمعرفة والحضارة للدكتور القرضاوى ص 20 0

(119/2)

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : فى ردّه على الدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله تعالى - هذا الحديث (أنتم أعلم بأمر دنياكم) هو عمدة أدلة الباحث فى بحثه : وهذه الجملة (أنتم أعلم بأمر دنياكم) تنقسم إلى ثلاثة مقاطع : "أنتم" والمراد من المخاطبين0 و "أعلم" والمراد من المفضل عليه و "شئون دنياكم" وتحديد المراد منها0 وبعبارة أخرى : من؟ أعلم من من؟ وبأى شئ

هو أعلم؟

هناك احتمالات في المراد بهذه الجملة لتصورها ثم نختار منها ما يصلح لأن يكون مراد المشرع الحكيم :

الاحتمال الأول : أنتم أيها الذين تلقحون النخل أعلم بما يصلح النخل منى ومن لا علم له بالزراعة، أى أنتم أعلم بشئون دنياكم هذه التى تباشرونها، والتى لم تنجح فيها مشورتى، أعلم منى ومن مثلى، فالحديث على هذا واقعة عين أو واقعة حال، لا يستدل بها على غيرها أصلاً⁰

... الاحتمال الثانى : أنتم أيها الذين تلقحون النخل ومن على شاكلتكم من أهل الصناعات والمهارات والخبرات أعلم بصنائعكم منى⁰ ومن ليس من أهل الصناعات، والكلام على التوزيع، على معنى : أن كل أهل صنعة أعلم بما ممن ليسوا من أهلها، كما يقال : أهل مكة أدرى بشعابها⁰

... الاحتمال الثالث : أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بما يصلح النخل منى ومن غيركم من زارعى النخل فى البلاد والأزمان المختلفة، وهذا الاحتمال واضح البطلان، ففى بعض البلاد، وفى بعض الأزمان، من هم أعلم منهم بذلك⁰

... الاحتمال الرابع : أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بالخبرات والصناعات المختلفة منى ومن غيرى، حتى من أهل الصناعات أنفسهم، على معنى أنتم أعلم بالطب مثلاً منى ومن الأطباء⁰ وهذا الاحتمال واضح البطلان⁰

(120/2)

... هذه الاحتمالات الأربعة مبنية على أن المراد من شئون الدنيا الصناعات والمهارات والخبرات، فإذا أردنا من شئون الدنيا مصالح كل فرد أو مصالح كل مجموعة من مباحات الدنيا؛ كالمقارنة بين شراء بيت أو شراء سيارة كان الاحتمال الآتى :

... الاحتمال الخامس : أنتم الذين تلقحون النخل بالمدينة، ومثلكم جميع الناس، أعلم بشئون دنياكم، وما يصلح لكم من غيركم، والكلام على قاعدة : مقابلة الجمع بالجمع، تقتضى القسمة أحاداً، تقول : أعطيت الطلاب كتباً على معنى أعطيت كل طالب كتاباً، فيصبح المعنى كل واحد أعلم من غيره بشئون ومصالح نفسه، وهذا الاحتمال إن صح فى المباحات، لا يصح فى الواجبات

والمحرمات، فالشرع وحده هو الذى حددها على أنها المصلحة (1)، بناء على سبق علم الله الذى خلق 0 ثم إن هذا الاحتمال لا يتناسب مع قصة الحديث، ومما هو واضح أن الاحتمال الثانى هو المراد، ثم يليه الأول، وعلى كل حال لا يصح الاستدلال بالحديث على إباحة التغيير فى المعاملات؛ لأن الحديث - كما رأينا - تطرق إليه أكثر من احتمال، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال 0

احتمال دخول المعاملات مستبعد :

(1) راجع: ما سبق ذكره من كلام الإمام الشاطبى وغيره فى الجواب عن شبهه عرض السنة ص 244

(121/2)

... مع أن احتمال دخول المعاملات فى الحديث كأحد الاحتمالات مستبعد أصالة وابتداء (1) ؛ لأن المعاملات كما يفهم من معناها علاقة الأفراد والجماعات بعضهم ببعض فيما يتعلق بمعاشهم، وهذه العلاقة تحكمها دائماً قواعد وأصول وضوابط، لئلا يحيف بعض الأطراف على بعض، والأمم غير الإسلامية وضعت لذلك قوانين، والإسلام وضع لها أرقى أنواع التشريع وليس من المعقول أن الله (الذى أنزل أطول آياته فى القرآن : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكُتِبَ لَهُ وَلْيُكْتَبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا

(1) يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "إدخال المعاملات الممنوعة شرعاً تحت هذا الحديث، هو الذى لم نسمع به من قبل، ولم يسبق به الدكتور عبد المنعم النمر على مدى علمي، وأرجو ألا يتبعه فى ذلك أحد 0هـ انظر : السنة والتشريع ص 34 0

تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (1) وحدد فيها كتابة الدين، ومواصفات الكاتب وواجباته، وحق المدين في الإملاء، وإملاء وليه في حالة عدم صلاحيته، وصفات الشهود، وشروطهم، وواجباتهم، وقال تعالى : "ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ" 0 ليس من المعقول أن الله الذي اهتم بالدين هذا الاهتمام يترك البيع والشراء وتفصيل الربا، والرهن، والشركة وغيرها من المعاملات دون تشريع 0

... هل يعقل أن يترك البشرية هَملاً يأكل بعضهم مال بعض ظلماً وعدواناً تحت عنوان "أنتم أعلم بشئون دنياكم"؟

... هل يعقل مسلم أن يترك الله تعالى هذه القوانين لحمد (دون رقابة أو تصحيح؟ فيخطئ، فتعمل الأمة مجتمعة بالخطأ أربعة عشر قرناً حتى يبعث الله لها من يرعى مصالحها، ويخالف حكم محمد (؟) أظن أن العقل المسلم يستبعد ذلك كل الاستبعاد 0

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "بقي في نفسى تساؤل بخصوص حديث تأبير النخل ربما يثور في نفوس البعض، هو : لماذا ألهم الله رسوله (أن يشير عليهم بهذه الإشارة مع أنها لم تكن في مصلحتهم؟

ولماذا جعلهم الله يستسلمون لمجرد الإشارة، وهم المعروفون بالمراجعة والنقاش وكثرة السؤال؟ ... ولماذا لم يتدارك الله هذه المشورة بالتصحيح قبل أن تنتج شيصاً للمسلمين يسخر منه اليهود، وأعداء الإسلام حين يصح نخلهم ويسوء نخل المسلمين بسبب مشورة نبيهم (؟) 0

... وسنحاول تلمس حكمة لهذه الحادثة، فإن حصلت بها قناعة واطمئنان فالحمد لله، وإلا فنحن مؤمنون أرسخ الإيمان بأن الله (في ذلك حكمة، وهو الحكيم الخبير 0 ولعل الحكمة في ذلك تدور حول ثلاث أمور :

(123/2)

أولاً : صرف بلاء الأعداء عن المؤمنين الذين لم تقوا شوكتهم بعد0 ألم يكن من الجائز أن يطمع الكافرون في المدينة وقرها، فيها جموها من أجل نزول محمد (فيها؟ فخرج التمر شيصاً جعلها غير مطمع، وصرف الله بذلك هجوم الكافرين حتى يستعد المؤمنون؟ احتمال0

ثانياً : تعليمهم الأخذ بأسباب الحياة بهذا الدرس العملي الذي كان قاسياً عليهم فتنافسوا بعده في أسباب الحياة0

ثالثاً : اختبارهم في صدق إيمانهم، فهذه الحادثة حتى اليوم في هذا البحث ابتلاء واختبار، وقد نجح الصحابة - رضوان الله عليهم - في هذا الاختبار القاسي - وهم في أول الإيمان، نجاحاً باهراً، فقد استمروا في طاعة أوامره (، ولم يرد إلينا ردة أحد بسببها، بل لم يرد عتاب أحد منهم لرسول الله (عليها رغم خسارتها، مما يشهد لهم بالإيمان الصادق المتين (1) 0 ولعل تلك الحكمة الأخيرة هي أوجه الحكم في هذه الحادثة0 والله أعلم بحكمته0

... وبعد : إذا كانت عصمة النبي (دليل على حجية الكتاب، والسنة معاً، فلننتقل إلى الدليل الثاني من أدلة حجية السنة، وهو القرآن الكريم0

(1) السنة والتشريع لفضيحة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص 32 - 47 بتصرف، وانظر : مزيد من بيان المراد بهذا الحديث في الأنوار الكاشفة لعبد الرحمن اليماني ص 27-40، والسنة تشريع لازم ودائم ص 33 وما بعدها، والسنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص 14-17 0

(124/2)

المطلب الثاني

من أدلة حجية السنة المطهرة القرآن الكريم

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين : لقد اشتدت عناية القرآن الكريم بتلك المسألة فَوَجَّه إليها آيات كثيرة تنوعت بين آيات تأمر في وضوح بوجوب الإيمان به (، وبين آيات أخرى تأمر بوجوب طاعته، طاعة مطلقة، فيما يأمر به، وينهى عنه، وبين آيات أخرى تنهى عن مخالفته وتحذر من ذلك وتبين جزاء المنافقين المرجفين في دين الله (العاملين على هدم كيان السنة النبوية، والذين حصروا معنى الآيات الواردة في طاعة الرسول (، في طاعته في القرآن الكريم فقط (1) 0

... ونحن لن نستطيع ذكر هذه الآيات كلها - وإلا طال المقام بنا جداً، ولكننا سننبه إلى بعض هذه

الآيات فقط، ودلالاتها على حجية السنة النبوية الشريفة ووجوب التمسك بها (2) 0

1- من هذه الآيات قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ) (3) 0

-
- (1) انظر : مجلة المنار المجلد 517/9، 908، 924 مقال الدكتور توفيق صدقي "الإسلام هو القرآن وحده" والقرآن والحديث والإسلام ص 7، 31، وقرآن أم حديث ص 2-5 كلاهما لرشاد خليفة وإنذار من السماء لنيازي عز الدين ص 573، 580، 853، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدي 10/1 وما بعدها، ولماذا القرآن ص 43، 49، والصلاة في القرآن ص 42، 62 كلاهما لأحمد صبحي منصور، والصلاة لمحمد نجيب ص 271، 278، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 190 وما بعدها، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين لإسماعيل منصور ص 21، 24، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 129، وأهل السنة شعب الله المختار ص 77، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة ص 40، 41، 199 ثلاثتهم لصالح الورداني 0
- (2) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص 43 بتصرف 0
- (3) الآية 136 سورة النساء 0

(125/2)

-
- 2- وقوله تعالى : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)
- (1) فمقتضى ذلك أن نؤمن بالله وبرسوله، والإيمان معناه هنا التصديق والإذعان برسالته (وبجميع ما

جاء به من عند الله (من كتاب وسنة، بمقتضى عصمته التي توجب التصديق بكل ما يخبر به عن رب العزة⁰ كقوله (في حق القرآن: "هذا كلام الله (، وقوله في الأحاديث القدسية: "قال رب العزة كذا" أو نحو هذه العبارة وقوله (:"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" وقد سبق تفصيل ذلك قريباً في مبحث العصمة (2) فالإيمان بالرسول (جزء من الإيمان بالله تعالى، والشك والارتياب في ذلك الإيمان، شك وارتياب في الإيمان بالله ورسوله معاً، وحينئذ لا يكون هناك إيمان أبداً⁰

يقول الإمام الشافعي في رسالته : "فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله، فلو آمن عبد به، ولم يؤمن برسوله (: لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً، حتى يؤمن برسوله معه (3) ، ومن هنا وجبت طاعة الرسول (- بمقتضى هذا الإيمان - في كل ما يبلغه عن ربه، سواء ورد ذكره في القرآن أم لا⁰

... يقول الإمام الشافعي : "وما سنَّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم : فبحكم الله سنَّه، وكذلك أخبرنا الله في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (4) ، وقد سن رسول الله مع كتاب الله، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب⁰ وكل ما سن فقد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العدول عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً"
(5) 0

(1) الآية 158 من سورة الأعراف⁰

(2) راجع : ص 445 0

(3) الرسالة ص 75 فقرات رقم 239، 240 0

(4) جزء من الآيتين 52، 53 الشورى⁰

(5) الرسالة ص 88، 89 الفقرات رقم 292، 293، 294 0

(126/2)

3- ومن أهم الآيات دلالة على حجية السنة، ووجوب التمسك بها قوله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

(1) يقول ابن قيم الجوزية : " أقسم سبحانه بنفسه، وأكدته بالنفي قبله على نفي الإيمان عن العباد، حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم، من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجردة، حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً، وينقادوا انقياداً (2) 0

... ويقول أيضاً في مختصر الصواعق المرسلة : " فقد أقسم الله سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول (، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه، وإن آمنوا بلفظه" (3) 0

... ويقول في موضع آخر : " وفرض تحكيمه، لم يسقط بموته، بل ثابت بعد موته، كما كان ثابتاً في حياته، وليس تحكيمه مختصاً بالعمليات دون العمليات كما يقوله أهل الزيغ والإلحاد (4) 0

4- ويقول رب العزة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (5) ودلالة الآية على حجية السنة من عدة وجوه :

(1) الآية 65 من سورة النساء 0

(2) أعلام الموقعين 51/1، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة 520/2 0

(3) مختصر الصواعق المرسلة 113/1 0

(4) المصدر السابق 520/2 0

(5) الآية 59 من سورة النساء 0

(127/2)

أولاً : النداء بوصف الإيمان في مستهل الآية : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا " ومعنى ذلك أن المؤمنين لا يستحقون أن ينادوا بصفة الإيمان إلا إذا نفذوا ما بعد النداء وهو طاعة الله تعالى، وطاعة رسول الله (، وأولى الأمر (1) 0

ثانياً : تكرار الفعل "أَطِيعُوا" مع الله (، ومع رسوله (، وتكرار ذلك في آيات كثيرة وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا (2) وقوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (3) 0

... يقول الإمام الشاطبي : "تكراره الفعل "وَأَطِيعُوا" يدل على عموم الطاعة بما أتى به مما في الكتاب، ومما ليس فيه مما هو من سنته" (4) 0

... وقال العلامة الألوسي : " ... وأعاد الفعل : "وَأَطِيعُوا" وإن كان طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله (، اعتناءً بشأنه (وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن، وإيداناً بأن له (استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره، ومن ثم لم يعد في قوله : "وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" إيداناً بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول ((5) ، بل طاعتنا لهم مرتبطة بطاعتهم هم الله ورسوله، فإن هم أطاعوا الله ورسوله فلهم علينا حق السمع والطاعة وإلا فلا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (6) 0

... ومما هو جدير بالذكر هنا أن فرض الله (طاعة رسوله ليست له وحده بل هي حق الأنبياء جميعاً قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (7) 0 فرب العزة جل جلاله يقرر هنا قاعدة: "أن كل رسول جاء من عنده جل جلاله يجب أن يطاع"

(1) تيسير اللطيف الخبير لفضيلة الدكتور شاهين مروان ص 44 0

(2) الآية 92 من سورة المائدة 0

(3) الآية 56 من سورة النور 0

(4) الموافقات 3/38 0

(5) روح المعاني 5/6 0

(6) أعلام الموقعين 1/48 0

(7) الآية 64 من سورة النساء 0

... ولماذا لا يطاع هذا الرسول الذي جاء بالمنهج الحق الذي يصلح الخلل في تلك البيئة التي أرسل إليها؟ إن عدم الطاعة حينئذ - هو نوع من العناد والجحود والتكبر⁰ كما أن في عدم الطاعة اتهاماً للرسالة بالقصور، واتهاماً للرسول في عصمته من الكذب في كل ما يبلغ به عن ربه (من كتاب أخبرنا عنه بقوله "هذا كتاب الله"، ومن سنة مطهرة أخبرنا عنها بقوله : "أوتيت القرآن ومثله معه" (1) وقوله : "وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله" (2) 0

3- ثالث الوجوه دلالة على حجية السنة من آية النساء قوله تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)؛ فالرد إلى الله (هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول (هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته (3) 0 وعلى هذا المعنى إجماع الناس كما قال ابن قيم الجوزية (4) 0 ... وتعليق الرد إلى الكتاب والسنة على الإيمان كما في قوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يعني أن الذين يردون التنازع في مسائل دينهم وحياتهم، دقها وجلها، جليها وخفيها - إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله (، هم فقط المؤمنون حقاً كما وصفتهم بذلك الآية الكريمة، أما غيرهم فلا ينطبق هذا الوصف عليهم⁰

(1) سبق تخريجه ص 445 0

(2) سبق تخريجه ص 223، وانظر : تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص 45، 46 0

(3) قاله ميمون بن مهران فيما رواه عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 187/2، وانظر : الرسالة للشافعي ص 80، 81 فقرات رقم 264، 265، 266

(4) أعلام الموقعين 49/1، وانظر : السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 152 0

(129/2)

... ثم يحدثنا الله تعالى بعد هذه الآية مباشرة، عن أناس يزعمون أنهم يؤمنون بالله ورسوله⁰ ومقتضى هذا الإيمان أن يحكموا كتاب الله وسنة رسوله (في كل شئون حياتهم - ولكنهم - لا يفعلون ذلك وإنما يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت مع أنهم قد أمروا أن يكفروا به قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) (1) 0 ففي نهاية الأمر حكم الله تعالى على من يعرض عن حكم الله تعالى ورسوله ويتحاكم إلى الطواغيت بأنهم منافقون (2)

، وصدق رب العزة : (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ(47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ(48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ(49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

(3) 0

(1) الآية 61 من سورة النساء0

(2) تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص 45، وانظر : أعلام الموقعين 50/1 0

(3) الآيات 47-52 من سورة النور، وانظر : تعليق الإمام الشافعي على الآيات في الرسالة ص

84، 85 فقرات رقم 278 - 281 0

(130/2)

... ويتأكد هذا المعنى جلياً في قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (1) "فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار يعد قضاؤه جل جلاله وقضاء ورسوله (، ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً" (2) 0

(1) الآية 36 من سورة الأحزاب0

(2) أعلام الموقعين 51/1 0

(131/2)

... ونختتم المطاف مع الآيات الدالة على وجوب طاعة الرسول (طاعة مطلقة فيما يأمر به، وينهى عنه، بقوله تعالى : (وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (1) وهناك آيات كثيرة لم نتعرض لذكرها خشية الإطالة0 فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الآيات التي تحذر من معصية الرسول)

وتنهي عن مخالفته نجدها كثيرة ونشير أيضاً إلى بعضها قال تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) (2) وقال تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (3) 0

-
- (1) الآية 7 من سورة الحشر، وقد استدل بهذه الآية على أن ما جاء به النبي (حجة ابن مسعود 0
انظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب (وما آتاكم الرسول فخذوه)
498/8 رقم 4886، كما استدل بها أيضاً عمران بن حصين، انظر : دلائل النبوة للبيهقي 25/1،
26، وانظر : مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص 21، واستشهد بالآية أيضاً الإمام الشافعي على
حجية السنة، وحجية قول الصحابي 0 انظر : مناقب الإمام الشافعي للإمام فخر الدين الرازي ص
304، والفتاوى والمفتحة 445/1 رقم 468 0
(2) الآية 14 من سورة النساء 0
(3) الآيتان 40، 41 من سورة النساء 0

(132/2)

... وفي سورة التوبة قال تعالى (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ
الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) (1) وفي سورة النور قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2) 0
أين أمر رسول الله (في القرآن، لمن زعموا أن آيات طاعة الرسول في القرآن مراد بها طاعته في القرآن
فقط؟ 0

وفي سورة الأحزاب : (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا) (65) يَوْمَ تَقْلُبُ أُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) (3) 0

... وفي سورة محمد قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَاهُمْ) (4) 0

(1) الآية 63 من سورة التوبة 0

(2) الآية 63 من سورة النور 0

(3) الآيات 64-66 من سورة الأحزاب 0

(4) الآية 32 من سورة محمد 0

(133/2)

... وفي سورة المجادلة قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) (1) 0 وفي سورة المجادلة أيضاً قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) (2) إن الآيات السابقة تصرح بأن مخالفة منهج الله ورسوله، يدخل النار، ويورث الذل، والخزي، والفتنة، والكبت، ويحبط العمل 0 فليختر المسلم لنفسه ما يشاء (3) 0هـ

المطلب الثالث

من أدلة حجية السنة، السنة النبوية نفسها

... الأحاديث الدالة على حجية السنة كثيرة منها قوله (: "ألا إني أُوتيتُ القرآن ومثله معه ألا يؤشك رجلٌ شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّمُّوه، ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهلي، ولا كُلُّ ذى نابٍ من السَّبَاع، ولا لُقْطَةٌ مُعَاهَد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها" 0

... وهذا الحديث صحيح ثابت لا مطعن فيه، لا من جهة النقل والرواية، ولا من جهة العقل

والدراية (4) 0

أما النقل والرواية فالحديث صحيح رواه الأئمة أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي في سننهم (5) 0

(1) الآية 5 من سورة المجادلة 0

(2) الآية 20 من سورة المجادلة0

(3) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان ص 48 وما بعدها بتصرف0
وانظر : مزيد من الأدلة القرآنية على حجية السنة كتاب حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق
ص 291 : 308 0

(4) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شبهة ص 216 0

(5) سبق التخريج ص 445 0

(134/2)

... وأما العقل والدراية : فإن بناء الفعل للمجهول "أوتيت" يدل على أن الله تعالى أعطى لرسوله (القرآن ومثله معه0 فما هو المماثل للقرآن الذى تلقاه الرسول (عن ربه؟ لا يمكن أن يكون هذا المماثل شيئاً غير السنة الشريفة؛ لأن الرسول (جاءنا بمذنبين الأصلين معاً القرآن والسنة - ولم يأتنا بشئ غيرهما - علماً بأن الحديث القدسى مندرج في السنة الشريفة (1) 0 وقد دل على هذا الفهم القرآن الكريم، مما سبق ذكره من الآيات الكريمات الدالة على حجية السنة0 ودل على ذلك الفهم أيضاً الأحاديث المتكاثرة التى تؤيد هذا المعنى0

نقول هذا رداً على المرجفين في دين الله (العاملين على هدم كيان السنة المطهرة، الطاعنين في صحة الحديث، وفي معناه (2) 0

أما الأحاديث التى تؤيد المعنى السابق، وتؤكد حجية السنة المطهرة، قوله (: "نضر الله امرءاً منا شيئاً، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع (3) 0 ووجه دلالة الحديث على حجية السنة كما يراها كبار العلماء : "أن رسول الله (ندب إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها ... فدل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه، إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا" (4) 0

... وقال الإمام البيهقي : "لولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال (في خطبته، بعد تعليم من شاهده أمر دينهم : "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع" (5) 0

(1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص 57، وانظر : إرشاد الفحول للشوكاني 156/1، 157 0

(2) انظر: أضواء على السنة لمحمود أبو رية ص 52، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص 318

(3) سبق تخريجه ص 34 0

(4) الرسالة للشافعي ص 402، 403 فقرة رقم 1103 0

(5) سبق تخريجه ص 273، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص 19

(135/2)

وعن أبي هريرة (قال: قال رسول الله (:"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم" (1) وهذا يؤكد قوله تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) (2) وقال (: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا ومن يأبي يا رسول الله؟ قال : "من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني؛ فقد أبا" (3) 0

... وهذا يؤكد ما سبق ذكره من الآيات الدالة على أن طاعة رسول الله (طاعة مستقلة 0 والأحاديث غير ذلك كثيرة (4) ، مرت الإشارة إلى بعضها 0 كحديث "عليكم بسنتي" (5) وغيره (6) 0هـ والله تعالى أعلى وأعلم 0

المطلب الرابع

من أدلة حجية السنة النبوية الشريفة الإجماع

(1) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الفضائل، باب توقيه (، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه 120/8 رقم 1337 0

(2) جزء من الآية 63 من سورة النور 0

(3) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة النبي (263/13 رقم 7280 من حديث أبي هريرة 0

(4) مزيد من الأحاديث الدالة على حجية السنة، انظر: حجية السنة للدكتور عبدالغني ص 308-

(136/2)

... أجمعت أمة الإسلام من الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين -، والتابعين، والأئمة المجتهدين، وسائر علماء المسلمين من بعدهم إلى يومنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ على حجية السنة النبوية، ووجوب التمسك بها، والعرض عليها بالنواجد، والتحاكم إليها، وضرورة تطبيقها، والسير على هديها في كل جوانب حياة المسلمين، ولم يمار في هذه الحقيقة الساطعة إلا نفر ممن لا يعتد بخروجهم على إجماع الأمة من الخوارج، والروافض، ومن أحيا مذاهبهم من دعاة الإلحاد في عصرنا 0 قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : "إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام" (1) 0

... فالكتب الإسلامية المعتمدة كلها، تزخر بشتى الأدلة التي تشهد، بأن علماء الأمة الأجلاء متفقون اتفاقاً يقينياً منذ عصر الرسول (حتى يومنا هذا، على وجوب الاحتكام إلى السنة المطهرة، إن تعذر العثور على الدليل في القرآن الكريم، وعدم تجاوزها أبداً إلى غيرها من الأدلة الأخرى التي أشار إليها القرآن إن وجد الدليل فيها، بل كان الواحد منهم يرجع عن اجتهاده فوراً وبدون أدنى تردد، حينما يجد حديثاً صحيحاً عن رسول الله (يخالف ما أفتى به (2) 0 وقد دللنا فيما سبق على ذلك، ولا داعي لإعادة الأدلة وهنا أو سرد أكثر مما ذكرنا في هذا المقام سابقاً (3) 0

(1) إرشاد الفحول 158/1 0

(2) انظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 118، 119 0

(3) راجع ص 316، وانظر : مزيد من الأدلة على تمسك السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة من الأئمة المجتهدين بالسنة 0 في كتاب حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 283-291، 345-382، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي مبحث (ما روى عن السلف في الرجوع إلى الحديث) ص 302 0

... وعلى ذلك أيضاً تشهد كتب علم الكلام، وعلم الأصول : يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - : "لا نجد في كتب الغزالي، والآمدي، وفخر الدين الرازي، والجويني، وأبي الحسين المعتزلي، والسرخسي، وجميع من اتبع طرقهم في التأليف، : من الأصوليين تصريحاً ولا تلويحاً : بأن في هذه المسألة خلافاً⁰ وهم الذين استقصوا كتب السابقين ومذاهبهم، وتتبعوا الاختلافات حتى الشاذة منهم، واعتنوا بالرد عليها أشد الاعتناء⁰ بل نجدهم - في هذه المسألة - لا يهتمون بإقامة دليل عليها، وكأنهم قصدوا بعدم التصريح بإقامة دليل عليها : إكبارها وإجلالها، وإعظام شأنها عن أن ينازع فيها منازع، أو يتوقف فيها متوقف (1) 0

فصاحب المسلم وشارحه يقولان : "إن حجية الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، من علم الكلام، لكن تعرض الأصولى لحجية الإجماع، والقياس؛ لأنهما كثر فيهما الشغب من الحمقى؛ من الخوارج، والروافض : خذهم الله تعالى⁰

وأما حجية الكتاب والسنة : فمتفق عليها عند الأمة : ممن يدعى التدين كافة فلا حاجة إلى الذكر (2) 0

(1) وإلى ذلك ذهب الكمال بن الهمام، انظر : تيسير التحرير ل محمد أمين 22/3، والتقريب والتحبير لابن أمير الحاج 225/2، وكذا السعد التفتازاني في التلويح في كشف حقائق التنقيح 38/1 0
(2) فواتح الرحموت 16/1، 17 بتصرف⁰

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق وليت شعري، كيف يتصور : أن يكون نزاع في هذه المسألة بين المسلمين، وأن يأتي رجل : في رأسه عقل، ويقول : أنا مسلم، ثم ينازع في حجية السنة بمحملتها؟ مع أن ذلك مما يترتب عليه عدم اعترافه بالدين الإسلامى كله من أوله إلى آخره⁰ فإن أساس هذا الدين

هو الكتاب، ولا يمكن القول بأنه كلام الله مع إنكار حجية السنة جملة، فإن كونه كلام الله، لم يثبت إلا بقول الرسول الذي ثبت صدقه بالمعجزة : "إن (هذا كلام الله وكتابه)" وقول الرسول (هذا من السنة) التي يزعم : أنها ليست بحجة⁰ فهل هذا إلا إلحاد وزندقة، وإنكار للضرورة من الدين : يقصد به تقويض الدين من أساسه؟

... وهل إنكار حجية شئ من أقواله، أو أفعاله، أو تقاريراته (بعد الاعتراف بعصمته التي ذكرناها : إلا القول : بوجود الليل، مع الاعتراف بطلوع الشمس (1) !؟

أعداء الإسلام وطعنهم في حجية الإجماع
الدال على حجية السنة والرد عليهم

(1) حجية السنة للدكتور عبد الغنى 248-252 بتصرف⁰

(139/2)

... ومما هو جدير بالذكر هنا، أن ذيول الحمقى من الخوارج، والروافض في عصرنا الحاضر، أكثروا من الشغب في حجية الإجماع، وهم يشككون في حجية السنة، ويطعنون في الشريعة الإسلامية (1)
0

دليل حجية الإجماع :

(1) انظر : العقيدة والشريعة لجولدتسيهر ص61، وانظر : له أيضاً دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 498/10، وأصول الفقه المحمدي لشاغت نقلاً عن المصدر السابق العدد 649/11، والحديث في الإسلام للمستشرق الفريد غيوم ص23،20، نقلاً عن منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص 63، والبيان بالقرن لمصطفى المهدي 522/2، والإمام الشافعي لنصر أبو زيد ص 85، وإنذار من السماء لنيازی عزالدين ص 182 وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين لإسماعيل منصور ص 492،

والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة لصالح الوردانى ص 55، 110، ومجلة المنار المجلد 520/9،
918 "مقال الإسلام هو القرآن وحده"، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 227 -
231، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 723، والدولة والمجتمع ص 235، كلاهما لمحمد
شحرور، ونحو تطوير التشريع الإسلامى لعبد الله أحمد النعيم ص 50 وما بعدها 0

(140/2)

وحجية الإجماع وعدمه، مسألة قتلها علماء الأصول والكلام بحثاً وخلاصة القول كما في فواتح
الرحموت بشرح مسلم الثبوت : "أن الإجماع حجة قطعاً، ويفيد العلم الجازم عند الجميع من أهل
القبلة، ولا يعتد بشرذمة من الحمقى الخوارج، والشيعة، والنظام من المعتزلة، لأنهم حادثون بعد
الاتفاق يشككون في ضروريات الدين؛ مثل السوفسطائية في الضروريات العقلية" (1) 0
يقول الأمدى : "وقد احتج أهل الحق في ذلك بالكتاب والسنة والمعقول" (2) 0 أما من الكتاب
فقوله تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (3) 0

(1) فواتح الرحموت 213/2 بتصرف يسير، وانظر : المحصول للرازي 8/2، والإبهاج في شرح
المنهاج 352/2، والمستصفي 173/1، وأصول السرخسي 295/1، والموافقات 35/1، والبحر
الخيوط للزركشي 441-440/4، والمعتمد في أصول الفقه 4/2، والرسالة للشافعي فقرات
رقم 1102، 1105، 1309، 1320، وإرشاد الفحول 292/1، ونهاية السؤل في شرح منهاج
الأصول للأسنوي 147/2 وما بعدها، والتقرير والتحبير لابن أمير الحاج 80/3 0
(2) الإحكام للأمدى 183/1 0
(3) الآية 115 من سورة النساء 0

(141/2)

... وهذه الآية هي أقوى الأدلة وبها تمسك الإمام الشافعي -رحمه الله- ووجه الاحتجاج بها، جمع
الله تعالى بين مشاققة الرسول، واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين

مباحاً لما جمع بينه وبين المحرم من مشاققة الرسول (، في التواعد كما لا يحسن التواعد على الجمع بين الكفر وأكل الحبز المباح؛ فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين محظورة، ومتابعة غير سبيل المؤمنين : عبارة عن متابعة قول أو فتوى غير قولهم، وفتواهم⁰ وإذا كانت تلك محظورة، وجب أن تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة (1) 0

... ومن السنة قوله (: "إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد (على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار" (2) وقال (: " ... عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنة؛ فليلزم الجماعة، من سرتة حسنته وساءته سيئته؛ فذلك المؤمن" (3) 0

-
- (1) الحصول للرازي 8/1 وقارن بالإحكام للآمدى 183/1 0
- (2) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن، باب ما جاء فى لزوم الجماعة 405/4 رقم 2167 من حديث ابن عمر، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم 119/1 أرقام 391-397 من طرق عدة، وقال : روى هذا الحديث بأسانيد عن المعتمر ابن سليمان، يصح بمثلها الحديث، ثم ذكر له شواهد من حديث ابن عباس وأنس⁰ ووصف الإمام الغزالي الحديث فى المستصفى 175/1 بالتواتر المعنوى، وبذلك قال الشاطبى فى الموافقات 39/1، وانظر : من نفس المصدر 64/3، وانظر : الاعتصام 517/2 0
- (3) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن، باب ما جاء فى لزوم الجماعة 404/4، 405 رقم 2165 من حديث ابن عمر وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب، وقد روى من غير وجه عن عمر عن النبی (، وأخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم 197/1، 198 رقم 387 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي⁰

(142/2)

... أما دليل العقل : فيقول إمام الحرمين الجويني : "والدليل على كونه حجة أنا وجدنا العصور الماضية، والأمم المنقرضة متفقة على تبكيت من يخالف إجماع العلماء، علماء الدهر، فلم يزالوا ينسبون المخالف إلى المروق، والحاد، والعقوق، ولا يعدون ذلك أمراً هيناً بل يرون الاجتزاء على

مخالفة العلماء ضللاً مبيناً (1) ، ويستحيل أن يكون ذلك إلا لدلالة أو أمانة وإلا استحال اتفاقهم على المنع من مخالفته (2) 0أ0هـ والله أعلم0

-
- (1) البرهان في أصول الفقه 1/263، وانظر : التقرير والتحبير لابن أمير الحاج 3/113 0
(2) المحصول للرازي 1/46، وانظر : المستصفى للغزالي 1/173، وللإستزادة في الجواب
انظر: مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على حريشة ص
0 62-52

(143/2)

المطلب الخامس

من أدلة حجية السنة المطهرة العقل والنظر

لقد دلّ الاستقراء على أن الكتاب العزيز فرض على الناس فرائضَ مجملة تحتاج إلى تفسير، وشرح وبيان، كأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقيام بمناسك الحج 0 لذلك، فقد ذهب العلماء، والمحققون (دون اعتبار لقول من شذ من المرجفين في دين الله تعالى، العاملين على هدم كيان السنة النبوية) (1) إلى أنه يتحتم شرعاً وعقلاً الرجوع إلى السنة لتفصيل مجمله وبيان كيفية أدائه لوضع الصور التطبيقية لتوجيهاته 0

ومما يستعان به في تأييد ذلك :

- 1- ما روى أن رجلاً قال لعمران بن حصين (: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له عمران: "إنك امرؤ أحق : أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة، ونحو هذا، ثم قال : "أتجد هذا في كتاب الله مفسراً؟ إن كتاب الله أجمع هذا، وإن السنّة تفسّر ذلك (2) 0

-
- (1) انظر : مجلة المنار المجلد 9/517 مقال الدكتور توفيق صدقي (الإسلام هو القرآن وحده)،
والصلاة لمحمد نجيب ص 277، 306، والصلاة في القرآن لأحمد صبحي منصور 32، وقرآن أم
حديث ص 7، والقرآن والحديث والإسلام ص 20، 33 كلاهما لرشاد خليفة، وتبصير الأمة

لإسماعيل منصور ص 17، 325 وغيرهم مما سبق ذكرهم في شبهة "الاكتفاء بالقرآن وحده" 0
(2) أخرجه ابن المبارك في مسنده ص 143 رقم 233، وابن عبد البر في جامع بيان العلم
191/2، والحازمي في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ ص 98 0

(144/2)

- 2- وروى أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير (1) : لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له
مطرف : "والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا" 0
3- وفي هذا المعنى قال الأوزاعي : "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب" 0 قال ابن عبد
البر : "يريد أنها تقضى عليه - أى تفصل فيه - وتبين المراد منه" (2) 0
4- وقال يحيى بن أبي كثير : "السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب قاضياً على السنة" (3) 0
ويوضح الإمام الشاطبي ما يقصد العلماء بقولهم إن السنة قاضية على الكتاب فيقول : "الجواب أن
قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقدمها عليه، وإطراح الكتاب، بل إن ذلك المعبر في السنة هو
المراد في الكتاب، فكأن السنة بمنزلة التفسير، والشرح لمعانى أحكام الكتاب (4) 0

وهذا ما صرح به الإمام أحمد-رحمه الله-وتحاشا أدباً لفظ(قاضية على الكتاب) عندما سئل عن الأثر
السابق فقال:"ما أجسر على هذا أن أقوله،ولكن السنة تفسر الكتاب وتبينه" (5) 0

ماذا لو اكتفينا بالإستناد إلى القرآن وحده،

ولم نعبأ بالسنة المطهرة

- (1) مطرف:هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري،أبو عبد الله،من كبار التابعين،ثقة عابد
فاضل، مات سنة 95هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 188/2 رقم 6728، ومشاهير علماء
الأمصار ص 113 رقم 645، وتذكرة الحفاظ 1/64، 65 رقم 54، وخلاصة تذهيب الكمال
ص 249،والكاشف الذهبي 2/269 رقم 5478، والثقات للعجلي ص 431 رقم 1586 0
(2) الآثار السابقة أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 191/2، والحازمي في الاعتبار ص

(3) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 191/2، والحازمي في الاعتبار ص 99 0

(4) الموافقات 394/4، 395 0

(5) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى 25/1، وانظر : الموافقات 408/4، 409 0

(145/2)

... ثم لو سلمنا جدلاً أنه يكفي الاستناد إلى القرآن وحده، ولم نعبأ بالسنة أبداً، وتركنا القرآن يخطئ فيه المخطئون، ويتعمد فيه الكاذبون، ويتلاعب فيه الملحدون الذين طمس الله على قلوبهم وأعمى بصيرتهم، ويخوض فيه المنافقون بما يمليه عليهم رؤسائهم وشياطينهم، ويعبث فيه أهل الأهواء والبدع والضلال، بما تسوله لهم نفوسهم 0

هل يزول الخلاف بين الناس أم يزيد؟ مما لا ريب فيه أنه يزيد (1) لأن هؤلاء الذين يزعمون أنهم قادرون على استنباط كل شيء من القرآن الشريف بدون رجوع إلى بيان صاحب الرسالة (0 نراهم يكثر من المسائل العجيبة التي استنبطوها بزعمهم من القرآن، ومن الغرائب أن كثيراً من الأحكام التي يردونها لثبوتها بالسنة نجد أصلها موجوداً في القرآن الكريم عند

إمعان النظر، وأغرب من ذلك تناقضهم واختلافهم في ما يستنبطون من القرآن، فكل واحد منهم مستقل بنفسه مخالف للآخر (2) 0 بحيث تراهم في سذاجتهم وتدليسهم يعبثون بعقول الناس غاية العبث، يدخلون على الشريعة أموراً ليست منها، ويخرجون منها أموراً هي من أساساتها 0 ودونك الأمثلة :

نماذج من المسائل العجيبة التي استنبطها أعداء السنة من القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى بيان النبي (، واستعراض بدائهم عن السنة المطهرة

(1) منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 119 – 123 بتصرف واختصار، وانظر : الإسلام على مفترق الطرق ص 97، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش

مبحث (منهج القرآنيين في تفسير القرآن الكريم) ص 257 وما بعدها 0
(2) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان البدوي ص 4-5 بتصرف 0

(146/2)

... الذين يقولون : إن القرآن قد احتوى على كل شئ وفصله تفصيلاً، ولا داعى للسنة، لو أنك واجهتهم بالصلاة، وكيفية أدائها، لرأيت بعضهم يقول : "إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلى في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة، ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما يشاء" وبعبارة أخرى : إن الإنسان يجب عليه أن يصلى ركعتين على الأقل، وله أن يزيد على ذلك ما شاء أن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد ... وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن قوته، أما الصلاة المعروفة اليوم بمواقيتها وهيئتها، فما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه، وهى غير واجبة على الأمة الإسلامية فى جميع الأزمنة والأمكنة، أو فهى لا تدل على وجوب ما فوق الركعتين" (1) 0

... وفى موضع آخر يقول : "وإذا فليس عندنا دليل قطعى على وجوب هذه الأعداد - من الصلوات والركعات - والله لا يتعبنا بالظن، وحيث أن هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر القولى دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاستماتة عليها وهو المطلوب" (2) 0 ... فإذا كان الدكتور توفيق صدقى لا يؤمن بالصلاة المعروفة اليوم؛ لأنها متواترة عملاً لا قولاً فى نظره، نجد آخر على مذهبه يؤمن بالصلاة المعروفة اليوم بمواقيتها وعددها وهيئتها ... إلخ ويكفيه نقلها بالتواتر العملى (3) 0 وهو ما لم يكف توفيق صدقى!

(1) قاله الدكتور توفيق صدقى فى مقاله (الإسلام هو القرآن وحده) انظر : مجلة المنار المجلد 517/9-520 بتصرف 0

(2) انظر : مجلة المنار المجلد 9/920، 921 بتصرف 0

(3) تبصير الأمة بحقيقة السنة للدكتور إسماعيل منصور ص 17، 18 0

(147/2)

وقائل آخر يذهب إلى أن كيفية أداء الصلاة لم تأت مفصلة في الشريعة الإسلامية في كتاب الله (، وإنما جاءت مفصلة في شريعة أخرى، وهي شريعة سيدنا إبراهيم-عليه السلام-، فإذا سألت وكيف نقلت إلينا شريعة إبراهيم وأين هي؟! ومن أولئك الذين نقلوها؟ قالوا لك : لقد نقلت إلينا جيلاً بعد جيل، وتوارثها الذين نقولها أبو جهل، وأبو لهب، وغيرهم من مشركي قريش، كانوا يؤدون الصلوات الخمس مثلنا تماماً ويجنون مثلنا (1) 0

وإذا كان توفيق صدقي يذهب إلى أن عدد الركعات في كل صلاة لا يقل عن ركعتين، وإنما يزيد وأجاز تلك الزيادة على حسب ما يجده الإنسان من وقته 0 نرى آخر يرفض كل ما سبق، ويلزم بأن الصلوات كلها واحدة ركعتين ركعتين (2) 0

وإذا تأملنا في الصلوات المفروضة عندهم لرأينا ما يضحك ويبكمن التناقض البين فيما يستنبطون بفهمهم السقيم من كتاب الله (فالصلوات المفروضة عند بعضهم أربع، وعند آخر ست 0

... أما من قال هي أربع : فقال : هي طرفي النهار أى في (أولة) وهي صلاة الصبح، وآخر النهار، وهي صلاة المغرب، وطرفي الليل أى في أوله، وهي صلاة الفجر، وفي آخره وهي صلاة العشاء 0

... أما صلاة الظهر فهي عنده من الفروض التي لا ذكر لها في القرآن، وهي من الفروض التي زادها أعداء الإسلام (3) ، هكذا يهزي محمد نجيب في كتابه (الصلاة) (4) 0

... أما من يقول بأنها ست فيزيد على الصلوات الأربع السابقة صلاتي الظهر والليل، أما الظهر؛ فهي تبدأ عنده من ساعة توسط الشمس (كبد) السماء، وإلى أن يصير ظل كل شيء مثله!

-
- (1) قرآن أم حديث ص 7-10، والقرآن والحديث والإسلام ص 20، 23 كلاهما لرشاد الخليفة وانظر : الصلاة في القرآن لأحمد صبحي منصور ص 101 0
- (2) الصلاة لمحمد نجيب ص 65، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدوى 1/123 0
- (3) وعليه فمن قال بهذا ممن سيأتي ذكرهم ممن هو على مذهبه الفاسد، وملته الباطلة هو من أعداء

(148/2)

... أما صلاة الليل فهي عنده اثنتان صلاة الليل الأولى، وتبدأ من دلوك الشمس إلى (العسق) باستمرار غير منقطع، والثانية وهي من غياب الشفق إلى منتصف الليل، هذا فضلاً عن صلاة قيام الليل وهي مندوبة عنده (1) 0

... أما أحمد صبحي منصور فيذهب إلى : "أن فرائض الصلاة وركعاتها معروفة للعرب مثل معرفتهم لأيام الأسبوع، فإن القرآن يذكر بعض الفرائض مثل الفجر، والظهر، والعشاء في سياق حديثه عن تشريع آخر قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) (2) 0

... فتأمل هنا كيف يقر أحمد صبحي، وكذا من سبقه مصطفى المهدوي، بأن الظهر من فرائض الصلاة، وهي عندهم لها دليل من القرآن الكريم، وهو ما ينكره محمد نجيب ويصف، من يقول بذلك بأنه من أعداء الإسلام؟

... وعن قبلة المسلمين الأولى، والتي لا ذكر لها في القرآن الكريم تراهم يتناقضون في تحديدها حسب استنباط كل منهم من القرآن الكريم0

-
- (1) البيان القرآن لمصطفى المهدوي 107/1 – 113، وانظر : الاعتصام للشاطبي حكايته هذا القول عن أهل البدع والأهواء قديماً0 الاعتصام 61/1، وانظر : الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى لفضيلة الدكتور طه حبيشى ص 509 وما بعدها0
- (2) الآية 58 من سورة النور، وانظر : الصلاة في القرآن لأحمد صبحي منصور ص 37، 38 0

(149/2)

... فيذهب محمد نجيب إلى : أن القبلة الأولى هي بيت الرسول (، لا بيت المقدس، ويعمل ذلك بأنه : "قد ورد في القرآن الكريم أن الله (أمر سيدنا موسى وسيدنا هارون باتخاذ بيوتهما قبلة لهما وللمؤمنين عندما يصلون متجهين إليها قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (1) فكان لابد للرسول وللمسلمين معه أن يقتدوا بسيدنا موسى، ويتخذوا من بيت النبي الذي اختاره ليكون قبلة كما اتخذ موسى بيته قبلة (2) ، ويذهب إلى أن تلك القبلة لم تنسخ فيقول : "والأمر بالقبلة الأولى ليس أمراً قد انتهى أمره فلا لزوم له في القرآن إذ أنه أمر موجود ليتبعه المسلمون إذا اقتضى الأمر ذلك (3) 0هـ0

... هذا في حين نرى مصطفى المهدوي يذهب إلى أن القبلة الأولى منسوخة، ويصرح بأن تلك القبلة الأولى لا علم له بها فيقول : "وكان الله -تبارك وتعالى- قد شاء أن يستقبل رسوله في صلاته قبلة أخرى، الله أعلم بها حيث جعلها من سنة نبيه ثم نسخها بقرآن" (4) 0

... أما أحمد صبحي؛ فيقر بتوجه النبي (، ومن آمن معه نحو بيت المقدس فيقول : "فالعرب مسلمون ومشركون كانوا يتوجهون في الصلاة إلى الكعبة، وامتنحهم الله بأن أمرهم بالتوجه نحو القدس، وأطاع النبي والمؤمنون معه، وصبروا على أقاويل السفهاء، وبعد أن نجح النبي، والمؤمنون في الاختبار نزل الوحي يوجب برجاء رسول الله بالعودة إلى التوجه للبيت الحرام (5) 0هـ0

... ولم يبين لنا أحمد صبحي من أين دليله في توجه النبي (ومن آمن معه نحو بيت المقدس!!

(1) الآية 87 من سورة يونس 0

(2) الصلاة لمحمد نجيب 51، 52، 616 0

(3) المصدر السابق ص 618 0

(4) البيان بالقرآن 120/1 بتصرف 0

(5) الصلاة في القرآن ص 39 0

ثم إن إقراره بذلك يتناقض مع عدم إيمانه بالنسخ في الشريعة الإسلامية بمعنى الحذف والإلغاء (1) 0
حيث نسخ القرآن الكريم ما ورد في السنة المطهرة من التوجه في الصلاة أول الأمر إلى بيت
المقدس 0

... ومن طرائف أحمد صبحي منصور؛ أنه عندما زعم أن فرائض الصلاة وركعاتها كانت معروفة
للعرب وعليها اتباعها ذهب إلى أن : "تشرع الوضوء والطهارة والغسل والتميم لم يكن معروفاً من
قبل (أى في الجاهلية) وجاء بيانه في آيتين في المدينة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ
سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا (2)
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) (3) وهذا يعنى أن أهل الجاهلية وهم يعرفون
الصلاة بركعاتها وهيئتها ... إلخ كانوا يصلون من غير طهارة!!

... ولأن الدليل الإسلامى على تشريع الوضوء والطهارة ... إلخ مدنى كما في آية النساء، وكذا آية
المائدة (4) 0 فالمسلمون أيضاً طوال الفترة الحكية كانوا يصلون من غير طهارة!!

(1) انظر : كتابه لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن 0

(2) حدثني مصطفى منصور، أحد أتباع أحمد صبحي منصور، أن أحمد صبحي فسر التيمم في الآية
بأنك تخرج منديلاً من ثوبك فتمسح به يديك، فقلت لمصطفى ولكن ربنا (يقول : "صَعِيدًا طَيِّبًا"
والصعيد ما علا الأرض من التراب الطاهر، قال لى ليس هذا شرطاً، وإنما الصعيد ما علا فيكفك
أنك تضرب بيدك في الهواء فهو صعيد!

(3) الآية 43 من سورة النساء، وانظر : الصلاة في القرآن ص 39، 40 هامش 0

(4) الآية 6 من سورة المائدة 0

(151/2)

ونقول لهؤلاء جميعاً ما زعمتموه عبثاً من أن الصلوات المفروضة على المسلمين في اليوم والليلة، إنما
هى مرتان أو أربع أو ست، وأن طريقة الصلاة كذا وكذا لا كما يصلها المسلمون 0

فالواجب عليكم أن تثبتوا لنا أن النبي (، وأصحابه، ما كانوا يصلون في اليوم والليلة إلا مرتين، أو ست، وأنهم ما كانوا يصلون إلا بالطريقة التي تزعموها، وأنه بعد تدوين كتب الحديث صار المسلمون يصلون خمس مرات، وزادوا فيه كذا وكذا من الأركان تبعاً للمحدثين، والفقهاء، فإن لم تستطيعوا إثبات ذلك - ولن تستطيعوه إلى يوم القيامة - يكون مآل دعواكم أن النبي (اخطأ في فهم الوحي الذي أنزل عليه (حاشاه من ذلك) وأنتم (أيها الأعاجم الجهلة) وفقتم لإصلاح ذلك الخطأ وبيان الصواب⁰

... فهل يمكن لمسلم، بل لعاقل أن يتفوه بهذا الكلام الجنوني؟ أعاذنا الله من ذلك (1) 0 وعن بقية أركان الإسلام من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن صيام، وزكاة، وحج، حدث ولا حرج عن شذوذ ما يستنبطون بما تمليه عليهم نفوسهم المريضة⁰

... فشهادة أن محمداً رسول الله، والتي هي جزء لا يتجزأ من شهادة أن لا إله إلا الله، هذه الشهادة تكرارها بجانب شهادة أن لا إله إلا الله؛ يعد شركاً أكبر (2) 0

-
- (1) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد الندوى ص 27، 28، بتصرف⁰
(2) قرآن أم حديث ص 33، 20، والقرآن والحديث والإسلام ص 43، 41، 38، كلاهما لرشاد خليفة⁰

(152/2)

... ويقول المتنبي الكذاب رشاد خليفة عن صيغة التشهد، وما فيها من حمد وتمجيد، لرسول الله (، وآله : "لقد أمرنا الله ألا نذكر أى اسم في الصلاة سوى اسمه : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (1) إلا أن جماهير المسلمين اليوم ابتدعوا بدعة، حمد محمد، وإبراهيم وتمجيدها وهم يصلون لربهم ... لقد أغوى الشيطان المسلمين بترديد بدعة "التشهد"، حيث يمتطرون محمداً وإبراهيم بالحمد والتمجيد⁰ أليس هذا شركاً صارخاً ؟ (2)

... ويعلل محمد نجيب بأن حمد وتمجيد نبيين (محمد وإبراهيم) -عليهما الصلاة والسلام- دون

غيرهما فيه تفريق بين رسل الله (3) وبذلك حدثني مصطفى منصور أحد أتباع أحمد صبحي عن أحمد صبحي أنه قال : "لا يجب تكرار شهادة أن محمداً رسول الله في الأذان حتى لا يكون هناك تفرقة بين رسل الله (، ولأننا لو قلنا بهذه الشهادة لوجب علينا أن نشهد أيضاً بأن إبراهيم رسول الله، وموسى رسول الله، وعيسى رسول الله ... وهكذا وهو أمر يطول0

وتناسى هؤلاء أن الإيمان بمحمد (وإعلان تلك الشهادة هو إيمان بكل الأنبياء، لأنه (خاتمهم، قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (4) 0

(1) الآية 18 من سورة الجن0

(2) القرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص 38، وانظر : الصلاة في القرآن لأحمد صبحي

منصور ص 51 – 56 0

(3) الصلاة محمد نجيب ص 78، 79 0

(4) الآية 81 من سورة آل عمران0

(153/2)

... وما قيل في الصلاة من تناقض، يقال مثله في بقية أركان الإسلام من صيام، وزكاة، وحج، فتلك العبادات جاءت مفصلة في شريعة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – يقول المتنبي الكذاب رشاد خليفة : "جميع العبادات بتفاصيلها (عدد الصلوات وعدد الركعات، ومقدار الزكاة، وكيفية الصيام، وكيفية الحج) نزلت على إبراهيم-عليه السلام-أما محمد-عليه السلام-فكانت مهمته الوحيدة هي تبليغ القرآن (ما على الرسول إلا البلاغ): (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (1) 0 وهكذا نتعلم من القرآن أن الصلاة بتفاصيلها، والزكاة بتفاصيلها، والصيام بتفاصيله، والحج بتفاصيله؛ قد تم تعليمهم لإبراهيم -عليه السلام-، ثم تواترت إلينا جيلاً بعد جيل" (2) أ0هـ

... وهذه الشعائر الإسلامية عدم ذكر تفاصيلها في القرآن الكريم في نظر بعض أعداء السنة؛ لأنها متروكة لأولى الأمر لاختيار المناسب منها كل حسب الزمان والمكان⁰

(1) الآيتان 26، 27 من سورة الحج⁰

(2) قرآن أم حديث ص 16، وانظر : القرآن والحديث والإسلام ص 22، 24، 28 0

(154/2)

يقول توفيق صدقي : "إن ربع العشر في الزكاة إذا قام بإصلاح حال الفقراء، والمساكين، وأبناء السبيل، والغارمين، وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة، والمؤلفة قلوبهم، وفي سبيل الله، وفي تحرير الرقاب، إذا قام بكل هذه الشئون في زمن أو بلد فليس ضرورياً أن يكون كافياً كذلك في زمن آخر، أو في بلدة أخرى⁰ ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شئ من ذلك في كتابه تعالى، فما بينته السنة للعرب في ذلك لا يصلح لجميع الأمم في الأوقات المختلفة" (1) 0 ومن قال بذلك محمود محمد طه (2) ، وتابعه عبد الله أحمد النعيم (3) ، وجمال البنا الذي يصرح بأن الحكمة في عدم ذكر القرآن الكريم تفاصيل الصلاة، والصيام، والزكاة،

(1) انظر : مجلة المنار المجلد 521، 522/9 مقال (الإسلام هو القرآن وحده) بتصرف، وانظر: المجلد 909/9، 913، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص 366-430 0

(2) محمود محمد طه : واحد من دعاة الفتنة وأدعياء العلم، سوداني الجنسية، ادعى النبوة، وزعم أن الزكاة تشريع مؤقت ملائم للعصور الأولى القاصرة، ولذا لا تصلح لهذا العصر الراقي المتطور، بل يجب أن نترقى في هذا العصر إلى روح الإسلام وهي العدالة الاشتراكية، كما أنكر أحاديث التوحيد⁰ فقد يصل المرء إلى درجة الإلهية، وأجاز إسقاط الصلاة للخواص⁰ أعدمه على زندقته حاكم السودان (جعفر النميري) انظر : المحاضرة الدفاعية عن السنة للدكتور محمد أمان على الجامي ص 7 وما بعدها⁰

(3) عبد الله أحمد النعيم : كاتب سوداني، حصل على العالمية في القانون من جامعة أدنبره/أسكوتلندا، رئيس الجمعية الدولية للدراسات القانونية في العالم الثالث (نيويورك) منذ 1990-

حتى الآن 0 = من تلاميذ مسيلمة الكذاب محمود محمد طه، ويدعوا إلى فكره 0 انظر : كتابه نحو تطوير التشريع الإسلامي 0 وانظر : الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي ص 570 وما بعدها 0

(155/2)

والحج، والشورى ... إلخ؛ أن بيان الرسول (ليس تشريعاً دائماً ولازماً؛ فتركنا الإسلام لما يستجد في كل زمان ومكان 0 ولو فصل القرآن لأوقع الحرج على الأجيال الآتية، ولا مانع من تأبد السنة إذا كانت في أخلاق النبي (وسياسته، وصدقه، وكرمه أو موقفه كقائد ورجل دولة 0 ولكن عندما يكون الأمر أمر "الأحكام" فلا تأبد للسنة، فهذا ما يتفاعل مع الزمان والمكان ويتأثر بالأوضاع (1) 0

... ويقول محمد شحرور : "علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود التي لم يرد نص فيها في الكتاب على أنها أحاديث مرحلية قُبلت حسب الظروف السائدة" (2) وينكر مصطفى المهدي الحدود في الإسلام زاعماً أنها ما هي إلا الأحكام الشرعية مثل أحكام الصيام، وأحكام الطلاق، وأحكام الموارث (3) 0 وعند ذكره لقوله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) (4) 0

... قال : "إن الله يرخص لأولى الأمر اختيار الجزاء المناسب دون تحديد؛ كالحبس، والغرامة، والتوبيخ، والحرمان من بعض الحقوق المدنية والسياسية" (5) 0هـ

(1) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 92، 193، 202 0

(2) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 572 0

(3) البيان بالقرآن 335/2 0

(4) الآية 33 من سورة المائدة 0

(5) البيان بالقرآن 339/2 0

(156/2)

... ويتجراً الدكتور أحمد زكى أبو شادى من مصر : على جواز تبدل الأحكام وفق الظروف والأسباب ليس فى السنة النبوية فقط، بل فى القرآن الكريم أيضاً فيقول : "القرآن الكريم، والأحاديث النبوية مبادئ خلقية وسلوكية مسببة، بحيث أن أحكامها عرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأسباب، ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام مترتبة لا تقبل التعديل وفقاً لتبدل الأسباب والظروف" (1) 0

... ولا يقف الأمر عند هؤلاء النابتة الضالة عند هذا الحد، وإنما نجدهم ينكرون من الأمور المتواترة والبديهية ما لا ينكره إلا جاهل مغرور حيث تجد بعضهم ينكر زواج سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بهاجر، ويزعم أن إسماعيل -عليه السلام- ليس ابن إبراهيم يقول مصطفى المهدي : "إننا لا نعرف لإبراهيم -عليه السلام- إلا زوجاً واحدة، هى التى بشرها الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، أما إسماعيل -عليه السلام- فلم يقل أحد أنه ابن إبراهيم من زوج أخرى إلا اليهود فى أسفارهم، ومن شايعهم فى ذلك من المسلمين فيما جاؤوا به من الأساطير" (2) ، ثم يذهب المهدي إلى أن هبة إسماعيل لإبراهيم فى قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (3) هذه الهبة هبة عون وتوفيق، كما قال (فى حق سيدنا موسى -عليه السلام- : (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) (4) ولكن ماذا هو قائل فى قوله تعالى : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (5) هل الهبة هنا هبة عون وتوفيق؟

(1) ثورة الإسلام ص 57 0

(2) البيان بالقرآن 538/2 0

(3) الآية 39 من سورة إبراهيم 0

(4) الآية 53 من سورة مريم، وانظر : البيان بالقرآن 539/2 0

(5) الآية 38 من سورة آل عمران 0

... ويؤكد المهدوى ما يهذى به قائلاً : "وليس في القرآن بينة ظاهرة على أن إسماعيل كان ابناً لإبراهيم، ولا نعلم له زوجاً غير التى جاءتها البشرى ولا نعلم أن له ابناً غير إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب" (1) وهكذا أعمى الله بصيرته عن البينة الظاهرة فى كتابه بأن إسماعيل كان ابناً لإبراهيم من زوجته هاجر فى قوله تعالى : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) (2) وقوله تعالى : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) (100) فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَاقُوتُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) (3) فالذبيح فى الآية الكريمة : إنما هو ابنه إسماعيل - عليه السلام - باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، وما حملهم على تحريف الذبيح بأنه إسحاق إلا لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز والذين منهم رسول الله (فحسدوهم⁰ على أمر الله فى إسماعيل - عليه السلام - والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فأرادوا أن يجرؤوا هذا الشرف إليهم، فحرفوا كلام الله وزادوا فيه، وهم قوم بهت، ولم يقرؤا بأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء⁰

(1) البيان بالقرآن 540/2 0

(2) الآية 37 من سورة إبراهيم⁰

(3) الآيات 100 - 102 من سورة الصافات⁰

(158/2)

ومن أحسن ما استدلل به محمد بن كعب القرظى (1) ، على أن الذبيح إسماعيل، وليس إسحاق من قوله تعالى : (فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (2) 0 قال فكيف تقع البشارة بإسحاق، وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له؟ (3) أ⁰ه⁰

... ومن العجيب أن المهدوى ذكر قصة ابتلاء سيدنا إبراهيم - عليه السلام - بابنه الذبيح ولم يصرح لنا بمن هو الذبيح؟! (4) فإن قال هو إسحاق فهذا مما جاء فى أسفار اليهود التى ينكرها وينكر ما جاء فيها أيضاً من زواج سيدنا إبراهيم - عليه السلام - بهاجر وأن له منها ابنه إسماعيل عليه السلام!! وإن قال الذبيح هو إسماعيل وهو الحق فذلك من السنة المطهرة التى يحجدها، والتى تصرح، بأن إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - من زوجته هاجر!! فياترى من يكون الذبيح

عنده؟؟!!

... ويذهب مصطفى المهدوى إلى إنكار زواج النبی (بأكثر من أربع فيقول : "ولا نعلم عدد أزواجه
(، ولكننا نعلم بيقين : أنه لم يكن ليجمع بين أكثر من أربع زوجات في وقت واحد" (5) !!

(1) محمد هو : محمد بن كعب بن سليم القرظى أبو حمزة، من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن
ثقة حجة مات سنة 120هـ وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة في تقريب التهذيب 128/2 رقم 6277،
والكاشف 213/2 رقم 5129، ومشاهير علماء الأمصار ص 85 رقم 436، والثقات للعجلي
411 رقم 1495، والبداية والنهاية 268/9، وشذرات الذهب 136/1 0

(2) الآية 71 من سورة هود0

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 14/4-19، وانظر : البداية والنهاية 144/1 - 150 0

(4) البيان بالقرآن 540/2 - 543 0

(5) المصدر السابق 623/2 وراجع من نفس المصدر 385/1 - 386 0

(159/2)

... ويفرق بين الاحتلام، والجنابة في وجوب الغسل فيقول : "إنه ليس من المنطق في شئ أن نقيس
الاحتلام بالجنابة، كما يقول البعض، فيفرض الاغتسال من الاحتلام كما فرض الاغتسال من الجنابة"
(1) 0هـ0

... وليس هذا فقط، بل نجد من شواذ استنباط أعداء السنة من القرآن الكريم تصريح بعضهم بأن
لحم الكلب والحمار حلال؛ لاقتصار المحرمات في القرآن الكريم على قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا
أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ) (2) 0

بل ويحللون الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها في وقت واحد :

(1) البيان بالقرآن 114/1 0

(2) الآية 145 من سورة الأنعام0

يقول جمال البنا : "هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن فما لا يخالف القرآن يقبل، وما يخالفه يستبعد، فتحريم زواج المرأة على عمتها وخالتها، وتحريم لحم الحمر الأهلية أمور لا نرى مانعاً فيها، ونجد فيها قياساً سليماً (1) 0

(1) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي للدكتور أحمد حجازي السقا ص8، 61 هامش، وص 199، وانظر : له أيضاً : حقيقة السنة النبوية ص 9، وانظر : السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 254، ولماذا القرآن لأحمد صبحي منصور ص 64، وهؤلاء فيما ذهبوا إليه تبع لأسلافهم من المبتدعة كما حكاها عنهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص 194، والشاطبي في كتابيه : الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم التي انخرقت عنه سبل أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان 560/2، والموافقات 422/4، ومن شواذ فكر أعداء السنة، وما يدل على صلتهم بأعداء ديننا وأمتنا، وقولهم بما يحقق أهدافهم، ما حدثني به مصطفى منصور، عن أحمد صبحي منصور، أنه زعم أن المسجد الأقصى ليس في فلسطين وإنما هو في سيناء، فلما قلت له وأين الدليل على ذلك من كتاب الله (، قال آية الإسراء، وآية التين، ففي آية الإسراء يقول = تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى"، الآية 1 من سورة الإسراء، وفي سورة التين يقول تعالى : "وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ" الآيتان 3، 2 من سورة التين وقال : فكما ربط بين المسجدين في سورة الإسراء، ربط هنا بينهما في سورة التين بين البلد الأمين، وهو المسجد الحرام، وطور سينين وهو المسجد الأقصى !!؟ وهذا أيضاً ما كان يقول به مسيلمة الكذاب (محمد رشاد خليفة في أحاديثه الإذاعية في مسجد توسان بأمريكا، وفي العالم العربي، كما حدثني بذلك فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي 0

وهكذا يفترون على الشريعة بما فهموا ويدينون به ويخالفون الراسخين في العلم وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط (1) 0

وليت شعري إذا كان إهمال السنة يؤدي إلى كل هذا الهراء واللغط في القرآن الكريم، ألا يكون حفظه وفهمه متوقفاً على حفظها ومستلزماً له؟!

نعم الكتاب أحوج إلى السنة، من السنة إلى الكتاب 0

كلمة أخيرة في بدائل السنة عند أعدائها

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى بعد أن تعرض للبديل عن السنة النبوية المطهرة في نظر أعدائها قال : "والقوم قد أرادوا أن يملأوا هذه الساحة بواحدة من ثلاث :

1- أرادوا أن يملأوها بالإبراهيمية 0

2- وأرادوا أن يملأوها بما تعارف عليه الناس 0

(1) انظر : الاعتصام للشاطبي، باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال 1/191 0

(162/2)

3- وأرادوا أن يملأوها بإعادة صياغة المنظومة الإسلامية على ما يريدون، فانتهوا بعد هذا العناء كله إلى نتيجة محددة وهي أنهم قد ملأوا الفراغ بالفراغ، وقبضوا في أيديهم على الماء والهواء، وشددوا القبضة طائنين أن الهواء لا يتفلت، وأن الماء لا يتسرب، وسوف يفتحون أيديهم يوماً فيجدونها صفراً، وسوف يقدمون على الله يوماً فلا يجدون إلا تحقيق هذا النص الكريم : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (1) 0

قال الحافظ ابن عبد البر : "أهل البدع أجمع أضربوا عن السنن وتناولوا الكتاب على غير ما بينت السنة، فضلوا وأضلوا، وأخرج بسنده عن ابن مسعود (قال : "ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله عز وجل وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتتبع، وعليكم

- (1) الآيتان 39، 40 من سورة النور، وانظر : السنة في مواجهة أعدائها ص 160، واللعب الأخير في مجال إنكار سنة البشير النذير ص 84 0
- (2) جامع بيان العلم وفضله، باب فيمن تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة 2/193 0

(163/2)

... ويقول الأستاذ محمد أسد مؤكداً ما سبق أن ذكرناه أن غياب السنة يزيد الخلاف بين الناس في فهم تعاليم القرآن الكريم قال : "وفي الحقيقة يجب علينا أن نعتبر أن السنة إنما هي التفسير الوحيد لتعاليم القرآن الكريم والوسيلة الوحيدة لاجتناب الخلاف في تأويل التعاليم وتطبيقها في الحياة العملية" (1) أ0هـ

... وفي موضع آخر يقول : "من أجل هذا كله نرانا مضطرين إلى أن نعمل بسنة بنينا (قلباً وقالباً) إذا أردنا أن نخلص وجهنا للإسلام (2) أ0هـ

يا أهل الكتاب، ويا أهل الهوى، تعالوا لننظر ماذا يوجد في الحديث،
وأى مقدار منه يصلح أن يكون مجالاً للبحث والمناقشة

- ... وأقول للمنكرين لسنة النبي (المتمسحين كذباً بإيمانهم بكتاب الله) تعالوا لننظر ماذا يوجد في الحديث، وأى مقدار منه يصلح أن يكون مجالاً للبحث والمناقشة :
- 1- لا يخفى أن القسم الأعظم من الحديث تاريخي، أعنى أنه يشتمل على أخبار الرسول (، وأصحابه الكرام، ووقائعهم، وبيان جليل أعمالهم، وهذا القسم غير قابل للبحث والمناقشة عند كل ذى عقل سليم، لأنه عبارة عن جزء من تاريخ العالم، مثل سائر تواريخ الأمم، إلا أنه يمتاز عنها بصحة المأخذ وضبط الرواية، وتسلسل الأسانيد، ومطابقتها لأصول النقد بحيث أن هذا الوصف لا يشاركه فيه تاريخ أمة من الأمم، لا الرومان، ولا الفرس، ولا اليونان، ولا الهند، ولا مصر ... إلخ 0
- 2- والقسم الثاني : أخلاقي تهديبي، يحتوى على الحكم والآداب والنصائح، مثل مدح الصدق،

والعدل، والإحسان، والاتحاد، والتعاون، وسائر الفضائل والحث عليها وذم الكذب، والظلم،
والفسق، والفساد، وسائر الرذائل والصد عنها⁰ فهذه الأمور تؤيدها الفطرة الإنسانية، وأصولها
موجودة في القرآن فهل فيها شيء يستحق الرد !!؟

(1) الإسلام على مفترق الطرق ص 90 0

(2) المصدر السابق ص 103 0

(164/2)

3- العقائد : أصول العقائد المذكورة في القرآن (1) ، مثل التوحيد، والصفات الإلهية، والرسالة،
والبعث، وجزاء الأعمال⁰ ولا يوجد في الحديث الصحيح إلا ما يؤيد هذه الأصول ويوضحها
ويقررها، أو يكون من جزئياتها ونظائرها، ولا يوجد فيها ما يكون مخالفاً لعقائد القرآن، أو زائداً
عليها بحيث لا يكون له أصل في القرآن⁰ وكل ما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في العقائد تجد
مثله في القرآن، ويجرى فيه ما يجري في القرآن من التفويض أو التأويل، حسب اختلاف مدارك
الأفهام والطبائع الإنسانية، فمنها ما يقبل التسليم والتفويض، ومنها ما لا يقنعه إلا التأويل الموافق
لعقله والذي يطمئن به قلبه⁰ وأما الأحاديث التي فيها مخالفة للقرآن أو العقل السليم فلا تجدها إلا
من الموضوعات والواهيات⁰ ومثلها لا يجوز ذكرها إلا مع بيان وضعها - فضلاً عن التمسك بها⁰
وهذا بإجماع المسلمين⁰

4- الأحكام : هذا القسم أكثره ثابت بالأحاديث المستفيضة المشهورة، وهي قد رويت بطرق كثيرة
صحيحة، ولكنها لم تبلغ حد التواتر وبعضها من الآحاد ولكنها صحاح⁰ وأما الأحاديث الضعيفة
فهى عند الجمهور من المحدثين والفقهاء لا تقبل في الأحكام، والمحققون لا يقبلونها في غير الأحكام
أيضاً (2) 0

... فأما الاحتجاج بالخبر المستفيض المشهور فلا يتصور وجود عاقل ينكر ثبوت الحكم بمثل هذا
الخبر، ولزوم العمل به لمن يبلغه، وإلا بطل نظام العالم، فهذه قوانين الحكومات إذا نشرت في عدة
جرائد معتبرة، أو في الجريدة الرسمية للحكومة يلزم العمل بتلك القوانين لكل أحد من رعايا تلك
الحكومة، ولا يسعه الاعتذار بأنها لم تبلغه بالتواتر⁰

- (1) انظر : الموافقات للشاطبي 396/4 المسألة الثالثة "أصول السنة في القرآن" وانظر : في نفس المصدر 434/4 ، ومختصر الصواعق المرسله لابن قيم الجوزية 508/2 0
- (2) انظر : تفصيل ذلك في الأجوبة الفاضلة للعلامة اللكنوى ص 46 – 59 0

(165/2)

... وأما الآحاد الصحاح فكذلك العمل بها جار في سائر أنحاء العالم، مثلاً إذا أتانا رجل معتبر، وبلغنا أن فلاناً يطلبك، فحالاً نلبي طلبه، ولا نسأله أن يأتينا بالشهود على صحة قوله، إلا إذا وجدت هناك قرينة مانعة عن قبول خبرة فحينئذ نثبت قبل الذهاب 0

... وهكذا الأمر في الأحاديث الآحادية الصحيحة : تقبل في الأحكام ويعمل بها ما لم يوجد أمر مانع من قبولها، مثل كونها مخالفة للقرآن أو السنة المتواترة أو المشهورة، أو كونها متروكة العمل في زمن الخلفاء الراشدين والصحابة، ففي هذه الحالة يحق لكل عالم أن يتوقف – وأقول يتوقف ولا يرد ويحجد – العمل بها، وأن يبحث عنها إلى أن يزول الإشكال، ويطمئن إليه الخاطر 0 وأما ترك العمل بالآحاد الصحاح مطلقاً من غير وجود علة مانعة من قبولها فغير معقول، ومخالف لما هو جار في سائر المعاملات الدنيوية" (1) أ 0هـ

... أما زعمكم بأن أحاديث الأحكام من العبادات (صلاة، وصيام، زكاة، وحج) ومن معاملات وحدود ... إلخ أحاديث غير صالحة لكل زمان ومكان، والأمر فيها متروك لأولى الأمر كل يختار ما يناسب زمانه ومكانه، حتى لو اقتضى الأمر تركها بالكلية والأخذ بما يخالفها من تشريعات وضعية 0

... فهذا ما لا يقوله مسلم يؤمن بالله رباً، ومحمد (نبياً ورسولاً، وبالإسلام عقيدة وشريعة صالحة لكل زمان ومكان 0

... لأن أحاديث الأحكام التي توجد في الأحاديث الصحيحة هي مأخوذة ومستنبطة من القرآن الكريم، استنبطها النبي (من القرآن بتأييد إلهي، ووحى رباني وهذا الاستنباط يسمى في اصطلاح القرآن تارة "تبيناً" وتارة "إراءة" قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

(1) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد الندوى، ص 14 - 17 0

(166/2)

لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (1) وقال جل جلاله : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (2) 0
وأصبح لهذا البيان صفة المبين من حيث وجوب قبوله ووجوب العمل به وصالحيته لكل زمان ومكان،
ولا يقول بخلاف هذا مسلم 0

... ويقول الأستاذ محمد أسد رداً على من يفرقون في الالتزام بين أوامر الرسول في العبادات وبين
غيرها من الأوامر التي تنظم حياة المجتمعات : "وإنه لمن الجهل بالإسلام أن يحاول أحدا أن يفرق بين
أوامر للرسول تتعلق بأمور تعبدية روحية خالصة، وبين غيرها من التي تتصل بقضايا المجتمع وقضايا
حياتنا اليومية، وإن القول بأننا مجبرون على اتباع الأوامر المتعلقة بالنوع الأول، ولكننا لسنا مجبرين
على أن نتبع الأوامر المتعلقة بالنوع الثاني، إنما هو نظر سطحي، وهو فوق ذلك مناهض في روحه
للإسلام، مثل الفكرة القائلة بأن بعض أوامر القرآن الكريم قد قصد بها العرب الذين عاصروا نزول
الوحي، لا النخبة من الأكياس (الجنّالمان) الذين يعيشون في القرن العشرين 0 إن هذا بخس شديد
لقدر النور النبوي الذي قام به المصطفى (3) 0هـ

كلمة أخيرة للمنكرين للسنة النبوية، والقاصرين مهمة الرسول)
على بلاغ القرآن الكريم فقط

(1) الآية 44 من سورة النحل 0

(2) الآية 105 من سورة النساء، وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للندوى ص 18 0

(3) الإسلام على مفترق الطرق ص 88، 89، وانظر : ما قاله عن الإسلام كدين ودولة ص 110

0

(167/2)

... ونقول لمن ينكرون هذا البيان النبوي قاصرين مهمة النبي (على بلاغ القرآن الكريم فقط متبجحين في قولهم : "محمد ممنوع من التفوه بأى تعاليم دينية سوى القرآن" (1) ، وقولهم: "أمر محمد بتبليغ القرآن فقط بدون أى تغيير، وألا يخلق أى شئ آخر" (2) وقولهم: "إن مهمة الرسول الوحيدة: هي تبليغ القرآن بدون أى تغيير، أو إضافة، أو اختزال، أو شرح" (3) 0

... نقول لكم والله ما نبغى بالقرآن بدلاً ولكن أخبرونا كيف نفهم القرآن؟ أو بعبارة أعم من هذه : كيف نفهم مراد القائل من كلامه؟

... ولا يخفى أن علم أصول الفقه جل مباحثه تدور حول هذه المسألة، أعنى طريقة فهم معنى الكلام والاستنباط منه؛ فمثلاً إذا وردت في القرآن الكريم كلمة لها معان متعددة عند العرب، أو كلمة لها معنى حقيقى ومعنى مجازى، فكيف نعين المراد بتلك الكلمة؟ أو إذا ورد لفظ عام فكيف نعلم أن المقصود منه جميع أفرادها أو بعضها، أو إذا ورد حكم مطلق فكيف نعرف هل هو باق على إطلاقه أم قيد منه شئ؟ إلى غير ذلك من المسائل 0

... وهناك أمر آخر، وهو أن المعانى المفهومة من الكلام على أنواع : فمنها ما يفهم من ألفاظه صراحة، ومنها ما يفهم منه بطريق الإشارة والكناية، ومنها ما يفهم من سياق الكلام، فلا يقال لشيئ منها أن هذا الكلام لا يشمل 0

(1) القرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص 2 0

(2) المصدر السابق ص 3 0

(3) المصدر نفسه ص 13، وانظر من نفس المصدر ص 33، 18، 17، وانظر: قرآن أم حديث ص 16، 2، وانظر: الصلاة محمد نجيب 271، 272، ولماذا القرآن 43-48، والمسلم العاصى ص 13

(168/2)

... فكذلك الأمر في القرآن، أعنى إذا كان الشئ غير مذكور فيه صراحة ولكنه يفهم من سياقه أو إشاراته، فلا يقال إنه ليس في القرآن مطلقاً 0 وإذا كان النبي (مأموراً بتبيين القرآن والحكم بين الناس

بما أراه الله (كما سبق في آيتي النحل، والنساء، ونزلت مثلاً آيات الصيام، ولم يذكر فيها حكم الأكل والشرب بالنسيان في الصوم، فجاء رجل إلى النبي (وقال : يا رسول الله أكلت ناسياً في الصوم 0 فأفتاه النبي (بأن صومه صحيح (1) لأن الخطأ والنسيان معفو عنهما، مستتبطيناً من قوله تعالى : (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) (2) 0

... فهل يقال : إن هذا الحديث مخالف للقرآن؛ لأنه ليس فيه أن الصوم لا يفسده الأكل بالنسيان؟ أو يقال : إنه لم يكن للنبي (أن يستنبط هذا الحكم من الآية الأخرى التي لا تتعلق بالصوم!!؟ ... وهنا نريد أن نسأل هؤلاء المنكرين لسنة النبي (: إذا كان يجوز لكم أن تستنبطوا من القرآن كل ما تريدون، وتفسروه كما تفهمون، مع بعدكم عن العصر والحيط اللذين نزل فيهما القرآن، ومع كونكم أعجماً من غير أهل اللسان أفما كان يحق هذا لمن نزل عليه القرآن، وأمر بتبيينه على الوجوب (3) ، وكان أفصح أهل اللسان، بل أحق الناس بالبيان، والاستنباط من القرآن؟! تفاوت الأفهام :

-
- (1) ففي الصحيح مرفوعاً : "من نسي وهو صائم، أكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه" أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصوم باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً 183/4، 184 رقم 1933، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر 291/4، رقم 1155 من حديث أبي هريرة (واللفظ لمسلم 0
 - (2) جزء من الآية 5 من سورة الأحزاب 0
 - (3) انظر : البحر المحيط للزركشي 483/3 0

(169/2)

... ثم لا يخفى على أحد أن كل الناس ليسوا سوء في الاستعداد والفهم وصفاء الذهن، ولهذا السبب يقرأ القرآن الكريم كل أحد ولكنهم يختلفون في فهم معانيه، فالعالم يفهم منه ما لا يفهمه الجاهل، وقد سبق بيان نماذج من المسائل الشاذة التي استنبطها الشواذ بعقولهم من القرآن الكريم، وتناقضوا تناقضاً فاضحاً فيما بينهم 0 فإذا كان العالم يفهم ما لا يفهمه الجاهل، والعلماء أيضاً متفاوتون في

الفهم والعلم كما قال رب العزة : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (1) فأى فهم أولى بالقبول، وبتوحيد كلمة المسلمين، أفهم رسول الله (أم فهم المنكرين لسنته؟!)

... قال تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)
(2) وقال تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (3) 0

وقديماً دخل رجل من أهل الكوفة على الإمام أبي حنيفة، والحديث يقرأ عنده، فقال الرجل : دعونا من هذه الأحاديث! فزجره الإمام أشد الزجر، وقال له : لولا السنة ما فهم أحد من القرآن 0 ثم قال للرجل : ما نقول في لحم القرد؟ وأين دليله من القرآن؟ فأفحم الرجل، فقال للإمام : فما تقول أنت فيه؟ فقال : ليس هو من بهيمة الأنعام (4) 0هـ
علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة :

(1) جزء من الآية 76 من سورة يوسف، وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للدوى ص 5-8 بتصرف 0

(2) جزء من الآية 59 من سورة النساء 0

(3) جزء من الآية 43 من سورة النحل 0

(4) انظر : الميزان للشعراني 58/1، وقواعد التحديث للقاسمي ص 298، ولحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص 32، 33 0

(170/2)

... تبين فيما سبق أن الله (قد أوكل إلى رسوله (مهمة بيان ما في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (1) وقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (2) 0

... ومن هنا نستطيع القول أن علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة هي علاقة البيان، وهذا البيان له أنواع متعددة، يمكن حصرها في ثلاثة أقسام رئيسية (3) :

أولاً : أن تأتي السنة مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم ومثبتة له⁰
ثانياً : أن تأتي السنة مبينة لما في القرآن الكريم ويأتي هذا البيان على أربعة أنواع :
... 1- تفصيل الجمل ... 2- تقييد المطلق ...
3- تخصيص العام ... 4- توضيح المشكل
ثالثاً : أن تستقل السنة بتأسيس الأحكام من غير أن يسبق لها ذكر في القرآن الكريم :
والأصل في ذلك ما ورد في القرآن الكريم من آيات توجب على المؤمنين طاعة الرسول (طاعة مطلقة
فيما يأمر به، وينهى عنه، وتحذر من مخالفة أمره، وسبق تفصيل ذلك في مبحث الأدلة القرآنية على
حجية السنة (4) 0

أولاً : تأكيد السنة للقرآن الكريم :

-
- (1) الآية 44 من سورة النحل 0
(2) الآية 105 من سورة النساء 0
(3) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية 2/288 0
(4) راجع : ص 469-475، وانظر : تيسير اللطيف الخبير لفضييلة الدكتور مروان شاهين ص 31
بتصرف 0

(171/2)

... بمعنى أن يأتي ذكر الشيء في القرآن الكريم، ونفس الشيء أيضاً تذكره السنة المطهرة والعلاقة
الجامعة بينهما - حينئذ - هو تأكيد السنة لما ورد في القرآن الكريم فمن ذلك مثلاً قوله تعالى :
(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (1) ونجد نفس المعنى تقريباً
فيما روى عن أبي موسى (قال : قال رسول الله (: "إن الله (يملئ للظالم 0 فإذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ
: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (2) ومن ذلك أيضاً قوله
تعالى في حق سيدنا إبراهيم -عليه السلام- (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) (3) ونجد نفس المعنى في قول النبي (:
: "لم يكذب إبراهيم النبي - عليه السلام - قط، إلا ثلاث كذبات 0 ثنتين في ذات الله قوله : "إِنِّي
سَقِيمٌ" 0 وقوله تعالى : "بل فعله كبيرهم هذا" 0 وواحدة في شأن سارة ... الحديث" (4) 0

(1) الآية 102 من سورة هود0

(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ" 8 / 205 رقم 4686، وأخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم 8 / 378 رقم 2583 واللفظ له 0

(3) الآية 89 من سورة الصافات0

(4) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى : "واتخذ الله إبراهيم خليلاً" 447/6 رقم 3358، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل (، وانظر : الموافقات 4 / 436، 8 / 134 - 135 رقم 2271 من حديث أبي هريرة (واللفظ لمسلم، وتأويل مختلف الحديث ص 44 وما بعدها0

(172/2)

... والأمثلة على تأكيد السنة الشريفة للقرآن الكريم كثيرة جداً فيما يتعلق بالعبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ووسائل ومقدمات تلك العبادات من الطهارة، وكذا تأكيد السنة للقرآن الكريم فيما يتعلق بالمعاملات من البيع، والربا، والقرض، والرهن، والشركة، والوكالة ... إلخ، وكذا تأكيد السنة للقرآن فيما يتعلق بالجنايات، والحدود في الإسلام، وكذا التأكيد فيما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج، وطلاق، وميراث ... إلخ وقد استوعب تفصيل ذلك بالأمثلة الأستاذ محمد سعيد منصور في كتابه (منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية) (1) :

وبالجملة فهذا النوع من البيان النبوى وهو التأكيد، يشمل كل جوانب التشريع القرآنى0

ثانياً : بيان السنة لما جاء فى القرآن الكريم ولهذا البيان أنواع (2) منها :

1- تفصيل الجمل (3) : بمعنى أن يأتى الشئ فى القرآن الكريم مجملاً وموجزاً لا نستطيع

أن نفهم المراد منه إلا بعد تفصيله، فتتولى السنة ذلك التفصيل (4) 0

(1) انظر : ص 129 – 337 0

(2) راجع : مراتب البيان في الرسالة للشافعي ص 21 – 53 فقرات من رقم 53-178، وانظر:

البرهان في أصول الفقه للجويني 39/1 وما بعدها، وإرشاد الفحول للشوكاني 31/2 – 35 0

(3) انظر : في تعريفه لسان العرب لابن منظور 128/11، ومختار الصحاح للرازي ص 47، وانظر:

المعتمد في أصول الفقه 293/1، وأصول السرخسي 168/1، والإحكام للآمدي 165/2 0

(4) وقد يأتي الشيء مجملاً في السنة فيبينه القرآن الكريم مثل قوله (: "أمرت أن أقاتل الناس"

الحديث، ثم فسر الله تعالى ذلك وبينه في سورة براءة بقوله : "فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ" الآية 5 من سورة التوبة، وانظر : البحر المحيط للزركشي 489/3 0

(173/2)

... من ذلك مثلاً ما ورد في القرآن الكريم عن الصلاة وهي ركن الإسلام الأول بعد الشهادتين، وبها

يتحدد الفرق بين المؤمنين وغيرهم، فماذا جاء عن الصلاة في القرآن الكريم؟ لقد جاء الحديث عنها

موجزاً ومختصراً، في قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (1) 0 وقال تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (2) 0 وقال تعالى:(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (3) إن هذه الآيات

توضح : أن الله تعالى قد أوجب الصلاة على المؤمنين من غير أن يبين لنا أوقاتها، والفرائض الواجبة

علينا، وعدد ركعات كل فرض – وأركان الصلاة وشروطها – وغير ذلك مما يتعلق بالصلاة 0

... فجاءت السنة الشريفة، وفصلت ذلك المجل، وعلمت الناس الصلاة، وكل ما يتعلق بتفصيلاتها

في قوله (: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (4) ولولا السنة لما عرفنا كيف نصلي!

... ومثل ما قلناه عن الصلاة نقوله عن سائر العبادات من زكاة، وصيام، وحج؛ فقد جاء ذكر كل

ذلك مجملاً في القرآن الكريم، وتولت السنة المطهرة تفصيله وبيان المراد منه

(1) الآية 103 من سورة النساء 0

(2) الآية 56 من سورة النور 0

(3) الآية 9 من سورة المؤمنون 0

(4) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة 131/2، 132 رقم 631، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة 187/3، 188 رقم 674، من حديث مالك بن الحويرث (0)

(174/2)

روى الخطيب البغدادى فى كتابه (الكفاية فى علم الرواية) (1) : "أن عمران بن حصين (كان جالساً ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم : لا تحدثونا إلا بالقرآن0 فقال له : أدنه - أى قرب منى - فدنا، فقال : أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، تقرأ فى اثنتين؟! أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً، والطواف بالصفاء والمروة؟ ثم قال : أى قوم - أى : يا قوم-، خذوا عنا فإنكم - والله إن لا تفعلوا لتضلن" وفى رواية من طريق آخر : "أن رجلاً قال لعمران بن حصين : ما هذه الأحاديث التى تحدثونها؟ وتركتم القرآن! قال عمران : أرأيت لو أبيت أنت وأصحابك إلا القرآن، من أين كنت تعلم أن صلاة الظهر عدتها كذا وكذا، وصلاة العصر عدتها كذا، وحين وقتها كذا، وصلاة المغرب كذا، والموقف بعرفه، ورمى الجمار كذا، واليد من أين تقطع؟ أمن هاهنا أم هاهنا أم من هاهنا؟ ووضع يده على مفصل الكف، ووضع عند المرفق، ووضع يده عند المنكب0 اتبعوا حديثنا ما حدثناكم وإلا والله ضللتكم" (2) أ0ه0

... هاهى أركان الإسلام الأساسية - التى بنى عليها الإسلام - يتوقف القيام بها على السنة المطهرة0

ونستطيع أن نقول : لولا السنة ما تمكن المسلمون من إقامة بنيان الإسلام، ولم يقتصر الأمر على العبادات فقط - بل مقدماتها ووسائلها، من أحكام الطهارة وما يتعلق بها، وكذا المعاملات، والجنايات، والأحوال الشخصية، وغير ذلك (3) 0

... فكيف تكون حياة الناس مستقيمة لو لم يأت تفصيل كل ذلك فى السنة المطهرة؟!

(1) الكفاية ص 48، ودلائل النبوة للبيهقى 25/1، وانظر:مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ص21

(2) الكفاية ص 48، 49 0

(3) انظر: أمثلة على ذلك في منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 351-397،
وانظر : منزلة السنة في التشريع الإسلامي للدكتور محمد أمان الجامي ص 22-30 0

(175/2)

إن هذا النوع فقط من أنواع بيان السنة للقرآن الكريم - وهو تفصيل الجمل - يؤكد في جلاء
ووضوح أن القرآن الكريم محتاج إلى السنة الشريفة، كما يثبت في يقين؛ أنه لولا السنة لضاع القرآن
- بعدم فهمه - وهذا ما يهدف إليه أعداؤنا حينما يشككون في السنة الشريفة⁰ فما بالنا ببقية
الأنواع التي سنوإلى ذكرها ؟!!⁰

2- تقييد المطلق (1) : وذلك بأن يأتي الشيء مطلقاً في القرآن الكريم، وتقيده السنة مثل قوله تعالى
: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (2) 0 والآية
الكريمة لم تقيّد قطع اليد بموضع محدد، لأن اليد تطلق على الأصابع، والكف، والرسغ، والساعد،
والمرفق، والعصء⁰ ولكن السنة الشريفة بينت ذلك وقيدت القطع بمقدار الكف فقط من يد
واحدة⁰ وذلك حينما أتى بسارق إلى النبي (فقطع يده من مفصل الكف (3) فلولا السنة لما
استطعنا إقامة الحد على وجهه الصحيح⁰

(1) انظر في تعريفه : لسان العرب 226/10 وما بعدها، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون
563/2، والخصول للرازي 457/1 وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن 83/3، 82، وفواتح
الرحموت 360/1، والإحكام للآمدى 162/2، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد
سعيد منصور ص 429 وما بعدها⁰

(2) الآية 38 من سورة المائدة⁰

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب السرقة، باب السارق يسرق أولاً فتقطع يده اليمنى من
مفصل الكف 270/8، 271 0

(176/2)

3- تخصيص العام (1) : وذلك بأن يأتي اللفظ عاماً ينطبق على كثيرين فتأتى السنة الشريفة وتبين أن هذا العموم ليس مراداً، بل المراد بعض أفراد ذلك العام فقط، وليس الجميع، ويكون ذلك تخصيصاً من السنة للجميع، ويكون ذلك تخصيصاً من السنة لما ورد عاماً في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) (2) 0 ... وهذا عام يثبت في كل أب وأم موروثين ويثبت أيضاً في كل ابن وارث، فجاءت السنة فخصصت المورث بغير الأنبياء وذلك بقوله (، "لا نورث ما تركناه صدقة" (3) ، وخصصت السنة الوارث أيضاً بغير القاتل وذلك بقوله (: "ليس لقاتل شيء" (4) كما خصصت السنة الإثنين معاً بقوله (: "لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم" (5) 0

-
- (1) انظر في تعريفه لغة : لسان العرب 12/424، 425، ومختار الصحاح ص 191، والمعجم الوسيط 2/629 واصطلاحاً انظر : المعتمد في أصول الفقه 1/189، وأصول السرخسى 1/125، والإحكام للآمدى 2/54، والإبهاج في شرح المنهاج 2/82، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 398 وما بعدها 0
- (2) الآية 11 من سورة النساء 0
- (3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الفرائض، باب قول النبي (لا نورث، ما تركناه صدقة 8/12 رقم 6730 ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي (لا نورث، ما تركناه صدقة 6/319، 320 رقم 1758 من حديث عائشة -رضى الله عنها- 0
- (4) أخرجه مالك في الموطأ كتاب العقول، باب ما جاء في ميراث العقل والتغليظ منه 2/660 رقم 10 من حديث عمر 0
- (5) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، وإذا أسلم قبل إن يقسم الميراث فلا ميراث له 12/51 رقم 6764، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الفرائض 6/58 رقم 1614 من حديث أسامة بن زيد 0

(177/2)

فكأن معنى الآية بعد التخصيص هو أن كل مورث من أب وأم يرثه أبناؤه إلا أن يكون المورث نبياً، فإن الأنبياء لا يورثون، وإلا أن يكون الوارث قاتلاً لأصله المورث فإنه - في هذه الحالة - لا يرثه

وإلا أن يختلف الدّين بين المورث والمورث⁰ فإنه لا توارث عند اختلاف الدّين (1) 0
4- توضيح المشكل (2) : وذلك بأن تكون هناك بعض الألفاظ في القرآن الكريم لا نفهم معناها، فتوضحها لنا السنة الشريفة، مثل ما روى في الصحيحين عن عائشة-رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله (: "من حوسب يوم القيامة، عذب" قالت فقلت : أليس قد قال الله (: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) (3) ؟ فقال : "ليس ذاك الحساب 0 إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب" (4) 0

فالسيدة عائشة - رضي الله عنها - أشكل عليها الحساب في قوله تعالى : (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) 0 لما سمعت النبي (يقول : "من حوسب يوم القيامة عذب" فبين لى (بأن المراد بالحساب في الآية الكريمة العرض، وأنه من نوقش الحساب يوم القيامة عذب 0

-
- (1) تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص 31-36، وانظر : نبيل الأوطار للشوكاني 0 74/6
 - (2) انظر في تعريفه لغة : المعجم الوسيط 491/1، ومختار الصحاح ص 145، وانظر : أصول السرخسي 168/1 وتعريفه اصطلاحاً، انظر : أصول السرخسي 168/1، والإتقان للسيوطي 72/3 - 81، وانظر : منزلة السنة من الكتاب ص 343 وما بعدها 0
 - (3) الآية 8 من سورة الانشقاق 0
 - (4) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب 407/11 رقم 6537، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب 225/9، 226 رقم 2876 0

(178/2)

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين : ليس معنى أن السنة تفصل مجمل القرآن الكريم، أو تقيد مطلقه، أو تخصص عامه، أو توضح مشكلة أقول : ليس معنى ذلك أن كل عام في القرآن يحتاج إلى تخصيص، وأن كل مطلق يحتاج إلى تقييد، وأن كل مجمل يحتاج إلى تفصيل؟ كلا ليس المراد ذلك 0 فإن كثيراً من عام القرآن باق على عمومه لأن عمومه مراد، وكثيراً من إطلاق القرآن باق على إطلاقه؛ لأن إطلاقه مراد، وهكذا في المجمل 0

وإنما المراد : أن ما يحتاج إلى شيء من ذلك - فقط - هو الذى يتولى الرسول (بيانه بواحد من أنواع البيان - كما ذكرناه سلفاً (1) 0هـ

أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً
عند السلف الصالح

... مما هو جدير بالذكر هنا أن تفصيل الجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، ونحو ذلك من أنواع بيان السنة - كان يعرف بالنسخ عند السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم حتى الإمام الشافعى 0 ويبين ذلك الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فيقول :
مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ، رفع الحكم بجملة تارة، وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام، والمطلق، والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه، حتى أنهم يسمون الاستثناء، والشرط، والصفة، نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد (2) 0

(1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص 38، 39، وللإستزادة في أنواع بيان السنة للقرآن انظر : السنة بياناً للقرآن، الفصل الثالث منهج السنة في تبين القرآن ص 70-259 0

(2) أعلام الموقعين 35/1 0

(179/2)

... وأكد الإمام الشاطبى هذا المعنى فقال : "يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم فى الإطلاق أعم منه فى كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر نسخاً" (1) 0

ثم ساق الإمام الشاطبى أمثلة عديدة لما اعتقده السلف أنها قضايا نسخ، وهى فى حقيقة الأمر من

باب تقييد المطلق أو تخصيص العام، أو بيان المجمل ونحو ذلك (2) 0

... وإذا كانت أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن سبقوا الإمام الشافعي، رأيت أن الأمر يهون وتختفى معظم الإشكالات، والنزاعات المتشعبة بين العلماء في النسخ بين القرآن والسنة؛ لأن من أنكر نسخ السنة (متواترة كانت أو آحاداً) للقرآن الكريم، جعل المسائل التي قيل فيها نسخ من السنة للقرآن نوع من أنواع بيان السنة للقرآن الكريم، وهذا البيان واجب العمل به 0 وهذا هو المطلوب في مسألتنا هذه، حيث أن القضية لا تعدو الخلاف في الاصطلاح 0 فمن سمي البيان نسخاً من المتقدمين، ومن جعل نسخ السنة للقرآن بياناً من المتأخرين كل منهما يعمل بالسنة المطهرة، ويحتج بها ويعرف مكانتها بالنسبة لكتاب الله (بل وللإسلام كله 0

يقول الإمام الآمدي : "ثم إننا نرى أنه من الأهمية بمكان أن نقرر أنه لا خلاف بين العلماء المجيزين للنسخ في جواز نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة المتواترة بالسنة المتواترة، ونسخ الآحاد بالآحاد، ونسخ الآحاد بالمتواتر من باب أولى (3) ، وأن ذلك كله ليس له في الواقع كبير أثر، إلا في المسألة التي نحن بصدد حلها وهي أنواع بيان السنة للقرآن الكريم، أو نسخ الكتاب بالسنة أ 0 0

(1) الموافقات 99/3، 100 0

(2) المصدر السابق 100/3 – 109 0

(3) الإحكام للآمدي 267/2، وأصول السرخسي 67/2، والمسودة لآل تيمية ص 201 وما بعدها

(180/2)

إنكار أعداء الإسلام للنسخ لأنه بيان
للسنة وهم يجحدونه

... إذا عرفنا أن أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند السلف الصالح، أدركنا لماذا ينكر

أعداء الإسلام من ملاحدة، ومبشرين، ومستشرقين، النسخ في الشريعة الإسلامية (1) 0 وأمعنوا في هذا النكران بشبهات ساقطة وتأويلات غير سائغة، طعنوا بها في صدر الدين الحنيف، ونالوا من قدسية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة (2) 0 و خلاصة القول في مسألة النسخ عند أهل الأصول ما قاله الإمام الشوكاني : "أن النسخ جائز عقلاً واقع سمعاً، بلا خلاف في ذلك بين المسلمين، إلا ما يروى عن "أبي مسلم الأصبهاني" (3) فإنه قال : إنه جائز عقلاً، غير واقع، وإذا صح هذا عنه فهو دليل على أنه جاهل بهذه الشريعة الإسلامية جهلاً فظيماً، وأعجب من جهله بما حكاية من حكى عنه الخلاف في

-
- (1) انظر : طعون أحمد صبحي منصور في النسخ في كتابة (لا ناسخ ولا منسوخ)، والصلاة في القرآن ص 39، وانظر : مقالات توفيق صدقي في مجلة المنار المجلد 110/9 - 119، والمجلد 689-683/10، والمجلد 141/11-220، 292-302، 594 - 692، وإنذار من السماء 122، 437، 523، ودين السلطان ص 629، والأصلان العظيمان ص 133 وما بعدها، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 15، 12، والبيان بالقرآن 12/1، 793/2 وغيرهم 0
- (2) راجع هذه الشبهات والرد عليها في مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني 214/2-353، وانظر : السنة مع القرآن لفضيلة الدكتور سيد أحمد المسير ص 189 وما بعدها 0
- (3) هو : أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني، كان نحويّاً كاتباً بليغاً متكلماً، معتزلياً، عالماً بالتفسير وغيره، له جامع التأويل لحكم التنزيل، والناسخ والمنسوخ وغيرهما مات سنة 322هـ له ترجمة في: لسان الميزان 737/5 رقم 7137، وبغية الوعاة 59/1 رقم 107، والفهرست ص 220، ومعجم الأدباء 241/5، والوافي بالوفيات 244/2 رقم 646، وطبقات المفسرين للداودي 109/2 رقم 466 0

(181/2)

كتب الشريعة، فإنه إنما يعتد بخلاف المجتهدين، لا بخلاف من بلغ من الجهل إلى هذا الغاية 0

... وأما الجواز : فلم يحك الخلاف فيه إلا عن بعض طوائف اليهود والنصارى (1) ، وليس بنا إلى نصب الخلاف بيننا وبينهم حاجة، ولا هذه بأول مسألة خالفوا فيها أحكام الإسلام، حتى يذكر

خلافهم في هذه المسألة، ولكن هذا من غرائب أهل الأصول⁰ على أنا قد رأينا في التوراة في غير موضع أن الله سبحانه رفع عنهم أحكاماً لما تضرعوا إليه، وسألوا منه رفعها، وليس النسخ إلا هذا

(2) 0

... والحاصل : أن النسخ جائز عقلاً، واقع شرعاً، من غير فرق بين كونه في الكتاب أو السنة⁰ وقد حكى جماعة من أهل الأصول اتفاق أهل الشرائع عليه فلم يبق في المقام ما يقتضى تطويل المقال

(3) 0

... وما حكى عن أبي مسلم الأصبهاني؛ فالنقل عنه مضطرب، فمن قائل : إنه يمنع وقوع النسخ سمعاً على الإطلاق⁰ ومن قائل : إنه ينكر وقوعه في شريعة واحدة ومن قائل : إنه ينكر وقوعه في القرآن خاصة⁰

-
- (1) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني 218/2 – 223، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 482/4 وما بعدها، وفي الإبهاج بشرح المنهاج لابنا السبكي قال : "وأعلم أنه لا يحسن ذكر هؤلاء المبتدعين في وفاق ولا خلاف، ولكن السبب في تحمل المشقة بذكرهم التنبيه على أنهم لم يخالفوا جميعاً في ذلك،⁰ه، الإبهاج في شرح المنهاج 228/2
- (2) راجع ما ذكره العلامة رحمت الله الهندي في كتابه إظهار الحق، وما أثبتته من وقوع النسخ في العهد العتيق، وفي الشريعة الموسوية والعيسوية 377/1 – 398 0
- (3) إرشاد الفحول 75/2، 76 بتصرف يسير⁰

(182/2)

يقول الشيخ الزرقاني – رحمه الله – ورجحت هذه الرواية الأخيرة بأنها أصح الروايات، وبأن التأويلات المنقولة عنه لم تخرج عن حدود ما نسخ من القرآن⁰ وأبعد الروايات عن الرجل هي الرواية الأولى؛ لأنه لا يعقل أن مسلماً، فضلاً عن عالم كأي مسلم، ينكر وقوع النسخ جملة، اللهم إلا إذا كانت المسألة ترجع إلى التسمية فقط، فإنها تهون حينئذ، على معنى أن ما نسميه نحن نسخاً، يسميه هو تخصيصاً بالزمان مثلاً⁰

وإلى ذلك ذهب بعض المحققين⁰ قال التاج السبكي (1) : "إن أبا مسلم لا ينكر وقوع المعنى الذى نسميه نحن نسخاً، ولكنه يتحاشى أن يسميه باسمه، ويسميه تخصيصاً" (2) 0هـ

أهمية علم الناسخ والمنسوخ فى الشريعة الإسلامية

... إن معرفة علم الناسخ والمنسوخ، والإحاطة به فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة، من أولويات ما يجب أن يعرفه كل من يتصدر للقضاء أو الفتيا أو بيان الحلال والحرام⁰ إذ لا يمكن استنباط الأحكام من أدلتها من غير معرفة الناسخ والمنسوخ، والذى بدونه يوجب الإنسان على نفسه، وعلى عباد الله أمراً لم يوجبه الله (أو يضع عنهم فرضاً أوجبه الله⁰

(1) السبكي هو: الإمام الفقيه، المحدث الحافظ، المفسر الأصولي، على بن عبد الكافي بن يوسف، شيخ الإسلام، قال فيه ولده ليس بعد الذهبي، والمزى، أحفظ منه⁰ مات سنة 756 هـ له ترجمة فى: وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 525، 526 رقم 1148، والبداية والنهاية لابن كثير 14/195، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 6/180، وطبقات المفسرين للداودي 1/416 رقم 360⁰ (2) رفع الحاجب ص 251، وانظر: الإبهاج فى شرح المنهاج 2/228، ومناهل العرفان 2/223، وإلى ذلك ذهب الدكتور محمد الحفناوى فى هامش تحقيقه لكتاب الناسخ والمنسوخ لابن شاهين ص 30، وكذلك الدكتور شعبان إسماعيل فى هامش تحقيقه لكتاب إرشاد الفحول للشوكاني 2/76، 77، ويقولهم أقول والله أعلم⁰

(183/2)

وفى ذلك يقول : يحيى بن أكنم (1) : ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء، وعلى المتعلمين، وعلى كافة المسلمين، من علم ناسخ القرآن ومنسوخه، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً، والعمل به واجب لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به، ولا ينتهى إليه، فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه، وعلى عباد الله أمراً لم يوجبه الله أو يضع عنهم فرضاً أوجبه الله" (2) 0

... وقد اهتم السلف الصالح بمعرفة الناسخ والمنسوخ، وأولوه عناية كبيرة منذ عصر الصحابة

والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين إلى يومنا هذا0
فعن عبد الله بن حبيب السلمى (3) قال : "مر على بن أبي طالب (على قاصٍ فقال: أتعرف
الناسخ من المنسوخ؟ قال : لا0 قال "هلكت وأهلكت" (4) 0

وعن محمد بن سيرين، قال : سئل حذيفة عن شئ فقال : إنما يفتى أحد ثلاثة : من عرف الناسخ
والمنسوخ، قالوا : ومن يعرف ذلك؟ قال عمر، أو رجل ولى سلطاناً، فلا يجد من ذلك بدا أو
متكلف" (5) 0

(1) يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ هو : ابن محمد بن قطن التميمي، المروزي، أبو محمد، القاضي المشهور، فقيه
صدوق، إلا أنه رمى بسرقة الحديث، ولم يقع ذلك له، وإنما كان يرى الرواية بالإجازة والوجادة، مات
سنة 243هـ وقيل قبل ذلك0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 297/2 رقم 7534، والكاشف
الذهبي 361/2 رقم 6133، ولسان الميزان 282/9 رقم 14823، وتهذيب الكمال 207/31
رقم 6788 0

(2) بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب بيان أنه ليس من العلوم علم واجب إلا العلم بناسخ
القرآن ومنسوخه 28/2 0

(3) هو : أبو عبد الرحمن، عبد الله بن حبيب السلمى الكوفي، متفق على توثيقه مات 73هـ تقريباً0
له ترجمة في : تقريب التهذيب 485/1، 486 رقم 3282، والكاشف 544/1 رقم 2681،
والثقات للعجلي ص 253 رقم 792 0

(4) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ للحازمي ص 48، والناسخ والمنسوخ للزهري ص 15 0

(5) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ ص 49 0

(184/2)

... وعن الضحاك بن مزاحم قال : مر ابن عباس بقاص يقص فركضه برجله، فقال : تدري ما
الناسخ من المنسوخ؟ قال : لا0 قال هلكت، وأهلكت" (1) 0

... وأقوال أئمة المسلمين في هذا الباب تكثر جداً (2) ، نختار منها قول الإمام القرطبي: قال :

"معرفة هذا الباب - أى الناسخ والمنسوخ - أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغنى عن معرفته العلماء ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل فى الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام" (3) 0هـ0

-
- (1) المصدر السابق ص 50، والناسخ والمنسوخ للزهري ص 16 0
(2) راجع نماذج من أقوالهم فى الاعتبار للحازمي ص 44 وما بعدها، وتدريب الراوى 189/2، وفتح المغيـث للسـخاوى 57/2، وفتح المغيـث للعراقى ص 330، وتوضيح الأفكار للصنعانى 416/2 0
(3) تفسير القرطبي 62/2 0

(185/2)

بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم

... قبل أن نتحدث عن النوع الثالث من أنواع بيان السنة للقرآن الكريم وهو: "استقلالها بتشريع الأحكام دون أن يسبق لها ذكر فى القرآن الكريم" نبين هنا رتبة السنة الشريفة من القرآن الكريم لما فى ذلك من ارتباط بهذا النوع الثالث من أنواع بيان السنة لكتاب الله (0)

... يقول الأستاذ محمد سعيد منصور : "لا خلاف بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً إلا من شذ من بعض الطوائف المغرضة المنحرفة-من غلاة الشيعة، والخوارج، والروافض، والمستشرقين، وبعض المتكلمين حديثاً ممن يتكلمون بلغتنا وينتسبون إلى أمتنا - فى أن كلاً من الكتاب والسنة وحى من عند الله تعالى، وحجة لمعرفة الحلال والحرام، ودليل يجب على المجتهد التمسك به والعمل بمقتضاه، وكذلك لا نزاع بينهم فى أن الكتاب الكريم، يمتاز عن السنة، ويفضل عنها، بأن لفظه من عند الله (، متعبد بتلاوته، معجز للبشر عن أن يأتوا بمثله بخلافها فهى دونه منزلة فى هذه النواحي" (1) 0

... يقول العلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق -رحمه الله- : ولكن ذلك لا يوجب التفضيل بينهما من حيث الحجية : بأن تكون مرتبتها التأخر عن الكتاب فى الاعتبار والاحتجاج، فتهدر ويعمل به

وحده، لو حصل بينهما التعارض⁰

(1) منزلة السنة من الكتاب ص 469، 470 بتصرف⁰

(186/2)

... وإنما كان الأمر كذلك : لأن حجية الكتاب إنما جاءت من ناحية أنه وحى من عند الله تعالى⁰ ولا دخل للأمور المذكورة فيها⁰ فلو لم يكن الكتاب معجزاً ولا متعبداً بتلاوته، وثبتت الرسالة بغيره من المعجزات؛ لوجب القول بحجيته؛ كما كان الأمر كذلك في الكتب السابقة والسنة المطهرة مساوية للقرآن من هذه الناحية؛ فإنها وحى مثله⁰ فيجب القول بعدم تأخرها عنه في الاعتبار⁰ ثم إن التحقيق عند علماء الكلام : أن الرسول لا يشترط في رسالته نزول كتاب، بل الشرط : إنما هو نزول شريعة ليلبغها الأمة، وإظهار المعجزة على يده، كما هو بين في شرح العقائد النسفية وحواشيه (1) ⁰ ... ويدل على ذلك أيضاً : أن الله تعالى أرسل موسى - عليه السلام - إلى فرعون؛ ليأمره بالإيمان به، والاهتداء بهديه، وإرسال بنى إسرائيل معه⁰ ولم يكن قد نزل عليه - في ذلك الحين - التوراة : لأنها إنما نزلت بعد هلاك فرعون، وخروج بنى إسرائيل من مصر - كما هو معلوم - ومع ذلك قامت الحجة على فرعون بهذا الأمر : لما أقام له موسى - عليه السلام - المعجزة، فلما خالفه اعتبر عاصياً ربه، مستحقاً للعنة، والعذاب⁰

فحجية الوحي الغير المتلو لا تتوقف على ورود المتلو بها : لأن كلا منهما من عند الله⁰ وهذا تثبته المعجزة - قرآناً أو غيره - المثبتة لعصمة الرسول (في تبليغ ما جاء به عن الله تعالى⁰

... ولو سلمنا استلزام الفرعية للتأخر مطلقاً، لقلنا : إن ما كان أقل من سورة لم تثبت قرآنيته إلا بقوله (: هذا كلام الله، كما تقدم بيانه في مبحث العصمة (2) ⁰ فعلى هذا يقال : إن الكتاب متأخر عنها في الاعتبار؟

... بل الحق : أن كلاهما معضد للآخر، ومساوٍ له : في أنه وحى من عند الله، وفي قوة الاحتجاج به، وأنه لا يؤثر في ذلك نزول لفظ الكتاب ولا إعجازه، ولا التعب بتلاوته، ولا أنه قد ورد فيه ما

يفيد حجيتها0

(1) 0 54/1

(2) راجع : ص 444، 445 0

(187/2)

... وحيث إنهما من عند الله : فلا يمكن الاختلاف بينهما في الواقع، ويستحيل أن يوجد كتاب وسنة - كل منهما قطعي الدلالة والثبوت - بينهما تعارض مع الاتحاد في الزمن وغيره، مما يشترط لتحقيق التعارض في الواقع0

... وأما أنهما قد يتعارضان في الظاهر - إذا كانت دلالتها أو دلالة أحدهما ظنية، أو كانت دلالتها قطعية ولم يتحد الزمن : فهذا أمر جائز واقع كثيراً0 وحينئذ يجب على المجتهد اعتبارهما كما لو كانا آيتين أو سنتين : حيث أنهما متساويان فينسخ المتأخر منهما المتقدم إذا ثبت له تأخره، ويرجح أحدهما على الآخر بما يصلح مرجحاً، ويجمع بينهما إن أمكن0 وإلا توقف إلى أن يظهر الدليل فأما أن نقول بإهدار أحدهما مباشرة - بدون نظر في أدلة الجمع والترجيح والنسخ : فهذا لا يصح بحال أن يذهب ذاهب إليه0

... ولذلك نجد علماء الأصول، والفقه، والحديث، يقولون : بتخصيص السنة لعام الكتاب، وتقييدها لمطلقه، ونسخها له، وأنها تؤوله وتوضح مجملته، وتبين أن المراد منه خلاف ظاهره0 كما يحصل ذلك من الكتاب بالنسبة للسنة0

... نعم في بعض هذه المسائل خلافات كثيرة، ولكن يجب أن يعلم أن مرجعها إلى مدارك أخرى وذلك كظنية الطريق في خبر الواحد، وقطعية القرآن، وليس مرجعها إلى السنة من حيث ذاتها، ومن حيث أنها متأخرة عن الكتاب، بدليل أن من يمنع نسخ القرآن بخبر الواحد مثلاً، يمنع نسخ السنة المتواترة به أيضاً، ويجوز نسخ القرآن بالخبر المتواتر وبالعكس0 ولو كان المدرك التأخر في الاعتبار لما قال إلا بنسخ السنة بالقرآن0

... ومن ذلك كله : تعلم بطلان ما ذهب إليه الإمام الشاطبي في الموافقات (1) : من أن رتبة السنة التأخر عن الكتاب في الاعتبار" (2) 0
ثم ذكر الدكتور عبد الغني شبه الإمام الشاطبي وردّها (3) 0

(1) الموافقات 4/392 0

(2) حجية السنة ص 485 - 489 بتصرف يسير 0

(3) المصدر السابق ص 489 - 494 0

(188/2)

... وقد سبق الدكتور عبد الغني في قوله هذا الإمام الشافعي في الرسالة (1) ، وابن حزم في الإحكام (2) ، وحديثاً الدكتور السباعي (3) 0

بيان أن الخلاف في المسألة لفظي

... الحق : أن قول الإمام الشاطبي بتأخر رتبة السنة عن الكتاب في الاعتبار راجعة إلى المدارك التي ذكرها الدكتور عبد الغني عبد الخالق كظنية الطريق في خبر الواحد، وقطعية القرآن، وهو ما عبر عنه الإمام الشاطبي في أول حججه على تأخر رتبة السنة عن الكتاب قال : "أن الكتاب مقطوع به، والسنة مظنونة" (4) 0 ولو تأملنا في بقية حججه لرأينا أنه ليس فيها ما يدل على التفضيل بين الكتاب والسنة من حيث الحجية، ووجوب العمل بهما، بحيث إذا وقع تعارض ظاهرى بينهما يعمل بالكتاب دون السنة، بدون نظر في أدلة الجمع والترجيح والنسخ 0 فهذا لا يصح بحال أن يذهب ذاهب إليه، ولا يصح نسبة ذلك إلى الإمام الشاطبي 0 وما قد يفهم من قوله في السنة الزائدة : "إن لم تكن بياناً فلا يعتبر بها إلا بعد أن لا يوجد في الكتاب" (5) فهذا الكلام لا يفهم منه رد الإمام الشاطبي للسنة الزائدة الصحيحة عن النبي (وحاشاه من ذلك) كل ما في الأمر أنه يذهب إلى أن السنة كلها، بيانية كانت أو زائدة، داخلية في البيان النبوي للقرآن الكريم - كما سنفصله بعد قليل -

يدل على ذلك ما ذكره في مسألة "أصول السنة في القرآن الكريم" (6) ومسألة : "السنة التشريعية لا يلزم أن يكون لها أصل في الكتاب" (7) 0

(1) الرسالة ص 33 فقرات رقم 102، 103 0

(2) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 96، 97/1 0

(3) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور مصطفى السباعي ص 379، وانظر : منزلة السنة من

الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور، ص 470 0

(4) الموافقات 392/4 0

(5) المصدر السابق 393/4 0

(6) الموافقات 396/4 0

(7) المصدر السابق 434/4 0

(189/2)

فكل سنة زائدة عما في القرآن الكريم عند من يرى استقلال السنة بالتشريع هي عنده لها أصل في القرآن الكريم، ويدخلها في السنة البيانية، ولم يناع في حجيتها، ووجوب العمل بها خلافاً لمن تأول كلامه في هذه المسألة، ومسألة (استقلال السنة بالتشريع) وناع في الحجية 0

... وهنا نرى أنه ليس في حقيقة الأمر خلاف! وإنما هو إن صح التعبير، صورة خلاف اعتبارية لمدارك بعيدة كل البعد عن منزلة السنة التشريعية، وحجيتها، ووجوب العمل بها 0 وتتلخص هذه المدارك فيما كان عليه السلف الصالح إذا عرض عليهم قضاء، يبحثون أولاً في كتاب الله (، فإذا لم يجدوا في كتاب الله، انتقلوا إلى السنة المطهرة (1) 0

وهل في ذلك ما يחדش في أصل مسألتنا وهي : أن القرآن والسنة في مرتبة واحدة، في الاحتجاج ووجوب العمل بهما؟

... وإلى ذلك ذهب الأستاذ محمد سعيد منصور ثم قال : "وجملة القول : أن السنة إذا صحت تكون منزلتها ومنزلة الكتاب، سواء بسواء في الاعتبار، والاحتجاج عند المجتهدين عامة" (2) أ0هـ

... ويقول المستشار الدكتور على جريشة رداً على من وهن من رتبة السنة المطهرة فجعلها في مستوى المذكرة التفسيرية بالنسبة للقانون، قال : "السنة ليست مذكرة تفسيرية، لأن المذكرة التفسيرية لا يمكن أن ترتفع إلى نفس مرتبة التشريع، بل وتحتوي أى إلزام، والسنة غير ذلك ... ترتفع مع الكتاب إلى أن تكون المصدر الرئيسى للشرعية⁰

(1) المصدر نفسه 393/4 0

(2) منزلة السنة من الكتاب ص 481 بتصرف يسير⁰

(190/2)

وربما كان مرجع الشبهة أن السنة في جزء كبير منها مبينة للكتاب ... ، لكن بيان السنة منه التخصيص، والتقييد، والتأكيد، ثم التفصيل والتفسير ... ، إلى جواز السنة الزائدة التي تأتي بأحكام مستقلة ... وفي الجزء المفسر، والمفصل يتوافر الإلزام كما يتوافر للقرآن ... ، ولا تهبط السنة إلى مستوى عدم الإلزام، كما تهبط المذكرة التفسيرية للقانون (1) "0

ومما يؤسف له أن بعض علماء المسلمين قد أساءوا فهم الإمام الشاطبي في مسألتنا هذه، ومسألة استقلال السنة بالتشريع، فأنكروا السنة الزائدة، كما اتخذ أعداء السنة المطهرة من كلام الشاطبي في المسألتين ستاراً، للتشكيك في حجية السنة النبوية واستقلالها بتشريع الأحكام⁰0هـ

استقلال السنة بتشريع الأحكام

... لا يقتصر دور السنة على بيان ما في القرآن الكريم فقط، فتؤكد تارة، أو تفصل مجمله، وتقييد مطلقه، وتخصص عامه، وتوضح مشكله، تارة أخرى⁰

... نقول : لا يقتصر دور السنة على ذلك فقط - رغم أهمية هذا وخطورته، بل لها مهمة أخرى جليلة وعظيمة⁰ وهي أنها تؤسس أحكاماً على جهة الاستقلال وهذا ما عنيناه بالمهمة الثالثة للسنة في تقسيمنا السابق (2) 0 إذ أن في السنة أحكاماً كثيرة جديدة لم ترد في القرآن لا نصاً ولا صراحة،

ويتفق العلماء أجمع على وجود تلك الأحكام، ولكنهم يختلفون خلافاً لفظياً حول تسمية تلك الأحكام التي استقلت السنة المطهرة بتأسيسها⁰

... فالجمهور من العلماء يقولون : إن هذا هو الاستقلال في التشريع بعينه؛ لأنه إثبات لأحكام لم ترد في الكتاب⁰

(1) مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص 32، 33 0

(2) تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص 36، 37 0

(191/2)

... أما الإمام الشاطبي ومن نحا نحوه : فإنهم مع إقرارهم بوجودها، إلا أنهم يقولون : إنها ليست زيادة على شيء ليس في القرآن، وإنما هي زيادة الشرح، المستنبط من المشروح بإلهام إلهي، ووحى رباني، وتأيد سماوي (1) 0 وبعبارة أخرى هي داخلة تحت أي نوع من أنواع السنة البيانية، أو داخلة تحت قاعدة من قواعد القرآن الكريم⁰

يقول الدكتور السباعي : "وأنت ترى هنا أن الخلاف لفظي، وأن كلا منهما يعترف بوجود أحكام في السنة لم تثبت في القرآن الكريم، ولكن أحدهما لا يسمى ذلك استقلالاً، والآخر يسميه⁰ والنتيجة واحدة (2) ، وهي حجية تلك الأحكام الزائدة ووجوب العمل بها⁰

بيان أن الخلاف لفظي مع فريق وحقيقى مع آخر :

... لقد ذكر الإمام الشاطبي ستة مآخذ للمخالفين في بيان أن كل ما ورد في السنة مبين في الكتاب، الخمسة الأولى منها أيدها الإمام الشاطبي، وكان الخلاف فيها بين الفريقين خلافاً لفظياً لا ينبني عليه عمل (3) 0

... أما الذين أثاروا خلافاً حقيقياً حول هذه المسألة؛ فهم أصحاب المآخذ السادس، إذ يقولون فيه : "ومنها - يعنى أن جميع السنة بيان للكتاب - النظر إلى تفاصيل الأحاديث، في تفاصيل القرآن، وإن

كان في السنة بيان زائد، ولكن صاحب هذا المآخذ يتطلب أن يجد كل معنى في السنة مشاراً إليه - من حيث وضع اللغة لا من جهة أخرى - أو منصوصاً عليه في القرآن (4) 0

- (1) منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 499 0
- (2) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 375 بتصرف 0
- (3) انظر : هذه المآخذ في الموافقات 4/406 - 428، وانظر : - إن شئت - مناقشتها والرد عليها في حجية السنة للدكتور عبد الغني ص 526 - 536 0
- (4) الموافقات 4/428، وانظر : مصادر الشرعية الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على جريشة ص 29-31 0

(192/2)

... فهذا هو المآخذ الذي لو تم، لكان مبطلاً لما اتفق عليه الجميع، من وجود سنة جاءت بما لم ينص عليه الكتاب نصاً، ويمكن للمجتهد أن يأخذ به بحسب أوضاع اللغة، ومعانيها الحقيقية والجازية، ولكنه لن يتم ولا يمكن تطبيقه على جميع ما ورد في السنة، ومحاولة تطبيقه محاولة فاشلة (1) 0

... وقد اعترف الإمام الشاطبي نفسه بذلك بعد أن غاص في عمق أدلة هذا المآخذ، وكانت الغاية التي انتهى إليها الاعتراف ببطلان هذا المآخذ وانحراف أصحابه، إذ يقول تعليقاً على هذا المآخذ : "ولكن القرآن لا يفى بهذا المقصود على النص والإشارة العربية التي تستعملها العرب أو نحوها، وأول شاهد في هذا الصلاة، والحج، والزكاة، والحیض، والنفاس، واللقطة، والقراض، والمساقاة، والديات، والقسمات، وأشبه ذلك من أمور لا تخصي 0

... فالملتزم لهذا (أي المآخذ السادس) لا يفى بما ادعاه، إلا أن يتكلف في ذلك مآخذ لا يقبلها كلام العرب، ولا يوافق على مثلها السلف الصالح، ولا العلماء الراسخون في العلم، ولقد رام بعض الناس فتح هذا الباب (2) الذي شرع في التنبيه عليه فلم يوف به إلا على التكلف المذكور، والرجوع إلى المآخذ الأول في مواضع كثيرة لم يتأت له فيها نص ولا إشارة إلى خصوصيات ما ورد في السنة، فكان ذلك نازلاً بقصده الذي قصد (3) 0

إذاً فهو قول غير صحيح، وبعيد كل البعد عن الحقيقة 0هـ0

الإمام الشاطبي ومن أساء فهمه من علماء المسلمين ومن اتخذ
كلامه من أعداء السنة ستاراً للتشكيك في حجية
السنة، واستقلالها بتشريع الأحكام

(1) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنص 535 0

(2) فتحه مصطفى المهدوي في كتابة البيان بالقرآن، وكانت المحاولة فاشلة، وصدق فيه ما قاله الإمام
الشاطبي هنا 0

(3) الموافقات 4/431 0

(193/2)

... عرفنا فيما سبق أن الإمام الشاطبي عندما قال بتأخر مرتبة السنة عن الكتاب، كان ذلك لمدارك
بعيدة كل البعد عن منزلة السنة التشريعية، وحجيتها ووجوب العمل بها 0 فكان الخلاف بينه وبين
جمهور العلماء خلافاً لفظياً - كما سبق - 0

... وعرفنا أيضاً : أنه في مسألة استقلال السنة بالتشريع، أقر بوجود الأحكام التي استقلت بها
السنة، إلا أنه لم يسم ذلك (استقلالاً) وإنما سماه (بياناً) فهو يرى أن وظيفة السنة البيان بأنواعه، من
تفصيل مجمل، وتقييد مطلق، وتخصيص عام، وتوضيح مشكل، وما جاء زائداً في السنة هو في نظره
نوع من أنواع البيان، وداخل تحت قاعدة من قواعد القرآن الكريم 0

... وفي كل الأحوال هذا البيان حجة ويجب العمل به 0 ومن هنا كان الخلاف بينه وبين جمهور
العلماء في تلك المسألة أيضاً خلافاً لفظياً لا يترتب عليه عمل 0

اللهم إلا أصحاب المأخذ السادس الذين أنكروا ورود السنة بما لم ينص عليه الكتاب 0 فكان الخلاف
بينهم وبين الجمهور خلافاً حقيقياً، وقد علمت أن الإمام الشاطبي لم يتابعهم على ذلك 0
إلا أن بعض علماء المسلمين أساء فهم الإمام الشاطبي في المسألتين (تأخر مرتبة السنة في الاعتبار

عن القرآن) و (استقلال السنة بالتشريع) التي عنوان لها بـ (أصول السنة في القرآن الكريم) (1) 0
والتي فصلها في عنوان (كيفية رجوع السنة إلى الكتاب) (2) ، حيث فهموا أن الإمام الشاطبي لا
يؤمن إلا بالسنة البيانية المفسرة، أما المستقلة فلا، حيث زعموا أنه يرى أن السنة لا تستقل بتشريع
أحكام زائدة، فمهمة الرسول البلاغ والبيان فقط 0

... ومن فهم ذلك الشيخ محمد عبد العزيز الخولي - رحمه الله - في كتابه (مفتاح السنة) بعد أن
استشهد بكلام الشاطبي في أن السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، تفصل مجمله، وتبين
مشكله، وتبسط مختصره، وذكر بيان الشاطبي في كيفية رجوع السنة إلى الكتاب 0

(1) الموافقات 4/396 0

(2) المصدر السابق 4/406 0

(194/2)

قال الأستاذ عبد العزيز الخولي : "وأما ما ورد في السنة من الأحكام، فإن كان مخالفاً لظاهر القرآن
فالقرآن مقدم عليه، ويعتبر ذلك طعناً في الحديث من جهة متنه ولفظه، وإن صح سنده، فإن الحديث
لا يكون حجة إلا إذا سلم سنده ومتنه من الطعن، ولذلك أجاز بعض المسلمين نكاح المرأة على
عمتها أو خالتها (1) 0

... وهنا يظهر واضحاً جلياً كيف أساء الشيخ فهم كلام الإمام الشاطبي حتى اتخذ الخولي لنفسه
مذهباً في العمل بظاهر القرآن فقط، والذهاب إلى عدم حجية السنة المبينة أيضاً 0 بدليل أنه بعد أن
ذكر نماذج من الأحكام التي استقلت بها السنة، مثل : تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها،
وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ورجم الحصن - الذي زعم أن الأدلة فيه مضطربة،
وبصح أن تشمله آية (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ
يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) (2) 0

... بعد أن ذكر ذلك قال : "وإن كان ما في السنة لا يخالف ظاهر القرآن، فهو اجتهاد من الرسول

(يرجع إلى أصل قرآني عرفه الرسول، وجهلناه نحن أو عرفناه (3) 0
فتأمل قوله في البيان النبوي : (وجهلناه نحن أو عرفناه) إذ العبرة عنده في أول الأمر وآخره، هي :
ظاهر القرآن سواء عرف السنة البيانية، أم جهلها، فهي في حالة معرفته بها لم تضاف جديداً، وفي هذه
الحالة العبرة بالقرآن، وفي حالة استقلالها بتشريع أحكام جديدة، تكون السنة مخالفة لظاهر القرآن؛
فلا حجة فيها هكذا يزعم!

(1) مفتاح السنة ص 6-10 0

(2) الآية 33 من سورة المائدة 0

(3) مفتاح السنة ص 11 0

(195/2)

... يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق : "وليت شعري إذا لم تكن السنة مبينة، ولا مستقلة فماذا
بقي في السنة، مما يكون حجة - إلا المؤكد؟ وكيف يمكن الجمع بين قوله هذا، وبين قوله (1) : "وإن
الرسول (وظيفته البيان، وتبليغ ما أنزل إليه من ربه" (2) 0
فلا أدري علام إذن يستشهد بكلام الإمام الشاطبي الذي يقول : بأن السنة بيان للقرآن الكريم،
وحتى ما استقلت به السنة داخل في هذا البيان الواجب العمل به!!

... وإذا كان حقاً فهم مراد الشاطبي من كلامه، فلم لم يؤمن بما آمن به الشاطبي من أن الأحكام
الزائدة في السنة داخلية في القرآن الكريم في بيانه أو قواعده (3) ؟!
تلك الأحكام التي انكرها الشيخ مع إيمان الإمام الشاطبي بما كما سبق وسنفضله بالأمثلة بعد قليل 0

وأعجب من هذا كله زعمه بأن الذى أجاز نكاح المرأة على عمتها أو خالتها بعض المسلمين - وهم
في نظره الخوارج والشيعة، والروافض (4) 0 فهل هؤلاء مسلمون؟!!

... ومن أساء فهم الإمام الشاطبي أيضاً، وأساء في النقل عنه فضيلة الشيخ عبد الله المشد - رحمه
الله - في فتواه المشهورة التي سئل فيها عن حكم من أنكر استقلال السنة بإثبات الإيجاب والتحريم

يعد كافراً أم لا؟ (5) 0

-
- (1) المصدر السابق ص 8 0
 - (2) حجية السنة ص 489 هامش 0
 - (3) سيأتى تضعيفه بلا حجة لحديث المقدام بن معد يكرب (0)
 - (4) صرح بذلك فى هامش كتابه مفتاح السنة ص 7 0 انظر: نيل الأوطار للشوكاني 148/6، نقل عن القرطبي إجماع المسلمين على التحريم، واستثنى الخوارج 0 قال: ولا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين
 - (5) نقل هذه الفتوى بنصها فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - فى كتابه تراثنا الفكرى ص 176 وما بعدها، ونقلها أيضاً أحمد صبحى منصور من الكتاب السابق فى كتابه حد الردة، ونقلها مختومة بتوقيع الشيخ المشد - رحمه الله - فكتابه لماذا القرآن؟

(196/2)

... إذ يقول الشيخ مستشهداً بالإمام الشاطبى : "إن السنة لا تستقل بإثبات الواجب والمحرم، لأن وظيفتها فقط تخصيص عام القرآن، وتقييد مطلقه، وتفسير مجمله، "ويجب أن يكون ذلك بالأحاديث المتواترة لا الأحادية 0

وقال أيضاً : "وأجاب الشاطبى عما أورده الجمهور عليه من قوله تعالى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (1) بأن المراد من وجوب طاعة الرسول، إنما هو فى تخصيصه للعام، وتقييده للمطلق، وتفسيره للمجمل، وذلك بالحديث المتواتر " (2) 0 وليت شعرى من يجرؤ على القول بأن بيان السنة للقرآن أو استقلالها بإثبات الواجب والمحرم، يجب أن يكون بالسنة المتواترة؟ فإذا كان هذا الكلام من زيادات الشيخ على كلام الإمام الشاطبى فأين دليله على ما زعمه؟!!

... وإذا كان هذا من كلام الإمام الشاطبى كما يوهمه كلام الشيخ، فغير صحيح، لأن الشاطبى فى كلامه عن بيان السنة للقرآن الكريم فى أكثر من موضع فى كتابه "الموافقات" لم يشترط هذا الشرط لا صراحة ولا إشارة (3) 0

(1) جزء من الآية 59 من سورة النساء 0

(2) تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي ص 178 0

(3) انظر : الموافقات 274/3، 300، 330، 339، 382، 389، 396/4، 406 0

(197/2)

ويشهد لصحة ما أقول أن الإمام الشاطبي - رحمه الله - في كل مواضع كلامه عن بيان السنة للقرآن استشهد بأحاديث كثيرة كلها آحاد 0 بما في ذلك الموضوع الذي تكلم فيه عن استقلال السنة بتشريع أحكام زائدة عما في القرآن، من تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة، وخالتها، وتحريم كل ذي ناب من السباع، والحرر الأهلية، ونكاح المتعة، وإيجابه حد الردة، والرجم، وحد شرب الخمر، وغير ذلك الكثير مما ثبت بالسنة إيجاباً وتحريماً، وكانت السنة في كل ذلك آحاداً (1) ، ولم يشترط التواتر، ولا حتى نسب هذا الشرط إلى أحد ممن يعتد به، فلا أدري من أين جاء الشيخ المشد بها الشرط؟! كيف والإمام الشاطبي هو القائل : "وأخبار الآحاد هي عمدة الشريعة، وهي أكثر الأدلة" (2) 0

... وفي كتابه الاعتصام يقول رداً على من طعن في أخبار الآحاد، لأنها تفيد الظن قال: "فعلى كل تقدير : خبر الواحد صح سنده، فلا بد من استناده إلى أصل في الشريعة قطعي، فيجب قبوله، ومن هنا قبلناه مطلقاً" (3) 0

ويقول في كتابه الموافقات : "الظني الراجع إلى أصل قطعي إعماله أيضاً ظاهر، وعليه عامة أخبار الآحاد، فإنها بيان للكتاب" (4) 0

... ولو لم يكن إلا هذا لكفى في الرد على ما نسبته الشيخ المشد إلى الإمام الشاطبي، أو اشتراطه هو بغير بيينة 0

(1) المصدر السابق 422/4، 432 وما بعدها 0

(2) الموافقات 82/3 مسألة قلة المتشابهة 0

(3) الاعتصام 190/1، وسيأتي كلامه مفصلاً في الرد على شبهة منكري حجية خبر الآحاد انظر :

(198/2)

ولكن كيف : والإمام الشاطبي في كل مواضع كلامه عن بيان السنة للقرآن، يحتج بأحاديث آحاد على إثباتها للواجب والحرم، ويكفي أن تنظر لصحة ما أقول : المسائل الآتية في كتابه الموافقات : "من مقاصد الشرع، عدم التسوية بين المندوب، والواجب"، و"البيان والإجمال في المباح والمكروه والمندوب"، و"البيان والإجمال في المكروه والحرام" (1) 0

... وأعجب مما سبق تضعيف الشيخ المشد لحديث المقدام بن معد يكرب (، ونسبته هذا التضعيف إلى الإمام الشاطبي وهو من هذا التضعيف برئ0

... يقول الشيخ المشد : "وقد رد الشاطبي (2) على ما استدل به الجمهور مما روى عن النبي (قوله : "يوشك الرجل متكناً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله (، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، إلا وإن ما حرم رسول الله (مثل ما حرم الله" بأن من بين رواة هذا الحديث "زيد بن الحباب" وهو كثير الخطأ، ولذلك لم يرو عنه الشيخان حديثاً واحداً" (3) 0

وسبقه إلى القول بهذا الشيخ محمد عبد العزيز الخولي في كتابه (مفتاح السنة) (4) 0أه0

... والحق أن الحديث صحيح لا مطعن فيه، فقد أخرجه الأئمة أبو داود، والترمذي وقال فيه حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وحكم بصحته ابن حزم، وغيره من العلماء (5) والحديث في كل الطرق السابقة ليس فيه "زيد بن الحباب" إنما هو في رواية ابن ماجة0

(1) المصدر السابق 286/3 - 298 0

(2) انظر : الموافقات 4/399 0

(3) نقلاً عن تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي ص 178، 179 0

(4) انظر : مفتاح السنة ص 10 0

(5) راجع : تخريج الحديث ص 223 0

(199/2)

ومع ذلك فقد قال الحافظ ابن حجر في التقريب "زيد بن الحُبَاب" صدوق يخطئ في حديث الثوري

(1) ورواية زيد هنا في حديثنا إنما هي من حديث معاوية بن صالح، وليست من حديث سفيان

الثوري (2) 0

... وفي نفس الوقت لم ينفرد (زيد بن الحُبَاب) بالرواية عن معاوية بن صالح، فقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريقين عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح، ومن طريق أحمد (3) في المسند عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح (4) 0

... وما نسبته الشيخ المشد من نسبة تضعيف الحديث إلى الإمام الشاطبي يبطله قول الإمام الشاطبي : قوله (: "يوشك الرجل منكم متكئاً على أريكته" إلى آخره لا يتبادل ما نحن فيه (أى مسألة استقلال السنة بتشريع الأحكام) فإن الحديث إنما جاء فيمن يطرح السنة معتمداً على رأيه في فهم القرآن، وهذا لم ندعه في مسألتنا هذه، بل هو رأى أولئك الخارجين عن الطريقة المثلى 0 وقوله (: "ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله" (5) صحيح 0

(1) انظر : تقريب التهذيب 327/1 رقم 2130 0

(2) انظر : سنن ابن ماجة المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله (، والتغليظ على من عارضه

20/1 رقم 12 0

(3) انظر : المسند 130/4، 131، 132 0

(4) انظر : المستدرك للحاكم كتاب العلم 191/1، 192 رقم 371 0

(5) الموافقات 432/4، وانظر : الاعتصام 61/1 0

(200/2)

... أليس في هذا حكم من الإمام الشاطبي باعتماده صحة الحديث، وأخذه بما حرم رسول الله (مما هو زائد من الأحكام التي ليست في كتاب الله (وله حكم ما حرم رب العزة في كتابه العزيز من الحجية، ووجوب العمل به، إلا أنه لا يسمى هذا الزائد استقلالاً، وإنما يسميه بياناً، وهو مما لم يستوعبه الشيخ المشد رحمه الله - حتى ختم فتواه بقوله : "إن الإيجاب والتحريم لا يثبتان إلا بالدليل اليقيني القطعي الثبوت والدلالة، وهذا بالنسبة للسنة لا يتحقق إلا بالأحاديث المتواترة، وحيث أنها تكاد تكون غير معلومة لعدم اتفاق العلماء عليها فإن السنة لا تستقل بإثبات الإيجاب والتحريم - إلا أن تكون فعلية أو تنضاف إلى القرآن الكريم وعلى هذا فمن أنكر استقلال السنة بإثبات الإيجاب والتحريم، فهو منكر لشيء يختلف فيه الأئمة، ولا يعد مما علم بالضرورة، فلا يعد كافراً" (1) 0

... وهذه الفتوى تسمح بما دعاة الفتنة وأدعياء العلم، وهم يشككون في حجية السنة المطهرة، مثل أحمد صبحي منصور استشهد بها في كتابيه "حد الردة" (2) ، "ولماذا القرآن" (3) وسعيد العشماوى في كتابيه "الربا والفائدة في الإسلام" (4) ، "وحقيقة الحجاب" (5) ، وجمال البنا في كتابه (كلا لفقهاء التقليد ثم كلا لأدعياء التنوير) (6) 0

-
- (1) نقلاً عن تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي ص 179 0 ومما هو جدير بالذكر أنه يلتمس لعلمائنا الأجلاء العذر في عدم إدراك مراد الإمام الشاطبي، لأنه قد عبر عن مذهبه بعبارات موهمة للخلاف الحقيقي مع جمهور العلماء، وأقام الأدلة وطعن في أدلة الجمهور، بدون موجب لذلك كله 0
- أفاده الدكتور عبد الغنى عبد الخالق في كتابه حجية السنة ص 537 0
- (2) حد الردة ص 95 - 98 0
- (3) لماذا القرآن ص 155 - 157 0
- (4) الربا والفائدة في الإسلام ص 8 0
- (5) حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص 96 وما بعدها 0
- (6) كلامهم كلا ص 68-71 0

... ومن تعالى في إساءة فهم كلام الإمام الشاطبي واتخذه ستاراً لمذهبه، وهو يشكك في حجية السنة، أحمد حجازي السقا إذ يقول : "اتفقت كلمة علماء المسلمين على أن القرآن مصدر الشريعة، وما عدا القرآن من أقوال النبي (، وأفعاله، وتقريراته، لم يتفقوا على قبوله كله مصدراً للشريعة كما اتفقوا على قبول القرآن كله⁰ فما كان من أقواله وأفعاله وتقريراته مفسراً ومبيناً وشارحاً وصح سنده⁰ فقد اتفقوا على قبوله مع القرآن⁰ وما كان غير مفسر، ومبين وشارح لم يتفقوا عليه كلهم" (1) 0

ولم يبين لنا حقيقة هذا الاختلاف، وقد علمت أنه خلاف لفظي لا يبنى عليه عمل⁰ ورغم ذلك يضلل أحمد حجازي بقوله عن الأحكام التي استقلت السنة بتأسيسها : "وهذا القسم هو محل النزاع بين العلماء⁰ فمن قائل : إن الأحاديث التي تشرع تشريعات لا ذكر لها في القرآن ترفض، ومن قائل : إنها تقبل" (2) 0 وعلى عادته لم يسم لنا مَنْ مِنَ العلماء المعتد بهم الذي قال أن التشريعات التي لا ذكر لها في القرآن ترفض⁰

ثم يفترى كذباً بنسبة ذلك الرفض، والخلاف إلى الفقهاء بقوله : "إن الأحاديث المستقلة بتشريع عن القرآن هي محل نظر، وبحث، وأخذ، ورد، بين الفقهاء، وهي التي ميزت المذاهب الفقهية عن بعضها، ووسعت دائرة الخلاف بين المسلمين، ويجب على علماء المسلمين أن يقبلوا من السنة : (أ) النوع المفسر، (ب) النوع الموافق⁰ وذلك لتقيل الخلافات بين المسلمين (3) 0 ولم يسم لنا من هم المسلمون الذين اختلفوا؟ ونفس هذا الكذب رده في كتابه (دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي) إذ يقول : "إذا كانت الآية القرآنية تدل على حكم⁰ ووجد في الأحاديث :
أ- حديث موافق للآية⁰
ب- وحديث غير موافق⁰

-
- (1) حقيقة السنة النبوية ص 7، وانظر: أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية ص 39 وما بعدها⁰
 - (2) حقيقة السنة النبوية ص 9 0
 - (3) المصدر السابق ص 15 0

... ففي هذه الحالة يجب على الفقيه أن يأخذ بالحديث الموافق للآية، ويترك الحديث غير الموافق للآية، وإن كان صحيح السند من رواية مسلم بن الحجاج" (1) 0

... وهو في كل هذا الذي يزعمه كذباً يتمسح بكلام الإمام الشاطبي في الموافقات، موهماً بأن الإمام الشاطبي يقول بكذبه (2) 0

تمسح دعاة الفتنة وأدعياء العلم بإيمانهم بالسنة البيانية وبيان مرادهم وهدفهم من ذلك

... التمسح بالإيمان بالسنة البيانية بالمفهوم الذي قال به أحمد حجازي السقا رده (دعاة على أبواب جهنم) ممن هم من جلدتنا، ويتكلمون بلغتنا، وينتسبون إلى أمتنا الإسلامية 0 مثل إسماعيل منصور إذ يقول : "إن السنة الحقة هي سنة واحدة، سنة الله (، وليست هناك سنة أخرى غيرها، وإنما للرسول (، بيان نبوى للقرآن الكريم "نرفعه على العين والرأس متى ثبت تحقيقاً، لا يخالف - بأى حال - أحكام ومدلولات القرآن الكريم (3) فنقبله كبيان فحسب وليس تشريعاً مستقلاً" (4) 0

... ثم يصف قيمة السنة البيانية بقوله: "إنها للاستئناس لا للاستدلال، وللبيان لا للإثبات، الأمر الذي يجعل الآخذين بها والرافضين لها -أمام الشرع- على حدٍ سواء 0 فلا إلزام لأى طرف منهما على قبول رأى الآخر، فالآخذ بها فعله مقبول، والرافض لها فعله مقبول كذلك" (5)

-
- (1) دفع الشبهات ص 65، 66 0
 - (2) انظر : حقيقة السنة ص 10، ودفع الشبهات ص 60 هامش 0
 - (3) بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين ص 21 0
 - (4) المصدر السابق ص 24، وانظر : مجلة المنار المجلد 9/908، 924 مقال الدكتور توفيق صدقي (الإسلام هو القرآن وحده) 0
 - (5) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 663 0

... ويقول الرافضى صالح الورداني : "القرآن هو المصدر الوحيد الذى تمسك به بين أيدينا وليس محل خلاف، وما دونه من المصادر هى محل خلاف بين المسلمين، وعلى رأسها مصدر السنة أو الأحاديث، وحيث إن السنة هى تبين للقرآن فإن هذا التبيين إنما يكون فى حدود القرآن ولا يتجاوزه، وإذا ما تبين لنا أن مهمة الرسول (هى تبليغ ما يوحى إليه من ربه فلا يجوز للرسول أن يضيف أحكاماً فوق أحكام القرآن، فمهمته تنحصر فى تبليغ القرآن، وتبيينه للناس، وتنتهى هذه المهمة بوفاته" (1) 0

ويقول أيضاً : "إن الرسول إنما كان يدعوا دائماً إلى التمسك بهدى القرآن وحكمه، لا بهديه وحكمه هو 0 فهو وظيفته التبيين والتبليغ فقط" (2) 0 ثم أخذ يحدد ما استقلت بتأسيسه السنة من أحكام 0

مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وحد الردة، ونكاح المتعة، وغير ذلك الكثير مما استقلت به السنة (3) 0

وللمنكرين حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام نقول لهم ما قاله العلامة الشوكاني : "إن ثبوت حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف فى ذلك إلا من لاحظ له فى دين الإسلام" (4) 0

نماذج من الأحاديث التى استقلت السنة النبوية بتشريعها

(1) الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص 40، 41 بتصرف، وانظر : له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص 79، 80 0

(2) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 129 0

(3) انظر : المصادر السابقة فى نفس الأماكن 0

(4) إرشاد الفحول 1/158 0

... أسهب الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله- في أعلام الموقعين، في ذكر الأحكام المستقلة الثبوت بالسنة (1) ، وقال : "أحكام السنة التي ليست في القرآن إن لم تكن أكثر منها، لم تنقص عنها، فلو ساغ لنا رد كل سنة زائدة كانت على نص القرآن لبطلت سنن رسول الله (كلها إلا سنة دل عليها القرآن، وهذا هو الذي أخبر النبي (بأنه سيقع ولا بد من وقوع خبره" (2) 0

ومن أمثلة ما استقلت السنة المطهرة بتشريع، وأنكره أعداء الإسلام، والسنة المطهرة :
1- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها (3) ، وتحريم الحمر الأهلية (4) وكل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير (5) ، وأنه يحرم من الرضاعة

(1) انظر : أعلام الموقعين 2/287-290 0

(2) انظر : المصدر السابق 2/290 0

(3) سبق تخريجه ص 228، وانظر : نيل الأوطار 6/146، وسبل السلام 3/998 ومنزلة السنة من الكتاب ص 304، ومن التوجيهات النبوية للأسرة الإسلامية لفضيلة الأستاذ الدكتور سعيد صوابي ص 10-54 0

(4) سبق تخريجه ص 445، وانظر: نيل الأوطار 8/113، وسبل السلام 1/49، 3/1002،

4/1387 0

(5) سبق تخريجه ص 445، وانظر : نيل الأوطار 8/115، وسبل السلام 4/1385، 1386 0

(205/2)

ما يحرم من النسب" (1) وأنه لا يقتل مسلم بكافر (2) ، وحد شارب الخمر (3) ، وحد الرجم (4) ، وحد الردة (5) ، والنهي عن زواج المتعة (6)

(1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب (وأمهاتكم اللاآتى أرضعنكم) 9/43 رقم 5100، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة 5/278 رقم 1447 من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - وانظر : نيل الأوطار 6/317، وسبل السلام

1151/3، والموافقات 4/423، ومنزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 295
- 297 0

(2) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب فكاك الأسيرة وغيره 6/193 رقم 3047 من حديث على بن أبي طالب (0 وانظر : نيل الأوطار 7/8، وسبل السلام 3/1188 0

(3) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الحدود، باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ومن عاد فى الرابعة فاقتلوه 4/39 رقم 1444 من حديث معاوية وجابر -رضى الله عنهما- وانظر : نيل الأوطار 7/138، وسبل السلام 4/1311 وما بعدها، ومنزلة السنة من الكتاب ص 286 0
(4) الحديث سبق تخريجه ص 222، وسيأتى دفاع الشاطبى عن المنكرين للحد قريباً، وانظر : نيل الأوطار 7/86، وسبل السلام 4/1267 وما بعدها، ومنزلة السنة من الكتاب ص 273 وما بعدها 0

(5) الحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله 6/173 رقم 3017 من حديث ابن عباس (، وانظر : نيل الأوطار 7/190 0 ومنزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 289 وما بعدها 0
(6) ففى الحديث عن على (أن النبى (نهى، عن نكاح المتعة، يوم خير، وعن لحوم الحمر الأهلية" أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب المغازى، باب غزوة خيبر 7/549 رقم 4216 0 ومسلم (بشرح النووى) كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة 5/198، 199 رقم 1407، وانظر : نيل الأوطار 6/133، وسبل السلام 3/1001، والموافقات 3/96 0

(206/2)

0 وغير ذلك الكثير والكثير، مما استقلت السنة المطهرة بتشريعة، وجاء متواتراً (1) 0

ماذا قال الإمام الشاطبى فى الأحكام
التي استقلت السنة بتأسيسها؟

... أحب هنا أن نذكر كلام الإمام الشاطبي في بعض الأحاديث السابقة، وكيف أقر بتأسيس السنة أحكاماً زائدة على ما في القرآن الكريم، ولكنه لم يسم ذلك استقلالاً كما سماه الجمهور، وإنما سماه بياناً، وأدخله تحت قواعد القرآن الكريم وأقر بحجته، ووجوب العمل به، وهو ما نازع فيه من استشهد بكلامه⁰ مما يؤكد ما سبق أن ذكرناه أن بعض علمائنا الأجلاء أساء فهم كلام الإمام الشاطبي، كما اتخذ بعض أعداء السنة المطهرة كلامه ستاراً للتشكيك في حجية السنة، ومكانتها التشريعية⁰

... يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : "إن الله تعالى حرم الجمع بين الأم وابنتها في النكاح، وبين الأخنتين، وجاء في القرآن : (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) (2) فجاء نفيه (عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من باب القياس، لأن المعنى الذي لأجله ذم الجمع بين أولئك موجود هنا : وقد روى في هذا الحديث : "فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم" والتعليل بشعر بوجه القياس" (3) 0

...

-
- (1) انظر : في تواتر الأحاديث السابقة، نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، وتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع في نظم المتناثر لعبد العزيز الغماري، ضمن مجموعة الحديث الصديقية⁰
- (2) جزء من الآية 24 من سورة النساء⁰
- (3) الموافقات 4/422 وما بعدها، وانظر : نيل الأوطار 6/148 0

(207/2)

... ويقول أيضاً في كتابه الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه سبل أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان⁰ قولهم (1) : "إن الحديث جاء بأن المرأة لا تنكح على عماتها، ولا على خالتها، وأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، والله تعالى لما ذكر المحرمات لم يذكر من الرضاع إلا الأم والأخت، ومن الجمع إلا الجمع بين الأخنتين، وقال بعد ذلك : (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) (2) فافتضى أن المرأة تنكح على عماتها وعلى خالتها، وإن كان رضاع سوى الأم والأخت حلالاً⁰

... وهذه الأشياء من باب تخصيص العموم لا تعارض فيه على كل حال" (3) 0

فتأمل كيف سمي ذلك الحكم الزائد في السنة تخصيصاً لعموم القرآن الكريم، ولم يسمه استقلالاً كما سماه جمهور العلماء؛ فكان الخلاف لفظياً⁰

(1) يحكى الإمام هذا الكلام عن أهل الابتداع قديماً، وتابعهم حديثاً أحمد حجازى السقا في كتابه حقيقة السنة النبوية ص9، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص60، 7، 198، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص254، والخدعة لصالح الورداني ص41، وانظر له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص80، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص131، 130، ولماذا القرآن لأحمد صبحي منصور ص62 - 66، ودين السلطان لنيازى عز الدين ص908 وما بعدها⁰

(2) جزء من الآية 24 من سورة النساء⁰

(3) الاعتصام 560/2، وفي كتابه الموافقات قال : "أن ما يحرم من الرضاع يحرم من النسب" بيان نبوى ملحق بقوله تعالى: "وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ" جزء من الآية 23 من سورة النساء فألحق بهاتين سائر القربات من الرضاعة التي يحرم من النسب كالعمة والحالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت، وأشبه ذلك أ⁰هـ انظر : الموافقات 4/424 0

(208/2)

... وانظر كيف أخذ بهذا الحكم الزائد، ولم يأخذ به من استشهد بكلامه موهماً أنه لا يأخذ به، فأساء في فهم كلام الإمام، وأساء في النقل عنه كما مر⁰

... وعن الأحكام الزائد في السنة المطهرة، مثل تحريم الحمر الأهلية، وكل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير⁰

قال عن الأحكام السابقة : "إن الله تعالى أحل الطيبات وحرم الخبائث، وبقي بين هذين الأصلين أشياء يمكن لحاقها بأحدهما، فبين (1) عليه الصلاة والسلام، في ذلك ما اتضح به الأمر، فنهى عن أكل كل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير، ونهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، وقال إنها رجس (2) : وسئل ابن عمر عن القنفذ فتلا قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ حَمَّ خَنْزِيرٍ (3) فقال له شيخ عنده سمعت أبا هريرة: يقول ذكر عند النبي (:فقال: "خبيثة من الخبائث" فقال ابن عمر : إن كان قال رسول الله (هذا فهو كما قال ما لم نَدْر " (4) 0

-
- (1) انظر: كيف آمن بهذا الحكم الزائد بياناً وأنكره المبتدعة 0 أمثال جمال البنا في السنة ودورها في الفقه الجديد ص 254، وأحمد حجازي السقا في دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 7، 61، 198، وحقيقية السنة النبوية ص 9، ونيازی عز الدين في دين السلطان ص 905 وما بعدها 0
- (2) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر 534/7 رقم 4198 من حديث أنس بن مالك 0
- (3) الآية 145 من سورة الأنعام 0
- (4) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأطعمة، باب في أكل حشرات الأرض 354/3 رقم 3799، وانظر : الموافقات 414/4 - 415، ونيل الأوطار 117/8، وسبل السلام 1393/4 0

(209/2)

... وعن حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً "لا يقتل مسلم بكافر" يقول الإمام الشاطبي: "وأما أن لا يقتل مسلم بكافر" فقد انتزعها العلماء من الكتاب، كقوله تعالى : (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) (1) ... ويمكن أن يؤخذ حكم المسألة مأخذ القياس، لأن الله تعالى قال : (الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ) (2) فلم يقده من الحر للعبد، والعبودية من آثار الكفر فأولى أن لا يُقَادَ من المسلم للكافر" (3) 0

فانظر كيف أخذ بالسنة الزائدة على أنها بيانية على قاعدته ومصطلحه 0

ورغم ذلك وجد من يطعن في الحديث (4) بحجة مخالفته للقرآن : (وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) (5) 0

ويقول الإمام الشاطبي في حد الرجم : "قولهم (6) : هذا مخالف لكتاب الله (، لأنه قضى بالرجم والتغريب، وليس للرجم ولا للتغريب في كتاب الله ذكر، فإن كان الحديث باطلاً فهو ما أردنا، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم والتغريب 0

-
- (1) الآية 141 من سورة النساء0
- (2) جزء من الآية 178 من سورة البقرة0
- (3) الموافقات 4/432، وانظر : فواتح الرحموت 1/298، والتقريب والتحرير 1/232، ونيل الأوطار 7/8، وسبل السلام 3/1188، وقال الإمام الزركشى : "إن حديث عدم قتل المسلم بالذمى = متواتر عند الشافعية دون الحنفية" وما تواتر عند الكافة، وعند أهل الصناعة، منكره معاند كافر كمنكر القرآن" انظر : البحر المحيط فى أصول الفقه 4/247 0
- (4) انظر : البيان بالقرآن لمصطفى المهدوى 1/432، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازى السقا ص 151 وما بعدها0
- (5) جزء من الآية 45 من سورة المائدة0
- (6) يحكى الإمام هذا الكلام عن أهل الابتداع قديماً، وحديثاً تابعهم رشاد خليفة فى "القرآن والحديث والإسلام" ص 39 0 وأحمد حجازى السقا فى دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 108، وغيرهم ممن سيأتى ذكرهم قريباً0

(210/2)

يقول الإمام الشاطبى رداً على دعوى المخالفة : فهذا اتباع للمتشابه، لأن الكتاب فى كلام العرب، وفى الشرع يتصرف على وجوه منها الحكم، والفرض كقوله تعالى : (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) (1) ، وقال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) (2) وقال تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ) (3) ، فكان المعنى : لأقضين بينكما بكتاب الله، أى بحكم الله الذى شرع لنا، ولا يلزم أن يوجد هذا الحكم فى القرآن، كما أن الكتاب يطلق على القرآن، فتخصيصهم الكتاب بأحد المحامل، من غير دليل اتباع لما تشابه من الأدلة" (4) 0

-
- (1) جزء من الآية 24 من سورة النساء0
- (2) جزء من الآية 183 من سورة البقرة0
- (3) جزء من الآية 77 من سورة النساء0
- (4) الاعتصام 1/199، 200، 558/2، 559، ومزيد من الرد انظر : تأويل مختلف الحديث لابن

قتيبة ص 88، 177، ومع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع للدكتور علي السالوس
96، 115/1، وضلالات منكري السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي ص 295 وما بعدها،
والسنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولي ص 23 وما بعدها 0

(211/2)

... ثم قال الإمام الشاطبي : "وقول من زعم (1) أن قوله تعالى في الإماماء : (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) (2) لا يعقل مع ما جاء في الحديث أن النبي (
رجم، ورجمت الأئمة بعده؛ لأنه يقتضي أن الرجم ينتصف، وهذا غير معقول، فكيف يكون نصفه
على الإماماء؟

هذا ذهباً منهم إلى أن المحصنات هن ذوات الأزواج، وليس كذلك، بل المحصنات هنا المراد بهن
الحرائر، بدليل قوله أول الآية : (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) (3) وليس المراد هنا إلا الحرائر؛ لأن ذوات الأزواج لا
تنكح" (4) 0

وبعد

-
- (1) حكاية منه عن أهل الابتداع قديماً، وتابعهم حديثاً 0 توفيق صدقي في مقاله "الإسلام هو القرآن
وحده"، انظر : مجلة المنار المجلد 523/9، 524، وأحمد حجازي السقا في كتابه إعجاز القرآن" ص
79، ودفع الشبهات ص 108، والسيد صالح أبو بكر في الأضواء القرآنية ص 313، 314،
ومصطفى المهدوي في البيان بالقرآن 334/1، 356، ونيازی عز الدين في دين السلطان ص 948
وما بعدها، وأحمد صبحي منصور في لماذا القرآن ص 112 وغيرهم 0
(2) جزء من الآية 25 من سورة النساء 0
(3) الآية 25 من سورة النساء 0
(4) الاعتصام 509/2، 560، وانظر : نظرة القرآن إلى الجريمة والعقاب للدكتور محمد عبد المنعم

القبيعي، وعقوبة الحد في ضوء القرآن الكريم وأثرها في إصلاح المجتمع للدكتور محمد زاوى عبد الله،
ومنهاج السنة في الحدود وأثره في صلاح المجتمع للدكتور عبد المنعم عطية⁰

(212/2)

إن الأحكام التي انفردت بها السنة كثيرة⁰ وكلها تعطى الدليل الأكيد على أن السنة لها صلاحية
تأسيس الأحكام على سبيل الاستقلال - فهي في ذلك مثل القرآن الكريم، وما شرعته السنة حجة
يجب العمل به مثل القرآن الكريم تماماً، وعلى هذا انعقد إجماع من يعتد به من علماء الأمة قديماً
وحديثاً⁰

... والذي يقبل عن رسول الله (فإنما يقبل أيضاً عن الله تعالى لأن الله تعالى؛ هو الذى أوجب طاعة
رسوله (حيث قال سبحانه : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (1) 0
... يقول الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي - في كتابه الرائع الرسالة بأسلوبه الفصيح البليغ :
"وما سن رسول الله فيما ليس لله فيه حكم : فبحكم الله سنه⁰ وكذلك أخبرنا الله في قوله : (وَإِنَّكَ
لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (52) صِرَاطِ اللَّهِ (2) وقد سن رسول الله مع كتاب الله، وسن فيما ليس
فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سن فقد ألزمنا اتباعه" (3) ، والانتهاى إلى حكمه⁰ فمن قبل عن رسول
الله فبفرض الله قبل" (4) أ⁰هـ

مضار إنكار السنة النبوية

... إن الاعتداء على السنة النبوية بإنكارها والتشكيك في حجيتها يفتح أبواب شر تقوض بنيان
الإسلام وذلك لما يلي :
أولاً : أن الأحكام الشرعية العلمية الأصولية "العقائد" يتوقف بنائها وتفصيلها على السنة النبوية
بعد، ومع القرآن الكريم، فإنكار السنة النبوية يهدد العقائد بالبت والإبهام، فيمس ما يتعلق
بالإلهيات، والنبوات، والسمعيات، وما سوى ذلك من مسائل العقائد ... ، فهل يقام دين على
عقائد مبتورة مبهمة؟

- (1) الآية 7 من سورة الحشر 0
(2) جزء من الآيتين 52، 53 من سورة الشورى 0
(3) الرسالة للشافعي ص 88 فقرات رقم 292، 293، 294 0
(4) المصدر السابق ص 22 فقرة رقم 58 0

(213/2)

ثانياً : القضاء على أصول الأحكام الشرعية العملية "أصول الفقه الإسلامى" لأن هذا العلم يتصدى للأدلة التى تبنى عليها الأحكام، وقد أجمع الأصوليون على أن السنة النبوية المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، وعلى هذا فإنكار السنة النبوية يجعل الفقه الإسلامى فى مهب الرياح لعدم ارتكازه على أدلة ولافتقاره إلى أسس 0

ثالثاً : تحطيم فقه الفروع (المذهبي والمقارن)؛ لأن جل المسائل الفقهية والوقائع تستند إلى السنة النبوية إما بالبيان والإيضاح كمواقيت وأعداد وهيآت الصلوات المفروضة 0 وإما بالاستقلال مثل كفارة من أفسد صوم رمضان، وعقوبتي شارب المسكر والمترد، وأسس الجهاد، والآداب والسلوكيات وفضائل الأعمال وغير ذلك مما سبق ذكره 0

رابعاً : تشويه علوم القرآن الكريم لاستنادها فى كثير من قضاياها على السنة النبوية، وتهديد علم التفسير لارتكازه فى جل ما يعرض له على السنة النبوية وهكذا : بإنكار السنة النبوية تمسى الأمة بغير تشريع واضح المعالم قوى الدلالة، فقد تعرض أصول التشريع، وفروعه للاهتراء وللاجتزاء 0

... إن إنكار السنة النبوية يمهّد السبيل للتشكيك فى القرآن نفسه، وتعطيل الآيات التى تحت وتحض على اتباع رسول الله (واتخاذة قدوة وتحكيمه والرضا بحكمه وإيثار طاعته على ما سواه" (1) 0

... إن الطعن فى السنة النبوية هدم للإسلام فى عقائده، وعباداته، ونظمه، وأخلاقه، وهدم لوحده وسبب فى تخلف المسلمين عن ركب الحضارة 0

(1) السنة النبوية للدكتور أحمد محمود كريمة ص 27، 28 0

(214/2)

يقول الأستاذ محمد أسد : "لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلالنا الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله (هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام (1) ، وهذا ما يخطط له أعداء الإسلام سواء الظاهرون العداوة له المتظاهرون عليه أو اللابسون عباءته بمتاناً وزوراً! أ0ه0
حكم منكر السنة النبوية

... يقول الإمام محمد بن الحسين الآجری (2) في كتابه الشريعة : "جميع فرائض الله (التي فرضها الله جل وعلا في كتابه، لا يعلم الحكم فيها، إلا بسنن رسول الله (هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين" (3) 0

... وقال الإمام ابن حزم : "ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو : أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر في ذلك 0 وقائل هذا أو نحوه كافر مشرك، حلال الدم والمال، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم (4) 0

-
- (1) الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ص 87 0
(2) الآجری هو : الإمام، الحافظ، المحدث، القدوة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، صاحب "الشريعة - في السنة -" و "الأربعين" كان عالماً عاملاً صاحب سنة ديناً ثقة 0 مات سنة 360هـ له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي ص 379 رقم 856، وتذكرة الحفاظ 3/936 رقم 888، والبداية والنهاية لابن كثير 11/288، والعبر 2/318، ووفيات الأعيان 1/488، والفهرست ص 360 0
(3) الشريعة ص 50 0
(4) الإحكام في أصول الأحكام 2/214 بتصرف يسير 0

... وقال الحافظ السيوطي : "فاعلموا رحمكم الله أن من ينكر كون حديث رسول الله (، قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء من فرق الكفرة (1) 00هـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

(1) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص 14، ورغم كل هذه الأقوال وغيرها كثير ترى أحمد حجازي السقا في كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي يذهب إلى أن إنكار الأحاديث كلها لا يكفر" انظر : دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 77، والاستزادة في حكم منكر السنة انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر 33/2، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 149 - 151، وحجية السنة للدكتور عبد الغني ص 252 - 255، والسنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص 79 0

(216/2)

الفصل الثاني

وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد

وتحت تهديد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمتواتر، وبيان كثرة وجوده ودرجة ما يفيد من العلم، وحكم العمل به، وحكم جاحده 0

المبحث الثاني : التعريف بالآحاد، وبيان درجة ما يفيد من العلم، وحجيته، ووجوب العمل به 0

المبحث الثالث : منكروا حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً استعراض شبههم والرد عليها 0

المبحث الرابع : شروط حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به عند المحدثين والرد على شروط المعتزلة ومن قال بقولهم قديماً وحديثاً 0

... إذا كان الذين ينكرون حجية السنة عامة، قلة قليلة خالفت المسلمين أجمع، وأنكرت ما هو معلوم من الدين بالضرورة - فإن خطورتهم من أجل هذا لم تكن كبيرة، ولم تكن مثل خطورة من أنكروا أخبار الآحاد، فهم أكثر منهم عدداً، ولهم شبههم، التي اتخذوها وسيلة للطعن في حجية السنة عامة، وشبههم في هذه الوسيلة من الممكن أن تنطلي على كثير من الناس لو تركت وشأنها⁰ وقبل أن نتعرض لتفنيد شبهاتهم⁰ نذكر أولاً ما اصطلح عليه جمهور العلماء من تقسيم السنة من حيث السند، وعدد الرواة في كل طبقة إلى متواتر (1)، وآحاد (2) معرفين بكل قسم لغة، واصطلاحاً، ودرجة ما يفيد من العلم، وحجيته، ووجوب العمل به⁰ فإلى بيان ذلك في المباحث التالية :

المبحث الأول

التعريف بالمتواتر وبيان كثرة وجوده، ودرجة ما يفيد من العلم، وحكم العمل به، وحكم جاحده

أولاً : التعريف بالمتواتر لغة واصطلاحاً :

المتواتر لغة: مجئ الواحد إثر الواحد بفترة بينهما، وذلك مثل قوله تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى) (3) 0 أى متتابعين رسولاً بعد رسول بينهما فترة⁰

(1) يطلق عليه الإمام الشافعي (علم العامة) أو (علم الإحاطة) انظر: الرسالة ص 478 فقرة رقم

(2) يسميه الشافعي (علم الخاصة) انظر : الرسالة ص 478 فقرة رقم 1330 0

(3) الآية 44 من سورة المؤمنون⁰

... فالمواترة المتابعة، ولا تكون بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة، وإلا فهي مداركة ومواصلة (1)
0والخلاصة أن التواتر هو: التابع مع التراخي، أو بدون التراخي، والأول أقوى 0

... أما في الاصطلاح : فقد عرفه العلماء قديماً وحديثاً تعريفات كثيرة، ولعل من أجمعها وأمنعها ما عرفه به فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى أمين النازي - رحمه الله - بقوله : "هو ما رواه جمع كثير، يحيل العقل اتفاقهم على الكذب عادة أو صدوره منهم اتفاقاً، عن مثلهم، في كل طبقة من طبقاته، وأن يكون مستند انتهائهم الحس، ويصحب خبرهم إفادة العلم بنفسه لسامعه (2) 0

ثانياً : اختلاف العلماء في وجود المتواتر :

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور (مصطفى النازي) - رحمه الله - : "لا خلاف في أن الأخبار المتواترة تقع كثيراً في حياة دنيا الناس اليومية، ففي كل يوم نسمع عن حادثة تقع في ناحية من النواحي النائية، أو نسمع بتصريح يصدر عن مسئول في بلد من البلاد فتطير به وكالات الأنباء وتذيعه جميع الإذاعات في أنحاء العالم فينتشر الخبر بين الناس ويعلم به القريب والبعيد على سواء، ثم لا يكذب من أحد، فيحصل به العلم الجازم عند سامعيه، بصحة الخبر ونسبته إلى قائله، ولا شك أن هذا من الأخبار المتواترة التي استوفت شروط التواتر، وإنما الخلاف بين العلماء في وجود الخبر المتواتر في السنة النبوية، وقد ذهبوا في هذا الخلاف إلى ثلاثة مذاهب :

(1) انظر: القاموس المحيط 151/2، 150، ومختار الصحاح ص 707، 708، والمصباح المنير 647/2 0

(2) مقاصد الحديث في القديم والحديث 7/2 وانظر : نزهة النظر لابن حجر ص 17، والإحكام للآمدى 14/2، 15، والبحر المحيط 231/4، وإرشاد الفحول 200/1، والإبهاج في شرح المنهاج 285/2، والحصول للرازي 108/2، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص 146 0

(218/2)

1- المذهب الأول : وعليه ابن حبان والحازمي وغيرهما أن الحديث المتواتر في السنة المستوفى لشروط التواتر لا وجود له بالمرّة، وإنما الموجود منه هو الحديث الآحاد الذي قد يبلغ درجة

الاستفاضة والشهرة (1) 0

2- المذهب الثاني : أن الحديث المتواتر في السنة نادر قليل يعز وجوده، وعليه الحافظ أبو عمرو المعروف بابن الصلاح حيث يقول في مقدمته علوم الحديث : "ومن سئل عن إبراز مثال لذلك فيما يروى من الحديث أعياه تطلبه" (2) 0

3- المذهب الثالث : وهو مذهب الجمهور أن الحديث المتواتر في السنة له وجود كثير، وأيد ذلك بأنه يوجد بالفعل أحاديث متواترة كثيرة في كتب الحديث المشهورة، مثل الكتب الستة والمسانيد، وغيرها، وهذه الكتب قد انتشرت واشتهرت بين أهل العلم وقطعوا بصحة نسبتها إلى أصحابها الذين صنفوها وألفوها، وكثيراً ما تجتمع هذه الكتب، وتتفق على إخراج أحاديث قد تعددت طرقها فكل طبقات رواها تعدداً يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عادة أو صدوره منهم اتفاقاً، وقد انتهت إلى قول من أقوال الرسول، أو فعل من أفعاله، أو بيان حالة من حالاته 0 ... وقد أفادنا اجتماعها العلم بصحة نسبة هذه الأحاديث إلى قائلها، ولا شك أن ذلك هو الحديث المتواتر المستوفى لشروطه التي سبق ذكرها 0

(1) شروط الأئمة الخمسة للحازمي ص 31، 32، 37 0

(2) علوم الحديث ص 162 0

(219/2)

وقد نص على هذا الحافظ ابن حجر فقال في شرحه على نخبة الفكر : "ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجوداً وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفها إذا اجتمعت على إخراج حديث، وقد تعددت طرقه تعدداً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله، ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير (1) 0هـ

... وقد رد الجمهور على أصحاب المذهبين الأولين القائلين بعدم وجود الحديث المتواتر، أو بعزّة وجوده، بأن قولهما إنما نشأ من الآتي :

1- عدم معرفة طرق الأحاديث وعدم الوقوف على أحوال رواها وصفاتهم 0

2- وإما لعدم إطلاعهم عليها 0

3- وإما لعدم استيعابهم ذلك، وقصر باعهم عن الوقوف عليها 0
ولو عرفوا ذلك لعلموا أن هناك أحاديث كثيرة ينطبق عليها شروط التواتر (2) 0

... ويمكن الجمع بين هذه المذاهب الثلاثة بما يلي :
أولاً : أن القائلين بعدم وجود الحديث المتواتر إنما أرادوا المبالغة في بيان قلته وندرة وجوده، وبذلك عاد أصحاب المذهب الأول إلى المذهب الثاني 0

-
- (1) نزهة النظر ص 19، وانظر : تدريب الراوى 178/2 - 179، والبحر المحيط 248/4،
والمدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 331 0
(2) انظر : طعن فضيلة الشيخ شلتوت - رحمه الله - في هذا الرأي تحت عنوان "الإسراف في
وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه" الإسلام عقيدة وشريعة ص 62 - 65 0

(220/2)

ثانياً : يجمع بين المذهب الثاني القائل بعزّة وجود الحديث المتواتر، ومذهب الجمهور القائل بكثرة
وجوده، بأن القائلين بعزته إنما أرادوا الأحاديث المتواترة تواتراً لفظياً، وأن القائلين بكثرته إنما أرادوا
الأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً، وهذا حق؛ لأن المتواتر لفظاً قليل، وأهل الحديث لا يكادون يتفقون
إلا على القليل منه، والمتواتر معنى كثير" (1) 0هـ

ثالثاً : ما يفيد المتواتر من العلم :

-
- (1) وبذلك قال شارح مسلم الثبوت 120/1 وما بعدها، وانظر : مقاصد الحديث في القديم
والحديث 19/2 - 22، ودراسات أصولية في السنة ص 161، وانظر : أمثلة على الأحاديث
المتواترة في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني،
وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة للسيد عبد
العزيز بن محمد بن الصديق الغماري، ضمن مجموعة الحديث الصديقية 0

(221/2)

... قام الإجماع على أن الخبر المتواتر يفيد العلم، وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، لا لاعتقاد المعتقد، وشذ عن الإجماع بعض الفرق؛ مثل البراهمة (1) والسُّمْنِيَّة (2) ، والنظام من المعتزلة على ما حكاه عنه البغدادى فى أصول الدين (3) 0

... فزعموا أن الأخبار ليست طريقاً لإفادة العلم، وإنما العلم سبيله؛ إما الحس، وإما أن يكون من الضروريات، وهو زعم باطل، ورأى فاسد لا يعتد به، قام الدليل على خلافة 0

(1) البراهمة: قوم ينكرون الرسالة، ويعبدون الله عبادة مطلقة، لا من حيث إرسال نبي، ولا رسول معين، وينكرون الأنبياء والمرسلين مطلقاً، ويزعمون أنهم أولاد إبراهيم عليه السلام، ومنهم جماعة فى الهند يعبدون الأوثان 0 انظر: كشف اصطلاحات الفنون 1/215، وفواتح الرحموت 2/113 0

(2) السُّمْنِيَّة: بضم السين وفتح الميم، نسبة إلى "سومان" وهم قوم من عبدة الأصنام، يقولون بالتناسخ، وبأنه لا طريق للعلم سوى الحس 0 انظر: كشف اصطلاحات الفنون 4/52، وكشف الأسرار 2/262، وفواتح الرحموت 2/113 0 وانظر: فى الرد على شبهاتهم فواتح الرحموت 1/113، وتوجيه النظر ص 57، 64، ومقاصد الحديث فى القديم والحديث 2/24-28 0

(3) أصول الدين ص 20 0

(222/2)

وقد تعرض للرد عليهم الإمام الآمدى فى كتابه "الإحكام فى أصول الأحكام" فقال: "اتفق الكل على أن الخبر المتواتر يفيد العلم خلافاً للسُّمْنِيَّة والبراهمة، فى قولهم لا علم فى غير الضروريات إلا بالحواس دون الأخبار وغيرها 0 ودليل ذلك ما يجده كل عاقل من نفسه من العلم الضرورى بالبلاد النائية، والأمم السالفة، والقرون الخالية، والملوك، والأنبياء، والأئمة، والفضلاء المشهورين والوقائع الجارية بين السلف الماضين، بما يرد علينا من الأخبار حسب وجداننا كالعلم بالمحسوسات عند إدراكنا لها بالحواس 0 ومن أنكر ذلك فقد سقطت مكالمته وظهر جنونه أو مجاحدته" (1) 0

ويقول الإمام الشوكانى: "واعلم أنه لم يخالف أحد من أهل الإسلام، ولا من العقلاء فى أن خبر التواتر يفيد العلم الضرورى، وما روى من الخلاف فى ذلك عن السُّمْنِيَّة، والبراهمة فهو خلاف باطل،

لا يستحق قائله الجواب عليه" (2) 0

وهذا ما نقوله لأهل الزيغ والإلحاد المنكرين للمتواتر القولى من السنة النبوية (3) وجوداً، وحجية،
قاصرين دعواهم كذباً ونفاقاً على الإيمان بالسنة العملية المتواترة (4) 0

(1) الإحكام للآمدى 15/2، وانظر : مقاصد الحديث للدكتور مصطفى التازى 22/2 0

(2) إرشاد الفحول 202/1 0

(3) انظر : مختصر الصواعق المرسله 520/2 0

(4) انظر : "مقال الإسلام هو القرآن وحده" للدكتور توفيق صدقى فى مجلة المنار المجلد 517/9،
912، 924، ومقال النسخ فى الشرائع الإلهية المجلد 687/9، 688، وأضواء على السنة لمحمود
أبو رية ص 39، 42، والأصلاان العظيمان ص 303 وما بعدها، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص
137 كلاهما لجمال البنا0 وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص 18، وعذاب القبر
والثعبان الأقرع لأحمد صبحى ص 9، 16، 17، والإمام الشافعى لنصر أبو زيد ص 107،
والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 210، 238 وغيرهم0

(223/2)

نقول لهم : سقطت مكالمتكم وظهر جنونكم ومجادتكم ولا تستحقون الجواب عليكم0

رابعاً : حكم العمل بالحديث المتواتر :

... الخبر المتواتر عن النبى (قولاً كان أو فعلاً أو تقريراً يفيد علم اليقين والقطع (1) ، ويجب العمل
به بلا خلاف؛ لأنه يفيد القطع بثبوت نسبة الحديث إلى النبى (من غير حاجة إلى البحث عن أحوال
الرواة ... ، ولذلك لم يذكره من المحدثين، فى أبحاث علم الحديث دراية إلا القليل كالحاكم، والخطيب
فى أوائل الكفاية (2) ، وابن عبر البر (3) ، وابن حزم (4) 0

وقال ابن الصلاح : إن أهل الحديث لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص، وإن كان الخطيب
قد ذكره فى كلامه ما يشعر بأنه اتبع فيه غير أهل الحديث، ولعل ذلك كونه لا تشمله صناعتهم

- (1) لأن درجة علم المتواتر ضرورية على ما رجحه الحافظ ابن حجر، ورد على من قال بأن درجة العلم نظرية⁰ انظر : نزهة النظر ص 17، 18 0
- (2) الكفاية، باب الكلام في الأخبار وتقسيمها ص 50 0
- (3) جامع بيان العلم 33/2 0
- (4) الإحكام في أصول الأحكام تقسيم الأخبار عن الله تعالى 102/1 0
- (5) علوم الحديث ص 162، وانظر : فتح المغيـث للسـخاوى 37/3 0

(224/2)

يقول فضيلة الدكتور مصطفى التازى : "ووجهتهم في ذلك أن هذا العلم إنما يبحث عن أحوال الراوى والمروى ليعرف المقبول من الحديث فيعمل به، والمردود منه فلا يعمل به، والحديث المتواتر مقبول قطعاً مفيد للعلم يجب الأخذ به بدون توقف (1) ، وأجاب من ذكره في أبحاث علم الحديث دراية بأنه ليس مقصوداً بالذات، وإنما ذكر لبيان الحكم عليه بالقبول، ووجوب العمل به (2) ، ولا شك أن من أهداف هذا العلم الحكم على الحديث بالقبول أو الرد، ولأن معرفة الحديث الآحاد إنما تكمل بذكر ما يقابله من الحديث المتواتر؛ فيتميز كل منهما عن الآخر، ويعرف حكمه⁰

خامساً : حكم منكر المتواتر :

واعلم أن من أنكر حديثاً متواتراً انعقد الإجماع على تواتره يخرج عن جماعة المسلمين (3) ، وإن لم ينعقد الإجماع على تواتره بل وقع الخلاف فيه يكون منكراً من الفاسقين" (4) 0

- (1) مقاصد الحديث في القديم والحديث 24/2، وانظر: نزهة النظر ص 15، والمكانة العلمية لعبد الرازق في الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار 28/1-33، وانظر : شدوذ الدكتور أحمد حجازى السقا فى كتابه "دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى"، وزعمه أنه ليس من إجماع على العمل بالخبر المتواتر، دفع الشبهات ص 113 0

- (2) انظر : نزهة النظر ص 15، ومقاصد الحديث في القديم والحديث 0 24/2
- (3) انظر: البحر الحيط للزركشى 247/4، وأصول السرخسى 283/1، والمنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل للدكتور فاروق حمادة ص362، وخبر الواحد فى السنة للدكتور سهير رشاد ص15 0
- (4) مقاصد الحديث فى القديم والحديث للدكتور مصطفى التازى 23/2، 0 24

(225/2)

... يقول الحافظ ابن عبد البر : "وأما أصول العلم فالكتاب، والسنة، وتنقسم السنة قسمين: أحدهما : إجماع تنقله الكافة عن الكافة فهذا من الحجج القاطعة للأعداء إذا لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله، يجب استتابته عليه، وإراقة دمه إن لم يتب، لخروجه عما أجمع عليه المسلمون، وسلوكه غير سبيل جميعهم (1) أ0هـ

المبحث الثانى

التعريف بالآحاد وبيان درجة ما يفيد من العلم،
وحجيته ووجوب العمل به

أولاً : التعريف بالآحاد لغة واصطلاحاً :

... الآحاد لغة : جمع أحد بمعنى الواحد (2) ، وينطبق المعنى اللغوى لخبر الواحد على حقيقة اسمه فهو ما رواه فرد واحد0

... واصطلاحاً : هو ما لم يجمع شروط المتواتر (3) ، أو هو ما كان من الأخبار غير منته إلى حد التواتر (4) 0 والتعريفان بمعنى واحد، ومثلهما أيضاً تعريف فضيلة الدكتور مصطفى التازى قال : "هو ما رواه واحد أو أكثر، ولم يصل فى الكثرة إلى حد التواتر، أو وصل ولكن فقد شرطاً من شروطه" (5) 0

... وينقسم الحديث الآحاد باعتبار عدد الرواة فى كل طبقة من طبقات إسناده إلى ثلاثة أقسام :

(1) مشهور (2) عزيز (3) غريب (6) 0

- (1) جامع بيان العلم وفضله 33/2، 34 0
- (2) انظر : القاموس المحيط 340/1، ومختار الصحاح ص 711 0
- (3) نزهة النظر لابن حجر ص 22 0
- (4) الإحكام في أصول الأحكام للآمدى 31/2 0
- (5) مقاصد الحديث في القديم والحديث 37/2 0
- (6) انظر : في التعريف بهذه الأقسام الثلاثة عند جمهور الحديث المصنوع السابق ص 38 - 50، وانظر : نزهة النظر لابن حجر ص 19 - 24، ودراسات أصولية في السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوى ص 165 - 168 0

(226/2)

... وعلى هذا التقسيم الجمهور من الحديث والفقهاء والأصوليين، إلا الحنفية فقد جعلوا المشهور قسماً للآحاد (1) وليس قسماً منه كما يرى الجمهور 0

... وعليه فالسنة عند الأحناف من حيث السند تنقسم إلى ثلاثة أقسام : (1) متواتر (2) مشهور (2) (3) آحاد (3) 0

... والمشهور عند الأحناف يفيد علم الطمأنينة لا علم اليقين (4) ، وهذه المرتبة دون المتواتر (5) ، وفوق الآحاد 0

وهو عندهم في درجة المتواتر من حيث صلاحيته لبيان القرآن الكريم بكل أنواع البيان السابقة، بما في ذلك الزيادة على القرآن فهي مقبولة عندهم بالاتفاق، ولكن الأحناف يعتبرون الزيادة نسخاً للنص القرآني (6) وهم لا يرفعون الآحاد إلى هذه الدرجة في علاقته بالقرآن الكريم 0

ما يفيد خبر الآحاد من العلم عند الجمهور

(1) انظر : مقارنة بين المشهور والحنفى، وخبر الآحاد عند الجمهور فى كتاب "هذا عهد نبينا (إلينا

خبر الآحاد" للأستاذ مصطفى محمد سلامة ص 25 - 33 0

(2) انظر : في التعريف به والأمثلة له عند الأحناف، في المصدر السابق ص 25 - 33، 35 0

(3) انظر : مقارنة بينة عند الأحناف، وعند الجمهور في المصدر نفسه ص 48 0

(4) انظر: هذا عهد نبينا (إلينا خبر الآحاد ص 29 وقال الأستاذ مصطفى محمد سلامة وهذا قول

عامة الحنفية، ولهذا قالوا إن جاحده فقط يضل (المصدر السابق ص 40، 33)، وانظر: أصول

السرخسي 293/1، أما الجصاص فجماعة من الحنفية فقالوا، إنه يفيد العلم اليقيني وجاحده

كافر، المصدر السابق ص 40، 32 0 ورغم إجماع الحنفية على حجية المشهور، إلا أن عيسبن أبان، أبي

إلا أن يشد، فقال، هو حجة بشرط عدم مخالفته للقياس 0 انظر هذا عهد نبينا (إلينا ص 32 0

(5) انظر : الفرق بين المتواتر، والمشهور عند الأحناف، في هذا عهد نبينا (إلينا ص 34 0

(6) انظر : أصول السرخسي 82/2، والمعتمد في أصول الفقه 426/2، والإحكام في أصول

الأحكام للآمدى 155/3 0

(227/2)

... عرفنا فيما سبق أن الخبر المتواتر يفيد اليقين والقطع، فهو مقطوع بصحة نسبته إلى رسول الله (،

وهو في نفس الوقت يوجد في النفس العلم الضروري بمضمون الخبر، فلا يحتاج بعد ذلك إلى نظر

واستدلال 0

... وهذا الرأي هو ما اتفق عليه العلماء جميعاً إلا من لا يعتد بخلافه 0 ولكن الخلاف جرى بين

العلماء في الحديث المقبول من الآحاد بأقسامه الثلاثة المشهور، والعزیز، والغريب، ومحل الخلاف بين

العلماء هو : هل حديث الآحاد يفيد العلم أو الظن؟ وإذا كان يفيد العلم، فما هي الدرجة التي

يفيدها؟ هل يفيد العلم القطعي أو النظري؟

... للعلماء في ذلك مذاهب شتى، نوجزها فيما يلي :

1- ذهب أكثر أهل العلم، وجمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والمالكية، والمعتزلة، والخوارج إلى

أنه لا يفيد العلم مطلقاً أى سواء بقرينة، أو بغير قرينة (1) واختاره الإمام النووي حيث قال معقّباً

على ما قاله ابن الصلاح، ومن شايعه، بأنه يفيد العلم إذا احتفت به قرينة قال : "وخالفه المحققون

والأكثر" فقالوا : يفيد الظن (2) مالم يتواتر (3) 0

ويتعقب الحافظ ابن حجر الإمام النووي، فيما ذهب إليه، فيقول : "ما ذكره النووي، مسلم من جهة الأكثرين، أما المحققون فلا، فقد وافق ابن الصلاح أيضاً محققون (4) ، وهم من أصحاب القول الثالث 0

(1) انظر : المستصفى 145/1، ودراسات أصولية في السنة النبوية ص 169، وخبر الواحد في

السنة وأثره في الفقه الإسلامي للدكتورة سهير رشاد مهنا ص 23 0

(2) سيأتى بيان مراد أئمة المسلمين بالظن، وكيف أساء فهمه أعداء السنة ليطعنوا به في حجية خبر

الواحد انظر ص 563-566 0

(3) تدريب الراوى 132/1 0

(4) المصدر السابق 133/1 0

(228/2)

2- ذهب قوم من أهل الحديث إلى أنه يفيد العلم النظرى بنفسه سواء بقرينة، أو بغير قرينة، متى توافرت فيه شروط الصحة والقبول - من اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبطه، وعدم الشذوذ، وعدم العلة، وحكى هذا رأى ابن الصباغ عن قوم من أهل الحديث (1) ، وبه قال الإمام ابن حزم في الإحكام وقال : "وهو قول الحارث بن أسد المحاسبي، والحسين بن على الكرابيىسى، وأبو الوليد سليمان بن خلف المالكي المعروف بالباجي 0 وعزاه لأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه (2) ، وذكره ابن خويز منداد عن مالك بن أنس (3) ، وإن نازعه فيه المازرى بعدم وجود نص له فيه، وحكاه ابن حزم عن داود الظاهري (4) ، وحكاه ابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق المرسلة عن الإمام الشافعى -رحمه الله- (5) 0

3- وذهب بعض أهل الحديث، ومعهم بعض أهل الأصول والفقه، إلى أن خبر الآحاد إذا احتفت به قرينة خارجية تدل على مزيد من صحة ثبوت الخبر إلى من أخبر به، يفيد العلم النظرى اليقيني (6) 0

(1) تدريب الراوى 75/1 0

(2) المصدر السابق 75/1، وانظر : الإحكام للآمدى 32/2، والبحر المحيط 262/4، وصح

الإمام ابن قيم الجوزية الرواية عن أحمد بأنه يفيد العلم، وضعف ما رواه الأثرم عن أحمد بخلاف ذلك 0 انظر : مختصر الصواعق المرسلة 533/2 0

(3) الإحكام لابن حزم 106/1 0

(4) تدريب الراوى 75/1 0

(5) مختصر الصواعق المرسلة 528/2، 530 0

(6) انظر : الحصول 141/2، والإحكام للآمدى 32/2، والبحر المحيظ 265/4، ومقاصد

الحديث فى القديم والحديث للدكتور مصطفى النازى 52/2، ودراسات أصولية فى السنة ص 186

0

(229/2)

... وبهذا رأى قال ابن الصلاح ودافع عنه دفاعاً شديداً فى مقدمته، وبه قال جماعات من أئمة الأصول والفقه، منهم الآمدى (1)، والسبكي (2)، وابن الحاجب (3)، واختاره المحققون من أهل الحديث منهم ابن حجر (4)، وابن قيم الجوزية (5)، وابن كثير وقال : "وأنا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد إليه، والله أعلم، ثم وقفت بعد هذا على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية، مضمونة : أنه نقل القطع بالحديث الذى تلقته الأمة بالقبول عن جماعات من الأئمة: منهم القاضى عبد الوهاب المالكي، والشيخ أبو حامد الإسفرائينى، والقاضى أبو الطيب الطبرى، والشيخ أبو إسحاق الشيرازى من الشافعية، وابن حامد، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو الخطاب، وابن الزاغونى، وأمثالهم من الحنابلة، وشمس الأئمة السرخسى من الحنفية: قال: "وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم : كأبي إسحاق الإسفرائينى، وابن فورك 0

(1) الإحكام 32/2 وعزاه إلى النظام من المعتزلة، وكذا عزاه ابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق

535/2، والسرخسى فى أصوله 330/1 0

(2) الإبهاج فى شرح المنهاج 299/2 0

(3) شرح عضد الملة والدين على مختصر المنتهى لابن الحاجب 55/2 0

(4) نزهة النظر ص 22 0

(5) مختصر الصواعق المرسلة 523/2 - 563 0

قال وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة" (1) وهو معنى ما ذكره ابن الصلاح استنباطاً⁰ فوافق فيه هؤلاء الأئمة" (2) 0

... وانتصر لابن الصلاح أيضاً البلقيني فقال : "ما قاله النووي وابن عبد السلام، ومن تبعهما ممنوع، فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح" (3) ثم ذكر ما نقله ابن كثير عن شيخه ابن تيمية⁰

... ويمكن الجمع بين تلك المذاهب الثلاثة بما قاله الحفاظ ابن حجر في نزهة النظر قال: "والخلاف في التحقيق لفظي، لأن من جوز إطلاق العلم قيده بكونه نظرياً، وهو الحاصل على الاستدلال بواسطة القرائن، ومن أبى الإطلاق خص لفظ العلم بالمتواتر، وما عداه عنده كله ظني بمعنى العلم أيضاً، كما في قوله تعالى (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) (4) 0 أى ظننتموهن ، فالعلم قد يطلق ويراد به الظن (5) وهم لا ينفون أن ما احتفت به القرائن أرجح مما خلا عنها" (6) 0

وإليك بعض هذه القرائن التي تجعل خبر الآحاد مفيداً للعلم النظري عند من يقول به:

- (1) ونص على ذلك أيضاً الإمام ابن دحية على ما سيأتى في حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، وانظر : الباعث الحثيث للشيخ أحمد محمد شاكر ص 29، 30، والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للألباني ص 57-60 0
- (2) وقال بذلك أيضاً أبو الحسن البصري المعتزلي في "المعتمد في أصول الفقه" 84/2، ويشذ الشاذ عبد الجواد ياسين ويصف هذا بأنه مذهب فاسد⁰ وانظر : السلطة في الإسلام ص 258، وانظر : ما قاله حسن السقاف في مقدمة كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص 55 وما بعدها 0
- (3) تدريب الراوي 132/1 0
- (4) جزء من الآية 10 من سورة الممتحنة 0
- (5) الإحكام للآمدي 32/2 0

(6) نزهة النظر ص 22 بتصرف، وانظر : البحر المحيط 264/4، 266، ومقاصد الحديث في القديم والحديث 53/2 0

(231/2)

1- إخراج الشيخين البخارى ومسلم للحديث فى صحيحهما، أو إخراج أحدهما له مما قام الإجماع على تسليم صحته بأن لم يعترض عليه أحد من الحفاظ⁰ وذلك لجلالة قدر الشيخين، وثبوت أقدامهما فى هذا الشأن، وتقدمهما على غيرهما فى معرفة الخبر الصحيح وتمييزه عن غيره⁰

... ولتلقى الأمة لكتايبهما بالقبول اعتقاداً وعملاً، وهذا التلقى وحده أقوى فى إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، ومن صرح بأن هذه القرينة تجعل خبر الآحاد مفيداً للعلم النظرى، من سبق ذكرهم من الأئمة الأعلام الذين ذكرهم ابن كثير نقلاً عن شيخه ابن تيمية (1) ، وبهذه القرينة قال أيضاً الحافظ ابن حجر فى نزهة النظر (2) ، وزاد من القرائن على ما ذهب إليه ابن الصلاح ومن نقل عنهم⁰

2- شهرة الحديث عند علماء الحديث لمجيئه من طرق متعددة متباعدة مع سلامتها من ضعف الرواة وخلوها من العلل القادحة، ومن صرح بأن هذه القرينة تجعل خبر الآحاد يفيد العلم النظرى أبو بكر بن فورك، وأبو منصور البغدادى وغيرهما⁰

3- تسلسل الخبر بالأئمة المتقين، والحفاظ الضابطين، كالحديث الذى يرويه الإمام أحمد وغيره عن الإمام الشافعى، ويرويه الإمام الشافعى، وغيره عن الإمام مالك ... إلخ⁰

(1) مقاصد الحديث فى القديم والحديث 53/2، 54 0

(2) نزهة النظر ص 22، وقال بذلك الأستاذ محمد رشيد رضا -رحمه الله- فى مجلة المنار وأيد ما قاله الحافظ ابن حجر، انظر : مجلة المنار المجلد 348/19، 349 0

(232/2)

... فإن هذه القرينة تجعل خبر الآحاد مفيداً للعلم النظرى عند سامعه، وذلك لجلالة قدر هؤلاء الرواة للحديث من الأئمة الأعلام، والفقهاء العظام، إذ في كل واحد منهم من الصفات الثلاثة الموجبة لقبول خبره ما لا يوجد في غيره، مما تجعل الواحد منهم أمة وحده، يقوم مقام العدد الكثير والجم الغفير (1) 0

... والذي أرجحه من ذلك كله هو ما ذهب إليه ابن حزم، وابن الصلاح، وابن حجر، وغيرهم - من أن ما رواه الشيخان أو أحدهما أو ما احتفت به قرائن أخرى - كما ذكر ابن حجر أو ما استوفى شروط الصحة الخمسة، المتفق عليها بين علماء الأمة، مقطوع بصحته، ويفيد العلم النظرى 0

والى ذلك ذهب الشيخ أحمد محمد شاكر-رحمه الله تعالى - : حيث يقول بعد أن استعرض آراء العلماء في ذلك : "والحق الذى ترجحه الأدلة الصحيحة، ما ذهب إليه ابن حزم، ومن قال بقوله من أن الحديث الصحيح، مقطوع بصحته، ويفيد العلم اليقيني النظرى، سواء كان في أحد الصحيحين أم في غيرهما، وهذا العلم اليقيني نظرى برهاني، لا يحصل إلا للعالم المتبحر في الحديث، العارف بأحوال الرواة والعلل (2) ، المميز بين صحيحه وسقيمه، وغثه وثمينه، وأصيله ودخيله، أما من ليس من أهل هذا الشأن، فإن هذه القرائن ولو كثرت، لا تفيدهم علماً، فمثلهم لا يعتد به في هذا المقام، ولا تبني عليه هنا الأحكام (3) 0

(1) مقاصد الحديث في القديم والحديث 2/55، 54، وانظر: نزهة النظر ص 23، وعلم الحديث لابن تيمية ص 155، وإرشاد الفحول 1/212، 213، ودراسات أصولية في السنة ص 177-181، وانظر : قرائن الشيعة في إفادة خبر الواحد للعلم في كتاب أصول الحديث للدكتور عبد الهادي الفضلي ص 83-87 0

(2) الباعث الحثيث ص 30، وانظر : المكانة العلمية لعبد الرزاق في الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار 1/33-42، مبحث : "إفادة خبر الواحد العلم" 0

(3) مقاصد الحديث في القديم والحديث 2/55 0

... يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : "وأكد أوقن أنه هو مذهب من نقل عنهم البلقيني ممن سبق ذكرهم من الأئمة الأعلام، وأنهم لم يريدوا بقولهم ما أراد ابن الصلاح من تخصيص أحاديث الصحيحين بذلك، وإلا فالأمة قد تلقت غيرهما من كتب السنة من السنن، والمسانيد والمصنفات، بالقبول، مع تصريح كل من الإمامين البخاري ومسلم بأنهما لم يستوعبا كل الصحيح في صحيحهما⁰

... وهذا العلم اليقيني النظري يبدو ظاهراً لكل من تبحر في علم من العلوم وتيقنت نفسه بنظريته، واطمئن قلبه إليها، ودع عنك تفريق المتكلمين في اصطلاحاتهم بين العلم والظن، فإنما يريدون بما معنى غير ما نريد" (1) 0

وبعد

إن الكلمة الفصل والأخيرة، في كل مسألة علمية على أهلها، إذ لا ينبئك مثل خبير⁰ وفي المثل :

الخيل أعلم بفرساتها⁰

فالقول الفصل لأهل اللغة إذا كان المتعلق لغوياً، وللفقهاء إذا كانت المسألة فقهية، وللمحدثين إذا كان الكلام يتعلق بصحة الحديث، وهذه مسلمات لا يختلف فيها اثنان⁰

لهذا فإن معرفة كون الدليل قطعياً أو ظنياً من أحكام أهل الحديث، لمعرفة طرقهم وتشعبها، ولا تعويل على غيرهم من المتكلمين والأصوليين، كما قال ابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق المرسلة (2) والله أعلم⁰

ثانياً : حجية خبر الواحد ووجوب العمل به :

(1) الباعث الحثيث ص 30، 31 بتصرف⁰

(2) انظر : مختصر الصواعق المرسلة 537/2، 561 0

(234/2)

... اهتم علماء الإسلام في القديم والحديث بالبحث في مسألة وجوب العمل بخبر الواحد وصحة الاحتجاج به، فأطالوا في شأنها، واعتنوا بتحقيقها، وما قيل فيها، وكل ما يتعلق بها - وما مر وما

سيأتي -إلا نذر يسير من ذلك، فقد ألف في هذه المسألة كثير من أهل الحديث، وأئمة الفقه، وأصحاب الأصول، فكتبوا فيها أبواباً مطولة، وفصولاً مطبنة، وكان أقدم من ألف في ذلك فيما بلغنا أماننا الشافعي - رحمه الله تعالى - حيث وضع باباً طويلاً في كتابيه الأم (1) والرسالة (2) أجاد القول فيه وأحسن الرد على سائل يسأله الدليل على طلب العمل بخبر الواحد، كما كتب في هذه المسألة أيضاً الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (3)، والحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري على صحيح البخاري (4) كما كتب غيرهما لا سيما أهل الأصول (5) في كتبهم 0

(1) انظر : الأم 288/7 0

(2) انظر : الرسالة، باب خبر الواحد ص 369 - 471 فقرات رقم 998 - 1308 0

(3) انظر : صحيح مسلم (بشرح النووي) المقدمة، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن 170/1

(4) انظر : فتح الباري، كتاب أخبار الأحاد 244/13 - 258 0

(5) انظر : الإحكام للآمدي 30/2 - 70، والإبهاج في شرح المنهاج 299/2 - 348،

والإحكام لابن حزم 95/1 - 143، والبحر المحيط 255/4 - 267، والمعتمد في أصول الفقه

292/2-140، وأصول السرخسي 321/1، والمستصفي للغزالي 145/1 - 155، وفواتح

الرحموت 121/2 وما بعدها، والبرهان للجويني 222/1 وما بعدها، والمحصول للرازي 170/2 -

193، وإعلام الموقعين 31/1 وما بعدها، وإرشاد الفحول 207/1 - 232 0

(235/2)

... وسر كل هذا الاهتمام بهذه المسألة وحكمته، أن هذه المسألة من أهم قواعد الدين وأشدّها عند

علماء المسلمين إذ يبنى عليها معظم أحكام الشرع، ويتوقف على إثباتها كثير من معرفة الحلال

والحرام، كما يترتب على إثباتها طلب العمل بالأوامر والنواهي النبوية التي لم يثبت أغلبها إلا عن

طريق خبر الواحد" (1) 0

... وإذا كان هناك خلاف بين العلماء في الدرجة التي يفيدها خبر الواحد من علم أو ظن، فإن هذا

الخلاف لم يوجد بين من يعتد بهم - في حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به، حتى من قال منهم

بأن درجة خبر الآحاد الظن 0

... فالذى عليه السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأصحاب الحديث، والفقه والأصول، أن خبر الواحد حجة من حجج الشرع يحتاج به، ويلزم من بلغه العمل به، ولو لم يحتف بقرائن خارجية، تدل على تأكيد طلب العمل به، إذا كان هذا الخبر عند أهل الحديث مقبولاً، بأن تحققت فيه الشروط الخمسة المتفق عليها لصحة الحديث، من اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبطه، وعدم الشذوذ، وعدم العلة (2) 0

... وهالك بعض أقوال أهل العلم فى حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به، متى صح 0 قال شمس الأئمة السرخسى : "خبر الواحد حجة باعتبار أنه كلام رسول الله (، وقوله حجة موجبة للعمل، ولكن امتنع بثبوت العلم به لشبهة فى النقل" (3) 0 وقال أيضاً : "قال فقهاء الأمصار - رحمهم الله -، خبر الواحد حجة للعمل به فى أمر الدين، ولا يثبت به علم اليقين، وقال بعض من لا يعتد بقوله : خبر الواحد لا يكون حجة فى الدين أصلاً (4) 0

-
- (1) مقاصد الحديث فى القديم والحديث 55/2، 56، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي مبحث (الآحاد هو المعول عليه فى الإسلام) ص 273 0
 - (2) مقاصد الحديث فى القديم والحديث 56/2 0
 - (3) أصول السرخسى 298/1 0
 - (4) المصدر السابق 321/1 0

(236/2)

... وقل ابن حزم : "القسم الثانى من الأخبار ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدول إلى رسول الله (وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضاً (1) 0

... وقال أبو الحسين محمد بن على الطيب المعتزلى : "ذهب جل القائلين بأخبار الآحاد إلى قبول الخبر، وإن رواه واحد" (2) 0

... وقال الإمام النووي : "الذى عليه جماهير المسلمين، من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء، وأصحاب الأصول: أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل بها، ويفيد الظن، ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به، عرفناه بالشرع لا بالعقل" (3) 0

... وقال الإمام ابن دحية (4) : "وعلى قبول خبر الواحد الصحابة والتابعون وفقهاء المسلمين، وجماعة أهل السنة يؤمنون بخبر الواحد، ويدينون به في الاعتقادات" (5) 0هـ

(1) الإحكام لابن حزم 106/1، 135 0

(2) المعتمد في أصول الفقه 2/138 0

(3) انظر : المنهاج شرح مسلم، المقدمة، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعلن 170/1 0

(4) ابن دحية : هو أبو الخطاب، عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسي المحدث، يلقب بذي النسبين، نسبة إلى دحية الكلبي صاحب رسول الله (، وإلى الحسين بن علي (0 كان بصيراً بالحديث معتنياً به معروفاً بالضبط، له حظ وافر من اللغة 0 من مصنفاته : الابتهاج في أحاديث المعراج، والعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور 0 وغير ذلك مات سنة 633هـ 0 ترجمته في: تذكرة الحفاظ 4/1420 رقم 1136، وطبقات الحفاظ للسيوطي 501 رقم 1102، ولسان الميزان 5/163، رقم 6086، ووفيات الأعيان 3/448 رقم 497، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي 4/202 رقم 115 0

(5) انظر : الابتهاج في أحاديث المعراج ص 78 0

(237/2)

... وقال الحافظ ابن عبد البر : "والضرب الثاني من السنة خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد؛ فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقُدوة، ومنهم من يقول : إنه يوجب العلم والعمل جميعاً" (1) 0

... ويقول الشيخ محمد الخضرى (2) : "إنه تواتر عن الصحابة في وقائع لا تخصي، العمل بخبر الواحد، ومجموع هذه الوقائع تفيد إجماعهم على إيجاب العمل بأخبار الآحاد، وكثيراً ما كانوا يتركون

آراءهم التي ظنوها باجتهادهم، إذا روى لهم خبر عن رسول الله (3) 0

وبعد

... فهذه بعض أقوال علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وغيرها كثير، في حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به، أما الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة فهي متوافرة، وسنذكر بعضها بمشيئة الله تعالى، في ردنا على شبهات من أنكروا حجية خبر الواحد 0

... وإذا كان إجماع من يعتد به منعقد على كفر من رد حديثاً متواتراً انعقد الإجماع على تواتره، ولا يقولون بكفر من رد حديث آحاد لشك في ثبوته، "فمما لا شك فيه أن من شك وطعن في جميع أحاديث الآحاد ولم يأخذ بها يكون منكراً للسنة ويكفر" (4) 0أهـ

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

المبحث الثالث

منكروا حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً

استعراض شبههم والرد عليها

تمهيد :

(1) جامع بيان العلم وفضله 2/34 0

(2) الخضرى : هو محمد بن عفيفى الباجورى، المعروف بالشيخ الخضرى، من علماء الشريعة،

والأدب، وتاريخ الإسلام، مصرى، تخرج بمدرسة دار العلوم، من مصنفاته، أصول الفقه، وتاريخ

التشريع الإسلامى 0 مات سنة 1345هـ له ترجمة فى : الأعلام 7/151 0

(3) أصول الفقه ص 280، وانظر : اختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث للدكتور

عبدالله شعبان على ص 224-225 0

(4) السنة المفتى عليها للمستشار سالم البهنساوى ص 161، وانظر : من نفس المصدر، مبحث

"استحالة العمل بغير اعتقاد" 0

... إذا كان علماء الأمة من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين، اصطلاحوا على تقسيم السنة باعتبار عدد الرواة في كل طبقة إلى متواتر وآحاد، أو إلى متواتر ومشهور وآحاد كما قسم الأحناف، فإن هذه التقسيمات لم تكن في عصر الصحابة أو التابعين، وإنما دعت الحاجة إلى هذا التقسيم بعد شيوع الفتن وبدء تمحيص السنة وتحديد مراتبها، وكان لهذا التقسيم آثاره بين جمهور الفقهاء في تخصيصهم لعموم الكتاب، وتقييدهم لمطلقه، وتوضيحهم لمشكله بخبر الآحاد، خلافاً للأحناف الذين اشتروا في أنواع البيان السابقة، أن يكون الخبر فيها مشهوراً، على ما سبق تفصيله عند التعريف بالآحاد⁰

... وأهم أثر لتقسيم الأحاديث إلى متواتر وآحاد هو في أمر من رد الحديث، فمن أخذ باصطلاح المتواتر والآحاد - وهم أغلبية الفقهاء - لا يقولون بكفر من رد الأحاديث؛ لأننا ظنية الثبوت بينما يرون كفر من رد الأحاديث المتواترة⁰

... ومن قال : "إن التواتر والآحاد قطعي الثبوت يقولون بكفر من رد شيئاً من الأحاديث سواء كانت بطريق التواتر أو الآحاد" (1) 0

... وقبل أن يصطلح علماء الأمة على التقسيم السابق، كان جميع أهل الإسلام على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي (،) يجرى على ذلك كل فرقة في علمها، كأهل السنة، والخوارج والشيعة، والقدرية (2)، حتى بدأت فتنة التشكيك في خبر الآحاد على أيدي متكلمي المعتزلة بعد القرن الثاني الهجري، فعرفوا خبر الآحاد بأنه: ما لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً (3)

(1) السنة المفترى عليها للمستشار سالم البهنساوي ص 139، 140، وانظر : البحر المحيط 266/4، ودراسات أصولية في السنة ص 181 0

(2) ورغم هذه الحقيقة يضل أحمد حجازي، القارئ في كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي "بزعمه أن الصدر الأول للإسلام، وفيه كان الخوارج والشيعة ... ولم تكن فيه سنة بأخبار آحاد!!" انظر : دفع الشبهات ص 64 0

(3) شرح الأصول الخمسة ص 769 0

واشترطوا العدد في الرواية كما في الشهادة، فخالفوا الإجماع في ذلك⁰
"وكان قصدهم من ذلك رد الأخبار وتعطيل الأحكام، وتلقف ما قالوه بعضُ الفقهاء الذين لم يكن
لهم في العلم قدمٌ ثابتة، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول" وبذلك صرح ابن قيم الجوزية في
مختصر الصواعق المرسلة (1) 0

... ويدل على كل ما سبق ما قاله ابن حزم في الإحكام، قال : "فإن جميع أهل الإسلام كانوا على
قبول خبر الواحد الثقة عن النبي (، ويجرى على ذلك كل فرقة في علمها، كأهل السنة، والخوانج،
والشيعة، والقدرية، حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك، ولقد
كان عمرو بن عبيد (ت سنة 144هـ) يتدين بما يروى عن الحسن ويفق به، هذا أمر لا يجهله من له
أقل علم (2) 0

... ويقول الحافظ أبو بكر الحازمي : "ولا أعلم أحداً من فرق الإسلام القائلين بقبول خبر الواحد
اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة، فإنهم قاسوا الرواية على الشهادة، واعتبروا في الرواية ما اعتبروا
في الشهادة، وما مغزى هؤلاء إلا تعطيل الإحكام كما قال أبو حاتم ابن حبان" (3) 0

(1) مختصر الصواعق المرسلة 558/1، وما قاله ابن قيم الجوزية قاله شيخه ابن تيمية في كتابه
الفتاوى بمعناه قال : "كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة
بالقبول تصديقاً له أو عملاً به، أنه يوجب العلم، وهذا الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من
أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، إلا فرقه قليلة من المتأخرين، اتبعوا في ذلك طائفة
من أهل الكلام"، انظر: مجموع الفتاوى 351/13، وانظر: السنة المفترى عليها ص 166 0
(2) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 110/1، وحكاه الشاطبي عنهم في الاعتصام 187/1
0

(3) شروط الأئمة الخمسة ص 47 0 وراجع موقف المعتزلة من السنة ص 114-117 0

... وطعن أيضاً في خبر الواحد طوائف من الشيعة فذهبوا إلى أن خبر الواحد لا يكون حجة أصلاً في الدين، فلا يوجب العلم ولا العمل، وينسب هذا الرأي إلى الشريف المرتضى (ت 436هـ) من الشيعة، فهو يقول : "لا بد في الأحكام الشرعية من طريق يوصل إلى العلم ... ولذلك أبطلنا العمل بأخبار الآحاد، لأنها لا توجب علماً ولا عملاً، وأوجبنا أن يكون العمل تابعاً للعلم، لأن راوى خبر الواحد إذا كان عدلاً فغاية ما يقتضيه الظن بصدقه، ومن ظننت صدقه يجوز أن يكون كاذباً (1) 0

(1) أصول الفقه للمظفر 70/1، نقلاً عن توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزي ص 90، وحكاية الرازي أيضاً عن المرتضى اختصاراً في المحصول 188/2 0

(241/2)

المبحث الرابع

شروط حجية خبر الواحد ووجوب العمل به عند المحدثين والرد على شروط المعتزلة ومن قال بقولهم قديماً وحديثاً

شروط حجية خبر الواحد عند المحدثين :

... اتفق أهل الحديث أجمع على : أنه يشترط لصحة الحديث، وحجيته، ووجوب العمل به خمسة

شروط : (1) اتصال السند (2) عدالة الراوى (3) ضبط الراوى (4) عدم الشذوذ (5) عدم

العلة 0

... يقول ابن الصلاح : "أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند الذى يتصل اسناده بنقل العدل

الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً ولا معللاً" (1) أ هـ 0

والشرطان الآخران (عدم الشذوذ، وعدم العلة) من الشروط المعتبرة في صحة المتن عند المحدثين، ولم يصرح بهما أئمة الفقه والأصول، لأن أكثر العلل التى يعلل بها المحدثون لا تجرى على أصول الفقهاء،

فأمرهم يأخذون بالحديث 0 وإن كان فيه بعض كلام للمحدثين بناء على أصولهم التي أصلوها وقواعدهم التي ارتضوها (2) 0

-
- (1) علوم الحديث لابن الصلاح ص 15، 16 0
- (2) والتي منها أن الفقيه قد يعلم صحة الحديث إذا لم يكن في سنده كذاب بموافقة آية من كتاب الله أو بعض أصول الشريعة فيحمله ذلك على قبوله والعمل به - كما يذهبون إلى صحة الحديث إذا تلقاه الناس بالقبول، وإن لم يكن له إسناد صحيح، كما قال ابن عبد البر في حديث البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) انظر : تدريب الراوي 67/1، 68، والأجوبة الفاضلة 228-237، وانظر : ما قيل في حديث البحر من علل والجواب عنها في نيل الأوطار 14/1، وانظر : اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان على ص 218-221 0

(242/2)

... قال الحافظ السيوطي في التدريب : "قال العراقي (1) : وأما السلامة من الشذوذ والعلة فقال ابن دقيق العيد في الإقتراح : إن أصحاب الحديث زادوا ذلك في حد الصحيح قال : وفيه نظر على مقتضى نظر الفقهاء، فإن كثيراً من العلل التي يعلل بها المحدثون لا تجرى على أصول الفقهاء 0

... قال الحافظ العراقي : والجواب أن من يصنف في علم الحديث؛ إنما يذكر الحديث عند أهله لا عند غيرهم من أهل علم آخر، وكون الفقهاء، والأصوليين، لا يشترطون في الصحيح هذين الشرطين (2) ؛ لا يغير الحد عند من يشترطهما (3) 0

ولذلك قال ابن الصلاح بعد أن حد تعريف الحديث الصحيح في الشروط الخمسة السابقة قال : "فهذا هو الحديث الذي يحكم له بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث" (4) 0

وهذه الشروط كافية ومطمئنة للتأكد من ثبوت نسبة الحديث إلى قائله، سواء كان الحديث مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً 0

(1) العراقي هو : الحافظ الإمام الكبير، أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، من أئمة المسلمين، وحفاظ الحديث، له مؤلفات كثيرة منها "الألفية" في علوم الحديث و"نكت ابن

الصلاح" و"المراسيل" وغير ذلك مات سنة 806هـ له ترجمة في طبقات الحفاظ للسيوطي ص 543 رقم 1175، وحسن المحاضرة 360/1 وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر 275/2، وشذرات الذهب 0 55/7

- (2) تعرض أئمة الأصول لهذين الشرطين بمصطلحهم في مباحث (ضبط المتن) كما في أصول السرخسي 355/1، وفي الحصول للرازي 210/2 بعنوان (البحث في الأمور العائدة إلى المخبر عنه) 0
- (3) تدريب الراوي 64/1، 65 0
- (4) علوم الحديث لابن الصلاح ص 16 0

(243/2)

يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة -رحمه الله تعالى- : على أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ الفطن أن الرواية في الإسلام بشروطها من اتصال الأسانيد، ونقل العدول الضابطين، عن مثلهم إلى آخر السند، والحفظ واليقظة وعدم الغفلة، ضمانات كافية لترجيح الصدق والصواب، ترجيحاً قوياً على الكذب والخطأ، وترجيح الحفظ والضبط على جانب الغفلة والسهو (1) 0

... هذا وهناك شروطاً أخرى مختلف فيها، بعضها أجاب عنها العلماء بأنها داخلة في نفس الشروط الخمسة السابقة، من ذلك اشتراط أن يكون الراوي مشهوراً بطلب الحديث، واشتراط أن يكون الراوي معروفاً بالفهم والمعرفة والمذاكرة، وكثرة السماع 0

وأجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر : بأن اشتراط شهرة الطلب يغني عنها شرط ضبط الراوي، واشتراط أن يكون معروفاً بالفهم والمعرفة يغني عن ذلك شرط عدم العلة؛ لأن العلة لا تعرف إلا بما ذكر من الفهم والمعرفة والمذاكرة وغيرهما (2) 0

... وهناك شروطاً أخرى اشتراطها بعض الأئمة، ولم يتفق عليها جمهور الفقهاء، والمحدثين، وأصحاب الأصول 0 من ذلك اشتراط فقه الراوي 0

وأجاب عن ذلك الرازي في الحصول بقوله : "لا يشترط كون الراوي فقيهاً سواء كانت روايته موافقة للقياس، أو مخالفة له : خلافاً لأبي حنيفة - رحمه الله - فيما يخالف القياس، ولنا الحجة في ذلك من

الكتاب، والسنة، والعقل⁰

... أما الكتاب : فقلوله تعالى (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) (3) 0 فوجب أن لا يجب التبين في غير
الفاسق، سواء كان عالماً أو جاهلاً⁰
...

-
- (1) الإسراء والمعراج لفضيلة الدكتور أبو شهبة ص 21، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة
الدكتور عبد المهدي ص 300، مبحث (شروط الحديث مطمئنة)⁰
(2) تدريب الراوي 0 70/1
(3) جزء من الآية 6 من سورة الحجرات⁰

(244/2)

وأما السنة فقلوله (: "نصر الله امرءاً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من
هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (1) 0

... وأما العقل : فهو أن خبر العدل يفيد ظن الصدق؛ فوجب العمل به، لما تقدم من أن العمل
بالظن واجب" (2) 0

وهناك شروطاً أخرى اشترطها بعض فقهاء الأحناف والمالكية لحجية خبر الواحد ووجوب العمل به⁰
ويهمنا هنا من هذه الشروط، الشروط المشتركة بين المعتزلة والأحناف، والتي قال بها بعضهم متأثراً
بالمعتزلة⁰

وكانت تلك الشروط وسيلة من وسائل أهل الرِّبغ والهوى في الطعن في حجية السنة عامة، وفي حجية
خبر الآحاد خاصة⁰

ومن هنا وجب التنويه على ذلك، وبيان أشهر تلك الشروط المختلف فيها، والتي خالف فيها المعتزلة
ومن تأثر بهم، جمهور علماء الأمة من الحديث والفقهاء والأصوليين، بل وناقضوا أنفسهم بالعمل

بخلاف ما اشترطوا!!

شروط المعتزلة لصحة خبر الواحد :

- 1- من هذه الشروط ما اشترطه متأخرو المعتزلة من العدد في الرواية كما في الشهادة، وكانوا أول من اشترطوا ذلك مخالفين كل فرقة في علمها من السنة والخوارج والشيعة والقدرية كما قال ابن حزم، وأبو بكر الحازمي وغيرهما، وكان غرضهم من ذلك، رد الأخبار وتعطيل العمل بخبر الآحاد كما جزم بذلك الأئمة الحازمي، وابن قيم، وعبد القادر البغدادي، وقلدهم في ذلك الشرط بعض الفقهاء (3) ، ولم يقفوا على مقصودهم من ذلك كما سبق من قول الإمام ابن قيم الجوزية⁰
- 2- واشترطوا أيضاً لصحة قبول خبر الواحد ألا يخالف ظاهر كتاب الله (فإذا ورد مخالفاً له؛ كان دليلاً على عدم صحته، وعلى الزيادة فيه كما يعبر السرخسي (4) 0

(1) سبق تخريجه ص 34، 273 0

(2) المحصول 208/2 0

(3) انظر : شرح الأصول ص769، وأصول السرخسي 313/1 0

(4) أصول السرخسي 365/1، وراجع : موقف المعتزلة من السنة ص

(245/2)

-
- 3- واشترطوا ألا يكون خبر الواحد زائداً عن النص القرآني، وإلا كان نسخاً، ولا يثبت نسخ ما يوجب علم اليقين إلا بمثل ما يوجب علم اليقين من متواتر أو مشهور، أما آحاد فلا (1)
 - 4- واشترطوا ألا يكون في الحدود؛ لأنها تسقط بالشبهة، وخبر الواحد يحتمل أن راويه كذب أو سها أو أخطأ، فكان ذلك شبهه في درء الحد⁰ وهو قول الكرخي (2) من الحنفية، وأبي عبد الله البصري المعتزلي (3) في أحد قوليه (4) 0

(1) أصول السرخسي 292/1، وانظر : أعلام الموقعين 289/2، والاعتصام 558/2 وما بعدها 0

(2) الكرخي هو : عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دهم، أبو الحسن الكرخي الحنفي، كان شيخ الحنفية بالعراق⁰ من مؤلفاته "المختصر" و"شرح الجامع الكبير" و"شرح الجامع الصغير"⁰ توفي سنة 340هـ له ترجمة في شذرات الذهب 358/2، وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا

ص39، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 130، وتاريخ بغداد 353/10 رقم 5507، ولسان الميزان 528/4 رقم 5442 0

(3) البصري هو : الحسين بن علي، أبو عبد الله البصري الحنفي، شيخ المتكلمين، وأحد شيوخ المعتزلة توفي سنة 369 0 له ترجمة في تاريخ بغداد 73/8 رقم 4153، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوبص67، وطبقات المفسرين للدودي1/159 رقم151، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص105، ولسان الميزان 559/2 رقم 2797 0

(4) المعتمد في أصول الفقه 96/2، 98، وفواتح الرحموت 136/2، والبحر المحيط 348/4، وإرشاد الفحول 231/1، وانظر : مختصر الصواعق المرسله 578/2 0

(246/2)

-
- 5- واشتروا ألا يكون في العقائد 0 لأن خبر الواحد ظني، والعقيدة قطعية 0 وهو قول السرخسي الحنفي، وأبي الحسين البصري المعتزلي، وطوائف من أهل الكلام (1) 0
- 6- واشتروا ألا يثبت به حكم شرعي (فخبر الواحد لا يثبت به فرض ولا تحريم)، وهو قول السرخسي من الحنفية، وأبي الحسين البصري من المعتزلة (2) 0

... تلك هي أشهر الشروط التي اشترطها المعتزلة، وقال بها بعض فقهاء الأحناف متأثرين بهم، والسرفي هذا التأثير يبدو طبيعياً في نشأتهم في بغداد، بيئة المعتزلة، وغيرهم من الفرق التي كانت مصدراً للفتن والحركات الثورية في العالم الإسلامي 0

(1) أصول السرخسي 322/1، والمعتمد في أصول الفقه 102/2، 549 ومختصر الصواعق المرسله 586/2، وشرح الأصول الخمسة ص 769، والمختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار = ضمن رسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة 268/1، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص 335، وراجع إن شئت موقف المعتزلة من السنة ص 120، 121، هذا وتأثر فضيلة الشيخ شلتوت -رحمه الله - بهذا الشرط وبالغ بحكايته الإجماع إذ يقول : "إن أحاديث الأحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الإعتماد عليها في شأن المغيبات، قول مجمع عليه، وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء!!" انظر : الإسلام عقيدة وشرية ص61 0

وهو مما حكاه أيضاً محمود أبو رية قائلاً : "ومما اتفق عليه جميع النظار أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد مهما قويت أسانيدُها وتعددت طرقُها"، انظر : أضواء على السنة ص 24 0
(2) أصول السرخسي 334/1 ، 335، والمعتمد في أصول الفقه 97/2، 98 وأصول الفقه
للشيخ عبد الوهاب خلاف ص 116 0 وقال بهذا الشرط فضيلة الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-
في قوله : "إن خبر الواحد لا ينهض على إثبات حرمة أو إثبات فريضة)، أنظر : مائة سؤال عن
الإسلام 249/1 0

(247/2)

... ويفصح لنا الإمام الزركشي (1) عن سر اشتراط الأحناف للشروط السابقة وغيرها بقوله: "قال
الأستاذ أبو منصور عبد القادر البغدادي : وهذه أصول مهدوها من أجل أخبار احتج بها أصحابنا
عليهم في مواضع عجزوا عن دفعها فردوها من هذه الوجوه التي ذكرنا 0 وقالوا بأمثالها في الضعف
مع مخالفتها للقرآن الكريم" (2) 0

... قلت : وهذا هو السر أيضاً في اشتراط الشروط السابقة من المعتزلة، فقد أرادوا بها محاجة
خصومهم من أهل السنة 0 وإلا (فلو أنصف أهل الفرق من الأمة لأقروا بحجية خبر الواحد ووجوب
العمل به 0 فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما
يذهب إليه بخبر الواحد 0
ترى أصحاب القدر يستدلون بقوله (: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه،
ويُنصرّانه، ويُمجّسانه" (3) 0

(1) الزركشي هو : محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله الزركشي، الشافعي، الفقيه الأصولي
المحدث، من مؤلفاته "البحر المحيط" و"شرح جمع الجوامع" توفي سنة 794هـ له ترجمة في شذرات
الذهب 335/6، والفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي 209/2 0
(2) البحر المحيط 349/4 0

(3) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى
عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام 260/3 رقمي 1358، 1359، وأخرجه مسلم (بشرح

النووى) كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، وأطفال المسلمين 458/8 من حديث أبي هريرة (0

(248/2)

... ويقول (في الحديث القدسي : " ... وإنى خلقت عبادى حنفاء 0 كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين؛ فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً" (1) 0

... وترى أهل الإرجاء يستدلون بقوله (: "ما من عبد قال : لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك؛ إلا دخل الجنة- قيل : وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق" (2) 0

وترى الرافضة يحتجون بقوله (: "ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى 0 حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلى، اختلجوا دونى 0 فلاقولن : أى رب أصيحابى 0 أصيحابى 0 فليقالن لى : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" (3) 0

(1) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار 214/9 رقم 2865 من حديث عِيَاضِ بْنِ حَمَّارٍ الْمُجَاشِعِيِّ (0

(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله 132/3 رقم 1237، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار 370/1 رقم 94 من حديث أبي هريرة (0

(3) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب إثبات حوض النبى (وصفاته 66/8 رقم 2304 من حديث أنس بن مالك (0

(249/2)

وترى الخوارج يستدلون بقوله (: "سباب المسلم، فسوق، وقتاله، كفر" (1) 0 ويقولون : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" (2) 0 إلى غير ذلك من الأحاديث التي يستدل بها أهل الفرق، وهي كلها خبر آحاد (3) 0

... إن الشروط التي اشترطها بعض فقهاء الأحناف والمالكية لقبول خبر الآحاد، وبالأخص الشروط التي اشترطها المعتزلة، وتأثر بها بعض الأحناف والتي سبق ذكرها؛ اتخذها أهل الزيغ والهوى وسيلة للتشكيك في حجية السنة المطهرة عامة، وخبر الآحاد خاصة (4) 0
ووجدنا بعضهم في عصرنا يردد الشروط السابقة بأشد التعبيرات وأوسعها في المعنى 0

1- فوجدنا من يقطع بأن : أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد مهما قويت أسانيدھا وتعددت طرقها (5) 0

2- ووجدنا من يقول: إن كل مسلم يبنى عقيدته على دليل ظني؛ يكون قد ارتكب جرماً وإثماً

(1) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر 135/1 رقم 48، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر 330/1 رقم 64 من حديث ابن مسعود (0
(2) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبة 143/5 رقم 2475، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفى كماله 317/1 رقم 57 من حديث أبي هريرة 0

(3) مختصر الصواعق المرسله 558/2، 559 0

(4) انظر : أصول الفقه المحمدي لشاغت الفصل الرابع (الأحاديث في مدارس الفقه القديمة - ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة الإسلامية بليبيا العدد 11 ص 671- 687 0 وانظر : أضواء على السنة محمود أبو رية ص 365، 369-398، والأصالة العظيمة ص 297، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 96، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 363 وغيرهم 0
(5) انظر : أضواء على السنة لمحمود أبو رية ص 24 0

- 3- ووجدنا من يقول : إن أحاديث الآحاد لا تصلح في العقوبات لخطورتها⁰
- 4- ووجدنا من يقول: إن خبر الآحاد لا يصلح في الأمور الدستورية والسياسية لأهميتها (1)
- 5- ووجدنا من يقول : إن أحاديث سنة (الآحاد) لا يعمل به في الأمور الاعتقادية، فلا يعتبر ما ورد فيه فرضاً دينياً، أو واجباً دينياً، بل يؤخذ به في أمور الحياة على سبيل الاستئناس والإسترشاد (2) 0 ... وما هو جدير بالذكر : أن الإمام الشافعي قد أفاض في مناقشة شروط الأحناف والمالكية، وفندها في كتابيه (الأم) و (الرسالة)⁰

ومن مهارة الإمام في دفاعه وتنفيذه حجج الأحناف والمالكية فيما اشترطوه من شروط زائدة على ما اشترطه أهل الحديث - لصحة خبر الواحد طعن اعداء الإسلام في دفاع الإمام الشافعي وعابوه⁰

-
- (1) كالدكتور عبد الحميد متولى في كتابه مبادئ نظام الحكم في الإسلام، والدكتور محمد سعاد، وغيرهم⁰ انظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على جريشة، وانظر : السنة المفترى عليها للمستشار الهنساوي ص 154، 341، 358، 359 0
- (2) حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص 95، 105، والربا والفائدة في الإسلام ص 8 كلاهما لسعيد العشماوي، وانظر : أضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص 378 والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 150، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص 369 وغيرهم⁰

(251/2)

ومن سلك هذا المسلك جوزيف شاخ في الثلاثة فصول الأولى من كتابه (أصول الفقه الحمدي)

(1) وتابعه نصر أبو زيد في كتابه (الإمام الشافعي وتأسيس الايديولوجية الوسطية) (2) ، وجمال البنا في كتابيه الأصلاص (3) ، والسنة ودورها في الفقه الجديد (4) ، وإسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة (5) ، ومحمد شحرور في الدولة والمجتمع (6) وغيرهم

(1) انظر : الفصل الأول منه بعنوان (النظرة التقليدية للفقه الإسلامي) والفصل الثاني بعنوان (مدارس الفقه القديمة وموقف الشافعي منها)، والفصل الثالث بعنوان "الشافعي والأحاديث الفقهية" وغير ذلك في أماكن متفرقة من كتابه⁰ ترجمه الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا

العدد 11 ص 648 – 667 0

(2) انظر : الإمام الشافعي وتأسيس الإيدولوجية الوسطية ص 5-146 0

(3) انظر : الأصول العظيمان ص 298-299 0

(4) انظر : السنة ودورها في الفقه الجديد ص 15، 61، 96 0

(5) انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 375 0

(6) انظر : الدولة والمجتمع ص 235 0

(252/2)

... والحق : أن الإمام الشافعي لم يكن وحده في الميدان يدافع عن رأى جمهور علماء الأمة ضد شروط الأحناف والمالكية، وإنما كان هناك غيره على ما حكاه الإمام ابن أبي حاتم الرازى في كتابه آداب الشافعي (1) ، إلا أنه -رحمه الله- أفاض في الدفاع أكثر من غيره، وارتضى علماء الأمة من بعده دفاعه وصوبوه ودافعوا عنه (2) 0

... يقول الاستاذ عبد الحليم الجندى دفاعاً ضد أعداء الإسلام فيما اتهموا به الإمام الشافعي من وضعه أصول خالف فيها بزعمهم من سبقه، قال : "وإنك لترى - بادئ الرأى- أن الأصول التى عرضتها "الرسالة" أصول مسلمة لاشبهة فيها، تسليم الكشوف العلمية، وأنها قواعد عملية قبل أن تكون فلسفية أو نظرية، ولهذا عبرت العصور عصراً، بعد عصر، عماداً

(1) انظر : آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص 169 0

(2) ومن هؤلاء الأئمة الأعلام الذين أفاضوا في ذلك بعد الإمام الشافعي الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين 271/2 وما بعدها 0 هذا فضلاً عن تحقيقات أئمة أصول الفقه فمباحثهم في خبر الآحاد 0 أما ما ينسب من تلك الشروط السالفة إلى الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة المقبولين عند الأئمة قبولاً عاماً 0 فقد دافع عن ذلك ابن تيمية في كتابيه رفع الملام عن الأئمة الأعلام، وصحة أصول مذهب أهل المدينة، انظر : أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية 229/2، والإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية للعلامة أحمد الدهلوى ص 16-43، والسنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاها، والسنة مع القرآن كلاهما

لفضيلة الأستاذ الدكتور سيد أحمد المسير، وكيف نتعامل مع السنة النبوية للدكتور يوسف القرضاوى
مبحث (جميع الفقهاء يحتكمون إلى السنة) ص 54، 55 0

(253/2)

للعلماء فى حقول الفكر، وأنها ولدت كاملة، إذ كانت وليدة الاستقراء الشامل، فعدت، منذ
وجدت، من المسلمات يتتابع عليها الفقهاء فى شتى المذاهب 0 بما فيهم رافضوا القياس الذين
يعتمدون على النصوص وحدها (1)

الجواب

عن الشروط السابقة ومن قال بما قديماً وحديثاً

أولاً : ما اشترطوه من العدد لصحة قبول خبر الآحاد :
... فقد مر قريباً الرد على ما احتجوا به فى اشتراط العدد من قصة توقف رسول الله (: فى خبر ذى
اليدى، وتوقف عمر فى خبر أبى موسى الأشعرى 0 وغير ذلك 0

(1) الإمام الشافعى ناصر السنة وواضع الأصول ص 215، والانصاف فى بيان سبب الاختلاف
للدهلوى ص 16، 36، وانظر للاستزادة : نقض كتاب نصر أبو زيد، ودحض شبهاته للدكتور رفعت
فوزى، ونقض مطاعن نصر أبو زيد فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين للدكتور إسماعيل
سالم، ومناقب الشافعى للرازى، وآداب الشافعى ومناقبه لابن أبى حاتم، ومناقب الشافعى للبيهقى،
والمدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية للدكتور شعبان محمد إسماعيل 410/2-417،
وأصول الفقه الإسلامى للدكتور طه جابر العلونى ص 15-25 0

(254/2)

والحق أن اشتراط العدد لصحة قبول خبر الآحاد [بدعة ضالة منكرة يأبأها واقع الصحابة والرسول
(، ويرفضها العقل والمنطق السليمان المجردان من الهوى والزيف، فيستحيل فى الواقع أن يسير
الرسول(، فى كل أحيائه مع كوكبة من أصحابه تبلغ حد التواتر، لا يتركونه فى حله، أو فى ترحاله، أو

في يقطته، أو في فراش نومه حتى يتم التصديق بما جاء عنه من آحاد الصحابة، ويستحيل في عرف العقل والمنطق أن يتقاعس المسلمون عن الدعوة، وينفضوا أيديهم عن مقومات حياتهم ووجودهم من تجارة وزراعة ونحوها، فلا يرحلون المدينة، ولا يتجاوزون رسولهم (، إلى غيره، ليتفرغوا جميعاً⁰ لنقل ما يصدر عنه حتى يتم تصديق الأصحاب فيما يبلغونه عنه، فالواقع، والعقل، والمنطق كلهم يرفض ذلك ويزدريه، ويرثي على المتمسكين بشرط العدد، مجافاتهم للعقل والمنطق، وعدم إدراكهم لواقع الأشياء، فقد كان بعض الصحابة يشغلهم الصفق في الأسواق، وكان بعضهم يشغله الجهاد في سبيل الله (، وكان منهم من يلزم الرسول(، على ملء بطنه، يحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون، من أجل ذلك كان يروى عنه الواحد، والإثنان، والثلاثة، والأكثر، ومن أجل ذلك أيضاً كانت إحدى نساءه تروى عنه بعض ما يحدث منه في البيت مما تفرد عنه أصحابه، وما يحدث بين المرأة وزوجها من أمور تشريعية (1) 0

ويقول الحافظ ابن حجر : "وأما من شرط العدد، فهو قول شاز مخالف لما عليه الجمهور، بل تقبل رواية الواحد إذا جمع أوصاف القبول" (2) 0

(1) السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص119، 120 0
(2) انظر : لسان الميزان 26/1، 27 0

(255/2)

... ويقول فضيلة الدكتور أبو شهبه : "ثم ما هذه البدعة السيئة، بدعة أن الخبر ما دام لم يتواتر لا يقبل ولا يؤخذ به ولو أن كل مسألة من مسائل العلم والمعرفة لم نكتف فيها إلا بالتواتر لما سلم لنا من المعارف إلا القليل، بل لو أننا طبقنا هذه القاعدة على علم التاريخ والآداب لما سلم لنا منها إلا شئ أقل من القليل" (1) 0

... ومع كل هذا فإن المحدثين لم يهتموا العدد، وإنما اعتبروه في تقسيمهم لخبر الآحاد إلى غريب، وعزيز، ومشهور 0

والترجيح بكثرة العدد عند التعارض، وها أنت قد سمعت آنفاً ما ذكره أئمة الحديث وجهابذته من أن الحديث المتواتر يوجد بكثرة في كتب الحديث المشهورة مثل الكتب الستة والمسانيد وغيرها (2) 0

ثانياً : ما اشترطوه لصحة قبول خبر الواحد :

1- ألا يخالف ظاهر كتاب الله (فقد استدلووا لذلك بأدلة منها ما روى عن رسول الله (، "تكثر الأحاديث لكم بعدى، فإذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى، فما وافقه فاقبلوه، واعلموا أنه منى، وما خالفه فردوه، وأعلموا أنى منه برئ" (3) 0

(1) الإسراء والمعراج لفضيلة الدكتور محمد أبو شهبه ص 21 0

(2) راجع : إن شئت ص 539-541 0

(3) الأم 307/7-308، وأصول السرخسى 365/1، والمعتمد فى أصول الفقه 80/2 0

(256/2)

2- واستدلوا أيضاً بما روى عن أبى بكر وعمر وعائشة وغيرهم من الصحابة (فى ردهم خبر فاطمة بنت قيس (1) -رضى الله عنها-، فيما روى عنها عن النبى (، فى المطلقة ثلاثا قال: "ليس لها سكنى ولا نفقة" فرد ذلك عمر (، بقوله: "لا نترك كتاب الله وسنة نبينا (، لقول امرأة لا ندرى لعلها حفظت أو نسيت 0 لها السكنى والنفقة قال الله (: (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) (2) 0

3- واستدلوا أيضاً برد عائشة (رضى الله عنها) حديث عمر وابنه عبد الله -رضى الله عنهما- فى تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه، فردت ذلك عائشة بقولها "يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله (: "إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد" ولكن قال : "إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه" حسبكم القرآن: (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (3) 0

(1) فاطمة بنت قيس: صحابية جلييلة لها ترجمة فى: الإصابة 4/384 رقم 11608 والإستيعاب

1901/4 رقم 4062، وتاريخ الصحابة ص 209 رقم 1114، واسد الغابة 7/224 رقم 7193

- (2) الآية الأولى من سورة الطلاق، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها 356/5 رقم 1480، وانظر : رقم 1481 0
- (3) الآية 38 من سورة النجم، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب قول النبى (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إن كان النوح من سنته 181/3 رقمى 1287، 1288، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه 502/3، 503 رقمى 927، 929 0

(257/2)

4- واستدلوا برد على بن أبى طالب (لخير معقل بن سفيان) فيما روى عن ابن مسعود (؛ أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً، ولم يدخل بها حتى مات 0 فقال ابن مسعود : لها مثل صداق نسائها 0 لاوكس ولا شطط 0 وعليها العدة ولها الميراث 0 فقام معقل بن سنان الأشجعى (1) ، فقال : قضى رسول الله(، فى بروع بنت واشق، امرأة منا 0 مثل الذى قضيت 0 ففرح بها ابن مسعود" (2) فرد ذلك على بن أبى طالب (بقوله : "لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابى بوال على عقبه" (3) 0

- (1) معقل بن سنان الأشجعى : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة 446/3 رقم 815، واسد الغابة 221/5 رقم 5033، والاستيعاب 1431/3 رقم 2460، وتاريخ الصحابة 239 رقم 1311، ومشاهير علماء الأمصار ص 57 رقم 281 0
- (2) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات 237/2 رقم 2114، والترمذى فى سننه كتاب النكاح، باب ما جاء فى الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها 450/3 رقم 1145، وقال : وفى الباب عن الجراح 0 وحديث ابن مسعود حسن صحيح 0 واللفظ للترمذى 0
- (3) هذه الزيادة أخرجه سعيد بن منصور فى سننه 232/1 رقم 931، وأخرجها عبد الرازق فى مصنفه 293/6 0 قال الشوكانى فى هذه الزيادة (لم يثبت عنه من وجه صحيح ولو سلم ثبوته فلم ينفرد بالحديث معقل المذكور بل روى من طريق آخر غيره، بل معه الجراح كما وقع عند أبى داود،

والترمذى وناس من اشجع، انظر : نيل الأوطار 0 173/6 وقال الصنعاني في سبل السلام "وأما الرواية عن علي (- فقال في البدر المنير لم يصح عنه، انظر: سبل السلام 1045/3

(258/2)

... واستدل بالأحاديث السابقة أو بعضها كل من محمود أبو رية في (أضواء على السنة) (1) ،
وأحمد أمين في (فجر الإسلام) (2) ، وأحمد حجازي السقا في كتابة (دفع الشبهات عن الشيخ
الغزالي) (3) ، وجمال البنا في (السنة ودورها في الفقه الجديد) (4) ، وإسماعيل منصور في (تبصير
الأمة بحقيقة السنة) (5) ، ونيازی عز الدين في (دين السلطان) (6) وغيرهم 0

... وتأثر بهذا الشرط والمنهج، فضيلة الشيخ محمد الغزالي - غفر الله له وزاد في إحسانه وتجاوز عن
سيئاته- في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) إذ يقول معقباً على قول عائشة -
رضي الله عنها- (حسبكم القرآن) يقول الشيخ : "وعندى أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين
أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم" (7) 0

... والجواب : إن ما استدل به على رد خبر الآحاد إذا كان زائداً على النص القرآني لا حجة لهم فيه
فحديث (عرض السنة على القرآن) سبق تخريجه وبيان وضعه (8) 0
وبقية الأخبار التي جاء فيها رد بعض الصحابة لبعض الأخبار لمجرد تعارضها الظاهري مع القرآن لا
حجة لهم فيها أيضاً 0 والحق مع الخبر وهو موافق لكتاب الله 0
وقد أفاض في الدفاع عن خبر فاطمة ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (9) 0
وقال الشوكاني ما قيل في الخبر من أنه مخالف للقرآن فوهم (10) 0

(1) انظر : أضواء على السنة ص 73 ، 74 0

(2) انظر : فجر الإسلام ص 216 ، 217 0

(3) انظر : دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 104 ، 105 ، 156 ، 193 0

(4) انظر : السنة ودورها في الفقه الجديد ص 113 0

(5) انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 305 ، 398 ، 399 ، 409 ، 419 0

(6) انظر : دين السلطان ص 941 0

(7) انظر : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 23 0

(8) راجع : ص 218-221 0

(9) انظر : زاد المعاد 522/5 - 542 0

(10) نيل الأوطار 6/303 0

(259/2)

ومما هو جدير بالذكر أن أبا حنيفة النعمان -رحمه الله- قال بخبر فاطمة (1) 0

وكذلك الحال في خبر تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه، الحق مع الخبر، ولا مخالفة فيه لكتاب الله
(، كما هو واضح من ترجمة الإمام البخارى لباب الحديث (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إن
كان النوح من سنته) (2) 0

... أما ما قاله على بن أبي طالب (رداً على خبر معقل بن سنان ؛ فقد سبق من قول الشوكاني
وغيره أن هذا لم يصح عنه، ولو سلمت صحته فلم ينفرد به معقل، والجمهور مع الخبر فهو أيضاً
صحيح موافق لكتاب الله) (3) 0

... ومع أن الجمهور مع الأخبار التي توقف فيها بعض الصحابة لتعارضها الظاهري مع القرآن الكريم
فقد حملوا هذا التوقف من الصحابة على التثبت والإحتياط، ولم يكن ذلك منهم مسلماً مطرداً
بدليل ما سبق ذكره من حالهم في احتجاجهم بخبر الواحد والعمل به 0

ومما هو جدير بالذكر أن من اشتروا هذا الشرط من الأحناف، خالفوه، وقبلوا أخباراً بأسانيد
ضعيفة مع مخالفتها للقرآن الكريم، وقد أكثر من تفصيل ذلك ابن قيم الجوزية (4) 0

(1) المنهاج شرح مسلم للنووي 359/5، وانظر : نيل الأوطار 6/303، وسبل السلام 3/1126

(2) انظر : صحيح البخارى (شرح فتح البارى) 3/181، وانظر : نيل الأوطار 4/102، 106،

والإجابة لا يراد ما استدرسته عائشة على الصحابة للإمام الزركشى ص102، 103 0
(3) انظر: نيل الأوطار 6/173، وسبل السلام 3/1045، وأحكام القرآن لابن العربي
1/219، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 3/197، ومنهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي
للدكتور الأدلبي ص135
(4) أعلام الموقعين 2/288 وما بعدها0

(260/2)

ثالثاً : ما زعموه أن زيادة خبر الواحد على النص القرآني تعد نسخاً؛ فقد أفاض في الرد على ذلك
الامام ابن قيم الجوزية، مبيناً المراد بالنسخ في السنة الزائدة على القرآن الكريم، قائلاً : "ما تعنون
بالنسخ الذى تضمنته الزيادة بزعمكم؟ أتعنون أن حكم المزيد على القرآن من الإيجاب، والتحريم،
والإباحة بطل بالكلية، أم تعنون به تغير وصفه بزيادة شئ عليه من شرط أو قيد أو مانع أو تخصيص
أو ما هو أعم من ذلك؟

... فإن عنيتم الأول فلا ريب أن زيادة خبر الواحد لا تتضمن ذلك، فلا تكون ناسخة0 وإن عنيتم
الثاني، فهو حق، ولكن لا يلزم منها بطلان حكم المزيد عليه، ولا رفعه، ولا معارضته، بل غاية الزيادة
بخبر الواحد كالشروط، والموانع، والقيود، والمخصصات، وشئ من ذلك لا يكون نسخاً يوجب
إبطال الأول ورفع رأساً0

وإن كان نسخاً بالمعنى العام الذى يسميه السلف نسخاً، وهو رفع الحكم الظاهر فى القرآن
بتخصيص أو تقييد أو توضيح ... إلخ، فهذا كثير من السلف يسميه نسخاً0 حتى سمي الاستثناء
نسخاً، فإن أردتم هذا المعنى، فلا مشاحة فى الاسم، ولكن ذلك لا يسوغ رد السنن الناسخة للقرآن
بهذا المعنى، ولا ينكر أحد ممن يعتد به نسخ القرآن بالسنة بهذا المعنى بل هو متفق عليه بين الناس،
وإنما تنازعوا فى جواز نسخ القرآن بالسنة، النسخ الخاص الذى هو رفع أصل الحكم وجملته بحيث
يبقى بمنزلة ما لم يشرع البتة (1) 0

(1) أعلام الموقعين 297/2 بتصرف، وانظر : البحر المحيط 348/4، والإحكام لابن حزم 113/1، والسنة مع القرآن لفضيلة الدكتور سيد أحمد المسير ص 52 – 64 0

(261/2)

... ومما هو جدير بالذكر هنا أن الأحناف مع قولهم بعدم قبول خبر الواحد إذا كان زائد على القرآن، فقد قبلوا أحكاماً كثيرة زائدة على ما في القرآن بعضها من السنة المشهورة كحد الرجم، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وغير ذلك من الأحكام الزائدة على ما في القرآن وقبلوها لأنها ثبتت بسنة مشهورة تفيد عندهم علم طمأنينة القلب (1) 0

هذا في حين أن أهل الزيغ والهوى عندما يستدلون بمذهب الأحناف وبشرطهم يتجاهلون هذا إما عن عمدٍ للتضليل، وإما عن جهل بشرطهم، وهو جعلهم المشهور قسماً للمتواتر في إفادة العلم، وقبول ما أثبتته زائداً على النص القرآني 0

وهو ما رفضه أعداء السنة في خبر الرجم، والجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها ... وغير ذلك بالرغم من استشهادهم بشرط الأحناف بعدم قبولهم خبر الواحد إذا كان زائد على القرآن الكريم 0

... فتأمل كيف استغلوا ذلك الشرط للتشكيك في حجية خبر الواحد، والطعن في الأحكام التي استقلت السنة بتشريعها!!

واعلم : أن من اشترط ذلك الشرط؛ فقد اشترطه على هوى في نفسه، حيث طبقه حيث انتهى، ورفضه أيضاً حيث انتهى، وقد أكد ذلك غير واحد من الأئمة بعد ذكرهم أمثلة كثيرة على مخالفتهم لما اشترطوه، وقبولهم أحكاماً زائدة على ما في القرآن 0

يقول ابن حزم : "فمن أين جوزتم أخذ الزائد على ما في القرآن كما ذكرنا حيث انتهيتم، ومنعتم منه حيث انتهيتم، وهذا ضلال لا خفاء به، وكل ما وجب العمل به في الشريعة فهو واجب أبداً في كل حال (2) 0

(1) انظر : الأم للشافعي 11/7 وما بعدها 0

(2) الإحكام لابن حزم 1/114، وانظر : الأم 7/15، وأعلام الموقعين 2/289، 293 وما بعدها⁰

(262/2)

رابعاً : أما ما اشترطوه في صحة خبر الواحد بألا يكون في الحدود؛ فقد رد ذلك أئمة الأصول يقول الإمام الآمدي : "اتفقت الشافعية، والحنابلة، وأبو يوسف (1) ، وأبو بكر الرازي (2) من أصحاب أبي حنيفة، وأكثر الناس على قبول خبر الواحد فيما يوجب الحد، وفي كل ما يسقط بالشبهة، خلافاً لأبي عبد الله البصري، والكرخي⁰

ودليل ذلك أنه يغلب على الظن، فوجب قبوله لقوله (: "إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض⁰ فأقضى له على نحو مما أسمع منه⁰ فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً؛ فإنما أقطع له به قطعة من النار" (3) ⁰ ولأنه حكم يجوز إثباته بالظن، بدليل ثبوته بالشهادة، وبظاهر الكتاب، فجاز إثباته بخبر الواحد كسائر الأحكام ظنية، والمسألة الظنية، فكان الظن كافياً فيها⁰ وسقوطه بالشبهة لو كان، لكان مانعاً من الأعمال، والأصل عدم ذلك، وعلى من يدعيه بيانه⁰

(1) أبو يوسف هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة، تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء، المهدي، والهادي، والرشيد، وهو أول من وضع الكتب على مذهب أبي حنيفة مات سنة 182هـ⁰ له ترجمة في : وفيات الأعيان لابن خلكان 5/421، وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص 81 ⁰

(2) أبو بكر الرازي هو: أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص، الفقيه الحنفي، من أهل الرأي، سكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة الحنفية⁰ توفي سنة 370هـ⁰ له ترجمة في الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمرآي 1/214، والجواهر المضوية في طبقات الحنفية لعبد القادر محمد القرشي 1/84 ⁰

(3) أخرجه البخاري بشرح (فتح الباري) كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه 5/128 رقم 2458، ومسلم (شرح النووي) كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة 6/245 رقم 1713 ⁰ واللفظ له من حديث أم سلمة - رضى الله عنها -⁰

فإن قيل : خبر الواحد مما يدخله احتمال الكذب، فكان ذلك شبهة في درء الحد، لقوله () : (ادروا الحدود بالشبهات) (1) فهو باطل بإثباته بالشهادة، فإنما محتملة للكذب، ومع ذلك يثبت بها" (2) 0

خامساً : ما اشترطوه ألا يكون خبر الواحد في العقيدة 0 فقد سبق وأن ذكرنا أن أصول العقائد المذكورة في القرآن الكريم، مثل التوحيد، والصفات الإلهية، والرسالة، والبعث، وجزاء الأعمال، ولا يوجد في الحديث الصحيح إلا ما يؤيد هذه الأصول ويوضحها ويقررها، وكل ما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في العقائد تجد مثله في القرآن، ويجرى فيه ما يجري في القرآن من التفويض أو التأويل، ولا يوجد فيها ما يكون مخالفاً لعقائد القرآن، أو زائداً عليها بحيث لا يكون له أصل في القرآن (3) 0

وحتى مع التسليم جداً بأن أحاديث العقائد زائدة عما في القرآن الكريم 0 فالقول بأن خبر الواحد ظني، والعقائد قطعية فلا تؤخذ إلا من الأدلة القطعية 0 هذا القول غير صحيح، لأنه مع فرض أن خبر الآحاد في العقائد ظني، فهو خبر ظني راجع إلى أصل قطعي وهو القرآن الكريم، فيجب العمل به 0

-
- (1) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب الحدود والديات 84/3 رقم 9، وفيه المختار بن نافع، قال البخاري: وهو منكر الحديث قال : وأصح ما فيه حديث سفيان الثوري عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود "قال ادروا الحدود بالشبهات، ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم" وروى عن عقبة بن عامر، ومعاذ، وغير واحد من الصحابة، موقوفاً عليهم، ورواه ابن حزم فكتاب الاتصال عن عمر موقوفاً عليه 0 قال الحافظ : وإسناده صحيح 0 انظر : نيل الأوطار 105/7 0
- (2) الإحكام للأمدى 106/2، 107، وانظر : البحر المحيط 348/4، وفواتح الرحموت 136/2، والتقريب والتحبير 276/2، وارشاد الفحول 231/1 0
- (3) راجع : ص 497 0

... يقول الإمام الشاطبي : "الظني الراجع إلى أصل قطعي إعماله أيضاً ظاهر، وعليه عامة أخبار الأحاد، فإنها بيان للكتاب لقوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (1) 0

(1) الآية 44 من سورة النحل، وانظر : الموافقات 14/3 0

(265/2)

وحكى هذا الرأي أيضاً الإمام الغزالي في المستصفى عن جماهير القدريّة، ومن تابعهم من أهل الظاهر كالقاساني حيث ذهبوا إلى تحريم العمل بخبر الواحد سمعاً (1) ، وحكاه أيضاً الآمدي (2) ، عن القاساني (3) والرافضة وابن داود (4) 0

وبالجملة من مآخذ أهل البدع بالاستدلال نفى أخبار الأحاد جملة 0 والاقتصار على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن (5) 0

... وتابع هذه الفرق الضالة في الطعن في حجية خبر الأحاد من على شاكلتهم من أهل الزيغ والهوى في عصرنا 0

-
- (1) المستصفى من علم الأصول 148/1 0
(2) الإحكام في أصول الأحكام 48/1 0 وانظر البرهان في أصول الفقه للجويني 228/1، والتقريب والتجيب 272/2-275 0
(3) القاساني هو : أبو بكر محمد بن إسحاق القاساني : نسبة إلى "قاسان" بلدة قريبة من "أصبهان" غالب أهلها من الروافض، وعامة العلماء يقولون "القاشاني" بالشين بالمعجمة، والصواب ما أثبتناه كما ضبطه ابن حجر في "تبصير المنتبه بتحرير المشتبه" وكان القاساني أحد أعلام أهل الظاهر، تتلمذ على داود الظاهري، وخالفه في كثير من المسائل الأصولية من مؤلفاته "كتاب الرد على الداود الظاهري في إبطال القياس" توفي بعد الثلاثمائة للهجرة 0 له ترجمة في : طبقات الفقهاء للشيرازي ص 176، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه 1147/3، والفهرست ص 357 0

(4) ابن داود هو : محمد بن داود علي بن خلف الظاهري، كان فقيهاً، أديباً 0 مناظراً، شاعراً 0 له تصانيف كثيرة منها "الوصول إلى معرفة الأصول" واختلاف مسائل الصحابة و "الإندار" و "الإعذار" توفي سنة 297هـ له ترجمة في: تاريخ بغداد 5/256 رقم 2750، والنجوم الزاهرة 3/171، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص 175، وشذرات الذهب 2/226، والفهرست ص 364 0
(5) الاعتصام للشاطبي 1/187، وحكى ذلك أيضاً عنهم ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ص 84 وما بعدها 0

(266/2)

فوجدنا منهم من يقول : "وجوب عدم الاعتداد بحديث الآحاد بالكلية إذ الأصل فيها الكذب والاستثناء هو الصدق (1) 0

... ووجدنا من يقول : "الضرب الثاني من أفعاله وأقواله (مما لم يصل إلى الناس بطريق التواتر المستفيض، فلا يستطيع عاقل أن يدخله في دائرة الوحي الثابت ثبوتاً لا شك فيه، ومن ثم فهو ليس ضرورياً لقيام الدين (2) 0

... ووجدنا من يقول : "فما يؤمنكم أن خبر الواحد ليس من يهودى مثل ابن سبأ؟ ورواية الواحد أوجدت في الدين أموراً سيئة منها :

أولاً : التعارض في المعنى والتعارض يحير الناس في معرفة الحق 0

ثانياً: أوجدت أحاديث الآحاد تفرقة واختلافاً في صفوف المسلمين 0 إذ هي التي فرقتهم إلى سنيين، وشيعة، يضرب بعضهم رقاب بعض 0 وهي التفرقتهم إلى السلف والخلف ... فيأبئها السلفيون: هذه نتائج أحاديث الآحاد في المجتمعات الإسلامية وقد أمرنا الله تعالى بأن نختاط للدين، وبأن نكون أمة واحدة، وبأن نسمع ونعقل 0 فابتعدوا عن أحاديث الآحاد" (3) 0

استعراض شبه منكرى حجية خبر الواحد
قديماً وحديثاً والرد عليها

(1) قاله إسماعيل منصور في كتابه تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 360، 652 0

(2) قاله عبد الجواد ياسين في كتابه السلطة في الإسلام ص 246، 247 0
(3) قاله أحمد حجازي السقا في كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 38-41، وانظر: ما
قاله محمود أبو رية في أضواء على السنة ص 41، 42، 279، 280، 363 وما بعدها 0 وما قاله
جمال البنا في كتابيه الأصول ص 299، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 110 وغيرهم ممن سبق
ذكرهم 0

(267/2)

... أقوى ما شغب به من أنكر قبول خبر الواحد أن نزع بقول الله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ) (1) وقالوا العمل بخبر الواحد اقتفاء لما ليس لنا به علم، وشهادة وقول بما لا نعلم 0 لأن العمل
به موقوف على الظن قال تعالى : (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا) (2) 0
... وقالوا قد ذم الله من اتبع الظن، وبين أنه لا غناء له في الحق 0 فكان على عمومته (3)

وبهذه الآيات وما في معناها استدل أهل الزيغ والبدع قديماً (4) ، وتابعهم حديثاً أهل الزيغ والإحاد
ممن أنكروا حجية السنة كلها، واتخذوا الطعن في خبر الواحد، وسيلة من وسائلهم؛ للتشكيك في
حجية السنة النبوية المطهرة (5) 0
ومما استدل به المعتزلة في رد خبر الواحد من الأحاديث والآثار :

-
- (1) الآية 36 من سورة الإسراء 0
 - (2) الآية 28 من سورة النجم 0
 - (3) المعتمد في أصول الفقه 2/124، وانظر : الحصول للرازي 2/186، 192، 205، والإحكام
للأمدى 2/35، وأصول السرخسي 1/321 0
 - (4) حكاه عنهم أهل الأصول السابق ذكرهم في الأماكن السابقة، وحكاه الإمام الشاطبي قائلاً :
"وربما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على رد الأحاديث بأنها إنما تفيد الظن، انظر :
الاعتصام 1/189 0
 - (5) انظر : مجلة المنار المجلد 9/912 - 913 مقال "الإسلام هو القرآن وحده" للدكتور توفيق

صدقي، وقرآن أم حديث ص 32، 55، والقرآن والحديث والإسلام ص 7 كلاهما لرشاد=
=خليفة، وحد الردة ص 92، وعذاب القبر ص 10، 16، 17، والصلاة في القرآن ص 43 ثلاثهم
لأحمد صبحي منصور، والأصلاان العظيمان ص 297، 309، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص
111 كلاهما لجمال البنا، ونقد الحديث في علم الرواية والدراية للدكتور حسين الحاج حسين
522/1، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 285، وغيرهم ممن سبق ذكرهم فيمن أنكروا
حجية السنة كلها0

(268/2)

1- قصة ذى اليدين (1) ، وتوقف النبي (في خبره، حتى تابعه عليه غيره0
روى عن أبي هريرة (قال : صلى بنا رسول الله (إحدى صلاتي العشي0 إما الظهر وإما العصر0
فسلم في ركعتين0 ثم أتى جُدْعاً في قِبْلَةِ المسجد فاستند إليه مُغَضَّباً، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا
أن يتكلما، وخرج سَرَعَانُ النَّاسِ0 قُصِرَتِ الصلاةُ، فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ فقال : يا رسول الله! أَقْصِرَتِ
الصلاةُ أم نَسِيتَ؟ فنظر النبي (يميناً وشمالاً0 فقال : " ما يقول ذُو الْيَدَيْنِ؟" قالوا : صدق لم تصل إلا
ركعتين0 فصلى ركعتين وسلم، ثم كبر ثم سجد، ثم كبر فرفع، ثم كبر وسجد، ثم كبر ورفع وسلم" (2)
0

2- وقصة أبي بكر حين توقف في خبر المغيرة بن شعبة، في ميراث الجدة حتى تابعه محمد ابن سلمة0

(1) ذُو الْيَدَيْنِ: هو الخَزْبَاقُ بن عمرو السلمى، يقال له ذو اليدين، لأنه كان في يديه طول، وقيل أنه
كان قصير اليدين0 وهو صحابي جليل: له ترجمة في الإصابة : 489/1 رقم 2243، وتاريخ الصحابة
لابن حبان ص 91 رقم 389، والاستيعاب 457/2 رقم 688، واسد الغابة 162/2 رقم 1433 0
(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد
الصدوق في الأذان، والصلاة، والصوم، والفرائض، والأحكام 245/13 رقم 7250، ومسلم
(بشرح النووى) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له 66/3 رقم 573 واللفظ له0

(269/2)

روى عن قُبَيْصَةَ بن ذُؤَيْب (1) (قال : "جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال : مالك في كتاب الله (من شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله (شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله (أعطاهما السدس، فقال أبو بكر : هل معك غيرك؟ فقال محمد بن سلمة (2) فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب (تسأله ميراثها، فقال : مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما كان القضاء الذي قضى به إلا لغيرك، وما أنا بزانة في الفرائض، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها" (3) 0

3- وقصة عمر (وتوقفه في خبر أبي موسى الأشعري (في الاستئذان حتى تابعه أبو سعيد الخدري) :

-
- (1) قُبَيْصَةُ هو : قُبَيْصَةُ بن ذُؤَيْب الخزاعي الكعبي، أبو سعيد، من فقهاء أهل المدينة وعبادهم، من أولاد الصحابة، كان مولده يوم الفتح، وله رؤية مات سنة 86هـ له ترجمة في: تقريب التهذيب 26/2 رقم 5529، وتذكرة الحفاظ 60/1 رقم 47، والثقات للعجلي ص 388 رقم 1377، وطبقات الحفاظ ص 28 رقم 45، والثقات لابن حبان 317/5، والعبر 101/1 0
- (2) محمد بن مسلمة : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 383/3 رقم 7822، وتاريخ الصحابة ص 226 رقم 1213، والاستيعاب 1377/3 رقم 2344، ومشاهير علماء الأمصار ص 30 رقم 93، واسد الغابة 106/5 رقم 4768 0
- (3) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الفرائض، باب في الجدة 122/3، 121 رقم 2894 واللفظ له، والترمذي في سننه كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة 366/4 رقم 2101 قال أبو عيسى : وفي الباب عن بُرَيْدَةَ وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عينة 0

(270/2)

روى عن أبي سعيد قال : كنا في مجلس عند أبي بن كعب (1) ، فأتى أبو موسى الأشعري مُغْضَباً حتى وَقَفَ 0 فقال : أَنَشِدُكُمْ الله هل سمع أحدٌ منكم رسول الله (يقول : "الاستئذان ثلاثاً 0 فإن أذن

لك 0 وإلا فارجع" قال أبي بن كعب 0 وما ذاك؟ قال : استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات 0 فلم يؤذن لي فرجعت 0 ثم جئته اليوم فدخلت عليه، فأخبرته أني جئت أمس فسلمت ثلاثاً ثم انصرفت، قال : قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل 0 فلوما استأذنت حتى يؤذن لك؟ قال : استأذنت كما سمعت رسول الله (0) قال : فوالله لأوجعن ظهرَكَ وبطنَكَ أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا 0 فقال أبي بن كعب : فوالله! لا يقوم معك إلا أحدثنا سناً 0 قم 0 يا أبا سعيد فقمْتُ حتى أتيتُ عُمرَ فقلتُ : قد سمعت رسول الله (يقولُ هَذَا (2) 0

- (1) أبي بن كعب : صحابي جليل له ترجمة في اسد الغابة 168/1 رقم 34، والإصابة 19/1 رقم 32، وتذكرة الحفاظ 17/1 رقم 6، ومشاهير علماء الأمصار ص 19 رقم 31، وتاريخ الصحابة ص 29 رقم 21 0 والاستيعاب 65/1 رقم 6 0
- (2) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً 28/11 رقم 6245، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الآداب، باب الاستئذان 387/7 رقم 2153 0

(271/2)

... قالوا ففيما سبق بيان أن الصحابة كانوا لا يقبلون خبر الواحد، وكانوا يعتبرون لطمأنينة القلب عدد الشهادة كما كانوا يعتبرون لذلك صفة العدالة، ومن بالغ في الاحتياط فقد اعتبر في قبول الخبر أقصى عدد الشهادة أربع لأن ما دون ذلك محتمل للعلم (1) 0

كما استشهد بعض خصوم السنة برد عمر خبر فاطمة بنت قيس في المطلقة ثلاثاً، بأنه لا سكنى لها ولا نفقة لمخالفته لقوله تعالى : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) (2) 0

... ورد عائشة - رضى الله عنها - لخبر عمر وابنه عبد الله - رضى الله عنهما - في "تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه" لمخالفته في رأيها لقوله تعالى : (أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزًّا أُخْرَى) (3) 0 وغير ذلك مما استشهد به خصوم السنة، وسيأتي تخريجه والرد عليه في الجواب عما اشترطوه لصحة قبول خبر الواحد 0

الرد على شبه منكرى حجية خبر الآحاد

إن ما ذكره أهل الزيغ والابتداع قديماً من أدلة على عدم حجية خبر الواحد، وتبعهم فيها أهل الزيغ والهوى في عصرنا، ما ذكروه من أدلة لا حجة لهم فيها، بل هو حجة لنا عليهم

-
- (1) انظر : المعتمد في أصول الفقه 115/2، وأصول السرخسى 331/1، والخصول للرازي 186/2، والإحكام للآمدى 35/2، 60، وتدريب الراوى 73/1 واستشهد بذلك حديثاً محمود أبو رية في أضواء على السنة ص 57، 58، وأحمد أمين في فجر الإسلام ص 210، = وأحمد حجازى السقا في دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص 113، وجمال البنا في كتابيه الأصول العظيمان ص 299، 300، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 112، 113، وإسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 367 وغيرهم، وانظر : ما كتبه حسن السقاف في تقديمه لكتاب ابن الجوزى دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص 27-45 0
- (2) الآية 1 من سورة الطلاق 0
- (3) الآية 38 من سورة النجم 0

(272/2)

... فما زعموه من أن العمل بخبر الواحد اقتفاء ما ليس لنا به علم استناداً إلى قول رب العزة (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (1) 0

فهذه الآية حجة لنا عليهم في هذه المسألة، لأننا لم نقف ما ليس لنا به علم، بل قد صح لنا به العلم من انعقاد إجماع من يعتد به على حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، والإجماع قاطع فاتباعه لا يكون اتباعاً لما ليس لنا به علم، ولا اتباعاً للظن (2) 0

قال الشوكاني : "ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم، لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذ تلقته الأمة بالقبول ... ومن هذا القسم أحاديث صحيحى البخارى ومسلم - رحمهما الله تعالى (3) - فسقط اعتراضهم بهذه

الآية 0

... أما ما ضلل به أهل الزيغ والهوى من ربط ظنية خبر الآحاد، بالظن الوارد في قوله تعالى : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) (4) وقوله تعالى : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) (5) وقوله (: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" (6) 0

(1) الآية 36 من سورة الإسراء 0

(2) انظر : الإحكام للآمدى 35/1، 46، والإحكام لابن حزم 111/1 0

(3) إرشاد الفحول للشوكاني 212/1، 213 0

(4) الآية 23 من سورة النجم 0

(5) الآية 28 من سورة النجم 0

(6) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" 499/10 رقم 6066، ومسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش وغيرها 361/8 رقم 2563 من حديث أبي هريرة (0)

(273/2)

هذا الإطلاق والربط من أفرى، الفرى لأن الظن الوارد في الآيات السابقة، والحديث الشريف وارد في معرض ترك الحق الثابت باليقين، واتباع للهوى الذى لا دليل عليه، وليس كذلك الظن المنسوب إلى أحاديث الآحاد 0

فإطلاق كلمة "الظن" على أحاديث الآحاد وهى فى حقيقتها أكثر السنة النبوية، وربطها بالمعنى الوارد فى الآيات السابقة، والحديث النبوى، وقول بعض الأئمة إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن، ثم نتيجة هذا الربط بأن خبر الآحاد من أكذب الحديث ولا يغنى من الحق شيئاً هذا الربط ونتيجته ضلال مبين 0

... يقول المستشار سالم البهنساوى : "وأعظم من ذلك تلقين أكثر مدرسى الفقه الإسلامى

بالجامعات الإسلامية هذه الظنية في نفوس الطلاب دون بيان حقيقة المراد بهذه الكلمة، مما يسر اقتناع الطلاب بالتيارات الإلحادية المنحرفة التي تشكك في حجية السنة، أو ترد بعض الأحاديث الصحيحة في العقائد أو المعاملات أو غير ذلك بحجة أن الحديث آحاد، والآحاد يفيد الظن، والظن لا يغني عن الحق شيئاً، ومن ثم تصبح هذه الأقوال جنائية ضد السنة النبوية، لأنها خلت من بيان المقصود من هذه الظنية، وأنه لا أثر لها على حجية السنة، ووجوب العمل بها، في العبادات والمعاملات والحدود ... إلخ (1) 0

... إن الظن الوارد في هذه الآيات غير الظن الذي يتحدث عنه أهل الكلام، غير الظن الذي وصف به خبر الآحاد على لسان أئمة المسلمين من الفقهاء، والمحدثين، والأصوليين 0 وبالتالي من الخطأ البين حصر معنى الظن فيما استدلوا به 0 وإليك المراد بحقيقة هذه الكلمة عند علماء الأمة 0

التعريف بالظن لغة واصطلاحاً :

(1) السنة المفترى عليها للمستشار البهنساوى ص 148، 149، 155، 160 بتصرف 0

(274/2)

... قال الفيروزابادى : "الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم (1) ، قال الأستاذ محمد رشيد رضا : وهو تعريف مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة (2) ، ومثله قول الجرجاني : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، ويستعمل في اليقين والشك (3) ، وعلى هذا صار أهل الأصول في تعريفهم للظن (4) 0

... فمن استعملاته في اليقين قوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ) (5) وقال تعالى : (وَضَلَّ دَاوُدُ أَمَّا فَتَنَاهُ) (6) 0 ويطلق اليقين على الظن كما في قوله تعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) (7) أى ظننتموهن 0

"وليس معنى ذلك أن كل يقين ظن، وإنما المراد أن الظن على مراتب، منها ما يرادف اليقين، ومنها ما هو دونه فيبينهما العموم والخصوص بإطلاق" (8) 0

... فخير الآحاد وإن كان ظنياً "بمعنى احتمال الخطأ والوهم والكذب على الراوى" فإن هذا الاحتمال بعد التثبت والتأكد من عدالة الراوى، ومقابلة روايته بروايات أقرانه من المحدثين، يصبح الاحتمال بخطأه ووهمه - ضعيفاً - فيفيد الخبر العلم اليقيني، ولا سيما إذا احتفت به قرينة من القرائن السابق تفصيلها 0

وحق مع القول بأن خبر الواحد يفيد الظن الراجح بصدق الخبر، فإن هذا الظن يستند إلى أصل قطعى وهو القرآن الكريم 0

(1) القاموس المحيط 241/4، وانظر : مختار الصحاح ص 406 0

(2) انظر : مجلة المنار المجلد 19/343 0

(3) التعريفات ص 187 رقم 934، وانظر : كشف اصطلاحات الفنون 4/939، 940 0

(4) انظر : الإحكام للآمدى 1/31، والبحر المحيط للزركشى 1/74 0

(5) جزء من الآية 249 من سورة البقرة 0

(6) جزء من الآية 24 من سورة ص 0

(7) جزء من الآية 10 من سورة الممتحنة 0

(8) انظر : مجلة المنار المجلد 19/344 0

(275/2)

يقول الشاطبى : "وهذه هى الظنون المعمول بها فى الشريعة أينما وقعت، لأنها استندت إلى أصل معلوم، فهى من قبيل المعلوم جنسه ... فعلى كل تقدير : خبر واحد صح سنده فلايد من استناده إلى أصل فى الشريعة قطعى، فيجب قبوله، ومن هنا قبلناه مطلقاً، كما أن ظنون الكفار غير مستندة إلى شئ فلايد من ردها (1) 0

... يقول الدكتور السباعى : ثم إن الشرع الحنيف قد جاء بتخصيص القطعى بظنى، كما فى الشهادة

على القتل والمال باثنين، مع أن حرمة المال والدم مقطوع بهما، وقد قبلت فيهما شهادة الاثنين وهي
ظنية (2) 0

أما قياسهم الرواية على الشهادة في اعتبار العدد بحجة أن الرواية شرع عام والشهادة شرع خاص ولم
يقبل فيها رواية الواحد، فلأن لا تقبل في حق كل الأمة من باب أولى 0

هذا الكلام منقوض بسائر الأمور التي هي معتبرة في الشهادة لا في الرواية كالحرية، والذكورية
والبصر، وعدم القرابة" (3)، وقد حرر الحافظ السيوطي في التدريب الفرق بين الرواية والشهادة
فيما يقرب من إحدى وعشرين فرقاً، فانظرها؛ فإنها مهمة (4) 0
... ثم إن القول بظنية سنة الآحاد لا تنطبق على جميع السنة، بل على ما كان منها ضعيفاً أو
الأحاديث التي حدث كلام في صحتها، لاسيما وقد ذهب المحققون من أهل الحديث والأصول،
والفقه، إلى إفادة الخبر العلم فيما تلقته الأمة بالقبول كأحاديث الصحيحين أو ما احتفت به قرينة من
القرائن الخارجية السابق ذكرها 0

-
- (1) الاعتصام 190/1، وانظر : الموافقات 14/3 وما بعدها 0
 - (2) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 152، وانظر : الإحكام للآمدى 62/2،
والحصول للرازي 193/2، والمدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي
عبد القادر ص 313، 318، 320 0
 - (3) الحصول للرازي 206/2، وانظر : الإحكام لابن حزم 111/1، 127 0
 - (4) تدريب الراوي 331/1 – 334 0

(276/2)

... وكذلك فإن الحكم على كون الدليل قطعياً أو ظنياً من الأمور النسبية : يقول ابن قيم الجوزية :
"كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل، ليس هو
صفة للدليل في نفسه، فهذا أمر لا ينازعه فيه عاقل، فقد يكون قطعياً عند زيد، ما هو ظني عند
عمرو، فقولهم إن أخبار رسول الله (الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم، بل هي ظنية

هو إخبار عما عندهم، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم (1) 0 ولمعرفتهم بذلك فالكلمة الفصل والأخيرة في المسألة لهم ولا تعويل على غيرهم كالمتكلمين 0

ويقول الدكتور صالح أحمد رضا : "وأين الدليل على أن الله (منعنا بالعمل بالظن، وأمرنا دائماً وأبداً باليقين؟

(1) مختصر الصواعق المرسله 2/ 576 0

(277/2)

إن الله تعالى لم يطالبنا إلا بالظن الذي يغلب صدقه، أما الوصول إلى اليقين القاطع الذي ليس معه أى احتمال، فهذا لا يطلب من الإنسان المسلم، إذ ليس في مقدوره أن يصل إلى اليقين، ولهذا عندما تكلم العلماء عن القرآن الكريم قالوا : إن بعضه قطعى الثبوت قطعى الدلالة، وبعضه قطعى الثبوت ظنى الدلالة، وقد قال تعالى في محكم كتابه : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (1) فالراسخون في العلم هم الذين يعودون بالمتشابه إلى المحكم، ويفهمون بذلك الجميع، ومن يطلع على علم أصول الفقه يتبين الفروق بين العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ على المعاني ودرجة تلك الدلالة مما جرى فيه اختلاف العلماء في كل زمان، وفهمهم من كتاب الله تعالى، مما يدل على أننا لسنا متعبدين باليقين ... 0

فقد أوجب الله تعالى علينا قبول قول شاهدين والعمل بمقتضى شهادتهما في إثبات الحقوق، والدماء، ولا شك أن خبر الشاهدين هو خبر آحاد ومع ذلك فخيرهما معتبر شرعاً (2) 0 ... أما ما استدلوا به من الأخبار والآثار المرفوعة والموقوفة على عدم حجية خبر الواحد فهو أيضاً حجة عليهم لا لهم 0

لأن الأخبار والآثار السابقة قبلها من توقف فيها، بموافقة راوى آخر، ولم تبلغ بذلك رتبة التواتر، ولا خرجت عن رتبة الآحاد 0

... فانضمام أبي بكر وعمر وغيرهما، مع خبر ذى اليدين عمل بخبر آحاد0

(1) الآية 7 من سورة آل عمران0

(2) ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها للدكتور صالح أحمد رضا ص 58-60 0

(278/2)

وكذلك الحال في قصة أبي بكر وعمر، فانضمام محمد بن مسلمة إلى المغيرة بن شعبة لم يجعل حديث
الجدّة ينتقل من خبر آحاد إلى خبر متواتر0

وكذلك انضمام أبي سعيد الخدري إلى أبي موسى الأشعري (لم ينقل الحديث إلى رتبة التواتر0

... قال الإمام الآمدى : "فعلم من ذلك أن ما ردوه من الأخبار أو توقفوا فيه لم يكن لعدم حجية
خبر الآحاد عندهم، وإنما كان لأمر اقتضت ذلك من وجود معارض، أو فوات شرط؛ لا لعدم
الاحتجاج بها في جنسها، مع كونهم متفقين على العمل بها، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب
والسنة حجة، وإن جاز تركها والتوقف فيها لأمر خارجة عنها (1) 0
1- فتوقف النبي (في خبر ذى اليدين لتوهم غلطه لانفراده بذلك السؤال دون من صلى معه (، مع
كثرهم، فاستبعد الرسول (حفظه دوهم، فحيث وافقه الباكون على ذلك، ارتفع توهم غلط ذى
اليدين، وعمل بموجب خبره، فلم يلزم من ذلك رد خبر الواحد مطلقاً" (2) 0

... وهذه كتب الآثار طافحة بأمثلة عديدة تؤيد اعتبار الرسول (لخبر الواحد حجة فقد "بعث رسله
واحداً واحداً إلى الملوك، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم، وكانت الحجة قائمة
بإخبارهم عنه (مع عدم اشتراط التعدد (3) 0
وهو القائل (: "نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع" (4) 0

2- وقل مثل ذلك في قصة أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - فتوقف أبي بكر في خبر المغيرة بن
شعبة في ميراث الجدّة0 هذا ليس منه مطرداً، فهو يريد مزيداً من التثبت والتحوط لا اتهاماً للمغيرة

باعتباره راوياً فرداً، ولا طعنًا في حجية خبر الواحد⁰

(1) الإحكام للآمدى 61/2 0

(2) الإحكام للآمدى 62/1، وانظر : فتح البارى 250/13 رقم 7254 - 7260 0

(3) تدريب الراوى 73/1 0

(4) سبق تخريجه ص 34، 273 0

(279/2)

بدليل أنه قبل خبر عائشة وحدها في أن النبي (مات يوم الاثنين وقبل أيضاً خبرها وحدها في قدر كفن النبي (فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : "دخلت على أبي بكر (فقال : في كم كفنتم النبي ؟) قالت : في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص، ولا عمامة، وقال لها في أى يوم توفي رسول الله (؟ قالت يوم الاثنين⁰ قال : فأى يوم هذا؟ قالت يوم الاثنين⁰ قال : أرجوا فيما بيني وبين الليل ... الحديث " (1) 0

3- وأما قصة عمر (وتوقفه في خبر أبي موسى في الاستئذان، فإن أبا موسى أخبره بذلك الحديث عقب إنكاره عليه رجوعه بعد الثلاث، وتوعده، فأراد التثبت خشية أن يكون دافع بذلك عن نفسه (2) 0 يدل على ذلك ما جاء في إحدى طرق الحديث أن أبي ابن كعب قال لعمر: "سمعت رسول الله (يقول ذلك يا ابن الخطاب! فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله (قال سبحانه الله! إنما سمعت شيئاً⁰ فأحببت أن أثبت " (3) 0

... وفي رواية: "والله إن كنت لأميناً على حديث رسول الله (، ولكن أحببت أن أثبت (4)، وفي رواية: "أما إنى لم أهتمك⁰ ولكن خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله ((5)

وقد قبل عمر (أخبار آحاد كثيرة دون توقف⁰

(1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب موت يوم الاثنين 297/3 رقم 1387

(2) انظر : تدريب الراوى 73/1، والرسالة للشافعى ص 433 فقرات رقم 1189، 1196 0

- (3) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الآداب، باب الاستئذان 387/7 رقم 0 7254
- (4) انظر : فتح البارى 32/11 رقم 0 6245
- (5) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الاستئذان، باب الاستئذان 734/2 رقم 30، وانظر : شرح الزرقانى 425/4 - 427، والرسالة للشافعى ص 435، فقرات رقم 1195 - 1200 0

(280/2)

-
- 1- فقد قبل خبر عبد الرحمن بن عوف وحده فى أخذ الجزية من المجوس 0 فيما روى عنه (أنه ذكر المجوس، فقال : ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم 0 فقال : عبد الرحمن ابن عوف : أشهد لسمعت رسول الله (يقول : "سئوا بهم سنة أهل الكتاب" (1) 0
- 2- ومر قبوله خبر الضحك بن سفيان فى توريث امرأة أشيم من دية زوجها (2) 0
- 2- ومر حديث تناوبه هو وجار له من الأنصار فى سماع الوحي (3) 0 أ 0 هـ والله أعلم 0

أدلة حجية خبر الآحاد

... سبق وأن ذكرنا أن علماء المسلمين من أهل الحديث، وأئمة الفقه، وأصحاب الأصول - فى القديم والحديث - اهتموا بهذه المسألة وكتبوا فيها أبواباً مطولة وفصولاً مطنية، وفصلوا فيها الأدلة المستمدة من القرآن، والسنة، وعمل الصحابة، والتابعين، على حجية خبر الآحاد ووجوب العمل به 0

وخلاصة القول فى هذه الأدلة مسلكتين على ما اختاره القاضى البيضاوى وعصبته كإمام الحرمين، والغزالي، والسبكي وولده، وفخر الدين الرازى، وغيرهم 0

-
- (1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب 297/6 رقمى 3156، 3157، وأخرجه مالك فى الموطأ كتاب الجزية، باب جزية أهل الكتاب والمجوس 233/1 رقم 42 واللفظ له، وانظر : الرسالة للشافعى ص 431 رقم 1185 0

(2) راجع : ص 316 0

(3) راجع : ص 336 0

(281/2)

1- المسلك الأول : يستند إلى أمر متواتر، لا يتمارى فيه إلا جاحد، ولا يدرؤه إلا معاند، وذلك أنا نعلم باضطرار من عقولنا أن الرسول (كان يرسل الرسل، ويحملهم تبليغ الأحكام، وتفاصيل الحلال والحرام، وربما كان يصحبهم الكتب، وكان نقلهم أوامر رسول الله (على سبيل الآحاد، ولم تكن العصمة لازمة لهم، فكان خبرهم في مظنة الظنون، وجرى هذا مقطوعاً به، متواتراً لا اندفاع له، إلا بدفع التواتر، ولا يدفع المتواتر إلا مباهت (1) 0
... إلا أن المعارضين على قبول خبر الواحد قد أثاروا شبهة حول هذا المسلك وذلك بقولهم : "إن إرسالهم "أى الرسل والمبعوثون" إنما كان لقبض الزكاة والفتيا ونحو ذلك" (2) 0

... وقد تولى الإجابة عن هذه الشبهة الحافظ ابن حجر فبين أن هذا الاعتراض "مكابرة" لأن العلم حاصل بأن إرسال الأمراء كان لأعم من قبض الزكاة، وإبلاغ الأحكام، وغير ذلك، ولو لم يشتهر من ذلك إلا تأمير معاذ بن جبل (وقوله له : "إنك تقدم على قوم أهل كتاب 0 فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله (فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم (3) 0 لو لم يكن إلا هذا الحديث لكان فيه الغناء 0

(1) انظر : البرهان للجويني 228/1، والإبهاج في شرح المنهاج 307/2، 308، والمستصفي

151/1، 152، والحصول للرازي 180/2 0

(2) القائل ذلك أبو الحسين البصري المعتزلى في المعتمد 121/2، 122 0

(3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب بعث أبى موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع 661/7 رقم 4347، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام 228/1 رقم 19 0

(282/2)

مع العلم أن "الأخبار طافحة بأن أهل كل بلد منهم، كانوا يتحاكمون إلى الذى أمر عليهم، ويقبلون خبره، ويعتمدون عليه من غير التفات إلى قرينة" (1) 0

... وقديماً استدل الإمام الشافعى بهذا المسلك فى الرسالة فقال : "بعث رسول الله (سراياه وعلى كل سرية واحد، وبعث رسله إلى الملوك إلى كل ملك واحداً، ولم تزل كتبه تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهى فلم يكن أحد من ولاته يترك إنفاذ أمره، وكذا كان الخلفاء من بعده (2) 0 وبهذا المسلك أيضاً استدل الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب إخبار الآحاد باب ما كان يبعث النبى (من الأمراء والرسول واحداً بعد واحد (3) 0 وقال ابن عباس : بعث النبى (دحية الكلبي (4) بكتابه إلى عظيم بصرى أن يدفعه إلى قيصر (5) 0

... والأمثلة على أمراء السرايا والبعوث، وأمراء البلاد، ورسله إلى الملوك، كتب السير والتاريخ، ودواوين السنة زاخرة بها (6) 0

-
- (1) انظر : فتح البارى 247/13، 248 رقم 7258 – 7260 0
(2) الرسالة ص 412 – 419 فقرات رقم 1228، 1145 – 1147، 1151، وانظر : فتح البارى 254/13 رقمى 7264 – 7265 0
(3) انظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) 254/13 0
(4) دحية الكلبي صحابى جليل له ترجمة فى : الاستيعاب 461/2 رقم 701، واسد الغابة 2/197 رقم 1507، والإصابة 473/1 رقم 2395، ومشاهير علماء الأمصار 72 رقم 380، وتاريخ الصحابة 94 رقم 404 0
(5) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحي 42/1، 43 رقم 7 0
(6) انظر: فتح البارى 254/13، 255 رقمى 7264 – 7265، وطبقات ابن سعد 16/1 وما بعدها، وزاد المعاد 3/595 – 697، وسيرة ابن هشام 4/600، 606، 607 – 650 0

2- المسلك الثاني : إجماع الصحابة (على قبول خبر الواحد، وذلك في وقائع شتى لا تنحصر، وآحادها إن لم تتواتر فالجموع منها متواتر، ولو أردنا استيعابها لطالت الأنفاس وانتهى القرطاس، فلا وجه لتعدادها إذ نحن على قطع بالقدر المشترك منها وهو رجوع الصحابة إلى خبر الواحد إذا نزلت بهم المعضلات، واستكشافهم عن أخبار النبي (عند وقوع الحوادث، وإذا روى لهم تسرعوا إلى العمل به (1) ، فهذا ما لا سبيل إلى جرده ولا إلى حصر الأمر فيه (2) 0

... وعلى ما أجمع عليه الصحابة ("أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت حجية خبر الواحد، والانتفاء إليه في وجوب العمل به" (3) 0

-
- (1) راجع: ص316 وما بعدها، وانظر: الرسالة للشافعي ص422-431 فقرات رقم 1161-1183 0
- (2) الإبهاج في شرح المنهاج 306/2، وانظر: البرهان للجويني 229/1، والمستصفي 148/1-150، والمحصل 180/2، والرسالة ص 420 فقرة رقم 1157، والتقرير والتحبير 272/2-275 0
- (3) انظر : الرسالة ص 457 رقم 1248 0

(284/2)

... وفي كتاب الله (، أدلة لا حصر لها تدل على : صحة المسلكين السابقين 0 ففي القرآن الكريم قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) (1) 0 وقال : (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) (2) 0 وقال : (وَإِلَىٰ مُؤَدَّ أَخَاهُمْ صَالِحًا) (3) 0 وقال تعالى لنبيه محمد (: (إِنَّا إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ) (4) 0 وقال ((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) (5) 0 فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة، لتعذر خطاب جميع الناس شفاهاً، وكذا تعذر إرسال عدد التواتر إليهم، وهو مسلك جيد (6) ، ينضم إلى المسلكين السابقين وبه قال الإمام الشافعي في الرسالة (7) 0

وقال الإمام الشافعي بعد ذكره قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (8) 0 قال :

فظاهر الحجج عليهم باثنيين ثم ثالث، وكذا أقام الحجة على الأمم بواحد، وليس الزيادة في التأكيد مانعة أن تقوم الحجة بالواحد إذ أعطاه الله ما يُبين به الخلق غير النبيين" (9) 0

(1) الآية الأولى من سورة نوح 0

(2) الآية 65 من سورة الأعراف 0

(3) الآية 72 من سورة الأعراف 0

(4) الآية 163 من سورة النساء 0

(5) الآية 20 من سورة يس 0

(6) انظر : فتح الباري 248/13 رقم 7258 – 7260 0

(7) الرسالة ص 435 فقرة رقم 1201 0

(8) الآيتان 13، 14 من سورة يس

(9) الرسالة ص 437 فقرة رقم 1213 0

(285/2)

وبالجملة فكل خبر واحد في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة، يشهد بحجية خبر الواحد ووجوب

العمل به (1) أ 0

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(1) انظر: ما استدل به ابن قيم الجوزية على ذلك في مختصر الصواعق المرسلة 550/2-558،

وانظر : الإحكام لابن حزم 115/1، والمدخل إلى السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمهدي

ص 284، 286 0

(286/2)

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية : "الذين قالوا لا يحتج بخبر الواحد في العقائد من التوحيد، والصفات الإلهية، والبعث قالوا : الأخبار قسمان متواتر وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات وقالوا : الآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها⁰ فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته، وأفعاله من جهة الرسول (0) وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية، وبراهين نقلية، وهي في التحقيق كما قال الله تعالى : (كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (1) 0

(1) الآية 39 من سورة النور، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية 506/2، وقارن بشرح العقيدة الطحاوية 79/2، 80، وتأثر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت بهذا المنطق الفلسفي الذي يرى أن دليل العقل يفيد اليقين، أما الأدلة النقلية فلا، وينسب ذلك إلى كثير من العلماء فيقول : "وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب⁰ أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين، ولا تحصل الإيمان المطلوب، ولا تثبت بها وحدها عقيدة ... والذين ذهبوا إلى أن الدليل النقلى يفيد اليقين، ويثبت العقيدة شرطوا فيه أن يكون قطعياً في وروده، قطعياً في دلالته، انظر : الإسلام عقيدة وشريعة ص 53 0

(287/2)

إن هذه التفرقة بين العقائد والأحكام في العمل بخبر الآحاد، لا تعرف عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من التابعين، ولا من تابعهم، ولا عن أحد من أئمة الإسلام، وإنما يعرف عن رؤوس أهل البدع ومن تبعهم" (1) 0

... ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض الحنفية ممن قال بهذا الشرط نقضه بنفسه بقبوله الآثار المروية في عذاب القبر ونحوها، لأن بعضها مشهور، وبعضها آحاد أيضاً كما يصرح السرخسي بقوله : "فأما الآثار المروية في عذاب القبر ونحوها فبعضها مشهور، وبعضها آحاد وهي توجب عقد القلب عليه"

(1) مختصر الصواعق المرسله 578/2، وقارن بالسنة المفتري عليها للبهنساوى ص168، 172، وانظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشى 261/4، 262 مسألة (إثبات أسماء الله بأخبار الآحاد) ومسألة (إثبات العقيدة بخبر الآحاد) 0 وانظر : فتوى الشيخ محمد رشيد رضا (أحاديث الآحاد يحتج بها في العقائد) في مجلة المنار المجلد 342/19 وما بعدها 0 وانظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص 27-29، ومذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص 105، وموقف المدرسة العقلية من السنة 1/163، والابتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية ص 78، وراجع قوله السابق ص 553، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية للأستاذ الدكتور عبدالمهدى ص 291 مبحث (حجية الآحاد في العقائد)، والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للأستاذ الألبانى ص 45-65

0

(2) أصول السرخسى 1/329 0

(288/2)

ونفس الشئ وقع فيه المعتزلة يقول القاضى عبد الجبار : "فإن قال : أفتجوزون ما ورد في الأخبار من عذاب القبر، ومنكر ونكير، والمساءلة، والمحاسبة، والميزان، والصراط، وغير ذلك؟ قيل له نعم، نؤمن بجميع ذلك على الوجه الذى نجوز له لا على ما يظنه الحشو من أنه يعذبهم وهم موتى في قبورهم، ولا كما تقوله الجبره من أنه لا أصل لعذاب القبر، وقد تظاهرت الأخبار بذلك، ولا يمتنع أن يتولى ذلك من يلقب من الملائكة بمنكر ونكير، ليكون أعظم في التعذيب، وكذلك المسألة، والمحاسبة، وغير ذلك ... فنحن نؤمن بما جاء في ذلك من الأخبار، ولا خلاف بين الأمة في ذلك" (1) 0

فهلا آمن أهل الزيغ والهوى بما آمن به من استدلووا بشرطهم (2) ؟!

أم كفاهم شرطهم ليكون وسيلة لهم للتشكيك في حجية خبر الآحاد في العقائد ؟! 0

(1) المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة 1/277، 278،

وانظر : شرح الأصول الخمسة ص 730 0

(2) انظر: تعميم أحمد صبحى منصور في قوله: "أمور الغيبيات لا تؤخذ إلا من القرآن والحديث

المتواتر هو قول علماء الأصول " وقد علمت أنه قول المعتزلة، ومن تأثر بهم من فقهاء
الأحناف⁰ انظر: عذاب القبر والثعبان الأقرع ص 16، وشفاء الصدر ينفي عذاب القبر لإسماعيل
منصور⁰

(289/2)

سادساً : أما شرطهم لصحة قبول خبر الواحد بألا يثبت به حكم شرعى من فرض أو تحريم⁰ فيقول
رداً على ذلك الإمام ابن قيم الجوزية بقوله : "إن خبر الواحد لو لم يفد العلم لم يثبت به الصحابة
التحليل والتحريم، والإباحة، والفروض، ويجعل ذلك ديناً يدان به في الأرض إلى آخر الدهر⁰ فهذا
الصديق (زاد في الفروض التي في القرآن فرض الجدة، وجعله شريعة مستمرة إلى يوم القيامة، بخبر
محمد ابن مسلمة والمغيرة بن شعبة فقط، وجعل حكم ذلك الخبر في إثبات هذا الفرض حكم نص
القرآن في إثبات فرض الأم، ثم اتفق الصحابة والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد ... وأثبت
عمر بن الخطاب ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلابي وحده، وصار ذلك
شريعاً مستمراً إلى يوم القيامة وأثبت شريعة عامة في حق المجوس بخبر عبد الرحمن بن عوف وحده (1)
⁰

... وهذا أكثر من أن يذكر، بل هو إجماع معلوم منهم، ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر
الواحد في الظنيات، ونحن لا ننكر ذلك لأننا قد قدمنا أنهم أجمعوا على حجيته والعمل بموجبه، ولو
جاز أن يكون خبر الواحد كذباً أو غلطاً في نفس الأمر لكانت الأمة مجمعة على قبول الخطأ والعمل
به وهذا قدح في الدين والأمة (2) ⁰

سابعاً : ما ذهب إليه البعض من إسقاط الشرعية من خبر الأحاد في المجال الدستوري والسياسي :

(1) الآثار السابقة التي استشهد بها ابن قيم الجوزية سبق تخريجها ص 316، 568 ⁰

(2) مختصر الصواعق المرسلة 556/2، 557 بتصرف ⁰

(290/2)

فيقول رداً على ذلك المستشار الدكتور على جريشة : (أسقط البعض الشرعية) عن أحاديث الآحاد في المجال الدستوري، فقال إنها لا تصلح مصدراً لهذا اللون من الأحكام (1)، ومن قبل هذا رفض الخوارج والمعتزلة العمل بها، ولقد كانت حجة ذلك البعض القول بأهمية الأحكام الدستورية، وعلى الجانب الآخر عدم يقينية أحاديث الآحاد، وعدم شهرتها، الذي استدلوا منه على عدم صحتها، ثم مسلك بعض الصحابة منها إذ اشترطوا اليمين أو رواية آخر 0

وفي رد هادئ على هؤلاء نقول بعون الله : إن الأحكام الدستورية ليست إلا فرعاً من فروع القانون العام، إلى جواره فروع أخرى في ذلك القسم من القانون، ثم قسم آخر بفروعه هو قسم القانون الخاص 0 ونحن لا نوهن من أهمية الأحكام الدستورية ... ولكننا في الوقت نفسه لا نرتفع بها فوق أحكام السنة في جزءها الأكبر (أحاديث الآحاد) 0

وما نرى الأحكام الدستورية إلا جزءاً من الأحكام العملية التي اتفق الفقهاء في المذاهب الأربعة على العمل بأحاديث الآحاد فيها 0

ولئن كانت الأحكام الدستورية تقابل في اصطلاحاتنا الفقهية مباحث الإمامة، فإن مباحث الإمامة عند الفقهاء من أهل السنة ليست سوى أحكام فروع لا ترتفع إلى مرتبة الأصول ... ولم يفعل ذلك إلا الغلاة من الشيعة؟

أما اشتراط اليقينية ... فلم يشترطها أحد من الفقهاء في أحكام الفروع وإن اشترطتها الأكثرية في مجال الاعتقاد باعتباره مبنياً على اليقين 0

(1) قال بذلك الدكتور عبد الحميد متولى في كتابه (مبادئ نظام الحكم في الإسلام) ص 189، 191، 196، 197 وفي كتابه ترديد لكثير مما قاله على عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم 0

... أما القول بأن عدم شهرة أحاديث الآحاد دليل عدم صحتها، فإنه لا ارتباط بين الشهرة والصحة، كما أنه لا ارتباط بين الحق والواقع، فقد يكون الحق واقعاً وقد يكون غير واقع، كما قد يكون الواقع حقاً، وقد يكون غير حق ... كذلك قد يكون المشهور صحيحاً أو غير صحيح، وقد يكون الصحيح مشهوراً أو غير مشهور⁰

أما مسلك بعض الصحابة منها فقد قدمنا أن أحداً منهم لم يرفض حديث آحاد ما دام صحيحاً، أما ما اشترطوه من حلف أو راو آخر فقد قدمنا أنه لا يخرج الحديث عن مرتبة الآحاد (1) أو⁰ ... ولم يقف خصوم السنة المطهرة في عصرنا على ما اشترطه المعتزلة ومن تأثر بهم من بعض فقهاء الأحناف⁰

فلم يكتفوا في شروطهم لقبول خبر الواحد بعرضه على القرآن الكريم، ولا إلى عرضه على العقل، ولا ما سبق من الشروط، وإنما اشترطوا أيضاً لقبول خبر الواحد عرضه على العلم التجريبي فما وافقه قبل وإلا فلا (2) ⁰

(1) راجع : إن شئت ما سبق في الرد على شبه منكرى حجية خبر الآحاد ص 566، وانظر: مصادر الشرعية الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على جريشة ص 34، 35.
(2) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة للدكتور مورييس بوكاي ص 12- 290-302، وفجر الإسلام لأحمد أمين ص 217، 218، وانظر : له أيضاً ضحى الإسلام 132/2، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 264، ودين السلطان لنيازی عز الدين ص 460-467، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 123 و⁰ وسيأتي الجواب عن ذلك إجمالاً في الباب الثالث مبحث (شبهة الطاعنين في أحاديث الطب والرد عليها) ص 868-874 ⁰

(292/2)

واشترطوا عرضه على التوراة والإنجيل، والفلسفات الحديثة فما خالفهم قبل وإلا فلا، وزعموا أنه من الإسرائيليات (1) ⁰

أما ما اشترطوه من عرض السنة النبوية على العهد القديم والجديد فما وافقهما كان دليلاً على أنه من الإسرائيليات⁰

فيقول رداً على ذلك الدكتور محمد أبو شهبة -رحمه الله- : "ليس من الإنصاف في شيء أن نقول : إن ما وجد في الدين الإسلامي، ووجد في اليهودية أو النصرانية أن يكون مأخوذاً منها، فقد توافق القرآن الكريم الذي لا شك في تواتره، وصونه عن أي تحريف، والتوراة والأنجيل في بعض التشريعات، والأخلاقيات والقصص، فهل معنى هذا أنه مأخوذ منها؟ أعتقد أن الجواب بالنفي⁰

(1) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام ص 51، 148، 153، ومذاهب التفسير الإسلامي ص 190، ودراسات محمدية ص 520 ثلاثتهم لجولدتسيهر، وانظر : ضحى الإسلام 340/1، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدوى 645/2، ودين السلطان لنيازی عز الدين ص 166، وأضواء على السنة لمحمود أبو رية ص 145 - 191 0

(293/2)

... وما ينبغي أن يعلم أن الشرائع السماوية مردها إلى الله سبحانه، وأن العقائد، والفضائل الثابتة، والضروريات التي لا تختلف باختلاف الأزمان، ولا باختلاف الرسائل أمور مقررة في كل دين⁰ وصدق الله (: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (1) لكن هذه الأصول، والفضائل، والأخلاقيات، والضروريات جاءت في الدين الاسلامي أوفى ما تكون وأكمل ما تكون، وأصلح ما تكون، لكل زمان ومكان⁰ ولما كان الأمر كذلك فليس في العقل، ولا في الشرع ما يمنع أن تتوافق في بعض التشريعات، وفي بعض الأخلاقيات، وما حرف من : الكتب السماوية السابقة لم يحرف جميعه⁰ وقد كان القرآن الكريم- بحكم أنه سلم من التحريف والتبديل، وتوافرت الدواعي والأسباب لوصوله إلى الأمة الإسلامية كما أنزله الله تبارك وتعالى⁰ مهيمناً أى شاهداً على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (2) أ هـ⁰

... ومن الأحاديث التي زعم أعداء السنة المطهرة أنها من الإسرائيليات لموافقتها ما عند أهل الكتاب⁰ حديث "النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة"⁰

(1) الآية 13 من سورة الشورى0

(2) الآية 48 من سورة المائدة ، وانظر : دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبه ص 253، 254
والحديث والحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص185، والسنة النبوية في مواجهة التحدى للدكتور أحمد
عمر هاشم ص 39-41 0

(294/2)

قال محمود أبو ريه : "روى هذا الحديث أبو هريرة، وقد أخذه من كعب الأحبار، القائل : "أربعة أنهار الجنة، وصفها الله (فى الدنيا، النيل نهر العسل فى الجنة، والفرات نهر الخمر فى الجنة، وسيحان نهر الماء فى الجنة، وجيحان نهر اللبن فى الجنة" (1) 0

(1) نهاية الإرب للنويرى220/10 وانظر:أضواء على السنة،ص 208،وشيخ المضيرة ص103

(295/2)

... واستدل نيازى عز الدين بما استدل به محموداً أبو ريه : وقال نيازى : "لنسمع التوراة ماذا تقول فى "سفر التكوين"، الإصحاح الثانى الفقرات من 10 – 14 وكان نهر يخرج من عدن يسقى الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد (فيشون) وهو المحيط بأرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد"0

... يقول نيازى عز الدين عن حديث "النيل، وسيحان، وجيحان، والفرات، من أنهار الجنة"،
وأسلوب الحديث كما تلاحظون تواترياً وهذا ما قصدت إليه، وهكذا فإن معرفة كتب أهل الكتاب
ضرورية من أجل نقد الأحاديث كما رأيتم (1) 0

والجواب :

(1) دين السلطان لنيازي عز الدين ص 168، وانظر : قراءة في صحيح الإمام البخارى لأحمد
صحيح منصور ص 37 0

(296/2)

... إن الحديث الذى رواه أبو هريرة : صحيح غاية الصحة، وهو فى صحيح مسلم بلفظ: "سيحان،
وجيحان، والفرات، والنيل كلها من أنهار الجنة" (1) 0 وفى الحديث الصحيح أيضاً؛ أنه (" رأى ليلة
المعراج عند سدرة المنتهى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت : يا
جبريل إما هذه الأنهار؟ قال أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات" (2)
0

... وفى رواية : "بينما رسول الله (فى السماء الدنيا إذ بنهرين يطردان، فقال : "ما هذان يا جبريل؟
قال : هذا النيل والفرات عنصرهما" (3) 0

(1) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ما فى الدنيا من أنهار الجنة
193/9 رقم 2839، وقال الإمام النووى فى شرحه على مسلم 193/9 "اعلم أن سيحان،
وجيحان غير سيحون، وجيحون، فأما سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللذان هما من أنهار
الجنة فى بلاد الأرمن، فجيحان نهر المصيصة، وسيحان نهر إذنة، وهما نهران عظيمان جداً 0 وأما قول
الأزهري فى صحيحه جيحان نهر بالشام فغلط ... واتفقوا كلهم على أن جيحون بالواو نهر وراء
خرسان عين بلخ، واتفقوا على أنه غير جيحان، وكذا سيحون غير سيحان، ثم أنكر الإمام النووى
على القاضى عياض تسويته بين سيحان وجيحان، وسيحون وجيحون 0
(2) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة
348/6، 349 رقم 3207، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ()
490/1، 491 رقم 164، واللفظ لمسلم 0
(3) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب التوحيد، باب ما جاء فى قوله
("وكلم الله موسى تكليماً" 486/13 رقم 7517 0

(297/2)

والحديث ليس على حقيقته كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء، وإنما الكلام على سبيل التشبيه، وأن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفتها وعدوبتها، وكثرة خيراتها ونفعها للناس، وهو تأويل مقبول ومستساغ لغة وشرعاً ومن تتبع كلام العرب في الجاهلية، وصدر الإسلام يجد من أمثال ذلك الشيء الكثير (1) 0

وقيل : إن في الكلام حذفاً، والتقدير "من أنهار أهل الجنة" ففيه تبشير من النبي (أن الله سينجز له وعده، وسينصره، وسيظهر له دينه على الأديان كلها حتى يبلغ مواطن هذه الأنهار الأربعة وغيرها – إذ ذكرها على سبيل التمثيل لا الحصر – وهذا ما كان فلم يمضى قرن من الزمان حتى امتد سلطان الإسلام من المحيط الأطلسي إلى بلاد الهند (2) 0

...

وذهب بعض العلماء إلى أن الحديث على ظاهره وفي ذلك يقول الحافظ ابن دحية: "قرأت في تفسير القرآن العظيم، عند قول الله الكريم (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ) (3) أنهم النيل والفرات، أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل، فأودعهما بطون الجبال، ثم إن الله سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن، وذهاب الإيمان، فلا يبقى على الأرض خير، وذلك قوله جل من قائل : (فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ) (4) 0 ذكره النحاس في "معاني القرآن العزيز" له بآتم من هذا، وأسنده باختصاره (5) 0

(1) انظر : الإسراء والمعراج ص 61، ودفاع عن السنة ص 127 كلاهما للدكتور محمد أبو شهبة 0

(2) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة ص 127، وانظر : السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة

0 888/2

(3) الآية 18 من سورة المؤمنون 0

(4) جزء من الآية 18 من سورة المؤمنون 0

(5) معاني القرآن للإمام أبي جعفر النحاس 4/451، 450، وانظر: الابتهاج فأحاديث المعراج

ص 148

... وقال الحافظ ابن دحية : "فإن قيل كيف طريق الجمع بين رواية إن النيل والفرات عند سدرة المنتهى أصلهما في السماء السابعة، ورواية أنهما في السماء الدنيا لذكره عنصرهما، وهو أصلهما⁰ قلنا طريق الجمع بين الحديثين أن رسول الله (رأى في أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسأل عنهما جبريل فقال : "أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات"⁰

... ثم في حديث شريك عن أنس عن النبي ("فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان"، فقال : ما هذان النهران يا جبريل؟ قال : هذا النيل والفرات، عنصرهما⁰

ولنا في التأويل وجهان سديدان :

... إحداهما : أن يكون محمولاً على ظاهره، ويكون معناه أنه لما رأى عند سدرة المنتهى هذين النهرين مع نهرى الجنة، وذلك في السماء السابعة، ورأى في السماء الدنيا هذين النهرين دون نهرى الجنة، كان لاختصاصهما بسماء الدنيا معنى، سمى ذلك الاختصاص عنصراً، ولا يمتنع أن يكون لجميع الأربعة الأنهر أصل واحد هو عند سدرة المنتهى، ثم يكون لاختصاص هذين النهرين بسماء الدنيا أصل من حيث الاختصاص وهو الامتياز لهما دون نهرى الجنة، سمى ذلك الامتياز والاختصاص عنصراً، أى عنصر امتيازهما، واختصاصهما، فهذا وجه سديد⁰

... والوجه الثانى : أن يكون عنصرهما مبتدأ يتعلق به خبر سابق، لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ، لكن من حيث العهد، ويكون معناه : هذا النيل والفرات، فيتم الكلام، ثم يكون عنصرهما ما كنت رأيت عند سدرة المنتهى يا محمد، فاكتفى بالعهد السابق عن إعادة الكلام⁰ وهذا وجه سديد أيضاً⁰

وقد صح الجمع بين الحديثين، فلم يتعارضوا، ولم يتنافيا، ولم يتناقضا⁰

(299/2)

وأما قوله (: فى صحيح مسلم "سيحان، وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"، فأسنده الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (: "فجرت أربع أنهار من الجنة : الفرات،

والنيل، وسيحان وجيحان" (1) 0

... قال الحافظ ابن دحية : "وسند أحمد كالشمس في صحته" (2) ، وزيادة لفظ "فجرت" وهو

مفيد0

... والكلام على معنى هذا الحديث يأخذ طرفاً مما تقدم، وهو أن هذه الأنهار لها مزية تشريف على سائر الأنهار التي بالأرض، وذلك التشريف هو كونها في الجنة، على معنى أنها فجرت منها، كما نص عليه في حديث أحمد ثم ينتقل الكلام إلى كونها بالأرض جارية، ولا بعد في ذلك، فإن الأنهار المذكورة إذا كان تفجيرها من الجنة، والجنة في السماء كما قال تعالى : (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) (3) 0 وقوله تعالى : (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (4) 0 على مذهب أهل الحق في أن الجنة مخلوقة، وأنها لا تبعد من بين سائر المخلوقات0

... هذا قول جميع العلماء في الجنة والنار، وأنها لا تبعدان، ولم يخالف في ذلك سوى طائفة من أهل البدع والأشعار0

فتكون الأنهار المذكورة من الجنة تفجرت، أي جرى أصلها؛ لأن التفجير يليق بهذا المعنى، ومنه سمي "الفجر" لأنبثات النور الساطع0 كذلك هذه الأنهار لما كان لها أنبثات وجريان سمي تفجيراً، وإليه الإشارة بقوله: "من الجنة" أي كان هذا التفجير في الأصل من الجنة، ثم انبثت في الأرض فهذا ما يحمل عليه هذا المعنى ولا معارضة فيه، لما تقدم" (5) 0هـ

(1) المسند 2/260، 261 0

(2) الابتهاج في أحاديث المعراج ص 151 0

(3) الآية 15 من سورة النجم0

(4) جزء من الآية 133 من سورة آل عمران0

(5) الابتهاج في أحاديث المعراج ص 150 – 152 0

... وأما ما ذكره محمود أبو رية عن كعب الأحبار؛ فقد عزاه إلى نهاية الأرب، وهو لا يعتمد عليه في ثبوت الأحاديث، وكلامه وإن ثبت؛ فهو محمول أيضاً على التشبيه، وبقليل من التأمل يتبين لنا أن إدعاء تأثر أبي هريرة فيما رواه بكعب بعيد، ولا يعدو أن يكون تظناً وتخميناً، فالحديثان متغايران والأقرب أن يكون كلام كعب تفسيراً لحديث أبي هريرة على ضوء ما فهمه من قوله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) (1) 0

... وأما ما زعمه نيازي عز الدين من ورود ذلك الحديث في التوراة في "سفر التكوين"؛ فقد سبق وأن بينا أنه ليس في العقل، ولا في الشرع ما يمنع أن تتوافق في بعض التشريعات، وما حرف ما الكتب السماوية السابقة لم يحرف جميعه، والقرآن الكريم بحكم أنه سلم من التحريف، والتبديل، هو المهيم على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه منها؛ فهو حق، وما خالفه فهو باطل، وليس العكس كما يزعم أعداء السنة الشريفة 0

... يقول فضيلة الدكتور أبو شهبه : "وأياً كان التأويل فالحديث مستساغ لغة وشرعاً، وقد كان الصحابة بذكائهم، وصفاء نفوسهم، وإحاطتهم بالظروف والملايسات التي قيل فيها هذا الحديث وأمثاله، يدركون ما يريده النبي (من مثل هذا الحديث الذي قد يشكل ظاهره على البعض، ولذلك لم يؤثر عن أحد منهم - على ما كانوا عليه من حرية الرأي والصراحة في القول - استشكل مثل هذا الحديث (2) 0أهـ وبعد

(1) الآية 15 من سورة محمد، وانظر : دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص 127، 128 0

(2) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص 127 0

(301/2)

[فإن خبر الآحاد متى ثبت على شرط المحدثين، صار أصلاً من أصول الدين، ولا يحتاج عرضه إلى أصل آخر، لأنه إن وافقه فذاك، وإن خالفه لم يجز رد أحدهما، وليس سائر الأصول أولى بالقبول منه، ولا

يجوز أن تتنافى أصول الدين، حاشا لله من هذا0] (1) أ0هـ0

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(1) انظر الأحكام لابن حزم 114/1، وقواعد التحديث للقاسمي ص 98 وراجع إن شئت ما سبق تفصيله في الجواب عن (شبهة عرض السنة على العقل) و (شبهة عرض السنة على القرآن) ص231-235، 241-249 0

(302/2)

الفصل الثالث

وسيلتهم في الطعن في رواية السنة المطهرة

... وتحت مبحثان :

- 1- المبحث الأول : طعنهم في عدالة الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-0
- 2- المبحث الثاني : طعنهم في عدالة أهل السنة من المحدثين والفقهاء الأصوليين وسائر أئمة المسلمين -رضوان الله عليهم أجمعين-0

المبحث الأول

طعنهم في عدالة الصحابة)

وفيه تمهيد وستة مطالب :

التمهيد ويتضمن :

- أ- هدف أعداء الإسلام من طعنهم في الصحابة (0
- ب- وحكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله (0

المطلب الأول : التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً⁰

المطلب الثاني : التعريف بالعدالة لغة واصطلاحاً⁰

المطلب الثالث : أدلة عدالة الصحابة⁰

المطلب الرابع : شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها⁰

المطلب الخامس : سنة الصحابة (حجة شرعية⁰

المطلب السادس : أبو هريرة (راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين⁰

تمهيد

وفيه هدف أعداء الإسلام من طعنهم في الصحابة (، وحكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله (0)

أولاً : هدف أعداء الإسلام من طعنهم في صحابة رسول الله (:
... الطعن في عدالة رواة السنة من صحابة رسول الله (، والتابعين فمن بعدهم إلى الأئمة أصحاب المصنفات الحديثية، من وسائل أعداء الإسلام- من غلاة المبتدعة الرافضة، والخوارج، والمعتزلة، والزنادقة (1) - في الطعن في السنة المطهرة⁰

... وغرضهم من ذلك تحطيم الوسيلة التي وصلت السنة النبوية بها، وإذا تحطمت الوسيلة يصبح الأصل معتمداً على لا شيء فيصبح لا شيء⁰

(1) حكاه عنهم الشاطبي في الاعتصام 186/1، والبغدادى في أصول الدين ص 19، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص 28 0

(303/2)

وقديماً صرح بذلك أحد الزنادقة فيما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي داود السجستاني قال : "لما جاء الرشيد بشاكر - رأس الزنادقة ليضرب عنقه- قال : أخبرني، لم تعلمون المتعلم منكم

أول ما تعلمونه الرفض - أى الطعن فى الصحابة-؟ قال : إنا نريد الطعن على الناقلة، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول" (1) 0

... وبذلك صرح ذيل (شاكِر) محمود أبو ربه فى كتابه أضواء على السنة قائلاً : "إن عدالة الصحابة تستلزم ولا ريب الثقة بما يروون، وما رَووه قد حملته كتب الحديث بما فيه من غثاء، وهذا الغثاء هو مبعث الضرر وأصل الداء" (2) 0

ثانياً : حكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله () :
... وما أصدق قول الإمام الحافظ أبى زُرعة الرازى (3) -رحمه الله- : "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ()، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول () عندنا حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن، أصحاب رسول الله ()، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة" (4) 0

(1) انظر : تاريخ بغداد 308/4 0

(2) أضواء على السنة ص 340 0

(3) أبو زُرعة الرازى هو : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ يَزِيدٍ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام، وفضائله أكثر من أن تعد، مات سنة 264هـ له ترجمة فى تذكرة الحفاظ = 557/2 رقم 579، وطبقات الحفاظ للسيوطى 253 رقم 561، والعبر 379/1 رقم 264، وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجى ص 213، والإرشاد للخليلى ص 226، وطبقات المفسرين للدوادى 375/1 رقم 321، وأبو زُرعة الرازى وجهوده فى السنة النبوية للدكتور سعدى الهاشمى 242-45/1 0

(4) رواه الخطيب فى الكفاية ص 97، والحافظ ابن حجر فى الإصابة 10/1 0

(304/2)

... وعن عبد الله بن مصعب (1) قال : قال المهدي : ما تقول فيمن ينتقص الصحابة؟ فقلت زنادقة، لأنهم ما استطاعوا أن يصرحوا بنقص رسول الله () فتنقصوا أصحابه، فكأنهم قالوا : كان

(1) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، ولى للرشيد إمرة المدينة، وقال فيه الخطيب: كان محموداً في ولايته، جميل السيرة مع جلاله قدرة، ووثقة ابن حبان مات سنة 184هـ 0 له ترجمة في: تعجيل المنفعة ص 271 رقم 583، وتاريخ بغداد 173/10 رقم 5313، والثقات لابن حبان 56/7، وميزان الاعتدال 505/2 رقم 4609، والتاريخ الكبير للبخارى 211/5 رقم 678 0

(2) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه 175/10، ونقله الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة، ترجمة عبد الله بن مصعب ص 271 رقم 583 0

(305/2)

... وصدق شمس الأئمة السرخسي : "الشريعة إنما بلغتنا بنقلهم فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام دواؤه السيف إن لم يتب" (1) 0

(1) أصول السرخسي 132/2 0 وتكفير ساب الصحابة ذهب إليه فريق من أهل العلم من الحنفية والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية 0 انظر الشرح والإبانة لابن بطة ص 162، والنهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص 23، وفتاوى السبكي 580/2، والصارم المسلول على شاتم الرسول ص 570، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 149/1، وأصول السرخسي 132/2 وما بعدها 0 وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسبهم، بل يفسق ويضلل، ولا يعاقب بالقتل، بل يكتفى بتأديبه، وتعزيزه تعزيراً شديداً حتى يرجع 0 وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة 0 انظر: الشفا للقاضي عياض 54/2 وما بعدها 0 نقل من ذهب إلى هذا القول من أهل العلم 0 وإذا كان لكل فريق أدلته على ما ذهب إليه 0 فالقول الذي تطمئن إليه النفس ويرتاح إليه القلب أن من أبغضهم جميعاً أو أكثرهم أو سبهم سباً يقدح في دينهم، وعدالتهم، فإنه يكفر بهذا، لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بكاملها لأنهم هم الناقلون لها، "أما من سب أحداً من الصحابة فهو فاسق، ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد إنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع" كذا قال الملا علي القارئ انظر :

مجموعة رسائل ابن عابدين كتاب تنبيه الولاة والحكام 0 367/1 وقال القاضى عياض - رحمه الله - : "وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير جميع الأمة بعد النبي (إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم، ويطلب حقه في التقديم، فهؤلاء قد كفروا ... لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها" الشفاء 286/2، ومزيد من حكم ساب الصحابة وعقوبته انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة للدكتور ناصر على الشيخ 0 870-856/2

(306/2)

نعم إن الصحابة (هم حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة، عنهم قبل غيرهم تلقت الأمة كتاب الله (، وسنة رسوله (فالغض من شأنهم والتحقيق لهم، بل النظر إليهم بالعين المجردة من الاعتبار، لا يتفق والمركز السامي الذي تبوءوه، ولا يوائم المهمة الكبرى التي انتدبوا لها ونهضوا بها0

كما أن الطعن فيهم والتجريح لهم، يزلزل بناء الإسلام، ويقوض دعائم الشريعة، ويشكك في صحة القرآن، ويضيع الثقة بسنة سيد الأنام! لذلك عنى علماء الإسلام قديماً وحديثاً بالدفاع عن عدالة الصحابة، لأنه - كما رأيت - دفاع عن الإسلام، ولم يكن ذلك الدفاع نزوة هوى، ولا عصبية بل كان نتيجة لدراسات تحليلية، وأبحاث تاريخية، وتحقيقات بارعة واسعة، أحصتهم عدداً، ونقدتهم فرداً فرداً، وعرضتهم على أدق موازين الرجال مما تباهى به الأمة الإسلامية كافة الأمم والأجيال0

... وبعد هذا التحقيق والتدقيق، خرج الصحابة (من بوتقة هذا البحث، وإذا هم خير أمة أخرجت للناس، وأسمى طائفة عرفها التاريخ، وأنبل أصحاب نبي ظهر على وجه الأرض، وأوعى وأضبط جماعة لما استحفظوا عليه من كتاب الله، وهدى رسول الله (وقد اضطر أهل السنة والجماعة، أن يعلنوا رأيهم هذا كعقيدة، فقرروا أن الصحابة كلهم عدول0 ولم يشذ عن هذا الرأي إلا المبتدعة والزنادقة قبحهم الله" (1) 0

...

وطعون المبتدعة والزنادقة قديماً وحديثاً في صحابة رسول الله (كثيرة سبق ذكر بعضها من الطعن في اجتهادهم (2)، والطعن في صدقهم واتهامهم بالكذب (3) 0

وسوف نتناول هنا بمشيئة الله تعالى نماذج من الطعون والشبهات التي طعنوا بها في عدالة الصحابة،
واتخذها أهل الزيغ والإلحاد قديماً وحديثاً، وسيلة للتشكيك في حجية السنة، ومكانتها التشريعية⁰

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد الزرقاني 334/1، 335 0

(2) راجع : ص 307-318 0

(3) راجع : ص 333-339 0

(307/2)

على أن نفرد أيضاً ترجمة لراوي الإسلام الأول أبو هريرة (لتعرف على مكانته في الإسلام، وإلى أى
مدى انحط أعداء الإسلام بالطعن فيه وصولاً للطعن في السنة المطهرة هذا بعد أن نُعرف بالصحابة
والعدالة لغة واصطلاحاً، ونثبت عدالتهم من كتاب الله (وسنة نبيه)، وإجماع الأمة على ذلك⁰ فيلى
بيان ذلك⁰

المطلب الأول

التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً

... الصحابة في اللغة : يقال استصحبه أى دعاه إلى الصحبة ولازمه، وكل شئ لازم شيئاً فقد

استصحبه (1) 0

... وقال أبو بكر الباقلاني : "لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة،
وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً
... يقال صحبت فلاناً حولاً، ودهراً، وسنة، وشهراً، ويوماً، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما
يقع منها وكثيرة⁰

وذلك يوجب في حكم اللغة: إجراء هذا على من صحب النبي(ولو ساعة من نهار (2)

... وقال الإمام ابن تيمية : "والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه،
وذلك يقع على قليل الصحبه وكثيرها" (3) 0 وعلى هذا التعريف اللغوي جرى أصحاب الحديث في

تعريفهم بالصحابي اصطلاحاً : فذهبوا إلى إطلاق (الصحابي) على كل من صحب النبي (، ولو ساعة واحدة فما فوقها)0

الصحابة في الاصطلاح :

(1) لسان العرب 519/1، والقاموس المحيط 91/1، والصحاح للجوهري 162/1، ومختار

الصحاح ص 356 0

(2) انظر : الكفاية ص 100، واسد الغابة 119/1، 120 0

(3) الصارم المسلول ص 575، وانظر : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليماني 57/1 - 60 قرر بتوسع واستدل أن تسمية يسير المخالطة (صحبة) ثابت بالكتاب والسنة، وعبارات الأئمة أ0هـ0

(308/2)

قال الإمام بدر الدين الزركشي -رحمه الله-: "ذهب الأكثرون إلى أن الصحابي من اجتمع - مؤمناً - بمحمد(وصحبه ولو ساعة، روى عنه أو لا، لأن اللغة تقتضي ذلك، وإن كان العرف يقتضي طول الصحبة وكثرتها ... وهو ما ذهب إليه جمهور الأصوليين، أما عند أصحاب الحديث فيتوسعون في تعريفهم لشرف منزلة النبي ((1) 0

... يقول ابن حزم : "فأما الصحابة (فهم كل من جالس النبي (ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمراً يعيه" (2) 0

... والتعريفات التي وضعها العلماء للصحابة (اصطلاحاً) كثيرة، ولكن التعريف الصحيح المعتمد هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله : "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي هو من لقي النبي (مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة على الأصح0

ثم شرح التعريف فقال : "فيدخل فيمن لقيه" من طالت مجالسته له، أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى0

ومن هنا كان التعبير باللقى أولى من قول بعضهم : "الصحابي من رأى النبي (" لأنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد0

ويخرج "بقيد الإيمان" من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى0
وقولنا "به" يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه مؤمناً من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة0
ويدخل في قولنا "مؤمناً به" كل مكلف من الجن والإنس ... 0

(1) البحر المحيط في أصول الفقه 4/301 0

(2) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 5/86 0

(309/2)

وخرج بقولنا "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على رده والعياذ بالله - كعبيد الله بن جحش، وابن خطل، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به مرة أخرى أم لا، كالأشعث بن قيس فإنه كان ممن ارتد وأتى به إلى أبي بكر الصديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام فقبل منه، وزوجه أخته، ولم يتخلف أحد عن ذكره في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها0

... وهذا هو الصحيح المعتمد، ووراء ذلك أقوال شاذة أخرى كقول من قال لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة :

من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه، وكذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم، أو المجالسة ولو قصرت" (1) 0

قال الحافظ السيوطي مؤيداً ابن حجر "وهو المعتبر" (2) 0

وذهب إليه الجمهور من الأصوليين، منهم الآمدي في الإحكام (3) ، وابن عبد الشكور في فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (4) ، والزركشي في البحر المحيط (5) ، والشوكاني في إرشاد الفحول (6) وغيرهم0

... ويقول الحافظ السخاوى مؤيداً رأى شيخه ابن حجر "والعمل عليه عند المحدثين والأصوليين"
(7) 0

السر في التعميم في تعريف الصحابي :

(1) انظر : الإصابة 10/1 - 12، ونزهة النظر ص 51، 52 0

(2) تدريب الراوى 2/216 0

(3) انظر : الإحكام للآمدى 2/84، 85 0

(4) انظر : فواتح الرحموت 2/158 0

(5) انظر : البحر المحيط 4/302، 305 0

(6) انظر : إرشاد الفحول 1/279، 280 0

(7) انظر : فتح المغيـث للسخاوى 3/85 0

(310/2)

... التعميم في تعريف الصحابي نظراً إلى أصل فضل الصحبة، ولشرف منزلة النبي (، ولأن لرؤية نور النبوة قوة سريان في قلب المؤمن، فتظهر آثارها على جوارح الرائي في الطاعة والاستقامة مدى الحياة، ببركته (ويشهد لهذا قوله (: "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي" (1) 0

... وفي ذلك يقول الإمام السبكي : "والصحابي هو كل من رأى النبي (مسلماً، وقيل : من طالت مجالسته، والصحيح الأول، وذلك لشرف الصحبة، وعظم رؤية النبي (، وذلك أن رؤية الصالحين لها أثر عظيم، فكيف رؤية سيد الصالحين؟! فإذا رآه مسلم ولو لحظة، انطبع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه متهيئ للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم، أشرق عليه وظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه"
(2) 0

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - : "فالتعميم في تعريف (الصحابي) نظراً إلى أصل فضل الصحبة، وأما تفاوت من يشملهم هذا اللقب في الفضل والدين وسائر خصال الخير ... فهذا

أمر وراء ذلك " (3) 0هـ

طريق معرفة الصحبة :

... تثبت الصحبة بأمر متعدد منها :

- (1) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب معرفة الصحابة، باب ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين 96/4، من حديث عبد الله بن بسر، وقال الحاكم هذا حديث قد روى بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك (بما علونا في أسانيد منها، وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه، وقال الذهبي (جميع بن ثوب) واه 0 والقول ما قاله الحاكم، انظر : مجمع الزوائد 20/10 0
- (2) الإبهاج في شرح المنهاج 15/1، وانظر : البحر المحیط للزركشى 301/4، وفتح الباری 9/7 رقم 3651 حديث (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم - الحديث) 0
- (3) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص 51 0

(311/2)

- 1- التواتر كأبي بكر الصديق المعنى بقوله تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (1) وسائر العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم 0
- 2- أو باشتهار قاصر عن التواتر وهو الاستفاضة كعكاشة بن محصن، وضمام بن ثعلبة وغيرهما، أو بتواتر بها 0
- 3- أو بقول صاحب آخر معلوم الصحة، إما بتصريح بما كأن يجي عنه أن فلاناً له صحبة مثلاً أو نحوه، كقوله : كنت أنا وفلان عند النبي (أو دخلنا على النبي) 0
- بشرط أن يعرف إسلام المذكور في تلك الحالة 0
- 4- وكذا تعرف بقول آحاد ثقات التابعين على الراجح من قبول التزكية من عدل واحد" (2) 0

المطلب الثاني

التعريف بالعدالة لغة واصطلاحاً

... العدالة لغة : العدل ضد الجور، يقال عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالى عدله ومعدلته ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة، أى : من أهل العدل، ورجل عدل، أى : رضا ومقنع في الشهادة⁰

والعدالة : وصف بالمصدر معناه ذو عدل، قال تعالى : (وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ) (3) ويقال : رجل عدل ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل، ونسوة ذوات عدل، فهو لا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، فإن رأيته مجموعاً، أو مثنى أو مؤنثاً، فعلى أنه قد أجرى مجرى الوصف الذى ليس بمصدر، وتعديل الشئ تقويمه، يقال عدلته فاعتدل، أى قومته فاستقام (4) أ⁰هـ

(1) جزء من الآية 40 من سورة التوبة⁰

(2) انظر: فتح المغيـث للسـخاوى 3/88، 87، وتدريب الراوى 2/214، 213، والكفاية ص 98-

0 101

(3) جزء من الآية 2 من سورة الطلاق⁰

(4) انظر : لسان العرب 11/430، والصحاح للجوهري 5/1760 - 1761، ومختار الصحاح ص 415، 416، والقاموس المحيط 4/13، والمصباح المنير 2/397 0

(312/2)

... فمن هذه التعاريف اللغوية يتبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة في الدين، والعدل هو المتوسط في الأمور من غير إفراط في طرفي الزيادة والنقصان، ومنه قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (1) أى عدلاً فالوسط والعدل بمعنى واحد (2) 0

والعدالة اصطلاحاً : تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء، إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أنها : ملكة أى صفة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة⁰

... والتقوى ضابطها : امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات من الكبائر ظاهراً، وباطناً من شرك أو

فسق أو بدعة⁰

... والمروءة ضابطها : آداب نفسية تحمل صاحبها على التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، وترجع معرفتها إلى العرف⁰

وليس المراد بالعرف هنا سيرة مطلق الناس بل الذين نفتدى بهم، وقد سبق بيان ما يخل بها (3) ، ومجمله الاحتراز عما يذم به العدل عرفاً⁰

... ولا تتحقق العدالة في الراوى إلا إذا اتصف بصفات خمسة : الإسلام- والبلوغ والعقل والسلامة من أسباب الفسق وخوارم المروءة (4) ⁰ وليس المقصود من العدل أن يكون بريئاً من كل ذنب، وإنما المراد أن يكون الغالب عليه التدين، والتحرى في فعل الطاعات⁰

وفي ذلك يقول الإمام الشافعى : "لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كل مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكن العدل من اجتنب الكبائر وكانت محاسنه أكثر من مساويه" (5) ⁰

(1) الآية 143 من سورة البقرة⁰

(2) الإحكام للآمدى 69/2، ومقاصد الحديث في القديم والحديث لفضيلة الدكتور التازى 64/2 ⁰

(3) راجع : ص 410 ⁰

(4) انظر : فتح المغيـث للسـخاوى 315/3 - 317، وتوضيح الأفكار للصنعانى 114/2 - 118، ومقاصد الحديث في القديم والحديث للدكتور التازى 65/2، 66 ⁰

(5) انظر : الروض الباسم في الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير اليماني 28/1 ⁰

(313/2)

ويعبر أبو يوسف عن هذا الاتجاه حين يقول : "من سلم أن تكون منه كبيرة من الكبائر التي أوعده الله تعالى عليها النار، وكانت محاسنه أكثر من مساوئه فهو عدل" (1) 0

ونخلص مما سبق فيما يخص عدالة الصحابة (أن المنافقين الذين كشف الله ورسوله - سترهم، ووقف المسلمون على حقيقة أمرهم، والمرتدين الذين ارتدوا في حياة النبي وبعد وفاته، ولم يتوبوا ويرجعوا إلى الإسلام، وماتوا على ردتهم، هم بمعزل من شرف هذه الصحبة، وبالتالي بمعزل عن أن يكونوا من المرادين بقول جمهور العلماء والأئمة إنهم عدول، وفي تعريف العلماء للصحبة ما ينفي عنها هؤلاء وأولئك 0

ومعنى عدالة الصحابة : "أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله (، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة، وسموا الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور 0 وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم 0

ومما ينبغي أن يعلم أن الذين قارفوا إثماً ثم حدوا - كان ذلك كفارة لهم، وتابوا وحسنت توبتهم، التي لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوستعهم، وهم في نفس الوقت قلة نادرة جداً لا ينبغي أن يغلب شأنهم وحالهم على حال الألوف المؤلفة من الصحابة الذين ثبتوا على الجادة والصراط المستقيم، وجانبوا المآثم، والمعاصي ما كبر منها وما صغر، وما ظهر منها وما بطن، والتاريخ الصادق أكبر شاهد على هذا (2) 0هـ

(1) نقلاً عن توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزى ص 129 0

(2) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 92، 244 بتقديم وتأخير وانظر : الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهر ص 150 وما بعدها، وتدريب الراوى 216/2 هامش 0

(314/2)

ويؤكد ما سبق الإمام الأبيارى (1) بقوله : "وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، وإنما المراد : قبول روايتهم من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية،

إلا أن يثبت ارتكاب قاذح، ولم يثبت ذلك، والله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله (، حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح، وما صح فله تأويل صحيح" (2) انتهى⁰

المطلب الثالث

أدلة عدالة الصحابة (

... إن العدالة التي نثبتها لصحابة رسول الله (- لم نعطيها هبة لهم من عند أنفسنا - فنحن أقل من ذلك فضلاً عن أننا لا نملك ذلك، وإنما العدالة ثابتة لهم جميعاً بنص الكتاب والسنة الشريفة - سواء منهم من تقدم إسلامه ومن تأخر، ومن هاجر ومن لم يهاجر، ومن اشترك في الغزوات ومن لم يشترك، ومن لابس الفتنة ومن لم يلبسها (3) 0 فهذه العدالة لهم جميعاً تضافرت عليها الأدلة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة⁰

أولاً : دلالة القرآن الكريم على عدالة الصحابة (:

(1) الأبيارى هو : على بن إسماعيل بن على بن عطية الأبيارى، نسبه إلى "إيبار" بلدة بمديرية الغربية، وهى بفتح الهمزة وبعدها ياء مثناة من تحت وبعدها ألف، ثم راء مهملة، وبعضهم يصحفها بانبار بنون بعد الهمزة⁰ وهو من العلماء الأعلام، وأئمة الإسلام، فقيه مالكي محدث أصولي⁰ من مؤلفاته "شرح البرهان" لإمام الحرمين فى الفقه مات سنة 618هـ⁰ له ترجمة فى : الديباج المذهب 306 رقم 409، وحسن المحاضرة للسيوطى 454/1، ومعجم المؤلفين 37م⁷، وشجرة النور الزكية 166/1 رقم 520⁰

(2) انظر:فتح المغيث للسخاوى 96/3، وفتح الباقي على الفية العراقى للإمام زكريا الأنصارى 14/3، والبحر المحيط للزركشى 300/4، وإرشاد الفحول 278/1، والشفاء للقاضى عياض 52/2⁰

(3) انظر:تيسير اللطيف الخبير فعلموم حديث البشير النذير للدكتور مروان ص 95بتقديم وتأخير⁰

لقد وصف رب العزة صحابة رسول الله (بالعدالة وأثنى عليهم في آيات يطول ذكرها منها :

1- قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (1) ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة (أن وسطاً بمعنى "عدولاً خياراً" (2) ، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة (3) 0 وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل : "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم (4) 0

2- وقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (5) ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة (أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام (، وذلك يقتضى استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله (بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟

(1) الآية 143 من سورة البقرة0

(2) انظر : جامع البيان للطبرى 7/2، وتفسير الرازى 97/4، والجامع لأحكام القرآن 154/2، وتفسير القرآن العظيم 190/1 0

(3) ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذى في سنته عن بهز عن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبی (يقول في قوله : "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" قال (إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله " 0هـ أخرجه الترمذى كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران 211/5 رقم 3001، وقال الترمذى : هذا حديث حسن0

(4) انظر : الكفاية ص 93 0

(5) الآية 110 من سورة آل عمران0

(316/2)

... كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً - أى عدولاً - وهم على غير ذلك، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق" (1) 0

وهكذا سائر الآيات التي جاءت بمدحهم قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (2) فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق، هاتين الكلمتين، من الآيتين، حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: "إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (3) 0

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله (، واتصفوا بها، ولذلك ختم الله صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين آزرهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون 0

-
- (1) الموافقات 450/4 – 452 بتصرف، وانظر : عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة للدكتور ناصر على الشيخ 801/2، 802 0
- (2) الآيتان 8،9 من سورة الحشر 0
- (3) الآية 119 من سورة التوبة وانظر : العواصم من القواصم لابن العربي ص 62، والبداية والنهاية 217/5 وما بعدها 0

(317/2)

وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول" (1) 0

وحتى الآيات التي جاء فيها عتاب لهم أو لبعضهم شاهدة بعدالتهم حيث غفر الله لهم ما عاتبهم فيه وتاب عليهم قال تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (2) وتأمل ختام العتاب "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" وهل بعد مغفرة الله (من شيء؟! 0

وقال تعالى : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا صَفَاَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَفَاَتْ عَلَيْهِمُ

أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (و تأمل ختام الآية "إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (3) 0

... وغير ذلك من الآيات الشاهدة بمغفرة الله (لهم لما ارتكبوا من بعض المعاصي - وسيأتي ذكر بعضها في الرد على الشبهات حول عدالة الصحابة 0

إن تلك الآيات التي جاء فيها عتاب للصحابة أو لبعضهم لا ارتكابهم بعض المعاصي خير دليل شاهد على ما سبق ذكره، من أن المراد بعدالتهم جميعاً عصمتهم من الكذب في حديث رسول الله (وليس معنى عدالتهم عصمتهم من المعاصي أو من السهو أو الغلط، فهذا لم يقل به أحد من أهل العلم 0 وحتى مع ارتكاب بعضهم لبعض الذنوب، فقد امتن الله (عليهم بالتوبة والمغفرة لذنوبهم 0

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة 0 807/2

(2) الآيات 67 - 69 من سورة الأنفال 0

(3) الآية 118 من سورة التوبة 0

(318/2)

وما هذه الهنة من ربهم (إلا بيان لعباده مؤمنهم وكافرهم إلى قيام الساعة 0 بعظم مكانة من اختارهم لصحبة سيد أنبيائه ورسوله (، وأن التجريح والقدح في تلك المكانة والعدالة إنما هو تجريح وقدح فيمن بوأهم تلك المكانة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس !!! نعوذ بالله (من الخذلان 0

ثانياً : دلالة السنة المطهرة على عدالة الصحابة (:

... لقد وصف النبي (أصحابه بالعدالة، وأثنى عليهم في أحاديث يطول تعدادها منها :

1- قوله (:"ألا ليلبلغ الشاهد منكم الغائب" (1) "ففى هذا الحديث أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح، ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل، لاستثنى في قوله (وقال : "ألا ليلبلغ فلان منكم الغائب" فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ لمن بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله (شرفاً" (2) 0

2- وقال (: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" (3) وهذه الشهادة بالخيرية مؤكدة لشهادة رب العزة : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (4) 0

(1) سبق تخريجه ص 273 0

(2) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان 91/1 0

(3) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبى (، ومن صحب النبى (أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه 5/7 رقم 3651، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم 8/324 رقم 2533 من حديث ابن مسعود (واللفظ للبخارى 0
(4) الآية 110 من سورة آل عمران 0

(319/2)

3- وقوله (: "النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبَتِ النجوم، أتى السماء ما تُوعَدُ، وأنا أمانة لأصحابي 0 فإذا ذهبَتِ أتى أصحابي ما يُوعَدُونَ، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدُونَ" (1) 0

4- وقال (: "إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار لى من أصحابي أربعة أبا بكر، وعمر وعثمان، وعلياً (فجعلهم أصحابي قال فى أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار من أمتي أربعة قرون، القرن الأول والثاني والثالث، والرابع" (2) 0
وهذا الحديث مؤكد لقوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (3) 0

(1) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبى (آمان لأصحابه، وبقاء أصحابه آمان للأمة 8/322 رقم 2531 من حديث أبى موسى الأشعرى 0

- (2) أخرجه البزار في مسنده انظر: كشف الأستار كتاب المناقب، باب مناقب أصحاب النبي(1/88)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 16/10 رواه البزار ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف0
- (3) الآية 29 من سورة الفتح0

(320/2)

ويؤكد ابن مسعود (ما سبق من الآية والحديث قائلاً : "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد (خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه (يقاتلون عن دينه" (1) 0

يقول الإمام الآمدي : "واختيار الله لا يكون لمن ليس بعدل" (2) 0

5- وقال (: "لا تسبوا أصحابي0 لا تَسُبُّوا أصحابي : فوالذي نفسى بيده! لو أن أحدكم أنفقَ مثل أُحُدٍ ذهباً، ما أدركَ مُدَّ أحدِهِم، ولا نَصِيفَهُ" (3) 0

يقول الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو (4) ، أحد العشرة المبشرين بالجنة (لما سمع رجلاً من أهل الكوفة يسب رجلاً من أصحاب رسول الله (قال : " ... والله لمشهد شهده رجل يغبر فيه وجهه مع رسول الله (: أفضل من عمل أحدكم، ولو عمر عمر نوح عليه السلام" (5) 0

- (1) أخرجه أحمد في مسنده 379/1، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 178/1 رواه أحمد ورجاله موثقون0 ورواه ابن عبد البر في مقدمة الاستيعاب 12/1، 13 0
- (2) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 82/2 0
- (3) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل الصحابة، باب قول ("لو كنت متخذاً خليلاً" 25/7 رقم 3673، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة 332/8 رقم 2540 من حديث أبي هريرة (واللفظ لمسلم0
- (4) له ترجمة في: الاستيعاب 614/2 رقم 982، واسد الغابة 476/2 رقم 2076، والإصابة 44/2 رقم 3271، وتاريخ الصحابة ص25 رقم 8، ومشاهير علماء الأمصار ص13 رقم 11 0
- (5) أخرجه أبو داود فسننته كتاب السنة، باب في الخلفاء 212/4 رقم 4650، وأخرجه أحمد

(321/2)

يقول فضيلة الشيخ محمد الزرقاني - رحمه الله - "فأنت ترى من هذه الشهادات العالية في الكتاب والسنة، ما يرفع مقام الصحابة إلى الذروة، وما لا يترك لطاعن فيهم دليلاً، ولا شبهة دليل⁰ والواقع أن العقل المجرد من الهوى والتعصب، يحيل على الله في حكمته ورحمته، أن يختار حمل شريعته الختامية، أمة مغموزة، أو طائفة ملموزة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً⁰

ومن هنا كان توثيق هذه الطبقة الكريمة طبقة الصحابة، يعتبر دفاعاً عن الكتاب، والسنة، وأصول الإسلام من ناحية، ويعتبر إنصافاً أدبياً لمن يستحقونه من ناحية ثانية، ويعتبر تقديراً لحكمة الله البالغة في اختيارهم لهذه المهمة العظمى من ناحية ثالثة⁰

كما أن تَوْهِينِهِم والنيل منهم، يعد غمراً في هذا الاختيار الحكيم، ولمزاً في ذلك الاصطفاء والتكريم، فوق ما فيه من هدم الكتاب، والسنة، والدين" (1) أ⁰هـ

ثالثاً : دلالة إجماع الأمة على عدالة الصحابة () :

... أجمعت الأمة - إلا من شذ من لا يعتد بخلافهم (2) 0 على ما سبق من تعديل الله (ورسوله) للصحابة أجمع، والنقول في هذا الإجماع كثيرة عن علماء الأمة، من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين⁰

... يقول الخطيب البغدادي : "إنه لو لم يرد من الله (ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين : القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين⁰ هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء" (3) 0

- (1) مناهل العرفان في علوم القرآن 336/1 - 337 0
(2) راجع أقوالهم في : تدريب الراوى 214/2، وفواتح الرحموت 155/2 - 156، والبحر المحيظ 299/4، 300، وإرشاد الفحول 274/1 - 278 0
(3) الكفاية ص 96 0

(322/2)

... وقال ابن الصلاح : "للصحابة بأسرهم خصيصة، وهى أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب، والسنة، وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة" (1) 0

... وقال العراقي : "إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم وأما من لابس الفتن منهم وذلك حين مقتل عثمان (فأجمع من يعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم، وحماً لهم في ذلك على الاجتهاد" (2) 0

... وقال الإمام الغزالي : "والذى عليه سلف الأمة، وجماهير الخلق، أن عدالتهم معلومة بتعديل الله (إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل - ثم ذكر بعض ما دل على عدالتهم من كتاب الله (وسنة رسوله (ثم قال : فأى تعديل أصح من تعديل علام الغيوب - سبحانه - وتعديل رسوله (كيف ولو لم يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة، والجهاد، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأهل، في موالاة رسول الله (، ونصرته، كفاية في القطع بعدالتهم" (3) 0

... فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة وغيرها كثير 0 كلها فيها بيان واضح، ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً بلا استثناء، أمر مفروغ منه، ومسلم به 0

-
- (1) علوم الحديث ص 176 0
(2) شرح الفية العراقي المسماة بالتبصرة والنذكرة للعراقي 13/3، 14 0
(3) المستصفى 164/1، وانظر : الإحكام للأمدى 81/2، 82، والبحر المحيظ للزركشى 299/4

فلا يبقى لأحد شك، ولا ارتياب بعد تعديل الله (ورسوله) وإجماع الأمة على ذلك (1) 0
... "وإذا تقرر لك عدالة جميع من ثبتت له الصحبة، علمت أنه إذا قال الراوى عن رجل من
الصحابة، ولم يسمه كان ذلك حجة، ولا يضر الجهالة، لثبوت عدالتهم على العموم" (2) 0

... قال الإمام الجوينى : "ولعل السبب فى قبولهم من غير بحث عن أحوالهم، والسبب الذى أتاح الله
الإجماع لأجله، أن الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقف فى رواياتهم، لاختصرت الشريعة على
عصر رسول الله (، ولما استرسلت على سائر الأعصار" (3) 0
أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... إذا جمعنا يا جريير الجامع
غمرهم الله برحمته ورضوانه ... آمين 0

-
- (1) انظر : المكانة العلمية لعبد الرزاق الصنعاني فى الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل
الدفتار 291/1 مبحث (لا يستثنى فى ثبوت العدالة أحد من الصحابة)، وانظر : توضيح الأفكار
470/2، 471، وعقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة للدكتور ناصر الشيخ 814/2 0
(2) إرشاد الفحول للشوكاني 278/1، وانظر : فتح المغيـث للسخاوى 97/3 0
(3) البرهان فى أصول الفقه 242/1، وانظر : إرشاد الفحول 275/1 0

المبحث الثانى

طعنهم فى عدالة أهل السنة

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

التمهيد ويتضمن :

موقف أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً من أهل السنة، وأئمة المسلمين، وأساليبهم فى الطعن فى أهل

السنة 0

المطلب الأول : بيان المراد بأهل السنة 0

المطلب الثاني : سلامة طريقة أهل السنة في فهم الشريعة الإسلامية وبيان تحقيق النجاة لهم 0

المطلب الثالث : شرف أصحاب الحديث 0

المطلب الرابع : الجواب عن دعوى تقصير المحدثين في نقدهم للمتن 0

التمهيد

ويتضمن موقف أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً من أهل السنة، وأئمة المسلمين وأساليبهم في الطعن في أهل السنة 0

... ليس في الدنيا مبتدع، ولا من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع، إلا وهو يطعن في أهل السنة من المحدثين، والفقهاء، والمفسرين ... إلخ وينظر إليهم بعين الحقدارة ويسموهم بأسماء هم أولى بها منهم، فالجهمية يسموهم مشبهة ونابته، والقدرية يسموهم مجبرة، والزنادقة يسموهم الحشوية، والمعتزلة يسموهم زوامل أسفار، والرافضة يسموهم نواصب ... إلخ 0 وكل ذلك عصبية، وغياط لأهل السنة، ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو "أصحاب السنة" 0

ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنبي (تسمية كفار مكة ساحراً، وشاعراً، ومجنوناً، ولم يكن اسمه عند الله، وعند ملائكته، وعند أنسه، وجنه، وسائر خلقه، إلا رسولاً نبياً برياً من العاهات كلها قال تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) (1) 0

فالوقية في أهل السنة من علامات أهل البدع والزيغ قديماً وحديثاً 0

(1) الآية 48 من سورة الإسراء، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص 58 0

فالشيعية الرافضة، والخوارج كفرو أهل السنة لأنهم ضبطوا آثار الصحابة، وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة" (1) 0 فمن وثق الصحابة الذين كفروهم وأخذ بسنتهم فهو مثلهم في الكفر 0 ... والمعتزلة ردوا فتاوى أهل السنة وقبحوها في أسماع العامة، لينفروا الأمة من اتباع السنة وأهلها (2) 0

ويروى في ذلك ابن قتيبة عن عمرو بن النضر 0 قال : مررت بعمرو بن عبيد فجلست إليه، فذكر شيئاً، فقلت : ما هكذا يقول أصحابنا 0 قال : ومن أصحابك لا أبا لك؟ ... قلت : أيوب، وابن عون، ويونس، والتميمي 0 فقال : أولئك أرجاس أنجاس أموات غير أحياء (3) 0 يقول ابن قتيبة معلقاً على ما قاله عمرو بن عبيد : "وهؤلاء الأربعة الذين طعنهم، غرة أهل زمانهم في العلم، والفقه، والاجتهاد في العبادة، وطيب المطعم، وقد درجوا على ما كان عليه من قبلهم من الصحابة والتابعين 0

وهذا يدل على أن أولئك أيضاً عنده أرجاس أنجاس (4) 0 وذكر الشاطبي عن عمرو بن عبيد أنه قال : "ما كلام الحسن البصري، وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة" (5) 0

-
- (1) الفرق بين الفرق ص 282، وانظر : أهل السنة شعب الله المختار لصالح الورداني ص 54، 55، والشيعية هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 159-163 0
- (2) الاعتصام 186/1 0
- (3) تأويل مختلف الحديث ص 82، ورواه ابن حبان في المجروحين 83/1، وذكره الشاطبي في الاعتصام 187/1 0
- (4) تأويل مختلف الحديث ص 82 بتصرف يسير، وانظر : ما حكاه ابن حبان عن أبي حاتم في المجروحين 84/1 0
- (5) الاعتصام 187/1 0

وحكى الذهبي وابن كثير عن عمرو بن عبيد أنه روى له حديث ابن مسعود (مرفوعاً : "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك 0 ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك 0 ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيداً ... الحديث " (1) 0

فقال : "لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتة، ولو سمعت رسول الله (يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا" (2) 0

(1) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب القدر، باب 486/11 رقم 6594، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابه رزقه وعمله وشقاوته وسعادته 440/8 رقم 2643 0

(2) ميزان الاعتدال 278/3، وانظر : البداية والنهاية 81/10، 82، يقول ابن كثير بعد حكايته ذلك عنه قال : "وهذا من أقبح الكفر، لعنه الله إن كان قال هذا، وإن كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه" 0أه البداية والنهاية 82/10 هذا وقد كذب بهذا الحديث وزعم أنه من وضع جنود السلطان من الفقهاء والمحدثين - نيازي عز الدين في كتابه دين السلطان ص 650، 651 0 مؤيداً في ذلك فكر عمرو بن عبيد المعتزلي، في أنه لا قدر والأمر أنف 0هـ

(327/2)

ويروى الحاكم عن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أن أحمد بن الحسن (1) قال له يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي فتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال : أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه، فقال : زنديق! زنديق! زنديق! ودخل البيت (2) 0

وقال أحمد بن سنان القطان (3) : "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه" (4) 0
... يقول أبو عبد الله الحاكم : "وعلى هذا عهدنا في أسفارنا، وأوطاننا، كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع، لا ينظر إلى الطائفة المنصورة، إلا بعين الحقارة، ويسميها الحشوية" (5)

قلت: وما قاله الإمام الحاكم وغيره، هو ما عهدناه في زماننا ممن ينتسب إلى نوع من الإلحاد والبدع صاروا على درب أسلافهم ييغضون أهل الحديث، وينظرون إليهم بعين الحقد، ويسمونهم كما سماهم أهل الزيغ قديماً، حشوية، وزوامل أسفار ... إلخ، ويطعنون في عدالتهم 0

(1) أحمد بن الحسن : هو أحمد بن الحسن بن جُنَيْد، أبو الحسن الترمذى، ثقة حافظ، سمع أحمد بن حنبل، وعنه البخارى، والترمذى، وخلق، مات سنة 242هـ له ترجمة في: تقريب التهذيب 32/1 رقم 25، والكاشف 192/1 رقم 20، والجمع بين رجال الصحيحين 9/1 رقم 13، والثقات لابن حبان 27/8، والجرح والتعديل 47/2 رقم 33 0

(2) معرفة علوم الحديث ص 4 0

(3) أحمد بن سنان هو : أحمد بن سنان بن أسد بن حبان، أبو جعفر، القطان الواسطى، متفق على توثيقه مات سنة 259هـ وقيل قبلها 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 35/1 رقم 44، وتذكرة الحفاظ 521/1 رقم 538، وطبقات الحفاظ ص 231 رقم 516، وشذرات الذهب 137/2، والعبر 16/2، والجمع بين رجال الصحيحين 7/1 رقم 5 0

(4) معرفة علوم الحديث ص 4 0

(5) المصدر السابق ص 4 0

(328/2)

فما قاله قديماً ابن أبي فتيحة في أصحاب الحديث بأنهم قوم سوء، قاله في زماننا نيازي عز الدين في كتابيه "دين السلطان" (1) ، و"إنذار من السماء" إذ يقول : "فإما أن نختار طريق آبائنا، وأجدادنا، ومشايخنا السالف، الذى قد عرفنا قبل قليل بالبرهان القاطع أننا ضللنا به، حين تركنا منهج القرآن، وتركناه حتى نسج عليه العنكبوت خيوطه" (2) 0

... ويقول : "أهل الحديث ورواته، كانت مهنتهم رواية الأحاديث وكتابتها، فهم يرتزقون مما يرددون ويكتبون 0 وقالوا : إن ما كتبوه بأيديهم (وحى آخر) من عند الله مثل القرآن، وقالوا : إن كتاب الله هو القرآن، وما معهم من الروايات والأقاويل كتاب الحكمة، ظناً وظلماً، فهم قالوا عن أكاذيبهم إنها

من عند الله، تماماً كما فعل أهل الكتاب من قبلهم في تحريفاتهم⁰ وهم أيضاً يظنون أن الله سبحانه وتعالى لا يقصدهم في هذه الآية (فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ) (3) بينما هي تنطبق عليهم الانطباق التام (4) 0

... ويقول أيضاً طاعناً في عدالة وجهاد من أيد الله به الدين يوم المحنة، قال : "لذلك نجد الإمام أحمد بن حنبل الذى كان صديقاً حميماً لرؤساء الحفل السرى الخفى، لم يرض أن يقول بخلق القرآن فجلده المأمون، لأنه وجد جلده أرحم من قتله على يد أصدقائه إن قال بعكس تعليماتهم كلها" (5) 0

(1) دين السلطان ص 11، وانظر من نفس المصدر ص 114، 117، 119، 153، 154 0

(2) إنذار من السماء ص 134، وانظر من نفس المصدر: ص 124، 129، 130، 665 0

(3) الآية 11 من سورة الطور 0

(4) إنذار من السماء ص 705 0

(5) دين السلطان ص 153 0

(329/2)

ونفس هذا الهراء نسبه إلى أبي حنيفة النعمان قائلاً : "أبو حنيفة النعمان كان صديقاً لأخبار اليهود الذين ادعوا أنهم أخبار الإسلام بإعلائهم إسلامهم، أمثال : يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضى، الذى كان من أكبر أصحاب أبي حنيفة" (1) 0

... وانظر إلى ما يقوله إسماعيل منصور متفوقاً على سلفه ابن أبي فتيلة في طعنه في رموز الإسلام

القائلين بحجية السنة⁰

يقول : "ونحن نشفق على قائله وهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد، وكذلك البخارى ومسلم - رحمهم الله جميعاً - لأنهم "عفا الله عنهم" يستحقون الشفقة والدعاء لهم بالعفو، فإن الله تعالى لو أخذهم بما قالوا (يعنى حجية السنة) لكان أخذه تعالى لهم أليماً شديداً لمخالفتهم لكلامه تعالى (مخالفة صريحة) ... فإنهم قد استدرجوا إلى مكيدة إبليس اللعين (بحسن نية منهم) فأخذوا بمنهج التبديل ذى الروايات والحكايات، وتركوا كتاب الله تعالى وهم لا يشعرون، حتى أصلوا ظاهرة التحول عن كلام

الله، إلى كلام غيره من البشر، وعلموا الناس أن يتركوا ظاهر القرآن الكريم، إلى قول زيد، وعبيد، من الرواة، وهي خطة إبليس اللعين "عليه اللعنة إلى يوم الدين" وهذا واضح تمام الوضوح (2) 0

(1) دين السلطان ص 154، ونفس هذه الطعون قال بها أحمد صبحي منصور، وطعن بها المحدثين، والفقهاء، وخص بطعونه من المحدثين الإمام البخاري - رحمه الله - انظر : كتبه التالية: حد الردة، والحسبة، ولا ناسخ ولا منسوخ، ولماذا القرآن، والصلاة في القرآن، وعذاب القبر والثعبان الأقرع، وقراءة في صحيح البخاري 0

(2) بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين ص 475، 476 0

(330/2)

... ويقول أيضاً واصفاً أهل السنة بالخرافة و ... و ... ، وأن في اتباعهم خسران الدنيا والآخرة قال : "يا أفراد عش الوطاويط (الخفافيش) أخرجوا إلى النور (نور القرآن الكريم) ولا تظلوا حبيسي الظلام "ظلام الأقوال البشرية، والروايات القصصية" ... يا أتباع مملكة الوهم، وضحايا التأليف في الدين، وصرعى الروايات والقصص والظنون والأوهام، أفيقوا من سباتكم الغطيط وانفضوا من رقادكم الطويل، وطهروا أنفسكم وعقيدتكم بألا تساووا كلام البشر بكلام الله رب العالمين (1) 0 ماذا تقولون لنا يا أهل الخرافة من الروايات والحكايات والقصص والخزعبلات؟؟ماذا تقولون؟؟

إن من يتبعكم سيخسر الدنيا والآخرة لا محالة؟؟ سيخسر الدنيا؛ لأنه يعيش في غير نصرة الله تعالى : "كما يعيش أكثر المسلمين الآن"، ويخسر الآخرة لأنه سيموت على هذا الضلال المبين "يعنى الإيمان بحجية السنة" فلا يكون له في الآخرة من خلاق (2) 0أه0

... إن هذا الهراء ما كنت لاستحل حكايته إلا لبيان أن من أساليب الطعن في حجية السنة من الزنادقة قديماً وحديثاً بغض أهل السنة، والطعن في عدالتهم، وفي علومهم، لتغيير الأمة من إتباع السنة وأهلها 0

ولنتأمل كيف فاق زنادقة يومنا، زنادقة الأمس بالطعن في أهل السنة 0

إن طعون الحاقدين من المستشرقين، وأهل الزيغ في أهل السنة كثيرة، وقد سبق ذكر بعضها والجواب عنها كزعمهم أن المحدثين، والفقهاء، كانوا وضاعين ذهبوا إلى تأييد كل ذرأى يروونه صالحاً ومرغوباً فيه بحديث يرفعونه إلى النبي (3) 0

(1) المصدر السابق ص 18 0

(2) المصدر نفسه ص 477، وانظر : له تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 135 - 140 0

(3) راجع إن شئت ص 417-431 0

(331/2)

... وكزعمهم أن المحدثين والفقهاء في العصر الأموي، والعباسي، كانوا فقهاء سلطة (1) ونكتفى هنا بالرد على دعواهم تقصير المحدثين في تقديمهم للمتن، وذلك بعد بيان عدالة أهل السنة، وأنهم الجماعة، والجمهور، والسواد الأعظم، لهذه الأمة الإسلامية لسيرهم على طريقة النبي (وأصحابه الأخيار -رضوان الله عليهم أجمعين- ولا عبرة بمن خالفهم من أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً0 لخروجهم على طريقة النبي (وتكفيرهم أصحابه، والطعن في عدالة من قال بعدالتهم (2) وبيان ذلك في الأربعة مطالب الآتية :

المطلب الأول

بيان المراد بأهل السنة

... عندما نتحدث عن عدالة أهل السنة فإننا لا نعني بهم أهل الحديث فقط، وإنما مرادنا بهم الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الإمام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق من : (1) علماء التوحيد (2) علماء الفقه (3) علماء الحديث (4) علماء النحو ... (5) علماء القراءات والتفسير (6) الزهاد الصوفية0

... الذين لم يخلط كل صنف منهم علمه بشئ من بدع أهل الأهواء الضالة، ومن مال منهم إلى شئ من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة، ولا كان لقوله حجية في عمله0

7- والصنف السابع : المجاهدون في سبيل الله، يحمون حمى المسلمين، ويذبون عن حريمهم وديارهم، ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة⁰

(1) راجع إن شئت ص 425-441 0

(2) انظر: فيمن طعن في أهل السنة أضواء على السنة⁶²، وشيخ المضيرة ص³³، وإعادة تقييم الحديث ص¹¹⁶، والبيان بالقرآن 514/2، 805، وحد الردة ص⁶⁷، 74، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص²⁶²، 95، 16، 14، 13، 269 وأهل السنة شعب الله المختار³¹ وما بعدها، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص³²، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة ص¹¹¹، 29 وما بعدها⁰ وغير ذلك من المراجع السابق ذكرها فيمن طعن في حجية السنة أو عدالة الصحابة⁰

(332/2)

8- والصنف الثامن منهم : عامة البلدان الذين اعتقدوا تصويب علماء السنة، ورجعوا إليهم في معالم دينهم، وقلدوهم في فروع الحلال والحرام، ولم يعتقدوا شيئاً من بدع أهل الأهواء الضالة⁰ ... قال الإمام عبد القادر البغدادى : فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة، ومجموعهم أصحاب الدين القويم، والصراط المستقيم" (1) أ⁰هـ

... ويقول الدكتور ناصر الشيخ معرفاً بهم في نص جامع قال : أهل السنة هم المتمسكون بما جاء في الكتاب والسنة، والتزموا بما فيهما قولاً وعملاً، وكان معتقدهم موافقاً لما جاء فيهما، وموافقاً لما كان عليه السلف الصالح من الصحابة الكرام (، والتابعين لهم بإحسان، وأتباعهم من أئمة الدين ممن شهد لهم بالإمامة، وعرف عظم شأنهم في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف⁰

... دون من رمى ببدعة، أو شهر بقلب غير مرضى، كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة،

والجبرية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء (2) أ⁰هـ

المطلب الثاني

سلامة طريقة أهل السنة في فهم الشريعة الإسلامية

وبيان تحقيق النجاة لهم

... عن أبي هريرة (قال : قال رسول الله (: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"0

(1) الفرق بين الفرق ص 276 - 279 بتصرف واختصار0

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة 1/29 0

(333/2)

هذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة منهم أبو داود (1) ، والترمذى وصححه (2) ، وابن ماجه (3) ، والحاكم وصححه (4) ، وله شواهد عن جماعة من الصحابة كأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم (5) 0

... وجاء في هذه الشواهد تفسير للفرقة الناجية بأسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث (6) 0
كما قال الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي (7) 0

(1) سنن أبي داود كتاب السنة، باب شرح السنة 197/4، 198 رقم 4596 0

(2) سنن الترمذى كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة 25/5 رقم 2640 وقال : هذا حديث حسن صحيح0

(3) سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب افتراق الأمم 492/2 رقم 3991 0

(4) المستدرك كتاب العلم، باب تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة 217/1 رقم 441 وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي0

(5) قال بتواتر الحديث الكتاني، وعبد الله الغمارى، وعبد العزيز الغمارى، انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 45 رقم 18، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 185 0

(6) خلافاً لمن ذهب إلى عدم صحة الحديث0 انظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور

محمد عمارة ص 129 وما بعدها0

(7) المستدرک 0 218/1

(334/2)

من هذه الشواهد حديث معاوية وأنس - رضى الله عنهما - مرفوعاً : "إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة (1) 0

... وفي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : "إني بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا : ومن هي يا رسول الله قال : "ما أنا عليه وأصحابي" (2) 0

... يقول الإمام الشاطبي : "إن الجماعة - في الحديث الشريف - هي الصحابة على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك، ... ولفظ الجماعة وتفسيره هنا مطابق للرواية الأخرى في قوله (: "ما أنا عليه وأصحابي" (3) 0

... يقول الإمام عبد القادر البغدادي مبيناً صحة طريقة أهل السنة في فهم الشريعة الإسلامية وتحقيق النجاة لهم بنص الحديث السابق0 قال : "إن النبي (لما ذكر افتراق أمته بعده ثلاثاً وسبعين فرقة، وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجية، سئل عن الفرقة الناجية، وعن صفتها، فأشار إلى الذين هم، على ما عليه هو وأصحابه0

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب شرح السنة 198/4 رقم 4597، والحاكم في المستدرک کتاب العلم، باب تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة 218/1 رقم 443، كلاهما من حديث معاوية (، وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الفتن، =باب افتراق الأمم 492/2 رقم 3991 من حديث أنس (، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة 239/3 "هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات"0

- (2) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراق الأمة 26/5 رقم 2641، وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب تفتقر هذه الأمة ... 218/1 رقم 444 0
- (3) الاعتصام 518/2، 519 بتصرف 0

(335/2)

ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة (غير أهل السنة والجماعة، من مجتهدى الأمة وعلمائها أهل الشريعة العاملين بها، دون الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، وجميع أهل البدع والأهواء، فهم غير داخلين فى لفظ الجماعة قطعاً، لخروجهم على طريقة النبى (وطريقة أصحابه 0)

... ثم كيف يكون الرافضة، والخوارج، والقدرية، وسائر أهل البدع موافقين للصحابة؟ وهم بأجمعهم لا يقبلون شيئاً مما روى عن الصحابة فى أحكام الشريعة، لامتناعهم من قبول روايات الحديث، والسير، والمغازى، من أجل تكفيرهم للصحابة، ولأصحاب الحديث الذين هم نقلة الأخبار والآثار، ورواة التواريخ والسير، ومن أجل تكفيرهم فقهاء الأمة الذين ضبطوا آثار الصحابة، وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة 0

ولم يكن بحمد الله ومَنِّهِ فى الخوارج، ولا فى الروافض، ولا فى القدرية، ولا فى سائر أهل الأهواء الضالة إمام فى الفقه، ولا إمام فى رواية الحديث، ولا إمام فى اللغة والنحو، ولا موثق به فى نقل المغازى والسير والتواريخ، ولا إمام فى الوعظ والتذكير، ولا إمام فى التأويل والتفسير، وإنما كان أئمة هذه العلوم، على الخصوص والعموم، من أهل السنة والجماعة (1) 0

وأهل الأهواء الضالة إذا ردوا الروايات الواردة عن الصحابة فى أحكامهم وسيرهم لم يصح اقتداؤهم بهم 0

-
- (1) راجع : بيان فضائل أهل السنة، وأنواع علومهم وأئمتهم، وبيان آثارهم فى الدين والدنيا، فى: الفرق بين الفرق ص 321 - 325، وانظر : الاعتصام للشاطى 509/2 وما بعدها 0

(336/2)

وبان من هذا أن المقتدين بالصحابة من يعمل بما قد صح بالرواية الصحيحة في أحكامهم وسيرهم، وذلك سنة أهل السنة دون ذوى البدعة، وصحح بصحة ما ذكرناه، صحة وسلامة طريقتهم في فهم الشريعة الإسلامية، وتحقيق نجاحهم لحكم النبي (بنجاة المقتدين بأصحابه (1) 0 والحمد لله على ذلك (2) 0هـ

... يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : "فعلى هذا القول فمن خرج عن جماعة أهل السنة، فهم الذين شذوا، وهم نوبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لما عليه النبي (وأصحابه 0

فمن خرج عن جماعة أئمة العلماء المجتهدين من أهل السنة مات ميتة جاهلية، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله (: "إن الله لن يجمع أمي على ضلالة" (3) 0

فهم جماعة أهل الإسلام والسواد الأعظم، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم 0 ومن شذ شد إلى النار" (4) فإن قيل : "فإن أهل المقالات المختلفة، يرى كل فريق منهم أن الحق فيما اعتقده، وأن مخالفه على ضلال وهوى، وكذلك أصحاب الحديث، فيما انتحلوا، فمن أين علموا علماً يقيناً، أنهم على حق؟

(1) راجع : الفرق بين الفرق فصل عصمة الله أهل السنة من تكفير بعضهم بعضاً أو تكفير سلفهم والطعن فيهم ص 320 - 321 0

(2) الفرق بين الفرق ص 279 - 283 بتصرف، وانظر : الاعتصام للشاطبي 515/2 - 523 0

(3) سبق تخرجه ص 481 0

(4) الاعتصام 517/2 - 519 بتصرف 0

... قيل لهم : إن أهل المقالات، وإن اختلفوا، ورأى كل صنف منهم أن الحق فيما دعا إليه، فإنهم مجمعون لا يختلفون⁰ على أن من اعتصم بكتاب الله (، وتمسك بسنة رسول الله (، فقد استضاء بالنور، واستفتح باب الرشيد، وطلب الحق من مظانه⁰ وليس يدفع أهل السنة عن ذلك إلا ظالم لأنهم لا يردون شيئاً من أمر الدين، إلى استحسان، ولا إلى قياس ونظر، ولا إلى كتب الفلاسفة المتقدمين، ولا إلى أصحاب الكلام المتأخرين (1) أ⁰هـ

... فإن قالوا : فإنه يلزمكم أن تقولوا إن نقلة الأخبار الشرعية التي قالها رسول الله (معصومون في نقلها، وأن كل واحد منهم معصوم في نقله من تعمد الكذب⁰ قلنا لهم نعم⁰ هكذا نقول، وبهذا نقطع ونبت⁰ وكل عدل روى خبراً أن رسول الله (قاله في الدين أو فعله (، فذلك الراوى العدل معصوم من تعمد الكذب - مقطوع بذلك عند الله تعالى - لما تقدم من تعهد رب العزة بحفظ جميع الشريعة من كتاب وسنة" (2) ⁰

وفي هذا رد على الدجالين الزاعمين، بأنهم في ردهم للسنة المطهرة، والأحاديث الصحيحة لا يردون قول النبي (وإنما يردون قول رواة السنة من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم إلى أصحاب المصنفات الحديثية!!!⁰

المطلب الثالث

شرف أصحاب الحديث

إذا كان الحديث بعد القرآن هو عمدة كل صنف من الأصناف السابقة من أهل السنة، وإذا كانت دواوين أصحاب الحديث، بعد القرآن دعائم الإسلام التي قامت عليها صروحه⁰ فإن ذلك يدلنا على عظم مكانة المحدثين بين علماء أهل السنة جميعاً فهم بحق يصدق فيهم قول سفيان الثوري - رحمه الله - : "الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض" (3) ⁰

(1) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 83 بتصرف يسير⁰ وانظر: ما قاله ابن قيم في مختصر الصواعق المرسله إجابة على هذا السؤال، وبيان الفرق بين أهل السنة وأهل الأهواء 571/2-576

(2) الإحكام لابن حزم 0 126/1

(3) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص 91 رقم 80 0

(338/2)

ويقول يزيد بن زريع (1) : "لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد" (2) 0
ويقول أبو حاتم الرازي - رحمه الله - : "لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم، أمناء يحفظون
آثار الرسل إلا في هذه الأمة 0 فقال له رجل : يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له، ولا يصح؟
فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا
الآثار وحفظوها" (3) 0

... وإذا تقرر أنه لا قيام للإسلام بدون سنة صدق فيهم ما قاله الإمام أبو داود الطيالسي (4) :
"لولا هذه العصابة لا ندرس الإسلام" يعني أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار" (5) 0

(1) يزيد بن زريع هو : يزيد بن زريع، بتقديم الزاي، مصغراً، البصري، أبو معاوية، متفق على
توثيقه 0 مات سنة 182هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 324/2 رقم 7741، والكاشف
382/2 رقم 6301، والثقات للعجلي 478 رقم 1841، والجمع بين رجال الصحيحين
573/2، 574 رقم 2237، ورجال صحيح البخاري للكلاّباذي 807/2 رقم 1355 0

(2) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص 91 رقم 81 0

(3) المصدر السابق ص 89 رقم 77 0

(4) أبو داود الطيالسي هو : سليمان بن داود بن الجارود البصري، أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ
الإسلام مات سنة 203هـ له ترجمة في تذكرة الحفاظ 351/1 رقم 340، وتقريب التهذيب
384/1 رقم 2558، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 153 رقم 327، والثقات للعجلي 202، 201
رقم 609، وشذرات الذهب 12/2، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص 277 رقم
343، وتهذيب الكمال للمزي 401/11 رقم 2507 0

(5) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص 101 رقم 101 0

(339/2)

ويقول الإمام الخطيب البغدادي : "وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي (وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، ... قبلوا شريعته قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلًا حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها، وكم ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها0

وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأياً تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول (فتتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما روي عن الرسول، إذا اختلف في حديث، كان إليهم الرجوع، فما حكموا به، فهو المقبول المسموع0

ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذله، ولا يفلح من اعتزله، الخياط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير" (1) 0

ورحم الله هارون الرشيد القائل : "طلبت أربعة فوجدتها في أربعة : طلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث وطلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته مع المعتزلة" (2) 0

-
- (1) شرف أصحاب الحديث ص 28 - 31 بتصريف وتقديم وتأخير، وانظر : ما قاله الحاكم في معرفة علوم الحديث ص 2-4، وجمال الدين القاسمي في قواعد التحديث ص 60، والسنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود ص 11 0
- (2) شرف أصحاب الحديث ص 108 رقم 104 0

... رضى الله عن تلك الأنفس التى نهضت لحفظ الدين، ورضى الله عمن أحيأ آثارهم من اللاحقين
"آمين"0

(341/2)

المطلب السادس

أبو هريرة (راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين

... لهج أعداء السنة، أعداء الإسلام، قديماً وحديثاً، وشغفوا بالطعن فى أبى هريرة وتشكيك الناس فى
إسلامه، وفى صدقه وروايته، وما إلى ذلك أرادوا! وإنما أرادوا أن يصلوا إلى التشكيك فى راوية السنة
الأول، وأحفظ من رواها فى دهره، فأبو هريرة (على رأس السبعة المكثرين من الرواية الذين عناهم
من أنشد :

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا ... من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس ... صديقة، وابن عباس، كذا ابن عمر

فأبو هريرة هو أكثرهم حديثاً فقد روى (5374) حديثاً، ثم عبد الله بن عمر روى (2630) حديثاً،
ثم أنس بن مالك روى (2286) حديثاً، ثم عائشة أم المؤمنين روت (2210) حديثاً، ثم ابن عباس
روى (1660) حديثاً، ثم جابر بن عبد الله روى (1540) حديثاً، ثم أبو سعيد الخدرى (سعد بن
مالك) روى (1170) حديثاً (1) 0

وما اتهم به أبو هريرة (، من أكاذيب وافتراءات من قبل أرباب الأهواء قديماً وحديثاً، سندهم فيه إما
روايات مكذوبة أو ضعيفة، وإما روايات صحيحة لم يفهموها على وجهها، بل تأولوها تأويلاً باطلاً
يتفق وأهواءهم0

(1) انظر: تدريب الراوى2/216-218، وفتح المغيـث للسخاوى3/97، وشذرات الذهب1/63 0

وقد تصدى للرد على تلك الطعون رهط من علماء الإسلام⁰ على رأسهم أبي هريرة نفسه، وصدق على دفاعه - على ما سيأتى - كبار الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين، منهم الحاكم في المستدرک، وابن عساکر في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، وعبد المنعم صالح العلى في كتابه دفاع عن أبي هريرة، والدكتور محمد السماحي في كتابه "أبو هريرة في الميزان"، والمنهج الحديث في علوم الحديث، والدكتور السباعي في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع، والدكتور عجاج الخطيب في كتابيه السنة قبل التدوين، وأبو هريرة راوية الإسلام، والشيخ عبد الرحمن المعلمي في كتابه (الأنوار الكاشفة)، والدكتور أبو زهو في الحديث والمحدثون، والدكتور أبو شهبة في دفاع عن السنة، والدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف في كتابه "المختصر في علم رجال الأثر" وفي مقدمة كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي وغيرهم⁰

ونكتفى هنا بترجمة للصحابي الجليل نتعرف بها على مكانته في الإسلام، وبرأته مما نسب إليه من أكاذيب⁰ وذلك بعد أن نتعرف على أصناف الطاعنين فيه، والذين ذكرهم الإمام ابن خزيمة (1) بقوله : "إنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار⁰

(1) ابن خزيمة هو : الحافظ الكبير، أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، انتهت إليه الإمامة، والحفظ في عصره بخمرسان، قال فيه ابن حبان : ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزيادتها حتى كأن السنن نصب عينيه إلا ابن خزيمة قط⁰ ومصنفاته: تزيد على مائة وأربعين كتاباً، منها صحيحة في السنن، مات سنة 311هـ له ترجمة في: تذكرة الحفاظ 720/2 رقم 734، والبداية والنهاية 149/11، والوفاء بالوفيات للصفدي 196/2، وشذرات الذهب 262/2، وطبقات الشافعية للسبكي 109/2 0

- 1- إما معطل جهمى يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم الذى هو كفر، فيشتمون أبا هريرة، ويرمون به الله تعالى قد نزهه عنه، تمويهاً على الرعاء، والسفل أن أخباره لا تثبت بها الحجة⁰
- 2- وإما خارجى يرى السيف على أمة محمد (، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام، إذا سمع أخبار أبي هريرة (عن النبي (خلاف مذهبهم الذى هو ضلال لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعة الواقعة فى أبي هريرة⁰
- 3- أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التى قدرها الله تعالى، وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التى قد رواها عن النبي (فى إثبات القدر لم يجد حجة يؤيد صحة مقالته التى هى كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة، لا يجوز الاحتجاج بها⁰
- 4- أو جاهل يتعاطى الفقه، ويطلبه من غير مظانة، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهب، وأخباره تقليداً بلا حجة ولا برهان، تكلم فى أبي هريرة، ودفع أخباره التى تخالف مذهب، ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهب، وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها" (1) 0
- قلت : والله إن من يتكلم فى أبي هريرة فى عصرنا لا يخرج فى عقيدته، ومذهبه عما ذكرهم الإمام ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - 0

أبو هريرة (

إسلامه وصحبته :

(1) مستدرک الحاكم 587/3 0

(344/2)

قدم أبو هريرة مهاجراً من اليمن إلى المدينة لىالى فتح خيبر فى المحرم سنة سبع من الهجرة، وكان قد أسلم على يد الطفيل بن عمرو (1) فى اليمن، وشهد هذه الغزوة مع رسول الله (، ولازمه إلى آخر حياته بخدمة، ويتلقى العلم عنه (، ويتحدث هو عن ذلك لما سأله مروان بن الحكم قائلاً له: "إن

الناس قد قالوا إنك أكثر على رسول الله (الحديث، وإنما قدمت قبل وفاة النبي (بيسير، فقال أبو هريرة: نعم! قدمت ورسول الله (بخير سنة سبع، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات، وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه، وأنا والله يومئذ مقل (أى فقير)، وأصلى خلفه، وأحج، وأغزو معه، فكنت والله أعلم الناس بحديثه، قد والله سبقنى قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار، وكانوا يعرفون لزومى له فيسألونى عن حديثه، منهم عمر، وعثمان، وعلى، وطلحة والزبير، فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة⁰
قال: فوالله ما زال مروان يقصر عن أبى هريرة، ويتقيه بعد ذلك، ويخافه، ويخاف جوابه (2)

-
- (1) الطفيل بن عمرو : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة 2/225 رقم 4254، وتاريخ الصحابة ص 145 رقم 705، والاستيعاب 2/757 رقم 1274، واسد الغابة 3/77 رقم 2613 0
(2) البداية والنهاية 8/111، 112، وانظر : الاستيعاب لابن عبد البر 4/1771 رقم 3208 0

(345/2)

وفيما سبق رد على دعوى الرافضة ومن قال بقولهم : "إن أبا هريرة لم يصاحب النبي (إلا سنة وتسعة أشهر (1) ، فالمعروف أن أبا هريرة أسلم عام خيبر، وخيبر كانت فى جمادى الأولى سنة سبع (2) 0 وبين خيبر ووفاة النبي (أربع سنوات، إلا شهرين تقريباً فإن الوفاة كانت فى ربيع الأول سنة 11هـ (3) 0
خلقه وتقواه :

كان (، صادق للهجة، خفيف الروح محبباً إلى الصحابة، وكان (تقياً ورعاً كثير التبعّد، شديد الخشية لله تعالى، وكان يقول: "وأيم الله لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكم بشئ أبداً، ثم يتلو قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (4) 0

وكان صواماً قواماً يتناوب قيام الليل، هو وزوجته، وخادمه، فيما رواه عنه أبو عثمان النهدي (5))
قال : "تضيفت أبا هريرة سبعاً، فكان هو وامرأته، وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً : يصلى هذا، ثم يوقظ الآخر فيصلّى، ثم يوقظ الثالث" (6) 0

-
- (1) انظر : شبهات حول الشيعة لعباس الموسوى ص 141، وشيخ المضيرة ص 135، وأضواء على السنة ص 200 كلاهما لمحمود أبو ربه، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 241، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني السماوى ص 220 0
- (2) انظر : طبقات ابن سعد 81/2 0
- (3) انظر : سير أعلام النبلاء 589/2 - 590 0
- (4) الآية 159 من سورة البقرة 0
- (5) أبو عثمان النهدي هو : عبد الرحمن بن مل، محضرم، ثقة ثبت عابد، مات سنة 95هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 592/1 رقم 4031، وتذكرة الحفاظ 65/1 رقم 56، وشذرات الذهب 118/1، وطبقات ابن سعد 61/7 0
- (6) انظر : البداية والنهاية 113/8، وتذكرة الحفاظ 36/1 0

(346/2)

وقد أرسله النبي (مع العلاء بن الحضرمي (1) إلى البحرين لينشر الإسلام، ويفقه المسلمين في الدين (2) 0

كما استعمله الخليفة عمر بن الخطاب (على البحرين فترة ثم عزله، وبعد ذلك دعاه عمر ليوليه فلم يقبل أبو هريرة وقال : "أخشى أن أقول بغير علم، وأقضى بغير حلم، وأن يضرب ظهري وينزع مالي، ويشتم عرضي" (3) 0

يقول الإمام الجويني : "وهذا مما يتمسك به في أبي هريرة (فعمر مع تنزهه عن المداواة والمداواة والمداهنة، اعتمده وولاه في زمانه أعمالاً جسيمة، وخطوباً عظيمة، وكان يتولى زماناً على الكوفة وكان يبلغه روايته عن رسول الله (، فلو لم يكن من أهل الرواية، لما كان يقرره عمر (مع العلم بإكثاره (4) 0

... ولم يشترك أبو هريرة في الفتى التي حدثت بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (بل اعتزلها 0 ولم يفارق الحجاز منذ استعمله عمر على البحرين ثم عزله 0 ولم يزل يسكن المدينة، وبها كانت وفاته 0

... وفي هذا رد على الرافضة الزنادقة ومن قال بقولهم⁰ من اشتراك أبي هريرة في الفتنة بين علي ومعاوية-رضي الله عنهما-"فكان يأكل مع معاوية فإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي(، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة (5) معاوية أדם، والصلاة خلف علي أفضل" (6)

-
- (1) العلاء بن الحضرمي : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب 1085/3 رقم 1841، واسد الغابة 71/4 رقم 3745، وتاريخ الصحابة ص 184 رقم 954، ومشاهير علماء الأمصار ص 75 رقم 400، والإصابة 497/2 رقم 5642 0
 - (2) البداية والنهاية 116/8، وانظر : زاد المعاد 692/3، 693 0
 - (3) البداية والنهاية 114/8، 115 0
 - (4) البرهان في أصول الفقه 240/1 0
 - (5) شيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص 61 وانظر له أيضاً : أضواء على السنة ص 197-199، وشبهات حول الشيعة لعباس الموسوي ص 144 0
 - (6) المضيرة : مريقة تطبخ بلبن وأشياء، وهي عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم⁰ لسان العرب 178/5 0

(347/2)

... فهذه القصة التي بنى عليها الرافضي محمود أبو رية تسمية كتابه "شيخ المضيرة أبو هريرة" هذه القصة لا يصدقها عاقل، والأحداث التاريخية تكذبها⁰

يقول الدكتور محمد أبو شهبة : "كيف يصح هذا في العقول، وعلى كان بالعراق، ومعاوية كان بالشام، وأبو هريرة كان بالحجاز، إذ الثابت أنه بعد أن تولى إمارة البحرين في عهد عمر (لم يفارق الحجاز (1) 0

وقال الإمام ابن عبد البر : استعمله عمر على البحرين ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته (2) 0

وبهذا يتبين لنا كذب ادعاءاتهم، ويظهر لنا مدى حقدهم، اللهم إلا إذا كانت الشيعة ترى أن أبا هريرة أعطى بساط سليمان أو كانت الأرض تطوى له طياً!!! (3) 0

... وعودة إلى خلقه وتقواه (: فقد اشتهر (بالتواضع، والمرح، فكان يداعب الأطفال، ويمازح الناس ويلطفهم، ومن ذلك أنه كان يمر في السوق، يحمل الحزمة من الحطب على ظهره-وهو يومئذ أمير مروان على المدينة فيقول:أوسعوا الطريق للأمير (4) 0
فمعاوية (استعمله في عهده على المدينة ثم عزله وولى عليها مروان، ثم استخلفه مروان عليها حين توجه إلى الحج" (5) 0

قوة ذاكرته وروايته :

(1) دفاع عن السنة ص 99 0

(2) الاستيعاب 1771/4 0

(3) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 99، وانظر : الشيعة والصحابة للدكتور عمر الفرماوى ص 97، 98 0

(4) انظر : ما قاله الدكتور السباعي دفاعاً ضد من طعن في مزاح أبي هريرة (في السنة ومكانتها في التشريع ص 337-341، وانظر:دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة ص 106-108 0
(5) البداية والنهاية 116/8، 117 0

(348/2)

لقد لازم أبو هريرة رسول الله منذ قدم عليه مهاجراً، ينهل من عمله، ويتلقى عنه أحاديثه ويحفظها، واجتهد في ذلك حتى صار أحفظ أصحابه، وأكثرهم رواية للحديث، فقد روى (5374) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً نبوياً - كما في مسند بقي ابن مخلد- اتفق الشيخان البخاري ومسلم على (325) ثلاثمائة وخمسة وعشرين حديثاً منها، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعة وثمانين (1)، وقيل غير ذلك 0
... وهذه الروايات التي زادت على خمسة آلاف هي بالمكرر 0

وذكر الدكتور الأعظمي في كتابه : أبو هريرة في ضوء مروياته (2) أن أحاديثه في المسند والكتب والسنة هي 1336 حديثاً فقط، وذلك بعد حذف الأسانيد المكررة 0 وهذا القدر يستطيع طالب عادى أن يحفظه في أقل من عام، فما بالك بمن كان حفظه من معجزات النبوة" (3) 0 ويقول الدكتور أبو شهبة : "وأحب ألا يعزب عن بالنا أن هذه الخمسة آلاف والثلاثمائة والأربعة والسبعون حديثاً، الكثير منها لا يبلغ السطرين أو الثلاثة، ولو جمعناها كلها لما زادت عن جزء فأى غرابة في كثرة مروياته مع حداثة صحبته، مع أن السنين الأربع ليست بالزمن القصير في عمر الصحبة (4) ، ولا سيما ما توافر له دون غيره من الصحابة من أمور كانت سبباً في تفوقه في الرواية وكثرة مروياته منها : أسباب كثرة مروياته :

-
- (1) تدريب الراوى 216/2، 217، وانظر : سير أعلام النبلاء 632/2 0
 - (2) أبو هريرة في ضوء مروياته ص 76، نقلاً عن (مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع) للدكتور على السالوس 77/3 0
 - (3) مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع 77/3 0
 - (4) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 103، 104 0

(349/2)

أولاً : شدة ملازمته للنبي (منذ قدم مهاجراً إليه سنة سبع من الهجرة يدور معه في بيوت نسائه يخدمه، ويصلى خلفه، ويحج، ويعزو معه كما حدث عن نفسه، ومما أعانه على التفرغ لذلك أنه كان فقيراً، ولم تكن له زوجة، ولا أولاد حينئذ - ونحو ذلك مما يشغل، مع شدة حرصه على تلقي الحديث عن النبي (، وشهد له النبي (بهذا الحرص ومن الآثار الدالة على ذلك : ما جاء في الصحيح عنه (قال : "يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد 0 ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك : إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم 0 وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق 0 وكنت ألزم رسول الله (على ملئ بطني فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله (يوماً : "أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لن ينس شيئاً سمعه، فبسطت بردة على حتى فرغ من حديثه،

ثم جمعتها إلى صدرى، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثنى به 0 ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (1) 0

(1) الآيتان 159، 160 من سورة البقرة، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب حفظ العلم 258/1 رقم 118، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب من أبى هريرة 290/8، 292 رقم 2492 واللفظ له 0

(350/2)

ثانياً : دعاء رسول الله (له بالحفظ وعدم النسيان، ومما يدل على ذلك الرواية السابقة، وما رواه الحاكم في المستدرک عن زيد بن ثابت، أن رجلاً جاء إليه فسأله عن شئ فقال له زيد : عليك بأبى هريرة، فإنه بينما أنا وأبو هريرة فى المسجد وفلان فى المسجد ذات يوم ندعوا الله تعالى، ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله (حتى جلس إلينا قال : فجلس وسكتنا 0 فقال عودوا للذى كنتم فيه، قال زيد فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة، وجعل رسول الله (يؤمن على دعائنا قال: ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك مثل الذى سألك صاحبى هذان وأسألك علماً لا ينسى، فقال رسول الله (: آمين "فقلنا يا رسول الله ونحن نسأل الله علماً لا ينسى فقال: "سبقكما بما الدوسى" (1) 0 ثالثاً : إن أبا هريرة تميز بقوة ذاكرته وحفظه وحسن ضبطه، خاصة بعد أن دعا له الرسول بالحفظ وعدم النسيان – كما سبق – فكان حافظاً متقناً ضابطاً لما يرويه 0

(1) أخرجه النسائى فى سننه الكبرى كتاب العلم، باب مسألة علم لا ينسى 440/3 رقم 5870، والحاكم فى المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبى هريرة الدوسى (582/3 رقم 6158 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبى فى التلخيص بقوله فيه حماد = ابن شعيب ضعيف، وكذا قال فى سير أعلام النبلاء 600/2، وفى موضع آخر من السير 616/2 ذكر الخبر بإسناد آخر فيه الفضل بن العلاء بدلاً من حماد، ثم قال : تفرد به الفضل بن العلاء وهو صدوق، وقال : ابن حجر فى الإصابة 208/4 سند النسائى جيد 0 وانظر: تهذيب التهذيب 266/12

... ويدل على ذلك قصة امتحان مروان له فيما رواه الحاكم عن أبي الزُّعَيْرَةِ (1) كاتب مروان بن الحكم، أن مروان بن الحكم دعا أبا هريرة فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله وجعلت أكتب حتى إذا كان عند رأس الحول، دعا به فأقعدته وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص، ولا قدم ولا آخر" (2) وقد نقل هذه القصة الذهبية في سير أعلام النبلاء، ثم عقب بقوله : "قلت هكذا فليكن الحفظ" (3) 0

... وهذه القصة نقلها أيضاً ابن حجر في الإصابة (4) ، وابن كثير في البداية (5) ، وهي تدل على قوة حفظه وإتقانه، كما شهد له بذلك الصحابة، والتابعون فمن بعدهم من أئمة المسلمين إلى يومنا هذا على ما سيأتي بعد قليل 0

... وكان (يراجع ما يسمعه من النبي) تأكيداً لحفظه، فقد روى عنه أنه قال : "جزأت الليل ثلاثة أجزاء: ثلثاً أصلي، وثلثاً أنا، وثلثاً أذكر فيه حديث رسول الله (6) 0

رابعاً : أدرك أبو هريرة كبار الصحابة، وروى عنهم كثيراً من الأحاديث فتكامل علمه بما واتسع أفقه فيها 0

-
- (1) ابن الزعيزعة : ذكره الدولاى فى الكنى فقال : "أبو زعيرة كاتب مروان" ص 183، ثم ذكره باسم أبي الزعيزعة، وذكر له خبراً عن مروان الكنى انظر ص 184، روى عن مكحول، وعمرو بن عبيد الأنصارى، والنضر بن محرز 0 قال أبو حاتم : مجهول، وقال الذهبي : أبو الزعيزعة عن مكحول لا يكاد يعرف 0 عده فى الشاميين انظر : الجرح والتعديل 375/9 رقم 1734، وميزان الاعتدال 525/4 رقم 10200، ولسان الميزان 655/7 رقم 9985 0
- (2) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبى هريرة 583/3 رقم 6164، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى 0
- (3) سير أعلام النبلاء 2/598 0
- (4) الإصابة 4/205 0

(5) البداية والنهاية 106/8 0

(6) المصدر السابق 113/8 0

(352/2)

خامساً : امتداد عمره (بعد وفاة رسول الله (، حيث عاش بعده نحو سبعة وأربعين عاماً، واحتياج الناس إليه فكان يحدثهم ويبث بينهم ما يحفظه من أحاديث، وأعاناه على ذلك : ابتعاده عن الفتن وغيرها من المشاغل ووجوده في المدينة، والناس يفتدون إليها، وكانت له حلقة في مسجد الرسول يحدث الناس فيها بالأحاديث النبوية، فساعد ذلك على انتشار مروياته وتداولها، وكثرة أتباعه وتلاميذه، حتى بلغوا نحو ثمانمائة من الصحابة والتابعين كلهم يجلونه ويثقون به ويثنون عليه على ما سيأتي بعد قليل 0

... قال الإمام البخارى - رحمه الله - : "روى عنه نحواً من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيره" (1) 0 ومن أشهر من روى عنه من الصحابة : زيد ابن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعائشة، وأبو أيوب الأنصارى 0 ومن أشهر من روى عنه من التابعين : مروان بن الحكم، والحسن البصرى، وسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وعروة ابن الزبير، وهمام بن منبه - وقد كتب عنه الصحيفة المشهورة (2) 0 وغيرهم كثير 0

شهادة الرسول والصحابة ومن بعدهم من أهل العلم بقوة حفظه وإتقانه وكثرة سماعه وحرصه على الحديث

-
- (1) انظر : تهذيب التهذيب 265/12، والبداية والنهاية 107/8، وتذكرة الحفاظ 33/1 0
(2) الإصابة 201/7، 202، وتهذيب التهذيب 263/12 - 265، وتذكرة الحفاظ 32/1، 33، وسير أعلام النبلاء 418/2 - 436، وانظر : من كتب عنه في دراسات في الحديث النبوى للدكتور الأعظمى 97/1 - 99 0

(353/2)

1- روى عنه (أنه قال ذات يوم : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله (: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه (1) 0

2- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما- أنه مر بأبي هريرة (، وهو يحدث عن النبي (: من تبع جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان أعظم من أحد0 فقال ابن عمر : يا أبا هريرة انظر ما تحدث عن رسول الله (، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق إلى عائشة -رضي الله عنها- فقال لها : يا أم المؤمنين أنشدك الله أسمعت رسول الله (يقول : "من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، وإن شهد دفنها فله قيراطان؟ فقالت : اللهم نعم، فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله (عرس ولا صفق بالأسواق، إنما كنت أطلب من رسول الله (كلمة يعلمنيها أو أكلة يطعمنيها0 ... فقال ابن عمر : يا أبا هريرة كنت ألزمتنا لرسول الله (وأعلمنا بحديثه (2) 0 وكان ابن عمر يترحم عليه في جنازته ويقول : "كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله ((3) 0 ...

(1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب الحرص على الحديث 233/1 رقم 99 0
(2) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبى هريرة 584/3 رقم 6167
وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي0
(3) طبقات ابن سعد 340/4، وسير أعلام النبلاء 604/2، والبداية والنهاية 111/8، وفتح البارى 258/1 رقم 118 0

(354/2)

وعن حذيفة بن اليمان (قال : قال رجل لابن عمر : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله (فقال ابن عمر : أعيدك بالله أن تكون فى شك مما يجيى به، ولكنه اجتراً وجبنا" (1) ومعنى "اجتراً" هنا أى على سؤال النبي (والتعلم منه، فى حين كانوا يهابون سؤال النبي (0 يدل على ذلك ما رواه الحاكم عن أبى بن كعب (قال : كان أبو هريرة جريئاً على النبي (يسأله عن

أشياء لا نسأله عنها (2) 0

وعن أنس بن مالك (قال : "نهينا أن نسأل رسول الله (عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل 0 فيسأله ونحن نسمع ... الحديث" (3) 0

3- وعن مالك بن أبي عامر قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله (أم أنتم، تقول على رسول (ما لم يقل - يعنى أبا هريرة - فقال طلحة : والله ما يشك أنه سمع من رسول الله (ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون كنا نأتى نبي الله (طرفي النهارى ثم نرجع، وكان أبو هريرة (مسكيناً لا مال له، ولا أهل ولا ولد وإنما كانت يده مع يد النبي (وكان يدور معه حيثما دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحد منا، أنه تقول على رسول الله (ما لم يقل" (4) 0

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة الدوسى (83/3 رقم 6165، وسكت عنه الحاكم والذهبي 0

(2) أخرجه الحاكم في الأماكن السابقة 584/3 رقم 6166، وسكت عنه الحاكم، والذهبي 0
(3) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام 201/1 رقم 12
(4) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة 585/3 رقم 6172، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم 0

(355/2)

وهذا الخبر ذكره ابن حجر في الإصابة وزاد في قوله طلحة : "قد سمعنا كما سمع، ولكنه حفظ ونسينا" (1) 0

4- وقال ابن خزيمة : وقد روى عن أبي هريرة أبو أيوب الأنصارى مع جلاله قدره، ونزول رسول الله (عنده، ولما يقبل له : تحدث عن أبي هريرة وأنت صاحب منزلة عند رسول الله (؟ فقال : إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع، وإني إن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله (يعنى ما لم

أسمعه منه (2) 0

- 5- وعن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى (3) أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة، وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله (، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي (بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، ثم يتراجعون فيه، فيعرفه بعضهم ثم يحدثهم بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، ثم يعرفه 0 حتى فعل ذلك مراراً 0 قال : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ((4) 0
- 6- ولم يكن أبو هريرة (من أهل الحفظ فقط وإنما كان من أهل الفقه وشهد له بذلك الصحابي الجليل ابن عباس (0)

يقول الحافظ السخاوي: "ولا عبرة برد بعض الحنفية روايات سيدنا أبي هريرة (، وتعليقهم بأنه ليس فقيهاً، فقد عملوا برأيه في الغسل ثلاثاً من ولوغ الكلب وغيره، وولاه عمر (الولايات الجسيمة 0

(1) الإصابة 209/4 0

(2) انظر : المستدرک للحاکم کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر أبي هريرة 586/3 رقم 6175، وانظر : البداية والنهاية 109/8 0

(3) هو : محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، أبو مالك المدني، له رؤية وليس له سماع إلا من الصحابة قتل يوم الحرة سنة 63هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 118/2 رقم 6202، والكاشف 206/2 رقم 5081، وطبقات ابن سعد 71/5 0

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر أبي هريرة 585/3 رقم 6171، وسكت عنه هو والذهبي 0 وانظر : سير أعلام النبلاء 617/2، وفتح الباري 259/1 رقم 118

(356/2)

وقال ابن عباس له كما في مسند الشافعي (1) ، وقد سئل عن مسألة "افته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة، فأفتي، ووافقه على فتياه" (2) 0

7- وعن أبي صالح السمان (3) قال : "كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله (، ولم يكن

بأفضلهم" (4) 0

وفي هذا رد على من يحاول الربط بين المنزلة في الدين وكثرة الرواية، فالربط بينهما ليس من التحقيق العلمى فى شئ (5) 0

... وقال الإمام الشافعى : "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره" (6) 0
وقال الإمام الذهبى : "أبو هريرة إليه المنتهى فى حفظ ما سمعه من الرسول (، وأدائه بحروفه" (7) 0
وقال أيضاً : "وكان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة، والعبادة، والتواضع (8)

10- وقال شمس الأئمة السرخسى : "إن أبا هريرة ممن لا يشك أحد فى عدالته، وطول صحبته مع رسول الله (0

إن كل هذه النقول وغيرها كثير تبين لنا مدى افتراء الرافضة، والمستشرقين، وضعفاء الإيمان الذين اتهموا أبا هريرة بالكذب، والخيانة، فى رواية الحديث، بسبب كثرة أحاديثه مع قلة صحبته 0

-
- (1) انظر : مسند الشافعى ص 450 رقم 1292، وأخرجه أيضاً الإمام مالك فى الموطأ كتاب الطلاق، باب طلاق البكر 447/2 رقم 39، والبيهقى فى السنن كتاب الخلع والطلاق، باب ما جاء فى إمضاء الطلاق الثلاث وإن كن مجموعات 7/335 0
 - (2) فتح المغيـث للسـخاوى 3/96 0
 - (3) أبو صالح السمان هو : ذكوان أبو صالح السمان الزيات، المدنى، روى عن سعد بن أبى وقاص، وأبى هريرة، وأبى الدرداء، وغيرهم، وعنه منصور، والأعمش، وسهيل ابنه، متفق على توثيقه، مات سنة 101هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 1/287 رقم 1846، والكاشف 1/386 رقم 1489، والثقات للعجلى 150 رقم 404 0
 - (4) البداية والنهاية 8/109، 110 0
 - (5) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص 105 0
 - (6) الرسالة للشافعى ص 281 رقم 772، والبداية والنهاية 8/110 0
 - (7) سير أعلام النبلاء 2/619 0
 - (8) تذكرة الحفاظ 1/33 0

وأعتقد أنه ليس هناك ما يدعوا إلى اتهام أبي هريرة بتلك الافتراءات، وقد تهيأت له الأسباب السابقة التي أعانتته على هذا التفوق في الرواية، وشهد له بذلك رسول الله (وكبار الصحابة، ومن بعدهم من أئمة المسلمين السابق ذكرهم (1) 0

... وأى غرابة في حفظ أبي هريرة أحاديث لم تبلغ خمسة آلاف وخمسمائة ومعلوم أن العرب قد اشتهروا وامتازوا بقوة حفظهم، ووجد في الصحابة والتابعين من كان آية عجباً في قوة الذاكرة، وسرعة الحفظ؛ فالإمام أحمد بن حنبل، والبخارى، وأبو زرعة، وأشباههم، كان كل واحد منهم يحفظ عشرات الألوف من الأحاديث بأسانيدها" (2) 0

... يقول الدكتور السباعي دفاعاً عن أبي هريرة : "إن صحابياً يظل يحدث الناس سبعاً وأربعين سنة بعد وفاة الرسول (على مسمع من كبار الصحابة، وأقرب الناس إليه من زوجته وأصحابه، ثم لا يلقي إلا تجلة وإعظاماً، يرجع إليه في معرفة الأحاديث، ويهرع إليه التابعون من كل جانب ... ويبلغ الآخزون عنه ثمانمائة من أهل العلم ... وكلهم يجمعون على جلالته والثقة به ... وتمر هذه القرون وكلها شهادات صدق في أحاديثه وأخباره ... ويأتي اليوم من يزعم أن المسلمين جميعاً ... لم يعرفوه على حقيقته، وأنه في الواقع كان يكذب ويفترى، إن موقفاً كهذا يقفه بعض الناس من مثل هذا الصحابي العظيم، لجدير بأن يجلب لأهله والقائلين به الاستخفاف، والازدراء بعلومهم، وعقولهم جميعاً (3) 0

(1) أصول السرخسي 340/1 0

(2) السنة ومناهج الحديث للدكتور رجب صقر ص 66 بتصرف 0

(3) السنة ومكانتها في التشريع ص 319 بتصرف يسير 0

... إن حب هذا الصحابي الجليل لعلامة على الإيمان وبغضه لعلامة على النفاق وهذا تصديقاً لدعوة النبي (لما سألته أبو هريرة بأن يدعو الله له بأن يحببه هو وأمه إلى عباده المؤمنين⁰ ويحببهم إليهما، فقال رسول الله (: "اللهم حبب عبديك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين" يقول أبو هريرة فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبنى (1) 0

... يقول الحافظ ابن كثير: "وهذا الحديث من دلائل النبوة، فإن أبا هريرة محبب إلى جميع الناس، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعددة في سائر الأقاليم في الإنصات يوم الجمعة بين يدي الخطبة، والإمام على المنبر، وهذا من تقدير الله العزيز العليم، ومحبة الناس له ((2) 0أهـ

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد السالوس : [هذا أبو هريرة وعاء العلم، فكيف نجد في عصرنا من ينسب نفسه للإسلام ويعرض عن قول رسول الله (، والصحابة والتابعين، والأئمة الأعلام الهداة المهديين، ويأخذ بقول الضالين المضلين؟! (3) 0

(1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي (

290/8 رقم 2491 0

(2) البداية والنهاية 108/8 0

(3) قصة المهجوم على السنة للدكتور على السالوس ص 88 0

(359/2)

هذا المسلك يفسره العلامة المرحوم الشيخ أحمد شاکر فيقول : "وقد لهج أعداء السنة، أعداء الإسلام، في عصرنا، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة، وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته⁰ وما إلى ذلك أرادوا، وإنما أرادوا أن يصلوا -زعموا- إلى تشكيك الناس في الإسلام، تبعاً لسادتهم المبشرين، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن، أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم، وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم، وما يتبعون من شعائر أوروبا وشرائعها⁰ ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن، ليوافق

تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون!!0

... وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً0
والإسلام يسير في طريقه قدماً، وهم يصيحون ما شاءوا، لا يكاد الإسلام يسمعهم، بل هو إما
يتخطاهم لا يشعر بهم، وإما يدمرهم تدميراً0

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى ما قال أولئك
الأقدمون! بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين، زائعين كانوا أم ملحدين، كانوا علماء مطلعين
أكثرهم ممن أضله الله على علم!! أما هؤلاء المعاصرون، فليس إلا الجهل والجرأة، وامتضاغ ألفاظ لا
يحسنوها، يقلدون في الكفر، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم!!" (1) 0
وبعد

فإن صحابة رسول الله (وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة هم خير جيل عرفته البشرية، وهم أبرز وجوه
حضارتنا، وأكثرها إشراقاً، وأخلدها ذكراً، وأنبأها أخلاقاً، وهم بشر، ولكنهم في القمة ديناً وخلقاً
رغم أنف الحاقدين0

(1) انظر : مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر 84/12-85 هامش 0

(360/2)

رضى الله عن صحابة رسول الله ، وعلى الحافظ علينا شرائع الدين أبي هريرة (وجعلنا الله (من
محببه، وجمعنا معه في واسع جنته (1) أ0ه0

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(1) انظر ترجمته في : الإصابة 425/7 - 445 رقم 10674، وتذكرة الحفاظ 32/1 رقم 16،
واسد الغابة 313/6 رقم 6326، والاستيعاب 1768/4 رقم 3208، وتجريد أسماء الصحابة

209/2، وتاريخ الصحابة ص 181 رقم 940، ومشاهير علماء الأمصار ص 21 رقم 46، وغير ذلك من المراجع السابقة⁰

(361/2)

المطلب الرابع

شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها

... إن لأهل الزيف والإحاد قديماً وحديثاً شبهات كثيرة يطعنون بها في عدالة الصحابة، وأساس تلك الشبهات الرافضة الذين فاقوا اليهود والنصارى في خصلتين كما قال الشعبي -رحمه الله- فيما رواه عنه ابن الجوزي في الموضوعات قال : " ... فضلت الرافضة على اليهود والنصارى بخصلتين⁰ سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب موسى -عليه السلام- وسئلت النصارى فقالوا أصحاب عيسى -عليه السلام-، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا حوارى محمد، وأمروا بالاستغفار لهم فسبوهم " (1) 0

... فمن مطاعنهم في عدالة الصحابة : ما استدلوا به من :

- 1- قوله تعالى : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمُّوا انْفِصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) (2) وقالوا نزلت في أكثر الصحابة الذين انفصوا عن رسول الله (إلى العير التي جاءت من الشام، وتركوه وحده في خطبة الجمعة، وتوجهوا إلى اللهو، واشتغلوا بالتجارة، وذلك دليل على عدم الديانة (3) 0

(1) الموضوعات 339/1 0

(2) الآية 11 من سورة الجمعة 0

- (3) مختصر التحفة الإثني عشرية ص 271 -272، وانظر الصافي في تفسير القرآن للكاشاني 701/2، وتفسير القمي لعلی بن إبراهيم القمي 367/2، ومجمع البيان للطبرسي 287/5، 288، وتفسير فرات الكوفي لفرات بن إبراهيم ص 185، وأعيان الشيعة لحسن الأمين 114/1، وأضواء على السنة لمحمود أبو رية ص 359، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 223، والإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن النعمان العكبري ص 37 0

2- واستدلوا أيضاً بما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن النفاق والمنافقين، وحملوها على أتقى خلق الله، وأطهرهم (رضوان الله عليهم أجمعين) كقوله تعالى : (وَمِنَ خَوَلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) (1) 0

... وأبدوا ذلك بما جاء في السنة المطهرة من أحاديث يطلق فيها لفظ الصحابة على المنافقين 0

(1) الآية 101 من سورة التوبة 0

مثل حديث جابر بن عبد الله (قال : "أتى رجلاً رسول الله (بالجعرانة مُنْصَرَفَهُ من حُنين 0 وفي ثوب بلال فِصَّةٌ ورسول الله (يقبض منها 0 يعطى الناس 0 فقال: يا محمد! اعدِلْ 0 قال "ويلك ومن يعدِلُ إذا لم أكنْ أَعْدِلُ؟ لقد خِبتُ وخَسِرْتُ إن لم أكنْ أَعْدِلُ" فقال عمر بن الخطاب (دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق 0 فقال : "معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي 0 إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم 0 يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية" (1) 0

(1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الزكاة باب ذكر الخواص وصفاتهم 170/4، 171 رقم 1063، وانظر : الفصول المهمة في تأليف الأمة لعبد الحسين الموسوي ص 203، والصحابة في نظر الشيعة الإمامية لأسد حيدر ص 31 - 32، ومقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول لمرتضى العسكري 8/1، ومعالم المدرستين له أيضاً المجلد 130/1، وأضواء على السنة محمود أبو رية ص 354، 356، والحسبة ص 60 وما بعدها، ولماذا القرآن ص 82 - 84 كلاهما لأحمد صبحي منصور، وانظر : له أيضاً مقاله (الصحابة بين القداسة والتكفير) مجلة روزاليوسف العدد 3564 ص 22-24، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص 335، 336، وركبت السفينة لمروان

خليفات ص 219 - 223، ومساحة للحوار لأحمد حسين يعقوب ص 131، 169، 171، ونظرية عدالة الصحابة له أيضاً ص 39، وأهل السنة شعب الله المختار لصالح الورداني ص 37، 102، ومع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح للدكتور علاء الدين القزويني ص 151، 153، والإفصاح في إمامة علي للشيخ محمد العكبري ص 37، 39، والخلافة المغتصبة لإدريس الحسيني ص 45، 91، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص 285 0

(364/2)

3- واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) (1) وقوله تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) (2) وقالوا الفرار من الزحف من أكبر الكبائر (3) 0

(1) الآية 155 من سورة آل عمران 0

(2) الآية 25 من سورة التوبة 0

(3) مختصر التحفة الإثني عشرية ص 273، وانظر : تفسير الصافي للكاشاني 691/1، وتفسير القمي لعلی إبراهيم القمي 287/1، والميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي 226/9، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 230، والإفصاح في إمامة علي بن أبطالب لمحمد بن النعمان العكبري ص 36، 41، ولقد شيعني الحسين لإدريس الحسيني ص 350 0

(365/2)

4- واستدلوا من السنة المطهرة : بقوله (: " ... ألا وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول : يا ربِّ أضحاي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) (1) فيقال : إن هؤلاء لا يزالوا مُرْتَدِّينَ على أعقابِهِمْ منذ فَارَقْتَهُمْ" (2) 0

(1) جزء من الآية 117 من سورة المائدة0

(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب قوله تعالى : "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ" 135/8 رقم 4625، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 210/9 رقم 2860 من حديث ابن عباس، واللفظ للبخارى وانظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص 272، وشبهات حول الشيعة لعباس الموسوى ص 115، 116، ثم اهتديت ل محمد التيجانى ص 119، 120، وأعيان الشيعة لحسن الأمين 117/1، ومعالم المدرستين : لمرتضى العسكري المجلد 1/132، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص 337، وركبت السفينة 224 - 228، ونظرية عدالة الصحابة ص 53-54، والخذعة رحلتى من السنة إلى الشيعة 98، ومع الدكتور موسى الموسوى للدكتور علاء الدين القزوينى ص 152، 153 - 159، والإفصاح فى إمامة على بن أبى طالب ص 30، 31، والخلافة المغتصبة ص 193، ولقد شيعنى الحسين ص 349، وأضواء على السنة ص 354-356، وأهل السنة شعب الله المختار ص 0 37

(366/2)

5- واستدلوا بقوله (: "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (1) وقالوا: تقاتل الصحابة فى صفين والجمل (2) 0

... واستدل آخرون بالطعن فى عدالة الصحابة بما تمليه عليهم عقولهم الضالة من فهم أعوج لسيرة الصحابة، وتاريخهم المجيد، كما فعل مفتى الماركسية خليل عبد الكريم (3) فى كتابه "مجتمع يثرب العلاقة بين الرجل والمرأة فى العهدين الحمدي والخليفي" فقد صور مجتمع المدينة المنورة بقيادة رسول الله (، وخلفائه الراشدين، وصحابته الأطهار، تصويراً شائناً قبيحاً، وجعله أشبه بمجتمع الحيوانات التى لا هم لها إلا إشباع الغرائز الجنسية بأى شكل، وبغير ضابط من دين أو خلق، غير مكترئين بالنصوص الدينية التى تمنعهم من هذا الهبوط" (4) 0

(1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الفتن، باب قول النبى (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض 29/13 رقم 7080، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان

معنى قول النبي (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض 332/1 رقم 65 من حديث جرير بن عبد الله 0)

(2) أضواء على السنة ص 354، وانظر : نظرية عدالة الصحابة لأحمد حسين يعقوب ص 53، والخلافة المغتصبة لإدريس الحسيني ص 93، والفتنة الكبرى (عثمان) لطف حسين ص 170-173، دين السلطان لنيازی عز الدين ص 34، 103، 110، 124، 795، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 241، 260، 267، والصلاة لمحمد نجيب 32 - 37، وحوار ومناقشة كتاب عائشة لهشام آل قطيط ص 312 وغيرهم 0

(3) خليل عبد الكريم : كاتب مصري معاصر، حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة حالياً 0 أطلق عليه "مفتي الماركسية" أونة، "والشيوعي الملتحي" آونة أخرى 0 انظر: السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 163 0

(4) انظر : مجلة الأزهر مقال "لا تسبوا أصحابي" لفضيلة الشيخ عبد المقصود عسكر عدد ربيع الأول 1418هـ - يولييه 1997 ص 384 0

(367/2)

... كما أصدر كتاباً آخر بعنوان "شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة" وهو من ثلاثة أسفار، الأول بعنوان "محمد والصحابة" والثاني "الصحابة والصحابة" والثالث "الصحابة والمجتمع" تناول فيها المؤلف تاريخ الصحابة، وسيرتهم بأسلوب فج قبيح ينبئ عن سوء فهمه، وجهله، وحقده الدفين، ضد صحابة رسول الله (، وكذلك فعل سعيد العشماوى (1) وغيرهم (2) الجواب عن الشبهات السابقة حول عدالة الصحابة)

إن ما استدل به الرافضة ومن تابعهم طعناً في عدالة الصحابة لا حجة لهم فيه لما يلي:
أولاً : قصة انفضاض أكثر الصحابة عن رسول الله (إلى العير القادمة من الشام، وتركهم خطبة الجمعة، إنما وقع ذلك في بدء زمن الهجرة، ولم يكونوا إذ ذاك واقفين على الآداب الشرعية كما ينبغي، كما أن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر كانوا قائمين عنده، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة 0

- (1) انظر : له الخلافة الإسلامية، وأصول الشريعة، وحصاد العقل وغير ذلك 0
- (2) سبق ذكر من طعن في الصحابة باقتحامهم بالكذب 0 وانظر : فيمن طعن في عدالة الصحابة بحجة أنهم بشر لا عصمة لهم 0 نقد الحديث في علم الرواية والدراية لحسين الحاج 350/1، 351، وإنذار من السماء ص 39، 154، 127، 69، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 396-426، والدولة والمجتمع محمد شحرور 160 وما بعدها، والإمام الشافعي لنصر أبو زيد ص 56، 55، والأصلان العظيمان ص 284 - 288 والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 24 - 28، 30، 65، 85،
- 0 261

(368/2)

فعن جابر بن عبد الله (قال : بينما النبي (يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت غير المدينة، فابتدروها (1) أصحاب رسول الله (حتى لم يبق منهم إلا اثني عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر ونزلت الآية: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) (2) ، ولذا لم يشفع عليهم، ولم يوعدهم سبحانه وتعالى بعذاب ولم يعاتب الرسول (أيضاً" (3) 0 ورد آخر على هذه القصة وهو : أنه ورد في بعض الأخبار أنها وقعت لما كان النبي (يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة، وانفضاضهم وقع في الخطبة، وليس في الصلاة كما هو الظاهر من بعض الروايات، والتي ركز عليها بعض الرافضة، كمحمود أبو رية (4) ، ومروان خليفات (5) ، وغيرهم 0 ... ويدل على أن الانفضاض كان في الخطبة ما جاء في رواية مسلم السابقة : بينما النبي (يخطب يوم الجمعة قائماً 0

-
- (1) ابتدروها : أي أسرعوا إليها 0 لسان العرب 48/4 0
- (2) الآية 11 من سورة الجمعة، والحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب تفسير "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" 511/8 رقم 4899، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجمعة، =باب في قوله تعالى : "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" 415/3 رقم 863 واللفظ له 0
- (3) مختصر التحفة الإثني عشرية ص 272 بتصرف، وانظر : روح المعاني للألوسي 107/28 0

(4) أضواء على السنة ص 359 0

(5) وركبت السفينة ص 223 0

(369/2)

يقول الحافظ ابن حجر : "ترجيح كون الانفضاض وقع في الخطبة لا في الصلاة، هو اللاتق بالصحابة تحسیناً للظن بهم، وعلى تقدير أن يكون في الصلاة حمل على أن ذلك وقع قبل النهی كآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (1) وقبل النهی عن الفعل الكثير في الصلاة ونزول قوله تعالى : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (2) 0

ويؤيد ذلك : ما رواه أبو داود في المراسيل أن هذه القصة كانت لما كان رسول الله (يصلي الجمعة قبل الخطبة، مثل العيدين، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الجمعة شيء، فأنزل الله (: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمُّوا انْفِصَاةً إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) (فقدم النبي (الخطبة يوم الجمعة وأخر الصلاة (3) 0

وهو ما رجحه أيضاً النووي في شرحه على مسلم (4) 0
وعلى كل تقدير أنه في الصلاة، فلم يكن تقدم لهم نهي عن ذلك، فلما نزلت آية الجمعة، وفهموا منها ذم ذلك، اجتنبوه" (5) 0

(1) الآية 33 من سورة محمد 0

(2) الآية 2 من سورة المؤمنون وانظر : فتح الباري 493/2 رقم 936 بتصرف يسير 0

(3) المراسيل ص 50 رقم 61 0

(4) المنهاج شرح مسلم 416/3، 417 رقم 863، وانظر : تفسير القرآن العظيم 367/4 0

(5) انظر : فتح الباري 493/2 رقم 936 0

(370/2)

... يقول الألوسى : "ورواية أن ذلك وقع منهم مراراً" إن أريد بها رواية البيهقى في شعب الإيمان (1) عن مُقاتِل بن حيان (2) أنه قال : بلغنى والله أعلم أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات، فمثل ذلك لا يلتفت إليه، ولا يعول عند المحدثين عليه، وإن أريد بها غيرها فليبين، ولتثبت صحته، وأنى بذلك؟ وبالجملة : الطعن في الصحابة بهذه القصة التى كانت من بعضهم فى أوائل أمرهم، وقد أعقبها منهم عبادات لا تخصى، سفه ظاهر، وجهل وافر" (3) 0

ثانياً : أما نسبة النفاق إلى خيار هذه الأمة بدعوى أنه كان فى المدينة منافقين، وأن النبى (أطلق لفظ الصحابة عليهم : "معاذ الله! أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى" 0

هذه الشبهة أوهى من بيت العنكبوت، وهى فرية واضحة لا تثبت لها قدم 0

-
- (1) الرواية أوردها السيوطى فى الدر المنثور : 166/8، ولم يعزها لغيره 0
- (2) هو: مقاتل بن حَيَّان التَّبَطُّيُّ، أبو بسطام البَلَخِيُّ، صدوق فاضل، اخطأ الأزدي فى زعمه أن وكيعاً كذبه، إنما كذب مقاتل بن سليمان 0 مات قبيل الخمسين بأرض الهند 0 له ترجمة فى : تقريب التهذيب 210/2 رقم 6891، وتذكرة الحفاظ 174/1 رقم 168، وطبقات المفسرين للداودى 329/2، وخلاصة تهذيب الكمال ص 330، ولسان الميزان 198/9 رقم 14548 0
- (3) روح المعانى للألوسى 107/28 0

(371/2)

أولاً : لأن إطلاق لفظ الصحابة على المنافق كما جاء فى الحديث هذا الإطلاق لغوى، وليس اصطلاحى نظير قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ) (1) وقوله تعالى : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (2) فإضافة صحبة النبى (إلى المشركين والكافرين إنما هى صحبة الزمان والمكان لا صحبة الإيمان، وذلك كقوله تعالى فى حق سيدنا يوسف - عليه السلام - : (يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرْأَيْتَ أَزْرَابًا مِّنْ تَقْرِثُونَ حَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (3) 0

فالصحبة فى الحديث الشريف، بمعناها اللغوى كما فى الآيات السابقة، وليست الصحبة الاصطلاحية، فتعريفها السابق يخرج المنافقين والمرتدين 0

(1) الآية 184 من سورة الأعراف0

(2) الآية 2 من سورة النجم، وفي هذه الآية وما في معناها بطلان لسؤال الرافضى مروان خليفات ومن قال بقوله0 قال : قال تعالى "وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ" الآية 101 من سورة التوبة، قال : فنصت الآية على أن هناك منافقين لا يعلمهم إلا الله فمن هم حتى نتجنب أخذ الأحاديث عنهم" أ0ه انظر : وركبت السفينة ص 230، 231، ونسى خليفات على فرض التسليم بزعمه، ما أفاض فيه رب العزة من ذكر أوصافهم في سورة التوبة، وغيرها من سائر سور القرآن، كما تناسى وعد الله المذكور في ختام الآية، وهو فضحهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم : "نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ" وإلا فالخطاب للنبي (كان في بدء الأمر ثم أعلمه رب العزة بأسمائهم، فضلاً عما== ذكر في القرآن من صفاتهم، ويؤكد هذا أخبار النبي (لحذيفة بن اليمان (بأسمائهم، وسيأتى قريباً ذكر الحديث0

(3) الآية 39 من سورة يوسف0

(372/2)

ثم كيف يكون المنافقون من الصحابة بالمعنى الاصطلاحي وقد نفاه عنهم رب العزة بقوله : (وَيَجْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنِكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ) (1) 0

ثم إن المنافقين لم يكونوا مجهولين في مجتمع الصحابة الكرام (ولم يكونوا هم السواد الأعظم، والجمهور الغالب فيهم، وإنما كانوا فئة معلومة آل أمرهم إلى الخزي والفضيحة، حيث علم بعضهم بعينه، والبعض الآخر منهم علم بأوصافه، فقد ذكر الله في كتابه العزيز من أوصافهم، وخصوصاً في سورة التوبة، ما جعل منهم طائفة متميزة منبوذة، لا يخفى أمرها على أحد، كما لا يخفى على أحد حالهم في زماننا0

فأين هذه الفئة المنافقة ممن أثبت الله لهم في كتابه نقيض صفات المنافقين، حيث أخبر عن رضاه عنهم، من فوق سبع سموات، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس" (2) 0

وبدل على ما سبق من قلة المنافقين في المجتمع الإسلامي، وأهم فئة معلومة تكفل رب العزة بفضحهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم0

ما رواه حذيفة بن اليمان (3) (صاحب سر رسول الله (في المنافقين0 قال : قال النبي (في أمي - وفي رواية - في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ربحاً حتى يلج

الجمال في سم الحياط 0 ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة، سراج من النار، يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم" (4) 0

(1) الآية 56 من سورة التوبة 0

(2) انظر : عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة للدكتور ناصر الشيخ 0 963/3

(3) له ترجمة في: الإستيعاب 334/1 رقم 492، واسد الغابة 706/1 رقم 1113، والإصابة 317/1 رقم 1652، وتاريخ الصحابة 73 رقم 267، ومشاهير علماء الأمصار ص 55 رقم 267 0

(4) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفات المنافقين 136/9، 137 رقم 2779 0

(373/2)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : كان رسول الله (في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين قد كان يقلص عنها الظل، قال : سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان فلا تكلموه، فدخل رجل أزرق، فقال رسول الله (على ما تسبني أنت وفلان وفلان، لقوم دعا بأسمائهم، فانطلق إليهم فدعاهم فحلفوا واعتذروا فأنزل الله (يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (1) 0

... أما ما استدلل به محمود أبو رية من قول "أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ، لسعد بن عباد إنك منافق تجادل عن المنافقين" وقوله فهو لاء البديون منهم من قال لآخر منهم : "إنك منافق ولم يكفر النبي لا هذا ولا ذاك" (2) 0

هذا الذي يزعمه الرافضي محمود أبو رية من فرط جهله، وتضليله وبتره لسبب ذلك القول 0

(1) الآية 18 من سورة المجادلة، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير، باب تفسير سورة المجادلة 524/2 رقم 3795، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه

الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة 282/5، 283 واللفظ له
(2) أضواء على السنة ص 359 0

(374/2)

وهو كما جاء في الصحيحين في قصة الإفك لما قال (وهو على المنبر : "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً" ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً" وما كان يدخل على أهلي إلا معي" فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه" وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت عائشة - رضي الله عنها - فقام سعد بن عباد (1) ، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله! لا تقتله، ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير (2) ، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عباد : كذبت لعمر الله! لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين ... " (3) 0

فكما هو واضح من قصة الحديث أن قول أسيد بن حضير لسعد بن عباد "إنك منافق" وقع منه على جهة المبالغة، في زجره عن القول الذي قاله حمية للخزرج، ومجادلته عن ابن أبي، وغيره 0

-
- (1) سعد بن عباد صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 30/2 رقم 3173، والاستيعاب 594/2 رقم 944، وأسد الغابة 441/2 رقم 2012، ومشاهير علماء الأمصار 15 رقم 20 0
- (2) أسيد بن حضير صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 49/1 رقم 185، وتاريخ الصحابة ص 30 رقم 25، ومشاهير علماء الأمصار ص 20 رقم 36، والاستيعاب 92/1 رقم 54، واسد الغابة 240/1 رقم 170 0
- (3) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب "لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ... إلى قوله هم الكاذبون" 306/8-308 = رقم 4750 ومسلم (بشرح النووي) كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف 115/9، 118 رقم 2770 0

(375/2)

ولم يرد أُسيّدُ بإطلاقه "فإنك منافق" لم يرد به نفاق الكفر، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس، ثم ظهر منه في هذه القصة، ضد ذلك فأشبهه حال المنافق، لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره⁰ ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي (1) وهو أقوى دليل على الخصم⁰

... ومع كل هذا فقد تقرر أن العدالة لا تعني العصمة من الذنوب، أو السهو، أو الخطأ، ومن فضل الله عليهم (أن وعدهم بالمغفرة، ولا سيما أهل بدر، وهم من أهلها فعن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب (كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة فأطلع الله تعالى عليه نبيه (فبعث علياً والزبير في أثر الكتاب فأدركا امرأة على بعير فاستخرجاه من قرن من قرونها، فأتيا به نبي الله (فقرئ عليه، فأرسل إلى حاطب فقال "يا حاطب إنك كتبت هذا الكتاب؟" قال نعم : يا رسول الله قال : "فما حملك على ذلك؟" قال : يا رسول الله، إني والله لنا صح لله، ولرسوله (، ولكني كنت غريباً في أهل مكة وكان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت عليهم، فكتبت كتاباً لا يضر الله ورسوله شيئاً، وعسى أن يكون فيه منفعة لأهلي⁰ قال عمر : فاخترطت سيفي وقلت : يا رسول الله أمكني منه فإنه قد كفر فأضرب عنقه⁰ فقال رسول الله (: "يا ابن الخطاب وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل هذه العصابة من أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فأني قد غفرت لكم" (2) أ⁰هـ⁰ ثالثاً : أما ما استدلوا به من فرار بعض الصحابة يوم الزحف في غزوتي أحد وحنين، ما استدلوا به حجة عليهم⁰

-
- (1) فتح الباري 330/8 رقم 4750 بتصريف، وانظر : منهاج السنة لابن تيمية 3/192 0
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أهل بدر 87/4 رقم 6966، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي⁰

(376/2)

ففي عتاب الفرار يوم أحد قال (: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) ثم ختم العتاب بقوله تعالى : (وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (1) 0 ولا تعبير بعد عفو الله تعالى عن الجميع (2) 0

وفي عتاب الفرار يوم حنين قال (: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ) ثم يمتن رب العزة عليهم بقوله تعالى : (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (3) 0 وهل تنزل السكينة إلا على قوم مؤمنين؟!

نعم تنزل السكينة على قوم مؤمنين ليزدادوا بها إيماناً مع إيمانهم، وصدق رب العزة : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (4) ويقول (: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (5) 0

وهل بعد تلك الشهادات العلا لهم بالإيمان والتقوى من تعبير؟؟!

(1) الآية 155 من سورة آل عمران 0

(2) روح المعاني للألوسي 99/4، وانظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص 273 0

(3) الآية 26 من سورة التوبة 0

(4) الآية 4 من سورة الفتح 0

(5) الآية 26 من سورة الفتح 0

(377/2)

رابعاً : أما استدلالهم بحديث الحوض، وما جاء فيه من وصف الصحابة بالردة 0 فهذا من زندقة الرافضة، ومن تلبيسهم، وتضليلهم 0

فإن المراد بالأصحاب هنا ليس المعنى الاصطلاحي عند علماء المسلمين، بل المراد بهم مطلق المؤمنين بالنبي (المتبعين لشريعته، وهذا كما يقال لمقلدى أبي حنيفة أصحاب أبي حنيفة، ولمقلدى الشافعي أصحاب الشافعي وهكذا، وإن لم يكن هناك رؤية واجتماع، وكذا يقول الرجل للماضين الموافقين له

في المذهب : "أصحابنا" مع أن بينه وبينهم عدة من السنين، ومعرفته (لهم مع عدم رؤيتهم في الدنيا بسبب أمارات تلوح عليهم يعرفها النبي 0)

فعن حذيفة قال: قال رسول الله (: "إن حوضي لأبعد من أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنِ (1)، والذي نفسى بيده! إني لأزودُ عنه الرجال كما يزودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضه"، قالوا: يا رسول الله! أو تعرفنا؟ قال : "نعم تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ 0 ليست لأحدٍ غَيْرُكُمْ" (2) 0

...

ولو افترضنا أن المراد بالأصحاب في الحديث، الأصحاب في زمنه 0 فالمراد بهم : الذين صاحبوه صحبة الزمان والمكان مع نفاقهم، كما سبق من قوله تعالى : (ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (3) 0 وعلى هذا فالمراد بالمرتدين من أصحابه في الحديث هم الذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق 0)

وقد علمت أن التعريف الاصطلاحي للصحابة يخرج من ارتد ومات على رדתه - والعياذ بالله - 0

-
- (1) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر حالياً) مما يلي الشام 0 معجم البلدان 347/1، وعدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن 0 معجم البلدان 100/4، وبحر الهند يسمى الآن المحيط الهندي 0
- (2) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء 137/2 رقم 248 0 وانظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص 272 0
- (3) الآية 2 من سورة النجم 0

(378/2)

وفي الحديث ما يؤيد المعاني السابقة، كقوله ("أصيحابي" بالتصغير، كما جاء في بعض الروايات، قال الخطابي : "فيه إشارة إلى قلة عدد من وقع لهم ذلك، وإنما وقع لبعض جفاة الأعراب، ولم يقع من أحد من الصحابة المشهورين" (1) 0 وفي قوله (: "فيقال" : هل شعرت ما عملوا بعدك" "فيه إشارة إلى أنه لم يعرف أشخاصهم بأعيانها، وإن كان قد عرف إنهم من هذه الأمة" (2) 0

أما حمل الحديث على أصحاب رسول الله (بالمعنى الاصطلاحي -فهذا ما لا يقوله مسلم!! وهو ما يدحضه ما سبق ذكره من تعديل الله (، ورسوله (، وإجماع الأمة على ذلك أ0ه0

خامساً : أما ما احتجوا به من حديث "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" والزعم بأن الصحابة استحل بعضهم دماء بعض في صفين والجمل0

... فالحق أن هذه الشبهة من أخطر الشبه التي احتج بها الرافضة الزنادقة، وأذيالهم من دعاة العلمانية، الذين اتخذوا من تلك الفتن مادة دسمة، طعنوا بها في عدالة الصحابة، وفتنوا بذلك عوام المسلمين، وممن لا علم له، بضربهم على (الوتر الحساس) وهو : دعوى ظلم الصحابة لآل بيت رسول الله (في تلك الفتن"0

وهذا ما فعله طه حسين في كتابه "الفتنة الكبرى - عثمان بن عفان ((3) 0 وقال بقوله محمود أبو رية (4) ، وغير واحد من دعاة الرافضة واللا دينية (5) 0

(1) انظر: فتح الباري 135، 136/8 رقم 4625، وانظر: تأويل مختلف الحديث ص 213-215 0

(2) فتح الباري 484/11 رقم 6593، ومختصر التحفة الإثني عشرية ص 273 0

(3) انظر : الفتنة الكبرى ص 170 - 173 0

(4) انظر : أضواء على السنة ص 360 - 362 0

(5) انظر : دين السلطان لنيازي عز الدين ص 34، 103، 110، 124، 795، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 260 وما بعدها0

(379/2)

حتى وجدنا من يجهر من الرافضة قائلًا : "معاوية بن أبي سفيان (- كافر ابن كافر - ولعنة الله على معاوية، فقد بغى على الحق، وخرج على طاعة الإمام على، وشتت شمل المسلمين، وفرق كلمتهم، فأساس فرقة المسلمين إلى الآن هو معاوية الذي خرج عن طاعة الإمام على بن أبي طالب ((1) 0

... والجواب عن هذا الإفك يطول (2) ، وهو بحاجة إلى تحقيق دقيق (3) 0 نكتفى هنا بملخص القول 0

وهو أنه لا حجة لهم في الحديث، ولا في الفتن التي وقعت بين سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين-، والتي أشعلها سلفهم من الخوارج، والرافضة، والزنادقة 0
فقله : "لا ترجعوا بعدى" 0 بصيغة النهي والتحذير من قتال المؤمن 0

... وإطلاق الكفر على قتال المؤمن مبالغة في التحذير من ذلك، لينزجر السامع عن الإقدام عليه وليس ظاهر اللفظ مراداً، أو أنه على سبيل التشبيه لأن ذلك فعل الكافر" (4) 0
والمعنى لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً (5) 0

(1) قال ذلك الرافضي حسن شحاته (قبحه الله تعالى) انظر: مجلة روز اليوسف العدد 3562 ص 35 0

(2) راجع إن شئت ما سبق من الجواب في الطعن في صحة إسلام سيدنا معاوية (ص 420-425 0

(3) ممن حقق في تلك الفتن الإمام ابن العربي في العواصم من القواصم، وابن تيمية في منهاج السنة 0
وغيرهما والأمر في حاجة إلى مزيد من التحقق 0 والله أعلم 0

(4) انظر : فتح الباري 30/13 أرقام 7076 - 7080 0

(5) انظر : المصدر السابق 262/1 رقم 121 0

(380/2)

... وقيل : المعنى كفاراً بجرمة الدماء، وحرمة المسلمين، وحقوق الدين، وقيل : كفاراً بنعمة الله، وقيل المراد ستر الحق، والكفر لغة الستر، لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه، وقيل: إن الفعل المذكور يفضى بالكفر، لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها فيخشى أن لا يختتم له بخاتمة الإسلام، وقيل: اللفظ على ظاهره للمستحل قتال أخيه المسلم 0 وقيل غير ذلك (1) 0

... وما جرى بين الصحابة (من قتال لم يكن عن استحلال له حتى يحمل الحديث على ظاهره وأن

قتالهم كفر، كما استدل الخوارج ومن شايعهم بقوله (: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" (2) 0

كيف والقرآن الكريم يكذبهم في هذا الفهم السطحي قال تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (3) 0

فسماهم أخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم، والبغى من بعضهم على بعض 0

(1) المصدر نفسه 201/12، 202 رقم 6868، 30/13 أرقام 7076 – 7080 0

(2) سبق تخريجه ص 577 0

(3) الآيتان 9، 10 من سورة الحجرات 0

(381/2)

... يقول الحافظ ابن كثير : "وبهذا استدل البخارى (1) وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخارى من حديث الحسن (2) ، عن أبي بكر (3) (قال : رأيت رسول الله (على المنبر -والحسن بن على إلى جنبه- وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (4)

(1) صحيح البخارى (شرح فتح البارى) كتاب الإيمان، باب المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بإرتكابها إلا بالشرك لقوله (لأبي ذر : "إنك امرؤ فيك جاهلية" وقول الله تعالى : "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" وباب "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" فسماهم مؤمنين 106/1 رقمى 30، 31 0

(2) الحسن هو : ابن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة 328/1 رقم 1719، والاستيعاب 383/1 رقم 555، وأسد الغابة 13/2 رقم 1165، ومشاهير

علماء الأمصار 12 رقم 6 0

- (3) أبو بكرة هو: نفيح بن مسروح بن كلده، صحابي جليل، له ترجمة: في الإصابة 571/3 رقم 8793،
واسد الغابة 334/5 رقم 5289، وتاريخ الصحابة ص 249 رقم 1373، ومشاهير علماء
الأمصار ص 48 رقم 220 والاستيعاب 1614/4 رقم 2877 0
(4) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلح، باب قول النبي (للحسن بن علي ("إن ابني
هذا سيد ... الحديث" وقوله جل ذكره "فأصلحوا بينهما" 361/5 رقم 2704 0

(382/2)

فكان كما قال (، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام، وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة، والواقعات
المهولة" (1) 0

... يقول الإمام ابن تيمية: "والذين قاتلوا الإمام على (لا يخلوا: إما أن يكونوا عصاة، أو مجتهدين
مخطئين أو مصيبين، وعلى كل تقدير، فهذا لا يقدح في إيمانهم، ولا في عدالتهم، ولا يمنعهم الجنة، بما
سبق من تصريح القرآن الكريم، من تسميتهم إخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، وتأكيد النبي (ذلك بما
سبق من رواية الحسن بن علي عن أبي بكرة (0

ولهذا اتفق أهل السنة على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداها أنهم كانوا بغاة
(2) والبغى إذا كان بتأويل كان صاحبه مجتهداً، والمجتهد المخطئ لا يكفر، ولا يفسق وإن تعمد البغى
فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة كالنوبة، والحسنات الماحية، والمصائب
المكفرة، وشفاعة النبي (ودعاء المؤمنين، وغير ذلك (3) 0
وعلى هذا القول إجماع الأمة من علمائها 0

يقول الإمام الآمدى : "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان
ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح
للمسلمين 0

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 0 211/4

- (2) ويعنون بهذه الطائفة التي بغت طائفة معاوية (ودليلهم في ذلك قوله (لعمار "تقتلك الفئة الباغية" أخرجه مسلم "شرح النووي" كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه 266/9 رقم 2916، من حديث أم سلمة -رضى الله عنها- وكان عمار (يقاتل مع الإمام على (والوصف بالبغي هنا لا ينفي عنهم العدالة كما تشهد بذلك آية الحجرات في قوله تعالى : "فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ" 0
- (3) منهاج السنة 205/2 بتصرف وانظر : أصول الدين للبغدادى ص 289 وما بعدها 0

(383/2)

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما قال محمد بن سيرين :
"هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله (عشرة آلاف فما حضر منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين" وإسناد
هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض (1) 0

وعلى هذا فالذى خاض في تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيباً، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهاده مأجور عليه 0
وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع" (2) 0

يقول الإمام الجويني : "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا الخن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام" (3) 0هـ
...

(1) منهاج السنة 186/3 0

(2) الإحكام للآمدي 82/2 بتصرف وانظر : فواتح الرحموت 155/2، 156، والبحر المحييط 299/4، وإرشاد الفحول 275/1، والباعث الحثيث ص 154، وعقيدة أهل السنة في الصحابة

الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث (الحرب التي دارت بين علي بن أبي طالب، وبعض الصحابة -
رضى الله عنهم- وموقف أهل السنة منها 700/2 - 748، وانظر : الرد القويم على الجرم الأثيم
للشيخ التويجري ص 182-184 0
(3) البرهان في أصول الفقه 241/1، 242 0

(384/2)

وأخيراً : دع عنك - أخى المسلم - ترهات المبتدعة الذين يجادلون في عدالة الصحابة جميعاً -
وينفون العدالة عن بعضهم - اتباعاً للهوى أو انقياداً للشيطان 0 وأشد سخفاً من ذلك، ما يتجرأ به
البعض في زماننا هذا حينما يتحدثون عن الصحابة بأسلوب غير لائق، وينصب نفسه حكماً فيما
شجر بينهم من خلاف، ويقبل رواية هذا، ويرفض رواية ذلك، وهو لا يملك سبباً واحداً من أسباب
ذلك كله" (1) 0

واعلم أن أمثال هؤلاء لهم خبيثة سوء، ومتهمين في دينهم، يدل على ذلك ما روى عن الإمام أحمد
بن حنبل (أنه سئل عن رجل تنقص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضى؟ فقال : إنه لم يجترئ
عليهما إلا وله خبيثة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء" 0 وفي رواية أخرى
قال : "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام" (2) 0

ويسئل الإمام النسائي عن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما - فيقول : "إنما الإسلام كدار لها
باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب - أى نقبه -
إنما يريد دخول الدار، قال : فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة (3) 0
وصدق عمر بن عبد العزيز "تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا تخضب بها السنتنا" (4) 0
والله تبارك وتعالى
أعلى أعلم

المطلب الخامس

سنة الصحابة (حجة شرعية

... إذا كان أعداء الإسلام يشككون في عدالة الصحابة (فهم أيضاً يشككون في سنتهم، وسنة الخلفاء الراشدين⁰

-
- (1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة الدكتور مروان شاهين ص 95 0
 - (2) البداية والنهاية 8/142 0
 - (3) تهذيب الكمال للحافظ للمزى 1/339 ترجمة الإمام النسائي 0
 - (4) انظر : فتح المغيـث للسـخاوي 3/96 0

(385/2)

يقول محمد شحرور : "إذا سألتني سائل الآن ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم القرآن؟ فجوابي بكل جرأة و يقين هو : كلا لا يسعني ما وسعهم، لأن أرضيتي العلمية تختلف عن أرضيتهم، ومناهج البحث العلمي عندي تختلف عنهم، وأعيش في عصر مختلف تماماً عن عصرهم والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياتهم" (1) 0

... والحق أن هذا كلام من يرى الشريعة الإسلامية قرأناً وسنة غير صالحة لكل زمان ومكان، فكلامه هو وغيره من أعداء السنة المطهرة في سنة الصحابة لا قيمة له⁰

لأن سنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأي، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسیناً للظن بهم، وجزم بذلك الرازي في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث (2) 0

وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك⁰

-
- (1) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 567، وانظر: منع تدوين الحديث لعلی الشهرستاني 142، 133، 166، 249، 334-340، 503، وركبت السفينة لمروان خليفات ص 280، ونظرية عدالة الصحابة لأحمد حسين يعقوب 56-58، والإفصاح في إمامة علي بن أبي

طالب محمد العكبري ص 140، 141، والخلافة المغتصبة لإدريس الحسني، وغيرهم ممن طعنوا في عدالة الصحابة⁰

(2) انظر : الحضور 221/2، والإحكام للآمدى 87/2، وأعلام الموقعين 123/4، وفتح المغيـث للسخاوي 144/1، وتدريب الراوي 190/1، 191، وتوضيح الأفكار 280/1 0

(386/2)

والراجع من هذا الخلاف (1) أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأي غير واحد من أئمة الأصول، منهم الشاطبي - رحمه الله - فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال : "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به⁰

... ثم استدل الشاطبي لما رجع بأدلة منها :

- 1- ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي (لقوله) : "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ" (2)
- 2- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعد قول الصحابي على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء - وإن ترجح عند العلماء خلافها - ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي هو المعتمد في المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجدد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجددهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيتهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلاً عن النظر معهم فيما نظروا فيه⁰
- ... ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تركيتهم والحث على متابعتهم⁰

(1) انظر : الأدلة المختلف فيها وأثرها في الفقه الإسلامي للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص

303، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، باب ما جاء في قول الواحد من الصحابة 437/1 0
(2) سبق تخريجه ص 38 0

(387/2)

فعن ابن مسعود (قال : "من كان مستنّاً فليستن (1) بأصحاب محمد (فإنهم كانوا أبر هذه الأمة
قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه،
 وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (2) 0

... وقال عمر بن عبد العزيز : "سن رسول الله (، وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب
الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتدٍ، ومن استنصر بها منصور، ومن
خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيراً0
... وفي رواية بعد قوله -وقوة على دين الله - ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأى
خالفها، من اهتدى بها مهتد ... الحديث" (3) 0 فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك" (4)
والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيراً منها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه أعلام
الموقعين عن رب العالمين (5) 0

- (1) ذهب الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة إلى أن هذا هو الأصح في بداية الأثر، وأن ابن قيم الجوزية،
وابن عبد البر، تأولاه (من كان متأسيّاً) انظر: لحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص 38 0
- (2) أخرجه البغوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء 214/1، وأخرجه ابن
عبد البر في جامع بيان العلم 97/2، وذكره ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين 139/4 0
- (3) سبق تخريجه ص 39 0
- (4) الموافقات 452/4 - 455، وانظر : الاعتصام 519/2 0
- (5) أعلام الموقعين 118/4 - 156، وانظر : الرسالة للشافعى ص 596 فقرات رقم 1682،
1805 - 1811 0

(388/2)

... ويقول الإمام الشاطبي في موضع آخر من كتابه مبيناً أن بيان الصحابي حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال في صحته أيضاً، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) (1) وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه السرخسي (2)، عن أبي حازم القاضي (3)

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بياهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل⁰ ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان، من وجهين :

أحدهما : معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة⁰

ثانيهما : مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية" (4) ⁰

(1) جزء من الآية 6 من سورة المائدة⁰

(2) أصول السرخسي 317/1، وانظر : علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي للشيخ أحمد إبراهيم ص 24، 25 ⁰

(3) أبو حازم هو : سلمة بن دينار المخزومي، عالم المدينة، وقاضيه، وشيخها، قال فيه ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث مات سنة 140هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 376/1 رقم 2496، وتذكرة الحفاظ 133/1 رقم 119، وشذرات الذهب 208/1، والعبر 189/1، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 60 رقم 117 ⁰

(4) الموافقات 300/3، 301 ⁰

... ويقول في كتابه الاعتصام : "الصحابة هم المتقلدون لكلام النبوة، المهتدون للشرعية، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقى من نبيه مشافهة على علم، وبصيرة بمواطن التشريع، وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم : فإذا كل ما سنوه، فهو سنة، من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر رداً وقبولاً" (1) 0

سنة الصحابة مصدراً للأحكام الدستورية :
يقول المستشار الدكتور على حريشة بعد أن رد اعتراضات المنكرين لحجية مذهب الصحابي (2) ،
قال : وسنة الصحابة يمكن أن تكون مصدراً للأحكام الدستورية : ولقد كان نظام الخلافة وليد
اجتهاد الصحابة فضرورة البيعة - وهي مظهر رضا المسلمين - كانت عليها سنة الصحابة، فلم يل
أحدهم دون بيعة، ولم يكن الاستخلاف بالنسبة لمن استخلفوا إلا ترشيحاً، واستمرار الخلافة مدى
حياة الخليفة ... كان سنة للصحابة، تحقق بها ميزات عجز عنها كل من النظام الجمهوري، والنظام
الملكي على السواء، فقد وفرت الثبات الذي ينقص الأنظمة الجمهورية، ونفت التوارث الذي يعيب
الأنظمة الملكية 0

... وهكذا يتبين أن سنة الخلفاء كانت مصدراً لكثير من الأحكام الدستورية على غير ما يذهب إليه
بعض "المجتهدين" "المحدثين" (3) 0أهـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

(1) الاعتصام 519/2 0

(2) مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص 42 - 48 0

(3) كالأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى في كتابه مبادئ نظام الحكم في الإسلام ص 263، وفي كتابه
ترديد لكثير مما قاله على عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، انظر : مصادر الشريعة
الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص 49 0

المطلب الرابع
الجواب عن دعوى تقصير المحدثين
في نقدهم للمتن

... إن دعوى تقصير المحدثين في نقدهم للمتن واعتمادهم على السند، أطلقها بعض المستشرقين (1) الحاقدين للنيل من ديننا، ومن هذا العلم الشريف الذي خص الله به هذه الأمة على سائر الأمم، وهي دعوى باطلة تبناها من سار على هديهم من دعاة اللادينية (2) ، وتأثر بها بعض المسلمين (3)

0

-
- (1) انظر : العقيدة والشريعة ص 50، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 508، وانظر : دائرة المعارف الإسلامية 337-335/7 0
- (2) أضواء على السنة ص 288 وما بعدها، وإعادة تقييم الحديث ص 118 وما بعدها، والسلطة في الإسلام ص 259، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث ص 91، ودليل المسلم الحزين ص 59، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 173، 180، 352، 384، 655، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 117، والإسلام والعقلانية لجمال البنا ص 37 وما بعدها، وأهل السنة شعب الله المختار ص 24، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 13، 33، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة ص 81 وما بعدها وغير ذلك 0
- (3) انظر : فجر الإسلام 217، 218، وضحي الإسلام 130/2، 132 وظهر الإسلام 48/2، وانظر : حياة محمد للدكتور محمد هيكل ص 55، ومصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ص 21 وغيرهم 0

(391/2)

... يقول الأستاذ الصديق بشير : "وسبب فساد هذا الزعم لو أحسنا الظن بقائله من المستشرقين؛ أن المنهج النقدي للأخبار عند الغربيين منصب على المتن وحده، ولم ينل السند عندهم كبير نصيب لأنهم لا يعولون عليه، وإن تكلموا عن السند فلا يتعدى بعض المفاهيم النظرية التي ليس لها رصيد في واقعهم النقدي وذلك مخالف للمنهج النقدي عند المسلمين فقد طبق عملياً بشكل واسع ومنقطع

النظير، وهى قفزة عريضة لم يصلها الأوروبيون حتى اليوم، وأنى لهم ذلك وأخبارهم القديمة منقطعة
الأسانيد قد ينسوا أن يصلوها (1) 0

ورحم الله ابن حزم إذ يقول : "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي (مع الاتصال، خص الله به المسلمين
دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعصال، والطرق المشتملة على كذاب أو مجهول الحال، فكثير
في نقل اليهود والنصارى (2) ، وغيرهم من أهل الملل الأخرى وأهل البدع والأهواء0

... ويبدو تهاافت دعوى تقصير المحدثين في تقديمهم للمتن بما اشترطه أصحاب الحديث لصحة الخبر،
وبما وضعوه من علامات يعرف بها وضع الخبر0

وكيف يهتمون بضبط المتن وما قام علم الحديث دراية إلا لخدمة علم الحديث رواية!! وتعبير آخر ما
كانت علوم الحديث بأسرها إلا لضمان ضبط المتن، والتأكد من صحة نسبته إلى النبي (0

... ولا نبالغ إذا قلنا أن الشروط الخمسة التي وضعها علماء الحديث لصحة الخبر كلها شروط
لضبط المتن، وما يبدو من ظاهر الشروط لضبط السند هو في حقيقة الأمر يتعلق بالمتن ظاهراً
وباطناً0

فالشروط الثلاثة الأولى لصحة الخبر وهى اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبط الراوى هى في
الظاهر شروط خاصة بضبط السند0 وفى الحقيقة أن فقدان أى شرط منهم يخل بضبط المتن0

(1) ضوابط الرواية عند المحدثين ص 39، 40 0

(2) الفصل في الملل والنحل 81/2 – 84 بتصرف، وانظر: تدريب الراوى 159/2 0

(392/2)

-
- 1- لأن عدم اتصال السند ينتج عنه أنواع من الحديث الضعيف : المنقطع، والمعضل، والمعلق،
والمدلس، والمرسل، وكلها تخل بصحة المتن0
 - 2- وفقدان عدالة الراوى ينتج عنها من الحديث الضعيف المخل بضبط المتن0 الموضوع، والمتروك،

والمنكر⁰

3- وفقدان ضبط الراوى ينتج عنه من أنواع الضعيف المخل بضبط المتن : المدرج، والمقلوب، والمضطرب، والمصحف، والمحرّف، وغير ذلك⁰

فماذا بقى من شروط صحة الخبر سوى شرطى عدم الشذوذ، وعدم العلة، وفقداهما ينتج عنهما الحديث الشاذ، والمعلل، وهما يخلان بضبط المتن⁰

فأين من كل هذا ما يفترى كذباً على المحدثين من عدم اهتمامهم بنقد المتن عشر معشار السند؟! ... إن علماءنا لم يفرقوا هذا التفريق الظاهر بين تقديمهم لسند الحديث، وتقديمهم للمتن وليس أدل على ذلك ما قرروه من أنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن⁰

فصحة السند لا يلزم منها صحة المتن، إذ قد يكون شاذاً أو معللاً أو موضوعاً معناه باطلاً، كما أنه لا يلزم من ضعف السند، ضعف المتن إذ يجى بسند آخر صحيح⁰

ومن هنا قيدوا فى حكمهم على الحديث بالصحة أو بالحسن أو بالضعف بالإسناد دون متن الحديث فيقولون : إسناد صحيح دون حديث صحيح، وإسناد حسن، أو إسناد ضعيف، دون حديث حسن، أو حديث ضعيف⁰

... "والحاصل أنه لا تلازم بين الإسناد والمتن، إذ قد يصح السند أو يحسن لاستجماع شرائطهما، ولا يصح المتن لشذوذ أو علة وقد لا يصح السند، ويصح المتن، من طرق أخرى" (1) ⁰

(1) توضيح الأفكار للصنعاني 1/234 ⁰

(393/2)

يقول الدكتور صبحى الصالح مؤكداً عدم تفرقة المحدثين بين السند والمتن فى حكمهم على الحديث : "على أننا لن نرتكب حماقة التى لا يزال المستشرقون، وتلامذتهم المخدوعون بعلمهم "الغزير" يرتكبونها كلما عرضوا للحديث النبوى، إذ يفصلون بين السند والمتن مثلما يفصل بين خصمين لا يلتقيان أو صرتين لا تجتمعان، فمقاييس المحدثين فى السند لا تفصل عن مقاييسهم فى المتن إلا على سبيل التوضيح والتبويب والتقسيم⁰

وإلا فالغالب على السند الصحيح أن ينتهى بالمتن الصحيح، والغالب على المتن المعقول المنطقي الذى لا يخالف الحس أن يرد عن طريق سند صحيح (1) 0

... وليبيان أن المحدثين لم يفرقوا بين السند والمتن التفريق الظاهر في مباحثهم، وأن كلامهم على السند هو كلام عن المتن ومن أجله، نذكر بعض الأمثلة على ذلك :

1- منها زيادة الثقات فهي كما لا يخفى ترتبط بالمتن لأنها زيادة تطراً عليه من راوٍ ثقة 0 قال ابن حجر : "وزيادة راويهما - أى الصحيح والحسن - مقبولة ما لم تقع منافيه لرواية من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة، لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافى بينها، وبين رواية من لم يذكرها، فهذه تقبل مطلقاً، لأنها في حكم الحديث المستقل الذى ينفرد به الثقة، ولا يرويه عن شيخه غيره 0

(1) علوم الحديث ومصطلحه ص 283 0

(394/2)

... وإما أن تكون منافية بحيث يلزم من قبولها، رد الرواية الأخرى فهذه التى يقع الترجيح بينها، وبين معارضها، فيقبل الراجح، ويرد المرجوح" (1) 0 ومثل لذلك بحديث ابن مسعود (قال : سألت رسول الله (أى العمل أفضل؟ قال الصلاة لوقتها" (2) زاد الحسن ابن مكرم، وبندار بن بشار في روايتهما : في أول وقتها، وصححها الحاكم (3) وغيره 0 وهى مقبولة فهل الكلام على السند هنا إلا لضبط المتن وأجله 0

2- ومنه "المصحف" وهو الذى وقع فيه تصحيف، ويكون فى الإسناد والمتن 0 ومن الثانى حديث : "احتجر النبى (فى المسجد (4) 0 أى اتخذ حجرة، صحيفة بعضهم بقوله : "احتجم" وهذا القسم من تصحيف اللفظ، وقد يكون فى المعنى كمن سمع خطيباً يروى حديث : "لا يدخل الجنة قنات" (5) ، فبكى وقال : ما الذى أصنع، وليست لى حرفة سوى بيع القنات؟ يعنى الذى يعلف الدواب" (6) 0

(1) نزهة النظر ص 30 0

(2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها 12/2

رقم 527 ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال
350/1، 351 رقم 137 0

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الصلاة، باب في مواقيت الصلاة 300/1 رقمى 674،
675 وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر: تدريب الراوى 248/1
(4) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب صلاة الليل 251/3 رقم 731،
ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته
325/3، 326 رقم 781 من حديث زيد بن ثابت (0)

(5) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر 487/10
رقم 6056، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب غلط تحريم النميمة 389/1 رقم 169 من
حديث حذيفة)

(6) فتح المغيـث للسخاوى 69/3، وانظر: علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص 254-262
0

(395/2)

... يقول الأستاذ الصديق بشير : "ولعل من أوسع المباحث المتعلقة بنقد المتن والتي تفوق فيها علم
الحديث، على منهج النقد الغربى للمضمون والمتن مبحث "تحرى النص، والجئى باللفظ" 0 وهذه كما
يقول أسد رستم : "مأثرة أخرى من مآثر علماء الحديث فإنهم قالوا بالأمانة فى نقل الحديث، وفرضوا
وجوب تحرى النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلى، ومنهم من أبى أن يقوم اللحن أو أن يصلح
الخطأ واكتفى بإبداء رأيه على الهامش (1) 0

وأسد رستم يشير بذلك إلى ما اشترطه أرباب هذا الفن فى عدم جواز الرواية بالمعنى "إن لم يكن
الراوى عالماً بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينها 0
ففى هذه الحالة يتعين على الراوى الرواية باللفظ الذى سمعه، ولا تجوز له الرواية بالمعنى بلا خلاف"
0 (2)

وهل كل ذلك إلا حفاظاً من المحدثين على سلامة المتن؟

... وليس أدل على عناية المحدثين بنقد المتن من جعلهم من أمانة الحديث الموضوع، مخالفته للعقل،

أو المشاهدة والحس، مع عدم إمكان تأويله تأويلاً قريباً محتملاً، وأنهم كثيراً ما يردون الحديث لمخالفته للقرآن، أو السنة المشهورة الصحيحة، أو التاريخ المعروف مع تعذر التوفيق" (3) 0

-
- (1) مصطلح التاريخ ص 33، وانظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص 46 0
- (2) تدريب الراوى 98/2، وراجع : إن شئت ما سبق في الجواب على شبهة رواية الحديث بالمعنى ص 368-369 0
- (3) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص 31، ولزيد في الرد على هذه الشبهة انظر : منهج النقد عند علماء الحديث، والسنة المطهرة والتحديات كلاهما للدكتور نور الدين عتر، ومنهج نقد المتن عند علماء الحديث للدكتور صلاح الدين الأدلبي، واهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم للدكتور محمد لقمان السلفى 0

(396/2)

... ومن نماذج سبر المحدثين المتن في نقدهم للحديث خبر وضع الجزية عن يهود خيبر، وهو ما حكاه غير واحد من العلماء؛ كالحافظ السبكي (1)، وابن كثير (2)، والسخاوى (3) "أن بعض اليهود أظهروا كتاباً، وادعوا أنه كتاب رسول الله (بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة بعض الصحابة) وذكروا أن خط على (عليه 0 وحمل الكتاب في سنة سبع وأربعين وأربعمائة إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم على بن الحسن وزير القائم بأمر الله الخليفة العباسي، فعرضه رئيس الرؤساء، على الحافظ الخطيب البغدادي، فتأمله ثم قال : هذا مزور 0

... فقليل له : من أين لك هذا؟ قال : فيه شهادة معاوية، وهو إنما أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة، وفتح خيبر كان في سنة سبع، ولم يكن معاوية مسلماً في ذلك الوقت، ولا حضر ما جرى في خيبر، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وهو قد مات في سنة خمس، في يوم بنى قريظة، قبل فتح خيبر بستين، فاستحسن ذلك منه رئيس الرؤساء، واعتمده وأمضاه، ولم يجز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره وبطلانه 0

... وقد سبق الحافظ الخطيب البغدادي إلى كشف كذب هذا الكتاب وتزويره : الإمام ابن جرير الطبري، كما حكاه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية" (4) 0

-
- (1) طبقات الشافعية الكبرى 0 35/4
 - (2) البداية والنهاية 108/12 – 109 0
 - (3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص 24، 25 0
 - (4) البداية والنهاية 109/12 0

(397/2)

وتعرض الحافظ ابن قيم الجوزية لهذا الكتاب المزور بأيدي اليهود في كتابيه "أحكام أهل الذمة" (1) ، و"المنار المنيف في الصحيح والضعيف" (2) ، وبين كذبه وتزويره من عشرة وجوه، ثم قال وأحضر هذا الكتاب بين يدي شيخ الإسلام ابن تيمية، وحوله اليهود يزفونه ويجلُّونه، وقد غشى بالحرير والديباج، فلما فتحه وتأمله بزق عليه وقال : هذا كذب من عدة أوجه 0 وذكرها، فقاموا من عنده بالذل والصغار" (3) 0

بكل ما سبق تسقط دعوى تفصير المحدثين في نقدهم للمتن 0هـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

-
- (1) أحكام أهل الذمة 7/1 – 9 0
 - (2) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص 102 – 105، وانظر : لمحات من تاريخ السنة للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 170 – 172 0
 - (3) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص 105 0

(398/2)

الفصل الرابع

وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث

... وتحت تهديد ومبحثان :

التمهيد ويتضمن :

بيان أن الإسناد دليلنا على صحة الكتاب والسنة⁰

وهدف أعداء الإسلام من الطعن في الإسناد⁰

المبحث الأول : شبه الطاعنين في الإسناد والرد عليها⁰

المبحث الثاني: أهمية الإسناد في الدين، واختصاص الأمة الإسلامية به عن سائر الأمم

التمهيد

ويتضمن بيان أن الإسناد دليلنا على صحة الكتاب والسنة، وهدف أعداء الإسلام من الطعن في

الإسناد⁰

... الطعن والتشكيك في الإسناد كان ولا يزال، هدفاً من أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً،

للتشكيك في الوحي الإلهي - قرآنًا وسنة-⁰

فالإسناد دليلنا على صحة كتاب ربنا (، وسنة نبينا (، فمن المعلوم أن لصحة أى قراءة من القرآن

وقبولها؛ لا بد أن يتوافر فيها ثلاثة شروط :

1- صحة إسنادها⁰

2- موافقتها للغة العربية ولو بوجه⁰

3- موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالاً⁰

... وإذا اختل أى ركن من هذه الأركان كانت القراءة شاذة، ولا تعد قرآنًا حتى ولو كانت من

القراءات السبع وفي ذلك أنشد صاحب الطيبة فقال :

وكل ما وافق وجه النحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوى

وصح إسناداً، هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

... شذوذه لو أنه في السبعة (1)

وحيثما يختل ركن أثبت

...

أليس في هذا دليل على أن القرآن الكريم منقول بالإسناد أيضاً؛ كالحديث؟
نعم هناك فرق بين القرآن وبين الحديث في عدد الرواة النقلة؛ فالقرآن منقول بالتواتر، والحديث
منقول برواية رجال معدودين، ولكنهم ليسوا مجاهيل بل هم رجال مشهورون، أحوالهم معلومة،
وأسانيدهم محفوظة⁰

وهذا الفرق يقتضى التفاوت في درجات اليقين والثوق، لا في نفس القبول والاعتبار (2) "0

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن 416/1، وانظر : فتح الباري 649/9 رقم 4991 0

(2) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للسيد سليمان الندوى ص 10، 11 0

(399/2)

... وإذا كان القرآن منقولاً بالرواية، فالطعن في الإسناد طعن في الدين، وإبطال للكتاب والسنة وهو
ما صرح به (شاكِر) -رأس الزنادقة في عصره- عندما سئل عن سر تعليمهم المتعلم فيهم أول ما
يعلمونه الطعن في الصحابة، وهم أول رجال السند قال : "إنا نريد الطعن على الناقلة فإذا بطلت
الناقلة أوشك أن نبطل المنقول"⁰

وصدق الإمام أبو زرعة الرازي -رحمه الله- : "... هؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب
والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة (1) "0

... ومن هنا كان أهل الإلحاد قديماً وحديثاً يحرصون على الطعن والتشكيك في الإسناد الذي هو
خصيصة فاضلة لهذه الأمة ولم يكن هناك شئ أثقل عليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد⁰
يدل على ما سبق ما رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث قال : "سمعت الشيخ أبا بكر أحمد ابن

إسحاق الفقيه (2) وهو يناظر رجلاً، فقال الشيخ : حدثنا فلان⁰ فقال له الرجل : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا⁰ فقال له الشيخ : قم يا كافر، ولا يحل لك أن تدخل دارى بعد هذا، ثم التفت إلينا فقال : ما قلت قط لأحد لا تدخل دارى إلا لهذا" (3) ⁰

وروى الحاكم أيضاً عن أحمد بن سلام الفقيه قال : "ليس شئ أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد (4) ⁰"

(1) راجع : ص 600، 601 ⁰

(2) أحمد بن إسحاق : هو أبو بكر، أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى الفقيه، كان عالماً بالحديث والرجال، والجرح والتعديل، وفى الفقه كان المشار إليه فى وقته، ثقة مأمون⁰ سمع منه كبار الحفاظ، منهم أبو عبد الله الحاكم، وكلما روى عنه وجمع بينه وبين جماعة يقول: أبو بكر هو الإمام المقدم⁰ له ترجمة فى: الإرشاد فى معرفة علماء الحديث للحافظ الخليل القزوينى ص 318، 319 ⁰

(3) معرفة علوم الحديث ص 4 ⁰

(4) المصدر السابق ص 4 ⁰

(400/2)

... وتابع هؤلاء السلف خلفهم من المستشرقين ودعاة اللادينية، فذموا الإسناد، وذموا المحدثين لاهتمامهم به، وطعنوا فى بداية استعمال الأسانيد فى الأحاديث النبوية، وزعموا أن الأسانيد مختلفة من قبل المحدثين، إلى غير ذلك من طعوتهم التى نستعرضها ونجيب عليها فى المبحث التالى :

المبحث الأول

شبه الطاعنين فى الإسناد والرد عليها

... ذهب بعض أعداء الإسلام من المستشرقين إلى التشكيك فى بداية استعمال الأسانيد فى الأحاديث النبوية⁰

فذهب "شاخ" إلى أن الفتنة المذكورة فى قول محمد بن سيرين "لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى

وقعت الفتنة ... " (1) هي فتنة الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة 126هـ

يقول شاخت : "ويروى عن التابعي ابن سيرين أن الناس لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى كانت الفتنة، وسوف نرى فيما بعد أن الفتنة التي اندلعت بمقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة 126هـ، قبيل نهاية الحكم الأموي تتفق في الزمن مع نهاية خير القرون التي سادت في أثنائها السنة النبوية، وحيث أن ابن سيرين توفي سنة (110هـ) فلنا أن نستنتج من ذلك أن هذه العبارة موضوعة عليه 0 وعلى أية حال ليس هنالك ما يدعو إلى افتراض أن استعمال الإسناد بشكل منتظم قد حدث قبل بداية القرن الثاني للهجرة (2) 0

... ويذهب مستشرق آخر وهو "روبسون" إلى أن الفتنة المقصودة في كلام ابن سيرين هي فتنة عبد الله بن الزبير سنة (72هـ) عندما أعلن نفسه خليفة، بحجة أن تاريخ هذه الفتنة يتوافق مع مولد ابن سيرين، ووجود كلمة الفتنة في موطأ الإمام مالك التي تشير إلى فتنة ابن الزبير" (3) 0

(1) سبق تخريجه ص 128 0

(2) أصول الفقه المحمدي ترجمة الأستاذ الصديق البشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11 ص 689، 699 0

(3) نقلاً عن دارسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي 395/2، وضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص 64 0

(401/2)

... وهدفهم من ذلك كما صرح شاخت، التشكيك في الجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة في كتب السنة المطهرة، وأنه قد اختلقها المحدثون في القرن الثاني الهجري، بل وفي القرن الثالث أيضاً 0 والنتيجة أن متون تلك الأسانيد مختلقة أيضاً، وتلك هي غايتهم من الطعن في بداية استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية 0

ويذهب جولدتسيهر إلى أن أسانيد الأحاديث مخترعة من قبل المحدثين فيقول : "هناك بعض الناس لا

يشعرون بأى تردد فى اختراع أسماء جديدة يخدمون بها المستمعين السذج، وفى القرن الذى ألف فيه ابن عدى كتابه "الكامل فى معرفة الرجال" كان هنالك أبو عمرو لاحق بن الحسين، يبتزع أسماء يضعها فى أسانيد مثله مثل : طغرال، وطربال، وكركدن، ويعزو إليهم أحاديث (1) 0 وهذا الذى قاله جولدتسيهر قاله غير واحد من المستشرقين (2) ودعاة اللادينية 0

يقول عبد الجواد ياسين : "ولم يكن من العسير على من اختلق "المتن" أن يخلق "الإسناد" فكم من أحاديث مختلفة -باعتزاف علماء الحديث- تم تركيبها على أسانيد مقبولة عندما أصبحت الأسانيد المقبولة جواز مرور رسمى للحديث" (3) 0

ويقول أحمد حجازى السقا : "فالسلسلة الذهبية للحديث، وهى أعلى سلسلة فى السند قد عمل الضعفاء والمتروكون مثلها، والأسانيد الصحيحة، قد عملوا مثلها" (4) 0 وتتابع دعاة اللادينية فى ذم الإسناد، وذم المحدثين لاهتمامهم به 0

-
- (1) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 505، 506، والعقيدة والشرعية فى الإسلام ص 54 وما بعدها 0
 - (2) كالمستشرق (روبسون) زعم أن الأسانيد العائلية اخترعت لنشر الأحاديث الموضوعة 0 انظر: دراسات فى الحديث النبوى للدكتور الأعظمى 435/2 0
 - (3) السلطة فى الإسلام ص 260 0
 - (4) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالى ص 109، وانظر : من نفس المصدر ص 102، 126 0

(402/2)

فوجدنا من يصف أهل الحديث بأنهم "عبيد الأسانيد" (1) و "أسرى الأسانيد" (2) 0 ووجدنا من يصف الإسناد بأنه نوع من التزمت (3) 0

... ووجدنا إسماعيل منصور يقول : "إن هذا التعلق غير الطبيعى بالسند، والمبالغة فى الاعتداد به

وربط الأحكام الشرعية به - واعتباره بالدرجة الأولى - أساساً لصحة الحديث كل ذلك مجتمعاً قد أثر
افتراقاً كبيراً بين المسلمين، وصيرورتهم فرقاً وشيعاً وأحزاباً يعارض بعضها بعضاً، وقاتل بعضها بعضاً،
ويكيد بعضها لبعض على مر السنين (4) 0

... ويقول طاعناً في علوم الحديث كلها : "ما أقامه البعض من أهل هذا العلم من إنشاء ما يسمى
بعلم الحديث، إنما هو بالحياد المطلق، وهُمْ لا يثبت، وظن لا يستقيم" (5) 0

ويجيب على هذه الشبه بما يلي :

... بادئ ذي بدء نحب أن نقول للطاعنين في الإسناد، كلمة مهمة قالها العلامة السيد سليمان
الندوى، وهو يتحدث عن تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها 0 قال تحت عنوان: (الرواية أمر
ضروري) : "لا مندوحة لعلم من العلوم، ولا لشأن من شؤون الدنيا عن النقل والرواية؛ لأنه لا يمكن
لكل إنسان أن يكون حاضراً في كل الحوادث، فإذا لا يتصور علم الوقائع للغائبين عنها إلا بطريق
الرواية شفاهاً أو تحريراً، وكذلك المولودون بعد تلك الحوادث لا يمكنهم العلم بها إلا بالرواية عمن
قبلهم 0

هذه تواريخ الأمم الغابرة والحاضرة، والمذاهب والأديان، ونظريات الحكماء والفلاسفة، وتجارب
العلماء واختراعاتهم، هل وصلت إلينا إلا بطريق النقل والرواية؟

(1) أضواء على السنة لحمود أبو ريه ص 62 0

(2) السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال الدين ص 12، 15، 84 0

(3) ظهر الإسلام لأحمد أمين 86/3، 88 0

(4) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 377 0

(5) المصدر السابق ص 656، وانظر : من نفس المصدر ص 145، 165، 176، وانظر : حد

الردة لأحمد صبحي منصور 87، 91، والقرآن والحديث والإسلام لمحمد رشاد خليفة ص 40 0

... فهل كان الدين الإسلامى بدعاً من الحوادث حتى لا تنقل أحكامه وأخباره بهذا الطريق؟ أم كان الواجب اتخاذ طريق آخر لنقل أقوال الرسول (وأخباره غير الرواية؟!

... لنفرض أن هؤلاء المنكرين علينا رواية الأحاديث -بالأسانيد- أصبحوا زعماء لمن كان على شاكلتهم، فهل هناك طريقة -غير الرواية- لتبليغ استنباطهم، وتحقيقاتهم لأفراد جماعتهم البعيدين عن حلقات دروسهم، أو الذين سيولدون بعدهم (1)؟؟
حرى بالمشككين فى الإسناد وعلوم الحديث الإمساك عن لغوهم⁰
وإلا فأين أسانيدهم المتصلة إلى أمهم البائدة؟
بل أين أخبارهم الصحيحة عن أنبيائهم وعظمائهم؟
بل أين الضوابط التى تثبت صحة أخبارهم فيما سبق؟!

... أما ما زعمه شاخت من حملة الفتنة المذكورة فى كلام محمد بن سيرين على فتنة مقتل الوليد بن يزيد سنة (126هـ) علماً بأن وفاة ابن سيرين كانت سنة (110هـ) كما ذكر هو أيضاً⁰
فيقول رداً على ذلك الدكتور همام عبد الرحيم : "ولو أنصف شاخت وفكر بنزاهة وموضوعية لما قال إن ابن سيرين يتحدث عن فتنة وقعت بعد وفاته بست عشرة سنة! (2) ⁰
وزعمه بأن ذلك الخبر مكذوب على ابن سيرين فهو ما لا دليل عليه، ويكذبه إخراج الإمام مسلم له فى مقدمة صحيحه (3) ، والترمذى (4) ، والدارمى (5) ⁰

(1) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها ص 9 ، 10 ⁰

(2) الفكر المنهجي عند المحدثين ص 59 ⁰

(3) مسلم (شرح النووي) فى المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين 119/1 ⁰

(4) الترمذى فى كتاب العلل بآخر السنن 695/5 ⁰

(5) الدارمى فى المقدمة، باب فى الحديث عن الثقات 123/1 رقم 416 ⁰

... أما ما زعمه "روبسون" من حملة الفتنة المذكورة في كلام ابن سيرين على فتنة ابن الزبير، فهو زعم بعيد؛ لأن عبارة ابن سيرين تقول : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد"، ولم يقل : "كنا لا نسأل عن الإسناد" وهذه العبارة التي استخدمها تفيد؛ أنه يتكلم عن شيوخه من الصحابة (1) 0 ... ويقول الدكتور أكرم ضياء العمرى : "ما استند إليه روبسون غير صحيح فإن تقدير عمر محمد بن سيرين للإفادة منه في تفسير كلامه لا يمكن الاعتماد عليه فابن سيرين قد يتكلم عن أحداث بعيدة عن عصره معتمداً على دراسته لتاريخ الحديث الذي عني به كثيراً" (2) 0

والذي يؤكد هذا الرأي قول عبد الله بن عباس وهو من صغار الصحابة (3) ، لما جاءه بشير بن كعب العدوى فجعل يحدث ويقول : "قال رسول الله (فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال : يا ابن عباس مالى لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله (ولا تسمع! فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال : رسول الله (؟) ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف" (4) 0 فكانه (أراد أن يقول : إنه لما دخل في هذا الأمر من هم ليسوا من أهله، صار الإعراض عن سماعهم، والنظر فيه أولى، فكان بذلك الإذن في التخرج من قبول مطلق الأخبار مجردة من أسانيدنا" (5) 0

(1) الفكر المنهجي عند المحدثين ص 59 0

(2) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 5 – 52 0

(3) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي الرسول (، وقيل ابن خمس عشرة سنة 0 انظر : الاستيعاب لابن عبد البر 933/3 رقم 1588 0

(4) سبق تخريجه ص 327 0

(5) ضوابط الرواية عند المحدثين ص 65 0

(405/2)

ثم إن الفتنة إذا أطلقت فهي الفتنة الكبرى التي عصفت بالخلافة الراشدة 0 وإذا قيل: الفتنة بالتعريف (بأل) التي هي للعهد، فهي الفتنة المعهودة التي لا يجهلها أحد (1) 0هـ

... والحق -الذى لا مرأى فيه- أن اشتراط السند، والبحث عن الإسناد، بدأ مع زمن النبوة

المباركة⁰

وفي ذلك يقول الحاكم : "طلب الإسناد العالى سنة صحيحة" ثم ذكر حديث أنس بن مالك في مجئ الأعرابي (2) وقوله : "يا محمد أتانا رسولك فزعم كذا ... الحديث" (3) 0 فقد استنبط الحاكم من هذا الحديث أصل طلب الإسناد والعلو فيه؛ لأنه سمع أركان الإسلام من رسول الله (، وآمن وصدق، ولكنه أراد أن يسمع ذلك من رسول الله (مشافهة (4) 0

ولو كان طلب الإسناد والعلو فيه غير مستحب لأنكر عليه المصطفى (سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه ولأمره بالاختصار على ما أخبره الرسول عنه (5) 0

(1) الفكر المنهجي عند المحدثين ص 59 0

(2) هو الصحابي الجليل ضمام بن ثعلبة كما جاء صريحاً في رواية أنس عند الحاكم في المستدرک

كتاب المغازى والسير 55/3، 56 رقم 4830 وقال : صحيح ووافقه الذهبي 0

(3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى : "وَقُلْ رَبِّ

زِدْنِي عِلْمًا" 179/1 رقم 63، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان

الإسلام 201/1 رقم 12 0

(4) فتح البارى 183/1 رقم 63، وانظر : تدريب الراوى 160/2، 161 0

(5) معرفة علوم الحديث للحاكم ص 6 بتصرف يسير 0

(406/2)

واستمر طلب الإسناد والبحث عنه مع زمان الصحابة، ودليل ذلك سؤال عمر (أبا موسى الأشعري

-وغيره (1) - أن يأتوا بشاهد على صحة ما رووا من الأحاديث 0 وهذا طلب أشد من عموم

السند، إذ هو طلب لإثبات نسبة الكلام إلى النبي (، وكلام ابن سيرين دليل لهذا التقدم في طلب

الإسناد (2) 0

وإذا كانت بداية الإسناد متواضعة في حياة النبي (، وفي حياة الصحابة للبعد عن الكذب، إلى زمن الفتنة، فإن هذا العلم اشتد الأخذ به بعد الفتنة، حتى ما قارب القرن الأول نهايته، حتى بلغ علم الإسناد مبلغاً عظيماً (3) أ0هـ

... أما ما زعمه بعض دعاة الفتنة، وأدعياء العلم من المستشرقين، ومن قال بقولهم، من أن الأسانيد اخترعت من قبل الضعفاء والكذابين، وركبت على المتون المختلفة، وإيهامهم بأن ذلك التبس على المحدثين0

... فنقول نعم : اخترعت الأسانيد وركبت عليها المتون المختلفة ولكن هذا لم يخفى على جهابذة المحدثين وأئمة الجرح والتعديل-فلقد تنبهوا إلى هذا قبل أن يدعى أدعياء العلم بأكثر من ألف سنة، ولم يخف عليهم ذلك، كما يحاول الإيهام بذلك أهل الزيغ والهوى0

... ولذلك نجد علماء الحديث كما سبق وأن قلنا-يقررون عدم التلازم بين صحة السند وصحة المتن، وينبهون على الكذابين المختلفين للأسانيد0
وفي ذلك يقول ابن الجوزي (ت 597هـ) وهو يبين أصناف الوضاعين0

-
- (1) انظر : المصدر السابق ص 14، 15، وانظر : ما ساقه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص 7 على رحلة غير واحد من الصحابة (في طلب الإسناد، وانظر : تدريب الراوى 160/2، 161، والسنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر ص 36، 37 0
(2) الفكر المنهجي عند المحدثين ص 60 0
(3) دراسات في الحديث النبوى للدكتور الأعظمى 392/2 بتصرف، وللمزيد من الرد على هذه الشبهة انظر : المصدر نفسه 397/2 - 433 0

(407/2)

القسم الرابع : قوم استجازوا وضع الأسانيد لكل كلام حسن، ومن هؤلاء محمد بن سعيد (1)
القائل : "لا بأس إذا كان كلاماً حسناً أن نضع له إسناداً" (2) 0

... وفي ذلك أيضاً يقول ابن عراق في كتابه (3) (تنزيه الشريعة) وهو يبين أصناف الموضوعات⁰

الصنف السادس : "قوم حملهم الشره ومحبة الظهور على الوضع، فجعل بعضهم لدى الإسناد الضعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً، وجعل بعضهم للحديث إسناداً غير إسناد المشهور ليستغرب ويطلب⁰

قال الحاكم أبو عبد الله : ومن هؤلاء إبراهيم بن اليسع، وهو ابن أبي دحية كان يحدث عن جعفر الصادق، وهشام بن عروة، فيركب حديث هذا، على حديث ذاك، لتستغرب تلك الأحاديث بتلك الأسانيد، قال : ومنهم حماد بن عمرو النصيبى، وبهلول بن عبيد، وأصرم بن حوشب⁰
قال الحافظ ابن حجر : وهذا داخل في قسم المقلوب، ... وقال الأستاذ الإسفرايينى : "إن : من قلب الإسناد ليستغرب حديثه، ويرغب فيه، يصير دجالاً كذاباً تسقط به جميع أحاديثه، وإن رواها على وجهها" (4) ⁰

(1) هو: محمد بن سعيد بن حسان بن قيس الأسدى، الشامى المصلوب، ويقال له : ابن أبي عتبة، أو ابن أبي قيس، أو ابن الطبرى، وقيل إنهم قلبوا اسمه على مائة وجه ليخفى، كذبوه، وقال أحمد : قتله المنصور على الزندقة⁰ له ترجمة في: تقريب التهذيب 79/2 رقم 5926، والكاشف 174/2 رقم 4871، والمجروحين لابن حبان 247/2، والضعفاء والمتروكين للنسائى ص 213 رقم 543، والجرح والتعديل 262/7 رقم 1436، ولسان الميزان 105/9 رقم 14225 ⁰
(2) الموضوعات لابن الجوزى 41/1، 42 ⁰

(3) ابن عراق هو أبو الحسن، سعد الدين على بن محمد بن علي بن عراق، الكنانى الدمشقى، له مؤلفات نافعة من أهمها كتابة تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، مات سنة 963هـ له ترجمة في : شذرات الذهب 337/8، والرسالة المستطرفة ص 150، والإعلام 12/5 ⁰

(4) انظر : تنزيه الشريعة 15/1، والموضوعات 41/1 - 43 ⁰

وفي حديث: "إن الله (يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة، ويتجلى لك خاصة يا أبا بكر" يقول الحافظ الخطيب : "لا أصل له وضعه محمد بن عبد سنداً، ومتناً" (1) 0

وكذلك تنبه جهابذة المحدثين إلى الأسانيد العائلية وانتقدوها كثيراً، ولم يغفلوا عنها، كما زعم "روبسون" وغيره، بل قبلوا منها ما يستحق القبول، ورفضوا منها ما يستحق الترك والرفض، وكانوا منصفين في حكمهم، فأعطوا كل ذي حق حقه، وأصلوا في ذلك علماً يعرف بـ "رواية الآباء عن الأبناء وعكسه" (2) 0

فمن أمثلة ما قبلوه على الراجح : سند عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وبكر بن حكيم، عن أبيه، عن جده (3) 0

ومن أمثلة ما ردوه : سند كثير بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه، عن جده (4) ، وسند موسى بن مطير، عن أبيه (5) ، وغيرهم كثير ممن امتثلت بهم كتب المجروحين والمتروكين، مما يبين أن علماء الحديث لم يغفلوا عنهم كما يزعم دعاة الفتنة وأدعياء العلم 0

المبحث الثاني

أهمية الإسناد في الدين واختصاص
الأمة الإسلامية به عن سائر الأمم

-
- (1) انظر : اللآلئ المصنوعة 263/1، والموضوعات 306/1 – 307 0
 - (2) صنف فيه غير واحد من المحدثين منهم ابن أبي خيثمة، والمزى، وغيرهم، ومن أجمع المصنفات فيه ما صنفه الحافظ العلاءي في كتابه "الوشى المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي" (0)
 - (3) انظر: تدريب الراوى 257/2-259، وفتح المغيـث للسـخاوى 154/3 – 156، وفتح المغيـث للعراقى ص 381-383، والباعث الحثيث 171-173، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبي ص 76 رقم 55، وسؤالات مسعود بن على السجزي للحاكم ص 147 رقم 150 0

- (4) انظر : المجروحين لابن حبان 221/2 – 222، وميزان الاعتدال للذهبي 406/3 0

(5) انظر : المجروحين 242/2، وميزان الاعتدال 223/4 وإن شئت مزيد من الرد انظر : دراسات في الحديث النبوى للدكتور الأعظمي 435/2 - 436 0

(409/2)

... الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص الأمة الإسلامية، لم يؤتمن أحد من الأمم قبلها، وبه حفظ الدين من عبث العابثين، فكان الدعائم التي حفظ بها الدين قرآناً وسنة، ولذلك كان جزءاً من الدين، فهو الطرق التي أوصلت لنا الأخبار والآثار، صحيحة لا تشوبها شائبة⁰ وقد تكاثرت في بيان شأن الإسناد، وأهميته، وفضله، كلمات العلماء، وتعددت وتنوعت أقوالهم في تعظيم أمره⁰

ومن خيرها وأدقها تشخيصاً لموقع الإسناد كلمة الإمام عبد الله بن المبارك (قال: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له من حدثك؟ بقى (1) أى بقى حيران ساكتاً⁰ وقال أيضاً : "بيننا وبين القوم -أى المبتدعة والكذبة- القوائم يعنى الإسناد" (2) 0 وقال سفيان الثوري : "الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شئ يقاتل؟" (3) 0 وقال الإمام الشافعي : "مثل الذى يطلب الحديث بلا سند كمثل حاطب ليل" (4) وسبق قول ابن حزم : "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى (مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل، أما مع الإرسال والإعضال ... والنقل بالطريق المشتملة على كذاب، أو مجهول الحال فكثير من نقل اليهود والنصارى ... " (5) 0

-
- (1) أخرجه مسلم (شرح النووي) في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين 120/1، والترمذى في كتاب العلل الملحق بآخر السنن 695/5 واللفظ له⁰
 - (2) أخرجه مسلم (شرح النووي) المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين 120/1 0
 - (3) أخرجه ابن حبان في المجروحين 27/1، والخطيب في شرف أصحاب الحديث 88 رقم 76 0
 - (4) ذكره الزرقاني في شرح المواهب اللدنية 453/5، والمنهاوى في فيض القدير 433/1 0
 - (5) الفصل في الملل والنحل 81/2 - 84 بتصرف، وانظر : تدريب الراوى 159/2، ولزيد من

معرفة فضل الإسناد انظر : فتح المغيـث للسـخاوى 5/3-7، وتدريب الراوى 159/2، 160،
ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص 6، والأجوبة الفاضلة للكنوى ص 21، 22 0

(410/2)

... لكل ما سبق اهتم المسلمون بالإسناد "وقد نشأ عن اهتمامهم به ووضوح أهميته في تلقى المنقول : أن اشترط "الإسناد" في تلقى سائر العلوم الإسلامية، كال تفسير، والفقه، والتاريخ، والرجال، والأنساب، واللغة، والنحو، والأدب، والشعر، والحكايات، حتى دخل في سياق الكلمة الواحدة من أخبار الحمقى والمغفلين، وأخبار المضحكين ...، كما دخل في سياق الكلمة الواحدة في التفسير، كما تراه في "تفسير الإمام ابن جرير الطبرى" وكما تراه في كتاب الخطيب البغدادي : "التطفيل وحكايات الطُّفيليين" و "البخلاء" وكتب ابن الجوزى : "أخبار الحمقى والمغفلين"، و"أخبار الأذكياء"، و"ذم الهوى"، و"اللُّقَط في حكايات الصالحين"، فتراه في هذه الكتب يسوق سنداً طوله ثلاثة أسطر أو أكثر، من أجل نقل جملة صغيرة أو كلمة واحدة عن قائلها" (1) 0

... "ومن علامات الاهتمام بالإسناد، وأماراته تلك التصانيف الضخمة التي ألقت في الرجال، فنشأ بذلك علم مستقل من علوم الحديث، وهو علم الرجال، وهذا علم واسع تتقطع فيه الأنفاس، فمنه كتب معرفة الصحابة، وكتب الطبقات، وكتب الجرح والتعديل، وكتب الأسماء والكنى والألقاب، وكتب المؤتلف والمختلف، وكتب المتفق والمفترق والمتشابه، وكتب الوفيات، وهي في مجموعها تدل دلالة عظيمة على الجهد المبذول في نقد الأخبار، وليس الأمر كما يتوهم الكثيرون ممن لا علم لهم بهذا الأمر" (2) 0هـ

(1) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبدالفتاح أبو غدة ص 143، 144 بتصرف يسير 0

(2) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص 71، 72، وانظر: من نفس المصدر ص 212 وما بعدها 0

(411/2)

... ومن علامات الاهتمام بالإسناد "علم الجرح والتعديل" وهو كسائر علوم الحديث مما تفردت به الأمة الإسلامية عن سائر الأمم، وتميزت بتأسيسه، وإنشائه، والتفنن فيه، وقد أداها إلى إبداعه : الحفاظ على سنة المصطفى (من التقول والدخيل، والمكافحة للدجالين والمشعوذين والخراسين، فكان هو من أكبر النتائج النافعة التي تولدت عن تلك الحملة الضارة على السنة المطهرة⁰

قَصِدَتْ مَسَاتِي فَاجْتَلَيْتِ مَسَرَّتِي وقد يُحَسِّنُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

فنشأ هذا العلم من عهد النبوة المباركة برعماً لطيفاً، ثم نما وازداد، وقوى واشتد في القرن الأول، والثاني، وامتد واتسع وبدأ يتكامل في القرن الثالث، والرابع، وهكذا حتى اكتمل في القرن التاسع من الهجرة الشريفة، فكثر فيه الكتب، وتنوعت فيه المؤلفات، ثم درست فيه في عصرنا بعض المسائل والجزئيات والشخصيات دراسة خاصة، فقارب النُضج والاحتراق، وإن كان هذا العلم ليس له غاية ولا نهاية⁰

... وبهذا العلم العظيم الذي لم تكن فيه محابة لأحد مهما كان لا أباً، ولا ابناً، ولا أخاً، ولا صديقاً، ولا أستاذاً، تمكن السلف والخلف من كشف العلل في كل علم منقول حديثاً نبوياً، أو كلاماً عادياً، أو شعراً أو نثراً أدبياً، أو تاريخاً شخصياً أو سياسياً ...، فكان هذا العلم مجهرًا صادقاً، ونظارة صافية، تعزل للناظر بها : الصحيح عن القريح، وتميز له الزين من الشين، والصدق من الكذب، وتزن له المحامد والمثالب، بالقسطاس المستقيم (1) أ⁰هـ⁰

(1) لحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 189 بتصرف يسير⁰

(412/2)

... وإذا كانوا قديماً قالوا : الحق ما شهد به الأعداء فلننظر إلى ما قاله المستشرق "شبرنجر" في مقدمته الإنجليزية على كتاب الإصابة في أحوال الصحابة لابن حجر، قال : "لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا يوجد الآن أمة من الأمم المعاصرة، أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر، الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشئوهم" (1)

... ويقول الأستاذ محمد أسد عن علوم الحديث : "إنه علم تام الفروع على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة، غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول (، وشكلها وطريقة روايتها (2) أ0هـ والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

-
- (1) نقلاً عن الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوى ص 62، وانظر شهادة الدكتور موريس بوكاي في دراسة الكتب المقدسة ص 290، رغم أنه لم يدافع عن السنة بل كان متحاملاً عليها ومخالفاً لها، كما سبق بيانه في موقفنا من الحركة الاستشراقية0
- (2) الإسلام على مفترق الطرق ص 92 – 93 بتقديم وتأخير0

(413/2)

الفصل الخامس

وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة

وتحته مبحثان :

- المبحث الأول : أساليب أعداء السنة في الطعن في المصادر الحديثية0
- المبحث الثاني : الجواب عن زعم أعداء السنة أن استدراكات الأئمة على الصحيحين دليل على عدم صحتها0

المبحث الأول

أساليب أعداء السنة في الطعن في المصادر الحديثية

... من وسائل أعداء السنة -أعداء الإسلام- في الطعن في حجية السنة المطهرة طعنهم في

المصنفات الحديثية، وأساليبهم في ذلك كثيرة ومكررة فكما طعنوا في عدالة الصحابة عموماً وخصوصاً بالطعن رموزهم من الخلفاء الراشدين، وأكثرهم رواية أبو هريرة (وطعنوا في عدالة أئمة المسلمين من الفقهاء والحدثين وطعنوا في رموزهم، كابن شهاب الزهري أشهر راوي في التابعين وأكثرهم حديثاً (1) ، كما طعنوا في الأئمة الأربعة وغيرهم من حفاظ الإسلام وأئمة الدين، إذ بفقدان الثقة بهم تفقد غيرهم من باب أولى 0 وهكذا هم هنا يسلكون نفس الأسلوب في طعنهم في كتب السنة :

1- فتارة يوجهون سهامهم المسمومة إلى كتب السنة عموماً طعناً وسخرية 0

... يقول إسماعيل منصور : "يجب أن تعرف الأمة في جميع بقاع الأرض بحقيقة كتب الحديث والسنة عند جميع فرق المسلمين وهي أنها أقوال ظنية منسوبة إلى رواة ينسبونها بدورهم إلى رسول الله وليست هي أقواله (بالضرورة" (2) 0

(1) انظر : دفاع الدكتور السباعي عنه في السنة ومكانتها ص 206 – 226 0

(2) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 432، 658 0

(414/2)

... ويسخرون من كتب السنة المطهرة بوصفها بـ "كتب صفراء" (1) ، و"طراش ديني" (2) ، و"زبالة" (3) 0

2- وتارة يشككون في كتب الأصول الستة، وفي كتب السنن، والمسانيد، والمعاجم، والمصنفات، وغير ذلك بحجة أن في تلك المصنفات الحديثية الصحيح، والحسن، والضعيف، والمنكر والمترك ... (4) 0

... هكذا يطلقون الكلام والحكم على عوانه إيهاماً للقارئ بأن ذلك موجود في المصنفات الحديثية بدون تمييز أو حكم للأئمة عليها 0

3- وتارة يشككون في أصح المصنفات الحديثية، ويركزون هجومهم عليها إذ بسقوطها واهتزاز الثقة بها تهتز الثقة ببقية كتب السنة من باب أولى 0 وبذلك يصرحون 0

... قال عبد الجواد ياسين : "ولأن البخارى ومسلم يجبان ما دونهما من الكتب فى مفهوم أهل السنة فسوف نحاول التركيز على مروياتهما فى هذا الصدد" (5) 0

... وهو ما قاله محمود أبو ربه وهو يتكلم عن مسند أحمد ظناً فيه قال : "على أننا قد رأينا أن نتكلم عن مسند أحمد الذى هو أشهرها لنبين للمسلمين حقيقته، ونكشف عن درجته بين كتب الحديث ليقاس عليها درجة سائر المسانيد ويغينا ذلك عن الكلام فى غيره" (6) 0

(1) انظر : دراسات محمدية لجولدتسيهر ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10 ص 567، والمسلم العاصى لأحمد صبحى منصور ص 29 وانظر له أيضاً الصلاة فى القرآن ص 63، وانظر : إنذار من السماء لنيازى عز الدين ص 677 0

(2) قالها أحمد صبحى منصور انظر : جريدة أفاق عربية عدد ربيع الآخر لسنة 1418هـ 0

(3) سمعت هذا منه فى ندوة بدار ابن خلدون بالدراسات الإنمائية بالمقطم - عليه من الله ما يستحق - 0

(4) انظر : أضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص 317 - 330 0

(5) السلطة فى الإسلام ص 292، وانظر : دين السلطان ص 103 - 113 0

(6) أضواء على السنة ص 323، وانظر : فى الرد عليه كتاب الحافظ ابن حجر "القول المسدد فى الذب عن المسند" 0

(415/2)

... ويهمنى هنا من الوسائل السابقة فى طعنهم فى كتب الحديث ما يحرصون عليه دائماً وأبداً من التشكيك والطعن فى أصح الكتب بعد كتاب الله (صحيحى البخارى ومسلم، ولا يخرج طعنهم فيهما عن مسلكين :

أولهما : استدلالهم على عدم صحتهما بأحاديث تخالف فى فكرهم المريض ظاهر القرآن، أو العقل، أو العلم، أو كما يزعمون تطعن فى سيرة الرسول (أو توافق ما فى التوراة والإنجيل مما يدل فى نظرهم أنها إسرائيلية (1) 0 وغير ذلك من القواعد التى سلكوها للحكم على الحديث بالصحة وسبق

بيان بطلانها (2) وسيأتى فى الباب الثالث نماذج من هذه الأحاديث والرد عليها⁰
ثانيهما : استدلالهم باستدراكات الأئمة على الصحيحين بأنها دليل على عدم صحتها⁰

(1) أضواء على السنة ص 299-316، وانظر: الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها للسيد صالح أبو بكر 123/2، وفجر الإسلام 218، وضحى الإسلام 340/1، 122/2، 130 - 132، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى لأحمد حجازى السقا ص 24، 31، والبيان بالقرآن 10/1 وما بعدها، والصلاة فى القرآن ص 63، ولماذا القرآن ص 80-154، والقرآن والحديث والإسلام ص 40، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 124، 127، 247، 432، 658، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص 28، 237، والسلطة فى الإسلام 292-348، والإسلام بدون حجاب ص 25-30، وتأملات فى الحديث عند السنة والشيعة ص 224-225، وأهل السنة شعب الله المختار ص 23 وما بعدها، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والحديث ص 34-326، وحوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين لهشام آل = قطيط ص 17 فى الهامش، وهناك عزا إلى مراجع أخرى شيعية، ودين السلطان لنيازي عز الدين، وهو من أكبر الكتب التى تناولت الطعن فى الصحيحين بهذا المسلك، والكتاب يقرب من ألف صفحة، وانظر له أيضاً : إنذار من السماء ص 696، 713 0
(2) راجع : إن شئت ص 214-254، 575-592 0

(416/2)

يقول جولدتسيهر : "إنه من الخطأ اعتقاد أن مكانة هذين الكتابين مردها لعدم التشكيك فى أحاديثهما أو نتيجة لتحقيق علمي⁰ وسلطان هذين الكتابين يرجع لأساس شعبى لا صلة له بالتدقيق الحر للنصوص، وهذا الأساس هو إجماع الأمة، وتلقى الأمة لهما بالقبول يرفعهما إلى أعلى المراتب، وبالرغم من أن نقد هذين الكتابين غير لائق وغير مسموح به، وبرغم التقدير العام للصحيحين فى الإسلام صنف الدارقطنى (ت 385هـ) كتابه "الاستدراكات والتتبع" فى تصنيف مائتى حديث مشتركة بينهما" (1) أ⁰هـ

... وهذه الاستدراكات من بعض الأئمة على الصحيحين اتكأ عليها جولدتسيهر، وغيره وهم

يطعنون في الصحيحين ومكانتهما، ولا حجة لهم في ذلك، لما يلي في المبحث الثاني⁰

المبحث الثاني

الجواب عن زعم أعداء السنة أن استدراكات الأئمة

على الصحيحين دليل على عدم صحتهما

إن صحيحى البخارى ومسلم لم يؤخذا قضية مسلمة أبعدت عنهما بحث النقاد وتوثيقهم لهما، وإنما الذى حدث هو العكس فقد درس الأئمة كلاً من الكتابين سنداً ومنتناً، وعرضوهما على أدق المقاييس النقدية الصحيحة التى التزمها صاحبها الصحيحين فى كتابيهما، فنظر الأئمة فيما اشترطه كل منهما هل وفى به أم أخلاً؟

(1) دراسات محمدية ص 236 نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين ص 392، ومن قال به جمال البنا فى السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 25، 131، 159 وغيرهم ممن سبق ذكرهم⁰

(417/2)

فكانت النتيجة أن "استدرك جماعة من الحفاظ على البخارى ومسلم عدة أحاديث رأوا أنهما أخلاً فيهما بشرطهما، وأنهما لا تبلغ فى صحتها مبلغ ما غلب عليهما إخراجهما، وتكلموا فى هذه الأحاديث من جهة أسانيدها، ومن جهة متونها، ولا يصل استدراكهم أو تكلمهم فى هذه الأحاديث إلى حد النزول بها إلى درجة الوضع، بل ولا حتى إلى درجة الضعف الذى لا يحتمل⁰ غاية ما هناك أنهم رأوا قصورها عن درجة ما دأب عليه الشيخان وما التزمه من إخراج أصح الصحيح" (1) ⁰ يدل على ذلك ما قاله الحافظ العقيلي : "لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على ابن المدينى، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم؛ فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة، إلا أربعة أحاديث⁰ قال العقيلي : والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة (2) ⁰

... قال الإمام النووى : "قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلاً بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزمه، ... وقد ألف الإمام الحافظ الدارقطنى فى بيان ذلك كتابه المسمى

بالاستدراكات والتتبع، وذلك في مائتي حديث مما في الكتابين، ولأبي مسعود الدمشقي أيضاً عليهما استدراك، ولأبي الغساني الجبائي في كتابه تقييد المهمل في جزء العلل منه، استدراك أكثره على الرواة عنهما، وفيه ما يلزمهما، وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره (3) "0
... وإذا كان الإمام النووي في شرحه على مسلم دفع ما أورد على الإمام مسلم، فقد جاء بعده الإمام الحافظ ابن حجر وتتبع المواضع المنتقدة على البخاري تفصيلاً فأجاد في ذلك في مقدمته "هدى الساري" مقدمة فتح الباري0

-
- (1) انظر : الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين لفضيحة الأستاذ الدكتور أحمد محرم 222/2 0
(2) هدى الساري ص 9، 514 0
(3) انظر : صحيح مسلم (بشرح النووي) مقدمة الشارح، فصل في الأحاديث المستدركة على البخاري ومسلم 49/1 0

(418/2)

والتي يقول العلماء في شأنها : أنها لو كتبت بماء الذهب ما استوفيت حقها0 ففيها فضلاً عن الرد على الطعون التي وجهت إلى صحيح البخاري، مجموعة من الفصول الهامة تتعلق بدراسة الصحيح، وصاحبه، وتراجمه، ومناسباته وغير ذلك من المباحث الهامة المتعلقة بالصحيح0
... وقد مكث ابن حجر في كتابتها أربع سنوات تقريباً، فهدى بها فعلاً كل من يريد أن يدرس صحيح الإمام البخاري0 ويعرف مكانته بين كتب السنة حيث هو على رأسها0

والإمام ابن حجر في هدى الساري لم يدافع عن صحيح الإمام البخاري فقط0 وإنما دافع عن الصحيحين معاً إجمالاً فقال :

"والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول : لا ريب في تقديم البخاري ومسلم على أهل عصرهما، ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل؛ فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك حتى كان يقول : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، ومع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول : دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه، وكان محمد بن يحيى الذهلي أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهري وقد

استفاد منه ذلك الشيخان جميعاً⁰ وروى الفريدي عن البخاري قال : "ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته⁰
وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول : عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته⁰

فإذا عرف أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له، أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما، فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة (1) 0

(1) هدى السارى ص 364، 365 0

(419/2)

ثم ذكر الحافظ - رحمه الله - المواضع المنتقدة وأجاب عنها من حيث التفصيل وأجاد في ذلك (1) 0
وظهر له أن أكثر المواضع المنتقدة الجواب فيها قوى، وأن النادر اليسير هو ما تكلف فيه الجواب (2) 0

ومن هنا قال الأستاذ الدكتور أبو شهبة - رحمه الله - : "ولعل من هذه الأحاديث التي وقع فيها التكلف في الجواب والحق فيها مع الناقد "المنصف" حديث "شريك بن أبي نمر عن أنس في الإسراء" وهو حديث طويل، فقد خالف فيه شريك أصحاب أنس في إسناده ومنتنه بالتقديم والتأخير، وزيادته المنكرة وأشد أوهامه قوله - شريك - : "إن الإسراء كان قبل أن يوحى إليه" (3) ، وقد أنكرها الخطابي، وابن حزم، وعبد الحق، والقاضي عياض، والنووي وغيرهم، واعتبروا ذلك غلطاً من شريك، وشريك ليس بمتهم بالكذب، وقصارى أمره أنه غلط والتبس عليه الأمر (4) 0

(1) المصدر السابق ص 266، 364-402، وانظر : تدريب الراوى 135/1-140 0

(2) انظر : هدى السارى ص 366، 402 0

(3) انظر : صحيح البخارى بشرح (فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : "وكلم الله موسى

تكليماً" 486/13 رقم 7517 وأشار إليه مسلم في صحيحه (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب
الإسراء برسول الله (إلى السماوات وفرض الصلوات 488/1 رقم 162 0
(4) انظر دفاع ابن حجر عنه في فتح الباري 494/13 رقم 7517، وانظر : في ترجمته : تقريب
التهذيب 418/1 رقم 2796، والثقات للعجلي ص 217 رقم 663، والثقات لابن حبان
360/4، والكاشف 485/1 رقم 2277، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبي
ص 116 رقم 155 0

(420/2)

ومما يعتذر به عن البخاري، ويجعل النقد ليس ذا أثر أن البخاري أخرج الروايات الصحيحة في
الإسراء (1) ، وهو بصنيعه هذا ينبهنا من طرف خفي لا يخفى على اللبيب ما في رواية شريك من
الأغلاط 0 فله در البخاري فكم له من إشارات وتلميحات (2) 0
يقول الدكتور رفعت فوزي وهو يدفع الطعون التي وجهت إلى أحاديث الإسراء والمعراج : "وأنه مما
يستفاد في نقد هذه الرواية، النقد العلمي البناء الذي يحرص على جلاء الحقيقة دون اعتبار لمكانة
البخاري ومكانة كتابه، كما يتجلى كذلك أن نقادنا قديماً وحديثاً، لم يغفلوا - كما زعم بعض
الجاهلين - تناول متن الحديث بالنقد والتمحيص، وعرضه على القرآن الكريم، وعلى السنة
الصحيحة، حتى ينفوا عنه الدخيل والموضوع" (3) 0

الجواب عمن تكلم فيه من رجال الصحيحين :

(1) الحديث أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) في عدة أماكن من صحيحه منها كتاب بدء الخلق
باب ذكر الملائكة 348/6، 349 رقم 3207، وكتاب مناقب الأنصار، باب المعراج 241/7،
242 رقم 3887 0

(2) أعلام المحدثين ص 140، 141، وانظر : في رحاب السنة الكتب الصحاح الستة ص 71،
وانظر : فتح الباري 488 / 13، 489 رقم 7517 ، وانظر دفاع الدكتور رفعت فوزي في كتابه
"أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية" ورده على السيد صالح أبو بكر وغيره ممن حاولوا إنكار
السنة جميعها من خلال الهجوم على أحاديث الإسراء والمعراج، وانظر : الإبهاج في أحاديث المعراج

للإمام ابن دحية تحقيق الدكتور رفعت فوزى، وانظر : الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة⁰
(3) أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزى ص 91، 92 بتصرف⁰

(421/2)

... في الصحيحين جماعة جرحهم بعض المتقدمين، وبلغ عدد من تكلم فيه من رجال البخارى ثمانون،
ومسلم مائة وستون رجلاً (1) ، منهم عكرمة مولى ابن عباس، وعمرو بن مرزوق وسويد بن سعيد
وغيرهم (2) ⁰
قد اتخذ أعداء السنة -أعداء الإسلام- ممن تكلم فيه من رجال البخارى ومسلم مدخلاً للطعن
والتشكيك في مكانة الصحيحين (3) ⁰

ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن ممن تكلم فيهم من رجال الصحيحين ليس مجمعاً على جرحهم غاية أمرهم
: أنه جرحهم وقدر فيهم جماعة بينما عدلهم ومدحهم آخرون، فيكون قد ترجح عند صاحب
الصحيح تعديلهم على الأقل فيما أخرجه من حديثهم، وربما أخرج لهم في المتابعات والشواهد، وإن
أخرج لهم في الأصول فمقصوده أنهم شاركوا غيرهم من الثقات الأثبات؛ فالصحة حاصلة برواية
الجميع" (4) ⁰

... قال الحافظ ابن حجر : "ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راوٍ كان
مقتضياً لعدالته عنده، وصحة ضبطه، وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور
الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح؛ فهو
بمناوبة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيها⁰

(1) انظر : هدى السارى ص 13 ⁰

(2) علوم الحديث لابن الصلاح ص 141 - 142، وانظر : تدريب الراوى 305/1 وفتح المغيـث
للسخاوى 334/1 ⁰

(3) انظر : حد الرده لأحمد صبحى منصور ص 85 - 87 ⁰

(4) الضوء اللامع المبين عن مناهج الحديث لفضيـلة الأستاذ الدكتور أحمد محرم 229/2 ⁰

هذا إذا خرج له في الأصول، فأما إن خرج له في المتابعات، والشواهد، والتعليق، فهذا بتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره، مع حصول اسم الصدق لهم، وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعناً فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقاً أو في ضبطه لخبر بعينه، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح، ومنها ما لا يقدح⁰

وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح، هذا جاز القنطرة؛ يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه، إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما⁽¹⁾ أ0هـ

... وقصارى القول وحما داه أن صاحب الصحيح أعرف بما رواه، وليس التكلم في بعض الرواة بمقدم على توثيق صاحب الصحيح لهم، ولو سلم جرح كل جرح وقبل على إطلاقه ما قبل خبر ولا روى أثر⁰ فأين ذاك الذي سلم من الطعن؟ ومتى كان الطعن مستنداً إلى حجة؟ (2) أ0
قال الحافظ ابن حجر: "واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا فضعفوههم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط (3) أ0هـ

(1) هدى السارى ص 403 أ0

(2) الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين 2/232 أ0

(3) هدى السارى ص 404، وانظر: دفاعه عن الرجال المطعون فيهم ص 405 - 493، وانظر: البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح ومس بضرب من التجريح للحافظ العراقي، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للإمام الذهبي⁰

... ومن كل ما سبق يظهر فساد ادعاء جولدتسيهر ومن قال بقوله "إن سلطان هذين الكتابين يرجع لأساس شعبي لا صلة له بالتدقيق الحر للنصوص، وهذا الأساس هو إجماع الأمة، وتلقى الأمة لهما بالقبول يرفعهما إلى أعلى المراتب"⁰

... فهذا الكلام فاسد من أساسه، بما سبق بيانه من دراسة الأئمة لكل من الكتابين سنداً وممتناً، وعرضهما على أدق المقاييس النقدية الصحيحة التي اشترطها كل من البخاري ومسلم في صحيحهما، وظهر من سبر الأئمة وفاء البخاري ومسلم بشرطهما، سوى أحاديث قليلة، والقول فيها قول البخاري ومسلم، وهي صحيحة⁰

فظهر من ذلك الصحيحين ليسا جهد أفراد وإنما جهد أمة، وهم طائفة المحدثين، وهم المشتغلون بهذا الشأن وأعرف الناس به، وهم نقاد الأخبار الذين يتوقف على قولهم قبول الآثار النبوية أو ردها⁰ وهم المعنيون بإجماع الأمة على صحة الكتابين، وتلقيهما بالقبول⁰ وهو إجماع معصوم لا يقدر فيه إلا جاحد مغرور (1) ⁰

أما قول جولدتسيهر: "بالرغم من أن نقد هذين الكتابين غير لائق، وغير مسموح به..." إلخ⁰

(1) يقول ابن خلدون : "... ولا تقولن-بضعف أو سوء حفظ-يتطرق إلى رجال الصحيحين فإن الإجماع قد اتصل في الأمة على تلقيهما بالقبول، والعمل بما فيهما، وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفعا"⁰هـ، انظر : المقدمة ص 345 ⁰

يتناقض مع آخر كلامه من أن الدارقطني قد صنف في نقدهما كتابه (الاستدراكات والتتبع)⁰ ودعواه أن نقد هذين الكتابين لا يجوز أو غير لائق أو غير مسموح به يكذبه الواقع، بما سبق من استدراك الأئمة الدارقطني، والدمشقي، والغساني، وفات هذا المستشرق وغيره من الطاعنين في مكانة

الصحيحين أن الخطورة لا تكمن في تعرض الكتابين للنقد، ولكنها تكمن في سلامتهما من الانتقادات أو الطعون التي وجهت إلى بعض أحاديثهما، فليس كل انتقاد يعول عليه، كما أن النقد أو الاستدراك قد يوجه لحالة معينة فيحسب من لا دراية له بهذا الموضوع أن النقد قد شمل كل أحوال الكتاب، كما هو الحال مع استدراقات الأئمة⁰ وقد بين نقاد الحديث أن هذه الاستدراقات غير قاذحة (1) في صحة الصحيحين، ومكانتهما، خلافاً لأعداء السنة الذين يوهمون القارئ بخلاف ذلك⁰

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محرم : إن نسبة الوهم إلى بعض الرواة ممن روى لهم البخاري ومسلم، تقتضي الدقة في التفرقة بين نسبة الوهم إلى بعض الرواة لشواهد تنتصب على ذلك، وبين نسبة الضعف أو الوضع إلى الصحيحين لا بحجة أو برهان، وإنما متابعة للشيطان وموافقة للهوى⁰ وكن على حذر من مكمن الخطر في التقليل من منزلة الصحيحين أو محاولة إنزالهما من عليائهما (2)
0

فالصحيحان هما أصح ما ألفه المحدثون، وقد أدى مؤلفاهما إلى الدين، وإلى الأمة الإسلامية خدمة جليلة لا تنكر، بل تذكر بالإكبار فتشكر، نسأله (أن يجزل ثوابهما ما استفاد من الكتابين مستفيد (3) أ⁰هـ
...

-
- (1) ضوابط الرواية عند المحدثين ص 393، 394 بتصرف⁰
(2) الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين 2/228 0
(3) في رحاب الكتب الستة ص 97، ولزيد من الدفاع عن الصحيحين انظر : الحديث والمحدثون للدكتور أبو زهو ص 399-403، وكتب السنة دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزى⁰

(425/2)

ونختم كلامنا عن الصحيحين بكلمة جامعة للشيخ أحمد شاکر -رحمه الله تعالى- نرى أنها عين الحق وندين لله بمضمونها ونلقاه مطمئنين على اعتقاد ما فيها من اليقين قال رحمه الله : "الحق الذي لا مريه

فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين، ومن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر، أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ليس في واحد منها مطعن أو ضعف، وإنما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث، على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه، وأما صحة الحديث في نفسه، فلم يخالف أحد فيها، فلا يهولنك إرجاف المرجفين، وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة، وتتبع الأحاديث التي تكلموا فيها، وانقدها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلم، واحكم على بينة، والله الهادي إلى سواء السبيل (1) 0هـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

(1) الباعث الحثيث ص 29، وانظر : في رحاب الكتب الستة ص 72 0

(426/2)

الفصل السادس

وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة
في التأريخ للسنة ورواها

ويتضمن بيان

أساليب دعاة الفتنة وأدعياء العلم في الطعن في السنة النبوية من خلال ثلاثة أنواع من المصادر :
النوع الأول : مصادر غير معتبرة، وعليها جل اعتمادهم في الحكم على السنة المطهرة 0
النوع الثاني : مصادر معتبرة حديثية، وهدفهم من ذلك تضليل القارئ 0
النوع الثالث : مصادر معتبرة غير حديثية، واعتمادهم ما ورد فيها من أحاديث مكذوبة 0

الفصل السادس

وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة
في التأريخ للسنة ورواها

... إن من القواعد المعلومة الكلية أن كل علم له مصادره المعتبرة التي تعرف بها حقائقه وقضاياها، فمن عرف بحقائق وقضايا علم ما، واعتمد في ذلك على مصادر غير معتمدة ولا موثوقة لم يكن لبحثه أية قيمة علمية، ولا لمن يفعل ذلك مكان بين العلماء المحترمين (1) 0

... وهذا ما يفعله دعاة الفتنة، وأدعياء العلم من المستشرقين، ودعاة الإلحاد في أمتنا الإسلامية، تراهم وهم يتحدثون عن قضايا السنة النبوية المطهرة من تدوينها، وحجيتها، ومكانتها التشريعية، وروايتها من الصحابة والتابعين فمن بعدهم (أجمعين، يعتمدون في حديثهم عن القضايا السابقة ثلاثة أنواع من المصادر :

- 1- النوع الأول : مصادر غير معتبرة وعليها جل اعتمادهم في الحكم على السنة النبوية 0
- 2- النوع الثاني : مصادر معتبرة حديثية وهدفهم من ذلك تضليل القارئ على ما سيأتي 0
- 3- النوع الثالث : مصادر معتبرة غير حديثية، واعتمادهم ما ورد فيها من أحاديث مكذوبة 0

أما النوع الأول مصادرهم الغير معتبرة فتتنوع إلى ما يلي :

(1) انظر : السنة ومكانتها للدكتور السباعي ص 28 0

(427/2)

- 1- كتب خصوم السنة وأهلها من الخوارج، والرافضة، والمعتزلة، والباطنية، كالأصفهاني (1) ؛ صاحب كتاب الأغاني (2) 0 وما كتبه أعداء الإسلام من المستشرقين بروح الحقد، والتعصب الأعمى ضد الإسلام والمسلمين في "دوائر معارفهم -الغير إسلامية" وغير ذلك من كتبهم المسمومة 0
- 2- كتب لا صلة بينها وبين علوم السنة ككتب الأدب، واللغة، والنحو، والشعر، والتاريخ لغير المحدثين 0
- 3- كتب من وضع الزنادقة، ولا يعرف لها مؤلف كآلف ليلة وليلة (3) 0

(1) الأصفهاني هو : علي بن الحسين بن الهيثم الآموي، أبو الفرج الأصفهاني، كان شاعراً، مصنفًا،

أديباً، قال الذهبي : والعجب أنه شيعي وهذا نادر في أموى، وقال ابن الجوزي: إنه ومثله لا يوثق بروايته فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوى شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، من مؤلفاته : الأغاني والأخبار والنوادر، وأخبار الطفيليين وغير ذلك 0 مات سنة 356هـ له ترجمة في : لسان الميزان 13/5 رقم 5837، والبداية والنهاية 280/11، والفهرست ص 183، 184، ووفيات الأعيان 307/3 رقم 417، وميزان الاعتدال 123/3 رقم 5825، وتنزيه الشريعة لابن عراق 87/1 رقم 304 0

(2) انظر : خطورة هذا الكتاب، وكيف اتكأ عليه أكثر من مستشرق، هو وكتاب ألف ليلة وليلة، في طعنهم في رواة السنة، وفتاوى الأئمة، وآراء الفقهاء، وتاريخ المسلمين، وأوعزو إلى = المستغربين من أبناء أمتنا بالاعتماد عليه في التأريخ لتاريخنا الإسلامى الجيد، انظر في تفصيل ذلك أصالة الفكر الإسلامى في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربى للأستاذ أنور الجندى ص 410-416، وانظر له أيضاً : مقدمات العلوم والمناهج 369/1، 182/4، 188، وانظر : المستشرقون والتراث للدكتور عبد العظيم الديب ص 19-22 0

(3) انظر : أصالة الفكر الإسلامى ص 410-416، والمستشرقون والتراث ص 19-22 0

(428/2)

وحتى لا يقال إن فى هذا الكلام إجحاف وتجن على أصحاب المنهج العلمى -المزعوم- "وأهل التحقيق والتمحيص" لننظر فى المصادر التى اعتمد عليها الصنم الأكبر للمستشرقين "جولدتسيهر" وهو يهاجم السنة المطهرة فى كتابه "دراسات محمدية" (1) 0

نقل جولدتسيهر من كتب السنة الستة وموطأ مالك، وسنن الدارمى، ومصابيح السنة للبغوى، وهو وغيره فى هذه الكتب المعتمدة، يخدعون قارئهم على ما سيأتى 0
... أما المصادر التى يعتمد عليها غالباً فى إصدار أحكامها فهى :

1- حياة الحيوان الكبرى للدميرى 0

2- أدب القاضى للخصافى 0

3- الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني 0

4- معجم الأدباء لياقوت الحموى 0

5- سيرة سيف بن ذي يزن⁰

6- سيرة عنتر بن شداد⁰

7- كتاب الخراج لأبي يوسف⁰

8- فهرس ابن النديم⁰

9- كشف الظنون لحاجي خليفة ... إلخ⁰

... وهذا غير المراجع التي قدمها نظراؤه من المستشرقين، وكتبت بلا إنصاف، واعتمدت على مثل

ما اعتمد عليه من المصادر (2) ⁰

... ولننظر في مصادر محمود أبو ريه في كتابه "أضواء على السنة" (3) ، والتي اعتمد عليها في تحقيقه

العلمي المزعوم⁰ فهو كسابقه اعتمد أيضاً على كتب السنة الستة والملوطاً، والدارمي وغير ذلك من

مصادر معتمدة وكان الهدف من ذلك خداع القارئ وإيهامه بأهمية البحث - كما سيأتي مفصلاً بعد

قليل ⁰

... أما المصادر التي اعتمد عليها في إصدار أحكامه على السنة المطهرة وروايتها فهي:

1- تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان⁰

2- العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان⁰

(1) هذا على سبيل المثال في كتابه هذا، وقس على ذلك في بقية كتبه "العقيدة والشرعية في

الإسلام" و "مذاهب التفسير الإسلامي" كما قس على ذلك غيره من المستشرقين⁰ انظر :

المستشرقون والتراث ص 19-22 ⁰

(2) انظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص 306 - 313 بتصرف⁰

(3) هذا على سبيل المثال في كتابه هذا وقس على ذلك في كتابه شيخ المضيرة أبو هريرة، وقس على

مصادر أبي ريه غيره من أعداء السنة⁰

- 3- دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين⁰
- 4- تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان⁰
- 5- المسيحية في الإسلام للقس إبراهيم لوقا⁰
- 6- العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدتسيهر⁰
- 7- أحاديث عائشة للسيد مرتضى العسكري⁰
- 8- ابن سبأ للسيد مرتضى العسكري⁰
- 9- أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين⁰
- 10- أصل الشيعة وأصولها محمد الحسين آل كاشف⁰
- 11- البيان والتبيين للجاحظ⁰
- 12- والحيوان للجاحظ ... إلخ⁰

... وبهذه اللوحة السريعة في مصادر بعض الطاعنين في السنة المطهرة : يتضح بشكل جلي عدم نفعها في أى دراسة للحديث الشريف، إما لبعد مادة بعضها عن الحديث الشريف، أو لأن البعض الآخر منها لا ينفع، لتحامل أصحابها، وجلهم من المستشرقين، وغلاة الشيعة (1) ... أما النوع الثانى من مصادر أعداء السنة فمصادر معتبرة في الحديث، والتفسير، والفقه، وعلوم القرآن، والسنة، وكتب الدفاع عنها، وقصدوا من وراء ذلك إيهام القارئ بأهمية بحوثهم، وأن تلك المصادر تنتهى إلى ما انتهوا إليه في بحوثهم، والحق أنها كلها تكذبهم في دعواهم⁰

وإلا فهل هناك عاقل يجزئ على القول بأن ما ذكره محمود أبو ريه من مصادر معتبرة تنتهى في نتيجتها إلى ما انتهى إليه من طعن في حجية السنة المطهرة، ورواها الثقات الأعلام : كالمصادر التالية :

- 1- تذكرة الحفاظ للذهبي⁰
- 2- شروط الأئمة الستة والخمسة للمقدسى والحازمي⁰
- 3- مقدمة ابن الصلاح⁰
- 4- قواعد التحديث للقاسمي⁰
- 5- شرح القارئ على نخبة الفكر لابن حجر⁰
- 6- تقييد العلم للخطيب البغدادي⁰
- 7- الموافقات والاعتصام للشاطبي⁰
- 8- الإحكام للآمدي⁰
- 9- الإحكام لابن حزم⁰

- 10- ومنهاج السنة لابن تيمية⁰
- 11- جامع بيان العلم وفضله⁰
- 12- البداية والنهاية لابن كثير⁰
- 13- والعواصم من القواصم للقاضي ابن العربي⁰
- 14- وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة⁰

(1) انظر : ضوابط الرواية عند المحدثين، ص 311 0

(430/2)

فهل يجزئ عاقل على القول: بأن تلك المصادر المعتمدة التذكروها محمود أبو رية وغيرها يقول أصحابها بمثل قوله الحبيث أو تنتهي إلى ما انتهى إليه "سبحانك هذا بهتان عظيم"⁰

وقس على ذلك سائر دعاة الفتنة وأدعياء العلم من المستشرقين ودعاة اللادينية عندما يستشهدون في هجومهم على السنة المطهرة بمصادر معتمدة، فالأمر لا يخرج عن إيهام القارئ وتضليله بأن أصحاب تلك المصادر الموثوقة ينتهون إلى ما انتهوا إليه⁰

... أما إذا ذكروا من تلك المصادر المعتمدة حقائق مسلماً بها عند أهل العلم فلا يخرج حالهم في هذه الحالة عن ثلاثة أمور :

أولهما : الاستشهاد بتلك الحقائق المسلم بها في غير موضعها إيهاماً للقارئ بأن أصحاب تلك المصادر المعتمدة التي ذكرت تلك الحقائق يلتقون معهم في فكرتهم ومقصدتهم، ومن ذلك ما سبق في شبهة الوضع، وكثرة الوضعين، واستشهادهم بكلام الأئمة في أسباب الوضع وأصناف الوضعين بأن ذلك أضعف الثقة بالسنة وبحجيتها (1) هذا في حين ذكر علماء المسلمين أسباب الوضع وأصناف الوضعين في مصادرهم لبيان جهود المحدثين في كشف الكذابين، وأنه لم يخف أمرهم على حفاظ السنة، وأنها خرجت سليمة معافاة من فتنة الوضعين فذكروا كل هذا كميزة وفضيلة (2) 0 إلا أن أعداء السنة نقلوا من مصادر علماء المسلمين تلك الميزة واستشهدوا بها في غير موضعها ونشروها على أنها نقيصة⁰

فتأمل كيف ينشرون مميزات السنة على أنها عيوب0

ومن ذلك أيضاً ما سبق في مسألة (استقلال السنة المطهرة بتشريع الأحكام) واتخاذ أعداء السنة كلام الإمام الشاطبي في تلك المسألة ستاراً للتشكيك والطعن في حجية السنة ومكانتها التشريعية (3) 0

-
- (1) راجع : إن شئت ما سبق في الجواب عن شبهة الوضع ص 391 0
(2) راجع : إن شئت جهود حملة الإسلام في مقاومة حركة الوضع والوضعيين ص 405-416 0
(3) راجع : ص 519-534 0

(431/2)

ثانيهما : الاستشهاد من المصادر المعتمدة بحقائق مسلم بها لكنها "مبتورة" فيكتفون بذكر ما يشهد لدعواهم، ويغضون الطرف عما يفهمهم0

ومن ذلك مما سبق في "شبهة النهي عن كتابة السنة" حيث نقلوا من المصادر المعتمدة المؤرخة لذلك، الباب الذي يؤيدهم في دعواهم كـ "باب الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتاب العلم"، وغضوا الطرف عن بقية الأبواب الواردة في نفس المصادر المعتمدة التي استشهدوا بها، والتي ترد على شبهتهم، كـ "باب وصف العلة في كراهية كتابة الحديث"، و"باب الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم" (1) 0

... ثالثهما : الاستشهاد من المصادر المعتمدة بتحريف النصوص عن مواضعها وهذا من مأخذ أهل البدع بالاستدلال (تحريف الأدلة عن مواضعها) كما قال الشاطبي (2) 0

... ومن ذلك ما سبق في "شبهة الاكتفاء بالقرآن، وعدم الحاجة إلى السنة المطهرة"، وتحريف أحمد صبحي منصور، وجمال البنا لكلام الحافظ ابن حجر في شرحه للمراد من حديث عبد الله بن أبي أوفى في وصية النبي (بالاختصار على الكتاب0 قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "الاختصار على الوصية بالكتاب لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط،

فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي (به لقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (3) 0

أما أحمد صبحي منصور فاستشهد بكلام الحافظ ونقل كلامه هذا مبتوراً محرفاً بحذفه لفظه (النبي) فصارت العبارة : "فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به" 0

(1) راجع : ص 260 ، 261 0

(2) الاعتصام 1/202 0

(3) جزء من الآية 7 من سورة الحشر 0

(432/2)

وكذلك صنع جمال البنا استشهد بكلام الحافظ مبتوراً محرفاً فقال : "أى التمسك به "يعنى القرآن" والعمل بمقتضاه إشارة إلى قوله : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله" (1) وترك بقية كلام الحافظ ابن حجر أن عمل الناس بالكتاب يقتضى العمل بكل ما أمرهم النبي (به لقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (2) 0

أما النوع الثالث من مصادر أعداء السنة فمصادر معتبرة غير حديثة، يستشهدون بما فيها من أحاديث ضعيفة أو موضوعة تشهد لدعواهم 0

ومن ذلك استشهادهم بحديث عرض السنة على القرآن : "إذا روى لكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فاقبلوه، وإلا فردوه" (3) واعتمادهم صحة الحديث لجرد وروده في بعض كتب الفقه أو الأصول كالحصول في أصول الفقه (4) ، وأصول السرخسي (5) ، والمعتمد في أصول الفقه (6) 0

وقد نقل غير واحد من أهل الزيغ والهوى هذا الحديث من مصادر معتبرة غير حديثة موهماً أن أصحاب تلك المصادر يقولون بعرض السنة على القرآن، بمفهومهم القائم على رد الحديث بمجرد التعارض الظاهري حتى مع إمكان الجمع والتأويل 0

... ومن فعل ذلك أحمد حجازى السقا فى كتابه "دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى" عزاً حديث "عرض السنة على القرآن" إلى الحصول للرازى، موهماً أن الرازى، والفقهاء يقولون بالحديث (7) ، فى حين أن الرازى يحكى مخالفة عيسى بن أبان لجمهور علماء المسلمين بإيجابه عرض خبر الآحاد على القرآن الكريم (8) 0

(1) سبق تخريجه ص 196، وانظر : المستشرقون والتراث للدكتور الديب ص 28 - 41 0

(2) راجع إن شئت ص 196 0

(3) سبق تخريجه وبيان وضعه انظر : ص 218-223 0

(4) الحصول 215/2

(5) أصول السرخسى 1/365 0

(6) المعتمد فى أصول الفقه 2/80 0

(7) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص 110 0

(8) الحصول 215/2 0

(433/2)

ويجاء عن استشهادهم بأحاديث مكذوبة وردت فى مصادر معتبرة غير حديثية بما هو مقرر عند أهل الحديث وهو :

أنه لا يكتفى بعزو الحديث إلى من ليس من أهله دون بيان : وإن جل كعظماء المفسرين، والفقهاء، والمتصوفة، والمؤرخين، وغيرهم، بل لابد من معرفة تعقبات المحدثين على ما أوردوه فى كتبهم وذكره عند العزو إليها، ما لم يكونوا من أئمتهم، أو دراسة أسانيدھا ومتونها - إذا كانت خالية من تعقبات المحدثين ولم يكونوا من أئمتهم دراسة دقيقة فاحصة لمتبجر فى الحديث وعلومه، للوصول من وراء ذلك إلى الحكم بصحة الحديث أو ضعفه أو الحكم عليه بالوضع (1) كما فى حديث عرض السنة على القرآن 0

(1) كشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث سيد الأنام 1/31 0

... وفي ذلك يقول الإمام عبد الرؤوف المناوى (1) : "فلا أعزوا إلى شئ منها" أى المصادر " ولا أكتفى بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جل كعظماء المفسرين ... فكتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة، وكأكابر الفقهاء "أى غير الأئمة الأربعة" فإن الصدر الأول من أتباع المجتهدين لم يعتنوا بضبط التخريج وتمييز الصحيح من غيره، فوقعوا فى الجزم بنسبة أحاديث كثيرة إلى النبى (وفعروا عليها كثيراً من الأحكام مع ضعفها، بل ربما دخل عليهم الموضوع "نسياناً أو غلطاً دون عمد" (2) 0

ومثل هذه الأخطاء الحديثية لهؤلاء العلماء الأجلاء وهم غير متخصصين فى الحديث وعلومه - لا تقدر فى منزلتهم العلمية، ولا فى مؤلفاتهم ولا فى سلامة الأغراض التى من أجلها ألفوا كتبهم" (3) 0

... قال الإمام المناوى : "وهذا لا يقدر فى جلالته، بل ولا فى اجتهاد المجتهدين إذ ليس من شرط المجتهد الإحاطة بحال كل حديث فى الدنيا" (4) 0أ

(1) هو: الإمام الحافظ عبد الرؤوف بن تاج الدين المناوى، بضم الميم الشافعى القاهرى، من مؤلفاته: فيض القدير بشرح الجامع الصغير، والجامع الأزهر، وغير ذلك، مات سنة 1031هـ = 1621م له ترجمة فى : هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا 510، 511/1، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للحاجى خليفة 561/1 ، والرسالة المستطرفة للكتانى ص 184 0

(2) فيض القدير 20/1، 21 بتصرف، وانظر : قواعد التحديث للقاسمى ص 182، 183 ومن الأمثلة على ذلك حديث: "من قضى صلاته من الفرائض فى آخر جمعة من رمضان، كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتنة فى عمره إلى سبعين سنة" قال العلامة ملا على القارى باطل قطعاً ولا عبرة بنقل صاحب النهاية وغيره من بقية شراح الهداية، فإنهم ليسوا من المحدثين، ولا أسندوا الحديث إلى أحد من المخرجين" انظر : الموضوعات الكبرى ص 242 رقم 953، وانظر : الأجوبة الفاضلة ص 29 0 35 -

(3) كشف اللثام 33/1

(4) فيض القدير 21/1 0

... قال العلامة اللكنوى : فإن قال قائل : فما بالهم أوردوا في تصانيفهم الأحاديث الموضوعة - مع جلالتهن ونباهتهن - ولم لم ينقدوا الأسانيد مع سعة علمهم؟

قلت : لم يُوردوا ما أوردوا : مع العلم بكونه موضوعاً، بل ظنّوه مروياً وأحالوا نقد الأسانيد على نُقاد الحديث، لكونهم أغنوه عن الكشف الحثيث، إذ ليس من وظيفتهم البحث عن كيفية رواية الأخبار، إنما هو من وظيفة حملة الآثار، فلكل مقام مقال، ولكل فن رجال" (1) أ0ه0

وبعد

... فإن وسائل أعداء السنة في الكيد لها لا تقف عند حد، وصدق الإمام الشاطبي -رحمه الله - :
"ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عرف أنها لا تنضبط، لأنها سيالة لا تقف عند حد"
(2) 0

... وبحسب كل مسلم أن يتنبه إلى القواعد الكلية التي ينطلقون منها للكيد للسنة المطهرة، ويعرف بطلان تلك القواعد، وأنه لا أساس لها فهي كمثل بيت العنكبوت0
قال تعالى : (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (3) وهذا ما حرصت على تفصيله في الفصول السابقة0

... ونأكد في الباب الثالث بذكر نماذج من الأحاديث الصحيحة التي طعن فيها أهل الزيغ والهوى،
والجواب عنه0 فإن بيان ذلك0

(1) الأجوبة الفاضلة للكنوى ص 35، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص 183 0

(2) الاعتصام 232/1 0

(3) الآية 41 من سورة العنكبوت0

الباب الثالث

نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها
والجواب عنها

وتحته تمهيد وعشرة فصول :

التمهيد ويتضمن بيان :

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها⁰

ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها⁰

الفصل الأول : حديث "إنما الأعمال بالنيات"⁰

الفصل الثاني : حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف"⁰

الفصل الثالث : أحاديث "رؤية الله () و"محنة آدم موسى عليهما السلام" و"الشفاعة"⁰

الفصل الرابع : أحاديث ظهور "المهدي" وخروج "الدجال" و"نزول المسيح عليه السلام"

الفصل الخامس : حديث "عذاب القبر ونعيمه"⁰

الفصل السادس : أحاديث "خلوة النبي (بامرأة من الأنصار " و"نوم النبي (عند أم سليم أم حرام"

وحديث "سحر النبي ()"⁰

الفصل السابع : حديث "رضاعة الكبير"⁰

الفصل الثامن : حديث "وقوع الذباب في الإناء"⁰

الفصل التاسع : ثمرات ونتائج الحديث الصحيح⁰

الفصل العاشر : مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة⁰

التمهيد

ويتضمن بيان

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها⁰

ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها⁰

... يحرص أعداء السنة - أعداء الإسلام - في عصرنا على تناول الأحاديث الصحيحة، وخاصة صحيح البخاري ومسلم بالنقد والتجريح، المزور الباطل، وذلك كي يصلوا في النهاية إلى التشكيك في السنة جميعها وصرف المسلمين عنها، ويركزون على الصحيحين لأنه بسقوط الرأس يسقط الجسد كله⁰ وقد عرفنا منذ قليل أن الصحيحين وهما أصح الكتب بعد كتاب الله (ليسا جهد أفراد، وإنما هما جهد أمة، من جهابذة المحدثين، تناولوا الكتابين بالنقد والدراسة، وأسفرت تلك الدراسة عن صحة الكتابين صحة لا يشوبها أدنى شك، سوى أحرف يسيرة لا يصل الحال بها أبداً إلى درجة الوضع، بل ولا حتى إلى درجة الضعف الذي لا يحتمل، وإنما غاية هذه الأحرف قصور شروط الصحة فيها عما التزمه الشيخان من إخراج أصح الصحيح⁰

(437/2)

... وقد عرفنا أيضاً أن المحدثين لم يقصروا في نقد المتن، كما يزعم من عميت بصيرتهم، وكيف يقصرون! وهل قام علم الحديث دراية بجميع أنواعه إلا لخدمة علم الحديث رواية؟ وكيف يقصرون وما وضعوه من شروط لصحة الحديث من اتصال السند، وعدالة الراوي، وضبطه، وعدم الشذوذ، وعدم العلة - إلا لضمان سلامة المتن، والتأكد من صحة نسبته إلى النبي (0) وعرفنا كيف أن ما يبدوا ظاهراً من الشروط الخمسة من اختصاصه بالسند هو في الحقيقة متعلق بالمتن ظاهراً وباطناً⁰

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها :

... إن هؤلاء النابتة من أعداء ديننا وأمتنا، اتخذوا من تحكيم عقولهم الزائغة القاصرة، المقياس الأول والأخير في نقدهم للأحاديث والحكم عليها، ويتخذون من ذلك ذريعة إلى إنكار الأحاديث، وتخطئة علماء السنة، وتخطئة الجمهرة من المسلمين الذين اهتموا بهديهم وعلمهم، وساروا على دربهم، يدفعهم إلى ذلك عمى بصيرة، وحقد دفين على سنة رسول الله (كما يهدفون إلى أن يبتعد الناس عن نور النبوة المباركة وهديها المستقيم، وهم يطوون حقدهم وأهدافهم وراء تناول بعض الأحاديث التي تحتاج إلى فهم خاص، يتلاءم مع مبادئ الإسلام، والفهم الصحيح لتعاليمه وقيمه (1) ، مثل حديث (رضاعة الكبير) وسيأتي ذكره والجواب عنه بإذن الله تعالى⁰

ب- طبعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها :

(1) انظر : كتب السنة دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزى ص 108، 109 بتصرف0

(438/2)

... طبعة الأحاديث التي اتخذها دعاة الفتنة وأدعياء العلم وسيلة للنيل من سنة رسول الله (والنيل من رواها الثقات الأعلام من صحابة رسول الله (والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين أصحاب المصنفات الحديثية - شملت أبواب السنة كلها من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والفتن، والرقائق، والطب، والسيرة ... إلخ0 وهم يحرصون دائماً وهم يطعنون في الأحاديث الصحيحة، أن تكون تلك الأحاديث من الأصول، والعقائد لزعزعة قلوب المؤمنين بعقائدهم حتى يصلوا إلى غايتهم قال تعالى : (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) (1) 0 ... وسوف نذكر نماذج من تلك الأحاديث الصحيحة التي طعنوا فيها في ثمانية فصول0

الفصل الأول

حديث "إنما الأعمال بالنيات"

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : شبه الطاعنين في حديث "إنما الأعمال بالنيات" والرد عليها0

المبحث الثاني : مكانة حديث "إنما الأعمال بالنيات"0

المبحث الأول

شبه الطاعنين في حديث "إنما الأعمال بالنيات"

والرد عليها

... أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن علقمة بن وقاص الليثي (2) قال : سمعت عمر بن

الخطاب (على المنبر قال : سمعت رسول الله (يقول : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما

نوى : فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"0

(1) الآية 89 من سورة النساء0

(2) علقمة بن وقاص الليثي المدني، ثقة ثبت، اخطأ من زعم أنه له صحبة0 وقيل إنه ولد في عهد النبي (روى عن عمر، وعائشة، وعنه ابنه، ومحمد بن إبراهيم التيمي، والزهرى مات في خلافة عبد الملك بن مروان0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 687/1 رقم 4701، والكاشف 35/2 رقم 3877، والجرح والتعديل 405/6 رقم 2259، والثقات للعجلي ص 342 رقم 1164، وتذكرة الحفاظ 53/1 رقم 35، ومشاهير علماء الأمصار ص 89 رقم 459 0

(439/2)

... هذا الحديث الذى يمثل أصلاً من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده طعن فيه الصنم الأكبر للمستشرقين - جولدتسيهر - وضربه مثلاً على ما ذهب إليه من أن الحديث نتيجة للتطور الدينى خلال القرون الأولى، وقال : "وقد ارتفع شأن هذا الحديث إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية يقول الله تعالى : "لا قوئى بنياتكم ولا تلاقوئى بأعمالكم" وهو حديث متأخر ظهر كصدى لافتناع المؤمنين بذلك، وعلامة على قيمة أعمالهم الدينية" (1) 0

وتابع طعناً فى صحة الحديث دعاة اللادينية، يقول نيازى عز الدين : "إن هذا الحديث أحد ثلاثة أحاديث خطيرة افترها جنود السلطان لقلب دين الله الذى فى القرآن؛ إلى دين السلطان الموجود فى أحاديث جنوده (2) 0

وبهذا الحديث استحل فى نظره - أئمة المسلمين ورواة السنة الثقات - جنود السلطان عنده - استحلوا بهذا الحديث التحايل فى دين الله، وحجته فى ذلك افتتاح الإمام البخارى به كتاب الحيل من صحيحه قال : حديث "إنما الأعمال" أول حديث يفتح به البخارى فى صحيحه كتاب الحيل لأنه حجر الزاوية بالنسبة لكل تلك الأحاديث المفتراه على الله والرسول، فوضعها لنا فى أول جملة من كتابه، حتى يدل من كان يريد أن يعرف أن ذلك الحديث، كان المفتاح الذهبى لكل أبواب الاحتيال فى دين السلطان، التى فتحت كل تلك الأبواب على مصراعها لجنود السلطان من أجل، تأليف فقه

دين السلطان"] (3) أ0هـ0

... ويجاب على ما سبق بما يلي :

-
- (1) العقيدة والشريعة في الإسلام ص 53، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/544 0
- (2) دين السلطان ص 560 0
- (3) المصدر السابق ص 560، وانظر من نفس المصدر : ص 206، 672، وانظر : إنذار من السماء 697، وتبصير الأمة بحقيقة السنة إسماعيل منصور ص 353، والسنة ودورها في الفقه الجديد جمال البنا ص 158 0

(440/2)

أولاً : حديث "إنما الأعمال بالنيات" صحيح متفق على صحته (1) 0 قال الحافظ ابن حجر : "إن هذا الحديث متفق على صحته، أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ" (2) 0

-
- (1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" في عدة أماكن من صحيحه منها، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (15/1 رقم 1، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإمارة، باب قوله (إنما الأعمال بالنية 61/7 رقم 1907، وأخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن في باب النوادر ص 341 رقم 983 0
- (2) ظن الحافظ ابن حجر في فتح البارى 17/1، وفي التلخيص الحبير أن البخارى ومسلم أخرجا الحديث عن مالك وليس في الموطأ، وقد نبه الحافظ السيوطى على خطئه في كتابه "منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال" أ0هـ أفاده فضيلة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف على هامش الموطأ برواية الشيبانى ص 341 0

(441/2)

ثانياً : هنالك كثير من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة التي جاءت في معنى هذا الحديث، تحت على الإخلاص وتذم الرياء مثل قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (1) والآية تخاطب أهل الكتابين، وفي ذلك اشتراط النية في صحة الأعمال للأمم السابقة (2) وقال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (3) وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (4) ومن الأحاديث : حديث عائشة -رضي الله عنها - مرفوعاً : "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسفُ بأولهم وآخرهم" قالت 0 قلت : يا رسول الله كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقُهم ومن ليس منهم؟ قال : يُخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم" (5) وفي الحديث أيضاً عن أبي موسى الأشعري (مرفوعاً : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (6)

(1) الآية 5 من سورة البينة 0

(2) انظر : فتح الباري 16/1 0

(3) الآيتان 15، 16 من سورة هود 0

(4) الآية 110 من سورة الكهف 0

(5) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق 397/4 رقم 2118

واللفظ له، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم

البيت 233/9 رقم 2884 0

(6) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي

العليا 33/6، 34 رقم 2810، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة

الله هي العليا فهو في سبيل الله 56/7، 57 رقم 1904 واللفظ لمسلم 0

والأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة جداً في تأييد معنى الحديث 0
ولكن جولدتسيهر ومن قال بقوله لم يطعن في هذا الحديث من فراغ، فقد كان يعلم قدره وعظمته
ومكانته في الإسلام، وبذلك صرح في كتابه دراسات محمدية قائلاً : "ويعد كلام النبي هذا واحداً من
أعظم مبادئ الإسلام، ويعد واحداً من أربعة مبادئ أساسية عليها مدار الإسلام" (1) 0

وهنا يظهر تناقض جولدتسيهر حيث يذهب بأن الحديث من وضع الفقهاء، ونتيجة للتطور الديني
للإسلام، كما زعم في كتابه العقيدة والشرعة، وهنا في كتابه دراسات محمدية، يقر بأن الحديث من
كلام النبي (، وروى في عهود مبكرة في المدينة، ولم يقل وضعه الفقهاء وإنما قال : "وقد طبق الفقهاء
هذه العبارة لكونها مبدأ أسمى في معالجة المسائل الدينية والشرعية" (2) 0
... وعلى كل حال فدعواه بأن الحديث متأخر، قد ظهر لك بطلانها من نص الحديث حيث خطب
به الفاروق عمر (وأسنده إلى الرسول، وصدق عليه من سمعه، وهم جمهور كبير من صحابة رسول الله
(وذكر الإمام العيني أيضاً أن الرسول (خطب به لما قدم المدينة (3) 0

(1) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10
ص 544، 545 0

(2) دراسات محمدية نقلاً عن المصدر السابق ص 545، 546 0

(3) انظر : عمدة القارى 1/17 0

(443/2)

أما قول جولدتسيهر : "لاقوني بنياتكم ولا تلاقوني بأعمالكم" فهذا خلاف ما دل عليه الحديث، فإن
الحديث لم ينف الأعمال، بل شرط لصحتها النية، إذ العمل مطلوب شرعاً كما قال سبحانه : (وَتِلْكَ
الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (1) وقرنه بالإيمان في أكثر من آية : (وَالْعَصْرِ) (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (2) 0 وقال (:
"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (3) 0

... أما ما زعمه بعض النكرات أن أئمة المسلمين وضعوا حديث "إنما الأعمال"، واستحلوا به

التحايل في دين الله بحجة افتتاح الإمام البخارى للحديث في كتاب الحيل من صحيحه فهذا من تضليله وجهله⁰

أما تضليله فهو عدم ذكره اسم الباب الذى ذكر الإمام البخارى الحديث تحته وهو باب بعنوان "في ترك الحيل وأن لكل إمري ما نوى في الأيمان وغيرها"⁰
وواضح من عنوان الباب إبطال زعم النكرة أن الحديث دليل على استحلال الحيل⁰
أما جهله فهو قلة عقله في استيعاب فقه الإمام البخارى في تراجمه في أبوابه، وأنى له إدراك ذلك، وتلك "التراجم حيرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار، ولقد أجاد القائل : أعى فحول العلماء حل رموز ما أبداه في الأبواب من أسرار" (4) ⁰

(1) الآية 72 من سورة الزخرف⁰

(2) سورة العصر⁰

(3) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم 363/8 رقم 2564

من حديث أبي هريرة (وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 48/2، 49 ⁰

(4) انظر : هدى السارى ص 16، وتيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة

الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص 152 ⁰

(444/2)

... فالإمام البخارى رحمه الله تعالى افتتح كتابه الحيل بحديث "إنما الأعمال بالنيات" وعنون للباب قبل ذكر الحديث بباب في ترك الحيل ... " (1) فأدخل كلمة "الترك" لئلا يتوهم أحد من أدعياء العلم من ترجمة الكتاب "كتاب الحيل" إجازة الحيل⁰

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لعنوان الباب قال : قوله : "باب ترك الحيل" قال ابن المنير : أدخل البخارى الترك في الترجمة، لئلا يتوهم أى من ترجمة الكتاب "كتاب الحيل" إجازة الحيل عموماً، فإن القول بجوازها عموماً إبطال حقوق وجبت، وإثبات حقوق لا تجب، فتحرى فيها لذلك⁰

قال ابن حجر قلت : وإنما أطلق أولاً "كتاب الحيل" للإشارة إلى أن من الحيل ما يشرع فلا يترك مطلقاً فضابطها إن كانت للفرار من الحرام، والتباعد من الإثم فحسن، وإن كانت لإبطال حق مسلم فلا بل هي إثم وعدوان" (2) 0

وقال ابن قيم الجوزية : "الحيل نوعان : نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله 0 ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً والحق باطلاً والباطل حقاً، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض" (3) 0

فإذا كان من النوع الباطل إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً 0 فهل هناك مسلم يجزئ على القول بأن أئمة المسلمين ورواة السنة الثقات استحلوا أكبر الكبائر بالكذب على رسول الله (ينسبه شيء لم يقله، وجعله شرعاً إلى يوم الدين؟ سبحانه هذا بهتان عظيم 0

(1) انظر : صحيح البخارى "بشرح فتح البارى" 342/12 رقم 6953 0

(2) فتح البارى 342/12، 343 بتقديم وتأخير 0

(3) إغاثة اللهفان 354/1 0

(445/2)

يقول ابن قيم الجوزية : "إن هذه الحيل المحرمة لا تجوز أن تنسب إلى إمام، فإن ذلك قدح في إمامته، وذلك يتضمن القدح في الأمة حيث إئتت بمن لا يصلح للإمامة، وهذا غير جائز، ولو فرض أنه حكى عن واحد من الأئمة بعض هذه الحيل المجمع على تحريمها فيما أن تكون الحكاية باطلة، أو يكون الحاكم لم يضبط لفظه ... ، ولو فرض وقوعه منه في وقت ما فلا بد أن يكون قد رجع عن ذلك، وإن لم يحمل الأمر على ذلك لزم القدح في الإمام، وفي جماعة المسلمين المؤمنين به، وكلاهما غير جائز، ولا خلاف بين الأئمة؛ أنه لا يجوز الإذن في التكلم بكلمة الكفر لغرض من الأغراض، إلا المكره إذا اطمأن قلبه بالإيمان، ثم إن هذا على مذهب أبي حنيفة وأصحابه أشد (1) ، فإنهم لا

يأذنون في كلمات وأفعال دون ذلك بكثير، ويقولون : إنها كفر، حتى قالوا : لو قال الكافر لرجل :
"إني أريد أن أسلم" فقال له : "اصبر ساعة" فقد كفر، فكيف بالأمر بإنشاء الكفر؟ وقالوا : لو قال
"مسيجد" أو صغر لفظ المصحف كفر⁰ فعلمت أن الأئمة أعلم بالله ورسوله، ودينه، وأتقى له من أن
يجيزوا، فضلاً عن أن يستحلوا-الحيل التي هي كفر أو حرام" (2) ، ولا ينسب ذلك إليهم إلا مارق
ضال محتال⁰

(1) يقول ابن قيم هذا في حقهم، دفاعاً عما نسب إلى الإمام وأصحابه من تجويز الحيل والفتوى بها
(2) أعلام الموقعين 190/3، 191 بتصرف يسير، وللمزيد من الرد على تحريم الحيل، والرد على
الجوزين لها انظر : ما كتبه الإمام الفذ ابن قيم في كتابيه أعلام الموقعين، وإغاثة اللهفان فقد أفاض
وأجاد في تفصيل ذلك⁰

(446/2)

... قال الحافظ ابن حجر : وقول البخاري : "وإن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها" من تفقه
المصنف لا من الحديث قال ابن المنير : اتسع البخاري في الاستنباط، والمشهور عند النظر حمل
الحديث على العبادات فحملة البخاري عليها، وعلى المعاملات، وتتبع مالكاً في القول بسد الذرائع،
واعتبار المقاصد، فلو فسد اللفظ، وصح القصد ألغى اللفظ، وأعمل القصد، تصحيحاً وإبطالاً، قال
: والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع، وإبطال التحيل، من أقوى الأدلة" (1) ⁰
واستدل بذلك أيضاً ابن قيم الجوزية على تحريم الحيل⁰ فقال حديث : "إنما الأعمال بالنيات وإنما
لكل امرئ ما نوى" الحديث أصل في إبطال الحيل ويكفي وحده في إبطال الحيل، ولهذا صدر به
حافظ الأمة محمد بن إسماعيل البخاري كتاب الحيل من صحيحه (2) أ⁰هـ

... فأين من كل هذا ما استدل به بعض النكرات أن افتتاح الإمام البخاري بهذا الحديث في كتاب
الحيل، دليل على استحلالها، واستحلال الكذب على رسول الله ⁰

المبحث الثاني

مكانة حديث "إنما الأعمال بالنيات"

(1) فتح الباری 343/12، وانظر : مبحث "تجويز الحيل يناقض سد الذرائع" في أعلام الموقعين

171/3، وإغاثة اللهفان 0 385/1

(2) انظر : إغاثة اللهفان 362/1، وأعلام الموقعين 0 176/3

(447/2)

... قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : "قد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث"

(1) 0 قال الحافظ العراقي : "هو قاعدة من قواعد الإسلام (2) 0 وقال الإمام أحمد "أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث : حديث عمر : "الأعمال بالنيات"، وحديث عائشة : "من أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو رد" (3) وحديث النعمان بن بشير (4) : "الحلال بين، والحرام بين" (5) 0

... قال الإمام ابن تيمية : "هو أصل عظيم من أصول الدين، بل هو أصل كل عمل، ولهذا قالوا : مدار الإسلام على ثلاثة أحاديث، فذكروها منها، وذكر قول الإمام أحمد الذي سبق، وقال : والذي أمر الله به نوعان :

أحدهما : العمل الظاهر، وهو ما كان واجباً أو مستحباً 0

(1) فتح الباری 0 11/1

(2) طرح الشريب 0 5/2

(3) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباری" كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود 355/5 رقم 2697، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 256/6، 257 رقم 1718 0

(4) النعمان بن بشير : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 559/3 رقم 8728، والاستيعاب 1496/4 رقم 2614، واسد الغابة 310/5 رقم 5237، وتاريخ الصحابة ص 248 رقم 1367، ومشاهير علماء الأمصار ص 65 رقم 332 0

(5) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباری" كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه

153/1 رقم 52، ومسلم "شرح النووي" كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات 31/6
رقم 1599 وانظر : فتح الباري 11/1، وطرح الشريب 5/2، وجامع العلوم والحكم 61/1 0

(448/2)

والثاني : العمل الباطن، وهو إخلاص الدين لله؛ فقلوه (: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" :
ينفى التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به، أمر إيجاب أو أمر استحباب 0 وقوله (: "إنما الأعمال
بالنيات" إلى آخره يبين العمل الباطن، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في الدين لله، كما
قال الفضيل في قوله تعالى: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (1) 0 قال : أخلصه وأصوبه (2) 0
قال ابن تيمية : فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم
يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة النبوية، وعلى
هذا دل قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (3) وإن هذين الأصلين الإخلاص وصواب
العمل؛ هما دين الإسلام الذي ارتضاه الله" (4) 0

... ويقول أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي : "لو صنف كتاباً بدأت في أول كل باب منه بحديث
"إنما الأعمال"، وأوصى بذلك فقال : من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث" (5) 0

(1) الآية 2 من سورة الملك 0

(2) انظر : جامع العلوم والحكم 72/1، وتفسير البغوى 369/4، وتفسير القرطبي 69/11 –

72، وتفسير ابن كثير 108/3 – 110، وفتح القدير 322/3 – 323 0

(3) الآية 110 من سورة الكهف 0

(4) الفتاوى لابن تيمية 249/8 – 250 بتصرف، وانظر : النبوات له ص 126 0

(5) انظر : سنن الترمذى كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء 154/4 عقب حديث

"إنما الأعمال" رقم 1647، والأذكار للنووى ص 6، وعمدة القارى 22/1، والآلى السنيات في

شرح حديث "إنما الأعمال بالنيات" للدكتور إبراهيم على سعده 0

(449/2)

وحسبنا من هذه الأقوال بياناً لمكانة هذا الحديث، وإذا عرفت هذه المكانة، فهت أن أعداء الإسلام لم يطعنوا في هذا الحديث من فراغ، فقد علموا قدره وعظمته ومكانته في الإسلام، فإذا سهل لهم أن يقدحوا فيه فغيره أولى بالقدح 0 ولكن الأمر على خلاف ما يظنون ويأملون 0

(450/2)

الفصل الثاني

حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف"

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول: شبه الطاعنين في حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليها

المبحث الثاني : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف 0

المبحث الثالث : الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع 0

المبحث الرابع : بقاء الأحرف السبعة في المصاحف 0

المبحث الأول

شبه الطاعنين في حديث أنزل القرآن على

سبعة أحرف والرد عليها

... حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف طعن فيه الرافضة قديماً، وزعموا بأنه يثبت كفر

الصحابة بوقوع التحريف اللفظي في القرآن الكريم، وهم كفار بذلك مشركون عند جميع أهل

الإسلام (1) 0

وقديماً كان الإمام ابن حزم يرد على مزاعم وطعون قساوسة النصارى بأن القرآن فيه تحريف ونقص،

وضاع كثير من أصوله وقراءاته باعتراف المسلمين من الشيعة الرافضة 0

فيحييهم ابن حزم بقوله : "إن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين، لأن الشيعة غير مسلمين ... إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي (بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد للإسلام، وهي طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر (2) 0

(1) الإحكام في أصول الأحكام 94/1 0

(2) الفصل في الملل والنحل 78/2، وانظر : مختصر التحفة الإثني عشرية 30، 50، 82، والكافي للكليني 341/1 - 453، وفصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي ص 156-157، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها 231/1، والخطوط العريضة ص 27-30، والشيعة والسنة للأستاذ حسين الهادي ظهير ص 65 - 130 0

(451/2)

ومن طعون الرافضة، استدل إخوانهم من المستشرقين، وتكلموا كثيراً في موضوع القراءات بالأحرف السبعة محاولين إثبات أن هذه القراءات ليست من الوحي أساساً، وإنما نجمت عن "القراءة بالمعنى"، فلم يكن نص القرآن بحروفه بالنسبة لبعض المؤمنين هو المهم، ولكن المهم هو روح النص، ودليلهم ما جاء في بعض الروايات وفيها "كلها شاف كاف، ما لم تختتم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك : تعال وأقبل، وهلم، واذهب، وأسرع، وعجل" (1) 0

ولعل أول من ذهب إلى ذلك من المستشرقين جولدتسيهر، في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" حيث ذهب إلى أن اختلاف القراءات القرآنية راجع إلى خلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل إذ يقول وهو يتحدث عن اختلاف القراءات القرآنية : "وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد الغالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوفاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه" (2) 0

وردد هذا الرأي المستشرق الاسترالي الأصل "آرثر جفري" وذكره في مقدمة تحقيقه لكتاب "المصاحف لابن أبي داود قال : "وكانت هذه المصاحف التي بعثها عثمان إلى الأمصار؛ كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط، ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات" (3) 0

(1) أخرجه أحمد في مسنده 41/5، 52، 114، 122، من حديث أبي بكره (قال الهيثمي في مجمع الزوائد 151/7، ورواه أحمد والطبراني بنحوه إلا أنه قال واذهب وأدبر، وفيه على = ابن زيد بن جدعان، وهو سئ الحفظ، وقد توبع، وبقيه رجال أحمد رجال الصحيح 0هـ انظر : المعجم الكبير 182/10 رقم 10273 من حديث ابن مسعود)

(2) انظر : مذاهب التفسير الإسلامي لجولدسهيتر ص 8، 53 وما بعدها 0
(3) المصاحف لابن أبي داود تحقيق آرثر ص 7، وانظر : إعادة قراءة القرآن لجاك بيرك ص 84،

89

(452/2)

... ونتيجة ذلك كله هي القول بحدوث تغيير في النص القرآني (1) 0 وقد تابع هذين المستشرقين بعض العلماء العرب، من الجامعيين وغيرهم، وأذاعوه في كتبهم 0

(1) انظر : الاستشراق لفضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق ص 109، 110، ومجلة الوعي الإسلامي مقال الدكتور حسن عزوزي آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن العدد 396 ص 38 - 42 0

(453/2)

يقول الدكتور طه حسين (1) : "إن القرآن تلى بلغة واحدة، ولهجة واحدة هي لغة قریش ولهجتها، لم يكذب يتناولها القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته، وتعددت اللهجات فيه، وتباينت تبايناً كثيراً ... إلى أن يقول : "والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكروها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتصباً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها" (2) 0

(1) طه حسين : هو طه حسين بن علي بن سلامة بدأ حياته في الأزهر، ثم الجامعة المصرية القديمة،

وهو أول من نال شهادة منها سنة 1914م، وحصل على العالمية من فرنسا، وعمل أستاذاً بكلية الآداب، فعميداً للكلية، فمديراً للجامعة المصرية، فوزيراً للمعارف⁰ من مؤلفاته : مستقبل الثقافة في مصر، والشعر الجاهلي، وفي الأدب الجاهلي، والفتنة الكبرى، وغير ذلك من مؤلفاته التي تحمل سموم الاستشراق مات سنة 1973م، له ترجمة في الأعلام 231/3، وانظر : رجال اختلف فيهم الرأي للأستاذ أنور الجندى⁰

(2) في الأدب الجاهلي ص 94،95، ومن قال بقوله المستشار سعيد العشماوى في كتابه حصاد العقل ص 72،73، والدكتور محمد أركون في كتابه الفكر الإسلامى نقد واجتهاد ص 77-99، والدكتور نصر أبو زيد في كتابيه "نقد الخطاب الدينى" ص 53، "والإمام الشافعى" ص 59-62، والمستشار مصطفى المهدوى في كتابه "البيان بالقرآن 23/1، وانظر : رد الدكتور محمد محمد حسين على بحث جامعى في كتابه "حصوننا مهددة من داخلها" ص 251-270⁰

(454/2)

ويقول الدكتور أحمد حجازى السقا بعد ذكره حديث عمر (في نزول القرآن على سبعة أحرف قال : "هذه الرواية التي اتفق عليها البخارى والحدثون، وشبهها كثير تثبت التحريف اللفظى في القرآن، فإن هذه الرواية وشبهها يكونون من الروايات الكاذبة التي وضعها المحدثون عمداً في كتبهم للطعن في القرآن الكريم" (1) 0

... ويجب على ما سبق بالآتى :

أولاً : حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" جاء متواتراً عن جمع من الصحابة (فأورده الحافظ السيوطى في الأزهار المتناثرة من حديث عمر، وعثمان، وأبى بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعمر بن أبى سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ ابن جبل، وهشام بن حكيم، وأبى بكر، وأبى جهم، وأبى سعيد الخدرى، وأبى طلحة، وأبى هريرة، وأم أيوب (2) ، وزاد الكتانى حديث ابن عمر، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو ابن العاص (3) 0 فهؤلاء أربع وعشرون صحابياً، ما منهم إلا رواه وحكااه⁰

ونكتفى هنا بسرد بعض الروايات عن بعضهم⁰

(1) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 148 0

(2) الأزهار المتناثرة ص 49، 50 رقم 59 وانظر : تدريب الراوى 179/2، 180، وتوجيه النظر ص 49، وفتح البارى 643/9 رقم 4991، 4992، وفواتح الرحموت 15/2 0
(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 173 رقم 197، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة عبدالعزيز الغمارى، ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 212 0

(455/2)

روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله عنهما -؛ أنه قال : قال رسول الله (: "أقرأني جبريل على حروف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (1) 0 زاد مسلم : "قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف في حلالٍ ولا حرام" (2) 0

وفى الصحيحين أيضاً أن عمر بن الخطاب (كان يقول : سمعت هشام بن حكيم (3) يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة، لم يقرئها رسول الله (، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلم، ثم لببته بردائه، فقلت : من أقرأك هذه السورة؟ قال : أقرئها رسول الله (0 قلت له : كذبت فوالله إن رسول الله (أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله (فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان0 فقال رسول الله (: أرسله يا عمر : اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها0 قال رسول الله (هكذا أنزلت0 ثم قال رسول الله (: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه" (4) 0

(1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 639/8 رقم 4991 0

(2) مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف

وبيان معناه 360/3 رقم 819 0

(3) هشام بن حكيم : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 603/3 رقم 8963، والاستيعاب

1538/4 رقم 5374، ومشاهير علماء الأمصار ص 35 رقم 134 0

(4) البخاري (شرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف
639/8 رقم 4992، ومسلم (شرح النووي) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن
أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه 359/3 رقم 818 0

(456/2)

... وروى مسلم بسنده عن أبي بن كعب (قال : "كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله (، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه 0 فأمرهما رسول الله (فقرأ، فحسن النبي (شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولأ إذ كنت في الجاهلية 0 فلما رأى رسول الله (ما قد غشيتني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنا انظر إلى الله (فرقاً فقال لي : يا أبة أرسل إليّ : أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه : أن هون على أمتي، فرد إلى الثانية : أقرأه على حرفين فرددت إليه : أن هون على أمتي، فرد إلى الثالثة : أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة ردتها مسألة تسألينها 0 فقلت : "اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم (1) 0هـ

... ومن هذه الروايات المتفق على صحتها يظهر إفك من زعم بأن روايات نزول القرآن على سبعة أحرف مكذوبة، كما يظهر إفك من زعم أن القرآن نزل بحرف واحد فقط 0

وظهر في الروايات السابقة : "أن اختلاف القراءة إنما حدث في حياة الرسول (" فيما تلاه عليهم وسمعه منه مشافهة، ولم يأت هذا الخلاف نتيجة النظر في المصحف المكتوب المقروء الخالي من النقاط والشكل، كما زعم جولدتسيهر، وآرث جفري ومن قال بقولهم 0

ثانياً : لو كان خلو المصاحف من الشكل والإعجام سبباً في تنوع القراءات واختلافها، لكان القارئ

الذى يقرأ الكلمة وفق رسم معين، يلتزمه في أمثاله ونظائره حيث وقع في القرآن الكريم، ولم يحدث هذا، وإليك مثلاً واحداً⁰

(1) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه 360/3 رقم 820 0

(457/2)

قوله تعالى في فاتحة الكتاب (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (1) وقوله سبحانه (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ) (2) وقوله تعالى في سورة الناس (مَلِكِ النَّاسِ) (3) 0 فلو تأملت المواضع الثلاثة في المصحف لوجدت الكلمة فيها كلها هكذا "ملك" بالميم واللام والكاف فقط، ولكن حفصاً يقرأ عن عاصم، في الفاتحة "مالك" بالألف بعد الميم، وكذلك يقرأ آية آل عمران، أما في سورة الناس فيقرأ "ملك" من دون الألف كان حفص يقرأ وفق رسم المصحف لقرأ في المواضع الثلاثة "ملك"، ولكنه يقرأ بالرواية المتواترة عن رسول الله (4) 0

وكذلك قد تختلف القراءات أحياناً لغة ونحواً، وهكذا يبدو للناس في ظاهر الأمر، ولكن الاختلاف في الحقيقة راجع إلى التلقى والرواية، لا إلى القاعدة اللغوية أو النحوية⁰ وهذا مثال واحد : قال الله تعالى : (وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) (0 جاءت هذه الآية في موضعين (5) ويقرأ القراء جميعاً "كلًا" بالنصب في الآيتين، لكن ابن عامر يقرأ آية النساء بالنصب؛ كسائر القراء، أما آية الحديد فيقرأها وحده "كل" بالرفع، وللنحويين في توجيه الرفع والنصب كلام⁰

فلو كان ابن عامر يقرأ وفق القاعدة النحوية لقرأ الآيتين بالرفع، ولكنه قرأ بالرواية التي تلقاها هو بالتواتر عن سيدنا رسول الله (: مرة بالنصب، ومرة بالرفع، مع أن تركيب الآية واحد في الموضعين⁰

(1) الآية 4 من سورة الفاتحة⁰

(2) الآية 26 من سورة آل عمران⁰

(3) الآية 2 من سورة الناس⁰

(4) انظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحددين لفضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضى ص 49-53
0

(5) جزء من الآية 95 من سورة النساء، وجزء من الآية 10 من سورة الحديد0

(458/2)

ومثال ثان : الإمالة ظاهرة صوتية، وهي "ان تنحى بالألف نحو الياء، فيلزم أن تنحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة"، وهي لغة بعض القبائل العربية، وقد قرأ بها بعض القراء، والتزموها حيث وجدت دواعيها في القرآن الكريم، لكن حفصاً الذي يقرأ بقراءته، كثير من المسلمين الآن بروايته عن عاصم، لم يقرأ بالإمالة إلا في موضع واحد من الذكر الحكيم وهو قوله تعالى (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) (1)
0

وهكذا يختلف القراء ويتفقون بحسب الرواية والتلقى، وليس بحسب رسم المصحف أو الوجه النحوى أو اللغوى، صحيح أن هذين في الاعتبار، ولكن بعد ثبوت الرواية بالتواتر، والسند الصحيح إلى رسول الله (، وموافقة الرسم العثماني، وأن يكون للقراءة وجه صحيح من العربية0 فإذا سمعت قراءة مسندة لواحد من القراء السبعة أو العشرة؛ كأن يقال : قراءة نافع أو عاصم أو الكسائي، فلا تظن أنها من اختراعه أو ابتداعه، ولكنها اختياره الذي ارتضاه من طريق الرواية المسندة الصحيحة0 ولذلك أثر عن أبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة قوله "لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ به لقرأت كذا وكذا0 وذكر حروفاً"0

ويريد أبو عمرو أن القراءة سنة واتباع وأثر، ولا دخل فيها للسليقة أو الاستحسان اللغوى أو الترجيح النحوى أو رسم المصحف0 ومن ثم يرى كثير من العلماء أن ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة لا يجوز0 يقول أبو العباس ثعلب "إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة، لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام، كلام الناس فضلت الأقوى" (2) 0

قراءات ربانية :

(1) جزء من الآية 41 من سورة هود0

(2) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلي 48/1، 563/4 0

(459/2)

يقول الدكتور محمود الطناحي : "فثبت إذن أن القراءات القرآنية كلها بوجوهها المختلفة من عند الله، ولا دخل لخط المصحف فيها، ولا للوجوه النحوية أو اللغوية فيها كذلك، وثبت أيضاً أن اختلاف القراءات القرآنية إنما هو اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد" (1) 0هـ

... واعلم أن معنى قول "أبي بن كعب" ("فسقط في نفسي من التكذيب إلخ" أن الشيطان ألقى إليه من وساوس التكذيب ما شوش عليه حاله، حين رأى النبي (، قد حسن القراءتين وصوبهما على ما بينهما من اختلاف، وكاننا في سورة واحدة هي سورة النحل على ما رواه الطبري0 وكان الذي مر بخاطره وقتئذ أن هذا الاختلاف في القراءة يناقض أنه من عند الله0 لكنه كان خاطراً من الخواطر الرديئة التي لا تنال من نفس صاحبها منالاً، ولا تفتتها عن عقيدة، ولا يكون لها أثر باق، ولا عمل دائم0

... ومن رحمة الله بعباده؛ أنه لا يؤاخذهم بهواجس النفوس وخلجات الضمائر العابرة، ولكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم، حين يفتح الإنسان للشبهة صدره، ويوجه إليها اختياره وكسبه، ثم يعقد عليها فؤاده وقلبه0

... قال القرطبي : "فكان هذا الخاطر الذي سقط في نفس أبي من قبيل ما قال فيه النبي (حين سألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم0 قال ذلك صريح الإيمان" (2) 0هـ

... ومن هنا تعلم أن ما خطر لسيدنا أبي بن كعب (، لا يمس مقامه، ولا يصادم إيمانه، ما دام قد دفعه بإرشاد رسول الله (سريعاً حتى قال أبي نفسه : "ففضت عرقاً، وكأني انظر إلى الله (فرقاً" (3) 0هـ

- (1) انظر : مجلة العربي العدد 480 لسنة 1998، ص 114 – 119 0
- (2) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها 340/1 رقم 132 من حديث أبي هريرة (0)
- (3) مناهل العرفان 143/1 – 144 0 وانظر : فتح الباري 640/9، 641، والمنهاج شرح مسلم للنووي 364/3 0

(460/2)

أضف إلى ما ذكرنا أن خصومة أبي بن كعب، وعمر وغيرهم من الصحابة في أمر اختلاف القراءة على هذا النحو، إنما كانت قبل أن يعلموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فهم وقتئذ كانوا معذورين، بدليل أنهم لما علموا بذلك، واطمأنت إليه نفوسهم، عمل كل منهم بما علم، وصاروا مراجع مهمة من مراجع القرآن الكريم على اختلاف رواياته 0

يدل على ذلك ما روى عن أبي ابن كعب (قال : لقي رسول الله (جبريل فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين : منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل، الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف" (1) 0

... أما ما زعمه دعاة اللادينية أن القراءات ليست من الوحي، ومصدرها لهجات القبائل المختلفة، فهذا كذب آخر 0

يبطله أن المختلفين في الخبر المذكور الذي أوردناه آنفاً كل منهما قرأ سورة الفرقان بحرفين مختلفين، كانا جميعاً بنى عم قرشيين، من قريش البطاح، من قبيلة واحدة، جاران ساكنان في مدينة واحدة، وهى مكة، لغتهما واحدة، وهما عمر بن الخطاب بن نفيل ابن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريط بن رزاح بن عدى بن كعب، وهشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن كلاب بن مرة بن كعب، ويجتمعان جميعاً في كعب بن لؤى، بين كل واحد منهما، وبين كعب بن لؤى،

ثمانية آباء فقط 0

فظهر كذب من ادعى أن اختلاف الأحرف، إنما كان لاختلاف لغات قبائل العرب 0 وأبي ربك إلا أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويظهر كذب الكاذب، ونعوذ بالله العظيم من الضلال والعصبية للخطأ" (2) 0هـ0

المبحث الثاني

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

-
- (1) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف 178/5، 179 رقم 2944 وقال : هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن أبي بن كعب 0 وانظر : مناهل العرفان 144/1 وما بعدها 0
- (2) الإحكام لابن حزم 571/5، 572 0

(461/2)

... قوله (: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أى على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها 0 وليس المراد أن كل كلمة أو جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات فى الكلمة الواحدة إلى سبعة 0

فإن قيل فإننا نجد بعض الكلمات يقرأ على سبعة أوجه 0 فالجواب أن غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما أن يكون من قبيل الاختلاف فى كيفية الأداء كما فى المد والإمالة ونحوهما (1) 0

... قال الشيخ الزرقانى -رحمه الله- : "وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه : إذا لقال ("إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف" بحذف لفظ "على" 0

بل المراد ما علمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة، بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع في أداء اللفظ الواحد، ومهما تعددت القراءات، وطرقها في الكلمة الواحدة 0 فكلمة (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (2) التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة أو العشرة، وكلمة (وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ) (3) التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة (أَفِ) (من قوله تعالى: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) (4) والتي أوصل الرماني لغاتها إلى سبع وثلاثين لغة 0 وكل أولئك وأشباه أولئك، لا يخرج التباين فيه على كثرته عن وجوه سبعة (5) 0

(1) فتح الباري 640/8 رقم 4991 0

(2) الآية 4 من سورة الفاتحة 0

(3) جزء من الآية 60 من سورة المائدة 0

(4) جزء من الآية 23 من سورة الإسراء 0

(5) مناهل العرفان 1/156 0

(462/2)

... وعلى هذا فالمراد بالأحرف في الأحاديث السابقة وجوه في الألفاظ وحدها لا محالة، بدليل أن الخلاف الذي صورته لنا الروايات المذكورة كان دائراً حول قراءة الألفاظ لا تفسير المعاني، مثل قول عمر : "إذ هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (ثم حكم الرسول أن يقرأ كل منهما، وقوله (: "هكذا أنزلت" وقوله : "أى ذلك قرأتم فقد أصبتم" ونحو ذلك، ولا ريب أن القراءة أداء الألفاظ، لا شرح المعاني (1) 0

... إن القراءات كلها على اختلافها كلام الله، لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من عنده تعالى، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله (، يدل على ذلك أن الأحاديث الماضية تفيد أن الصحابة (كانوا يرجعون فيما يقرأون إلى رسول الله (يأخذون عنه ويتلقون منه كل حرف يقرأون عليه، انظر قوله (في قراءة كل من المختلفين "هكذا أنزلت" وقول المخالف لصاحبه : "أقرأنيها رسول الله 0

ثم أضف إلى ذلك أنه لو صح لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بمصادفة أو غير مصادفة، لبطلت قرآنية القرآن، وأنه كلام الله، ولذهب الإعجاز، ولما تحقق قوله سبحانه وتعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ) (2) 0

وهذا ما يهدف إليه دعاة اللادينية في قولهم : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أى أنه أنزل على سبع لغات مختلفة في لفظها ومادتها 0 يفسر ذلك القول ابن مسعود : "إنما هو كقولك هلم وتعال وأقبل" (3) 0

(1) المصدر السابق 154/1 وانظر المراد بالوجوه السبعة التي لا تخرج عنها القراءات في المصدر

السابق 156/1، وفتح الباري 8/640 0

(2) الآية 9 من سورة الحجر 0

(3) في الأدب الجاهلي ص 95 0

(463/2)

ويجاب عن ذلك فضلاً عما سبق أن التبديل والتغيير مردود من أساسه بقوله سبحانه وتعالى: (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا تَبَدَّلُ لِي مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (15) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (1) 0

... أما ما جاء في حديث أبي الدرداء، وقراءته على قراءة ابن مسعود مرفوعاً : "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى" (2) 0

فأجاب عن ذلك الإمام المازري (3) فقال : "يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه أن ذلك كان قرآنًا ثم نسخ، ولم يعلم من خالف النسخ فبقى على النسخ، ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه (4) 0

(1) الآيتان 15، 16 من سورة يونس0

(2) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات

370/3 رقم 824 0

(3) المازرى هو: الإمام العلامة محمد بن على بن عمر التميمى المازرى، أبو عبد الله، من فقهاء المالكية، كان محدثاً، فقيهاً، أصولياً، أديباً، وله دراية بالطب، من مصنفاته المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول من برهان الأصول0 وغير ذلك توفي عام 536هـ له ترجمة فى: الديباج المذهب ص 374 رقم 508، وسير أعلام النبلاء 12/169، ووفيات الأعيان 1/486، وشذرات الذهب 4/114، والوفاء بالوفيات 4/151، وشجرة النور الزكية 1/127 رقم 371 0

(4) المنهاج شرح مسلم للنووى 3/371 0

(464/2)

قال ابن حزم مؤيداً ذلك : "لأن قراءة عاصم المشهورة" المأثورة عن زر بن حبیش عن ابن مسعود عن النبى (، وقراءة ابن عامر مسندة إلى أبى الدرداء عن رسول الله (فيهما جميعاً (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) (1) فهي زيادة لا يجوز تركها" (2) 0هـ

وأما ابن مسعود (فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه، فهو محمول على أنه كان يكتب فى مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس من القرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك، وكان يراه، كصحيفة يثبت فيها ما يشاء، وكان رأى عثمان والجماعة، منع ذلك لئلا يتناول الزمان ويظن ذلك قرآناً0

قال المازرى : فعاد الخلاف إلى مسألة فقهية، وهى أنه هل يجوز إلحاق بعض التفاسير فى أثناء الصحف؟ قال : ويحتمل ما روى من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن، وكتب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس" (3) 0هـ

... يقول ابن حزم : "ومن العجب أن جمهرة من المعارضين لنا، وهم المالكيون، قد صح عن صاحبهم مالك بن أنس أنه قال: اقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً : (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ) (43) طَعَامُ الْأَيْتِمِ) (4) فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم، فقال له ابن مسعود طعام الفاجر0 قال ابن وهب

قلت لمالك : أترى أن يقرأ كذلك؟ قال نعم أرى ذلك واسعاً، فقل لمالك : أفترى أن يقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله؟ قال مالك : ذلك جائز ... إلخ⁰

(1) الآية 3 من سورة الليل⁰

(2) الإحكام لابن حزم 5/573⁰

(3) المنهاج شرح مسلم 3/371 وانظر: الإتيان 1/213، 214، وتأويل مشكل القرآن ص 47-

49، وبحوث في القرآن والسنة للأستاذ عبد الله كنون ص 94-96⁰

(4) الآيتان 43، 44 من سورة الدخان⁰

(465/2)

... قال ابن حزم : "فكيف يقولون مثل هذا؟ أيجيزون القراءة هكذا! فلعمري لقد هلكوا وأهلكوا، وأطلقوا كل بائقة في القرآن، أو يمنعون من هذا، فيخالفون صاحبهم في أعظم الأشياء، وهذا إسناد عنه في غاية الصحة وهو مما أخطأ فيه مالك مما لم يتدبره، لكن قاصداً إلى الخير، ولو أن امرأً ثبت على هذا وجازه بعد التنبيه له على ما فيه، وقيام حجة الله تعالى عليه في ورود القرآن بخلاف هذا لكان كافراً، ونعوذ بالله من الضلال (1) أ⁰

... وهاك برهان آخر ذكره صاحب التبيان في آداب حملة القرآن-على فساد مزاعم أعداء الإسلام

من المستشرقين وأذياهم من جواز "قراءة القرآن بالمعنى"⁰

يقول الإمام النووي : "إن النبي (علم البراء بن عازب دعاء فيه هذه الكلمة "ونبيك الذي أرسلت"

فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله (قال : "ورسولك الذي أرسلت" فلم يوافقه

النبي (على ذلك، بل قال له : "لا⁰ ونبيك الذي أرسلت" (2) 0 وهكذا نهاه عليه الصلاة

والسلام أن يضع لفظة "رسول"، موضع لفظة "نبي" مع أن كليهما حق لا يحيل معنى، إذ هو (رسول

ونبي معاً⁰

ثم قال : فكيف يسوغ للجهال المغفلين أن يقولوا : إنه (كان يجيز أن يوضع في القرآن الكريم مكان

عزيز حكيم، غفور رحيم، أو سميع عليم⁰ وهو يمنع من ذلك في دعاء ليس قرآنًا، والله يقول مخبراً

عن نبيه (: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي) (3) ، ولا تبديل أكثر من وضع كلمة،
مكان أخرى" (4) 0هـ

(1) الإحكام لابن حزم 5/ 574 0

(2) سبق تخريجه ص 361 0

(3) الآية 15 من سورة يونس 0

(4) انظر : مناهل العرفان 1/ 191 0

(466/2)

... ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور زقزوق رداً على مزاعم المستشرقين في ترويجهم لفكرة "قراءة القرآن بالمعنى" : "إن الواقع الذى عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً هو تمسكهم الشديد بالمحافظة على الوحي القرآنى لفظاً ومعنى، ولا يوجد مسلم يستبجح لنفسه أن يقرأ القرآن بأى لفظ شاء ما دام يحافظ على المعنى" 0

وليبحث المستشرقون اليوم فى أى مكان فى العالم عن مسلم يستبجح لنفسه مثل ذلك وسيعيهم
البحث 0

فلماذا إذن هذا التشكيك فى صحة النص القرآنى وهم يعلمون مدى حرص المسلمين فى السابق
واللاحق على تقديس نص القرآن الكريم لفظاً ومعنى؟

... إنهم يبحثون دائماً - كما سبق أن أشرنا - عن الآراء المرجوحة والأسانيد الضعيفة ليبينوا عليها
نظريات لا أساس لها من التاريخ الصحيح، ولا من الواقع 0

فنحن المسلمون قد تلقينا القرآن الكريم عن الرسول (، وهو بدوره تلقاه وحياً من الله ولم يحدث أن
أصاب هذا القرآن أى تغيير أو تبديل على مدى تاريخه الطويل، وهذه ميزة فريدة انفرد بها القرآن
وحده من بين الكتب السماوية كافة، الأمر الذى يحمل فى طياته صحة هذه الشريعة التى ختم بها الله

(دينه الذى بعث به جميع أنبيائه، ورسله من لدن آدم إلى خاتمهم 0)

وفى هذا الصدد نورد ما ذكره "رودى بارت" فى مقدمة ترجمته الألمانية للقرآن - وكأنه يرد على زملائه الذين راحوا يشككون فى صحة النص القرآنى 0

يقول "بارت" : "ليس لدينا أى سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هناك آية فى القرآن كله لم ترد عن محمد (1) أ 0هـ

المبحث الثالث

الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع

... إن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم، لا تعنى القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة (2) ،

(1) الاستشراق للدكتور محمود حمدى زقزوق ص 111، 112 بتصرف يسير 0

(2) القراء السبعة المعروفون هم :

1- ... عبد الله بن عامر (ت 118هـ) 0

2- ... عبد الله بن كثير الدارى (ت 120هـ) 0

3- ... أبو بكر عاصم بن أبى النجود الأسدى (ت 127هـ) 0

4- ... أبو عمرو زبان بن العلاء البصرى (ت 154هـ) 0

5- ... حمزة بن حبيب الزيات (ت 156هـ) 0

6- ... نافع بن عبد الرحمن (ت 169هـ) 0

7- ... على بن حمزة الكسائى (ت 189هـ) 0 انظر : مناهل العرفان 453/1 - 459، ومعرفة

القراء الكبار للذهبي 82/1 وما بعدها، وغاية النهاية لابن الجزرى 261/1 وما بعدها 0

ومن زعم ذلك أخطأ من وجهين :

أحدهما : أن الأحرف التي نزل بها القرآن، أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة القراء عموماً، وأن هذه القراءات أخص من تلك الأحرف السبعة النازلة خصوصاً مطلقاً، ذلك لأن الوجوه التي أنزل الله عليها كتابه، تنتظم كل وجه قرأ به النبي (، وأقرأه أصحابه، وذلك ينتظم القراءات السبع المنسوبة إلى هؤلاء الأئمة السبعة القراء، كما ينتظم ما فوقها إلى العشرة، وما بعد العشرة، وما كان قرآناً، ثم نسخ، ولم يصل إلى هؤلاء القراء جميعاً، ولهذا نصوا في المذهب المختار على أنه يشمل كل وجوه القراءات : صحيحها وشاذها ومنكرها (1) 0

... وقال مكى بن أبى طالب (2) : "هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم، وصحت رواياتها عن الأئمة، جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن " ... قال ومن ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع، وعاصم، هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً، قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً" (3) 0

(1) مناهل العرفان 193/1 0

(2) مكى بن أبى طالب هو: مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسى، كان من أهل التبصر فعلوم القرآن، والعربية، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً لذلك، من مصنفاته "الإيجاز" و"الموجز في القراءات" و"الهداية في التفسير" وغير ذلك توفي سنة 437هـ له ترجمة في : الديباج المذهب ص 424 رقم 595، ووفيات الأعيان 120/2، وشذرات الذهب 260/3، وطبقات المفسرين للداودي 331/2 رقم 643، وطبقات القراء لابن الجزرى 309/2 0

(3) فتح البارى 648/8، وانظر : الإتقان للسيوطى 215/1 فقرة رقم 1097، والأحرف السبعة في القرآن ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين مبحث "شواهد من أقوال العلماء في بيان أن القراءات بعض الأحرف" ص 226 0

وفي هذا رد على طه حسين ومن قال بقوله : "إن القراءات ليست من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن" (1) أ0هـ

ثانيهما : أن السبعة لم يكونوا قد خلقوا، ولا وجدوا حين نطق الرسول (، بهذا الحديث الشريف0 ومحال أن يفرض الرسول على نفسه، وعلى أصحابه، ألا يقرأوا بهذه الأحرف السبعة النازلة إلا إذا علموا أن هؤلاء القراء السبعة قد اختاروا القراءة بها، على حين أن بين العهدين بضعة قرون (2) ، وعلى حين أن هؤلاء القراء وسواهم إنما أخذوا عن النبي (، من طريق أصحابه، ومن أخذ عنهم، إلى أن وصلوا إليهم0

ثم إن القول بأن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ما هي إلا تلك القراءات السبع المعروفة الآن، يستلزم أن يبقى قول الرسول (: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" عارياً عن الفائدة، غير نافذ الأثر، حتى يولد القراء السبعة المعروفون وتتخذ القراءة عنهم0 وذلك باطل أيضاً يكذبه الواقع من قراءة النبي (، وقراءة أصحابه وتابعيه بالأحرف السبعة من قبل أن يولد القراء السبعة المعروفون0

(1) انظر : في الأدب الجاهلي لطله حسين ص 95 0

(2) اشتهرت هذه القراءات السبع على رأس المائتين في الأمصار الإسلامية، ولم تأخذ مكانها من التدوين إلا في خاتمة القرن الثالث، حين قام الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بجمع قراءات هؤلاء الأئمة السبعة أ0هـ، انظر : مناهل العرفان 193/1 هامش0

(469/2)

... قال المحقق ابن الجزرى : "فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءات السبعة المشهورين أو سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين، لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة، فتؤخذ عنهم القراءة، وأدى أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به، وهذا باطل، إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة، لفظاً عن لفظ، إماماً عن إمام، إلى أن يتصل بالنبي ((1) 0

... وقال أبو شامة (2) : "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل" (3) 0هـ

المبحث الرابع

بقاء الأحرف السبعة في المصاحف

... يقول الإمام ابن حزم رداً على من زعم أن سيدنا عثمان (أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المنزل بها القرآن من عند الله (0) قال : تلك "عظيمة من عظام الإفك والكذب، ويعيد الله تعالى عثمان (من الردة بعد الإسلام 0

(1) مناهل العرفان 193/1 – 194 0

(2) أبو شامة هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة المقدسي، الإمام الحافظ المحدث المجتهد الشافعي، المقرئ، النحو، تولى مشيخه الإقراء، والحديث بدمشق 0 من مؤلفاته : "شرح الشاطبية" و "مختصر تاريخ دمشق" وغير ذلك مات سنة 665هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 1460/4 رقم 1157، وطبقات المفسرين للداوودي 268/1 رقم 254، وطبقات القراء لابن الجزري 366/1، وطبقات الشافعية للسبكي 165/8، وشذرات الذهب 318/5 0
(3) فتح الباري 647/8، وانظر : الإتيان 215/1 فقرة رقم 1093 0

(470/2)

ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان (أقل من هذا، مما لا نكره فيه أصلاً، فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة 0 ومعاذ الله من ذلك، وسواء عند كل ذي عقل، إسقاط قراءة أنزلها الله تعالى، أو إسقاط آية أنزلها الله تعالى، ولا فرق، وتالله إن من أجاز هذا غافلاً، ثم وقف عليه، وعلى برهان المنع من ذلك وأصر، فإنه خروج عن الإسلام لا شك فيه، لأنه تكذيب لله تعالى في قوله الصادق لنا : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) وفي قوله الصادق : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (2) فالكل مأمورون باتباع قرآنه الذي أنزله الله تعالى عليه 0 فمن أجاز خلاف ذلك فقد أجاز خلاف الله تعالى وهذه ردة صحيحة لا مرية فيها، وما

رامت غلاة الروافض وأهل الإلحاد الكائدون للإسلام (3) إلا بعض هذا (4) 0هـ0

... يقول الشيخ الزرقاني : "ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر، نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقض، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها 0 ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً" (5) 0

(1) الآية 9 من سورة الحجر 0

(2) الآيات 17-19 من سورة القيامة 0

(3) انظر : في الأدب الجاهلي لطلح حسين ص 96-99 وبقية المصادر السابقة ص 724 0

(4) الإحكام في أصول الأحكام 565/4، 566 0

(5) مناهل العرفان 171/1، وانظر : فتح الباري 626/8 - 638 أرقام 4986 - 4988 0

(471/2)

... ويدل على ذلك خطة سيدنا عثمان (في جمعه للقرآن الكريم وقوله للرهط القريشيين الثلاثة : عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام : "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم" ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصه، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق" (1) فدل ذلك على ما هو مجمع عليه، أن سيدنا عثمان (كتب مصاحف متعددة متفاوتة في إثبات، وحذف، وبدل وغيرها، لأنه (قصد اشتغالها على الأحرف السبعة، وجعلوها خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل نحو (فَتَبَيَّنُوا) من قوله تعالى : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (2) فإنها تصلح أن تقرأ "فتثبتوا" عند خلوها من النقط، والشكل، وهي قراءة أخرى، أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي

بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية كقراءة "وصى" بالتضعيف و "أوصى" بالهمز، وهما قراءتان في قوله سبحانه (وَوَصَّى بِمَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) (3) 0هـ

(1) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 627/8 رقم 4987

0

(2) الآية 6 من سورة الحجرات 0

(3) جزء من الآية 132 من سورة البقرة، وانظر : مناهل العرفان 257/1 وما بعدها 0

(472/2)

... إن الأحرف السبعة باقية كما كانت إلى يوم القيامة، مثبتة في القراءات المشهورة من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، فما بين ذلك، لأنها من الذكر المنزل الذى تكفل الله تعالى بحفظه، وضمان الله تعالى لا يخيس أصلاً، وكفالتة تعالى لا يمكن أن تضعي 0

... ومن البرهان على كذب أهل الجهل وأهل الإفك على عثمان (في هذا ما رواه البخارى في صحيحه بسنده عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (1) 0 قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال : يا ابن أخی : لا أُغَيِّرُ شيئاً منه من مكانه" (2) 0

وبعد

... إن القراءات كلها على اختلافها كلام الله، لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من عنده تعالى، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله (وحفظها سيدنا عثمان (في جمعه لكتاب الله، ومعاذ الله أن يسقط منها شيئاً، وهى مثبتة في القراءات المشهورة في مشارق الأرض ومغاربها 0

(1) الآية 234 من سورة البقرة 0

(2) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

يَرْتَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" 41/8 رقم 4530، 4546، وانظر : الإحكام لابن حزم
0 568/5

(473/2)

... لا يجوز أن نجعل اختلاف القراءات معركة جدال ونزاع وشقاق، ولا مثار تردد وتشكيك
وتكذيب، ولا سلاح عصبية وتنطع وجمود⁰ على حين أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كانت
حكيمته من الله التيسير، والتخفيف، والرحمة، والتهوين على الأمة، فما يكون لنا أن نجعل من هذا
اليسر عسراً، ومن هذه الرحمة نقمة!⁰ يرشد إلى ذلك قوله (: "الجدال في القرآن كفر" (1) وكذلك
تغير وجهه الشريف عند اختلافهم وقوله لهم : "إنما أهلك من قبلكم الاختلاف" (2) ⁰ وضربه في
صدر أبي بن كعب (، حين جال بخاطره حديث السوء في هذا الموضوع الجليل⁰ الذي زلت فيه بعض
الأقدام، وكثر فيه القيل والقال، إلى حدٍ كاد يطمس أنوار الحقيقة" (3)

-
- (1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب النهي عن الجدل في القرآن 199/4 رقم 4603،
والحاكم في المستدرک کتاب التفسیر 243/2 رقمی 2882، 2883 من حديث أبي هريرة، وقال :
صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي⁰ وانظر : الأحرف السبعة في القرآن ومنزلة القراءات منها
للدكتور حسن ضياء الدين مبحث "الأحرف السبعة خصيصة لأمة محمد (" ص 145، 146،
ومبحث "الأحرف السبعة ميزة للقرآن على الكتب السماوية" ص 146، وانظر : الكواكب النيرات
في أثر السنة النبوية على القراءات للدكتور علام بن محمد بن علام ص 16، 72، 73، وأثر
القراءات في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم على ص 77-200 ⁰
(2) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب التفسیر 243/2 رقم 2885، وقال : صحيح الإسناد،
ووافقه الذهبي⁰ وانظر : الشريعة للأجری ص 67 وما بعدها⁰
(3) انظر : مناهل العرفان 140/1 - 145، ومزيد من الدفاع عن الطعون الموجهة إلى الحديث
انظر : الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في التفسير لفضيلة الدكتور محمد العسال، ص 131-140،
والقرآن والقراءات والأحرف السبعة الحقيقة - العلاقة - صحة النقل لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد
الغفور محمود جعفر، ورسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات الكريم للدكتور عبد

الفتاح شلبي، والقراءات في نظر المستشرقين والملحددين للشيخ عبد الفتاح القاضى، وأثر القراءات في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم على ص 9-73 0

(474/2)

أهـ0

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

(475/2)

الفصل الثالث

أحاديث (رؤية الله)

و (محنة آدم موسى عليهما السلام) و (الشفاعة)

... وتحت سته مباحث :

المبحث الأول: موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث الصفات والرد عليهم0

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث الرؤية والرد عليهم0

المبحث الثالث : موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث القدر والرد عليهم0

المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث محنة آدم موسى عليهما السلام، والرد عليها0

المبحث الخامس: موقف المبتدعة قديماً وحديثاً من أحاديث المغفرة لمركب الكبيرة والرد عليهم0

المبحث السادس : شبه الطاعنين في حديث الشفاعة والرد عليها0

المبحث الأول

موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث الصفات

... أحاديث العقائد مثل أحاديث التوحيد، وصفات الله (، وأحاديث عقيدة القدر طعن فيها
المبتدعة من المعتزلة، والجهمية، وغيرهم من أهل الكلام⁰

(476/2)

وكان أول من يذكر عنه أنه تكلم في صفات الله تعالى في الإسلام، وابتدع القول بنفيها وتعطيلها هو "
الجعد بن درهم" (1) ، ثم أخذ عنه ذلك تلميذه الجهم بن صفوان الترمذى (2) ، وتولى كبر نشر
تلك المقالة فكثر أتباعه⁰ فلما ظهرت المعتزلة أخذت عن جهم بن صفوان قوله في نفى الصفات،
وجعلوها عقيدة يتدينون لله بها" (3) ⁰

- (1) الجعد بن درهم : هو مؤدب مروان الحمار، من الموالي، يعد من التابعين⁰ زعم أن الله لم يتخذ
إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، وابتدع القول بخلق القرآن، وكان زنديقاً⁰ قتله خالد القسرى يوم
النحر⁰ له ترجمة في : ميزان الاعتدال 399/1 رقم 1482، والبداية والنهاية 364/9، ولسان
الميزان 186/2 رقم 1964، والأنساب المتفقة في الخط لابن القيسراني لابن القيسراني ص 46-
47 رقم 48، والضعفاء الكبير للعقيلي 206/1 رقم 254 ⁰
- (2) الجهم بن صفوان : هو أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندى، الكاتب المتكلم الضال المبتدع،
رأس الجهمية، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وإن الله في الأمكنة كلها، والإيمان عقد
بالقلب، وإن تلفظ بالكفر قتل بمرور عام 128هـ بعد أن زرع شراً عظيماً⁰ له ترجمة في : تاريخ
الطبرى 220/7، والكامل في التاريخ 342/5-344، وميزان الاعتدال 426/1 رقم 1584، وسير
أعلام النبلاء 26/6 رقم 8، ولسان الميزان 257/2 رقم 2165، والوفاء بالوفيات 207/11 رقم
305 ⁰
- (3) انظر : الملل والنحل 40/1، وفتح البارى 357/13-359، وجهم بن صفوان ومكانته في
الفكر الإسلامى للأستاذ خالد العلى ص 72 - 73 ⁰

(477/2)

... وقد أجمع المعتزلة على نفي صفات الله تعالى الأزلية، سواء منها ما كان من صفات الذات (1) ،
أو صفات الأفعال (2) 0

... وزعموا بأنه ليس له سبحانه علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا غير ذلك من
الصفات (3) 0 واتفقوا على أن صفاته سبحانه هي إثبات لذاته (4) كما اتفق جمهورهم على أن الله
تعالى عالم، قادر، حي، بذاته، لا بعلم، وقدرة، وحياة، فهي صفات ومعاني قائمة به (5) 0

... والذي دفعهم إلى نفي صفات الله تعالى، الخوض في ذلك بعقولهم والاعتماد عليها في معرفة الله
سبحانه وصفاته (6) 0 وذهبوا إلى أن الاستدلال بالسمع على ذلك غير ممكن (7) 0 ومن هنا أولوا
آيات القرآن الكريم التي تثبت صفات الله تعالى فهي آيات متشابهة كما يزعمون، فيجب أن تؤول
لموافقة الأدلة القاطعة وهي أدلة العقول، لأنها موهمة للتشبيه، ولأنها محتملة الدلالة، وأما العقل فلا
احتمال في دلالة 0 وما وقع التشبيه في الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة، وترك تأويلها على ما
يوافق دليل العقل، والآيات المحكمة (8) 0

موقف المعتزلة من آيات الصفات :

(1) الصفات الذاتية : هي الصفات الأزلية الثابتة لله تعالى التي لا تنفك عنه كصفة النفس، والعلم،
والحياة، والقدرة، والسمع 0 انظر : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية للأستاذ عبد العزيز السلطان
ص 429 0

(2) الصفات الفعلية: هي الصفات الثابتة لله تعالى التي تتعلق بالمشيئة، والقدرة، وهي قديمة النوع
حادثة الآحاد كصفة الاستواء، والنزول، والضحك، والنجى 0 انظر : المصدر السابق ص 429، 430
0

(3) الفرق بين الفرق ص 112، وانظر : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد
للدكتور محمود خفاجي ص 244 0

(4) العقيدة الإسلامية للدكتور خفاجي ص 244 0

(5) المصدر السابق ص 399 0

(6) المحيط بالتكليف ص 30، 31، 33 0

(7) المصدر السابق ص 110 0

(8) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص 149 0

(478/2)

... قال القاضي عبد الجبار : "إذا ورد في القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه، وجب تأويلها؛ لأن

الألفاظ معرضة للاحتمال، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال" (1) 0

... ويورد أبو الحسين عدداً من آيات الصفات ثم يقول : "فكل هذه الآيات وما أشبهها من الآيات،

فإنما يريد (ذاته، لا أن ثم نفساً ووجهاً وبدأً، وعيناً ويميناً سواء" (2) 0

موقف المعتزلة من أحاديث الصفات :

إذا كان هذا موقفهم من آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم تأويلها بما يوافق العقل 0

فقد ذهبوا إلى عدم الاحتجاج بالأحاديث الواردة في الصفات مهما كانت درجة صحته، ما دام

يعارض عقولهم في إثبات صفة لله تعالى 0

وقعد عبد الجبار في ذلك قاعدة عامة، تكشف عن موقف المعتزلة من أحاديث الصفات فقال : "وما

يتعلقون به أخبار مروية عن النبي (وأكثرها يتضمن الجبر، والتشبيه، فيجب القطع على أنه (لم يقله،

وإن قال؛ فإنه قاله حكاية عن قوم، والراوى حذف الحكاية، ونقل الخبر" (3) 0

... وتارة يردون الأحاديث في هذا الباب، بحجة أنها آحاد تفيد الظن، ولا يصلح في هذا الباب إلا

الدليل اليقيني (4) ، وهو العقل فارس هذا الميدان فلا منافس له ألبتة، ولا مشارك له 0 ويشهد

لذلك تأويلهم لآيات القرآن، وردهم لأحاديث متواترة في هذا الباب كحديث "رؤية رب العزة في

الآخرة" وسيأتى الدفاع عنه 0

(1) المحيط بالتكليف ص 200، وانظر : شرح الأصول ص 212، وفضل الاعتزال ص 149،

152، وموقف المدرسة العقلية من السنة 171/1 - 175 0

(2) رسائل العدل والتوحيد ليحيى بن الحسين ص 115 0

(3) شرح الأصول ص 268، وانظر : دين السلطان ص 618، وإنذار من السماء ص 419،

وأهل السنة شعب الله المختار ص 43 0

(4) شرح الأصول ص 769 0

(479/2)

... ويُعدّ نفى الصفات، هو الأصل الأول من أصولهم الخمسة، وهو التوحيد الذى يعد من أهم أصولهم، فمن ثم نسب إليهم وسموا أنفسهم بـ "أهل التوحيد" وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفى الصفات الإلهية لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه، ومن شبه الله بخلقه أشرك (1) 0 ويبنى المعتزلة على هذا الأصل عدة أمور منها :

أ- تعطيل الصفات ... ب- القول بخلق القرآن ... ج- إنكار الرؤية ... فرأس النفاة المعتزلة والجهمية ... ، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان (2) ، ومن تبعه من الرافضة والكرامية 0 فإنهم بالغوا فى ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه 0 تعالى عما يقولون علواً كبيراً (3) 0 حكم المعتزلة على من خالفهم فى أصلهم التوحيد : المعتزلة يكفرون من خالفهم فى هذا الأصل اعنى "التوحيد" 0 قال القاضى عبد الجبار : "أما من خالف فى التوحيد، ونفى عن الله ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه، فإنه يكون كافراً" (4) 0

(1) فتح البارى 13/357 0

(2) هو : مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخرساني أبو الحسن البلخي المفسر كذبوه وهجروه، ورمى بالتجسيم 0 مع أنه كان من أدعية العلم بحراً فى التفسير 0 من مؤلفاته "التفسير الكبير" و"متشابه القرآن" و "الناسخ والمنسوخ" وغير ذلك مات سنة 150 هـ له ترجمة فى : ميزان الاعتدال 173/4 رقم 8741، ووفيات الأعيان 5/255-257 رقم 733، والمجروحين لابن حبان 3/14 - 16، وطبقات المفسرين للداودى 2/330 - 331 رقم 642، وتقريب التهذيب 2/210 رقم 6892، ولسان الميزان 9/198 رقم 14549 0

(3) فتح البارى 13/359 0

(4) شرح الأصول ص 125، وانظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير ص 44 - 47 0

(480/2)

هذا فضلاً عن طعنهم في أهل السنة لإثباتهم صفات الله (فقالوا : إنهم مشبهة غير موحدين لله، ولا يعرفون ربهم؛ لأنهم وصفوه بالأعضاء، والزوال، والاستواء، ويلزم من ذلك أن يكون جسماً (1) 0

... وعلى درب المعتزلة صار أسلافهم، من دعاة اللادينية، ردوا أحاديث الصفات تارة بحجة مخالفتها للعقل لما في ظاهرها من التشبيه والتجسيم، وتارة بحجة مخالفتها لكتاب الله (، وتارة ثالثة 0 بحجة أنها آحاد تفيد الظن، والعقائد بابها اليقين والقطع الحاصل بالتواتر 0

... ومدح أعداء الإسلام من المستشرقين، طريقة المعتزلة في تأويلهم القرآن، وردهم للأحاديث الواردة في باب الصفات، واذموا أهل السنة؛ لعدم سلوكهم مسلكهم (2) 0هـ

موقف السلف الصالح من أحاديث الصفات والرد على أهل البدع قديماً وحديثاً :

... الكلام عن صفات الله (له أهمية عظيمة بالنسبة للفرد المسلم، وذلك لأن الإيمان بالله الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان، لا يتحقق إلا إذا وصف الله سبحانه بما يستحقه من صفات الكمال اللائقة به، ونزعه عن صفات النقص التي نفاها عن نفسه جل جلاله، بل لا يكون العبد موحداً لله إلا إذا أقر بأسماء الله وصفاته تحقيقاً لأحد أقسام التوحيد الثلاثة (3) ، التي لا ينفك بعضها عن بعض، ولوضوح هذا التوحيد - توحيد الأسماء والصفات - لم يقع خلاف بين صحابة رسول الله (فيه، ولم يتنازع اثنان منهم في أمر واحد منه، بل الجميع كانوا على اتفاق تام بالإقرار به، والتسليم بما جاء في القرآن والحديث منه (4) 0

-
- (1) فضل الاعتزال ص 196-197، وانظر: موقف المدرسة العقلية من السنة 1/175، وانظر: ما كتبه حسن السقاف في مقدمته، وتعليقه على كتاب ابن الجوزي "دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه" 0
 - (2) انظر : العقيدة والشريعة لجولدتسهر ص 125 0
 - (3) وهي توحيد : الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات 0
 - (4) انظر : فتح الباري 13/402 رقم 7408، 13/418 رقم 7418، 7428 0

... وقد ظلت القرون الخيرية تنهج نهج صحابة رسول الله (، في إثبات صفات الله والإقرار بها، إلى أن نجم التهجم في الأمة، وابتدع القول بنفى صفات الله، فاحتضن أهل الاعتزال تلك المقالة، وجعلوها عقيدة يدينون الله بها" (1) 0

... وأما أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله (، من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل 0 كما نفوا عنه ما لا يليق به من صفات النقص التي نفاها عن نفسه سبحانه، ونفاها عنه رسوله (، مستنديين في كل ذلك إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم 0

قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) (2) وقال بعد أن ذكر منها عدة أسماء في آخر سورة الحشر : (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) (3) والأسماء المذكورة فيها بلغة العرب صفات، ففي إثبات أسمائه إثبات صفاته لأنه إذا ثبت أنه حي مثلاً فقد وصف بصفة زائدة على الذات، وهي صفة الحياة، ولولا ذلك لوجب الاختصار على ما ينبئ عن وجود الذات فقط، وقد قال سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (4) فنزه نفسه عما يصفونه به من صفة النقص، ومفهومه أن وصفه بصفة الكمال مشروع 0

وقد قسم البيهقي وجماعة من أئمة السنة جميع الأسماء المذكورة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة إلى قسمين :
أحدهما صفات ذاته : وهي ما استحققه فيما لم يزل ولا يزال 0

(1) انظر : الملل والنحل 1/86 0

(2) جزء من الآية 180 من سورة الأعراف 0

(3) جزء من الآية 24 من سورة الحشر 0

(4) الآية 180 من سورة الصافات 0

وثانيهما صفات فعله : وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، قال ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب، والسنة الصحيحة الثابتة أو أجمع عليه⁰ ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام من صفات ذاته، ومنه ما ثبت بنص الكتاب والسنة كالوجه، واليد، والعين، من صفات ذاته، وكالاستواء، والنزول، والنجى، من صفات فعله، فيجوز إثبات هذه الصفات له لثبوت الخبر بها على وجه ينفي عنه التشبيه، فصفة ذاته لم تنزل موجودة بذاته ولا تزال، وصفة فعله ثابتة عنه ولا يحتاج في الفعل إلى مباشرة (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (1) 0 ولولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى (2) 0

وعلى هذا اتفاق الفقهاء في مشارق الأرض ومغاربها قال محمد بن الحسن الشيباني : "اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن، وبالأحاديث التي جاء بها النقات عن رسول الله (، في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي (، وأصحابه وفارق الجماعة، لأنه وصف الرب بصفة لا شيء⁰

... وقال ابن عبد البر : "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكتفوا شيئاً منها" (3) 0

-
- (1) الآية 82 من سورة يس، وانظر : فتح الباري 13/369، 370 أرقام 7371 – 7375 0
(2) انظر : فتح الباري 13/402 رقمي 7407، 7408 0
(3) انظر : فتح الباري 13/418 أرقام 7418 – 7428 0

(483/2)

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : "الله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات ونفي عن التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (1) 0

... وقال أبو حنيفة - رحمه الله - : "لا يشبهه بشئ من خلقه، ولا يشبهه شئ من خلقه ... وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا" (2) 0 ... والذي نرتضيه رأياً وندين لله به عقيدة ما قاله الحافظ ابن حجر : "اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة في إثبات أسماء الله وصفاته وعدم تأويلها، ولو كان تأويلها حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع، وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار، كالثوري، والأوزاعي، ومالك، والليث، ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة (3) 0أه0

... أما رد أهل البدع قديماً وحديثاً لأحاديث العقائد من أسماء الله، وصفاته، بحجة أنها آحاد0

-
- (1) جزء من الآية 11 من سورة الشورى، وانظر : سير أعلام النبلاء 79/10 - 80 0
 - (2) انظر : شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الحنفي ص 103 - 112، وشرح ملا على القارى على الفقه الأكبر ص 15 - 32، وموقف المدرسة العقلية من السنة 197/1 0
 - (3) انظر: فتح الباري 418/13 أرقام 7418-7428، وانظر : الإبانة للأشعري 124-142، ومجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية ص 11-16، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها 878/2-910 0

(484/2)

فهذا من تضليلهم لأن القضية ليست قضية متواتر وآحاد كما يزعمون، وإنما قضية عقل قدسوه وعبدوه من دون الله، وطوعوا النصوص من الكتاب والسنة لهذا الإله "إله الهوى" : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) (1) 0

وجعلوا من عقولهم أصلهم الأول "المقدس" وهو التوحيد القائم على نفى الصفات، وطبقوا هذا

الأصل على المتواتر نفسه، وهو القرآن الكريم، فأولوا ما فيه من إثبات أسماء وصفات الله (كما سبق من قول عبد الجبار وغيره⁰ هذا من جهة⁰

ومن جهة ثانية فإن ما جاءت به السنة الصحيحة - حتى ولو كانت آحاداً - من أحاديث في أسماء الله، وصفاته لم تكن السنة في ذلك بدعاً، وإنما جاءت بمثل ما جاء به القرآن الكريم، ولا يوجد في أحاديث العقائد ما يكون مخالفاً لعقائد القرآن، أو زائداً عليها بحيث لا يكون له أصل في القرآن⁰ وكل ما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في العقائد تجد مثله في القرآن، ويجرى فيها ما يجري في القرآن من إثباته بلا تعطيل ولا تشبيه⁰

... وقد حرص الإمام الجليل أبو عبد الله إسماعيل البخاري على بيان ذلك في تراجم أبواب كتاب التوحيد من جامعه الصحيح، قبل أن يذكر أحاديث الباب وما فيها من دلالة على صفات الله (،) يعنون للباب بالآيات القرآنية التي جاءت بمثل ما جاءت به أحاديث الباب وهو بذلك يؤكد ما سبق، من أن ما جاءت به السنة المطهرة من أحاديث في الصفات لم تكن في ذلك بدعاً وإنما جاءت مؤيدة ومقررة، وموضحة لما جاء في القرآن الكريم⁰

وهاك نماذج من صنيعه :

(1) الآية 23 من سورة الجاثية، وللاستزادة في الجواب انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة

0 212 - 176/1

(485/2)

"باب قول الله تعالى" (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (1) وقوله جل ذكره (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (2) 0 وتحت هذا الباب ذكر من الأحاديث ما يوافقه مثل قوله (: " لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه ... الحديث" (3) وقوله (، يقول الله تعالى : "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" الحديث (4) ، وباب قول الله (: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (5) 0 وتحت حديث جابر مرفوعاً : "أعوذ بوجهك" لما نزل عليه : "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ... الحديث" (6) وباب قول

الله تعالى : (لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (7) وتحت أحاديث منها قوله (: "يد الله ملى لا يفيضها سحاء الليل والنهار، قال رأيتم ما انفق منذ خلق الله السماوات والأرض فإنه لم يفيض ما فى يده 0 وقال عرشه على الماء، ويده الأخرى الميزان يخفض ويرفع" (8) 0 وقوله (: "إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك" (9)

-
- (1) جزء من الآية 28 من سورة آل عمران 0
 - (2) جزء من الآية 116 من سورة المائدة 0
 - (3) صحيح البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : "وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ" 395/13 رقم 7404 من حديث أبى هريرة 0
 - (4) المصدر السابق فى نفس الأماكن السابقة 395/13 رقم 7405 0
 - (5) جزء من الآية 88 من سورة القصص 0
 - (6) صحيح البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ" 400/13 رقم 7406 من حديث أبى هريرة 0
 - (7) جزء من الآية 75 من سورة ص 0
 - (8) انظر : صحيح البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : "لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" 404/13 رقم 7411 من حديث أبى هريرة 0
 - (9) انظر : المصدر السابق نفس الكتاب والباب 404/13 رقم 7412 من حديث ابن عمر 0

(486/2)

وحديث يقر فيه (الحبر اليهودى فى قوله : "يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول أنا الملك أنا الملك 0

يقول ابن عمر "فرايت النبى ("ضحك حتى بدت نواجذه 0 ثم قرأ : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (1) 0

فكل هذه الأحاديث، وما في معناها، والمثبتة لله (الصفات من النفس، والوجه، واليد، ونحو ذلك من العين، أو الاستواء، والنزول، والمجيء، والضحك، والغضب ... إلخ 0 ... أصول هذه الصفات المذكورة في القرآن الكريم، ولا يوجد في الحديث الصحيح الأحاد إلا ما يؤيد هذه الأصول ويوضحها ويقررها، أو يكون من جزئياتها ونظائرها 0 فردها بحجة أنها آحاد هو رد للقرآن نفسه 0

وعدل القول في هذه الأخبار ما قاله الإمام ابن قتيبة قال : "أن تؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن : بالرؤية والتجلى، وأنه يعجب، وينزل إلى السماء، وأنه على العرش استوى، وبالنفس، واليدين، من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحدٍ أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت 0 فنرجو: أن نكون في ذلك القول والعقد، على سبيل النجاة غداً، إن شاء الله تعالى 0

(1) الآية 67 من سورة الزمر، وانظر: صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : "لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ" 404/13، 405 رقم 7415 من حدث ابن عمر (وانظر في كل ما سبق الشريعة للآجرى ص 316 - 328، وانظر الابتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية ص 93 - 101 0

(487/2)

ويقول أيضاً : "فنحن نقول كما قال الله، وكما قال رسوله، ولا نتجاهل، ولا يحملنا ما نحن فيه : من نفى التشبيه، على أن ننكر ما وصف به نفسه، ولكننا لا نقول : كيف البيان؟ وإن سنلنا : نفتصر على جملة ما قال، ونمسك عما لم يقل" (1) 0 وما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في هذا الباب تجد مثله في القرآن الكريم، وقد صنف غير واحد من الأئمة في توضيح هذا المشكل 0

منهم الإمام ابن قتيبة في كتابيه "تأويل مشكل القرآن" و "تأويل مختلف الحديث" والإمام الطحاوى في كتابه "مشكل الحديث وبيانه" على تكلف منه، هو والإمام ابن قتيبة في تأويل مشكل الضعيف، والموضوع في أحاديث الصفات، ولو استعمل كل منهما الصنعة الحديثية لكانا في غنى عن هذا

التكلف 0 وغيرهم من الأئمة (2) أ0هـ

- (1) انظر : تأويل مشكل القرآن ص 56، 57، وتأويل مختلف الحديث ص 192، وانظر: العقيدة الصحيحة في الله وما ثار حولها من مشكلات للحافظ عبد الغنى النابلسي ص 20، 21، وانظر : مجالس ابن الجوزي في المنتشابه من الآيات القرآنية لابن الجوزي 6-11 0
- (2) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب للإمام ابن خزيمة و"الأسماء والصفات" للإمام البيهقي وغيرهم 0

(488/2)

... وصفوة القول في موقف أهل السنة من آيات الصفات، وأخبارها، وواجب المسلم نحوها ما قاله فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي : "الواجب على المسلم السامع للآيات والأخبار المتعلقة بالصفات تقديسها باعتقاده في كل آية أو خبر صح معنى يليق بجلال الله تعالى : وعليه الإيمان والتصديق بما قاله رب العزة ورسوله (، على مراد الله، ومراد رسول الله، وعليه الاعتراف بالعجز عن إدراك مراد الله، ومراد رسوله (، وعليه السكوت، والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة، وكف الباطن عن التفكير في ذلك، واعتقاده أن ما خفى عنه لم يخف عن الرسول (، ولا عن الصديق، ولا عن أكابر الصحابة (أجمعين (1) أ0هـ

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

المبحث الثاني

شبه الطاعنين في حديث رؤية الله تعالى
والرد عليها

... لقد أجمعت المعتزلة، وسائر الفرق المبتدعة من الجهمية، والخوارج، والروافض، وغيرهم على القول بنفى رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة، وقد نص المعتزلة أنفسهم على هذا الإجماع، كما أشارت كثير من كتب الفرق إليه (2) 0

... يقول القاضي عبد الجبار : "لا أحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من اعتقده جسماً مصوراً
بصورة مخصوصة، أو يعتقد فيه أنه يحل في الأجسام" (3) 0

... وليس هذا منتهى قولهم في نفى الرؤية، بل زعموا أنه يستحيل أن يرى نفسه، لأنه يستحيل في
ذاته أن يرى، فذاته لا ترى (4) 0

(1) انظر : الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية ص 46، 121،
بتصرف واختصار 0

(2) انظر : المغنى 139/4، ومقالات الإسلاميين 238/1، والفرق بين الفرق ص 113، والملل
والحل 45/1، والإبانة ص 14، والانتصار 35، 94، والاعتصام للشاطبي 570/2، والإنصاف
للإبلاقي ص 176، 177 0

(3) المغنى 99/4، وانظر : شرح الأصول ص 276 0

(4) انظر : المغنى 94/4 – 95 0

(489/2)

وهل يرى غيره؟ فهذا موضع اختلاف بينهم، أجازة قوم، ومنعه آخرون (1) 0

... كما اختلفوا في رؤيته بالقلوب، فقال أبو الهذيل، وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه
بقلوبنا، وأنكر بعضهم ذلك (2) 0

وقد صرحوا بأن إثبات الرؤية لا يمكن الاستدلال عليه بالسمع، أى بالقرآن والسنة، لأن الاستدلال
بذلك يبنى على أنه تعالى عدل حكيم لا يظهر المعجز على الكذابين، ومن لا يقول بذلك فلا يمكنه
الاستدلال بالسمع على شيء أصلاً (3) 0 بل "لا سمع ورد مصرحاً بأنه سبحانه يرى بالأبصار" (4)
، "ولا في كتاب الله (ذكر الرؤية فكيف يصح أن يدعى أنه تعالى سمى نفسه بأنه يرى، أو ورد السمع
به" (5) 0

... ولذا كان عمدة أدلتهم فى نفى الرؤية العقل، وإن كانوا قد أتبعوا ذلك بأدلة نقلية من الكتاب والسنة تأولوها على ما يوافق أصلهم الأول "التوحيد" القائم على نفى الصفات وزعموا تعارض حديث الرؤية مع القرآن والسنة⁰

قال القاضى عبد الجبار متأولاً لحديث الرؤية قال : "ثم نتناوله نحن على وجه يوافق دلالة العقل، فنقول : المراد به سترون ربكم يوم القيامة، أى ستعلمون ربكم يوم القيامة كما تعلمون القمر ليلة البدر⁰ وعلى هذا قال : "لا تضامون فى رؤيته" أى لا تشكون فى رؤيته فعقبه بالشك، ولو كان بمعنى رؤية البصر لم يجز ذلك⁰ والرؤية بمعنى العلم مما نطق به القرآن، وورد به الشعر" (6) ⁰

قال الزمخشري : "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" بمعنى ستعرفونه معرفة جليلة هى فى الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى" (7) فحمل الرؤية على المعرفة، بينما حملها عبد الجبار على العلم⁰

(1) الفرق بين الفرق ص 113، وانظر : أصول الدين ص 97 وما بعدها⁰

(2) مقالات الإسلاميين 1/238 ⁰

(3) انظر : شرح الأصول ص 262 ⁰

(4) المغنى 4/137 ⁰

(5) المرجع السابق 4/138 ⁰

(6) شرح الأصول ص 270 ⁰

(7) الكشف 2/92 ⁰

(490/2)

ويقول عبد الجبار فى أحاديث الرؤية : "ومما يتعلقون به، أخبار مروية عن النبى (، وأكثرها يتضمن الجبر والتشبيه، فيجب القطع على أنه (، لم يقله وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر" (1) ⁰

... ويقول المعتزلة قال نابتة من المنحرفين بتعارض الحديث مع القرآن، والسنة، والعقل، وصرحوا

بوضع الحديث " (2) 0

الجواب عن شبهات المعتزلة ومن قال بقولهم

في إنكار رؤية رب العزة جل جلاله

أولاً : إن الأحاديث التي دلت على ثبوت الرؤية تبلغ حد التواتر أخرجها أصحاب الصحاح والسنن
والمسانيد واعتنى بجمعها أئمة من العلماء كالدارقطني، وأبي نعيم الأصبهاني، وأبي بكر الأجرى وغيرهم

الكثير (3) 0

وقد نص على تواتر أحاديث الرؤية جماعة من العلماء، منهم الحافظ ابن تيمية (4) ، وابن قيم (5)

، وابن كثير (6) ، وابن أبي العز (7) ، وعبد العزيز الغماري (8) وغيرهم 0

(1) شرح الأصول ص 268، وانظر : آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً ص 83، والمعتزلة

وأصولهم الخمسة ص 127 0

(2) انظر : أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص 68، وما بعدها، وأضواء على السنة ص 231،

والأضواء القرآنية 2/299، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 40، 42، 163، 219،

والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 239، ودين السلطان ص 177 وما بعدها وغيرهم 0

(3) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية 1/348 0

(4) انظر : مجموع الفتاوى 3/390 0

(5) حادى الأرواح ص 219 – 251 0

(6) انظر : تفسير القرآن العظيم 2/161 0

(7) انظر : شرح العقيدة الطحاوية 1/243 0

(8) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 239 رقم 307، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة

ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 226 – 227 0

... قال الحافظ ابن حجر : "جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فرادت على العشرين، وتتبعها ابن قيم الجوزية في حادى الأرواح فبلغت الثلاثين، وأكثرها جياد، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال : "عندى سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح" (1) 0
وفي تواتر حديث الرؤية رد على المعتزلة، ومن قال بقولهم من أعداء السنة "بوجوب القطع على أنه (لم يقل حديث الرؤيا وأنه مكذوب عليه" (2) 0

كما أن في تواتر حديث الرؤيا بيان أن القضية مع أعداء السنة ليست قضية متواتر يؤخذ به في العقائد، وآحاد لا يؤخذ به، كلا، القضية، قضية عقولهم وأصولهم الإلحادية التي قدموها على النصوص 0 كتاب وسنة، وإلا فلو صدقوا في زعمهم بأن العقائد تؤخذ من الدليل اليقيني الحاصل بالتواتر، فلم لم يأخذوا بحديث الرؤية هنا مع تواتره (3) !!؟
... ثم ألا يكفي ثبوت الرؤيا بكتاب الله المتواتر؟! ويصبح حديث الرؤيا على فرض أنه آحاد دليل ظني راجع إلى دليل قطعي وهو القرآن، ومبين له، وبالتالي يجب العمل بالظن هنا كما سبق من قول الإمام الشاطبي (4) !؟

ثانياً: لقد تظاهرت أدلة الكتاب، والسنة، والعقل، وأجمع الصحابة، والذين من بعدهم من سلف هذه الأئمة وأئمتها من أهل السنة والجماعة على أن الله (يرى في الدار الآخرة، يراه المؤمنون رؤية حقيقية، تليق به سبحانه وتعالى، من غير إحاطة، ولا كيفية (5) 0

-
- (1) انظر : فتح الباري 443/13، والمنهاج شرح مسلم للنووي 20/2 رقمي 180، 181 0
 - (2) شرح الأصول ص 268، وراجع : المصادر المسمومة السابقة ص 756 0
 - (3) انظر : شرح الأصول ص 269 0
 - (4) راجع : ص 523، 564 0
 - (5) انظر : المنهاج شرح مسلم للنووي 20/2 رقمي 180، 181، والإنصاف للباقلاني ص 176، 181، والفصل في الملل والنحل 4/3، وفتح الباري 434-442 أرقام 7445-7449 0

كما اتفقوا على أنه لا يراه أحد بعينى رأسه فى الدنيا، وذلك لقوله تعالى لموسى -عليه السلام- :
"لَنْ تَرَانِي" (1) ، ولقول النبى (: "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه (حتى يموت" (2) وهى وإن
كانت جائزة عقلاً وليست بمستحيلة، إلا أن البشر لا يطبقون رؤيته فى هذه الدار لعجز أبصارهم
وضعفها0

ولذا من ادعى رؤية الله فى الدنيا بعينى رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة وهو ضال
(3) 0

وإنما الخلاف فى رؤية نبينا (لربه) بعينه فى الدنيا، فأثبت ذلك قوم ونفاه آخرون0 والجمهور أنه لم
يره بعينه لقوله فى حديث أبى ذر (: "نور أنى أراه" وفى رواية : "رأيت نوراً" (4) ومن قال رآه بعينى
رأسه ليلة المعراج، قال رآه كما سيراه المؤمنون يوم الآخرة، رؤية حقيقية تليق به سبحانه وتعالى من
غير إحاطة ولا كيفية (5) 0
... وهذه بعض النصوص التى تدل على إثباتها من القرآن، والسنة، والعقل، وأقوال سلفنا الصالح0
أ- القرآن الكريم :

-
- (1) جزء من الآية 143 من سورة الأعراف0
 - (2) أخرجه مسلم(بشرح النووى)كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب ذكر ابن
صياد9/279رقم2931 من حديث بعض أصحاب النبى (0 وانظر:الابتهاج فى أحاديث المعراج
لابن دحية ص 84 0
 - (3) انظر : بيان تلبيس الجهمية 358/1، ومجموع الفتاوى 389/3، وشرح العقيدة الطحاوية
245/1، والجامع لأحكام القرآن 55/7، ولوامع الأنوار البهية للسفارينى 285/2، وانظر : موقف
المدرسة العقلية من السنة 230/1 0
 - (4) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب فى قوله (: "نوراً أنى أراه" وفى قوله "رأيت
نوراً" 15/2 رقم 178 0
 - (5) الإنصاف للباقلانى ص176، وانظر:الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة67-69،وزاد المعاد
38-36/3

1- قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا
فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (1) 0 وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه
عديدة :

... الوجه الأول : إنه لا يظن بكليم الرحمن، ورسوله الكريم عليه، أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل
هو من أبطل الباطل وأعظم المحال 0

... الوجه الثاني : إن الله سبحانه لا ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه 0 ولهذا لما سأل
إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى بن مريم ربه
إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله 0 ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : (إِنِّي
أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (2) 0

... الوجه الثالث : إنه إجابة بقوله : "لن تراني" ولم يقل لا تراني ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز
رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله 0 وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى، ولكن موسى لا
تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى 0

... الوجه الرابع : قوله تعالى : (وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) فأعلمه أن
الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من
ضعف 0

(1) الآية 143 من سورة الأعراف 0

(2) الآية 46 من سورة هود 0

(494/2)

... الوجه الخامس : إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع
في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته 0 بل

لو كانت محالاً لكان ذلك نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام⁰

... الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأتبيائه ورسله، وأوليائه فى دار كرامته ويريههم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف⁰

... الوجه السابع : إن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه، وخاطبه، وناجاه، وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم (1) 0

2- قوله تعالى : (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ) (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (2) استدل بهذه الآية ابن عباس - رضى الله عنهما - وجماعة من التابعين منهم الحسن البصرى، وعكرمة مولى ابن عباس على جواز الرؤية، وكذا استدل بها مالك والشافعى رحمهما الله (3) وهو قول المفسرين من أهل السنة والجماعة (4) 0

(1) حادى الأرواح ص 212 - 213 بتصرف، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية 241/1، 242، والانصاف للباقلانى ص 177 0

(2) الآيتان 22، 23 من سورة القيامة 0

(3) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى 464/2 0

(4) انظر: شرح الطحاوية 239/1، وتفسير القرآن العظيم 450/4، والعقيدة الصحيحة فى الله وما ثار حولها من مشكلات للحافظ النابلسى ص 29 0

(495/2)

3- قوله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (1) الحسنى : هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه الله الكريم، بذلك فسرهما رسول الله (فى قوله) : "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً

أحب إليهم من النظر إلى ربهم (ثم تلا هذه الآية : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) (2) 0
 4- قوله تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ نِعَمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) (3) قال الرازي : "فإن إحدى القراءات في هذه الآية في "مُلْكًا" بفتح الميم وكسر اللام، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله تعالى، وعندى أن التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها (4) 0
 5- قوله تعالى : (كَأَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (5) ففي هذه الآية دليل على أن الله تعالى يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خصت منزلة الكفار بأنهم يحجبون 0

-
- (1) الآية 26 من سورة يونس 0
 (2) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى 19/2، 20 رقم 181، والبيهقى في البعث والنشور ص 261 رقم 446 من حديث صهيب (من حديث صهيب (وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة 255/2 وما بعدها، وحادى الأرواح ص 214 - 215، والجامع لأحكام القرآن 330/8، وتفسير القرآن العظيم 414/2 وشرح العقيدة الطحاوية 240/1 0
 (3) الآية 20 من سورة الإنسان 0
 (4) التفسير الكبير 131/13، وانظر : مناهل العرفان 150/1 0
 (5) الآية 15 من سورة المطففين 0

(496/2)

قال الإمام الشافعى : " لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا" (1) وجمهور المفسرين ذهبوا إلى تفسير حجب الكفار عن ربهم، بالمنع من رؤيته يوم القيامة (2) 0

ب- أدلة السنة :

... أما الأحاديث الصحيحة التى تدل على رؤية الله فى الآخرة فهى كثيرة متوافرة بلغت حد التواتر، فى الصحاح، والسنن، والمسانيد، من تلك الأحاديث :

ما روى فى الصحيحين من حديث جرير (3) قال : "كنا جلوساً عند النبى (إذ نظر إلى القمر ليلة

البدر قال : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته (4) ،

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة 506/2، وانظر : مناقب الشافعي للبيهقي 419/1، ومناقب

الشافعي للرازي ص 111 0

(2) الجامع لأحكام القرآن 261/19 0 وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة 506/3 0

(3) جرير هو : جرير بن عبد الله البجلي 0 صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة 232/1 رقم

1136، وأسد الغابة 529/1 رقم 730، والاستيعاب 236/1 رقم 322، وتاريخ الصحابة ص

59، 60 رقم 193، ومشاهير علماء الأمصار ص 56 رقم 275

(4) قوله (: "لا تضامون في رؤيته" فيه عدة وجه منها :

- ... أحدهما : "لا تُضَامُونَ" بتشديد الميم، وضم التاء، وهو تَفَاعُلُونَ من الضَّمِّ، أى لا ينضم بعضكم إلى بعض حال الرؤية لإشكاله وخفائه، كما يكون وقت الهلال، أى ترون الله عياناً ظاهراً لا يحتاج بعضكم أن ينضم إلى بعض في الاستعانة به لجلائه 0

- ... والوجه الثاني والثالث : "لا تضارون" بتشديد الراء، أصله "تضارون" أو تضارون من الضَّرِّ، أى لا يضرركم أحد، ولا تضروا أحداً، بمنازعة ولا مجادلة، ولا مضايقة، لأن ذلك كله إنما يتصور في مرئى يرى في حين واحد، أو جهة مخصوصة، أو قدر مقدر وذلك كله في حق الله تعالى محال 0

- ... والوجه الرابع : "لا تُضَامُونَ، أو لا تُضَاهُونَ" في رؤيته أى لا يُشَبِّهُون ربكم بغيره، والمضاهاة المشابهة 0هـ وغير ذلك من الوجود انظر : الابتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية ص 89، 90، وفتح الباري 455/11 رقم 6574، 446/13 أرقام 7434 - 7447 0

(497/2)

فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا (1) ، وفي رواية عنه (قال : قال النبي (، "إنكم سترون ربكم عياناً" (2) 0 وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: "جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما 0 وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (3) 0

- (1) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" 429/13، 430 رقم 7434، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما 144/3، 143 رقم 633 واللفظ للبخارى 0
- (2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" 430/13 رقم 7435 0
- (3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" 433/13 رقم 7444، ومسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى 19/2 رقم 180 واللفظ للمسلم 0

(498/2)

... قال القاضى الباقلانى (1) : يدل على الرؤية من جهة العقل : أنه تعالى موجود، والموجود لا يستحيل رؤيته، وإنما يستحيل رؤية المعلوم 0 وأيضاً فإنه تعالى يرى جميع المراتب، وقد قال تعالى : (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (2) وقال تعالى : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) (3) وكل راء يجوز أن يرى 0

ولا يجوز أن تحمل الرؤية منه تعالى على العلم - كما تزعم المعتزلة لأنه تعالى فصل بين الأمرين، فلا حاجة بنا أن نحمل أحدهما على الآخر، ألا ترى أنه سمي نفسه عالماً، وسمى نفسه مريداً، ولا يجوز أن نحمل الإرادة على العلم، كذلك لا تحمل الرؤية على العلم 0 فاعلمه 0

... وجواب آخر : وهو أن الصحابة سألوا الرسول (: هل نرى ربنا؟ فقال : "نعم" ولا يجوز أن يكون سؤالهم : هل نعلم ربنا أو يعلمنا ربنا 0

(1) الباقلانى : هو محمد بن الطيب بن محمد، القاضى أبو بكر الباقلانى، البصرى المالكى الأشعرى الأصولى المتكلم، صاحب المصنفات الكثيرة فى علم الكلام وغيره توفى سنة 403هـ له ترجمة فى : الديباج المذهب 363 رقم 490، وشذرات الذهب 168/3، ووفيات الأعيان 400/3 رقم

580، وسير أعلام النبلاء 43/11 رقم 3734، وشجرة النور الزكية 92/1 رقم 209 0

(2) الآية 14 من سورة العلق 0

(3) الآية 218 من سورة الشعراء 0

(499/2)

فبطل قول من يحمل الرؤية على العلم، ولهذا أجاب (: "سترونه كما يرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وكما ترى الشمس ليس دونها سحاب" (1) يعنى لا تشكون فى رؤيته كما لا يشك من رأى القمر والشمس فيها، فشبه الرؤية بالرؤية فى نفى الشك عن الرائي، ولم يشبه المرئى بالمرئى 0 فاعلم ذلك" (2) 0هـ

د- آثار السلف :

... وأما الآثار التى وردت عن سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - فى إثبات رؤية الله (فى الآخرة للمؤمنين، فهى أكثر من أن تذكر سبق منها قول الإمام الشافعى 0

ويقول فى ذلك الإمام أحمد - رحمه الله - : "من كذب بالرؤية فهو زنديق" وقال : "نؤمن بها أى الرؤية وأحاديثها، ونعلم أنها حق، فنؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة، لا نشك فيه ولا نرتاب" 0

(1) البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" 430/13 رقم 7437، ومسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية 21/2، 22 رقم 182 من حديث أبى هريرة (0

(2) الانصاف للباقلانى ص 181، 182 وانظر: الابتهاج فى أحاديث المعراج لابن دحية ص 78،

79

(500/2)

... وقال أيضاً : "من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله، وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل" (1) 0

... وسئل الإمام على بن المديني (2) الإمام عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال : ما حجب الله (أحداً إلا عذبه، ثم قرأ : (كَأَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ(15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ(16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(3) قال : الرؤية 0 فقلت له يا أبا عبد الله : إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : "إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وأهل الجنة يرون ربهم، فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله (فهم عمن أخذوه؟! (4) 0أهـ ... أما ما تعلق به المعتزلة من قوله تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (5) وزعمهم بتعارض الآية مع الحديث (6) 0

-
- (1) لوامع الأنوار البهية للسفاريني 2/246 0
 - (2) على بن المديني هو : على بن عبد الله بن معمر بن نجيح، أبو الحسن، ابن المديني البصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه 0 توفي سنة 234هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 697/2، 698 رقم 4776، والإرشاد للخليلي ص 188، والثقات للعجلي ص 349 رقم 1198، والكاشف 2/42 رقم 3937، وطبقات الحفاظ 187 رقم 414، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 1/146 رقم 40 0
 - (3) الآيات 15 – 17 من سورة المطففين 0
 - (4) لوامع الأنوار 2/245، وانظر: حادي الأرواح ص 252، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة 2/504
 - (5) جزء من الآية 103 من سورة الأنعام 0
 - (6) شرح الأصول ص 233 – 242 0

(1/3)

... قال الإمام الباقلاني : "الآية لا حجة لهم فيها وهي حجة عليهم 0 لأنه قال: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) ولم يقل لا تراه الأبصار، والإدراك بمعنى يزيد على الرؤية، لأن الإدراك : الإحاطة بالشئ من جميع

الجهات، والله تعالى لا يوصف بالجهات، ولا أنه في جهة، فجاز أن يرى وإن لم يدرك (1) 0
وجواب آخر: أن معنى الآية لا تدركه الأبصار فالدنيا، وإن جاز أن تدركه فالآخرة، ليجمع بين قوله
تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (2) وبين قوله تعالى: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (3)

وجواب آخر على دعوى التناقض : "لا تدركه الأبصار" يعنى أبصار الكفار دون المؤمنين، ليجمع
بين قوله تعالى : (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (3) وبين قوله تعالى : (كَأَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَخْجُونُونَ) (4) 0 وهذا صحيح، لأن الحجاب لما كان للكفار دون المؤمنين، كذلك الرؤية للمؤمنين
دون الكفار" (5) 0هـ

(1) انظر : الإسرائ والمعراج للدكتور محمد أبو شهبة ص 67 0

(2) جزء من الآية 103 من سورة الأنعام 0

(3) الآيتان 22، 23 من سورة القيامة 0

(4) الآية 15 من سورة المطففين 0

(5) الانصاف للباقلاني ص 184، وانظر : فتح الباري 473/8 وما بعدها رقم 4855 0

(2/3)

... أما ما احتجوا به من خبر عائشة - رضى الله عنها - لما قال لها ابن الزبير - وهو ابن أختها -
يا أماه : هل رأى محمد ربه؟ فقالت : يا ابن أختي لقد وقف شعر بدني، والله تعالى يقول : (وَمَا كَانَ
لِنَبِيِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ
حَكِيمٌ) (1) 0 وفي رواية قالت : "من زعم أن محمداً (، رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ... قال
تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (2) 0

... قالوا : فموضع الدليل من الخبر أنها أكبرت ذلك ونفت الرؤية عن الله تعالى، فدل أن ذلك
مستحيل في حقه سبحانه وتعالى، كما قالوا بتعارض الخبرين (3) 0

قال القاضي الباقلاني والجواب على ذلك من أوجه :

أولهما : أن ابن عباس (وغيره من الصحابة قد صرحوا بأن محمداً (، رأى ربه ليلة أسرى به بعينى رأسه، ولو كان ذلك مستحيلاً لم يقع الخلاف فيه بين الصحابة، كما لم يقع بينهم الخلاف في ما هو مستحيل على الله تعالى من الولد والزوجة، والشريك، ونحو ذلك 0 فلما وقع بينهم الخلاف في ذلك وانقرض عصرهم على ذلك، دل على أن الرؤية جائزة غير مستحيلة 0 فبطل ما ذكره 0

(1) الآية 51 من سورة الشورى 0

(2) الآية 103 من سورة الأنعام، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب في سورة النجم 472/8 رقم 4855، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله (: ولقد رآه نزلة أخرى، وهل رأى النبي ربه ليلة الإسراء 8/2، 9 رقم 177 0
(3) انظر : الإنصاف ص 186، وشرح الأصول ص 267-270 0

(3/3)

ثانيهما : أن عائشة - رضى الله عنها - إنما أنكرت رؤية البارى بأبصار العيون في دار الدنيا، لا على الإطلاق، ولهذا روى عن أبيها وعنها - رضى الله عنهما - وعن جميع الصحابة أنهم فسروا قوله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) (1) قالوا : الزيادة النظر إلى الله تعالى في الجنة (2) ، وقد روى هذا مرفوعاً عن الرسول (كما سبق في الأدلة القرآنية على الرؤية (3) 0

فصبح مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله تعالى، وبطلت شبه المخالف واندحض مكرهه 0 والله المنة والحجة البالغة" (4) 0هـ

ونسأله (أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم

المبحث الثالث

موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث القدر
والرد عليهم

... الأحاديث التي تثبت ركناً من أركان الإيمان وهو : الإيمان بقدر الله (خيره، وشره، حلوه ومره،
طعن فيها المعتزلة؛ لأنها تتعارض مع أصل من أصولهم الخمسة وهو العدل الذي يعد مع أصلهم،
الأول "التوحيد" أهم أصولهم لذا فهم يسمون أنفسهم أهل العدل وأهل التوحيد، وتمدحوا بهذه
التسمية⁰

وقد عرفوا العدل : بأنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يختاره، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها
حسنة (5) 0 وبنوا على هذا الأصل "العدل" أموراً عدة منها :

-
- (1) انظر: فتح الباري 474/8، 475 رقم 4855، والابتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية 74-
76، وزاد المعاد 36/3 - 38، والإسراء والمعراج للدكتور محمد أبو شهبه 67، 69 0
 - (2) انظر : البعث والنشور للبيهقي ص 262، 263 رقمي 447، 448 0
 - (3) راجع : ص 760، 761 0
 - (4) الإنصاف 186-187 وللاستزادة في الرد على شبه المعتزلة حول حديث الرؤي، انظر :
الانصاف، والإبانة ص 35 - 47، وموقف المدرسة العقلية من السنة 1/213 - 284، وشرح
العقيدة الطحاوية 1/237-257 0
 - (5) انظر : شرح الأصول ص 132، 301 0

(4/3)

أ- وجوب الصلاح والأصلح على الله (1) 0 عصمنا الله وإياكم من إساءة الأدب مع الله⁰
ب- الحسن والقبح العقليان، فالحسن ما حسنه العقل والقبح ما قبحه العقل، والشرع في تحسينه
وتقبيحه للأشياء مخبر عنها لا مثبت لها، والعقل مدرك لها لا منشئ (2) 0
ج- إن الله (لم يخلق أفعال العباد، وإنما الإنسان هو الخالق لأفعاله كلها خيراً وشرها (3) 0 وقد
أفضى بهم هذا إلى إنكار القدر⁰

قال القاضي عبد الجبار "والذين يشبثون القدر هم المجبرة (4) ، فأما نحن فإننا ننفيه وننزه الله تعالى⁰
عن أن تكون الأفعال بقضائه وقدره (5) 0

وحجة المعتزلة في نفى القدر أو نفى خلق الله لأفعال العباد طاعات كانت أم معاصي؛ أن الله لا يفعل القبيح، وأفعال العباد وإن كانت طاعة، فقد يصح وجودها على وجه فتقبح، وعلى وجه آخر فتحسن" (6) 0

وبناءً على أصلهم هذا "العدل" تأولوا الآيات القرآنية التي تثبت قدر الله (وخلقه لأفعال عباده خيرها وشرها 0

وطعنوا في الأحاديث التي تثبت القدر وعدوها ضرباً من الخطأ، وأن من رواها قد ارتكب عطيماً 0

(1) شرح الأصول ص 133، 134، 307 وما بعدها، وانظر : الفصل في الملل والنحل 164/3 0

(2) شرح الأصول 132، 301-323، وانظر : الكشف للزمخشري 441/2 0

(3) شرح الأصول ص 323، 334، 345، 776 0

(4) الجبرة أو الجبرية: مشتقة من الجبر، وهو نفى الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى: وهم أصناف : فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً 0 والمتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة 0 انظر : الملل والنحل 85/1، والتعريفات ص 101 0

(5) شرح الأصول ص 776 0

(6) المجموع المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص 366، 367، نقلاً عن موقف المدرسة العقلية من السنة 2880/1 0

(5/3)

قال القاضي عبد الجبار: "وما ورد من أخبار الآحاد دالاً على ذلك، ضرب من ضروب الخطأ الذي يعلم بروايته أنه ارتكب عطيماً" (1) 0

... ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما كفروا من خالفهم في هذا الأصل "العدل" 0
قال عبد الجبار : "وأما من خالف في العدل، وأضاف إلى الله تعالى القبائح كلها من الظلم، والكذب،

وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم والإخلال بالواجب فإنه
يكفر أيضاً" (2) 0

وقد تأثر بموقف المعتزلة بالطنع في أحاديث القدر، دعاة اللادينية (3) ، كما تأثر بعض رواد المدرسة
العقلية الحديثة وقد فصل ذلك الدكتور فهد الرومي في رسالته للدكتوراه "منهج المدرسة العقلية
الحديثة في التفسير" (4) 0

وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب عن شبه المعتزلة
ومن قال بقولهم أو تأثر بهم

(1) فضل الاعتزال ص 194 0

(2) شرح الأصول ص 125 0

(3) انظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 394، 357، 135، 131، ودين السلطان
ص 323، 324

(4) انظر : منهج المدرسة العقلية ص 533-544 0

(6/3)

... الإيمان بقدر الله واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ التي لا يتصف المؤمن بالإيمان إلا
بتحقيقها، كما قال (: "الإيمان أن تؤمن بالله، ملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره
وشره" (1) 0 ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على إثبات قدر الله تعالى، وهي تؤيد
ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من ذلك : قوله تعالى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) (2) وقوله
تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (3) وقال تعالى : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) (4) 0

... وسئل ابن عمر - رضي الله عنهما - عن أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم (أي يبحثون عن
غامضه وخفائيه) وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف (أي مستأنف لم يسبق به قدر، ولا علم من
الله تعالى، وإنما يعلم بعد وقوعه)؟ فيجيب ابن عمر - رضي الله عنهما - فيقول للسائل : "فإذا لقيت

أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبّل الله منه حتى يؤمن بالقدر (5)، ثم ساق حديث عمر (السابق 0

(1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب

الإيمان بإثبات قدر الله (177/1 رقم 8 من حديث عمر بن الخطاب 0

(2) الآية 2 من سورة الفرقان 0

(3) الآية 49 من سورة القمر 0

(4) الآية 38 من سورة الأحزاب 0

(5) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب

الإيمان بإثبات قدر الله (178/1 رقم 8 0

(7/3)

وعن طاووس قال : "أدركت ثلثمائة من أصحاب رسول الله (، يقولون : كل شيء بقدر، وسمعت عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس" (1) ، والأحاديث في إثبات القدر كثيرة جداً في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة (2) والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله عالم بكل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق لقوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (3) 0

الثاني : إن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (4) ولقوله (: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء" (5) 0

(1) الكيس "بفتح الكاف" ضد العجز، ومعناه الخدق في الأمور ومعناه : أن العاجز قد قدر عجزه،

والكيس قد قدر كيسه 0هـ المنهاج شرح مسلم 456/8، وفتح الباري 487/11، والحديث

أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب القدر، باب كل شيء بقدر 455، 456/8 رقم 2655

(2) انظر : كتاب القدر في الصحيحين، البخاري (شرح فتح الباري) 486/11 – 524 أرقام

6594 – 6620، ومسلم (بشرح النووى) 440/8 – 468 أرقام 2643 – 2663 0

(3) الآية 70 من سورة الحج 0

(4) الآية 22 من سورة الحديد 0

(5) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 452/8

رقم 2653 من حديث ابن عمرو -رضى الله عنهما- 0

(8/3)

الثالث : إنه لا يكون شئ في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشئته، الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهذى من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فهو مطابق لعلم الله السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (1) وقال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) (2) " فأثبت جل جلاله وقوع الهداية والضلال بإرادته 0

الرابع : إن كل شئ في السماوات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره، ولا رب سواه، لقوله تعالى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا) (3) وقال على لسان سيدنا إبراهيم - عليه السلام - : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (4) 0

... ويدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة من أدلة العقل : أن الملك إذا جرى في ملكه ما لا يريد، دل ذلك على نقصه أو ضعفه أو عجزه، والله تعالى موصوف بصفات الكمال، لا يجوز عليه في ملكه نقص، ولا ضعف، ولا عجز، فكيف يكون في ملكه ما لا يريد، ويريده أضعف خلقه فيكون 0 كلا سبحانه وتعالى أن يأمر بالفحشاء أو يكون في ملكه إلا ما يشاء

ونقول : إن مذهب أهل السنة والجماعة الذى ندين لله تعالى به أنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن ولا يطيع طائع، ولا يعصى عاص، من أعلى العلى إلى ما تحت الثرى؛ إلا بإرادة الله تعالى، وقضائه ومشئته 0 وقد دل على صحة ذلك الكتاب، والسنة، والعقل، وإجماع الأمة (5) 0

(1) الآية 49 من سورة القمر 0

(2) الآية 125 من سورة الأنعام0

(3) الآية 2 من سورة الفرقان0

(4) الآية 96 من سورة الصافات، وانظر : فتح الباري 145/1 رقم 50 0

(5) الإنصاف للباقلاني ص 157، 158، 161، 162 بتقديم وتأخير0

(9/3)

... وقد تناول العلماء من أهل السنة شبه المعتزلة في موضوع القدر، وأفعال العباد ففندوها وأوضحوا بطلانها؛ لأنها لم تبين على نصوص الشرع، وإنما بنيت على العقول القاصرة العاجزة، فجاءت مخالفة للنصوص مناهضة لها0

... وصفوة القول في الرد على المعتزلة : "إن المعتزلة لما خاضوا بعقولهم في شرع الله تعالى بعيداً عن هدى النصوص، قذفت لهم تلك العقول بما يسمى بالتحسين والتقبيح العقلي، ووجوب الأصلح على الله؛ الذي كان علته وسببه قياسهم لأفعال الله سبحانه على أفعال العباد، فحسنوا منه ما يحسن منهم، وقبحوا منه ما يقبح منهم، وأوجبوا عليه ما يجب عليهم، وحرّموا عليه ما يحرم عليهم، وسمّوا ذلك عدلاً، وما ذلك إلا تشبيه لله بخلقه في أفعاله فهم في الحقيقة مشبهة الأفعال0 والله سبحانه لا يقاس بنا في أفعاله، فليس ما وجب أو حرم علينا، يجب ويحرم عليه، وليس ما حسن أو قبح منا يحسن أو يقبح منه (1) 0

... فهو سبحانه منزّه عن فعل القبائح، لا يفعل السوء والسيئات، مع أنه سبحانه خالق كل شيء، أفعال العباد وغيرها0

(1) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص 48، ومفتاح دار السعادة ص 49-52 0

(10/3)

والعبد إذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل سوءاً، وظلماً، وقبيحاً وشرّاً، والرب قد جعله فاعلاً لذلك، وذلك منه سبحانه عدل، وحكمة، وصواب، ووضع للأشياء في مواضعها، فخلقه سبحانه لما

فيه نقص أو عيب للحكمة التي خلقه لها هو محمود عليه، وهو منه عدل، وحكمة، وصواب، وإن كان في المخلوق عيباً، ومثل ذلك في المخلوقين، فإن الصانع إذا أخذ الخشبة المعوجة، والحجر الردي، واللبنة الناقصة، فوضعها في موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً، واستقامة وصواباً وهو محمود، وإن كان في تلك عوج وعيب هي به مذمومة، ومن أخذ الخبائث فوضعها في المحل الذي يليق بها كان ذلك حكمة وعدلاً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها، فهو سبحانه لا يضع شيئاً إلا في موضعه، فلا يكون إلا عدلاً، ولا يفعل إلا خيراً، فلا يكون إلا محسناً جواداً رحيماً، وهو سبحانه له الخلق والأمر (1) 0

... والله يختص بحكمة لا يشاركه فيها غيره، ولهذا يحسن منه ما يقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم، مثال لذلك يحسن منه مدح نفسه والثناء عليها، ويقبح من أكثر خلقه ذلك 0 كما يحسن منه إماتة خلقه وابتلاؤهم وامتحانهم بأنواع الخن، ويقبح ذلك من الخلق، فليس بين الله وخلقه جامع يوجب أن يحسن منه، ما يحسن منهم، ويقبح منه ما قبح منهم (2) 0

(1) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/299 – 300 0

(2) لوامع الأنوار البهية للسفاريني 1/333 0

(11/3)

... وكون الله سبحانه خالقاً لأفعال العباد، لا ينفي ذلك أن يكونوا فاعلين لها حقيقة، فقد أخبر سبحانه أن العباد يفعلون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويصدقون ويكذبون في مواضع جمة 0 فأفعالهم مستندة إليهم، وهم الفاعلون لها حقيقة، وأنها تنسب إليهم وتضاف لهم وهي مفعولة لله حقيقة ومخلوقة له، وليست فعلاً له، ولا يتصف بأنه فاعلها؛ لأن هنالك فرقاً بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، فهي فعل العباد ومفعولة له سبحانه (1) 0

وإلى هذا أشار الإمام الطحاوي (2) - رحمه الله - بقوله : "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد" (3) 0

(1) المنتقى من منهاج الاعتدال ص 142، 143، 153، وشفاء العليل في مسائل القدر ص

115، وشرح الطحاوية 0 188/2

(2) الطحاوى هو : أبو جعفر، أحمد بن محمد الأزدي المصرى الطحاوى الحنفى 0 كان ثقة، ثبتاً، فقيهاً، لم يخلف بعده مثله، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر من مصنفاته (شرح معاني الآثار) و "أحكام القرآن" و "العقيدة" مات سنة 321هـ له ترجمة فى : طبقات الحفاظ للسيوطى ص 339 رقم 767، وتذكرة الحفاظ 808/3 رقم 797، وطبقات المفسرين للدودى 74/1 رقم 69، والبداية والنهاية 11/ 132، والتقييد لمعرفة رواة السنن لابن نقطة ص 174 رقم 195، ولسان الميزان 415/1 رقم 845 0
(3) شرح الطحاوية 0 179/2

(12/3)

... وأما إيجاب شئ على الله أو تحريمه عليه، فإن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه سبحانه إنما أمر عباده بما فيه صلاحهم، ونهاهم وحذرهم عما فيه فسادهم، وأرسل لهم الرسل للمصلحة العامة، وإن كان فى إرسالهم ضرر على بعض الناس، ففيه حكم، وإن كان فى بعض ما يخلقه ضرر كالذنوب، فلا بد من وجود الحكمة فى ذلك، والمصلحة التى لأجلها خلقه سبحانه (1) ، والله سبحانه قد يوجب على نفسه ويحرم بعض الأمور كقوله سبحانه : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (2) وفى الحديث: "يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى" (3) وهو لا يخل بما أوجبه أو حرمه على نفسه 0
أما أن يوجب أو يحرم عليه الخلق بعقولهم فلا (4) 0

إن قول المعتزلة يجب على الله فعل الصلاح والأصلح لعباده يلزم منه لوازم فاسدة مثل : عدم خلق إبليس وجنوده، فعدم خلقه وجنوده أصلح للخلق وانفع، وقد خلقه البارئ! والأمثلة على ذلك كثيرة
(5) 0

(1) المنتقى من منهاج الاعتدال ص 53 0

(2) الآية 54 من سورة الأنعام 0

(3) جزء من حديث أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم 375/8

رقم 2577 من حديث أبي ذر (0

- (4) المنتقى من منهاج الاعتدال ص 49، 50، وشرح الطحاوية 193/2 - 195 0
- (5) انظر: لوامع الأنوار البهية 329/1 - 332 0 وللاستزادة من الرد على شبهات المعتزلة في عقيدة القدر، انظر : الإنصاف للباقلاني ص 157-168، والشريعة للآجری ص 149-250، وموقف المدرسة العقلية من السنة 1/285 - 243 0

(13/3)

إذا عرفت صحة مذهب أهل السنة في عقيدة الإيمان بالقدر، وعرفت فساد مذهب المعتزلة، عرفت أن طعون المعتزلة ومن قال بقولهم من المستشرقين، ودعاة الإلحاد (1) في الأحاديث الصحيحة المثبتة للقدر، طعون واهية لا حجة لهم فيها، وهاك مثلاً على ذلك، حديث محاجة آدم موسى عليهما السلام، نذكر شبه الطاعنين فيه والدفاع عنه في المبحث التالي في بيان ذلك 0

المبحث الرابع

شبه الطاعنين في حديث محاجة آدم موسى عليهما السلام والرد عليها

... عن أبي هريرة (عن النبي)، قال : "احتج آدم وموسى، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم : أنت موسى 0 اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتؤمني على أمر قدّره الله علىّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي (: "فحج آدم موسى ثلاثاً" 0 (2)

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله:-قد أنكر القدرية هذا الحديث لأنه صريح في إثبات القدر السابق، وتقدير النبي (لآدم على الاحتجاج به، وشهادته بأنه غلب موسى فقالوا : أولاً : لا يصح لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه، وقد قتل هو نفساً لم يؤمر بقتلها، ثم قال رب اغفر لي، فغفر له، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له؟

(1) كنيازی عز الدين الذي طعن في حديث ابن مسعود (مرفوعاً : "إن أحدكم يجمع في بطن أمه

أربعين يوماً ... الحديث " سبق ذكره وتخرجه ص 655، وانظر : دين السلطان ص 650، 651،
وانظر : دراسة الكتب المقدسة للدكتور مرويس بوكاي ص 297، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي
أحمد حجازي ص 158، 160، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر 303/2 وغيرهم
(2) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله (513/11،
514 رقم 6614، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام
450/8 رقم 2652 0

(14/3)

ثانياً : لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذى فرغ من كتابته على العبد، لكان من عوتب على
معصية قد ارتكبها، يحتج بالقدر السابق، ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص، والحدود، ولاحتج به
كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضى إلى لوازم قطعية، فدل ذلك على أن هذا
الحديث لا أصل له (1) أ0هـ

وينحو ذلك طعن السيد صالح أبو بكر (2) ، ونيازى عز الدين (3) ، وغيرهما في الحديث 0 ويجب
عليهم بالآتى :

أولاً : هذا الحديث صحيح ثابت في كتب السنة بالاتفاق 0 رواه عن النبي (أبو هريرة وغيره، وقد
ذكر الحافظ ابن حجر أنه من طريق أبي هريرة رواه عشرة من التابعين ثم ذكرهم، وذكر من خرج لهم
من الأئمة (4) 0

ثانياً : قد ذكر في احتجاج آدم بالقدر عدة أقوال، المتجه منها قولان :

الأول : إنما لام موسى -عليه السلام- آدم -عليه السلام- على المصيبة التى أخرجته لا على
المعصية، لأن العبد مأمور أن يحتج بالقدر عند المصائب كما قال ("وإن أصابك شئ فلا تقل : لو
أنى فعلت كان كذا وكذا 0 ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل 0 فإن لو تفتح عمل الشيطان" (5) 0
وقال تعالى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (6) واستحسن هذا القول الإمام الطحاوى (7) 0

(1) فتح الباري 518/11 رقم 6614 0

(2) الأضواء القرآنية 239/2 0

(3) دين السلطان ص 655 وما بعدها، وانظر : دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص 297 0

(4) فتح الباري 11/514 0

(5) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله،

وتفويض المقادير لله 8/466، 467 رقم 2664 0

(6) الآية 22 من سورة الحديد 0

(7) شرح الطحاوية 1/170 وما بعدها وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص 368 0

(15/3)

الثاني : إن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته كما فعل آدم، ويضر الاحتجاج به في الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر عليه ويصر، فيبطل الاحتجاج به حقاً، ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم لغير الله، فقالوا كما حكى رب العزة عنهم: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) (1) 0

... وخلاصة ذلك أن اللوم إذا ارتفع، صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً فلاحتجاج بالقدر باطل (2) 0

وقال القرطبي : "إنما غلبه بالحجة؛ لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه (3) ، فكان لومه على ذلك، نوع جفاء، كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً" 0
قال الحافظ ابن حجر : "وهو محصل ما أجاب به المازري، وغيره من المحققين، وهو المعتمد" (4) 0

ثالثاً : ليس في الحديث احتجاج بالقدر على المعاصي كما يزعم المعتزلة 0 وآدم -عليه السلام- لم يحتج بالقدر؛ لأن أنبياء الله -عليهم السلام- من أعلم الناس بالله وبأمره ونهيه، فلا يسوغ لأحدهم أن يعصى الله بالقدر، ثم يحتج على ذلك (5) 0أهـ

- (1) الآية 148 من سورة الأنعام0
- (2) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ص 38، 39 بتصرف0
- (3) كما جاء في حديث عمر "قال آدم لموسى إنما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال نعم" أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في القدر 226/4 رقم 4702 0
- (4) فتح البارى 518/11، وقول القرطبي موجود بمعناه في الجامع لأحكام القرآن 256/11 0
- (5) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم 369، وشفاء العليل ص 38، وشرح الطحاوية 170/1 0

(16/3)

فالحديث كما قال الحافظ ابن عبد البر : "هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر، وأن الله تعالى قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله" (1) 0

وعن النهى عن المجادلة في القدر روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله (على أصحابه وهم يختصمون في القدر 0 فكأثما فقي في وجهه حب الرمان من الغضب 0 فقال : "بهذا أمرت أو لهذا خلقتكم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض 0 بهذا هلك الأمم قبلكم" (2) 0

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

- (1) انظر : فتح البارى 517/11، وللاستزادة في الرد على هذا الحديث انظر : نصوص من السنة ودفاع عنها للدكتور رفعت فوزى، ص 18-24، وضلالات منكرى السنة للدكتور طه حبيشى ص 463 - 475، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 343/1 - 347 0
- (2) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الإيمان، باب في القدر 45/1 رقم 85، وقال البوصيرى في مصباح الزجاجة 58/1 : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات 0

(17/3)

المبحث الخامس

موقف المبتدعة قديماً وحديثاً من أحاديث

المغفرة لمرتكب الكبيرة والرد عليهم

... طعن المبتدعة من المعتزلة وغيرهم في أحاديث المغفرة لأهل الكبائر يوم القيامة، لتعارضه مع أصلهم السابق "العدل"، وقولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله، ولتعارضه مع أحد أصولهم الخمسة وهو "الوعد والوعيد" ومرادهم به: أنه يجب على الله إثابة الطائع الذي وعده بالثواب، وعقاب العاصي الذي أوعده بالعقاب، ولا يخلف الله وعيده؛ لأنه ذم وقبح (1) 0

ولتعارضه أيضاً مع قولهم في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين، وهو أيضاً أحد أصولهم الخمسة، ومرادهم به أن مرتكب الكبيرة منزلته "الفسق" بين المنزلتين "الإيمان، والكفر" وهو بهذه المنزلة خالد مخلد في النار إذا لم يتب من كبريته، وحاله في العقاب دون الكافر، فعقابه أخف ولكنه مع ذلك مؤبد فيها" (2) 0

... ومن أصولهم السابقة طعنوا في أحاديث الشفاعة، كما طعنوا في الأحاديث التي تصف مرتكب الكبيرة - وإن لم يتب - بأنه تحت المشيئة "إن شاء غفر الله له، وإن شاء عذبه" لتعارضها مع قولهم: "وجوب تنفيذ الله وعيده على العاصي 0 وقولهم: إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار إن لم يتب من كبريته 0

... واعتبروا مثل هذه الأحاديث فيها خلف للوعد من الله (وهو عندهم ذم وقبح 0 قال القاضى عبد الجبار: "من زعم أن خلف الوعيد كرم، وأن الله يمكن أن يخلف في وعيده، كفر، لأنه أضاف القبيح إلى الله تعالى" (3) 0هـ

والجواب :

(1) انظر : شرح الأصول ص 125، 611 وما بعدها، والملل والنحل 42/1، وآراء المعتزلة

- الأصولية دراسة وتقويماً للدكتور على بن سعد بن صالح ص 123 0
- (2) انظر : فضل الاعتزال 210، 350، ومقالات الإسلاميين 334/1، والملل والنحل 45/1 0
- (3) انظر : شرح الأصول ص 125، 132، 666، 667 0

(18/3)

... إن إنفاذ الوعيد، والوجوب على الله، الذى دندن به المعتزلة، وقال به أعداء السنة (1) ،
وخلدوا به صاحب الكبيرة فى النار، إنما هو أمر عقلى محض لا سند له من النصوص، ولا من العقول
السليمة 0

فمن أين للعقول أن توجب وتحرم عليه سبحانه، وكيف علمت أنه يجب عليه أن يمدح ويذم، ويثيب
ويعاقب على الفعل، وأنه رضى عن فاعل، وسخط على فاعل؟
وهل ذلك إلا غيب عنا، وإقحام للعقل فيما لا علم له، وتجنى على نصوص الشرع، وقياس الله بخلقه
فى أفعاله 0
وهل كل ما حسن من الخلق حسن منه، وما قبح منهم قبح منه؟ أم هو القياس الفاسد أيضاً؟ (2)

-
- (1) انظر : المسلم العاصى لأحمد صبحى منصور ص 14-30 0
- (2) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص 51، 52، وراجع ما سبق فى الجواب عن طعن المعتزلة
فى أحاديث القدر ص 767-774 0

(19/3)

ولا شك أن الله وعد الطائعين بالثواب، وأوعد العاصين بالعقاب، وما وعد به عباده الطائعين لابد من
تحقيقه، كرماء منه سبحانه وفضلاً، لأنه لا يخلف الميعاد كما قال (: إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (1)
وقوله تعالى : (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (2) وليس معنى ذلك أن العباد يستحقون
دخول الجنة على ربحهم بأعمالهم كما يزعم أهل الاعتزال، بل إنما يدخلهم الجنة برحمته وفضله، كما
قال (: "لن يدخل أحداً عمله الجنة"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله

بفضل ورحمة ... فسددوا وقاربوا" الحديث (3) ، وذلك بخلاف الوعيد، فإن خلفه مدح لا ذم، ويجوز عليه سبحانه أن يخلف وعيده، لأنه حقه، فإخلافه له عفو وكرم، وجود، وإحسان، ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله (، حيث قال :

"نبت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول (4) 0

... والعرب لا تعد عاراً ولا خُلُفاً، أن تعد شراً ثم لا تفعل، ترى ذلك كريماً وفضلاً، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعل، ومن ذلك قول القائل :

لا يرهب ابن العم مني صولة ... ولا أختنى (5) من صولة المتهدد
لأخلف إيعادي وأنجز موعدني (6)
وإني أن أوعدته أو وعدته ...

(1) الآية 31 من سورة الرعد0

(2) الآية 194 من سورة آل عمران0

(3) أخرجه البخاري(بشرح فتح الباري)كتاب، باب تمنى المريض
الموت/10، 133، 132 رقم5673، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب
لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى 9/174 رقم 2816 من حديث أبي هريرة (واللفظ
للبخاري0

(4) انظر:لوامع الأنوار البهية 1/370، وانظر : شرح ديوان كعب بن زهير للحسن السكري
ص19

(5) أختنى : أى اتصاغر وأنكسر، انظر : لسان العرب 2/28 0

(6) انظر:أخبار عمرو بن عبيد للدارقطني ص 14، وموقف المدرسة العقلية من السنة1/369، 368
0

... وفي الحديث عن زيد بن ثابت مرفوعاً : "لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم 0 ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم" (1) 0

... أما ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من أن الكبيرة الواحدة تسقط جميع ما لصاحب الكبيرة من ثواب، لأنه لا ثواب البتة يستحقه الإنسان مع وجود الكبيرة (2)، ويستلزم على هذا حبط إيمانه حيث حكموا عليه بالخلود في النار، وإن لم يحكم عليه المعتزلة بالكفر في الدنيا فقد صرح بذلك الخوارج فأصبح الخلاف بينهم لفظي (3) 0

هذا الذي ذهبوا إليه نوع من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه كما قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (4) 0

وهو مخالف لكتاب الله (وسنة نبيه)، في أن مرتكب الكبيرة مسلم عاصي، غير خالد مخلد في النار، وهو تحت المشيئة "إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه" يدل على ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (5) فالآية صريحة في أن الغفران المعلق بالمشيئة شامل لجميع الذنوب، كبائر كانت أو صغائر، ولم يستثن المولى (سوى كبيرة الشرك به تعالى (6) 0

-
- (1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في القدر 225/4 رقم 4699، وابن ماجه في سننه كتاب القدر، باب في القدر 41، 42/1 رقم 77 0
 - (2) انظر شرح الأصول ص 691، ومقالات الإسلاميين 1/332 0
 - (3) شرح الطحاوية 2/99، 100 0
 - (4) الآية 40 من سورة النساء، وانظر : مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية 2/26 رقم 183 0
 - (5) الآية 116 من سورة النساء 0
 - (6) انظر : جامع البيان 5/126، والجامع لأحكام القرآن 5/245، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها 2/839 0

وفي هذا رد على قولهم المراد بالمغفرة صغائر المعاصي (1) 0

... وقال (:"ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" قال أبو ذر (، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال "وإن زنى وإن سرق" -ثلاثاً- ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر" قال فخرج أبو ذر وهو يقول : "وإن رغم أنف أبي ذر" (2) 0

... وفي حديث عبادة بن الصامت (: أنه (قال وحوله عصابة من أصحابه : "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله؛ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه" 0 فبايعناه على ذلك (3) 0

... والأدلة على أن صاحب الكبيرة "مسلم عاصي" وتحت المشيئة وغير خالد مخلد في النار كثيرة جداً 0 والأحاديث في ذلك متواترة (4) 0

(1) انظر : فضل الاعتزال ص 154 0

- (2) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله 1237/3 رقم 332، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار 370/1، 371 رقم 94 واللفظ له 0
- (3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان 81/1 رقم 18 واللفظ له، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها 238/6، 239 رقم 1709 0
- (4) انظر : الشفاعة لمقبل بن هادى، وموقف المدرسة العقلية من السنة 360/1 - 362 0

(22/3)

وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة نقتصر على قول جامع للإمام النووى - رحمه الله - إذ يقول :
"واعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق من السلف والخلف، أن من مات موحداً، دخل

الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي، كالصغير، والمجنون، والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلاً... وأما من كانت له معصية كبيرة، ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى، ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل 0

هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب، والسنة، وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي (1) 00هـ

(1) المنهاج شرح مسلم 1/255، 256 أرقام 26-33 0

(23/3)

... أما ما استدل به المعتزلة وغيرهم من الكتاب والسنة على تخليد صاحب الكبيرة في النار كقوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (1) وقوله (: "لا يدخل الجنة مومن خمر، ولا نمار، ولا عاق" (2) 0 وقوله (: "من قتل نفسه بحديد، فحديدته في يده يتوجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً أبداً" (3) 00هـ إلى غير ذلك من الأخبار المروية في هذا الباب، واستدلوا بها على تخليد صاحب الكبيرة (4) 0

هذه الأخبار التي استدلو بها على تخليد مرتكب الكبيرة في النار؛ لا حجة لهم فيها فهي من نصوص الوعيد التي وجهها السلف توجيهاً يتفق ونصوص الوعد الأخرى التي غض عنها المعتزلة الطرف، وهذا من شأن أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص ما يظنون أنه يوافق بدعهم، ويتركون غيرها مما يخالف تلك البدع 0 وهكذا فعل أهل الاعتزال في هذا المقام 0

وقد ذكر العلماء توجيهات عديدة في هذه النصوص وأمثالها والمختار منها قولان:

أحدهما : أنها محمولة على من يستحل الكبيرة مع علمه بالتحريم، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة أصلاً⁰

(1) الآية 93 من سورة النساء⁰

- (2) أخرجه النسائي فسننه كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى 80/5 رقم 2562، وأحمد فمالمسند وذكر بدل المنان : الديوث الذى يقر فى أهله الخبث 69/2، 128، 134 من حديث ابن عمر (0)
- (3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به ... إلخ
- 258/8 رقم 5778 ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم قتل الإنسان نفسه
- 395/1 رقم 109 من حديث أبي هريرة (0)
- (4) انظر : شرح الأصول ص 657، 663

(24/3)

والثانى : أنها محمولة على أن مرتكب الكبيرة جزاؤه أن لا يدخل الجنة وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر، ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولاً (1) 0 والمراد بالخلود إذا عوقب، طول المدة والإقامة المتطاوله، لا حقيقة الدوام، كما فى قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) (2) والعرب تقول: لأخلدن فلاناً فى السجن، والسجن ينقطع ويذول، وكذلك من سجن، ومثله قولهم فى الدعاء : خلد الله ملكه، وأبد أيامه (3) 0

... وهناك قول ثالث : وهو أن نصوص الوعيد الواردة فى الآيات، والأخبار فى حق مرتكب الكبيرة، هذا الوعيد جزاؤه، ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد فى النار من مات مسلماً (4) ، وقد دلت الأحاديث على ذلك منها قوله (: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار يقول الله : من كان فى قلبه مثال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا (5) ، وعادوا حمماً (6) ، فيلقون فى نهر الحياة، فينبئون كما تُنبئ الحبة فى حميل السَّيل، أو قال: حَمِيَّة السَّيل" وقال النبى (: "ألم تروا أنها تَنبُئُ صفراء مُلتوية؟" (7) 0

(1) المنهاج شرح مسلم 369/1 رقم 91 بتصرف⁰

(2) الآية 34 من سورة الأنبياء0

(3) الجامع لأحكام القرآن 335/5، وانظر: المنهاج شرح مسلم 402/10، 403 رقم 109 0

(4) انظر : المنهاج شرح مسلم 369/1 رقم 391/1 رقم 105 0

(5) امتحشوا : أى احترقوا0 والمحش : احتراق الجلد، وظهور العظم0 انظر : النهاية في غريب

الحديث 302/4 0

(6) حمماً : أى صاروا سود الأجساد كالحمم وهو الفحم انظر : النهاية في غريب الحديث 444/1

(7) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار 424/11 رقم 6560

(25/3)

وقد دلت الأحاديث أيضاً أن قاتل نفسه لا يخلد في النار، روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبي (فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة؟) قال : حصن كان لدوس في الجاهلية) فأبى ذلك النبي (للذى ذكر الله للأنصار، فلما هاجر النبي (إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه0 فاجتأوا المدينة0 فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ (1) له فقطع بها بَرَاجمه فَشَخَبَتْ (2) يداه حتى مَاتَ، فَرَأَهُ الطفيل بن عمرو في منامه0 فرآه وهيئته حسنة، ورآه مَغْطِياً يَدَيْهِ، فَقَالَ له : ما صنع بك رُبُك؟ فقال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه (، فقال : مالى أَرَاكَ مُغْطِياً يديك؟ قال : قيل لى لن نُصَلِّحَ منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله (فقال رسول الله (: "اللهم وَلِيْدِيهِ فَاغْفِرْ" (3) 0

(1) مشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض0 انظر : النهاية في غريب

الحديث 490/2 0

(2) شخبت: أى سألت من الشخب، وهو السيلان انظر: النهاية في غريب الحديث 450/2 0

(3) مسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر 407/1 رقم

116

(26/3)

... قال الإمام النووي -رحمه الله- : "ففيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة، أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها، ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها، وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله، الموهوم ظاهرها تخليد قاتل النفس، وغيره من أصحاب الكبائر في النار، وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي، فإن هذا عوقب في يديه، ففيه رد على المرجئة (1) ، القائلين بأن المعاصي لا تضر مع الإيمان، كما لا ينفع مع الكفر طاعة" (2) 0هـ

... وإذا تقرر أن مرتكب الكبيرة، مسلم عاصي، تحت مشيئة ربه (إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، فلا وجه لإنكار أعداء السنة لشفاعة النبي)، لأهل الكبائر من أمته 0
فإلى بيان شبههم حول الحديث والرد عليها في المبحث التالي 0

المبحث السادس

شبه الطاعنين في حديث الشفاعة والرد عليهم

... إن تشبث المعتزلة بأصلهم الوعد والوعيد، ووجوب تحقيق الوعيد في حق مرتكب الكبيرة بتخليده في النار، أدى بهم إلى نفي الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة 0

(1) المرجئة : من الإرجاء وهو التأخير، والمرجئة لقب أطلق على طائفة تؤخر العمل عن الإيمان، بمعنى أنهم لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان، وقصروا الإيمان على المعرفة 0 وأكثرهم يرى أن الإيمان لا يتبعض، ولا يزيد ولا ينقص، وزعم بعضهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة 0هـ انظر : مقالات الإسلاميين 132/1، الملل والنحل 137/1، وانظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام 743/2 0

(2) المنهاج شرح مسلم 409/1 رقم 116 بتصرف يسير، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 374/1-378 0

قال عبد الجبار : "الشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم، ولم يتوبوا لا تجوز، بل مثلها مثال الشفاعة لمن قتل ولد الغير، وظل يترصد للآخر حتى يقتله، فكما أن هذا قبيح فهي قبيحة أيضاً ... والنبي (، لا يشفع لصاحب كبيرة، ولا يجوز له ذلك لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيحة ... والفساق إنما يستحق العقوبة على الدوام، فكيف يخرج من النار بشفاعته (1) 0

... وقد رد المعتزلة أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر بدعوى تعارضها مع القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبدعوى أنها خبر آحاد، ومسألة الشفاعة طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به (2) 0 وما صح من أحاديث الشفاعة أطلق عليها عبد الجبار حكماً عاماً وهو أن أكثرها مضطرب" (3) 0 ومما استدلووا به في إنكار الشفاعة قوله تعالى : (وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) (4) وقوله تعالى : (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (5) 0 ونحو ذلك من الآيات، واستدلوا على دعوى التعارض مع السنة المطهرة بما سبق من حديث "لا يدخل الجنة فنام ... الحديث" وحديث "من قتل نفسه بحديدة ... الحديث" (6) 0

-
- (1) انظر : شرح الأصول ص 688، 689 بتصرف يسير وانظر : فضل الاعتزال ص 209 0
 - (2) انظر : شرح الأصول ص 690 0
 - (3) انظر : فضل الاعتزال ص 298 0
 - (4) الآية 48 من سورة البقرة 0
 - (5) جزء من الآية 18 من سورة غافر، وانظر : شرح الأصول ص 689 0
 - (6) الحديثان سبق تخريجهما ص 782، وانظر : شرح الأصول ص 691 0

(28/3)

وبشبهات المعتزلة استدلت دعاة اللادينية في عصرنا (1) 0

ويجاب عن شبههم بما يلي :

أولاً : الأحاديث في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة صحيحة في الصحيحين، والسنن، والمسانيد وغيرها 0 وقد نص جماعة من العلماء على أنها تبلغ حد التواتر المعنوي (2) فزعمهم بأن الأحاديث أكثرها مضطرب 0 حجة واهية، وزعم عار عن الصحة، لا يتفوه به إلا من جهل حديث النبي (، أو

(1) انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ص 190، والمسلم العاصى لأحمد صبحى 10-30، والأنبياء فى القرآن ص 65 وما بعدها، والأضواء القرآنية ص 258 - 264، والقرآن والحديث والإسلام ص 15-17، وإنذار من السماء 184-188، ودين السلطان ص 207، 208، 611، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 608، 609، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين بخش ص 343 0

(2) انظر: نظم المتناتر من الحديث المتواتر ص 234 رقم 304، وشرح الطحاوية 1/312، ولوامع الأنوار البهية 2/218، 208، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 226

(3) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/387 0

(29/3)

... ومن الأحاديث الصحيحة الواردة فى الشفاعة قوله (: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (1) ، وزعمهم أن هذا الحديث لم تثبت صحته (2) ، زعم مردود، لأن الحديث قد ثبتت صحته، وأيدته الأحاديث الثابتة كقوله (: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة 0 فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً" (3) وقوله (: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه" (4) 0

(1) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب فى الشفاعة 4/236 رقم 4739، والترمذى فى سننه كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى الشفاعة 4/539، 540 رقم 2435 وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وفى الباب عن جابر، وأخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب الإيمان 1/139 رقم 228، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبى 0 والحديث من رواية أنس بن مالك، وأخرج الحاكم للحديث متابعات وشواهد من حديث جابر، وصححها على شرط مسلم، ووافقه الذهبى 0 قال الحاكم : "هذا الحديث فيه قمع المبتدعة المفرقة بين الشفاعة لأهل الصغائر والكبائر، وأخرجه البيهقى فى البعث والنشور ص 55 رقم 1 من

حديث جابر، وانظر: استدراقات البعث والنشور ص 173-177 أرقام 268-277، وشعب الإيمان 110/2-144 0

(2) انظر : شرح الأصول ص 690 0

(3) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة 11/99 رقم 6304، ومسلم "شرح النووى" كتاب الإيمان باب اختباء النبي (دعوة الشفاعة لأئمة 2/76 رقم 199، من حديث أبي هريرة (، واللفظ لمسلم 0
(4) سبق تخريجه ص 646، وانظر: ما قاله الإمام البيهقي في البعث والنشور ص 56 وما بعدها 0

(30/3)

... تقول الدكتورة عائشة يوسف المناعى : "اضطر المعتزلة إلى اللجوء إلى نقد الأخبار المعارضة التي تثبت الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين مثل قوله (: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" فبرغم أن هذا الحديث ينص صراحة على أن الشفاعة لأهل الكبائر، وبرغم صحته فإن المعتزلة لا يتورعون أن يقفوا موقف التكذيب من هذا الخبر ويقولون : "إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به" (1) 0

ولسنا في حاجة إلى أن نقول إن إجابة المعتزلة هذه تنبئ على التحكم البحث، وفيها من عدم الدقة شيء كثير، فهم يفترضون مرة أن هذا الحديث غير صحيح، ويفترضون مرة أخرى أنه صحيح ولكنه آحاد وأن رأيهم في هذه المسألة مبنى على العلم، مع أن قولهم في هذه المسألة قول لا برهان عليه، بل إن الأقرب إلى العقل أن الشفاعة إذا لم تكن لأهل الكبائر بحيث تخرجهم من النار فإنها لا معنى لها ولا فائدة منها، والمكلف التائب مغفور له، وليس في حاجة إلى الشفاعة، والنصوص صريحة في أن التائب يبدل الله سيئاته حسنات، فكيف يحتاج إلى شفيع بعد ذلك؟

وإذا كانت معتزلة البصرة قد اعترفوا بجواز إسقاط العقاب ابتداء من الله تعالى؛ لأنه حقه، وهو يشبه الدين، فله أن يسقطه، وله أن يستوفيه، فالأولى أن يقال بإسقاط العقوبة ابتداء 0

فكيف يقرر المعتزلة بعد ذلك أن أصلهم في الشفاعة مسألة علم لا يصح أن تعارضها أخبار الآحاد؟

ومن غريب تفسيرات المعتزلة أنهم يقولون أن التائب من الكبيرة تسقط عنه العقوبة بالتوبة، لكن الكبيرة قد أحبطت ما تحصل عنده من الثواب من قبل، فالشفاعة هنا تنفعه في إعادة هذا الثواب

(2) 0

(1) شرح الأصول ص 690 0

(2) شرح الأصول ص 691 0

(31/3)

ولا شك أن كل هذه التأويلات إنما هي في المقام الأول هروب من مواجهة النصوص الصريحة في أن الشفاعة، إنما تكون لأهل الكبائر من المؤمنين، وتؤكد أن القضية مع المعتزلة وسائر أهل البدع ليست قضية متواتر وآحاد، وإنما قضية أصولهم التي طوعوا النصوص قرأناً وسنة لأجلها 0

ومن الغريب أيضاً: "أن يقول أبو الهذيل: "إن الشفاعة إنما تثبت لأصحاب الصغائر" (1) 0

... والمعتزلة أنفسهم قد سخروا من هذا القول؛ لأنهم قرروا من قبل أن الصغائر تكفرها الطاعات، فلا وجه للشفاعة في هذا القول" (2) 0

أما ما زعم المعتزلة ومن قال بقولهم أن أحاديث الشفاعة متعارضة مع القرآن الكريم 0

فدعوى مرفوضة؛ لأن ما استدلوا به على نفى الشفاعة، من الآيات القرآنية محمول على الشفاعة للمشركين، والكفار، وهؤلاء لا تنفعهم الشفاعة أصلاً كما دل على ذلك قوله تعالى : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ (43) وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ (44) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْبَقِينُ (47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (3) 0

... والمراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك وأهل البدع، الذين يعتقدون أن الخلق يشفعون عند الله بغير إذن، كما يشفع بعضهم لبعض في الدنيا (4) 0

- (1) المصدر السابق ص 691 0
- (2) أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للدكتورة عائشة يوسف المناعي ص 345، 346 0
- (3) الآيات 42-48 من سورة المدثر 0
- (4) مجموع الفتاوى 149/1-150 بتصرف، وللإستزادة: في الرد على استدلالات المعتزلة انظر: لوامع الأنوار البهية 217/2، والإنصاف للباقلاني ص 168-176، والأربعين في أصول الدين للرازي ص 245، وشرح المقاصد للتفتازاني 175/2، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص 235 0

(32/3)

والشفاعة إنما تطلب من الله تعالى؛ لأنه هو المالك لها سبحانه كما قال تعالى : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) (1) 0

- وأما الشفاعة المثبتة فهي لا تثبت عند السلف إلا بشروط وهي :
- 1- الإذن للشافع بالشفاعة كما قال (: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (2) وقال تعالى : (مَا مِنْ شَافِعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) (3) 0
- 2- الرضا عن المشفوع فيه 0 كما قال سبحانه : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (4) وقال: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) (5) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال في قوله تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) قال: "الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله" (6) 0

وأما زعمهم دعوى تعارض أحاديث الشفاعة بحديث : "لا يدخل الجنة فنام ... الحديث" وبحديث "من قتل نفسه بحديدة ... " الحديث 0

فقد سبق الجواب، بما يرفع التعارض، ويوفق بين النصوص (7) 0

... وأما حملهم للحديث على أن المراد به شفاعة النبي (، لأهل الكبائر إذا تابوا (8) ؛ فلا دليل لهم على ذلك 0 وهو مع أنه تأويل مناهض للنصوص الثابتة، ولا يدل عليه لفظ الحديث، فهو أيضاً معنى فاسد؛ لأن الذى يتوب من الذنب لا يوصف به بعد ذلك، بل يبذل الله

-
- (1) جزء من الآية 44 من سورة الزمر 0
 - (2) جزء من الآية 255 من سورة البقرة 0
 - (3) جزء من الآية 3 من سورة يونس 0
 - (4) الآية 26 من سورة النجم 0
 - (5) جزء من الآية 28 من سورة الأنبياء، وانظر: موقف المدرسة العقلية من السنة 1/395-396
 - (6) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص 55 رقم 2 0
 - (7) راجع : ص 782-784 0
 - (8) انظر : شرح الأصول ص 691 0

(33/3)

سيئاته حسنات فضلاً منه وكرماً قال تعالى : (إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (1) 0 فصاحب الكبيرة إذا تاب عن كبيرته وصحت توبته زال عنه هذا الاسم (2) 0

قال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله (: "من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة" (3) 0

... وما ذهب إليه بعضهم من حصر شفاعته (، على زيادة الثواب، ورفع الدرجات لأهل الثواب

(4) 0

مردود عليهم بما صرحت به الأحاديث الصحيحة من شفاعات أخرى له (من ذلك:
أ الشفاعة العظمى، الخاصة بنبينا (، دون سائر خلق الله (والواردة في قوله تعالى : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (5) وفي ذلك يقول (: "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ... إلى أن يقول : فيأتون محمد (فيقولون : يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي (ثم يفتح الله على من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحته على أحد قبلي، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفعُ تُشفع ... "

الحديث (6) 0

(1) الآية 70 من سورة الفرقان0

(2) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 0 390/1

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الإيمان 140/1 رقم 0 232

(4) انظر : الكشف للزمخشري 0 366/3

(5) الآية 79 من سورة الإسراء0

(6) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب التفسير، باب "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً

شكوراً" 247/8، 248 رقم 4712، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة

منزلة فيها 55/2-57 رقم 194 واللفظ للبخاري0

(34/3)

ب شفاعته (لأتمته في دخول الجنة: كما جاء في حديث الشفاعة العظمى السابق، وفيه قال (: فأقول
أمتي يا رب، أمتي يا رب، فقال : يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من
أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب (1) 0

ج- شفاعته (للمؤمنين من أهل الكبائر : وقد سبقت بعض النصوص التي تدل عليها0 وهي لا
تختص به (وإنما يشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، كما روى مسلم في صحيحه بسنده عن
أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله (قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال
رسول الله (: نعم قال : "هل تُصَارُونَ في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْواً ليس معها سَحَابٌ؟" فذكر
الحديث وفيه : "فيقول الله (: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون0 ولم يبق إلا أرحم
الراحمين، فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ... " الحديث (2) 0 ...
وله (شفاعات أخرى، منها ما يشاركه فيها غيره، ومنها ما يختص به (3) 0هـ

اللهم إني أسألك شفاعات نبيك (

وأبرأ إليك من جهل الجاهلين وإلحاد الملحدين

المنكرين لشفاعة سيد المرسلين (

- (1) انظر : تخرّيج الحديث السابق 0
- (2) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية 25/2، 26 رقم 183، وانظر : استدرّكات البعث والنشور للإمام البيهقي جمع الشيخ عامر حيدر ص 131-135 أرقام 207-213، والتذكرة للقرطبي 477/1-483 أرقام 780-790 0
- (3) انظر : استدرّكات البعث والنشور ص 144-149 أرقام 230-238، وشرح العقيدة الطحاوية 307/1-315، ولوامع الأنوار البهية 211/2-212، والشفاعة لمقبل بن هادى ص 61، 18، 31، 61، والتذكرة 483/1-483، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/390-394، وللاستزادة في الرد على شبهات المعتزلة راجع موقف المدرسة العقلية من السنة 1/379-396 0 وضلالات منكرى السنة ص 512، والسنة في مواجهة أعدائها ص 165-187 0

(35/3)

الفصل الرابع

أحاديث ظهور "المهدى" و خروج "الدجال"
و "نزول المسيح عليه السلام"

... وتحت مبحثان :

المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "المستقبلية" و"الأخروية" والرد عليها 0
المبحث الثاني : شبهات المنكرين لظهور "المهدى" و "خروج الدجال" و "نزول المسيح عليه السلام" والرد عليها 0

المبحث الأول

شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "المستقبلية"
و"الأخروية" والرد عليها

... أحاديث الأمور الغيبية التي أخبر بها المعصوم (، والتي تعد من الأدلة على صدق نبوته (، طعن فيها أعداء الإسلام بحجة أنه (، لا يعلم الغيب، فطعنوا في أحاديث الفتن وأشراط الساعة، والأمور

السمعية، من عذاب القبر ونعيمه، وما في يوم القيامة من حوض وميزان، وصراط ... ، بل وطعنوا في الأحاديث الصحيحة التي تصف نعيم الجنة، وعذاب النار ... إلخ⁰

يقول جمال البنا : "عرض الأحاديث على القرآن، سيؤدي إلى التوقف أمام الأحاديث التي جاءت عن المغيبات بدءاً من الموت حتى يوم القيامة، والجنة والنار، فهذه هي ما استأثر الله تعالى بعلمها ... ويدخل في الغيب التنبؤ بما سيحدث قبيل الساعة، مما يسمونه "الفتن" ويدخل فيها المهدي، والدجال، وما إلى هذا كله⁰

... والأحاديث التي تتحدث عن الفتن، والمهدي، والدجال، ثم الموت، وعذاب القبر، فالخشر، والنشر، والجنة والنار، تجاوزت المئات إلى الألوف، ونحن نطويها دون حساسية أو أسي" (1) أ0ه0 والجواب على شبهتهم فيما يلي :

(1) السنة ودورها في الفقه الجديد ص 249-251، وانظر : عذاب القبر لأحمد صبحي منصور ص11-17، ولماذا القرآن ص 53، 120، والمسلم العاصي ص 12 وما بعدها، والقرآن والحديث والإسلام ص 14 وما بعدها، وإنذار من السماء ص 191، 699، ودين السلطان ص280، 460، كلاهما لنيازی عز الدين، وانظر : القرآنيون وموقفهم من السنة للدكتور خادم بخش ص 321، 333 0

(36/3)

... دعوى أعداء السنة بأن أحاديث الأمور الغيبية تتعارض مع القرآن الكريم كقوله تعالى : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَبَرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (1) 0

... هذا الزعم بالتعارض مردود عليهم بأن الغيب المنفي في الآية السابقة، ونحوها من الآيات كقوله تعالى : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (2) وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ (3) 0 هذا الغيب المنفى هو المذكور في آية لقمان، والوارد في قوله (:
"مفاتيح الغيب خمس ثم تلا : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (4) 0

(1) الآية 188 من سورة الأعراف 0

(2) الآية 65 من سورة النمل 0

(3) الآية 179 من سورة آل عمران 0

(4) الآية 34 من سورة لقمان، والحديث أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب التفسير، باب
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو 141/8 رقم 4627 من حديث ابن عمر(0)

(37/3)

... وما عدا ذلك الغيب أطلع عليه من شاء من أنبيائه ورسله كما قال (: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ
عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26)إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(27)لِيَعْلَمَ
أَنْ قَدْ أْبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) (1) أى لا يظهر على غيبه إلا
من ارتضى أى اصطفى للنبوّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته (2) 0
وينص على ذلك رب العزة في حق سيدنا عيسى -عليه السلام - قال تعالى : (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ
وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (3) وفي حق سيدنا يوسف -عليه السلام - قال تعالى : (قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا
طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) (4) 0

(1) الآيات 26، 28 من سورة الجن 0

(2) انظر : الجامع لأحكام القرآن 28/19 0

(3) جزء من الآية 49 من سورة آل عمران 0

(4) الآية 37 من سورة يوسف 0

(38/3)

... وفي حق سيدنا رسول الله (، قال تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (1) 0 وفي الحديث عن ابن مسعود (مرفوعاً : "أعطى نبيكم (مفاتيح الغيب إلا الخمس ثم تلا قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (2) 0

... ومن هنا فإن الأحاديث التي تدل على الغيب من أقوى الأدلة على نبوة رسول الله (، وأنه نبي من عند الله يوحى إليه 0

ومن هنا ندرك هدف أعداء الإسلام من المستشرقين وذيولهم من دعاة اللادينية – في طعنهم في ذلك النوع من الأحاديث، وزعمهم أنها مكذوبة، لأنه يلزم من صحتها صدق النبوة (3) 0

(1) الآية 27 من سورة الفتح 0

(2) الآية 34 من سورة لقمان، والحديث أخرجه أحمد في مسنده 386/1، والطيبالسي في مسنده ص 51 رقم 385، والحميدى في مسنده 68/1 رقم 124 0 واللفظ للطيبالسي، وصحح إسناده أحمد الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 263/8، وانظر : فتح الباري 374/8 رقم 4777، 374/13-377 رقمي 7379، 7380، والموافقات للشاطبي 459-456/4، والوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص 208، والغيبيات في ضوء السنة للدكتور محمد أحمد همام، والغيب في ضوء القرآن الكريم للأستاذ صدقي عبد الحميد عبد ربه 0

(3) دائرة المعارف الإسلامية 333/7 0

(39/3)

... إن الساعة جعل الله (لها أشراطاً وعلامات لا تتعارض مع إتيان الساعة بغتة قال تعالى : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ) (1) وقال سبحانه : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) (2) وقال تعالى : (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا

لَا يُوقِنُونَ (3) وقال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) (4) 0
وأكدت السنة المطهرة ما جاء في القرآن الكريم من أن للساعة أشراطاً 0

(1) الآية 18 من سورة محمد 0

(2) الآية 158 من سورة الأنعام 0

(3) الآية 82 من سورة النمل 0

(4) الآية 96 من سورة الأنبياء، وانظر: الغيب في ضوء القرآن الكريم للأستاذ صدقي عبد الحميد
عبدربه 0

(40/3)

من ذلك قوله (جبريل -عليه السلام- لما سأله عن الساعة فقال (ما المسئول عنها بأعلم من
السائل قال - أى جبريل - عليه السلام - فأخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى
الحفاة العراة، رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ... الحديث " (1) 0 وقد ورد عنه (، أحاديث كثيرة في
الإخبار عن علامات وأشراط الساعة لهذا اليوم، وهى من أنباء الغيب المنقولة عن النبى (، بالأسانيد
الصحيحة الثابتة، وهى كثيرة تفوق درجة التواتر في جملتها، ويبلغ عدد كثير منها التواتر بمفرده،
كأحاديث الواردة في ظهور المهدي، والمسيح الدجال، وفي نزول المسيح عيسى بن مريم - عليه
السلام - مما لا يسع أحداً إنكاره إلا أن ينكر عقله وحسه (2) 0

(1) أخرجه مسلم "شرح النووى" كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... إلخ

177/1 رقم 8 من حديث ابن عمر (0)

(2) انظر: منهج النقد في علوم الحديث ص 476، والغيبيات فضوء السنة للدكتور محمد أحمد همام

ص 52

(41/3)

وسوف نتناول الجواب عن شبهات ثلاث آيات غيبية أنكروها وهي ظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح (1) عيسى عليه السلام⁰
... فإلى بيان ذلك في المبحث التالي⁰

المبحث الثاني

شبهات المنكرين "لظهور المهدي" و "خروج الدجال"
و "نزول المسيح عليه السلام" والرد عليها

أولاً : "ظهور المهدي" :

... بلغت الأخبار في ظهور المهدي حد التواتر المعنوي، وحكى هذا التواتر غير واحد من أئمة

الحديث⁰

قال ابن قيم الجوزية : "وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله (، بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه" (2) 0

(1) انظر : العقيدة والشرعية في الإسلام ص 218، 240، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 8 ص 563، وأضواء على السنة ص 191، 182، 241، 232، والبيان بالقرآن 805/2، ودين السلطان 180، 181، 304، والسلطة في الإسلام ص 292، 317، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 249 – 251، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص 325، ومن تأثر بذلك من علماء المسلمين الأستاذ محمد رشيد رضا والشيخ شلتوت وغيرهم⁰ انظر : تفسير المنار 450/19، 459-460، ومجلة المنار المجلد 10/245 – 246، والمجلد 99/19، والمجلد 757/28، 755، 756، والفتاوى للشيخ شلتوت ص 59-82 0 وانظر السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 150 – 151، وموازين القرآن والسنة عز الدين بليق ص 81، 95، 101 0

(2) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص 142 0

وقال الإمام الشوكاني : "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح، والحسن، والضعيف، المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة (1) 0هـ

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في "المهدي" :

حديث عبد الله بن مسعود (عن النبي)، قال : "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً" (2) 0

(1) التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر، والدجال، والمسيح، للشوكاني 0 نقلاً عن الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ص 113، وانظر : فتح الباري 569/6 رقم 3449، والحاوي للفتاوى للسيوطي 165/2 - 166، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح للكشميري، والإشاعة لأشراط الساعة للشريف الحسيني ص 87، 112، وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة لعبد العزيز الغماري ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 224، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 225 رقم 289، وعقد الدرر في أخبار المنتظر للإمام يوسف بن يحيى المقدسي ص 15-171 0

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المهدي 106/4، 107 رقم 4282، واللفظ له، والترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي 438/4 رقم 2230، 2231، وقال : حديث حسن صحيح قال : وفي الباب عن علي، وأبي سعيد، وأم سلمة، وأبي هريرة (0

(43/3)

... وعن أبي سعيد الخدري (قال : قال رسول الله) : "المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين" (1) 0 وفي هذه الأحاديث الصحيحة بيان أن المهدي اسمه "محمد بن عبد الله"، وينتهي نسبه إلى الحسن (2) لا إلى الحسين - رضي الله عنهما- 0

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المهدي 107/4 رقم 2485 واللفظ له 0 والترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي 439/4 رقم 2232، وقال: حديث حسن 0 وقال ابن قيم

الجوزية في سند أبي داود جيد 0 انظر : المنار المنيف ص 144 0

(2) في كون المهدي المنتظر من ولد الحسن (سر لطيف ذكره ابن قيم الجوزية في المنار المنيف،

فانظره إن شئت ص 151 0

(44/3)

وفي هذا رد على الشيعة الجعفرية في زعمهم أن أمامهم "الإثني عشر" هو المهدي الذي بشر به النبي (؛ لأن إمامهم المزعوم يسمى "محمد بن الحسن العسكري" من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن 0 والذي أخبر به النبي (اسمه محمد بن عبد الله، وينتهي نسبه إلى الحسن لا إلى الحسين - رضى الله عنهما - (1) 0

وفي صحة الروايات السابقة، وما نص عليه غير واحد من علماء المسلمين بتواتر أحاديث المهدي تواتراً معنوياً ردّ على الأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في تضعيفه للحديث، ووصفه بالاضطراب (2) 0

(1) انظر : المنار المنيف ص 152 وما بعدها 0 وانظر : مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع للدكتور علي السالوس 160/1 - 162 0 وما هو جدير بالذكر أن الإمام ابن خلدون في طعنه لأحاديث المهدي في مقدمته إنما أنكر مهدي الرافضة، وليس المهدي الذي صحت به الأحاديث عند أهل السنة، وفي ذلك يقول ابن خلدون : "وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جمعه بمبلغ طاقتنا، والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره، وتدافع عنه من يرفعه حتى يتم أمر الله فيه، وعصبية الفاطميين، بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الأفاق ... إلا ما بقى بالحجاز في مكة وينبغ بالمدينة من الطالبين من بنى حسن، وبنى حسين، وبنى جعفر، وهم منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم يبلغون آلافاً من الكثرة، فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم، وتتم له شوكة وعصبية، أما أن يدعو فاطمي منهم من غير عصبية، ولا شوكة فلا يتم ذلك" 0أهـ 0 انظر : المقدمة فصل في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس، في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك ص 344-362، وانظر: الغيبيات في ضوء السنة للدكتور محمد

(45/3)

واقامه لكعب الأخبار بوضعه حيث قال : "ولأجل ذلك كثر الاختلاف في اسم المهدي، ونسبه، وصفاته، وأعماله، وكان لكعب الأخبار جولة واسعة في تلفيق تلك الأخبار" (1) 0
وقال في موضع آخر : "وإذا تذكرت مع هذا أن أحاديث الفتن والساعة عامة، وأحاديث المهدي خاصة، وأنها كانت مهب رياح الأهواء والبدع وميدان فرسان الأحزاب، والشيعة، تبين لك أين تضع هذه الرواية منها" (2) 0

ويقول أيضاً : "وقد كانت أى روايات المهدي - أكبر مثرات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية إذ تصدى كثير من محبي الملك والسلطان، ومن أدعياء الولاية، وأولياء الشيطان لدعوى المهدوية في الشرق والغرب أو تأييد دعواهم بالقتال والحرب والبدع، والإفساد في الأرض، حتى خرج ألوف الألوف عن هداية السنة النبوية، ومرق بعضهم من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية (3) 0هـ

... ويجاب على ما سبق بالآتي :

-
- (1) انظر : تفسير المنار 9/461 0
 - (2) المصدر السابق 9/463 - 464 وانظر : مجلة المنار المجلد 28/756 0
 - (3) تفسير المنار 9/459-460 0

(46/3)

أولاً : اتهم الأستاذ "محمد رشيد رضا" لكعب الأخبار بأنه هو، ووهب ابن مَنبِه "بطلى الإسرائيليات وبنوعى الخرافات" (1) ، واتهامه للصحابة، وللتابعين، وللأئمة المسلمين بالغفلة عن حقيقة أمرهم؛ إذ يقول في تفسير قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ) (2) : "وأما تلك الروايات الكثيرة في جوهرها

ومقدارها ... كلها من الإسرائيليات الباطلة التي بثها في المسلمين أمثال "كعب الأخبار"، "ووهب بن منبه" فاغتربها بعض الصحابة، والتابعين إن صحت الرواية عنهم" (3) 0 وقال : "ثم ليعلم أن شر رواة هذه الإسرائيليات أو أشدهم تلبساً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان : كعب الأخبار، ووهب بن منبه" (4) ، وقال : "لو فطن الحافظ ابن حجر لدسائسهما، وخطأ من عدلهما من رجال الجرح والتعديل؛ لخفاء تلبسهم عليهم، لكان تحقيقه لهذا البحث أتم وأكمل" (5) 0

(1) تفسير المنار 438/9 0

(2) جزء من الآية 145 من سورة الأعراف 0

(3) تفسير المنار 184/9 0

(4) مجلة المنار المجلد 783/27 0

(5) تفسير المنار 442/9 وانظر : مجلة المنار المجلد 610/27 – 619 مقال السيد رشيد رضا

"بطلان الدفاع عن جرح كعب الأخبار، ووهب بن منبه" 0

(47/3)

... إن طعن الأستاذ رشيد رضا (1) – غفر الله له – في كعب الأخبار، ووهب بن منبه مردود عليه بما ذكره هو نفسه من أن الجمهور عدلوها ووثقوها، واعترفه أيضاً بأن أبا هريرة، وابن عباس (2) وغيرهما من أعلام الصحابة؛ كعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن الزبير روى عنه، ولم يكن هؤلاء، ولا كل من روى عنه سدجاً، ولا مخدوعين فيه، وإنما أيقنوا أنه ثقة فيما يروى فرووا عنه 0

والأ فكيف يعقل أن صحابياً يأخذ علمه عن كذاب وضاع، بعدما عرف عن الصحابة من التحرى والتثبت في تحمل الأخبار؟ (3) 0

ثم إن الإمام مسلم قد أخرج له في صحيحه، وكذا أخرج له أبو داود، والترمذي، والنسائي، فهذا دليل على أن كعباً كان ثقة غير متهم عند هؤلاء جميعاً، وتلك شهادة كافية، لرد كل تهمة تلصق بهذا الخبر الجليل (4) 0

- (1) تبع الأستاذ محمد رشيد رضا فيما قال بعض رواد المدرسة العقلية الحديثة ذكرهم الدكتور فهد الرومي في كتابه منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص 312-324، ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا قال محمود أبو ربه، واتخذ كلام رشيد رضا ستاراً للطعن في السنة ورواها من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة الثقات الأعلام 0 انظر : أضواء على السنة ص 145-181، والأضواء القرآنية 52/1 - 66، وفجر الإسلام ص 160، 161، 162، 201، 202 والصلاة محمد نجيب ص 32-37، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادي الفضلي ص 141 0
- (2) انظر : تفسير المنار 9/466 0
- (3) انظر : الإسرائيليات في التفسير والحديث لفضيحة الدكتور الذهبي ص 77، 78، 83 0
- (4) التفسير والمفسرون 1/189، والإسرائيليات في التفسير والحديث ص 77-78 كلاهما لفضيحة الدكتور الذهبي - رحمه الله- 0

(48/3)

والجمهور على توثيق كعب لذا لا تجد له ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين، وقد اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه (1) 0

أما "وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ" فقد روى له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي 0 قال الذهبي في الميزان : كان ثقة، صادقاً، كثير النقل من كتب الإسرائيليات 0 قال العجلي : ثقة تابعي، كان على قضاء صنعاء، وقد ضعفه الفلاس وحده، ووثقه جماعة (2) 0

... وقال أبو زرعة، والنسائي : ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات (3) ، والبخاري نفسه يعتمد عليه ويوثقه (4) 0

وبعد : هذا بعض ما قاله علماء الحديث في توثيق هذين الرجلين، فهل يحق لأحد أن يخالف هؤلاء الأعلام في نقد الرجال، وأن يشكك في سلامة أسلوبهم في ذلك، أو أن يتهمهم بالغفلة، والاعتراض، وهم أهل الفن الذي لا يصلح له إلا القليل من الناس (5) ؟

... ليس معنى هذا أن كل ما رواه هذان العالمان الفاضلان حق لا كذب فيه، بل إن فيه من الكذب ما يخالف شرعنا ولا يقره العقل ولكن لا يعني هذا أن ننسب الكذب إليهما، فقد يكون الكذب من

غيرهما، أو أنهما نقلاه على أنه مما في كتبهم، وهما يعتقدان صحته، ولم يعلما كذبه لخفاء الثابت
والخرف في كتب أهل الكتاب⁰

-
- (1) انظر : تقريب التهذيب 43/2 رقم 5666، والكاشف 148/2 رقم 4662، وتذكرة الحفاظ
52/1 رقم 33، وسير أعلام النبلاء 3/489-494 رقم 333، ومشاهير علماء الأمصار 145
رقم 911 0 وانظر : مقالات الكوثري ص 32، 33 0
(2) انظر : ميزان الاعتدال 4/352 - 353، ومشاهير علماء الأمصار ص 150 رقم 956،
والثقات للعجلي 467 رقم 1786، وتذكرة الحفاظ 100/1 رقم 93، وتقرير التهذيب
ص 293/2 رقم 7512، وانظر : الإسرائيليات للدكتور الذهبي ص 77 0
(3) تهذيب التهذيب 11/167 رقم 8654، وانظر : معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد
للذهبي ص 186 رقم 362 0
(4) التفسير والمفسرون 1/197، والإسرائيليات ص 86 0
(5) التفسير والمفسرون 1/192 0

(49/3)

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : "إن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا
أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأخيار" (1) 0
قلت : ومثل هذا يقال فى وهب بن منبه (2) 0

... "أما قول رشيد رضا : إن روايات المهدي كانت أكبر مثرات الفساد والفتن فى الشعوب
الإسلامية باستغلال أعداء الإسلام لها⁰
فيقول رداً على ذلك الدكتور فهد الرومى : "وإننا لنكتفى هنا بسؤال السيد رشيد، ومن لنا نحوه متى
كان استغلال أعداء الإسلام لعقيدة من عقائد المسلمين مبرراً لطمسها أو التشكيك فى ثبوتها؟

... إن أعداء الإسلام لم يستغلوا المهدوية فحسب، بل استغلوا ما هو أكبر وأعظم وأوضح عند
المسلمين - أعنى عقيدة النبوة - استغلوا هذا وخرج أدعياء النبوة، ولا زلنا فى هذا العصر نعانى من

أولئك كالبهائية، والبابية، والقاديانية، وغيرهم مع أن المسلمين كلهم يؤمنون بختم النبوة، ولم يكن هذا مانعاً لهم من استغلالها، ولن يكون هذا ولا ذاك مانعاً لنا نحن المسلمين من الإيمان بعقيدة النبوية وختمها، والإيمان بمجئ المهدي⁰
ولو شككنا في كل عقيدة للمسلمين يستغلها أعداء الإسلام لخشنا أن لا يبقى لنا من الإسلام شيء حتى اسمه؟ (3) 0

ثانياً : خروج الدجال :

... بلغت الأخبار عن مجئ الدجال حد التواتر المعنوي، وحكى هذا التواتر غير واحد من أئمة الحديث (4) 0

(1) فتح الباري 346/13 رقم 7361 0

(2) انظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص 325 0 وللاستزادة في الرد على السيد رشيد رضا في تجريحه لكعب الأحبار، ووهب ابن منبه انظر : الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي 76 – 87، وانظر : مجلة المنار المجلد 377/27 وما بعدها 0
(3) منهج المدرسة العقلية في التفسير ص 518، 519 0
(4) انظر : النهاية في الفتن والملاحم 168/1، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 228 رقم 290، وغير ذلك من المصادر السابقة في تواتر المهدي ص 797 0

(50/3)

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج الدجال حديث أنس بن مالك (قال : قال رسول الله) : "ما من نبي إلا وقد أئذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور 0 وإن ربكم ليس بأعور 0 ومكتوب بين عينيه كفر" (1) أ0هـ

وقد رد أئمة المسلمين قديماً على طعون المبتدعة من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة - في إنكارهم للدجال - وطعون المبتدعة قديماً ردها - أهل الزيغ والإلحاد في عصرنا (2) - كما تأثر بذلك بعض علماء المسلمين (3) 0

... فدعوى رد أحاديث الدجال بحجة تعارضها مع القرآن الكريم بعدم وروده فيه، قال رداً على ذلك الحافظ ابن حجر : أجيب بأجوبة :

أحدها : أنه ذكر في قوله تعالى : (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا) (4) فقد أخرج الترمذى وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً : "ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، الدجال، والدابة وطلوع الشمس من مغربها" (5) 0
الثاني : قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى بن مريم في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ) (6) وصح أنه الذى يقتل الدجال فاكتمى بذكر أحد الضدين عن الآخر، ولكونه يلقب المسيح كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى مسيح الهدى 0

-
- (1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الفتن، باب ذكر الدجال 97/13 رقم 7131 0
ومسلم "بشرح النووى" كتاب الفتن وإشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه 286/9
رقم 2933 واللفظ له 0
 - (2) راجع المصادر السابقة ص 796 0
 - (3) راجع المصادر السابقة ص 796 0
 - (4) جزء من الآية 158 من سورة الأنعام 0
 - (5) الترمذى في سننه كتاب التفسير، باب من سورة الأنعام 247/5 رقم 3072 وقال : حديث حسن صحيح 0 والحديث في صحيح مسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان 472/1 رقم 158 0
 - (6) جزء من الآية 61 من سورة الزخرف 0

(51/3)

الثالث : أنه ترك ذكره احتقاراً، وتعقب بذكر يأجوج ومأجوج، وليست الفتنة بهم دون الفتنة بالدجال والذى قبله ... وقد وقع في تفسير البغوى : أن الدجال مذكور في قوله تعالى : (خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) (1) وأن المراد بالناس هنا الدجال من إطلاق الكل على البعض 0 وهذا إن ثبت أحسن الأجوبة فيكون من جملة ما تكفل النبي (ببيانه (2) 0

... وقال الإمام النووي - رحمه الله - في بيان مذهب أهل السنة في ذلك: "قال القاضي هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم، وغيره في قصة الدجال، حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرته الله تعالى ومشيتته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى (ويثبت الله الذين آمنوا)

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين، والفقهاء، والنظار خلافاً لمن أنكره، وأبطل أمره من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة، وخلافاً للبخاري المعتزلي، وموافقيه من الجهمية، وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعى مخاريق وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم -

(1) الآية 57 من سورة عافر

(2) فتح الباري 98/13 رقم 7122، وانظر: النهاية في الفتن والملاحم 166/1 - 169

(52/3)

وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعى الإلهية، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه (1) أ0هـ وبعد

فإن صحة الأحاديث في مجيئ الدجال، وتواترها تواتراً معنوياً ردّ على من ضعف الحديث وزعم اضطرابه، أو أنه آحاد لا يحتج به في العقائد (2) فدخل في ميدان ليس من أهله، كما أن تقرير أئمة المسلمين بأن الدجال شخص بعينه ردّ على من تأول فرغم بأنه "رمز للخرافات، والدجل، والقبائح، وظهور الشر والفساد" (3)، أو غير ذلك من التأويلات الباطلة

... كما أن في إدعاء الدجال للألوهية وصورة حاله من العور، والعجز، والشاهد المكتوب بين عينيه

"كفر" يبطل زعم الزاعمين قديماً وحديثاً أن ما يظهر على يديه من الخوارق يعد شبهة في نبوته (4) 0
وهو غلط من جميعهم كما قال الإمام النووي رداً على ذلك (5) 0

ثالثاً : نزول المسيح عيسى - عليه السلام - :

(1) المنهاج شرح مسلم 293/9 رقم 2933-2938، وانظر : فتح الباري 110/13

أرقام 7132-7134 0

(2) انظر: تفسير المنار 451/9-458، ومجلة المنار المجلد 756/28، والفتاوى للشيخ شلتوت
ص 77

(3) انظر : تفسير المنار 317/9، والفتاوى ص 78 0

(4) انظر : تفسير المنار 450/9 - 451 0

(5) انظر : الغيبيات في ضوء السنة للدكتور محمد همام ص 149 وما بعدها 0

(53/3)

... أما أحاديث نزول عيسى بن مريم - عليه السلام - آخر الزمان فقد نص العلماء على تواترها 0
قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره الأحاديث الدالة على نزوله قال : "فهذه أحاديث
متواترة عن رسول الله (من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان ابن أبي العاص، وأبي أمامة،
والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع ابن حارثة، وأبي شريجة، وحذيفة بن أسيد)
وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون
عند إقامة صلاة الصبح (1) 0

... وقال الأستاذ عبد الله الغماري بعد أن استوعب كل ما ورد من أحاديث وآثار، وذكرها بطرقها
وأسانيدها : "فهذه ستون حديثاً يرويها عن النبي (ثمانية وعشرون صحابياً، وثلاثة تابعين بالفاظ
مختلفة، وأسانيدها متعددة كلها تصرح بنزول عيسى بن مريم - عليه السلام - تصريحاً لا يحتمل تأويلًا
ولا روغاناً" (2) 0

- (1) انظر : تفسير القرآن العظيم 582/577/1، وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم 330/1، 331، ومسند أحمد بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، 257/12 الهامش، 28/15 الهامش، وانظر : المراجع السابقة فى تواتر المهدي ص 797 0
- (2) مشكلات الأحاديث لجماعة من نوابغ العلماء ص 177-178، وانظر : عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام لعبد الله الغمارى ص 5 - 11، ونزول عيسى بن مريم آخر الزمان للحافظ السيوطى ص 61-68 0

(54/3)

ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة (قال : قال رسول الله (: "والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم - عليه السلام - حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" (1) 0أهـ

... ويمكن أن نجمل ما أثاره المحدثون (2) من شبه حول نزوله -عليه السلام- والتي قال بها أعداء السنة واتخذوا منها ستاراً للطعن فى السنة المطهرة ورواها (3) فى النقاط التالية:

1- ليس فى القرآن نص صريح فى رفعه إلى السماء بروحه وجسده ليحيا حياة دنيوية يحتاج معها إلى غذاء 0

2- ليس فيه نص صريح على نزوله، وإنما تلك عقيدة النصارى 0

3- أحاديث لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منها عقيدة بنزوله، بل هى أحاديث آحاد مضطربة فى متونها، منكرة فى معانيها، فى معظمها يشتد ضعف الرواة، وليست بمحكمة الدلالة، ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً 0

4- لا يجب على المسلم أن يعتقد أنه حى بروحه وجسده ومن خالف لا يعد كافراً 0

5- نزول عيسى بن مريم -عليه السلام- يتناقض مع حديث "لا نبى بعدى" (4) 0أهـ

ويجاء على الشبهات السابقة بما يلى :

- (1) البخارى "شرح فتح البارى" كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام-566/6 رقم 3448، 3449، ومسلم "شرح النووي" كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا (1/466، 467 رقم 155 واللفظ له 0
- (2) راجع : المصادر السابقة ص 796 0
- (3) راجع : المصادر السابقة ص 796 0
- (4) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى "شرح فتح البارى" كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل 571/6 رقم 3455، ومسلم "شرح النووي" كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول 472/6 رقم 1842 0

(55/3)

1- لقد جاءت آيات فى كتاب الله (تدل على رفع عيسى - عليه السلام - إلى السماء، وقد بين العلماء أنه رفع بروحه وجسده 0 قال تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زَكَرِيَّا فِي الْيَمِينِ فَقُلْ لِلَّهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْلَمُ خَيْرًا وَهُوَ الْغَفُورُ 0 (1) 0

وقد لخص الدكتور محمد خليل هراس آراء المفسرين فى بيان معنى هذه الآية فقال :

1- رأى الجمهور : الذى اختاره ابن كثير، ورواه عن الحسن، وهو رأى الذى يفسر التوفى بالإنامة 0

2- رأى قتادة : وهو أن فى الكلام تقديمًا وتأخيرًا والتقدير "إني رافعك ومتوفيك أى بعد النزول" 0

3- رأى ابن جرير : فى أن المراد بالتوفى هو نفس الرفع، والمعنى أنى قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك (2) 0 وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد (3) 0 وهو الذى حكاه ابن كثير عن مطر

الوراق (4) 0

وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حياً، وإن كان بعضها أصح، وأولى بالقبول من بعض،

فأصحها الأول وهو قول الجمهور، ويليه قول قتادة، ويليه قول ابن جرير (5) 0

(1) الآية 55 من سورة آل عمران 0

(2) جامع البيان 3/291 0

(3) ابن زيد هو : أحمد بن محمد بن زيد، أبو العباس، فاضل دمشقى، من علماء الحنابلة عارفاً

بالفقه والعربية، من مصنفاته "محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي" و "اختصار سيرة ابن هشام" وغير ذلك مات سنة 870هـ له ترجمة في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي 71/2-72، والأعلام 230/1 0

(4) هو : مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء، السلمى مولا هم، الخرساني 0 سكن البصرة صدوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف 0 روى عن شهر، والحسن، وعنه الحمادان، وهمام مات سنة = 125هـ ويقال 129هـ له ترجمة في تقريب التهذيب 187/2 رقم 6721 والكاشف 268/2 رقم 5471، والجرح والتعديل 287/8 رقم 1319، والثقات للعجلي ص 430 رقم 1584، والثقات لابن حبان 434/5، ومشاهير علماء الأمصار 120 رقم 699 0
(5) مشكلات الأحاديث ص 167، وانظر : تفسير القرآن العظيم 366/1 0

(56/3)

وكلمة "الوفاة" كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً، لأن معناها في اللغة من استيفاء الحق وافيأى كاملاً لا نقص فيه 0 ولذا قال صاحب القاموس : "أوفى فلاناً حقه : أعطاه وافيأى، كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه" (1) 0

... وقد جاءت في القرآن الكريم بمعنى النوم في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) (2) كما جاءت على المعنيين في قوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (3) 0

... فالمراد بالوفاة في الآية الواردة في حق سيدنا عيسى - عليه السلام - النوم وليس الموت قال ابن كثير - رحمه الله - : "فأخبر تعالى أنه رفعه - أى عيسى عليه السلام - بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيتهم من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان" (4) 0

... وقال تعالى : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ

شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(157)بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (5) 0

(1) القاموس المحيط 393/4 0

(2) الآية 60 من سورة الأنعام 0

(3) الآية 42 من سورة الزمر وانظر: تفسير القرآن العظيم 336/1، ومشكلات الأحاديث

ص 175

(4) البداية والنهاية 85/2 0

(5) الآيتان 157-158 من سورة النساء 0

(57/3)

... قال الدكتور محمد هراس : "فالآية صريحة في أنه رفعه حياً؛ لأنه ذكر الرفع وأثبتته مكان الذى نفاه من القتل والصلب 0 ولو كان عيسى - عليه السلام - قد مات فى الأرض ودفن، وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته كما يزعم المنكرون لما حسن ذكر الرفع فى مقابل نفى القتل والصلب، لأن الذى يناسب نفى القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لا موته، وإلا لقال وما قتلوه وما صلبوه بل الله هو الذى قتله 0

وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى : (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) (1) هو رفع روحه، وهو إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه، ورفع الروح، لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما، فإنهم لو قتلوه فرضاً لرفعت روحه إلى الله، على أن فى إخباره (بأنه رفعه إليه، ما يشعر باختصاصه بذلك، والذى يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حياً بجسده وروحه؛ لأن أرواح جميع الأنبياء، بل المؤمنين ترفع إلى الله بعد الموت لا فرق بين عيسى وغيره فلا تظهر فيه الخصوصية (2) 0

وحياته -عليه السلام- ليست كحياة من على الأرض يحتاج إلى الطعام والشراب ويخضع للسنن والنواميس الكونية، كسائر الأحياء، وإنما حياته حياة خاصة عند الله (لا يشعر بالضرورات الجسدية من طعام أو شراب أو نحوهما (3) 0

... وقد جاءت آيات أيضاً تدل على نزوله إلى الأرض في آخر الزمان من ذلك :

(1) الآية 158 من سورة النساء0

(2) مشكلات الأحاديث ص 167، 168 0

(3) المصدر السابق ص 181، 182 0

(58/3)

أ قوله تعالى : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (1) نقل الشيخ الهراس عن ابن جرير : أن عيسى - عليه السلام - كلم الناس في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل (2) 0 ثم قال : "وهذا الذى نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير كلهم يفسرون الآية به ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى - عليه السلام - وهذا هو الحق الذى لا مرية فيه، فإن قوله سبحانه "وكهلاً" معطوف على متعلق الظرف قبله، داخل معه فى حكمه، والتقدير : ويكلم الناس طفلاً فى المهد ويكلمهم كهلاً، فإذا كان كلامه فى حال الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلا بد أن المعطوف عليه وهو كلامه فى حال الكهولة كذلك، وإلا لم يحتج إلى التنصيص عليه؛ لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد؛ فلا يحسن الإخبار به لا سيما فى مقام البشارة بل لا بد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل، ثم ينزل فيبقى فى الأرض إلى أن يكتهل، ويكلم الناس كهلاً0

(1) الآية 46 من سورة آل عمران0

(2) جامع البيان 3/ 273 0

(59/3)

وقد ذهب جمهور الحديثين والمؤرخين إلى أنه عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وأنه سيمكث فى الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء فى الحديث الصحيح (1) 0 عن أبى هريرة (أن النبى (قال : "ليس بينى وبينه نبىٌ يعنى -عيسى عليه السلام- وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه،

رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلى عليه المسلمون" (2) 0

ب قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) (3) الصحيح أن الضمير في قوله : "إنه" يعود على عيسى - عليه السلام - أى أن خروجه من أعلام الساعة وأماراتها لأنه ينزل قبيل قيامها (4) 0

والذى يدل على ذلك أن سياق الآيات في ذكره، وصرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره بغير حجة غير جائز، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى "وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ" أى أمانة ودليل على وقوع الساعة (5) 0

ج- قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (6) 0 قوله "قَبْلَ مَوْتِهِ" ذكر العلماء فيها وجهين في عود الضمير :

(1) مشكلات الأحاديث ص 170 0

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب خروج الدجال 117/4، 118 رقم 4324، واللفظ له، والحاكم في المستدرک کتاب التاريخ، باب ذکر نبی الله وروحه عيسى بن مريم - عليه السلام - 651/2 رقم 4163 وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي 0

(3) الآية 61 من سورة الزخرف 0

(4) انظر : الجامع لأحكام القرآن 105/16 0

(5) تفسير القرآن العظيم 132/4 0

(6) الآية 159 من سورة النساء 0

الأول : قبل موت عيسى - عليه السلام - وهو قول أبي هريرة (1) 0
الثاني : قبل موت الكتابي 0 قال ابن جرير : "وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى (2) 0 وهو قول ابن كثير قال : "ولا أشك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح" (3) 0

قال الأستاذ عبد الله الغمارى : "إن احتمال عود الضمير فى "موته" على الكتابي ضعيف، واحتمال عوده فى "به" على غير عيسى باطل، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحجية، ولا تقوى للاستمساك، فتكون الآية الكريمة نصاً فى حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر 0
... واللفظ يكون نصاً بنفسه تارة، وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى، وليس كل احتمال فى اللفظ يؤثر فى ناصيته، كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول" (4) 0
... أما ما زعموه من أن الأحاديث فى نزول المسيح - عليه السلام - لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منها عقيدة بنزوله، بل هى أحاديث آحاد مضطربة فى متونها ... إلخ 0

... فقد سبق ذكر من نص من علماء الحديث على تواترها تواتراً معنوياً 0 ويكفى تخريجها فى الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول، وأجمعت على إفادة أحاديثهما العلم اليقيني 0 وحتى لو كانت آحاداً لوجب علينا التسليم لها والإيمان بمضمونها متى ثبتت صحتها عن رسول الله (0) وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك 0
وأما زعم الأستاذ رشيد رضا وفضيلة الشيخ شلتوت "بأنها أحاديث مضطربة فى متونها منكورة فى معانيها 0

(1) انظر : المنهاج شرح مسلم 470/1 رقم 155، وفتح البارى 568/6 - 569 رقم 3448 0

(2) جامع البيان 21/6 0

(3) تفسير القرآن العظيم 577/1 وانظر: البداية والنهاية 85/2-89، ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر 27، 28/15، الهامش، وفتح البارى 568/6 رقم 3448، ومشكلات الأحاديث ص 170،

171

(4) مشكلات الأحاديث ص 169، وانظر : المسيح عليه السلام فى القرآن الكريم للدكتور رمضان

مصطفى دياب 0

أجاب عن ذلك الأستاذ عبد الله الغماري في رده على الشيخ شلتوت - رحمه الله - فقال : " وهذا غير صحيح فإن تلك الأحاديث أو الروايات - على حد تعبيره - كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب ... إلخ ما جاء فيها، غاية ما في الأمر أن بعضاً منها يفصل، وآخر يجمّل، وبعضاً يوجز، وآخر يطنب، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة، يزيد بعضها على بعض بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التي ذكرت فيها⁰

فلعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذي يقوى شأن الحديث، ويدل على تعدد مخارجه، تعارضاً فأخطأ، وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه للجمع بينها⁰ وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أمعن فكره، وأمضى نظره، وأخلص في بحثه، لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر في أذيال الخجل" (1) 0

والزعم بأنها ليست محكمة الدلالة، ولذا أولها العلماء قديماً⁰ زعم لا أساس له من الصحة⁰ ودعوى باطلة ليس لها ما يسندها، كيف وقد نصت الأحاديث صراحة على نزوله - عليه السلام -، ولم يأت ما يعارض ذلك تصريحاً أو تلميحاً، وأجمعت الأمة على ما دلت عليه وتأويل من أولها إنما هو تحريف وتبديل، ورد للنصوص الثابتة الصريحة، ولا حجة في قوله⁰

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : "وقد لعب المجددون، أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى بن مريم - عليه السلام - في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى، ذلك أنهم - في حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب أو لا يكادون يؤمنون⁰ وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل (2) أ⁰

(1) مشكلات الأحاديث ص 178 0

(2) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر 257/12 الهامش 0

(62/3)

4- لا شك أن النصوص من القرآن والسنة دلت على رفعه إلى السماء، وأنه حي بروحه وجسده، وأنه سينزل في آخر الزمان، وانعقد الإجماع على ذلك فوجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص، وأن يجمع قلبه على اعتقاد ما جاء فيها، ومن المعلوم أن إنكار ما ثبت من الدين بالضرورة يعد كفراً⁰

قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - : "يجب شرعاً اعتقاد أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- لا زال حياً إلى الآن وأنه لا بد أن ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا - عليه الصلاة والسلام - ومجاهداً في سبيل الله تعالى، كما تواتر عن الصادق المصدوق، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ (1) 0 وقد وردت الأحاديث المتواترة كما سبق ... ولم يصح حديث بموته، تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله في آخر الزمان، وإذا أخبر القرآن أنه رفع، ولم يقتل، وبين النبي (لنا أنه سينزل في آخر الزمان، وفصل لنا أحواله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال، وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم، ومن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة؛ لأنه مما علم من الدين ضرورة بلا نزاع، وكل إيراد عليه من الملاحدة، والجهلة، باطل لا ينبغي لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه (2) 0

أما ما زعمه بعض المعتزلة، والجهمية ومن قال بقولهم من أن نزول المسيح -عليه السلام- يتناقض مع ختم النبوة⁰

فنقول : في الحديث ما ينقض تلك الدعوى وهو قوله (: "حكماً مقسطاً" ولم يقل "نبياً مقسطاً" فعيسى - عليه السلام - ينزل حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة" (3) 0

(1) جزء من الآيتين 157، 158 من سورة النساء 0

(2) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى، ومسلم 331/1 - 332 0

(3) المنهاج شرح مسلم 469/1 رقم 155 0

(63/3)

ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح الإمام مسلم من صلاته خلف رجل من هذه الأمة 0 عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة 0 قال، فينزل عيسى بن مريم (فيقول أميرهم : تعال صل لنا فيقول 0 لا 0 إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة " (1) 0

... قال الحافظ ابن حجر : " قال ابن الجوزي، لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال، ولقيل : أترأه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً، فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة في قوله (: " لا نبى بعدى " (2) 0

... قال الأستاذ عبد الله الغماري: "وبعد : فإنني أرى أن كل من يمارى في هذا الأمر بعد هذا البيان، فإنه مبتدع ضال، إن لم يكن كافراً، والعياذ بالله، فالواجب أن يهجر ويجنب، وليست المسألة مسألة خلاف يعذر فيها المخالف، بل هي مسألة إجماع، أجمعت عليه الأمة، وتواترت به النصوص، كما أنها من جنس الأخبار التي لا مجال فيها للرأى والاجتهاد " (3) 0

... ونختم هنا بما رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، عن أبي هريرة (؛ أن رسول الله (: قال : "إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم (، فإن عجل بي موت، فمن لقيه منكم؛ فليقرئه مني السلام " (4) 0

(1) مسلم "شرح النووي" كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد (468/1 رقم 156 0

(2) سبق تحريجه ص 806، وانظر : فتح الباري 570/6 رقم 3449، ونزول عيسى بن مريم آخر الزمان للحافظ السيوطي ص 21-58 0

(3) مشكلات الأحاديث ص 182، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 214/2-230 0

(4) المسند 298/2، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الفتن، باب نزول عيسى ابن مريم 5/8، وقال : رواه أحمد بإسنادين : مرفوع وهو هذا، وموقوف، ورجاهما رجال الصحيح⁰

(64/3)

... يقول فضيلة الدكتور سعيد صوابي : "وفي هذا إشارة إلى تمام الثقة بحدوث الأمر، وكمال التحقيق بنزول عيسى بن مريم في هذه الأمة حكماً عدلاً بدين الإسلام ومبطلاً لسائر ما سواه من الأديان
(1) 0

ويقول أبو هريرة (: "أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام (2) 0
وفي هذا أعظم دليل على تجاوب الأمة مع نبيها في إيمانها بنزول عيسى ابن مريم -عليه السلام- 0
ونحن نوصي من يأتون بعدنا إن أدركوا عيسى بن مريم أن يقرئوه منا السلام" (3) 0
والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

(1) المعين الرائق في سيرة سيد الخلائق ص 28 0
(2) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب التاريخ، باب ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم -عليه السلام- 651/2 رقم 4162 وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي 0
(3) المعين الرائق ص 29، وانظر : الغيبيات في ضوء السنة للدكتور محمد همام ص 165 وما بعدها 0

(65/3)

الفصل الخامس

حديث "عذاب القبر ونعيمه"

... وتحتته مبحثان :

المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "الأخروية" من أحوال البرزخ، وأحوال يوم القيامة، والرد عليها⁰

المبحث الثاني : شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها⁰

المبحث الأول

شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "الأخروية"

من أحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة والرد عليها

... أحاديث الأمور الغيبية السمعية (الأخروية) من عذاب القبر ونعيمه، والحوض والميزان، والصراط

... إلخ، طعن فيها المبتدعة من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة وتأولوها على حسب أصولهم⁰

وتعالى أذبال المبتدعة من دعاة اللادينية في عصرنا الذي نحيا فيه⁰ وزادوا على أسلافهم بالطعن في الأحاديث التي تتحدث عن الحشر، والنشر، والنفخ في الصور، وأوصاف نعيم الجنة، وأوصاف عذاب جهنم، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن أحوال يوم القيامة⁰ وقد سبق قول جمال البنا في ذلك، ومن قال بقوله (1) ⁰ كما سبق الرد على شبهتهم في ذلك، وهى أن النبي (لا يعلم الغيب" (2) ⁰

ونزيد هنا في الإجابة على شبهة الطاعنين في أحاديث السمعية :

أنه لا حجة للمبتدعة قديماً وحديثاً في إنكارهم للأمور السمعية؛ سوى عبادتهم لهوى عقولهم، وقياسهم عالم ما وراء الطبيعة على العالم المحسوس⁰

يقول الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم، الذى انخرفت عنه سبل

أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان قال : "لأنهم قوم استعملوا قياسهم وآراءهم في رد

الأحاديث مع تواترها، فقالوا : لا يجوز أن يرى الله في الآخرة لأنه تعالى يقول : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ

وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (3) ⁰

(2) راجع : ص 793-796 0

(3) الآية 103 من سورة الأنعام 0

(66/3)

... فردوا قوله (: "إنكم ترون ربكم يوم القيامة" (1) 0 وتأولوا قول الله تعالى : (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ) (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) (2) وقالوا : لا يجوز أن يسأل الميت في قبره لقول الله تعالى : (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) (3) فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته (4) ، وردوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها (5) ، وقالوا : لن يخرج من النار من أدخل فيها، وقالوا : لا نعرف حوضاً (6) ولا ميزاناً (7) ، ولا نعقل ما هذا، وردوا السنن في ذلك كله برأيهم، وقياسهم، مع تواتر الأحاديث في ذلك - إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفة الباري" (8) وسبق تفصيل ذلك والرد عليه (9) 0

... والحقيقة : أن تحكيم الرأي أمر يسير لا عناء فيه ولا ينبغي لأهل الابتداع والإلحاد قديماً وحديثاً أن يفخروا، وإنما الفخر بإتباع الوحي وإن خفيت علينا حكمته، ولم نستطع إدراك حقيقته لا سيما في الغيبات؛ لأن العقل يقف عاجزاً عن إدراك عالم ما وراء الطبيعة 0 وتحكيم العقل في هذا العالم تجاوز لحدود العقل، وسفه من صاحبه، وتطاول على خالقه-والعباد بالله-

(1) سبق تخريجه ص 762 0

(2) الآيتان 22، 23 من سورة القيامة 0 وقد سبق تفصيل ذلك والرد عليه ص 755-766 0

(3) جزء من الآية 11 من سورة غافر 0

(4) سيأتى بيان تواتره في الرد على منكبيه في المبحث التالى ص 817 0

(5) سبق الدفاع عنه ص 785، 786 0

(6) انظر : في تواتره الأزهار المتناثرة ص 74 رقم 108، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن

مجموعة الحديث الصديقية ص 226 0

(7) انظر : في تواتره إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 225 0

- (8) الاعتصام 573/2، 574 بتصرف يسير، وانظر : أصول الدين للبغدادى ص 245، 246 0
(9) راجع : إن شئت ص 246-248 0

(67/3)

ونقتصر هنا في الرد إجمالاً (1) على من يحكمون عقولهم في أحاديث أحوال يوم القيامة بكلمة جامعة للإمام ابن خلدون في تقويم البحث في المغيبات وتسفيه العقل في ذلك 0 قال : "ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه ولا يعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه، ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات، وكذلك الأعمى أيضاً يسقط عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشايخ من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به، لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف، لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فاعلم هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا، لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس، والخصر مجهول، والوجود أوسع نطاقاً من ذلك والله من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك ومدركاتك في الخصر، واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك 0

وليس بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية، لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزني أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال 0

-
- (1) راجع : ما سبق تفصيله في بطلان قاعدة عرض السنة علما لعقل ص 244-248 0

(68/3)

... ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان فى أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يمكن له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن فى هذا الغلط، ومن يقدم العقل على السمع فى أمثال هذه القضايا؛ فمن قصور فهمه، واضمحلال رأيه، وقد تبين لك الحق من ذلك" (1) 0

... وعلى هذا سلم أهل السنة بما جاء فى الأمور الغيبية، ولم يحكموا عقولهم 0

قال الإمام الأشعرى فى الإبانة : "نؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير، وبالخوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله (يوقف العباد فى الموقف، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله (التى رواه الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى إلى رسول الله ((2) 0

المبحث الثانى

شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها

... أحاديث عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً لذلك، وسؤال الملكين، نص جماعة من العلماء على تواترها تواتراً معنوياً منهم الحافظ السيوطى (3)، والكتانى (4)، وابن قيم الجوزية (5)، وابن أبى العز (6) وغيرهم (7) 0 وسوف نورد طرفاً من هذه الأحاديث عند الحديث عن كشف شبهات المعتزلة، ومن قال بقولهم من أهل الكلام والرافضة قديماً وحديثاً 0

... ويمكن أن نعرض شبهات المعتزلة حول عذاب القبر فيما يأتى :
لقد زعم المعتزلة أن الأخبار الدالة على عذاب القبر مجملة :

(1) المقدمة لابن خلدون ص 508، 509 0

(2) الإبانة ص 27 رقمى 47، 58 0

(3) الأزهار المتناثرة ص 41 رقمى 43، 107 0

(4) نظم المتناثر ص 125، 126 رقمى 113، 114 0

(5) الروح ص 74، ومفتاح دار السعادة 43/1 0

(6) شرح الطحاوية 0 136/2

(7) انظر : إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية للأستاذ عبد العزيز

الغمارى ص 200 0

(69/3)

... ولذلك انقسموا حوله إلى ثلاث فرق :

1- أنكره ضرار بن عمرو (1) ، والخوارج، ومعظم المعتزلة، وبعض المرجئة، والرافضة (2) 0

2- قطع به بعضهم فى الجملة (3) 0

3- جوزه آخرون (4) 0

وبالقول الأول قال دعاة اللادينية فى عصرنا (5) 0

وتدور شبه المنكرين لعذاب القبر وما فيه من سؤال، وضمة، وعذاب، بأنه معارض للقرآن، وللجنة، وللعقل 0

(1) ضرار بن عمرو : هو ضرار بن عمرو الغطفاني، قاضى، من كبار المعتزلة، وهو زعيم الفرقة

الضرارية، له مقالات خبيثة، كفره المعتزلة من أجلها وطرده 0 انظر : فضل الاعتزال ص 391،

وميزان الاعتدال 228 رقم 3953، وسير أعلام النبلاء 544/10 رقم 175، ولسان الميزان

607/3 قم 4312، والضعفاء لأبي نعيم ص 95 رقم 151، والضعفاء الكبير للعقيلي 222/2

رقم 765، والفهرست ص 299 0

(2) انظر : الروح لابن قيم الجوزية ص 81، وعذاب القبر فى الميزان للأستاذ عكاشة عبد المنان

ص 101، 131، والإبانة ص 15، والمنهاج شرح مسلم للنووى 224/9 رقم 2866 0

(3) انظر : شرح الأصول ص 730، والروح ص 80، 81، وعذاب القبر فى الميزان ص 101، 103

0

(4) انظر : فضل الاعتزال ص 201، 202، وشرح الأصول ص 730، والفصل فى الملل والنحل

67/4، وأصول الدين للبعدادى ص 245، 246 0

(5) انظر : شفاء الصدر بنفى عذاب القبر لإسماعيل منصور، وعذاب القبر والتعبان الأقرع لأحمد

صبحى منصور، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة لمحمد شحرور ص 381، ودفع الشبهات لأحمد

حجازى ص 104، 204، 208، والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص 244 وما بعدها، وإنذار من السماء ص 244 وما بعدها، ودين السلطان 928-948 كلاهما لنيازى = عز الدين، وأضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص 74، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر 318/2، 320، 356، وغيرهم 0

(70/3)

أما القرآن ففى قوله تعالى : (قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اِثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اِثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) (1) قالوا فلو كان يحيا فى قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات، ويموت ثلاثاً، وهو خلاف النص (2) 0

أما السنة فقالوا : الأخبار فيها متعارضة، وقد ردت عائشة -رضى الله عنها- حديث ابن عمر مرفوعاً (إن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله عليه) فقالت : وهل إنما قال رسول الله (: "إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن" وذاك مثل قوله : إن رسول الله (قام على القلب يوم بدر 0 وبه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال : "إنهم ليسمعون ما أقول" وقد وهل 0 إنما قال : "إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق" ثم قرأت قوله تعالى : (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) (3) (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (4) 0 يقول : حين تبوءوا مقاعدهم من النار، وفى رواية قالت (رضى الله عنها) يغفر الله لأبي عبد الرحمن 0 أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ، إنما مر رسول الله (على يهودية يبكى عليها 0 فقال : "إنهم ليبكون عليها 0 وإنما لتعذب فى قبرها" (5) 0

(1) الآية 11 من سورة غافر 0

(2) انظر : فتح البارى 284/3 رقم 1369، وشرح الأصول ص 730، 731 0

(3) الآية 80 من سورة النمل 0

(4) الآية 22 من سورة فاطر 0

(5) أخرجه مسلم "شرح النووى" كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه 503/3،

504 رقم 932 0

قالوا فدل ذلك على أن الموتى لا يسمعون، وما يروى من سماعهم خفق النعال لا يصح أيضاً⁰ وأن عذاب القبر خاص بالكفار من اليهود⁰ وقوله تعالى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (1) ⁰

... قالوا : هذه في آل فرعون خاصة، فلا يقاس عليهم غيرهم⁰

وما صح من أحاديث في عذاب القبر؛ فهو آحاد يفيد الظن، لا يحتج به هنا في باب العقائد (2) ⁰ وهو يصح لبعض الناس دون بعض ممن فقدت أجسادهم، أو تعذر وصول الحياة إليها (3) ⁰

... أما دليلهم العقلي فقالوا : لو كان لعذاب القبر أصل؛ لكان يجب في النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمتاب، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره، وفي علمنا العقلي بخلافه، دليل على أن ذلك مما لا أصل له، ولا مدخل للسمع فيه (4) ⁰

ويجاب على هذه الشبهة بما يلي :

إن زعمهم أن الأخبار مجملة في إثبات عذاب القبر، ثم انقسامهم حوله إلى ما ذكرنا، يتبين منه : أن المعتزلة، وإن زعم بعضهم بأنه يقطع بوقوعه لدلالة الأخبار عليه، إلا أنهم لم يسلموا للنصوص في ذلك تسليماً كاملاً، ولم يسلم هذا الأمر من إقحام عقولهم في جزئيات منه⁰ نعم : إن من أثبتته منهم أثبتته في الجملة، ولكنهم خاضوا في ثبوته لعصاة المؤمنين، وفي كيفيته، ووقته مما دفعهم إلى رد بعض النصوص، وتأويل بعضها (5) ⁰

... فما زعموه من تعارض عذاب القبر ونعيمه بقوله تعالى : (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ) (6) فلا حياة⁰ ⁰

(1) الآية 46 من سورة غافر⁰

(2) انظر : شرح الأصول ص 730 – 732 ⁰

(3) فضل الاعتزال ص 203 ⁰

(4) شرح الأصول ص 731 – 732، وفضل الاعتزال 201 – 203 ⁰

(5) شرح الأصول ص 73 وما بعدها0

(6) جزء من الآية 11 من سورة غافر0

(72/3)

فالجواب : أنه لا تعارض، إنما التعارض نشأ من عدم إدراكهم المراد بالحياة في القبر فهي ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا، التي تقوم فيها الروح بالبدن وتديره وتصرفه، وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة، فهي إعادة عارضة، كما حي خلق، لكثير من الأنبياء، لمسألتهم لهم عن أشياء، ثم عادوا موتى (1) 0 ... فحياة القبور، وما فيها من نعيم أو عذاب؛ تختلف عن حياة الدنيا، وحياة الآخرة؛ فهي حياة برزخية لا طاقة للعقل في إدراكها، ولا يمكنه أن يصل إلى كیفيتها، وإنما يتوقف الإيمان بهذه الحياة على النصوص الواردة قال تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (2)

... أما دعواهم تعارض الأحاديث : فيجاب عن ذلك بأنه لا تعارض مع إمكان الجمع وهو ممكن0 وما ورد من رد أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- لخبر ابن عمر (في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه) فلا حجة لهم فيه على نفى عذاب القبر لأن عائشة -رضى الله عنها- إنما أنكرت عذاب الميت بما لم تكسبه يده، يدل على ذلك احتجاجها بقوله تعالى : (أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزًّا أُخْرَى) (3) ومع ذلك فإنكارها ذلك وحكمها على الراوى بالتخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد؛ لأن الرواة لما أنكرته من رواية عمر وابنه -رضى الله عنهما- رواه من الصحابة كثيرون وهم جازمون0 فلا وجه للنفي منها مع إمكان حمله على محمل صحيح (4) 0

(1) فتح البارى 284/3 رقم 1374، وانظر : شرح المقاصد للتفتازانى 162/2 0

(2) الآية 100 من سورة المؤمنون0

(3) الآية 38 من سورة النجم0

(4) فتح البارى 184/3 رقم 1287 0

(73/3)

والخامل كثيرة جمع بينها الحافظ ابن حجر فقال : "من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه، ومن كان ظالماً فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها، فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ، كيف أهمل النهي، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله من المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك، كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره، وإقدامهم على معصية ربهم 0

وحكى الكرمانى تفصيلاً آخر، وحسنه، وهو التفرقة بين حال البرزخ، وحال يوم القيامة، فيحمل قوله تعالى: (أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزًّا أُخْرَىٰ) (1) على يوم القيامة، وهذا الحديث وما أشبهه على البرزخ 0 ويؤيد ذلك أن مثل ذلك يقع في الدنيا، والإشارة إليه بقوله تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) (2) 0 فإنها دالة على جواز وقوع التعذيب على الإنسان بما ليس له فيه تسبب، فكذلك يمكن أن يكون الحال في البرزخ بخلاف يوم القيامة والله أعلم (3) 0أهـ0

... أما ردها - رضى الله عنها - لخبر ابن عمر - رضى الله عنهما - في سماع الموتى لكلام النبي (ومعارضتها ذلك بقوله تعالى : (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) (4) ونحوها من الآيات فالجمهور في ذلك على خلافها فيما اجتهدت فيه، وقبلوا حديث ابن عمر لموافقة من رواة غيره عليه 0

(1) الآية 38 من سورة النجم 0

(2) الآية 25 من سورة الأنفال 0

(3) انظر : فتح البارى 3/185 رقم 1290، والمنهاج شرح مسلم للنووى 3/505 رقم 932 0

(4) جزء من الآية 80 من سورة النمل 0

(74/3)

وأما استدلالها بقوله تعالى : (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) فقالوا معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله ... والآية كقوله تعالى : (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (1) أى أن الله هو الذى يسمع ويهdy (2) 0

... وصحت الأحاديث بسماع الموتى حتى قرع النعال خلافاً لمن رد ذلك من المعتزلة عن أنس بن مالك (قال : قال رسول الله (: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم ... " الحديث (3) 0

... وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال : "اطلع النبي (على أهل القليب فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقل له : تدعوا أمواتاً؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون" (4) 0 ولا دليل على خصوصية ذلك بأهل بدر، كما يزعم بعض المعتزلة (5) 0

... قال القاضي عياض - رحمه الله - : "يحتمل سماعهم، على ما يحتمل عليه سماع الموتى، في أحاديث عذاب القبر، وفتنته، التي لا مدفع لها 0 وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون فالوقت الذي يريد الله تعالى" 0

وقال الإمام النووي - رحمه الله - بعد نقله لكلام القاضي عياض السابق : "وهو الظاهر المختار الذي تقتضيه أحاديث السلام على القبور" (6) 0

(1) الآية 40 من سورة الزخرف 0

(2) فتح الباري 277/3 رقم 1370 0

(3) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر 275/3 رقم 1374، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الجنة وصفة تعليمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه 220/9 رقم 2870 واللفظ للبخاري 0

(4) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر 274/3 رقم 1370، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه 503/3 رقم 932 واللفظ للبخاري 0

(5) انظر : فضل الاعتزال ص 203 0

(6) المنهاج شرح مسلم للنووي 225/9 رقم 2874 0

... أما ما زعموه من تعارض الأحاديث المثبتة لعذاب القبر والنافية له⁰

فيجاب عن ذلك بأنه لا تعارض⁰

ففي الأحاديث التي زعموا أنها تنفي عذاب القبر في عجزها ما يثبت، وهو ما تعمدوا بتره، فلا تعارض بين أول الحديث وآخره كما جاء في رواية مسلم عن عائشة -رضي الله عنهما- قالت : دخل علي رسول الله (وعندي امرأة من اليهود⁰ وهي تقول هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت : فارتاع رسول الله (وقال : "إنما تفتن يهود" قالت عائشة : فلبثنا ليالي⁰ ثم قال رسول الله (: "هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور؟" قالت عائشة : فسمعت رسول الله (، بعد، يستعيد من عذاب القبر" (1) ⁰

قال الحافظ ابن حجر: وحاصل الحديث أنه (لم يكن أوحى إليه أن المؤمنين يفتنون في القبور فقال: "إنما يفتن يهود" فجري على ما كان عنده من علم ذلك، ثم لما علم بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه، وعلمه، وأمر بإيقاعه في الصلاة، ليكون أنجح في الإجابة" (2) ⁰

(1) أخرجه مسلم "شرح النووي" كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ... إلخ 91/3، 92 رقم 584 ⁰
(2) فتح الباري 180/11 رقم 6366 ⁰

(76/3)

وفي رواية أخرى عنها -رضي الله عنها- قالت: دخلت علي عَجُوزَانِ من عَجُزِ يهود المدينة⁰ فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم⁰ قالت : فكذبتهما⁰ ولم أنعم أن أصدقهما⁰ فَخَرَجَتَا⁰ ودخل علي رسول الله (، فقلت له : يا رسول الله! إن عَجُوزَيْنِ من عَجُزِ يهود المدينة دخلتا علي فرعمتا أن أهل القبور يُعذبون في قبورهم⁰ فقال : "صدقتا⁰ إهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم" قالت: فما رأيته، بعد، في صلاة، إلا يتعوذ من عذاب القبر" (1) ⁰

... قال الحافظ ابن حجر : "وبين هاتين الروايتين مخالفة، لأن في هذه أنه (، أنكر على اليهودية، وفي الأول أنه أقرها⁰

(1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر 178/11 رقم 6366، ومسلم "بشرح النووى" كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ... إلخ 92/3 رقم 586 واللفظ له 0

(77/3)

قال النووى تبعاً للطحاوى وغيره : هما قصتان، فأنكر النبى (، قول اليهودية فى القصة الأولى، ثم أعلم النبى (بذلك، ولم يعلم عائشة، فجاءت اليهودية مرة أخرى، فذكرت لها ذلك، فأنكرت عليها مستندة إلى الإنكار الأول، فأعلمها النبى (بأن الوحى نزل بإثباته، وبدل على ذلك صراحة، ما رواه أحمد فى مسنده بإسناد على شرط البخارى عن عائشة -رضى الله عنها- : "أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وراك الله عذاب القبر قالت : فقلت : يا رسول الله هل للقبر عذاب؟ قال : كذبت يهود، لا عذاب دون يوم القيامة 0 ثم مكث بعد ذلك ما شاء أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار، وهو ينادى بأعلى صوته : "أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر؛ فإن عذاب القبر حق" (1) 0

... وفى هذا كله أنه (، إنما علم بحكم عذاب القبر، إذ هو بالمدينة فى آخر الأمر، وهذا لا يستشكل مع ما نزل بمكة من قوله تعالى : (يُخَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (2) وقوله تعالى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (3) 0 لأن الآيتين بظاهر منطوقهما فى حق الكفار 0

(1) المسند 81/6، 89، 174، وعزاه الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد 55/3 إلى أحمد، وقال : رجاله رجال الصحيح، انظر دفع الشبهات لأحمد حجازى السقا ص 208، 209 حيث بتر هذه الرواية مكتفياً فى سردها إلى قوله (لا عذاب دون يوم القيامة، موهماً أن هذه الرواية تنفى عذاب القبر 0 فتأمل كيف يحرفون الكلم عن مواضعه 0
(2) الآية 27 من سورة إبراهيم 0
(3) الآية 46 من سورة غافر 0

والذى أنكره النبي (، إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين، ثم اعلم (، أن ذلك قد يقع على من يشاء منهم، فجزم به، وحذر منه، وبالغ في الاستعاذة منه تعليماً لأمته وإرشاداً، فانتفى التعارض بحمد الله تعالى (1) 0هـ

... أما دعوى القاضى عبد الجبار ومن قال بقوله : إن قوله تعالى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (2) في آل فرعون خاصة (3) 0

فيجاب عندئذ: بأن دعوى الخصوصية ممتنعة، ولا دليل عليها، ومما يؤيد ذلك ما يلي:
أولاً: لقد احتج أهل العلم بهذه الآية على عذاب القبر، وما زالوا يستشهدون بها على إثباته (4) ،
حتى قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور" (5) 0

(1) انظر : فتح البارى 278/3، 279، وانظر : تصريح البراء بن عازب (بأن آية "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" قال نزلت في عذاب القبر " 0هـ أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميتم من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه

221/9 رقم 2871، والنسائى في سننه كتاب الجنائز، باب عذاب القبر 101/4 رقم 2056 0

(2) الآية 46 من سورة غافر 0

(3) شرح الأصول ص 730، ودفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالى لأحمد حجازى السقا ص 209، وراجع : المصادر السابقة ص 818، 819 0

(4) انظر : المنهاج شرح مسلم 223/9 رقم 2866، والجامع لأحكام القرآن 318/15، 319،

وفتح البارى 276/3، وتفسير القرآن العظيم 81/4 0

(5) تفسير القرآن العظيم 81/4 0

ثانياً : لقد فهم الصحابة والتابعون (عدم الخصوصية في الآية، ولذلك جعلوها مستنداً لهم في إثبات عذاب القبر (1) 0

ثالثاً : روى البخارى بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله (، قال : "إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة؛ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار؛ فمن أهل النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة" (2) وهذا في معنى الآية (3) 0

... أما زعمهم بأن أحاديث عذاب القبر آحاد لا يحتج بها هنا في العقائد، فقد سبق أن جماعة من الأئمة نصوا على أن الأحاديث الواردة في عذاب القبر، وسؤاله، ونعيمه، متواترة بمجموعها تواتراً معنوياً، وإن لم يبلغ آحادها حد التواتر 0
وحتى لو كانت أحاداً لوجب علينا التسليم لها، والإيمان بمضمونها، متى ثبتت صحتها عن رسول الله (، وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك 0
فخبر الآحاد حجة في العقائد كما سبق تفصيله في غير موضع من البحث (4) 0

وأما دليلهم العقلي فيجاب عنه بالآتي :

-
- (1) انظر : الجامع لأحكام القرآن 319/15، وانظر : استدلال جرير بن عبد الله (على ذلك في رواية البراء بن عازب عند أبي داود وستأتي بعد قليل ص 826 0
 - (2) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي 286/3 رقم 1379، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ... إلخ 218/9 رقم 2866، واللفظ لمسلم 0
 - (3) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 414/1 - 415 0
 - (4) راجع : إن شئت ص 497، 552-566، 751-753، 757، 758، 787-788 0

أولاً : هذا إقحام منهم للعقل في أمر لا طاقة له به، ولا مدخل له فيه؛ لأن عذاب القبر ونعيمه أمر غيبي لا عهد للعقول به في هذه الدار، ولا يمكنها أن تصل إلى كیفيته، وإنما يتوقف الإيمان فيه على النصوص الواردة، وإن كان العقل لا يمنع وقوعه، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول (1) 0

ثانياً : إن الحياة التي يحياها الميت في قبره والتي دل عليها حديث النبي (، في قوله : "فتعاد روحه إلى جسده" (2) حياة أخرى غير هذه الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن، وتصرفه، وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، وهذا أمر لا يكذبه العقل ولا ينفيه (3) 0 يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - "إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام: أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً 0

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض 0

الثالث : تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه 0

الرابع : تعلقها به في البرزخ (4) ؛ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة 0

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً، ولا نوماً، ولا فساداً 0

(1) انظر : شرح الطحاوية 136/2 بتصرف 0

(2) جزء من حديث البراء بن عازب الطويل في شأن عذاب القبر، والحديث أخرجه أبو داود في سننه بطوله، في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر 239/4، 240 رقم 4753، وأحمد في المسند 287/4 - 288، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح 52/3 - 53 0

(3) انظر : الروح ص 62، وفتح الباري 241/3 0

(4) البرزخ : هو الحاجز بين الشيتين، والمراد به الفترة ما بين الموت إلى القيامة 0 انظر : القاموس المحيط 255/1 0

... وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي، وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده، كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه، كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة" (1)

0

... واعلم : أن الرسل "صلوات الله وسلامه عليهم" لا يخبرون بما تخيله العقول وتنافيه، ولكن إخبارهم إما أن يشهد به العقل والفطرة، وإما أن لا يدركه العقل لعجزه عن الوصول إلى حقيقته وكنهه، ولا يكون الخبر بذلك محالاً في العقل، وبالتالي كل خبر يظن أن العقل يحيله فيما أن يكون كذباً أو يكون ذلك العقل فاسداً (2) 0

وبعد

فإن عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن، وصريح السنة المطهرة وعلى ذلك إجماع أهل السنة (3) 0

فإن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين (4) 0

أدلة عذاب القبر ونيعمه :

(1) الروح ص 62، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية 136/2 0

(2) الروح ص 86، 87 بتصرف، وانظر: موقف المدرسة العقلية من السنة 403-405 0

(3) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي ص 69، وانظر : موقف

المدرسة العقلية من السنة 397/1 0

(4) الروح ص 74، ولوامع الأنوار البهية 25/2 0

... الذى يلقى نظرة فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجد أن عذاب من يستحق العذاب، ونعيم من يستحق النعيم يبدأ منذ قدوم الملائكة لأخذ روحه عند الموت قال تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (1) 0

... فقلوه تعالى : "وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ" أى بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، وهو كقوله : (وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (2) وفى حق أهل النعيم قال تعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (3) مع قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (4) 0 وغير ذلك من الآيات 0 ... وهذا وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب أو النعيم الواقع قبل يوم القيامة 0

وإنما أضيف العذاب أو النعيم إلى القبر لكون معظمة يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محبوب عن الخلق إلا ما شاء الله" (5) 0

(1) الآية 93 من سورة الأنعام 0

(2) الآية 50 من سورة الأنفال 0

(3) الآية 32 من سورة النحل 0

(4) الآية 30 من سورة فصلت 0

(5) الفصل فى الملل والنحل 67/4، وفتح البارى 275/3، 276 0

(83/3)

وهذا خلافاً لمن أنكر ذلك من المعتزلة، وقال بعذاب القبر لمن قبر فقط (1) 0 ... كما دلت الأدلة على وقوع النعيم أو العذاب عقب الدفن، وبعد سؤال الملكين، وامتحانهما له 0

فقد جاء فى حديث البراء بن عازب فى شأن المؤمن : "فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى،

فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، وطيبها ويفسح له في قبره" وقال في الكافر : "فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه ... " الحديث (2) 0

... فهذا نص صريح على وقوع النعيم أو العذاب بعد الدفن 0

وفي الحديث عن زيد بن ثابت مرفوعاً : "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها 0 فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع ... ، الحديث (3) 0
... فقد دلت هذه الأحاديث وغيرها في الصحيح كثير، على وقوع عذاب القبر بعد الدفن 0

وهل يدوم ذلك إلى يوم القيامة أم ينقطع؟ الظاهر من النصوص، أن منه ما هو دائم إلى يوم القيامة، وهو عذاب الكفار، كما قال تعالى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (4) وقال تعالى : (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (5) 0

(1) انظر : شرح الأصول ص 733 0

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في المسئلة في القبر وعذاب القبر 4/239 رقم 4753 0

(3) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر ... إلخ 9/219، 218 رقم 2867 0

(4) الآية 46 من سورة غافر 0

(5) الآية 101 من سورة التوبة 0

(84/3)

قال الحافظ ابن حجر قال الطبري : "الأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتل الجوع أو السبي أو القتل أو الإذلال أو غير ذلك" (1) 0
وفي حديث أبي هريرة في شأن المنافقين "فيقال للأرض : التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها

أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك" (2) 0

... ومنه الذى يدوم مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة، فإنهم يعذبون على قدر جرائمهم، ثم يخفف عنهم (3) 0

... وبالتالى زعم القاضى عبد الجبار ومن قال بقوله : إن العذاب يؤخر إلى ما بين النفختين (4) ؛ زعم لا حقيقة له؛ لأن الأدلة السابقة تخالفه، والآية التى استدلوها بها دليل عليهم لا لهم، لأن المراد بالبرزخ هو الحاجز الذى بين الدنيا والآخرة، وهى فترة بقاء الناس فى قبورهم (5) 0
... إن الله (جعل أمر الآخرة وما يتصل بها من حياة البرزخ أمراً غيبياً محجوباً عن المكلفين فى هذه الدار، لكمال حكمته سبحانه وتعالى، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم (6) 0

... ولو أطلع الله العباد على عذاب القبر؛ لزالّت حكمة التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما ثبت فى صحيح مسلم عنه (أنه قال : "فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه (7) 0

... ولما كانت هذه الحكمة منفية فى البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما سبق فى الحديث (8) 0 إن الله (حجب بنى آدم، من رؤية كثير مما يحدث فى هذه الدنيا، فجبريل

(1) فتح البارى 276/3 رقم 1369 بتصرف يسير 0

(2) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر

383/3، 384 رقم 1071 وقال : حديث حسن غريب 0

(3) انظر : شرح العقيدة الطحاوية 139/2 0

(4) انظر : شرح الأصول ص 732 0

(5) انظر : تفسير القرآن العظيم 256/3 0

(6) انظر : الروح ص 89 0

(7) سبق تخريجه ص 829 0

(8) راجع : ص 824 0

—عليه السلام— كان ينزل بالوحي على النبي (ويخاطبه على كثر من الصحابة) وهم لا يرونه،
والجن يعيشون بيننا، ويتكلمون فيما بينهم، ونحن لا نراهم، ولا نسمع كلامهم، والنائم يجد ألماً ولذة
في نومه، ولا يحس بذلك جليسه، بل اليقظان يحس بالألم، ويشعر باللذة ولا يجد ذلك من يجالسه
(1) 0

والمختضر يشعر بالألم عند احتضاره، وتضريره الملائكة، والحاضرون لا يرون ذلك 0

كذلك عذاب القبر، ونعيمه، يقع على الميت، حتى لو دفن رجلان أحدهما إلى جنب الآخر، وكان
أحدهما منعماً، والآخر معذباً، فإن نعيم الأول لا يصل إلى الثاني، وكذا عذاب الثاني لا يصل إلى
الأول 0 وقدرة رب العزة أعجب، وأوسع من ذلك (2) 0 فقياس أحوال الآخرة، وحياة البرزخ
بأحوال الدنيا، قياس للغائب، على الشاهد، وهو محض الضلال، والجهل، وتكذيب الرسل صلوات
الله وسلامه عليهم (3) 0 أهـ

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة الحيا والممات،
ومن فتنة المسيح الدجال، اللهم إني أسألك حسن الخاتمة

(1) انظر : المنهاج شرح مسلم للنووي 224/9 رقم 2866-2875، وفتح الباري 278/3 رقم
1374، والروح ص 90، 91 0

(2) انظر : شرح الطحاوية 138/2، والروح ص 92، 93، والاعتصام 569/2 0

(3) انظر : فتح الباري 278/3 رقم 1374، الروح ص 100، وللاستزادة انظر : إثبات عذاب
القبر وسؤال الملكين للإمام البيهقي، والغيبات في ضوء السنة للدكتور محمد همام، وموقف المدرسة
العقلية من السنة 397/1-415 0

الفصل السادس

أحاديث

"خلوة النبي (بامرأة من الأنصار " و "نوم النبي (عند أم سليم وأم حرام" وحديث "سحر النبي ("

... وتحت أربعة مباحث :

المبحث الأول : شبهة مخالفة سيرة النبي (في السنة المطهرة، عن سيرته في القرآن الكريم⁰ والرد عليها⁰

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "أنس بن مالك في خلوة النبي (بامرأة من الأنصار" والرد عليها⁰

المبحث الثالث : شبه الطاعنين في حديثي نوم النبي (عند أم سليم وأم حرام والرد عليها⁰

المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث سحر النبي (والرد عليها⁰

المبحث الأول

شبهة مخالفة سيرة النبي (في السنة المطهرة عن سيرته

في القرآن الكريم والرد عليها

سيرة النبي (بين حقائق القرآن الكريم وروايات الإمام البخاري :

... حرص أعداء السنة الشريفة، وهم يطعنون في صحيح الإمام البخاري، إيهام الناس أجمعين بأن

شخصية النبي (، كما رسمها القرآن تختلف عن شخصية النبي (، كما رسمها البخاري، وغيره من

أصحاب كتب السنة المطهرة، والنتيجة كما يزعمون الإساءة المتعمدة لشخص النبي (، من الإمام

البخاري (1) وحاشاه من ذلك⁰

... وهم قد لبسوا لهذه النتيجة لباس العلماء لإيهام القارئ أنهم على صواب؛ فساروا خلف بعض

الأحاديث انتزعوها انتزاعاً من بين سطور الإمام البخاري، وعمدوا إلى بتر هذه الأحاديث تارة، وإلى

إعادة صيغتها بأسلوبهم، وتحميل ألفاظها مالا تحتل من المعاني تارة ثانية، وعمدوا إلى الأمرين معاً

تارة ثالثة⁰

(1) انظر : لماذا القرآن ص 85، وقراءة في صحيح البخارى ص 41-46، كلاهما لأحمد صبحي منصور، ودين السلطان ص 418، 425، 450، 588، 604، 614، وراجع من نفس الكتاب ص 64، 67، 92، وانظر: أنذار من السماء ص 135، 191، 699 كلاهما لنيازی عزالدين، وأهل السنة شعب الله المختار ص 66، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 45-326 كلاهما لصالح الورداني⁰

(87/3)

... ومن هذه الأحاديث التي استدلو بها على زعمهم في مخالفة سيرة النبي (، كما رسمها القرآن، عن السيرة التي رسمها الإمام البخارى في صحيحه⁰

أ- أحاديث جاء فيها لفظ (الخلوة) كحديث أنس بن مالك (، أنه (؛ خلا بإمرأة من الأنصار في بعض طرق المدينة تستفيه في أمر من أمور دينها، وحديثه عن أمه أم سليم، وخالته أم حرام -رضى الله عنهما- في زيارته (، لهما، ونومه عندهما في وقت القيلولة⁰

بهذه الروايات التي جاء فيها لفظ الخلوة، حملوها على الخلوة المحرمة، وساقوا روايات هذه الأحاديث بأسلوب يهيج الغرائز عند الشباب، ويطيح بكل تقدير للنبي (، وللأسلاف والأجداد، مع بُعد سياق هذه الروايات في صحيح البخارى، عن أسلوب سياقهم لها

وَنُعَدُّهَا أَيْضاً عَنْ الْهَدَفِ الَّذِي يَرْمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعْنِ فِي عَدَالَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ (1) ، وصحيحه الجامع، وزعمهم برسمه صورة لسيرة النبي (، مخالفة لصورته في القرآن الكريم (2) ⁰

(1) البخارى هو: أمير المؤمنين في الحديث، الإمام أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بَرْدَزْنَه، كان جده بَرْدَزْنَه مجوسياً على دين قومه، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي، والى بخارى⁰ في هذا الوقت، فنسب إليه بالولاء، فمن ثم قيل في نسبه (الجعفي)، وهو الحافظ العلم، صاحب (الجامع الصحيح)، و (التاريخ الكبير) و (الأدب المفرد) و (القراءة خلف الإمام) وغير ذلك⁰ مات سنة 256هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ 555/2 رقم 578، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 252 رقم 560، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص 30 رقم 6، والإرشاد للخليلي ص 377-380، وطبقات المفسرين للداودي 104/2 رقم 463، والإمام البخارى أمير المؤمنين في الحديث للأستاذ الدكتور يوسف الكتاني ص 5-20، ومقدمة فتح الباري

(2) انظر : السنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 190-207 0

(88/3)

ب- حديث سحر النبي (وزعمهم بأنه يحط من مقام النبوة، ويطعن في عصمته)، ويخالف القرآن الكريم، في قوله تعالى: (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (1) 0

... وسوف نذكر شبه الطاعنين في الأحاديث السابقة، والرد عليها في المباحث التالية 0 وذلك بعد الجواب عن زعمهم مخالفة سيرة النبي (في السنة المطهرة، عن سيرته في القرآن الكريم 0

الجواب :

... أقول كما قال فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى : " البخارى ليس له، ولا لغيره، أن يرسم شخصية النبي ؛ (لأن شخصية النبي)، بكل بساطة ترجع إلى عناصر ومقومات قد وضعها الله فيه، فالأنبياء جميعاً قد اصطنعهم الله (لنفسه، وهو قد صنعهم على عينه، فهو وحده الذى يستطيع أن يرسم لنا صورة فيما اصطنعه لنفسه، وصنعه على عينه، ثم يحدد لنا بعد رسم شخصيته، مستوى العلاقة التى ستكون بيننا وبينه 0

... هذا كله لله وحده، وليس لأحد أن يتدخل فى شئ منه 0 والله (قد حدد لنا شخصية النبي (فى القرآن الكريم وحيأ يوحى، وحددها لنا النبي (عن طريق أقواله وأفعاله، وصفاته، وجلها أمور محكمة بالوحى 0

ودور الإمام البخارى، وغيره من أصحاب المصنفات الحديثية، هو تسجيل تلك الأمور كلها وما فيها من وقائع تاريخية 0

والتأكد منها سهل ميسور، فنحن بإمكاننا أن نحلل الواقعة التاريخية التى يتحدث عنها البخارى أو غيره، وندرسها دراسة وافية على أساس من المنهج المنضبط، ثم نحن نستطيع أن ندرس هؤلاء النقلة الذين نقلوا هذه الواقعة فى جيل أو جيلين إلى أن وصلوا إلى البخارى، أو إلى غيره من الرواة 0

(89/3)

... وهذا ما قام به أئمة أعلام من سلفنا الصالح، وأسفرت نتيجة جهودهم في النقد والتمحيص، إلى صحة الكتاب، سوى أحرف يسيرة، والقول فيها ما قاله البخارى، وبعض تلك الأحرف لا تصل إلى درجة الوضع، بل ولا حتى إلى درجة الضعف الذى لا يحتمل، وقد سبق تفصيل ذلك (1) 0

... ومن هنا ينبغى أن نتفق من البداية؛ أنه ليس لأحد أن يرسم من خياله صورة لنبي مرسل، سواء كان هذا النبي هو النبي الخاتم (، أو غيره من الأنبياء (2) 0

... وهنا نأتى للجواب عما استدلوا به من أحاديث تخالف في زعمهم حقائق القرآن الكريم 0 فإلى بيان ذلك 0

المبحث الثانى

شبهة الطاعنين في حديث أنس بن مالك في خلوة النبي (بامرأة من الأنصار والرد عليها

... روى الإمام البخارى في صحيحه بسنده عن أنس (قال : "جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله (ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله (فقال : "والذى نفسى بيده، إنكم أحب الناس إلى مرتين" (3) 0

... بهذه الرواية طعن أعداء السنة في صحيح الإمام البخارى، وأوهموا القارئ بأن الحديث يطعن في شخص النبي (، حيث جاء في الرواية أنه (، خلا بها، ثم قال "إنكم أحب الناس إلى" 0

(2) انظر : السنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 190 بتصرف 0
(3) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبى (للأنصار أنتم أحب الناس إلى 142/7 رقم 3786، وكتاب النكاح، باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس 244/9 رقم 5234 وكتاب الأيمان والندور، باب كيف كانت يمين النبى (534/11 رقم 6645، ومسلم "بشرح النووى" كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار (8 / 306 رقم 2509 0

(90/3)

يقول أحمد صبحى منصور : "والرواية تريد للقارئ أن يتخيل ما حدث فى تلك الخلوة التى انتهت بكلمات الحب تلك، وذلك ما يريده البخارى بالطبع" (1) 0

والجواب :

... نقول لهؤلاء النابتة الضالة التى تريد الطعن والتشكيك فى صحيح الإمام البخارى لتسقط مكانته كأصح كتاب بعد كتاب الله (، ولتسقط بسقوطه كل كتب السنة التى تليه، إذ هو بمثابة الرأس، لكتب السنة، ويسقط الرأس يسقط كل الجسد 0
نقول لهم إن كنتم صادقين فى دعواكم تنزيه الرسول (، مما يشكك فى سيرته العطرة، وأخلاقه العظيمة، وتزعمون أن البخارى بإخراجه لهذه الرواية فى صحيحه، قد افترى كذباً على الرسول (، وشكك فى أخلاقه (، وحاشا للإمام البخارى من ذلك 0 وإن كنتم حقاً أهل علم، وبحث عن الحقيقة،

فلماذا تعمدتم عدم ذكر اسم عنوان الباب الذى ذكر تحته الإمام البخارى هذا الحديث؟ وهو باب "ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس" 0
ولماذا تجاهلتم ما قاله شراح الحديث فى بيانهم للمراد من الخلوة، وكيف كانت تلك الخلوة، ولماذا اختلى بها النبى (؟)

... نعم تعمدتم عدم ذكر ذلك تلبيساً منكم وتضليلاً للقارئ، ولأنكم تعلمون كما تعلم الدنيا بأسرها، أن فقه الإمام البخارى فى تراجم أبوابه، وتعلمون أنكم بذكركم عنوان الباب، ينكشف

كذبكم وتضللكم⁰

كما أنكم تجاهلتم ما قاله شراح الحديث من أئمة المسلمين، والذين تحرصون على وصفهم بأنهم يقدسون البخارى، ويعبدونه من دون الله "وحاشاهم من ذلك"⁰
تجاهلتم ما فسروه وبينوه من معنى "خلوة الرجل بالمرأة عند الناس" وكيف كانت تلك الخلوة؟!

والنتيجة من تجاهلكم كل ذلك أنكم سفهتم عقول أئمة المسلمين، واستخففتهم بعقول القارئ لكم⁰

(1) لماذا القرآن ص 91، 92، وقراءة في صحيح البخارى ص 22، كلاهما لأحمد صبحي منصور، وانظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص 39، 64، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازى السقا ص 210⁰

(91/3)

... وتعالوا بنا لنظهر للقارئ ما حرصتم على كتمانها، ولنترك له الحكم بعد ذلك، من الصادق، البخارى أم أنتم؟ ومن الطاعن والمشكك في سيرة النبي (، البخارى أم أنتم؟
ومن المحترم لعقل القارئ، البخارى أم أنتم؟

... يقول الحافظ "ابن حجر" - رحمه الله - شارحاً المراد من عنوان الباب الذى ذكر الإمام البخارى تحت حديث أنس قال : قوله : "باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس" أى لا يخلو بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهما، بحيث لا يسمعون كلامهما، إذا كان بما يخافت به، كالأشئ الذى تستحي المرأة من ذكره بين الناس، وأخذ المصنف قوله في الترجمة "عند الناس" من قوله في بعض طرق الحديث "فخلا بها في بعض الطرق أو في بعض السكك" وهى الطرق المسلوكة التى لا تنفك عن مرور الناس غالباً⁰

... وقوله "فخلا بها رسول الله (" أى في بعض الطرق، قال المهلب : لم يرد أنس أنه خلا بها، بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها، بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمع أنس آخر الكلام فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما؛ لأنه لم يسمعه⁰

... وفي رواية مسلم عن أنس "أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله! إن لي إليك حاجة، فقال : يا أم فلان! أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها" (1) 0

... قال الإمام النووي قوله : "خلا معها في بعض الطرق" أي وقف معها في طريق مسلوك، ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره" (2) 0

-
- (1) أخرجه مسلم "شرح النووي" كتاب الفضائل، باب قرب النبي (، من الناس وتبركهم به 90/8 رقم 2326، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب الجلوس في الطرقات 257/4 رقمي 4818، 4819 0
- (2) المنهاج شرح مسلم للنووي 91/8 0

(92/3)

... قال الحافظ ابن حجر : وفي هذه الرواية بيان "أن مفاوضة الأجنبية سرّاً لا يقدح في الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشة : "وأياكم يملك أربه كما كان (، يملك أربه" (1) 0

... أما قوله "والذى نفسى بيده"، إنكم أحب الناس إلىّ -مرتين- وفي رواية ثلاث مرات، هو على طريق الإجمال، أي مجموعكم أحب إلى من مجموع غيركم" 0

... وفي هذه الجملة منقبة للأنصار حيث جعل المصطفى (، حبهم من علامات الإيمان وبغضهم من علامات النفاق، فقال (: "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (2) 0

... وعن أنس بن مالك (عن النبي (، قال : "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار" (3) ومن هنا كرر الإمام البخاري، حديث أنس في كتاب مناقب الأنصار 0

-
- (1) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض 481/1 رقم 302،

وكتاب الصوم، باب المباشرة للصائم 176/4 رقم 1927، وأخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الحیض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار 207/2 رقم 293، وكتاب الصيام باب بیان أن القبلة فی الصوم لیست محرمة علی من لم تحرك شهوته 231/4 رقم 1106، وانظر : فتح الباری 245/9 رقم 5234 0

(2) أخرجه البخاری "بشرح فتح الباری" كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان 141/7 رقم 3783 ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدلیل علی أن حب الأنصار وعلى (من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق 340/1 رقم 75 0

(3) أخرجه البخاری "بشرح فتح الباری" كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار 80/1 رقم 17، وكتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان 141/7 رقم 3784، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدلیل علی أن حب الأنصار وعلى (من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق 340/1 رقم 128 0

(93/3)

قال الحافظ ابن حجر : "وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل، من إيواء النبي (، ومن معه، والقيام بأمرهم، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسد يجرب البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور كل بقسطه 0 وقد ثبت في صحيح مسلم عن عليّ أن النبي (، قال له "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" (1)، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة، لتحقيق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن العناء في الدين" (2) 0

وبعد

فقد ظهر واضحاً جلياً لكل ذى عقل، وقلب سليم، أن الحديث صحيح رواية ودراية، وأن ما زعمه أهل الزيغ من أن لفظ الخلوة في الحديث - محمول على الخلوة المحرمة، مردود عليهم بما جاء في بعض

طرق الحديث "فخلا بها في بعض الطرق أو بعض السكك، وهى الطرق التى لا يخلو منها المارة من الناس⁰

كما اتضح جلياً أن تلك المرأة التى خلى بها النبى (، كانت لها مسألة أرادت أن تستفتى فيها النبى (، وتلك المسألة مما تستحى من ذكره النساء بحضرة الناس، وكانت إجابة النبى (، لها أن تلتمس بعض الطرق أى تلتمس أى جانب من الأماكن العامة التى لا تخلو من مرور الناس غالباً حتى يسمع حاجتها، ويقضيها لها، ومن هنا جاء التعبير بلفظ الخلوة، وكل هذا صرحت به رواية الإمام مسلم⁰

(1) أخرجه مسلم "شرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى (من

الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق 341/1 رقم 0 78

(2) فتح البارى 81/1 رقم 0 17

(94/3)

وما ختم به النبى (، حديثه مع المرأة من قوله "والذى نفسى بيده إنكم أحب الناس إلى" هذا منه (، تأكيداً لما قاله مراراً من جعله علامات الإيمان حب الأنصار، ومن علامات النفاق بغضهم، ثم إن هذه الكلمة قالها النبى (، جهاراً على ملاء من الناس - لنساء وصبيان من الأنصار كانوا مقبلين من عرس⁰

... ففى رواية البخارى عن أنس بن مالك (قال : "أبصر النبى (، نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً فقال "أنتم من أحب الناس إلى" (1) 0

فهلبقى بعد كل هذا حجة فى الحديث لمن أرادوا أن يشوشوا به على سيرة النبى (، وهم يوهمون البسطاء أنهم من المحبين للنبى (، المدافعين عنه، فالوقت الذى يحدثون فيه سنته العطرة، ويطعنون فى عدالة الإمام البخارى، وفى صحيحه الجامع، ويسفهون عقول المسلمين القائلين بقول سلفهم الصالح (ويستخفون بعقول القارئ لهم؟ أ⁰هـ⁰

والله تبارك وتعالى
أعلى وأعلم

المبحث الثالث

شبهة الطاعنين في حديثي نوم النبي (عند
أم سليم، وأم حرام والرد عليها

أولاً : حديث أم سليم - رضى الله عنها - :

(1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي (للأنصار : أنتم
أحب الناس إلى 142/7 رقم 3785، وكتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس
156/9 رقم 5180 0

(95/3)

... روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن أنس بن مالك (قال : "إن أم سليم (1) كان تبسط
للنبي (، نَطْعاً فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النطع، قال : فإذا نام (، أخذت من عَرَقِهِ وشعره فجمعتُهُ في
قارورة، ثم جمعتُهُ في سَكِّ وهو نائم 0 قال : فلما حضرَ أنسَ ابن مالك الوفاة أوصى إلى أن يُجْعَلَ في
حنوطِهِ من ذلك السُّكِّ، قال فجُعِلَ في حنوطه" (2) 0

ثانياً : حديث أم حرام - رضى الله عنها - :

(1) أم سليم : هى أم سليم بنت ملحان، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب
ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارية الخزرجية النجارية، أم أنس بن مالك، اختلف في
اسمها ف قيل : سلهة، وقيل : رميلة، وقيل رميثة، وقيل مليكة، والغميصاء، والرميصاء 0 كانت تحت
مالك بن النضر، والد أنس بن مالك في الجاهلية، فغضب عليها وخرج إلى الشام، ومات هناك 0
فخطبها أبو طلحة الأنصارى وهو مشرك، فقالت : أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرِد، ولكنك

كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فلك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه، فولدت له غلاماً مات صغيراً، وهو أبو عمير، وكان معجابه، فأسف عليه ثم ولدت له عبد الله بن أبي طلحة، وهو والد إسحاق، فبارك الله في إسحاق وأخوته، وكانوا عشرة، كلهم حمل عنه العلم، وكانت تغزو مع رسول الله (، وروت عنه أحاديث، وروى عنها ابنها أنس (، وكانت من عقلاء النساء، ماتت في خلافة سيدنا عثمان (0 انظر في ترجمتها : اسد الغابة 7/333 رقم 7479، والاستيعاب 4/1940 رقم 4163، والإصابة 4/441 رقم 12077، وتاريخ الصحابة ص 276 رقم 1573، وتجريد أسماء الصحابة 2/333 0

(2) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقالَ عندهم 73/11 رقم 6281، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي (، والتبرك به 8/96 رقم 2332 0

(96/3)

... روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن أنس بن مالك (قال : "كان رسول الله (يدخل على أم حرام بنت ملحان (1) ، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله (، فأطعمته، وجعلت تَفْلِي رأسه، فَنَامَ رسول الله (، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت فقلت : وما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي غُرِضُوا على غُرَاةٍ في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحر مُلُوكاً على الأَسِرَّةِ أو مِثْلَ المُلُوكِ على الأَسِرَّةِ، شكَّ -إسحاق- قالت فقلتُ : يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله (، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك 0 فقلتُ : وما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناسٌ من أمتي غُرِضُوا على غُرَاةٍ في سبيل الله -كما قال في الأول- قالتُ فقلتُ: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال : أنت من الأولين 0 فركبتِ البحرَ في زمن معاويةَ بن أبي سفيان فُصِرَعَتْ عن دَابَّتِها حين خرجتُ من البحرِ فَهَلَكْتُ " (2)

(1) أم حرام : هى أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارية الخزرجية - زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، وخالة أنس ابن مالك، ولا يصح لها اسم، وكان رسول الله (يكرمها ويزورها في بيتها، ويقيل عندها، = ودعا لها بالشهادة، ماتت في خلافة سيدنا عثمان (انظر في ترجمتها : اسد الغابة 7/304، 305 رقم

7411، والإصابة 441/4 رقم 11971، والاستيعاب 1931/4 رقم 4137، وتجريد أسماء الصحابة 316/2، وتاريخ الصحابة ص 276 رقم 1573 0
(2) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء 13/6 رقمى 2788، 2789، وباب فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم 22/6 رقمى 2799، 2800، وباب غزو المرأة فى البحر 89/6 رقمى 2877، 2878، وباب ركوب البحر 103/6 رقمى 2894، 2895، وباب ما قيل فى قتال الروم 120/6 رقم 2924، وكتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقالَ عندهم 73/11 رقمى 6282، 6283، وكتاب التعبير، باب رؤيا النهار 408/12 رقمى 7001، 7002، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإمارة، باب فضل الغزو فى البحر 65/7 رقم 1812 0

(97/3)

0

... بالحديثان السابقان طعن أعداء السنة المطهرة، فى عدالة الإمام البخارى، وفى صحيحه الجامع، وزعموا أن الروايات السابقة يلزم منها أن تكون هناك علاقات خاصة مع النبى (، وهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه 0

يقول أحمد صبحى منصور : يريدنا البخارى أن نصدق أن بيوت النبى التى كانت مقصدا للضيوف، كانت لا تكفيه، وأنه كان يترك نساءه بعد الطواف عليهن ليذهب للقيلوله عند امرأة أخرى، وأثناء نومه كانت تقوم تلك المرأة بجمع عرقه وشعره، وكيف كان يحدث ذلك ... يريدنا البخارى أن نتخيل الإجابة ... ونعوذ بالله من هذا الإفك ثم يؤكد البخارى على هذا الزعم الباطل بحديث أم حرام القائل، كان رسول الله يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله فأطعمته، وجعلت تغلى رأسه، فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت وما يضحكك يا رسول الله؟ إلخ 00 فالنبى على هذه الرواية المزعومة تعود الدخول على هذه المرأة المتزوجة، وليس فى مضمون الرواية وجود للزوج، أى تشير الرواية إلى أنه كان يدخل عليها فى غيبة زوجها، ويصور البخارى كيف زالت الكلفة والاحتشام بين النبى وتلك المرأة المزعومة،

إذ كان ينام بين يديها وتغلى له رأسه وبالطبع لا بد أن يتخيل القارئ موضع رأس النبي بينما تغليها له تلك المرأة في هذه الرواية الخيالية، ثم بعد الأكل والنوم يستيقظ النبي من نومه، وهو يضحك ويدور حديث طويل بينه وبين تلك المرأة نعرف منه أن زوجها لم يكن موجوداً وإلا شارك في الحديث⁰ وصيغة الرواية تضمنت كثيراً من الإيحاءات والإشارات المقصودة، لتجعل القارئ يتشكك في أخلاق النبي⁰ فتقول الرواية "كان رسول الله يدخل على أم حرام فتطعمه ... " والبخاري هنا ينزل بالنبي الى درك التشبيه بالحيوانات الأليفة التي تدخل البيوت، فيعطف عليها حريم البيت ويطعمونها⁰ ولاحظ اختيار لفظ الدخول على المرأة، ولم يقل كان يزور، ثم يقول عن المرأة "وكانت

(98/3)

أم حرام تحت عبادة بن الصامت" فهنا تنبيه على أنها متزوجة، ولكن ليس لزوجها ذكر في الرواية ليفهم القارئ أنه كان يدخل على تلك المرأة المتزوجة في غيبة زوجها، ثم اختيار اسم المرأة "أم حرام" ليتبادر إلى ذهن القارئ أن ما يفعله النبي حرام وليس حلالاً⁰ ثم يضع الراوي - بكل وقاحة- أفعالاً ينسبها للنبي -عليه السلام- لا يمكن أن تصدر من أى إنسان على مستوى متوسط من الأخلاق الحميدة، فكيف بالذى كان على خلق عظيم ... عليه الصلاة والسلام، فيفتري الراوي كيف كانت تلك المرأة تطعمه، وتغلى له رأسه، وينام عندها، ثم يستيقظ ضاحكاً ويتحدثان ... نعوذ بالله من الافتراء على رسول الله ... ويتركنا البخاري بعد هذه الإيحاءات المكشوفة، نتخيل ما معنى أن يخلو رجل بامرأة متزوجة في بيتها، وفي غيبة زوجها، وأنها تطعمه وتغلى له رأسه، أى أن الكلفة قد زالت بينهما تماماً، وأنها تعامله، كما تعامل زوجها ... ثم يقول "وجعلت تغلى له رأسه فنام رسول الله ثم استيقظ ... " ولا بد أن القارئ سيسأل براءة ... وأين نام النبي، وكيف نام، وتلك المرأة تغلى له رأسه، وآلاف الأسئلة تدور حول هدف واحد هو ما قصده البخاري بالضبط (1) 0

والجواب :

(1) لماذا القرآن ص 92-94، وقراءة في صحيح البخاري ص 41-46 كلاهما لأحمد صبحي منصور، وانظر : دين السلطان لنيازی عز الدين ص 530، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص

73، 75، وأهل السنة شعب الله المختار ص 272، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 61-124، ثلاثتهم لصالح الورداني⁰

(99/3)

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي رداً على أحمد صبحي منصور، وعلى من قال بقوله قال :
"إن قصة أم سليم، وأم حرام، والتي لم يتورع أحمد صبحي منصور أن يتخذ منها تكأة للتشويش على شخصية النبي (، وهو يوهم البسطاء أنه من المحبين له المدافعين عنه، وهو لا يعلم أن التفصيل في نفي النقص عن الكاملين نقص، خصوصاً إذا دخل في شيء من التفصيل الممل، أو لعل صاحبنا يعلم هذه الجزئية، ويستغلها في تشويه صورة النبي (، والتقليل من هيئته في نفوس أتباعه، وهذا مطمع قد طمع فيه من هم أكثر من صاحبنا بصراً بالمنهج، ومن هم أكثر منه حيلة بأساليب البحث والدرس، ومن هم أشد منه قوة وأعز نفراً، فما استطاعوا أن يظهروا به وما استطاعوا أن ينالوا من جدار العز للنبي (نقباً⁰

والشيء الذي لم يعرفه هؤلاء، أن الروايات مجمعة تقريباً على أن النبي كان يكثر من التردد، والأكل والشرب، عند أم سليم، وأم حرام⁰
والباحث الحصيف يسأل هل هناك شيء من العلاقة بين هاتين المرأتين الجليلتين؟

... والروايات تجيب أن أم سليم، وأم حرام أختان، يقال لأحدهما الرميضاء، وللأخرى الغميضاء، لا بعينها، فمنهم من يقول : إن الرميضاء بالراء هي أم حرام، والغميضاء بالعين هي أم سليم، ومنهم من يعكس (1) ⁰

... والرميضاء، والغميضاء : لفظان يدلان على حالتين في العين متشابهتين، وهما حالتان خلقيتان ليس بالعين معهما من بأس⁰

(1) انظر : فتح الباري 75/11 رقمي 6282، 6283 ⁰

(100/3)

... وأم سليم هي أم أنس بن مالك (، وأم حرام خالته، وأنس بن مالك كان في صباه يخدم النبي عشر سنين وكان النبي يعامله معاملة تناسب أخلاق النبوة يقول أنس : خدمت النبي عشر سنين، فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء تركته لما تركته (1) 0

... هؤلاء ثلاثة ليسوا من المجاهيل في الصحابة والصحابيات، وما الذي جعل علاقة النبي بهم على هذا المستوى من الاهتمام، وكثرة السؤال عنهم0 إن هذا لا يكون إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون هناك درجة من القرابة تجعل المرأتين من محارم النبي (، سواء أكان ذلك من جهة النسب كما قال بعض المؤرخين، أو كان من جهة الرضاعة كما قال البعض الآخر (2) 0 وإلا فهل يمكن عقلاً للنبي (، أن يخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه؟

وهل يمكن عقلاً أو اتفاقاً أن تقوم علاقة غير مشروعة وحاشاه بينه وبين أختين في وقت واحد؟ وهل يجيز المنطق أو العادة أن يسمح النبي لغير قريبه من الصبيان أن يخدمه في بيته عشر سنوات كاملات؟ وهل يعقل أن يترك أهل الكفر والنفاق - زمن النبوة - مثل هذا الموقف دون استغلاله في الطعن في النبي (، وفي نبوته؟ أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التي لا تخطئ، والدلالات التي تورث اليقين بأن النبي (، كان قريباً قرابة محرمة لأم سليم، وأختها أم حرام0

(1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" في عدة أماكن منها كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل 471/10 رقم 6038، ومسلم "شرح النووي" كتاب الفضائل، باب كان رسول الله (أحسن الناس خلقاً 76/8، 77 رقم 2309 0

(2) انظر : فتح البارى 80/11، 81 رقمى 6282، 6283، والمنهاج شرح مسلم للنووى 67/7

وخصوصاً وأن بعض الروايات تقول كان النبي (، يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه (1) ، ورواية تقول : "نام النبي (، فاستيقظ وكانت تغسل رأسها، فاستيقظ وهو يضحك، فقالت : يا رسول الله أتضحك من رأسي قال لا" (2) 0

وقد يقول قائل قريبات النبي (معروفات، وليس منهن أم سليم ولا أم حرام 0 والجواب أننا نتحدث عن مجتمع لم يكن يمسك سجلات للقربات، وخاصة إذا كانت القرابة في النساء، فهناك قريبات كثيرات أغفلهن التاريخ في هذا المجتمع وأهملهن الرواة (3) 0

قال الإمام النووي - رحمه الله - قوله : "أن النبي (كان يدخل على أم حرام بنت ملحان، فتطعمه، وتغلى رأسه، وينام عندها" 0

اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له (، واختلفوا في كيفية ذلك 0 فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجدّه، لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار 0 وقوله : "تَغْلِي" بفتح التاء وإسكان الفاء وكسر اللام أى تفتش ما فى الرأس، وتقتل القمل منه، ولا يعنى وجود ذلك فى رأس النبي (0 وأخذ من ذلك الحديث جواز فلى الرأس، وقتل القمل منه، وجواز ملازمة المحرم فى الرأس وغيره مما ليس بعورة، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها، وهذا كله مجمع عليه (4)

... يقول فضيلة الدكتور طه حبيشى : "بقى أن يتشدد صاحبنا فيقول : هب أن ذلك صحيح "وهو صحيح قطعاً" فكيف يدخل النبي بيتاً محرمة، وهى أم حرام من غير إذن زوجها عبادة بن الصامت؟

-
- (1) أخرجه مسلم "شرح النووي" كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي (95/8 رقم 2331 0
 - (2) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فضل الغزو فى البحر 7/3 رقم 2492 0
 - (3) انظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 204 هامش 0
 - (4) المنهاج شرح مسلم للنووى 67/7 0

والجواب أن أم حرام كانت قد تزوجت مرتين، تزوجت مرة قبل عبادة بن الصامت وأنجبت، ثم قتل ابنها شهيداً في إحدى معارك الإسلام، وبقيت بغير زواج لكبر سنّها، ثم شاء الله أن تتزوج بعبادة بن الصامت، ويبقى معها بعد انتقال النبي (، وقد وقع ذلك في كلام أنس بن مالك نفسه، وهو يحدث عن خالته بالحديث الذي هو موضوع كلامنا الآن، ففي بعض روايات الحديث قال : ثم تزوجت بعد ذلك بعبادة بن الصامت⁰

أما هذه الجملة التي وقع عليها صاحبنا وهي الواردة في بعض روايات هذا الحديث وهي - كانت تحت عبادة بن الصامت - فقد أجمع العلماء أن هذه الجملة معترضة، وهي من كلام الراوي يشرح بها حال أم حرام حين ذهبت إلى بلاد الشام، أو إلى جزيرة قبرص، وماتت بها⁰ قال الحافظ ابن حجر : والمراد بقوله هنا "وكانت تحت عبادة" الإخبار عما آل إليه الحال بعد ذلك، وهو الذي اعتمده النووي، وغيره تبعاً لعياض" (1) 0

... أما ما زعمه أحمد صبحي، وحاول إيهام القارئ به من أن روايات الحديث فيها أن النبي (، كان يبادل أم حرام كلمات غير مقبولة، وحاشاه⁰

(1) فتح الباري 75/11، وانظر : المنهاج شرح مسلم للنووي 69/7 رقم 1812 0

(103/3)

فيقول رداً على ذلك فضيلة الدكتور طه حبيشي : "نعم، النبي (، كان عند أم حرام، ونام عندها، واستيقظ يضحك، وسألته أم حرام عن الأمر الذي يضحك منه، فأخبرها أن أناساً من أمته سيركبون البحر ظهره، ووسطه، ويكونون فيه، وهو أمر فيه أمثال الملوك على الأسرة، وهذا أمر يسعد النبي (، ويرضيه، لما فيه من المخاطر ما فيه، إن فيه خطر ركوب البحر، وفيه الجهاد وما في الجهاد من أهوال، وفيه احتمال الموت والشهادة، وأم حرام تعرف ذلك وتدركه، ثم تطمع فيه وتبتغيه، وتسأل النبي الذي لا ترد دعوته وتقول له: سل الله أن يجعلني منهم، والنبي سأل ربه، واستجاب له ربه (، فسألته أم حرام بعد أن نام المرة الثانية في الوقت نفسه وقام يضحك، مم تضحك يا رسول الله؟ فقال كما

قال فى الأولى : إن أناساً من أمتى سىركبون البحر مثل الملوك على الأسرة، قالت : يا رسول الله أنا منهم قال، لا، أنت من الأولين0

... ومرت الأيام وركبت أم حرام مع زوجها، وعلى ساحل البحر ركبت دابة فسقطت من على دابتها فماتت، وقبرها على رأى البعض ما يزال ظاهراً، يعرفه الناس فى قبرص باسم قبر المرأة الصالحة0

أى حديث هذا الحديث الذى جرى بين النبى وبين أم حرام، إنه حديث عن المخاطر والأهوال، وهو حديث عن الموت والشهادة، وهو حديث عن استكمال الذات إلى ساعة الممات، وهو حديث فرح النبى (، بأتمته حين ينتشرون بالدين ويحملون لواء الجهاد0 إن مثل هذا الحديث : هو حديث الرجولة والكمال، وهو حديث الطمع فى رحمة الله ورضوانه0 فما علاقة مثل هذا الحديث الشاق بأحاديث الرضا ومتابعة هوى النفس0

إن المرء لىسمع الحديث المستقيم، فيدركه على وجهه، إن كان سليم النفس، حسن الطوية وهو ينحرف به إذا كان إنساناً مريض النفس معوجاً، وهل ينضح البئر إلا بما فيه، وهل يمكن أن تنطلب من الماء جذوة نار؟ أو نغترف من النار ماء؟
وقديماً قالوا : إن كل إناء بما فيه ينضح0

(104/3)

أشهد أن الله (قد قال فى نبيه) : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1) 0

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

المبحث الرابع

شبه الطاعنين فى حديث سحر النبى)

والرد عليها

... روى البخارى ومسلم : عن عائشة -رضى الله عنها- قالت : "سحر رسول الله (، يهودى من

يهود بنى زريق يقال له : لَبِيدُ بن الأَعْصَمِ 0 قالت : حتى كان رسول الله (، يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله (0 ثم دعا 0 ثم دعا 0 ثم قال : يا عائشة! أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد إحداهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي، للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي، للذي عند رأسي : ما وجع الرجل؟ قال : مطبوب قال : من طبه؟ قال : لَبِيدُ بن الأَعْصَمِ 0 قال في أى شيء؟ قال في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ 0 قال وَجِبَ طَلْعَةٍ ذَكَرَ 0 قال فأين هو؟ قال : في بئر ذى أَرْوَآنَ 0 قالت : فأتاه رسول الله (في أناس من أصحابه 0 ثم قال : "يا عائشة! والله! لكانَ ماءها نُقَاعَةً الحِنَاءِ وَلَكانَ نُحْلَها رُءُوسُ الشياطين" 0

... قالت : فقلت : يا رسول الله! أفلا أحرقتُ؟ قال "لا 0 أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أُثِيرَ على النَّاسِ شَرًّا 0 فَأَمَرْتُ بها فَدُ فِتَتْ" (2) 0

(1) الآية 4 من سورة القلم، وانظر : السنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 202 – 206 0

(2) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر 10/243 رقم 5765، وباب السحر 10/246 رقم 5766، وفي كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" 10/494 رقم 6063 وفي كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده 6/385 رقم 3268، وفي كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء 11/196 رقم 6391، ومسلم "بشرح النووى" كتاب السلام، باب السحر 7/429 رقم 2189 0

(105/3)

... أنكر هذا الحديث بعض المبتدعة قديماً على ما حكاه عنهم غير واحد من الأئمة 0

قال الإمام النووى "وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب أنه يحط من مقام النبوة وشرفها ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع" (1) وتابع المبتدعة طعناً في الحديث أذيالهم من الرافضة، ودعاة اللادينية (2) 0

-
- (1) المنهاج شرح مسلم 430/7، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص 164 0
- (2) انظر : لماذا القرآن ص 109-111، وقراءة في صحيح البخارى ص 36، كلاهما لأحمد صبحي منصور، وأهل السنة شعب الله المختار ص 68، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 258، 268 وما بعدها، كلاهما لصالح الورداني، وأضواء على السنة لحمود أبو رية ص 378، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ص 287، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص 194، = 195، وعلم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب ص 106 وما بعدها كلاهما لأحمد حجازي السقا، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص 237، وغيرهم 0

(106/3)

وتأثر بتلك الطعون من علماء المسلمين الإمام محمد عبده (1) - رحمه الله - وتابعه على ذلك من سار على طريقته من علماء المسلمين، وقال بقولهم بعض أذعياء العلم 0

-
- (1) محمد عبده : هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله، إمام فقيه، مفسر، متكلم، أديب لغوي، كاتب صحافي سياسي، له باعه الطويل في مجال الإصلاح العلمي، والاجتماعي، ولكنه مع هذا كان قليل البضاعة في الحديث، وكان يرى في الاعتماد على المنطق والبرهان العقليين خير سلاح للدفاع عن الإسلام، ومن هذين العاملين، وقعت له آراء في السنة ورواقتها، وفي العمل بالحديث، والاعتداد به، ما صح أن يتخذه مثل "أبي ربه"، "وأحمد صبحي منصور"، "والسيد صالح أبو بكر"، وغيرهم من أعداء السنة، تكأة يتكئون عليها، في تشكيكهم وطعنهم في السنة المطهرة 0 من مؤلفاته "رسالة التوحيد" و "الإسلام والنصرانية العلم والمدينة"، "شرح نهج البلاغة، وغير ذلك مات سنة 1323هـ 1905م، انظر : في ترجمته السنة بين دعاة الفتنة وأذعياء العلم للدكتور عبد الموجود ص 236، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص 30، والمجددون في الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ص 534-535، وتاريخ الأستاذ الإمام رشيد رضا 16/1، ومجلة المنار المجلد 9/276 - 281، والإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص 11-114، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي 124-187 0

(107/3)

... قال الإمام محمد عبده رحمه الله : "نعلم أن البخارى أصدق كتاب بعد كتاب الله، وأنا لا أشك أن البخارى سمع هذا من أساتذته، والبخارى يشترط في أحاديثه المعاصرة واللقاء، إلا أننى أرى أن هذا لم يحدث مع النبى (، وإن كان قد دس من الإسرائيليات إلى مشايخ البخارى الذين أخذ منهم، وإلا فإننا إن قد صدقنا أن النبى (، قد سحر فقد صدقنا كلام الظالمين، (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (1) 0 وإن صدقنا أن النبى (، قد سحر فقد كذبنا الله سبحانه وتعالى القائل فى كتابة الحكيم : (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) (2) وقال (: (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا) (3) وقال (: (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) (4) قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ(44)لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(45)ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) (5) 0

(1) الآية 8 من سورة الفرقان 0

(2) الآية 212 من سورة الشعراء 0

(3) الآية 9 من سورة الجن 0

(4) الآية 8 من سورة الصافات 0

(5) الآيات 44، 45، 46 من سورة الحاقة 0

(108/3)

ثم قال : وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن المظنون على أى حال فلنا، بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل، فإنه إذا خولط النبى فى عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً، وهو لم يبلغه أو أن شيئاً نزل عليه، وهو لم ينزل عليه، والأمر هنا ظاهر لا يحتاج إلى بيان 0 ثم ختم كلامه قائلاً : "أحب أن أكذب البخارى، من أن أنسب إلى رسول الله (، أنه سحر" (1) 0

والجواب على الشبه السابقة فيما يلى :

أولاً : إن الحديث صحيح، وثابت، بأصح الأسانيد في أصح الكتب بعد كتاب الله (فقد رواه الشيخان في صحيحيهما، ولا يصح لنا أن نقول بصدق البخارى ثم نكذب شيوخه فإن ما يجرى على شيوخه، يجرى عليه، ولا يصح لنا أن نكذب البخارى وروايته، اعتماداً على رأى ليس له من حظ في توثيق الأخبار، وإقرار الحقائق من قريب أو بعيد، ولو أننا سلمنا جدلاً بصدق معطيات العقل لأتينا على كثير من السنة، بل وعلى كثير من آيات القرآن الكريم نفسه (2) 0

(1) تفسير جزء عم ص 180-183، وانظر : مجلة المنار المجلد 697/12، والمجلد 104/29، وغيرهم ممن ذكرهم عبد المجيد محمد صالح في كتابه "صواعق الحق المرسله على الجنين والكهان والسحرة" ص 120-165 0

(2) السنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم للأستاذ الدكتور عبد الموجود ص 239 0

(109/3)

يقول فضيلة الدكتور محمد الذهبي - رحمه الله - : "إن حديث سحر رسول الله (، رواية البخارى، وغيره من كتب الصحيح، ولكن الأستاذ الإمام، ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخارى وغيره، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخارى، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعرف أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن (1) 0

وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التى هى بالنسبة للكتاب بمنزلة المئين 0 وقد قالوا : إن البيان يلتصق بالمئين (2) 0

يقول الدكتور عبد الغفار عبد الرحيم : "وأما قول الأستاذ الإمام عن حديث السحر، وعلى أى حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث، ولا نحكمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل" 0

فهذا كلام خطير جداً يفتح ثغرة ضد الثابت الصحيح من السنة كما يفتح مجالاً لقالة السوء في الصدام بين الكتاب والسنة، بينما حدد لنا الرسول في حديثه الصحيح "تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى" (3) 0

كما أن الأستاذ الإمام قد ترك للحاقدين فرصة الهجوم عليه بهذا السبب، ويجعله الأخذ بالكتاب، وبدليل العقل فقط، هذا أمر دفع تلميذه محمد رشيد رضا إلى القول : بأن الأستاذ الإمام كان ضعيفاً في الحديث، كما أنه وحتى الآن محل نقد من رجال السنة، مما جرهم إلى التهجم عليه، وعلى أفكاره، بينما أبان هو عن هدفه من ذلك وجعله محدداً في قوله: "وقد قال الكثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة، ولا ما يجب لها، أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به"0

(1) راجع إن شئت ما سبق في مبحث (ما يفيد خبر الآحاد من العلم عند الجمهور) ص 546-551

(2) التفسير والمفسرون 0 241/3

(3) سبق تخريجه ص 47 0

(110/3)

... ويبدو أن الأستاذ الإمام قد أبدى بعض التراجع عن هذه الفكرة عندما قال : "ثم إن نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقاً" مع أنه قد أقر سابقاً بأن السحر إما حيلة وشعوذة وإما صناعة علمية خفية، يعرفها بعض الناس، ويجهلها الآخرون ... إلى أن قال : "أن السحر يتلقى بالتعليم، ويتكرر بالعمل فهو أمر عادي قطعاً بخلاف المعجزة"0

ثم يجعل بعد ذلك نفي السحر بالمرة ليس بدعة، لأن الله تعالى لم يذكره ضمن أية (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (1) ويجعل سحر سحرة فرعون ضرباً من الحيلة ويستدل بقوله تعالى : (يُحْيِيهِ إِلَهِهِ مِنْ سِحْرِهُمْ أَمْهَا تَسْعَى) (2) "وما قال أنها تسعى بسحرهم" مع أن أقوى دليل يمكن أن يرد به على الأستاذ الإمام قوله تعالى : (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَغْفَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ) (3) 0

فكيف غاب عن الأستاذ الإمام النظر في هذه الآية، وكيف كان يمكن له أن يفسرها على خلاف ما

هى عليه من إثبات حقيقة السحر لا كونه تخيلاً أو وهماً⁰

أما الحديث فقد ثبت فى صحيح البخارى، وهو مرجع أساسى للسنّة، فلو شككنا فى حجّية الثابت فى البخارى، فكيف يقبل الناس بعد ذلك حديثاً ورد فى كتب الصحاح أو فى رواية عن غير طريق البخارى؟!⁰

(1) الآية 285 من سورة البقرة⁰

(2) الآية 66 من سورة طه⁰

(3) الآية 116 من سورة الأعراف⁰

(111/3)

وما دفع الأستاذ الإمام من عاطفة تنزيه مقام النبوة أو محاولة إظهار الإسلام بمظهر لا يكون فيه موضع اتهام من أعداء الإسلام، أو محاربة السحر كخرافة بعد أن توسع الناس فى عمل أشياء تتنافى مع عظمة الإسلام، وإنكاره لمظاهر الكهانة والسحر، والشعوذة⁰

وهذه إن جاز أن تكون دوافع الأستاذ الإمام فلا يجوز أن تكون بحيث تصادم الثابت الصحيح، وهو الذى كثيراً ما وقف عند الثابت عن المعصوم لا يتعداه، ولا يحاول تأويله، ويسلم به تسليم معتقد لما جاء به، حيث لا مجال للعقل فيه⁰

ثم ما هو الدافع؛ لأن يتأثر الأستاذ الإمام بالمعتزلة فى ذلك ويحاكى رأيهم وهو الذى كثيراً ما نعى على التقليد والمقلدين وكان أولى به أن يأخذ برأى الإمام "ابن قيم الجوزية" عندما قال فى هذا الشأن : "وأما قولكم أن سحر الأنبياء ينافى حماية الله لهم فإنه سبحانه كما يحميهم، ويصونهم، ويحفظهم، ويتولاهم، يبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم، ليستوجبوا كمال كرامته، وليتأسى بهم من بعدهم من أمهم، إذا أودوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا، ورضوا، وتأسوا بهم" (1) ⁰

ومن أجل ذلك أثبت علماء الإسلام هذا الحديث، وأوجدوا له مخرجاً يتفق مع سلامة النسبة إليه

ومع مكانة النبوة، فقالوا :

أولاً : الزعم بأن الحديث يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، هذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل (2) 0

(1) تفسير المعوذتين لابن قيم الجوزية ص41، وانظر : الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير

للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص 259-261 0

(2) المنهاج شرح مسلم النووى 429/7 0

(112/3)

ثانياً : أن سحر الرسول (، يرفع من مقام النبوة وشرفها ولا يحط من شأنها؛ فالرسول (، لم يكن معصوماً من الأمراض فلقد كان يأكل، ويشرب، ويمرض، وتجري عليه كل النواميس المعتادة التى أودعها الله فى ولد آدم، وليس فى السحر على الهيئة الواردة ما ينقص من قدره كإمام لسائر الأنبياء والمرسلين (1) 0

... قال القاضى عياض : "وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده، وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده 0 ويكون معنى قوله فى الحديث : "حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتينهم" ويروى : "يخيل إليه" بالمضارع كلها : أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتفن، ولم يتمكن من ذلك كما يعتزى المسحور 0

بل وكما يعتزى الرجل السليم قوى البدن، الحطم للأرقام القياسية فى رفع الأثقال، يظن تحطيم رقم قياسى أعلى، وعند محاولة الرفع لا يستطيع، ومثل ذلك أيضاً الإنسان فى حالة النقاهاة من المرض، يظن أن به قدرة على الحركة، وعندما يهيم بذلك لا تحتمله قدماه 0

قال القاضى عياض : وكل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليه فعل شئ ولم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس فى ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعنأ

- (1) انظر : السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيلة الدكتور عبد الموجود ص 239،
والسحر والسحرة والوقاية من الفجرة للأستاذ تاج الدين نوفل ص 29، 63، 64 0
(2) المنهاج شرح مسلم للنووي 431/7 بتصرف، وانظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي
عياض 180/2-183 0

(113/3)

ثالثاً : أن عصمة الرسول (،) الواردة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (1) العصمة هنا المراد بها عصمته (،) من القتل، والاغتيال، والمكائد المهلكة، وحمل بعض العلماء العصمة هنا على أنها عصمة من الغواية، والهوى، والضلال، وعدم الوقوع في المعاصي والمنكرات، وليست العصمة من الأمراض كما سبق أن ذكرنا، بل الأنبياء جميعاً غير معصومين من المرض غير المنفرد 0 فهم جميعاً تجرى عليهم كل النواميس المعتادة التي أودعها الله في ولد آدم (2) 0
رابعاً : إن القول بأن الحديث معارض للقرآن الكريم، ويصدق المشركين في قولهم : (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (3) مردود بأن المشركين كانوا يقولون إن محمداً بشر، وأنه فقير، وأنه لا يعلم الغيب، فهل نكذبهم في ذلك؟!

ثم إننا نعلم يقيناً، أن الكفار لا يريدون بقولهم هذا، أن يثبتوا لرسول الله (،) ما أثبتته هذا الحديث، وهو أن فلاناً من اليهود سحره بضعة أيام، فأدركه شيء من التغير، وخيل إليه أنه يفعل بعض الشيء، وهو لا يفعله، ثم أن الله شفاه من ذلك، هم لا يريدون هذا، بل يريدون أن رسول الله إنما يصدر عن خيال وجنون، وأنه لم يوح إليه شيء، فإذا آمنا بما دل عليه الحديث لم نكن مصدقين للمشركين في دعواهم، فمفهوم الحديث شيء، ودعواهم شيء آخر 0

(1) الآية 67 من سورة المائدة 0

- (2) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 77/2-79، والإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير

للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص 259 0

(3) الآية 8 من سورة الفرقان 0

(114/3)

خامساً : زعمهم أن السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، أما من تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان، ولا للشيرين عليهم من سلطان، قال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (1) 0

... هذا الزعم مردود عليهم بقوله تعالى عن أيوب عليه السلام : (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) (2) وأخبر (عن سيدنا موسى - عليه السلام - أنه لما قتل القبطى قال: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) (3) 0

... والاستدلال بقوله تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) على أن جميع عباد الله الصالحين ناجون من أذى الشيطان، خلاف الإجماع، والمشاهد، والنصوص السالفة، والآية تفيد بلا شك أن العباد الصالحين سالمون من إغوائه وإضلاله، كما قال في الآية الأخرى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي مَغْوِيٌّ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (4) 0

(1) الآية 42 من سورة الحجر 0

(2) الآية 41 من سورة ص 0

(3) الآية 15 من سورة القصص 0

(4) الآيتان 39، 40 من سورة الحجر 0

(115/3)

وبعد فإن الحجة على جواز السحر للأنبياء ثابتة بقول رب العزة : (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُنْقِى وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (1) فقد صرحت الآية بأن سحر أولئك السحار، قد أوقع نبي الله موسى في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، والساكنات متحركات ... 0

إذاً فالحديث صحيح الإسناد والمعنى ولا يعارضه القرآن الكريم ولا المعقول، فوجب قبوله والإيمان به" (2) 0

... قال الإمام المازرى رحمه الله : "مذهب أهل السنة، وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكر ذلك، ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له" 0

(1) الآيات 65-68 من سورة طه 0

(2) مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها للأستاذ عبد الله بن علي النجدي القصيمي ص 48-58
بتصرف، وانظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 168 0

(116/3)

وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كل يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال (1) 0هـ والله أعلم 0

(1) المنهاج شرح مسلم للنووي 430/7، ومقدمة ابن خلدون ص 551، وللإستزادة في الجواب عن الحديث انظر : كتاب السحر بين الحقيقة والخيال للدكتور أحمد ناصر الحمد، ففي الكتاب بحث قيم في موضوع سحر النبي (، أجاب فيه عن شبهات المعتزلة، وغيرهم حول موضوع هذا الحديث انظر : ص 112-126 من الكتاب المذكور، وانظر : ضلالات منكرى السنة للأستاذ الدكتور طه حبيشي ص 400 - 411 0

(117/3)

الفصل السابع

حديث رضاعة الكبير

شبهات الطاعنين فيه والرد عليها

... عن عائشة -رضي الله عنها- أن سالماً (1)

(1) سالم هو : سالم بن معقل، مولى أبي حذيفة، كان من أهل فارس، أعتقته مولاته زوج أبي حذيفة، واسمها بثينة، أعتقته سائبة دون ولاء لها، فتولى أبا حذيفة، فكان ينسب إليه، فيقال : سالم بن أبي حذيفة حتى نزلت "مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ"(4) اذْعَوْهُمْ لِأُبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ" جزء من الآيتين 5،4 من سورة الأحزاب 0 وعد في المهاجرين وروى أنه هاجر مع عمر، وكان يوم المهاجرين بقباء وفيهم عمر قبل أن يقدم رسول الله (المدينة، وكان إذا سافر مع أصحابه يؤمهم، لأنه كان أكثرهم قرآناً، وكان قد جاوز البلوغ في بدر، فشاهدها، والظاهر أن ملابسات حديثنا كانت في هذه السن، وشهد اليمامة وكان معه لواء المهاجرين فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت، فاعتنقه إلى أن صرع، هو ومولاه أبو حذيفة، فوجد رأس أحدهما عند رجلى الآخر، وذلك سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وكان عمر يحبه ويقدره، حتى قال (بعد أن طعن : لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى 0 وهو من القراء الذين قال رسول الله (، عنهم "خذوا القرآن من أربعة من أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وابن مسعود" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة (127/7 رقم 3758، ومسلم "بشرح النووى" كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضى الله عنهما 253/8 رقم 2464، وفي الحديث أن عائشة (قالت أبطأت على النبي (فقال ما حبسك يا عائشة! قالت : يا رسول الله إن في المسجد رجلاً ما رأيت أحداً أحسن قراءةً منه قال فذهب رسول الله (، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال رسول الله ("الحمد لله الذى جعل فى أمى مثلك" 0 أخرجه أحمد فى مسنده جزء 6 ص 165، والحاكم فى المستدرک کتاب الصحابة، باب ذکر مناقب سالم مولى أبي حذيفة 250/3 رقم 5001، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح 300/9، وفى الحديث أيضاً عن عمرو بن العاص، قال : "كان فرع

بالمدينة فأُتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بحمائل سيفه فأخذت سيفاً فاحتبيت بحمائله فقال رسول الله (، "يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله، ثم قال ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان" رواه أحمد في المسند 203/4 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 300/9 رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح⁰ "رضي الله عن سالم، وعن الصحابة أجمعين"⁰ انظر في ترجمته : اسد الغابة 382/2 رقم 1892، والاستيعاب 567/2 رقم 881، والإصابة 6/2 رقم 3059، وتاريخ الصحابة ص 117 رقم 537، ومشاهير علماء الأمصار ص 31 رقم 101 0

(118/3)

مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة (1)

وأهله في بيتهم⁰ فأُتت (تعني ابنة سهيل) (2) النبی (0) فقالت : إن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً⁰ فقال لها النبي (: "ارضعيه تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة" فرجعت، فقالت : إني قد أرضعته، فذهب الذي في نفس أبي حذيفة" (3) 0

(1) أبو حذيفة هو : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة⁰ وكان من فضلاء الصحابة، جمع الله له الشرف والفضل⁰ وكان إسلامه قبل دخول رسول الله (، دار الأرقم⁰ ولما هاجر إلى الحبشة عاد منها إلى مكة، فأقام مع رسول الله (حتى هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها== مع رسول الله (، وقتل يوم اليمامة شهيداً، وهو مولى سالم الذي أرضعته زوجته سهيلة كبيراً، وكان سالم أيضاً من سادات المسلمين⁰ انظر في ترجمته : اسد الغابة 68/6، رقم 5807، والاستيعاب 1631/4 رقم 2914، والإصابة 42/4 رقم 9760، وتاريخ الصحابة ص 81 رقم 326، ومشاهير علماء الأمصار ص 33 رقم 117 0

(2) ابنة سهيل هي : سهيلة بنت سهيل بن عمرو القرشية، من بني عامر بن لؤي، وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وهي من السابقين إلى الإسلام، وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة، ولا عقب له، وهي أيضاً أم سليط بن عبد الله بن الأسود القرشي العامري، وأم بكير بن شماخ بن سعيد بن قائف، وأم سالم بن عبد الرحمن بن عوف، وهي التي

أرضعت سالماً مولى أبي حذيفة وهو رجل 0 انظر : في ترجمتها اسد الغابة 155/7 رقم 7027،
والإستيعاب 1865/4 رقم 3389، والإصابة 336/4 رقم 11352، وتاريخ الصحابة ص 130
رقم 628، وتجريد أسماء الصحابة 2/279 0
(3) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) مختصراً في كتاب النكاح، باب الأكفاء في
الدين 34/9 رقم 5088، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير 286/5 رقم
0 1453

(119/3)

... بهذا الحديث طعن بعض الرافضة، وأدعياء العلم، في صحيح الإمام البخارى، وزعموا أن الحديث
يتعارض مع القرآن الكريم والعقل 0

يقول ابن الخطيب (1) : "هل يجوز لعاقل يؤمن بالله واليوم الآخر، بعد أن قرأ قوله تعالى : (قُلْ
لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (2) أن
يصدق هذا الحديث، أو أن يعيره بالأ؟! ولكن رواية هذا الحديث في المسانيد معنعناً مطولاً : دعت
كثيراً من الفقهاء إلى تصديقه وبحته، والأخذ منه بجواز إرضاع الكبير!
ولنفرض أن هذه المرأة : أتت لأحد ما، وشكت له ما شكت للرسول (، أكان يقول لها : أرضعيه، أم
كان يقول لها : احتجى عنه؟! (3) 0

... ويقول في كتابه الفرقان "إن هذا الحديث وأمثاله مما دسه الدساسون الأفاكون، ليذهب ببهاء
ذلك الدين القويم! وحاشا أن يقول الرسول (ما لم يقله الله (، بل ويتناقض كل التناقض مع ما ورد
في الكتاب المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" (4) 0

... ويقول صالح الوردانى : "والذى نقوله نحن إن هذه الرواية هراء، وتبرير الفقهاء لها أكثر من
هراء 0 إذ أن المعلوم شرعاً أن حرمة الرضاع إنما تنبى على سنى الرضاعة، وهما حولين كاملين أى
السنة الأولى والثانية من عمر المولود، بعد ذلك لا عبرة برضاعة من أى ثدى، لأن اللبن لن يكون له
دور في تكوينه 0 فهل كان الرسول يجهل هذه الحقيقة 0 أم كان يمزج مع السائلة ... وهل مثل هذه
الأمر محل للمزاح؟

-
- (1) ابن الخطيب : هو محمد محمد عبد اللطيف، يعرف بابن الخطيب، كاتب مصرى، من مؤلفاته :
الفرقان، وحقائق ثابتة فى الإسلام⁰
(2) الآية 30 من سورة النور⁰
(3) انظر : حقائق ثابتة فى الإسلام لابن الخطيب ص 101، 102 09
(4) انظر : الفرقان لابن الخطيب ص 160 0

(120/3)

... إن الإجابة على هذه التساؤلات، هى أن هذه الرواية لا تخرج عن كونها هـو مصطنع على لسان أصحاب الأهواء والأغراض من الحكام، وغيرهم ونسبوها إلى الرسول، ويكفى القول إن أم سلمة وسائر أزواج النبى (رفضن أن يدخل عليهن أحد بتلك الرضاة عدا عائشة ... ومثل هذا الموقف من قبل نساء النبى إنما يعكس عدم الرضا عن هذا الأمر وعدم قناعتهم به⁰ وهو يشير إلى جهة أخرى إلى الشك فى الرواية⁰ إذ لو كانت صحيحة ثابتة عن الرسول ما اعترض عليها نسوته " (1) 0

والجواب :

... إن هذا الحديث الذى طعن فيه بعض دعاة الفتنة، وأدعياء العلم، مما تلقته الأمة بالقبول رواية ودراية⁰

أما الرواية فقد بلغت طرق هذا الحديث نصاب التواتر كما قال الإمام الشوكانى (2) 0

وأما الدراية فقد تلقى الحديث بالقبول، الجمهور من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم من علماء المسلمين إلى يومنا هذا⁰

-
- (1) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الوردانى ص 259-260، وانظر : أحاديث أم المؤمنين عائشة، أدوار من حياتها لمرتضى العسكرى ص 379-383، وفتح الوهاب لا جزية على أهل الكتاب لإسماعيل منصور ص 517-529 0
(2) انظر : نيل الأوطار 6/314 0

تلقوه بالقبول على أنه واقعة عين بسالم (لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها، ويدل على ذلك ما جاء في بعض الروايات عند مسلم عن ابن أبي مليكة أنه سمع هذا الحديث من القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة -رضي الله عنها- قال ابن أبي مليكة : فمكثت سنة أو قريباً منها لا أحدث به وَهَبْتُهُ (1) 0 ثم لقيت القاسم فقلت له : لقد حدثتني حديثاً ما حدثته بعد 0 قال : فما هو؟ فأخبرته 0 قال : فحدثه عني، أن عائشة أخبرته (2) 0 وفي رواية للنسائي، فقال القاسم : حَدَّثَ بِهِ وَلَا تَحَابُّهُ 0 (3)

... قال الحافظ ابن عبد البر : "هذا يدل على أنه حديث ترك قديماً ولم يعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومته، بل تلقوه على أنه خصوص" (4) 0

(1) "وَهَبْتُهُ" قال الإمام النووي : (هكذا هو في بعض النسخ "وهبته" من الهيبة وهي الإجلال، والواو حرف عطف، وفي بعضها "رَهْبْتُهُ" بالراء من الرهبة، وهي الخوف، وهي بكسر الهاء، وإسكان الياء، وضم التاء، وضبطه القاضي عن بعضهم "رَهْبَتُهُ" بإسكان الهاء وفتح الباء، ونصب التاء قال القاضي : وهو منصوب بإسقاط حرف الجر، والضبط الأول أحسن، وهو الموافق للنسخ الآخر (وهبته) بالواو 0 انظر : المنهاج شرح مسلم للنووي 289/5 0
(2) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير 287/5، 289 رقم 1453 0

(3) أخرجه النسائي في سننه كتاب النكاح باب رضاع الكبير 105/6 رقم 3322 0
(4) انظر: شرح الزرقاني على الموطأ 292/3، وقال الحافظ الدارمي عقب ذكره الحديث في سننه "هذا لسالم خاصة" انظر: سنن الدارمي كتاب النكاح، باب رضاعة الكبير 211/2، 210 رقم 2257 0

... وبذلك صرحت بعض الروايات، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة زوج النبي (كانت تقول : "أبي سائر أزواج النبي (أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة⁰ وقلن لعائشة: والله! ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله (لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة⁰ ولا رائينا (1) 0

... إن قصة رضاعة سالم (قضية عين لم تأت في غيره، واحتفت بها قرينة التبنى، وصفات لا توجد في غيره كما سبق في ترجمته، فلا يقاس عليه (2) 0

... فأصل قصة سالم ما وقع له من التبنى الذي أدى إلى اختلاطه بسهولة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة، وكانت تراه ابناً لها، ويدخل عليها فلا تحتشم منه، ويرأها وهي منكشف بعضها، فلما نزل الاحتجاب، ومنعوا من التبنى، شق ذلك على أبي حذيفة، وسهلة، فوقع الترخيص لهما في ذلك، لرفع ما حصل لهما من المشقة (3) 0 وهذا ما جاء في رواية الإمامين أبو داود ومالك⁰

-
- (1) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير 288/5، 289 رقم 1454
 - (2) انظر : شرح الزرقاني على الموطأ 292/3، وتأويل مختلف الحديث ص 276-279 0
 - (3) انظر : فتح الباري 53/9 رقم 5102 0

(123/3)

عن عائشة زوج النبي (، وأم سلمة -رضي الله عنهما- أن أبا حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، كان تبني سالماً، وأنكحه أبنه أخيه، هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبني رسول الله (زيداً، وكان من تبني رجالاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث ميراثه، حتى أنزل الله (: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ(4) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ(1)) ، فردوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أب كان مولى، وأخا في الدين، فجاءت سهيلة بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري، وهي امرأة أبي حذيفة⁰ فقالت : يا رسول الله، إنا كنا نرى سالماً ولدناً، وكان يأوى معي، ومع أبي حذيفة في بيت واحد، ويراني فضلاً، وقد أنزل الله (فيهم ما قد علمت،

فكيف ترى فيه؟ فقال لها النبي ("أرضعيه" فأرضعته خمس رضعات، فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة⁰

فبذلك كانت عائشة -رضي الله عنها- تأمر بنات أخواتها، وبنات إخوتها، أن يرضعن من أحببت عائشة أن يراها ويدخل عليها، وإن كان كبيراً، خمس رضعات، ثم يدخل عليها⁰
وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي (أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهمل، وقلن لعائشة : والله ما ندرى لعلها كانت رخصة من النبي (لسالم دون الناس" (2) ⁰

(1) جزء من الآيتين 5،4 من سورة الأحزاب⁰

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح، باب فيمن حرم به 223/2 رقم 2061 ⁰

(124/3)

... قال الإمام الزرقاني (1) : "قول سهلة : يا رسول الله إنا كنا نرى"، أى نعتقد "سالمًا ولدًا" بالتبني "وكان يدخل على وأنا أفضل" بضم الفاء والضاد المعجمة قال ابن وهب : مكشوفة الرأس والصدر، وقيل : على ثوب واحد لا إزار تحته، وقيل متوشحة بثوب على عاتقها، خالفت بين طرفيه (2) ⁰

قال ابن عبد البر : أصحها الثاني لأن كشف الحرة الصدر لا يجوز عند محرم ولا غيره (3) ⁰
قال الحافظ ابن حجر: "فعلى هذا فمعنى الحديث أنه كان يدخل عليها وهى منكشف بعضها (4)
وفي رواية أحمد قالت : "يدخل على كيف شاء لا تحتشم منه" (5) ، وقولها "ليس لنا إلا بيت واحد" أى فلا يمكن الاحتجاب منه، وقد أنزل الله (فيه ما علمت أى من الاحتجاب، ومنع التبني، فماذا ترى فى شأنه؟

ولمسلم عن القاسم عن عائشة فقالت : إني أرى فى وجه أبى حذيفة من دخول سالم وهو حليفه⁰ وله من وجه آخر عن القاسم عنها فقالت : إن سالمًا قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوه، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئاً⁰

ولا منافاة فإن سهلة ذكرت السؤالين للنبي (، واقتصر كل راو على واحد "فقال لها رسول الله (:

(1) الإمام الزرقاني هو: محمد بن الشيخ عبد الباقي الزرقاني، أبو عبد الله، الإمام الفقيه الفهامة المتفنن، المحدث الرواية المسند المؤلف المتقن، من مؤلفاته "شرح الموطأ" و "شرح المواهب اللدنية للزرقاني" وغير ذلك مات سنة 1122هـ له ترجمة في: شجرة النور الزكية 318/1، 319 رقم 1237 0

- (2) انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 455/3، 456، والقاموس المحيط 30/3، 31، وفتح الباري 36/9 رقم 5088 0
- (3) انظر : شرح الزرقاني على الموطأ 290/3 0
- (4) فتح الباري 36/9 رقم 5088 0
- (5) المسند 269/6 0

(125/3)

قال ابن عبد البر : وفي رواية (عشر رضعات)، والصواب رواية (خمس رضعات فيحرم بلبنها) زاد في مسلم فقالت : كيف أرضعه وهو رجل كبير (1) ؟ فتبسم (وقال : قد علمت أنه رجل كبير، وكان قد شهد بدرًا0 وفي لفظ له أرضعيه تحرم عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة فرجعت إليه فقالت: إن قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة0

قال ابن عبد البر : صفة رضاع الكبير أن يحلب له اللبن ويسقاه، فأما أن تلقمه المرأة ثديها، فلا ينبغي عند أحد من العلماء0

وقال عياض : ولعل سهولة حلبت لبنها فشربه من غير أن يمس ثديها، ولا التقت بشرتها، إذ لا يجوز رؤية الثدي، ولا ممسه ببعض الأعضاء (2) 0

(1) قال فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "الظاهر أن استفهامها عن كيفية إرضاعه، أتحلب له من لبنها؟ أم تعطيه ثديها؟ ويحتمل أن الاستفهام تعجبى من إرضاع الكبير، وتأثير رضاعه حرمة" انظر : فتح المنعم بشرح صحيح مسلم 169/9 0

(2) قال فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين "استدلال ابن حزم بقصة سالم على جواز مس الأجنبي ثدى الأجنبية، وإلتقام ثديها، إذا أراد أن يرتضع منها مطلقاً 0 استدلال خطأ، دعاه إليه أن الرضاعة الحرمه عنده إنما تكون بالتقام الثدي، ومص اللبن منه" انظر : فتح المنعم بشرح صحيح مسلم 178/9، والجمهور من العلماء على أن التغذية بلبن المرضعة يحرم، سواء كان بشرب أم أكل بأى صفة كان، حتى الحقنة، والسعوط، والثرث، والطبخ وغير ذلك، إذا وقع بالشروط المطلوبة، فإن طرد الجوع موجود فى كل ذلك، واستثنى الحنفية الحقنة، ودليل الجمهور فيما ذهبوا إليه حديث عائشة -رضى الله عنها- مرفوعاً : "إنما الرضاعة من الجماعة" 0 انظر : فتح البارى 52/9 رقم 5102، ونيل الأوطار 316/6، 317، وسبل السلام 1152/3 0

(126/3)

قال النووي : وهو حسن، ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبير (1) ، وأيده بعضهم بأن ظاهر الحديث أنه رضع من ثديها لأنه تبسم وقال : قد علمت أنه رجل كبير، ولم يأمرها بالحب، وهو موضع بيان، ومطلق الرضاع يقتضى مص الثدي، فكأنه أباح لها ذلك لما تقرر فى نفسيهما، أنه ابنها، وهى أمه فهو خاص بهما لهذا المعنى (2) 0

وكشف العورة فى هذه الحالة جائز للضرورة، فلا معارضة بين الحديث وبين قوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (3) كما زعم بعض أدعياء العلم 0

... قال الإمام الزرقانى : "وكان القائلين بأن ظاهر الحديث أنه رضع من ثديها، لم يقفوا فى ذلك على شئ 0 فقد روى ابن سعد عن الواقدى عن محمد بن عبد الله ابن أخى الزهرى عن أبيه قال : كانت سهلة تحلب فى إناء قدر رضعته، فيشربه سالم فى كل يوم، حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهى حاسر، رخصة من رسول الله (لسهلة (4) 0

... وما استشكل من عدم تفريق عائشة -رضى الله عنها- بين رضاع الصغير، والكبير مع روايتها لحديث "فإنما الرضاعة من الجماعة" (5) مما يفيد أن رضاعة الكبير لا تحرم 0

(1) المنهاج شرح مسلم للنووى 289/5

(2) شرح الزرقانى على الموطأ 0 291/3

(3) الآية 30 من سورة النور 0

(4) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد 85/3، وشرح الزرقانى على الموطأ 0 291/3

(5) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب من قال لا رضاع بعد الحولين 50/9

رقم 5102، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الرضاع، باب إنما الرضاعة من المجاعة 289/5، 290

رقم 1455 0

(127/3)

فقد أجاب الحافظ ابن حجر على هذا الإشكال بقوله : "لعلها فهمت من قوله : "إنما الرضاعة من المجاعة" أنه يخص مقدار ما يسد الجوعة من اللبن، فهو في عدد الرضعات، أعم من أن يكون المرتضع صغيراً أو كبيراً، فلا يكون الحديث نصاً في منع اعتبار رضاعة الكبير، وحديث ابن عباس -رضى الله عنهما-، "لا رضاع إلا ما كان في الحولين" (1) -مع تقدير ثبوته - ليس نصاً في ذلك أيضاً، وحديث أم سلمة -رضى الله عنها-، "لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام" (2) يجوز أن يكون المراد منه أنه لا رضاع بعد الفطام ممنوع، ثم لو وقع رتب عليه حكم التحريم، فما في الأحاديث المذكورة ما يدفع هذا الاحتمال، فلهذا عملت عائشة بذلك" (3) 0

ومن هنا فلا عبرة بما زعمه بعض الرافضة من استنكاره رضاعة سالم (وهو كبير 0

(1) أخرجه الدارقطنى في سننه كتاب الرضاع 174/4 رقم 10، وقال الدارقطنى : لم يسنده عن ابن

عبيدة غير الهيثم بن جميل، وهو ثقة حافظ 0 وصحح وقفه على ابن عباس، العظيم آبادى، في التعليق

المغنى على الدارقطنى 52/9، وانظر : الدراية في تخريج أحاديث الهداية 68/2 رقم 561، ونصب

الراية 219/3، وسبل السلام 1153/3، ونيل الأوطار 0 315/6

(2) أخرجه الترمذى في سننه كتاب الرضاع، باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون

الحولين 458/3 رقم 1152، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح⁰
(3) فتح الباري 52/9، وانظر : سبل السلام 1154/3 0

(128/3)

لأن قصة سالم كانت في أول الهجرة، وكانت رضاعة الكبير وقتئذ مشروعة ثم نسخت، وبذلك صرحت عائشة -رضي الله عنها- قالت : "كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات معلومات يحرمن⁰ ثم نسخن : بخمس معلومات⁰ فتوفي رسول الله (وهن فيما يقرأ من القرآن" (1) وفي رواية لابن ماجه، وأحمد، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : "لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري⁰ فلما مات رسول الله (وتشاغلنا بموته، دخل داجن (2) فأكلها" (3) 0

أما الأحاديث الدالة على اعتبار الحولين فهي من رواية أحداث الصحابة فدل على تأخرها⁰

قال الحافظ ابن حجر : وهو مستند ضعيف، إذ لا يلزم من تأخر إسلام الراوى، ولا صغره أن لا يكون ما رواه متقدماً، وأيضاً ففي سياق قصة سالم ما يشعر بسبق الحكم باعتبار الحولين، لقول امرأة أبي حذيفة في بعض طرقه : "وكيف أرضعه وهو رجل كبير"؟ فهذا يشعر بأنها كانت تعرف أن الصغر معتبر في الرضاع المحرم" (4) أ⁰

... يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "وفي تعقيب ابن حجر نظر، لأن قصة سالم كانت في أول الهجرة، بلا نقاش، كما هو واضح من ترجمته، ورواية اعتبار الحولين تؤكد تأخر الحكم عن قصة سالم، وقول امرأة أبي حذيفة، وإن أشعر بتقدم الحكم على سبيل الاحتمال، لكنه لا يفيد تقدم الحكم⁰

-
- (1) أخرجه مسلم(بشرح النووي)كتاب الرضاع،باب التحريم بخمس رضعات 285/5 رقم 1452 0
 - (2) داجن هي : الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها، انظر : النهاية في غريب الحديث 102/2، ولسان العرب 148/13، والمعجم الوسيط 272/1 0

- (3) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح، باب رضاع الكبير 609/1 رقم 1944، وأحمد في مسنده 269/6، وانظر : جواب ابن قتيبة على من أنكر هذا الحديث ص 280-283 0
- (4) فتح الباری 53/9 رقم 5102 0

(129/3)

فقد يكون سؤالها عن الطريقة التي ترضعه بها، أتحلب اللبن؟ أم تلقمه ثديها؟ وقد يكون سؤالها تعجباً من الأمر بإرضاعه المنافي لما جبلت عليه البشرية من إرضاع الصغير دون الكبير 0

فالقول بنسخ رضاة الكبير، ومنها قصة سالم (ظاهر ومقبول، لا يعارضه سوى موقف عائشة - رضى الله عنها- الذى انفردت به مع قلة من الفقهاء " (1) 0

... قال الإمام النووي : وقول عائشة -رضى الله عنها- : "فتوفى رسول الله (وهن فيما يقرأ" معناه أن النسخ بخمس رضعات، تأخر إنزاله جداً، حتى أنه (توفى وبعض الناس يقرأ خمس رضعات، ويجعلها قرآناً متلو، لكونه لم يبلغه النسخ، لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك، وأجمعوا على أن هذا لا يتلى 0

... وفي الرواية ما يدل على وقوع النسخ في القرآن 0 قال النووي : والنسخ ثلاثة أنواع: أحدها : ما نسخ حكمه وتلاوته كعشر رضعات 0

(1) فتح المنعم بشرح صحيح مسلم 176/9، 177، وقال الأمير الصنعاني في سبل السلام : لا تعارض بين حديث سهلة، وآية الحولين، وحديث "إنما الرضاة من الجماعة" لأن الرضاة لغة إنما تصدق على من كان في سن الصغر، وعلى اللغة وردت آية الحولين، وحديث إنما الرضاة من الجماعة، والقول بأن الآية لبيان الرضاة الموجبة للنفقة لا ينافي أيضاً أنها لبيان زمان الرضاة، بل جعله الله تعالى زمان من أراد تمام الرضاة، وليس بعد التمام ما يدخل = في حكم ما حكم الشارع بأنه قد تم 0 والأحسن في الجمع بين حديث سهلة وما عارضه : كلام ابن تيمية فإنه قال : إنه يعتبر الصغر في الرضاة، إلا إذا دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير الذى لا يستغنى عن دخوله على المرأة، وشق احتجاجها عنه كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثر

رضاعه، وأما من عداه فلا بد من الصغر 0هـ سبل السلام 1154/3 وما بعدها ويقول ابن تيمية
قال الشوكاني ورجحه 0 انظر : نيل الأوطار 315/6، 317 0

(130/3)

والثاني: ما نسخت تلاوته دون حكمه كخمس رضعات، والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما 0
والثالث : ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهذا هو الأكثر، ومنه قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) (1) 0

وبعد

... فقد ظهر واضحاً جلياً أن قصة سالم (صحيحة رواية ودراية، تلقاها علماء الأمة منذ عصر
الصحابة إلى يومنا هذا - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - بالقبول بصرف النظر عن كونها
واقعة خاصة أو عامة، ويشهد لهذا التلقى للحديث بالصحة أن جميع الصحابة (أجمعين لم ينقل لنا
عن أحدٍ منهم استنكار أو حتى استغراب للقصة!، وإنما نقل لنا اختلافهم في حكمها الفقهي 0

فجمهور الصحابة على أن قصة سالم واقعة عين خاصة به، ولا يصح الاحتجاج بها لغيره، وتابع على
ذلك جمهور علماء الأمة من التابعين فمن بعدهم، وانفردت عائشة -رضي الله عنها- مع قلة من
الفقهاء منهم : عروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، والليث بن سعد، وابن علية، وغيرهم رأوا أن
قصة سالم عامة، وأن إرضاع الكبير يثبت به التحريم (2) وللكل وجهة نظر ودليل 0

فالجمهور على أن قصة سالم (خاصة به لما وقع له من التبنى الذي أدى إلى اختلاطه بسهولة فلما نزل
الاحتجاب، ومنع التبنى شق ذلك على أبي حذيفة وسهلة لما تقرر في نفسيهما أنه ابنيهما، وحيث كان
يدخل على سهلة كيف شاء ولا تحتشم منه كما جاء من قولها في رواية أحمد 0 وليس لهم إلا بيت
واحد 0

(1) الآية 240 من سورة البقرة، وانظر : المنهاج شرح مسلم للنووي 285/5، وحاشية السندی

على النسائي 101/6 رقم 3307 0

(2) انظر : فتح الباری 52/9، 53 رقم 5102، والمنهاج شرح مسلم للنووی 289/5، وشرح الزرقانی 291/3، 292، ونیل الأوطار 315/6، وسبل السلام 1153/3، وتأویل مختلف الحديث ص 283، 284 0

(131/3)

فمن أجل رفع المشقة، ولما اجتمع في سالم من صفات لا توجد في غيره، وقع له الترخيص في الرضاة مع بلوغه لما تقرر في نفوسهم جميعاً من صفات الأبوة من سالم تجاه أبي حذيفة وسهلة، وصفات البنوة من أبي حذيفة وسهلة تجاه سالم 0

ومما يؤكد ذلك ذهاب ما في نفس أبي حذيفة نتيجة لهذا الرضاة 0 يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين "ولا أظنه يذهب ما في نفس غير أبي حذيفة مع غير سالم" (1) 0

وذهب الجمهور أيضاً بنسخ قصة سالم بما جاء من الأحاديث الدالة على اعتبار الحولين 0

... أما عائشة -رضي الله عنها- ومن قال بقولها من الفقهاء فرأوا أن قصة سالم (عامة للمسلمين، لمن حصل له ضرورة : وللكل في هذا الخلاف وجهة نظر ودليل، ولم يكن لهذا الاختلاف بينهم أي أثر في اعتقادهم صحة الحديث، الذي يحاول دعاة الفتنة وأدعياء العلم تضعيفه أو النيل من عدالة روايته، ومن أخرجه من الأئمة الأعلام في كتبهم 0

... ويؤخذ من قصة سالم صدق إيمان سهلة، وأبي حذيفة، وسرعة امتثالهما للوحي الإلهي، لأن الغيرة منهما، وقعت نتيجة لما نزل في كتاب الله (من النهي عن التبنّي، والأمر بالاحتجاب 0 فتغيرت نظرة البنوة نحوه، امتثالاً لما نزل 0

... ولو كانت الغيرة لشئ غير ذلك، لما كان هناك معنى لذهاب ما في نفس أبي حذيفة بتلك الرضاة، التي ما كانت إلا أمراً إلهياً، امتثل له الجميع، ورفعت عنهما به المشقة والخرج أ0ه0 ...
... والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

الفصل الثامن

حديث "وقوع الذباب في الإناء"

... وتحتة مبحثان :

المبحث الأول : شبه الطاعنين في أحاديث الطب النبوي والرد عليها 0

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "وقوع الذباب في الإناء" والرد عليها 0

المبحث الأول

شبه الطاعنين في أحاديث الطب النبوي والرد عليها

... الأحاديث الطبية التي أخبر عنها المعصوم (، طعن فيها المبتدعة قديماً بعقولهم 0 وتأثر بذلك بعض علماءنا الأجلاء وتوسعوا في ذلك بحجة أن الأحاديث الطبية لم يقلها النبي (، بوحى، وإنما بالتجربة والعادة بصفته البشرية فهو لم يبعث ليعلم الناس الطب 0

واتخذ أعداء السنة من هذا الكلام سلاحاً قوياً يطعنون به في حجية السنة، وأنها كلها ليست وحيّاً 0
كما سبق تفصيل ذلك في اجتهاد النبي ((1) 0

يقول الإمام ابن خلدون - رحمه الله - : "الطب المنقول في الشرعيات ... ليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عادياً للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي (من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنه (إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : "انتم أعلم

بأمور دنيائكم" (2) فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع؛ فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك، وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم في النفع، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية كما وقع في مداواة المبطون بالعسل (3) 0هـ0
... وأيد الإمام ابن خلدون في ذلك بعض علمائنا الأجلاء منهم فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى وغيره ممن قسموا السنة النبوية إلى سنة تشريعية، وغير تشريعية (4) 0

(1) راجع : إن شئت ص 452-463 0

(2) سبق تخريجه ص 452 0

(3) المقدمة، فصل في علم الطب ص 546 0

(4) راجع : إن شئت ص 454 0

(133/3)

... يقول فضيلة الدكتور القرضاوى: "وفي رأي أن جل الأحاديث المتعلقة بـ "الوصفات الطبية" وما في معناها ... كوصف الرسول (للمصاب بعرق النسا : أليّة شاة أعرابية ... إلخ ما جاء في الحديث (1) ، فهذا ليس من أمور الدين التي يثاب فاعلها، أو يلام تاركها، بل هو إرشاد لأمر دنيوى نابع من تجربة البيئة العربية ... ، ولم يبعث عليه الصلاة والسلام ليقوم بطب الأجسام، فذلك له أهله، وإنما بعث بطب القلوب، والعقول، والأنفس، ومهما يكن اعتزازنا بما سماه العلماء "الطب النبوى" فمن المتفق عليه : أن النبى (، لم يدّع العلم بالطب، ولا بعث لذلك (2) 0هـ0

... والنتيجة : أن خرج علينا أحد أعداء السنة "نباوى عز الدين" يقول : "الأحاديث التي تحاول أن تنسب للرسول (، علوماً مثل الطب، كلها أحاديث موضوعة، غايتها حرف الناس عن الحقائق، والعقلية العلمية التي في آيات القرآن، إلى عقلية تؤمن بالأوهام والخرافات والأباطيل (3) 0

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب دواء عرق النسا 337/2، 338 رقم 3463،

وقال البوصيرى في (مصباح الزجاجه) : هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات 124/3 رقم 1207 0

(2) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص 66، 67 باختصار، وانظر : السنة والتشريع لفضيلة

الدكتور عبد المنعم النمر ص 110 0

(3) دين السلطان لنيازی عز الدين ص 523 0

(134/3)

ثم ضرب أمثلة على تلك الأحاديث الموضوعة تعتمد اختيارها من صحيح الإمام البخارى - رحمه الله - وذلك كأحاديث الرقية "اللهم، رب الناس مذهب الباس، اشف أنت الشافى، لا شافى إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً" 0 وحديث "علاج المبطون بالعسل" 0 وحديث "لا عدوى ولا صفر" 0 و "الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام" 0 و "الكأمة من المن، وماؤها شفاء للعين" 0 و "من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" وغير ذلك من الأحاديث التي نقلها من صحيح الإمام البخارى في كتاب الطب" (1) 0

وطعن كثير من دعاة الفتنة، وأدعياء العلم في بعض الأحاديث الطبية، واتخذوا من تقسيم بعض علماء المسلمين "السنة تشريع، وغير تشريع" متكأً قوياً وهم يطعنون في حجية السنة المطهرة، ورواها الثقات الأعلام 0

... وإذا كنا قد بينا سابقاً بالبرهان الواضح أن السنة النبوية كلها وحى، وبيننا بطلان تقسيم السنة الشريفة إلى سنة تشريعية، وغير تشريعية بما يغنى عن إعادته هنا (2) 0 فسوف نكتفى هنا في الدفاع عن أحاديث "الطب النبوى" إجمالاً بالرد على ابن خلدون فيما ذهب إليه 0

يقول الدكتور محمد أحمد السنهورى : أما قول ابن خلدون : "والطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شئ وأنه (،) لم يبعث لتعريف الطب" 0 هذا الكلام يناقض الواقع، والحقيقة؛ لأنه من المعلوم والبديهى أن الرسول (،) كان أمياً ولم يدرى ما الكتاب، والإيمان 0 ومن أين له أن يعرف طبائع الدواء أو خصائصه سواء كان هذا الدواء نباتاً أو غذاء إلا إذا كان ربه قد أطلع عليه؟!!

... والله (يقول عن العسل : (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) (3) ولم يبين في القرآن الأمراض التي يشفيها هذا العسل 0

ولكن الرسول عالج به المبطون أو صاحب الإسهال 0

(1) انظر : صحيح البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب 141/10 - 263، وانظر : دين

السلطان لنيازى عز الدين ص 523-527 0

(2) راجع : إن شئت ص 452-468 0

(3) جزء من الآية 69 من سورة النحل 0

(135/3)

فما الذى جعل الرسول (، يحدد هذا الدواء بالذات لعلاج هذا المرض؟ وما الذى جعله يصر على أن يتناوله المبطون أكثر من مرة؟ لابد أن يكون هذا عن طريق الوحي 0

ثم ما الذى جعل الرسول يفضل فى دواء الإمساك "السنا" على "الشُّبْرُم" وهما نباتان يستعملان لهذا الغرض (1) 0 وقد فضّل الأطباء بعد ذلك ما اختاره الرسول (وتركوا "الشُّبْرُم" وبينوا ضرره وقالوا أنه غير مأمون 0

فهل كان الرسول (يملك معملاً للتحليلات؟ كلا إن هذا الأمر لابد أن يكون قد عرف خصائصه من الوحي 0

ثم إن كل قانون طبي وضعه الرسول (وكل دواء نوه عليه لم يستطع طبيب إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أن يثبت عكس كلامه فيه 0 أو يخرم له قاعدة، بل كل يوم يظهر الطب، والعلم، صحة ما ذهب إليه المصطفى (، وصدق الله (إذ يقول : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (2) 0

... أما كون ابن خلدون يريد أن يقيس طب النبى (، على قصة تأبير النخل، مدعياً أن طبه كان أمراً عادياً ورأياً شخصياً له 0

فهذا قياس خاطئ ومن الواضح أن هناك فرقاً بين هذا وذاك⁰ فلم يتكلم النبي (، عن خصيصة دواء من الأدوية أو غذاء من الأغذية ورجع عنه، بخلاف الأشياء التي كانت اجتهداً منه، والتي لا تخرج عن الوحي أيضاً، على ما سبق تفصيله (3) 0

... وأما ادعائه بأن الطب النبوي لا يأتي بثمره ولا نتيجة إلا إذا استعمل على جهة التبرك⁰ ويستشهد على هذا بقصة دواء المبطلون بالعسل⁰ فالرد على هذا بأن أى دواء يستلزم من المريض ثقة منه في مفعوله، وثقة في طبيبه الذى يداويه⁰ وهذا الكلام معلوم عند الأطباء مسلمهم، وغير مسلمهم قديمهم وحديثهم؛ لأن القوى النفسية لها تأثير عجيب في القوى الجسدية وهذا عام في كل مريض وكل دواء (4) 0

(1) انظر : زاد المعاد 4/320، 328 0

(2) الآيتان 4،3 من سورة النجم⁰

(3) راجع : ص 456-463 0

(4) انظر : زاد المعاد 4/71 0

(136/3)

... والقصة التي وردت عن الرجل الذى شرب العسل بعد أربع جرعات لم تبين لنا حال المريض، وإنما تكلمت عن أخيه الذى كان واسطة بينه وبين النبي (، ولا نستطيع أن نحكم هل كان الرجل يشرب العسل تبركاً أو كان يشربه على أنه دواء، ولا مانع من البركة أيضاً⁰

... وأياً ما كان هذا الأمر : فإن الرجل قد شفى على كل حال، ولو لم تكن في العسل خاصية ضد مرض الرجل لما شفى من مرضه، وقد ثبت طبياً احتواء العسل على مواد قاتلة للميكروبات، وثبت كونه دواء لهذا المرض⁰

هذا وقد تناول الرسول (، في طبه أدواء كثيرة، وبين خصائص كثير من الأدوية، النباتي منها وغير النباتي (1) 0

... يقول ابن قيم الجوزية ممبناً طبه (، عن طب الأطباء : "وليس طبه (، كطب الأطباء، فإن طبه (، متيقن قطعى إلهى صادر عن الوحى، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب" (2) 0

ويقول الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة - رحمه الله - فى معرض دفاعه عن حديث الذباب قال : "وقبل أن أذكر رأى الطب الحديث فى حديث الذباب أحب أن أقول : "إننى لست مع النابتة التى نبتت - وبعضهم من أهل العلم، فرعمت أن الطب النبوى، من قبيل الأمور الدنيوية التى يجوز على النبى (، فيها الخطأ، ويجعلونه من قبيل تأبير النخل، وقوله (: " أنتم أعلم بأمور دنياكم" (3) 0

... ولا أدرى كيف يقال ذلك فى حديث الذباب مع قوله (، فيه : "فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر دواء"؟ وقد أتى رسول الله "بأن" التى هى للتأكيد!! وكيف يكون هذا الأسلوب المؤكد من قبيل الظن والتخمين فى أمر دنيوى؟!

(1) انظر : الطب فى السنة للدكتور محمد أحمد السنهورى ص 259 - 261 0

(2) زاد المعاد 11/4 0

(3) سبق تخريجه ص 452 0

(137/3)

بل كيف يكون قوله (: "من تصبح بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" (1) من قبل الظن والتخمين فى أمر دنيوى؟! إن معظم أحاديث الطب-إن لم تكن كلها- إنما ساقها (، مساق القطع واليقين مما يدل على أنها بوحي من الله - سبحانه وتعالى -0 والطب طبان : طب القلوب والأديان، وبه جاء الأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - وطب الأبدان، وهذا نوعان : نوع روحانى كالرقى والدعوات، ونوع مادى جسمانى كالاستشفاء بالعسل، والتمر والحبة السوداء، والكمأة ونحو ذلك (2) 0

ووظيفة النبى (، أولاً وبالذات هو طب القلوب والأديان، ولكن شريعته وسنته قد اشتملت على الكثير من طب الأبدان سواء أكان روحانياً أم جسمانياً (3) ، وليس أدل على ذلك من الآيات

القرآنية العديدة التي تتحدث عن ذلك كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (4) 0

والآيات القرآنية التي تتحدث عن تطور الجنين في بطن أمه في سورة المؤمنون وغيرها (5) 0

-
- (1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة للسحر 249/10 رقم 5768 5769، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة 250/7 رقم 2047، من حديث سعد بن أبي وقاص (واللفظ لمسلم 0
 - (2) انظر : الطب في السنة للدكتور محمد السنهورى الفصل السادس (مشكلات أثرت حول بعض الأحاديث والرد عليها) ص 330-335 0
 - (3) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 341 - 343 بتصرف 0
 - (4) الآية 57 من سورة يونس 0
 - (5) انظر : الآيات 12-14 من سورة المؤمنون 0

(138/3)

والآيات العديدة التي تتحدث عن الطهارة، وخطورة إتيان الرجل زوجته الحائض حتى تطهر 0 قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) (1) 0 وقوله تعالى في طب غسل النحل: (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) (2)

... وبالجمله : فقد جمع رب العزة الطب كله في نصف آية : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (3) وقال ("ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ... " الحديث (4) وقال بعض الحكماء : "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء" (5) 0

يقول الدكتور أبو شهبة : وليس أدل على اشتغال السنة المطهرة على طب الأبدان سواء كان روحانياً أم جسمانياً مما اشتمل عليه الصحيحان : صحيح البخارى، وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الصحاح، والسنن، والجوامع من "كتاب الطب" ضمن كتبها، وقد جمع بعض العلماء المحدثين في ذلك كتباً مستقلة، ككتاب "الطب النبوى" لأبي نعيم، وكتاب "الطب النبوى" للسيوطى، وكتاب

-
- (1) الآية 222 من سورة البقرة، وانظر : الطب في السنة للدكتور محمد السنهورى فصل "القواعد الطبية العامة المستنبطة" ص 154 – 196، وفصل "الطب الوقائى فى السنة" ص 197، وفصل "سبق السنة إلى مفاهيم طبية سبقت بها العصر" ص 197 – 2500
- (2) جزء من الآية 69 من سورة النحل⁰
- (3) جزء من الآية 31 من سورة الأعراف⁰
- (4) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد، باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل 509، 510/4، رقم 2380 وقال حديث حسن صحيح⁰
- (5) انظر : الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية للأستاذ مختار سالم ص 36، والطب الوقائى فى الإسلام للعميد الصيدلى عمر محمود عبد الله، والطب الإسلامى للدكتور أحمد طه⁰

(139/3)

والذى يهمنى من كل هذا، أن أنزع من نفوس النابتة التى نبتت، فزعمت أن الطب النبوى من قبيل الأمور الدنيوية التى تحتل الخطأ والصواب – هذا الزعم الباطل الذى لم يقم عليه دليل، بل قامت ضده كثير من الأدلة⁰

... ففى حديث أبى سعيد الخدرى (: "أن رجلاً أتى النبى (فقال : "أخى يشتكى بطنه فقال : اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية فقال : اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلاً، ثم أتاه الرابعة، فقال فعلت – يعنى فلم يبرأ – فقال (: "صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً فسقاه – يعنى فى المرة الرابعة – فبرأ" (1) ⁰

(1) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى "فيه شفاء للناس" 146/10 رقم 5684، ومسلم "بشرح النووى" كتاب السلام، باب التداوى بعسل النحل 460/7 رقم 2217، واللفظ للبخارى⁰

(140/3)

ويعجبني في هذا المقام ما قاله الإمام ابن قيم الجوزية قال : "ونحن نقول : إن هاهنا أمراً آخر، نسبة طب الأطباء إليه؛ كنسبة طب الطريقة" (1) والعجائز إلى طبهم، وقد اعترف به بعض حذاقهم وأئمتهم، فإن ما عندهم من العلم، منهم من يقول : هو قياس، ومنهم من يقول : هو تجربة، ومنهم من يقول : هو إلهامات ومنامات، وحس صائب ومنهم من يقول : أخذ كثير منه من الحيوانات البهيمة ... إلى أن قال : وأين وقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضره، فنسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي، كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل هاهنا من الأدوية التي تشفى من الأمراض ما لم يهتد إليه عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم، وأقيستهم من الأدوية القلبية، والروحانية، من قوة القلب والاعتماد على الله والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانكسار بين يديه والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء، ولا تجربته، ولا قياسه⁰ وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطريقة عند الأطباء (2) 0

(1) يريد بعض المتصوفة الذين لا علم لهم بالطب⁰

(2) زاد المعاد 4/12، 11 بتصرف، وانظر: دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة 341-345 بتصرف⁰

(141/3)

... يقول الدكتور نور الدين عتر : "ولقد أقر كبار الأطباء الذين اطلعوا على أحاديث "الطب النبوي" بما أتت به هذه الأحاديث، بل قال لي أستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق : "إن النبي (لم يأت بوصفات طبية سابقة لعصرها فحسب، بل إنه فوق ذلك جاء مقنناً للطب والأطباء (1) 0أهـ والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

المبحث الثاني

شبه الطاعنين في حديث "وقوع الذباب في الإناء"

والرد عليها

... روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن أبهريرة (أن رسول الله (قال: "إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن فى إحدى جناحيه شفاءً، وفى الآخر داء" (2) 0
هذا حديث صحيح ثابت عن النبى (وقد تلقته الأمة بالقبول، وآمنت بمضمون ما جاء فيه 0 وهو
معجزة من معجزات نبينا (الذى لا ينطق عن الهوى (إنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (3) 0

... وقد طعن أهل البدع والضلال قديماً فى صحته بحجة أنه مخالف للعقل، والواقع، وأثاروا الشبه من حوله فانبرى للرد عليهم، وكشف شبههم، ودحضها علماء أجلاء، فواجهوهم بالحجج الدامغة، والأدلة البينة، فأزالوا تلك الشبه، وبينوا فسادها 0

من أولئك العلماء الأفاضل الإمام ابن قتيبة قال فى كتابه "تأويل مختلف الحديث" أن هذا الحديث صحيح ومن حمل أمر الدين على ما شاهد، فجعل البهيمة لا تقول، والطائر لا يسبح ... والذباب لا يعلم موضع السم، وموضع الشفاء، واعترض على ما جاء فى الحديث، مما لا يفهمه، فإنه منسلخ من الإسلام، معطل ... مخالف لما جاء به الرسول (، ولما درج عليه الخيار من صحابته، والتابعين لهم بإحسان 0

-
- (1) انظر : السنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر ص 76 0
(2) البخارى "شرح فتح البارى" كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب فى الإناء 260، 261/10
رقم 5782، وأخرج نحوه فى كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب فى شراب
أحدكم 6/414 رقم 3320 0
(3) الآية 4 من سورة النجم 0

(142/3)

ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله (، كان كمن كذب به كله ... وما علمت أحداً ينكر هذا إلا قوم من الدهرية (1)، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام، والجهمية (2) 0
... ومن دافع عن الحديث الإمام الطحاوى - رحمه الله - فى كتابه (مشكل الآثار) فقال بعد ذكره

للحديث، ومن رواه في الصحابة (: "قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله (وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار؟ حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه، ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى؟

فكان جوابنا في ذلك له بتوفيق الله (وعونه أنه لو قرأ كتاب الله (قراءة متفهم لما يقرأ منه، لوجد فيه ما يدل على صدق قول رسول الله (، هذا وهو قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ(68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ (3) 0 وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ما أمرها به 0

فمثل ذلك : الذباب ألهمه (ما ألهمه، مما يكون سبباً لإتيانه لما أرادته منه، من غمس أحد جناحيه فيما يقع فيه مما فيه الداء، والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء (4) 0أهـ

(1) قال في اللسان:ورجل دهري:ملحد لا يؤمن بالآخرة،يقول ببقاء الدهر 0انظر:لسان

العرب 293/4 0

(2) تأويل مختلف الحديث ص 210 0

(3) الآيتان 68، 69 من سورة النحل 0

(4) مشكل الآثار 283/4 – 284 0

(143/3)

... وجاء المُحَدِّثُونَ وأعداء السنة فطعنوا في هذا الحديث (1) ، كما طعن فيه أسلافهم، أهل الابتداع من قبل، لم ينزجروا بردود العلماء السابقين، فزادوا على شبه أولئك شبهاً أخرى أنتجتها عقولهم التي جهلت حرمة النصوص، وران عليها ظلام قائم فلم تستوعب، ولم تع معاني تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن، كما هو ديدنها، ومنهجها بكل نص جهلت معناه 0 ... وهذا ملخص شبه هؤلاء المحدثين حول هذا الحديث، والتي ردها أعداء السنة (2) :
أولاً : الحديث من رواية أبي هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة، وقد انفرد به ابن خنن (3) ، ثم طعن فيه بأوجه (4) 0

ثانياً : أنه حديث آحاد يفيد الظن، فلا إشكال في رده، وهو غريب عن التشريع، لأنه ينافي قاعدة

تحرير الضار، واجتناب النجاسة، وغريب عن الرأي لأنه يفرق بين جناحي الذباب، فيدعى أن أحدهما به سم ضار، والآخر ترياق نافع⁰

(1) انظر: مجلة المنار المجلد 19/97-99، والمجلد 29/48-51، والسنة والتشريع للدكتور النمر ص110

(2) انظر: أضواء على السنة ص 223، وشيخ المضيرة ص 269، 277، والأضواء القرآنية 230/2، وشبهات حول الشيعة لعباس الموسوي ص 145-146، ودفع الشبهات لأحمد حجازي السقا ص 167، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص 295، وقراءة في صحيح البخاري لأحمد صبحي منصور ص 39، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث لسعيد العشماوي ص 92 وغيرهم⁰

(3) ابن حُنين هو : عُبَيْد بن حُنين، أبو عبد الله المدني، روى عن أبي موسى، وزيد بن ثابت، وطائفة، وعنه أبو الزناد، ويحيى بن سعيد، ثقة قليل الحديث مات سنة 105هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 1/643 رقم 4384، والكاشف 1/689 رقم 3613 والجرح والتعديل 5/404 = رقم=1872، وطبقات ابن سعد 5/385 ولم أقف على أحد اتهمه أو رماه بما رماه به السيد رشيد رضا، أو أعل هذا الحديث أو غيره بسببه⁰ انظر : مجلة المنار والمجلد 29/48-50 0

(4) انظر : مجلة المنار المجلد 29/48-50 0

(144/3)

ثالثاً : أثبت العلم بطلانه، لأن العلم يقطع بمضار الذباب⁰

رابعاً : موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام، ولا من عباداته، ولا من شرائعه، ولم يعمل به أحد من المسلمين وهو في أمر من أمور الدنيا كحديث "تأثير النخل" وبالتالي من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً⁰

خامساً : تصحيحه من المطاعن التي تنفر عن الإسلام، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام⁰

سادساً : البحث فيه عقيم، لا يجب أن يشغل الناس به، وقد وصلوا إلى مخترعات ومكتشفات من العلوم⁰ ولذا يجب ترك البحث فيه إلى ما وصل إليه العلم من أحكام لا تنقض ولا ترد (1) 0

ويجاب على هذه الشبهة بما يلي :

أولاً : لم ينفرد البخارى-رحمه الله-بإخراج هذا الحديث، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عن النبي (،
وعبيد بن حنين، لم ينفرد بروايته عن أبي هريرة أيضاً⁰

فقد أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والدارمى، وأحمد، والبيهقى، وابن خزيمة، وابن حبان، والبغوى،
وابن الجارود، من حديث أبي هريرة ((2) 0

(1) انظر : مجلة المنار المجلد 48/29-50، والمصادر السابقة ص، وانظر : موقف المدرسة العقلية
من السنة 260/2 0

(2) أبو داود فى سننه، كتاب الأطعمة، باب فى الذباب يقع فى الطعام 365/3 رقم 3844، وابن
ماجه فى سننه، كتاب الطب، باب يقع الذباب فى الإناء 349/2 رقم 3505 والدارمى فى سننه،
كتاب الأطعمة، باب الذباب يقع فى الطعام 135/2 رقم 2039 وأحمد فى مسنده 229/2،
230، 246، 443، والبيهقى فى سننه كتاب الطهارة، باب ما لا نفس له تسيل 53/4، والبغوى
فى شرح السنة كتاب الصيد، باب الذباب يقع فى الشراب 259/11، 261 رقم 2813، 2814
وابن الجارود فى المنتقى، باب فى طهارة الماء والقدر الذى ينجس ولا ينجس ص 26 رقم 55 0

(145/3)

وأخرجه النسائى، وابن ماجه، وأحمد، والبيهقى، وابن حبان، والبغوى من حديث أبي سعيد الخدرى
(، وأخرجه البزار، والطبرانى من حديث أنس بن مالك ((1) ، ورواه عن أبي هريرة جماعة من
التابعين (2) 0

... ولو لم يرد هذا الحديث إلا فى صحيح البخارى، لكان صحيحاً مقبولاً، إذ البخارى هو أصح
الكتب بعد كتاب الله وأحاديثه فى أعلى درجات الصحة⁰

... يقول فضيلة الدكتور أبو شهبه : "ولم أجد لأحد من النقاد، وأئمة الحديث طعناً فى سنده؛ فهو
فى درجة عالية من الصحة، وكل ما وقع فيه من الطعن من بعض المتساهلين، والجهلاء، والمبتدعة، إنما

هو من جهة متنه (3) 0

ولو تفرّد به أبو هريرة (لما وجدوا إلى الطعن في صحته سبيلاً⁰ خلافاً لبعض غلاة الشيعة الجعفرية، ومن تبعهم من الزائغين، حين طعنوا في الصحابي الجليل لأن الحديث من روايته واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله (، وحاشاه من ذلك⁰

فهذا هو التحقيق العلمي يثبت صدق أبي هريرة، وأنه برئ من طعن الطاعنين، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه، لأنهم رموا صحابياً بالبهت، وردوا حديث رسول الله (لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة! وقد رواه غيره من الصحابة كما علمت⁰

(1) النسائي في سننه كتاب الفرع والعتيرة، باب الذباب يقع في الإناء 178/7، 179 رقم 4262، وابن ماجه في الأماكن السابقة 349/2 رقم 3504، وأحمد في المسند 24/3، 67، والبيهقي في الأماكن السابقة والصفحات، وابن حبان في الأماكن السابقة 55/4 - 56، والبعث في الأماكن السابقة رقم 2815، والطبراني في الأوسط 41/5، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد إلى البزار وقال : رجاله رجال الصحيح⁰

(2) وهم: عبيد بن خنن، وسعيد المقبري، وثمامة بن عبد الله بن أنس، وأبو صالح، ومحمد بن سيرين⁰

(3) دفاع عن السنة ص 338، وانظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر 124/12 الهامش⁰

(146/3)

وليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرّد أبي هريرة بالحديث، وهو حجة لو تفرّد، أم جهلوا ذلك؟ فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبي هريرة إياه، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الصحابة الأجلاء؟!

وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف؟ وما أصدق القائل:

فإن كنت تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم (1)

وعُبَيْد بن حُنَيْن ثقة لا مطعن فيه، ولم يذكره الحافظ فيمن تكلم فيهم من رجال البخارى فى هدى السارى، ولم أقف على من طعن فى توثيقه من العلماء، ولعمري لو تفرد برواية الحديث عن أبى هريرة لقبول تفرد، فإن تفرد مثله لا يقدر فى صحة الحديث 0 كما هو مقرر فى علم مصطلح الحديث (2)

0

...

ثانياً : وكون الحديث آحاداً ومن أجل ذلك سهل رده، قول مردود، وحجة داحضة، وقد سبق الكلام عن ذلك فلا إعادة ههنا (3) 0

... وقول السيد رشيد رضا بأنه : غريب عن التشريع؛ لأنه يناهى قاعدة تحريم الضار، واجتناب النجاسة 0

يرد عليه : بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك، فذكر أن فى أحد جناحيه داء، ولكنه زاد ببيان أن فى الآخر شفاء، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله (4) 0

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألبانى 1/60 0

(2) وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 261/2 – 263 0

(3) راجع إن شئت ص 497، 552-566، 751-753، 757، 758، 787-788 0

(4) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى المجلد 1/61 0

(147/3)

... يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : "وأعلم أن فى الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم، والحكمة العارضة عن لسعة، وهى بمنزلة السلاح، فإذا أسقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبى (أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله فى الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به، بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهى خارج عن القوة البشرية (1)

0

... وقال الشوكاني - رحمه الله - : "والفائدة في الأمر بغمسه جميعاً هي أن يتصل ما فيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء، فيتعادل الضر والنافع فيندفع الضرر" (2) 0
... والقول بنجاسة الذباب لا دليل عليه؛ لأنه لا ملازمة بين الضرر والنجاسة، ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لا ينجس بموت ما لا نفس له سائلة فيه، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب، وحياته عند غمسه (3) 0

... قال الإمام الخطابي - رحمه الله - : "فيه من الفقه: أن أجسام الحيوان طاهرة، إلا ما دلت عليه السنة من الكلب وما لحق به في معناه 0 وفيه دليل: علأن ما لا نفس له سائلة إذا مات في الماء القليل لم ينجسه، وذلك أن غمس الذباب في الإناء قد يأتي عليه 0 فلو كان نجسه إذا مات فيه، لم يأمر بذلك 0 لما فيه من تنجس الطعام، وتضييع المال، وهذا قول عامة العلماء" (4) 0
... والقول بأنه لا فرق بين جناحي الذباب بأن يحمل أحدهما سماً، والآخر شفاء 0

-
- (1) زاد المعاد 4/112 0
(2) نيل الأوطار 1/56، وانظر : سبل السلام 1/37 0
(3) انظر : فتح الباري 10/262 رقم 5782، ونيل الأوطار 1/56، وسبل السلام 1/37 0
(4) معالم السنن 5/340-341، وانظر: زاد المعاد 4/111-112، وشرح السنة للبغوي 11/260 0
(148/3)

قول يناهض الحديث، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات في الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف 0 وقد أجاب عن ذلك العلماء في السابق 0
ولا أدري أجهل ذلك الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - مع سعة إطلاعه ونصرتة للسنة - أم تجاهله؟ وكلا الأمرين ذميم في حقه، وقد ذكر ذلك معاصروه (1) 0

... قال الحافظ ابن حجر : "وقال الخطابي : تكلم على هذا الحديث من لا خلاق له فقال كيف

يُجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب؟ وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الداء، ويؤخر جناح الشفاء، وما أُلجأه إلى ذلك؟ قلت : وهذا سؤال جاهل، أو متجاهل، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة⁰ وقد أَلف الله بينها وفهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان⁰ وإن الذى أَلهم النحلة اتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه، وأَلهم النملة أن تدخر قوتها أو أن حاجتها، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت، لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم جناحاً، وتؤخر آخر⁰

وقال ابن الجوزى : ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاها، وتلقى السم من أسفلها، والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق الذى يعالج به السم، والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر" (2) أ⁰هـ⁰

ثالثاً : والقول بأن العلم يثبت بطلانه لأنه قطع بمضار الذباب، قول من جهل معنى الحديث، وعجز عن فهمه⁰ والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة⁰ وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شئ علماً؟!!

-
- (1) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر 128/12 في الهامش، ودفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص 338 0
- (2) انظر : فتح البارى 263/10 رقم 5782 وانظر : معالم السنن 341/5-342، وتأويل مختلف الحديث ص 210، 212 0

(149/3)

... حتى يصبح قولهم هو الفصل الذى لا يجوز مخالفته⁰ بل هم معترفون كل الاعتراف بأنهم عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور (1) 0 وهنالك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد، إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات⁰

... بينما الذى نطق به رسول الله (وحى من عند الله تعالى، العليم بخفاء ما غاب عن الخلق جميعاً⁰ ولا زال علماء الطب يطلّون على العالم فى كل يوم باكتشافات جديدة لعقاقير طبية وأدوية واقية لم

تكن عُرفت من قبل0

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبي عن النبي (، حتى يكشف لنا الأطباء بتجارهم صدقة أو بطلانه؟
وآين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله (، ووحى الله إليه؟!

... إن حديث رسول الله (، برهان قائم بنفسه لا يحتاج إلى دعم خارج عنه، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء في هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين، وإن لم يكونوا كذلك فليزيمهم التوقف إن كانوا عقلاء0

والمسلم لا يهمله كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب ما دام ثبت عن رسول الله ((2)
هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة0

... ومع ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين من أيد مضمون ما جاء في هذا الحديث من الناحية الطبية، وهنالك كثير من البحوث والمقالات في هذا الجانب، منها المطول ومنها المختصر0

(1) انظر: مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر 124/12 في الهامش، والأنوار الكاشفة ص221 0

(2) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد 1/61، وموقف المدرسة العقلية من

السنة 2/269، 268 0

(150/3)

اختار منها ما ذكره أحد الأطباء المصريين العصريين بجمعية "الهداية الإسلامية" بالقاهرة قال - رحمه الله - : "يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها الأمراض المختلفة، فينقل بعضها بأطرافه، ويأكل بعضاً، فيتكون في جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ "مبعد البكتريا" وهي تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير في جسم الإنسان في حال وجود مبعد البكتريا0 وأن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب، هي أنه يحول البكتريا إلى ناحيته، وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة

بأطرافه في ذلك الشراب، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبيد البكتريا الذى يحمله الذباب في جوفه قريباً من أحد جناحيه⁰ فإن كان هناك داء فدواؤه قريب منه، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة، وكاف في إبطال عملها⁰ وقد كتب بعض الأطباء الغربيين نحو ذلك⁰ وبذلك ظهر أن هذا الحديث صحيح السند والمتن، فهل بقى للمنكرين من حجة يحتجون بها؟ اللهم إلا الهوى (1) ⁰

رابعاً : الزعم بأن موضوعه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته ... إلخ⁰ ... زعم قُصِدَ من وراءه، تحقير الحديث وتهوين لأمره، وتنفير الناس عنه، وهى دعوى تتردد وتكرر كلما عجزوا عن إقامة الدليل على عدم صحة حديث ما، ولذلك يكثرون من ذكر هذه العبارات التى لا تدل إلا على تنصل صاحبها من إتباع سنة رسول الله (والعمل بها والإسلام دين كامل، بعقائده، وعباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، لا يحقر جزء من جزئياته، ولا فرع من فروعه، ولا يستهان به⁰

(1) انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان 55/4، الهامش، ودفاع عن السنة 345، 346، وسلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد 61/1، وموقف المدرسة العقلية من السنة 269/2، 270، والسنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر ص 80-81 ⁰

(151/3)

وقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بكل شعب الإيمان وشرائع الإسلام من غير تفريط في جانب منها مع القدرة على ذلك قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (1) ⁰

قال الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية : "يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك" (2) ⁰

... والقول بأنه لم يعمل به أحد من المسلمين، قول عار عن الصحة، ودعوى جريئة جاء الحق بخلافها 0

(1) الآية 208 من سورة البقرة 0

(2) تفسير القرآن العظيم 247/1 0

(152/3)

روى عبد الله بن المثنى (1) ، عن عمه ثمامه (2) ؛ أنه حدثه قال : كنا عند أنس، فوقع ذباب في إناء فقال أنس (3) بأصبعه فغمسه في ذلك الإناء ثلاثاً ثم قال : بسم الله 0 وقال : إن رسول الله (، أمرهم أن يفعلوا ذلك (4) 0

- (1) هو : عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى، أبو المثنى البصرى، روى عن عمومته، والحسن، وعنه ابنه محمد، ومسدد، وعبد الواحد بن قياس 0 قال ابن معين وأبو زرعة : صالح 0 وقال الحافظ ابن حجر : صدوق كثير الغلط 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 527/1 رقم 3582، والكاشف 592/1 رقم 2942، والجرح والتعديل 177/5 رقم 830 0
- (2) هو : ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك، الأنصارى، البصرى، قاضيه 0 روى عن جدة، والبراء وعن أبي هريرة مرسلاً 0 وعنه عبد الله بن المثنى، وعمر 0 قال أبو حاتم والذهبي ثقة 0 وقال الحافظ ابن حجر : صدوق 0 له ترجمة في : تقريب التهذيب 150/1 رقم 855، والكاشف 285/1 رقم 716 0 والجرح والتعديل 466/2 رقم 1893 0
- (3) قوله "فقال أنس" : يراد به الفعل 0 لأن العرب تجعل القول عبارة لجميع الأفعال، وتطلقه على غير اللسان والكلام فتقول : قال بيده : أى أخذ 0 وقال برجله : أى مشى ... إلخ 0 انظر : النهاية 124/4، والقاموس المحيط 41/4، 42 0
- (4) ذكره الحافظ في الفتح : وقال أخرجه البزار ورجاله ثقات، ورواه حماد بن سلمة، عن ثمامه فقال "عن أبي هريرة" ورجحها أبو حاتم، وأما الداقنى : فقال : "الطريقان محتملان" انظر : فتح البارى 261/10، 262 رقم 5782 0

وروى أحمد من طريق سعيد بن خالد (1) قال : "دخلت على أبي سلمة فأتانا يزيد وكتلة (2) ، فأسقط ذباب في الطعام، فجعل أبو سلمة (3) يقلقه بأصبعه فيه فقلت: يا خال! ما تصنع؟ فقال : إن أبا سعيد الحدرى حدثني عن رسول الله (: "إن أحد جناحي الذباب سم، والآخر شفاء، فإن وقع في الطعام، فأمقلوه (4) ، فإنه يقدم السم، ويؤخر الشفاء" (5) 0 فأنس صحابي، وأبو سلمة تابعي، وقد عملا بمضمون هذا الحديث، فكيف يزعم بأن أحداً من المسلمين لم يعمل به؟ (6) 0 هذه دعوى، وغيرها كثير، يطلقها أولئك القوم من غير علم ولا تحقيق؛ ليخدعوا بها السذج من الناس، ويحدث من جرائمها شر وفساد عريض (7) 0

-
- (1) سعيد بن خالد هو : ابن عبد الله بن قارظ، الكتاني، المدني، حليف بنى زهرة، روى عن ربيعة بن عباد وابن المسيب، وعنه ابن أبي ذئب، وابن إسحاق 0 صدوق له ترجمة في : تهذيب التهذيب 20/4 رقم 2660، وتقريب التهذيب 351/1 رقم 2298، والكاشف 434/1 رقم 1873، والجرح والتعديل 16/4 رقم 62 0
- (2) الكتلة: هو ما جمع من التمر والطين واللحم وغير ذلك انظر: النهاية 150/4، والقاموس المحيط 43/4
- (3) أبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، المدني قيل اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل 0 أحد الأئمة الثقات المكثرين 0 روى عن أبيه، وعائشة، وأبي هريرة، وعنه ابنه عمر، والزهرى محمد بن عمرو مات سنة 94هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب 409/2 رقم 8177، والكاشف 431/2 رقم 6661، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 30 رقم 50، ومشاهير علماء الأمصار ص 83 رقم 430، والثقات للعجلي ص 499 رقم 1960 0
- (4) فامقلوه أى اغمسوه في الماء ونحوه 0 انظر النهاية 347/4 0
- (5) المسند 67/3 0
- (6) انظر: السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين حيث ضرب أمثلة عملية على عمل كثير من المسلمين بهذا الحديث 0 وإن لم يشعروا بأنهم يعملون بالحديث ص 55-58 0
- (7) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 271/2-273 0

والقول بأن الحديث لا دخل له في التشريع، وأنه من أمور الدنيا⁰
قول يحتاج إلى ما يدل عليه، فالحديث فيه أمر إرشادي من النبي (، لعلاج حالة إذا وقعت ولا حيلة
للمرء في دفعها، وهي "إذا وقع الذباب" أى رغماً عنكم، ولم يكن لكم حيلة في دفعة، وأردتم الانتفاع
بما وقع فيه من طعام أو شراب، فعليكم بغمسة كله⁰
فالأمر بالغمس أمر إرشاد لا أمر إيجاب، يأثم تاركه، إذ لم يقل بذلك أحد (1) ⁰
... أما قياس حديث الذباب بحديث تأبير النخل فغير صحيح⁰
فحديث الذباب حديث تشريعي، وأفاد حكماً شرعياً، بأن ما لا نفس له سائلة إذا مات في الماء
القليل لم ينجسه (2) ⁰
كما أفاد جواز أكل أو شرب ما وقع فيه الذباب بعد غمسه كله لمن شاء ورغب في ذلك⁰ ولا شك
أن كل ذلك حكم شرعي (3) ⁰

خامساً: أما القول بأن تصحيح الحديث من المطاعن التي تنفر عن الإسلام ... إلخ ما ذكره⁰
... فقول ساقط يحمل بين طياته استدراكاً على النبي (، الذي كان أحرص الناس على دين الله (،
وسد كل منافذ الطعن والقدرح فيه⁰

وكيف يكون في شريعة الله ما ينفر وهو القائل (: "بشروا ولا تنفروا⁰ ويسروا ولا تعسروا" (4) ⁰
وهل يعقل أن تكون أقواله التي نطق بها، وأفعاله التي فعلها منفرة للناس؟!

وأين موضع التنفير في هذا الحديث؟ إلا أنه أثبت أن في جناح الذباب شفاء؟ أيكون هذا تنفيراً؟
ياخفة العقول!

وأين هذه الشبهة التي يفتحها على الدين حتى يستغلها أعداء الإسلام؟
وهل وقف أعداء الإسلام فيما يثرونه من شبه عند حديث الذباب وحده؟

(1) انظر : السنة والتشريع لفضيلة الدكتور موسى شاهين ص 54، 55، ودفاع عن السنة لفضيلة

الدكتور محمد أبو شهبة ص 352 ⁰

(2) راجع : ص 880 0

(3) راجع : نقض دليل تقسيم السنة إلى سنة تشريعية، وغير تشريعية ص 468-464 0

(4) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجهاد والسير، باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير 283/6

رقم 1732 من حديث أبى موسى الأشعرى (0)

(155/3)

بل قد أثاروا شبهاً لا حصر لها فى أمور لا تخفى على أحد، بل حتى القرآن الذى نقل بالتواتر جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر؛ هل سلم وسلمت أحكامه من شبه أعداء الإسلام؟

... وهل إذا رددنا حديث الذباب، بل ورددنا السنة كلها، يكف ذلك شبههم عنا؟! ويستجيون بعد ذلك لديننا ويلتزمون بشريعتنا؟

بل لو تتبعنا شبههم - قاتلهم الله - ورددنا كل أمر اشتبهوا فيه ما بقى لنا من ديننا ما نتمسك به 0 ... ولماذا هذه الجمالة، وهذا التنازل لأعداء الإسلام على حساب ديننا؟

وما الذى يضرنا من شبههم، ونحن موقنون بأن ما جاءنا به رسول الله (هو الحق الذى لا مريه فيه، وما يقذف به أعداء الإسلام شبه باطلة داحضة لا قيمة لها من الصحة 0 وهل بعد ظهور ما يؤيد صدق الحديث من الناحية الطبية، تظل شبههم عالقة به؟ (1) 0

سادساً : أما القول بأن البحث فى الحديث عقيم ... إلخ 0

... فهو قول من جهل مقام النصوص، وضعف احترامه لها، إن لم يكن قد عدم تماماً 0 إن ما بذله بعض الأطباء الأفاضل من جهود حول تأييد هذا الحديث من الناحية الطبية، يجب أن يشكروا عليه ولا يذموا بما قدموا، إذا كانوا يهدفون من وراء ذلك دفع الشبه التى ألصقت بهذا الحديث، وبيان أن العلم الحديث لا ينافيه 0

... والحقيقة إن هذه البحوث وإن كانت تزيد الإنسان إيماناً بصدق الحديث، إلا أن الإيمان لا يتوقف عليها، إذ الحديث حجة قائمة بنفسه 0

... ويكفى في فصل هذه البحوث أنها نقضت الذى طبل من أجله أعداء السنن وزمروا، من أمثال النظام، وأتباعه من المستشرقين، وغلاه الشيعة، وأتباعهم أمثال محمود أبو ريه، الذى ذهب إلى وجوب ترك البحث فى هذا الحديث إلى ما وصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة، وتجاربه الصحيحة التى لا يمكن نقضها، ولا يرد حكمها⁰

(1) موقف المدرسة العقلية من السنة 277/2، 278 0

(156/3)

والذى يعجب منه الإنسان أن نظريات الغرب المتناقضة المختلفة التى لا تستقر على حال، تصبح عند هؤلاء أحكاماً مسلمة لا تنقض، ولا ترد، وحديث النبى (الصادق الذى لا ينطق عن الهوى، يطعن فيه، ويرد بغير حجة، ولا دليل⁰

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : "والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث، لما قر في نفوسهم من أنه يناق المكنشفات الحديثة، من الميكروبات ونحوها، وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الأسمى، فاستضعفوا أبا هريرة⁰

... والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكنشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ولكنهم لا يصرحون! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شئ⁰ وأن يؤولوا القرآن بما يخرجهم عن معنى الكلام العربى، إذا ما خالف ما يسمونه "الحقائق العلمية" وأن يردوا من السنة الصحيحة ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه! افتراء على الله، وحباً فى التجديد" (1) أ⁰هـ

وبعد

... فهذه نماذج قليلة من الأحاديث الصحيحة التى وجهت إليها نقود من أعداء السنة قديماً وحديثاً، لا يهام المسلمين أنها غير صحيحة، وأنها تتعارض مع عقولهم الزائفة، أو مع كتاب الله (،أو مع العلم أو غير ذلك من أصولهم الفاسدة التى حكموا بها على الأحاديث صحة أو ضعفاً⁰ والحق أن هؤلاء الجاهلين من الغباء بحيث لا ينبغي أن يعاب بهم أو يكثر بما يقولون⁰

فالتصدى للأحاديث الصحيحة، ومحاولة تضعيفها يكشف عن أن أصحابها لا يعرفون شيئاً أو

يتجاهلون ليثبتوا كيدهم للسنة بل للإسلام" (2) 0

وحقيق بكل مسلم أن يعلم أن للحديث الصحيح ثمرات طيبات ونتائج باهرات نذكر بعضها في
الفصل التالى 0

(1) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر 125/12، الهامش، وانظر : موقف المدرسة العقلية من
السنة 278/2 – 279 0

(2) انظر : نصوص من السنة ودفاع عنها للدكتور رفعت فوزى المقدمة، والسنة النبوية الشريفة
للدكتور أحمد كريمة ص 70، وظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها للدكتور صالح أحمد رضا ص
69، 70 0

(157/3)

الفصل التاسع

ثمرات ونتائج الحديث الصحيح

... للحديث الصحيح ثمرات طيبات ونتائج باهرات منها :

1- إذا صح الحديث وجب العمل به، حتى ولو لم يخرجه الشيخان ما دامت قد ثبتت صحة
الحديث، وعلى ذلك اتفاق العلماء (1) 0

يقول فضيلة الدكتور مروان شاهين : "ودع عنك يا أخى ترهات المعاندين فى هذه المسألة، فإن
القضية متعلقة بالإيمان وعدمه، والمؤمنون لا يقدمون أبداً أى قول على قول الله تعالى ورسوله (، ولا
يمكن لمسلم أبداً أن يتوقف فى العمل بحديث ثبتت صحته عند العلماء، وحاشاه أن يكون من
المعاندين، إن المؤمن يسارع إلى تنفيذ حكم الله تعالى، وتنفيذ ما ثبت صحته من حكم رسول الله (،
وهكذا شأن أئمة الإسلام جميعاً، الأئمة الأربعة وغيرهم، وتواترات على ذلك أقوالهم، والإمام
الشافعى وغيره قد قال : "إذا صح الحديث فهو مذهبي" (2) 0

2- العمل بالحديث الصحيح واجب، حتى ولو كان عمل أكثر الأمة بخلافه، لأن الأصل المقدم

دائماً هو قول الله تعالى، وقول رسوله (، ومعنى وجوب العمل بالحديث الصحيح هنا، الاحتجاج والعمل به بوجه عام، باعتباره وحياً أوحى الله (به إلى رسوله (، أو أقره عليه (3) 0
3- لزوم العمل بالصحيح متى علمنا به بدون إبطاء، وقد تراجع كثير من الصحابة عن القول بآرائهم متى بلغهم حديث رسول الله (0)

-
- (1) نزهة النظر ص 26، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص 87 0
(2) انظر : الفقيه والمتفقه 388/1 رقمي 405، 406، ومناقب الشافعي للرازي ص 317-319، وتيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص 172، 173 0
(3) انظر: الفقه الإسلامي مرونته وتطوره للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص 61، 62 0

(158/3)

4- متى صح الحديث صار أصلاً من الأصول، ولا يحتاج إلى عرضه على أصل آخر والأصول تتوافق، وما يبدو من ظاهرها من التعارض أحياناً، فإن العلماء قد بينوا وجوه الجمع بينها بحيث يندفع التعارض في النهاية بإذن الله (1) 0
5- ينبغي أن يفهم عن الرسول (، مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان 0
وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال عن الصواب، ما لا يعلمه إلا الله (، بل سوء الفهم عن الله (ورسوله (أصل كل بدعة، وضلالة، نشأت في الإسلام 0

وهل أوقع القدريّة، والمرجئة، والخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والروافض، وسائر طوائف أهل البدع والإلحاد قديماً وحديثاً في زيغهم؛ إلا سوء الفهم عن الله (ورسوله (؟) (2) 0
هذا وللعلامة القاسمي في قواعد التحديث، كلام طيب ورائع، حول ثمرات الحديث الصحيح، فليراجعها من يشاء؛ فإنها مفيدة" (3) 0

الفصل العاشر

"مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة"

... التشكيك والطعن في الأحاديث النبوية الصحيحة، وردّها، له مضاره الخطيرة على ديننا، وعلى وحدة أمتنا الإسلامية، ومن تلك المضار :
أولاً : إخراج ما هو من الدين : فكما أن وضع الأحاديث بالإختلاف والكذب يدخل في الدين ما ليس منه، فإن رد صحيحها يخرج من الدين ما هو منه، وهذا عين الإبتداع، لأنه يكون بالزيادة والنقص⁰

(1) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص 173 0

(2) الروح لابن قيم الجوزية ص 87، 88 بتصرف⁰

(3) انظر : قواعد التحديث ص 85 – 102 0

(159/3)

ثانياً : إشاعة البلبلة الفكرية، وتلك مصيبة كبرى لا يدرك أخطارها الحالية والمستقبلية هؤلاء اللاعبون بالنار؛ لأنها تفتح الباب على مصراعيه لفقد النصوص قداستها وحرمتها وتمهد السبل لأذئاب العلمانية ومن يشاطرهم الكيد للإسلام، والتطاول، على النصوص، والاستخفاف بها، وأخذ ما يتفق مع الأمزجة وهجر ما عداها (1) 0
وسيتحمل هؤلاء إثم تفرقة الأمة الإسلامية، وإثارة البلبلة بين صفوفها 0أه

وفي الختام ... نسأله -جلا جلاله- أن يجعلنا ممن يكون هواه تبعاً لما جاء به المصطفى (قدوتنا في حياتنا كلها، الشخصية، والاجتماعية، وأن ينفع بهذا البحث أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وأن يكون سهاماً مسمومة في نحر أعداء الإسلام في كل زمان ومكان⁰

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ...

(1) السنة النبوية للدكتور أحمد محمد كريمة ص 77، وانظر : الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد
ص 97-98 0

(160/3)

الخاتمة

في

نتائج هذه الدراسة

ومقترحات

وتوصيات

الخاتمة

... وفي نهاية المطاف نلخص أهم ما وصلت إليه هذه الرسالة من نتائج ومقترحات وتوصيات :
أن مؤامرة التشكيك في حجية السنة المطهرة ومكانتها التشريعية أخذت طريقها إلى عقول بعض
الفرق في الماضي، كما أخذت طريقها إلى عقول المستشرقين، ومن استمالوهم من أبناء المسلمين في
الحاضر 0

أن معركة أعداء الإسلام مع السنة المطهرة تنسم من جهة أعدائها بالدقة، والتنظيم، والكيد المحكم،
كما تنسم من جهة المسلمين بالبراءة، والغفلة، والدفاع العفوى، دون إعداد سابق أو هجوم مضاد 0
أن القواعد التي ينطلق منها أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد لها واحدة فشبهات القدماء هي
نفسها شبهات المعاصرين 0 وصدق الله العظيم إذ يقول : (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) (1) وقال () : (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) (2) 0

تأثر الفرق الكلامية بالفلسفة اليونانية، وأعطوها صبغة إسلامية ليستعينوا بها على نظرياتهم وجدلهم،
فكان ذلك ذا أثر بالغ في رد النصوص بالعقل، وفتح باب شر عظيم على أمة الإسلام، دخل منه
كثيرون من أعداء الإسلام، وتأثر بذلك بعض أبناء المسلمين
مخالفة الفرق الكلامية منهج السلف في فهم النصوص، وعجز عقولهم عن الفهم الصحيح لها، أدى
بهم إلى الاضطراب، وعدم الاستقرار المنهجي 0

أن أهل السنة والجماعة هي الفرقة الوحيدة التي حالفها الصواب والسداد في فهم النصوص من الكتاب والسنة، حيث لم يقدموا العقل على نصوص الوحي، ولم يلغوا عمله، بل وقفوا به عند حده الذى حده الله له، فأعملوه حيث جاز له أن يعمل، ووقفوا به حيث حق له أن يقف⁰

(1) جزء من الآية 118 من سورة البقرة⁰

(2) الآية 53 من سورة الذاريات⁰

(161/3)

فساد منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام، مهما حاولوا إدعاء المنهجية العلمية التي يزعمونها، وسبب ذلك عدم تخلصهم من العصبية والعداء للإسلام وأهله⁰

نجاح الاستشراق في استقطاب كثير من أبناء الإسلام الذين انخدعوا بأفكاره وآرائه وتأثروا بثقافته ومناهجه، وكثير منهم يمثلون رموزاً بارزة في بلدانهم، فكان لذلك أثر بالغ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين، وانخداع السذج منهم بها، وتفلت كثير منهم بسببها من التمسك بالشرع، فكان خطرهم أعظم، وفسادهم أكبر، لأنهم يهدمون السنة من داخلها⁰

أظهر البحث بما لا يدع مجالاً للشك، أنه لو سلمنا جدلاً أنه يكفي الاستناد على القرآن وحده في تحليل، الحلال وتحريم الحرام ... ولم نعبأ بالسنة أبداً، وتركنا القرآن يخطئ فيه المخطئون، ويتعمد فيه الكذب الكذابون، ويتلاعب فيه الملحدون، ويخوض فيه المنافقون بما تسوله لهم نفوسهم، وتلميه عليهم رؤسائهم وشياطينهم، فإن الخلاف بين الناس لا يزول كما هو معلوم بالضرورة، وإنما سيزيد ويستفحل، ويصل بهم إلى مدارك الهاوية، ويتفرق بهم في دروب التيه⁰

أكد البحث أن عدم الأخذ بالسنة دعوة إلحادية، يريد أصحابها لنا الإعراض عن هدى النبوة، وينسون أنهم يتمسكون بتشريعات واهية، لا أساس لها تقوم عليه، ولو سلمنا لهم جدلاً أنه يجب إبطال السنة، مع صحة نقلها بالإسناد المتصل؛ الذى هو منة عظيمة خص الله بها الأمة الإسلامية دون سائر الأمم، لكان لزاماً علينا من باب أولى أن نبطل جميع التشريعات المتداولة في الدنيا مهما كان مصدرها سماوياً أو وضعياً لأن من المسلم أن البقاء للأصح سنداً، والأصدق رواية⁰

إن منكرى السنة بجمليتها تسول لهم نفوسهم المريضة وتصور لهم عقولهم المتحجرة، ادعاء العلم بدين

الله وأسرار شريعته أكثر من رسوله (- والعياذ بالله - وإلا فكيف يتجرؤون أن ينكروا سنته، وإذا كان ذلك كذلك فمن الذى يطاع : رسول الله (، أم الخارجين عن دين الله؟!

(162/3)

قرر البحث أن السنة ضرورة دينية، وأن كثيراً من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها الفقهاء؛ متوقفة على حجيتها، فلو لم تكن حجة، كيف يتوقف الضرورى - وهو الإجماع - على ما ليس بضرورى - وهى السنة؟!!

إن الأدلة الشرعية جميعها متوافقة متألّفة متلائمة، لا اختلاف، ولا تنافر، ولا تضارب بينها، كما يشهد لذلك قول الحق تبارك وتعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (1) ومن هنا فالشريعة خالية البتة من كل تناقض، وتعارض حقيقيين لإستلزامهما العجز والجهل المحالين على الله تعالى، هذا وإن أى تعارض يراه الباحث إنما يكون بحسب الظاهر فقط بالنسبة إليه، أو لكونه يتوهم ما ليس بدليل دليلاً، أو لتصوره أن نصين من النصوص يدلان على حكمين متعارضين مختلفين، بينما النصان فى واقع الأمر لا تعارض، ولا اختلاف فى حكمهما، بل لكل واحد منهما جهة غير جهة الآخر، فالتعارض حينئذ يكون سببه عجز الباحث وعدم درايته، لكونه غير معصوم من الخطأ، لا فى النص ولا فى مدلوله على الحكم⁰

إن دعوى وجود عقليات مخالفة للشرع، لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح، بل هى أوهام وخيالات، وشبه عارية عن الصواب، إضافة إلى أنه لا ضابط عند من يرد النصوص بالقرآن والعقل يفرق به بين ما يرد، وما لا يرد⁰

رد النصوص عقلاً أوجد أثراً بالغاً فى زعزعة كثير من العقائد، وعدم احترام نصوص الوحي الاحترام اللائق، والتهوين من شأنها⁰

أن جميع ما يتناقله الشيعة الرافضة، وأهل البدع فى كتبهم من المطاعن العامة والخاصة فى أصحاب رسول الله (، لا يعرج عليها ولا كرامة، فهى أباطيل وأكاذيب مفتراه إذ دأب الرافضة، وأهل البدعة رواية الأباطيل، ورد ما صح من السنة المطهرة، والتاريخ⁰

(1) الآية 82 من سورة النساء⁰

(163/3)

وجدت من خلال صحبتى لبعض خصوم السنة، أنهم جميعاً من أصحاب الترف، والكبر، الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه، ومن أهله، فهم كما تنبأ بهم المصطفى (بقوله "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيته عنه فيقول لا ندرى، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه" (1) 0

هذه أهم نتائج الدراسة فى موضوع : "السنة النبوية فى كتابات أعداء الإسلام فى الكتابات العربية" وإذا كان لى أن اقترح أو أوصى بشئ فى هذا المقام؛ فإنى اقترح وأوصى بما يلى : دراسة شبهات أعداء السنة قديماً وحديثاً، وبيان بطلانها من خلال تدريس تاريخ السنة وعلومها0 إخضاع الكتابات المتعلقة بما يمس السنة النبوية للتدقيق والتمحيص، وسد منافذ الاجتزاء على السنة النبوية بديار المسلمين، وتحريم ذلك فى جميع الوسائل0 الحكم بالارتداد على منكرى السنة النبوية، وتنفيذ أحكام الله فيهم بمعرفة القضاء؛ لأن منكر السنة منكر للقرآن0

الحكم بالابتداع على رادى الأحاديث النبوية الصحيحة، وإقامة عقوبة التعزير عليهم وإرشادهم إلى الحق0

قال نعيم بن حماد - رحمه الله - : "من ترك حديثاً معروفاً، فلم يعمل به، وأراد له علة، أن يطرحه، فهو مبتدع" (2) 0

العمل على أن يكون للمحدثين رابطة على مستوى العالم الإسلامى؛ تجمع شملهم، وتقنن أعمالهم، وتلم شعث جهودهم0

مواصلة العمل الجاد، وتضافر الجهود، وتشابك الأيدي، وإخلاص النية، كى نبين ما ينطوى عليه الغرض الخبيث الذى يلتقى عليه أعداء الله للنيل من سنة رسوله (، ومن رواتها الثقات الأعلام، ومن ثم وقف هذه الحملة الشرسة المسعورة التى تستهدف هدم القرآن وكل ما يتصل به من سنة، وتاريخ، وأمة تتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها0 وبعد

(1) سبق تخريجه ص 233 0

(2) أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه 386/1 رقم 399 0

... فهذا آخر ما فتح الله على به، ووفقني لكتابته في هذا الموضوع الجليل، والبحث الخطير، الذي اعترف فيه بالعجز والتقصير 0

... ولعلني أكون قد أصبت في بعض مسأله، وشفيت الغليل في شيء من مباحثه 0 فإن يكن ذلك حقاً : فبفضل الله، وهدايته، وحسن توفيقه، وعنايته 0

... وفي الختام 0 أسأل الله (الصفح والغفران، فيما زلت فيه قدمي، وانحراف فيه عن جادة الحق قلمي 0

اللهم تقبل هذا الجهد الضئيل خالصاً لوجهك الكريم
وانفع به المستفيدين، وارزقني دعوة صالحة منهم، ينالني بها عفوك ورضاك
وآخر دعوانا : "أن الحمد لله رب العالمين"
وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين
وعلى آله، وصحبه، والمتمسكين بسنته أجمعين 0

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- ثانياً : فهرس الأحاديث، والآثار، والأقوال
- ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
- رابعاً : فهرس الأشعار
- خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق

سادساً : فهرس المصادر والمراجع

سابعاً : فهرس الموضوعات

أولاً

فهرس الآيات القرآنية

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة الفاتحة ... 4 ... 726,731

(مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ

سورة البقرة ... 6,7 ... 374

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ...) ... 43 ... 18,504

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) ... 48 ... 111,785

(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ...) ... 85 ... 290

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ...) ... 105 ... 133,135

(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...) ... 109 ... 133,135

(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...) ... 111 ... 202

(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ... 118 ... 64, 892

(كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ...) ... 120 ... 57,136

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى) ... 132 ... 741

(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ ...) ... 142-144 ... 449

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ...) ... 143 ... 610

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...) ... 159,160 ... 331,641

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ...) ... 178 ... 531

(الْحُرُّ بِأَحَرٍّ وَالْعَبْدُ بِأَعْبِدٍ ...) ... 183 ... 532

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ...) ... 191 ... 437

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ...) ... 198 ... 279

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا ...) ... 205 ... 85

(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ ...) ... 208 ... 883

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ...) ... 213 ... 204
(فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ...) ... 217 ... 5,6

(166/3)

(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ...

...

الآية ... الرقم ... الصفحة

(وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ...) ... 217 ... 873
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...) ... 222 ... 446,448
(وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...) ... 231 ... 742,865
(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ ...) ... 234,240 ... 563
(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ...) ... 249 ... 789
(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...) ... 255 ... 86
(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ...) ... 256,257 ... 455,466
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ ...) ... 282 ... 851
(ءَامِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ...) ... 285

سورة آل عمران ... 7 ... 61,565

(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ...) ... 19 ... 180,203
(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ... 26 ... 726
(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ...) ... 28 ... 100,752
(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ...) ... 38 ... 492
(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ...) ... 46 ... 808
(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ...) ... 49 ... 794
(وَأَنْبِئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ...) ... 55 ... 806

(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ (... 58 ... 209)
 (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ ... (... 73 ... 146)
 (وَلَا تَوَدُّوا إِلَّا لِمَنِ تَبَعَ دِينُكُمْ ... (... 79 ... 23)
 (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ... (... 81 ... 446،489)
 (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ... (... 85 ... 180،203)
 (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ... (... 103 ... 56،438)
 (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ... (... 104 ... 112)
 (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ... (... 105 ... 439)
 (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ... (... 106 ... 61)
 (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

(167/3)

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... (... 110 ... 613،)
 (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ... (... 133 ... 596)
 (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ... (... 145 ... 189)
 (وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ... (... 155 ... 618،626)
 (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ... (... 164 ... 446)
 (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ ... (... 179 ... 794)
 (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ ... (... 187 ... 192)
 (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... (... 194 ... 779)
 سورة النساء ... 11 ... 506
 (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ... (... 12 ... 280)
 (وَلَهُ أَخٌّ أَوْ أُخْتُ) ... (... 14 ... 474)
 (وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... (... 15 ... 222)

(أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ...) ... 20 ... 397
 (وَءَاتَيْنَاهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ...) ... 23 ... 228
 (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ...) ... 24 ... 532
 (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ...) ... 24 ... 101,530
 (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...) ... 25 ... 532
 (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا ...) ... 35 ... 70
 (فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ...) ... 43 ... 488
 (فَاْمَسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ ...) ... 48 ... 111
 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ...) ... 40 ... 474,780
 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ...) ... 41 ... 474,780
 (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ...) ... 54 ... 446
 (فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ ...) ... 59 ... 70,200
 (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ...) ... 61 ... 473
 (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا ...) ... 64 ... 472
 (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ...) ... 65 ... 300,470
 (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى ...) ... 77 ... 532
 (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ...) ... 78 ... 50
 (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ ...) ... 80 ... 893

(168/3)

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ ...) ... 82 ... 33
 (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) ... 87 ... 136,710
 (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ...) ... 89 ... 782

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ...) 93 ... 727
(وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ...) 95 ... 58,229
(فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا ...) 101 ... 58
(إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا ...) 101 ... 189
(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ...) 103 ... 220,499
(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ...) 105 ... 246,447
(وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ...) 113 ... 480
(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ...) 115 ... 780
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ...) 116 ... 469
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ...) 136 ... 531
(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ ...) 141 ... 58
(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ...) 142 ... 807,808
(وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ...) 157,158 ... 810
(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...) 159 ... 571
(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...) 163 ... 244
(رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...) 165 ... 246
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ ...) 174 ...
سورة المائدة ... 3 ... 185,193
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...) 6 ... 226,488
(فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ...) 33 ... 227,491
(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ...) 38 ... 506
(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) 45 ... 532
(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ...) 48 ... 592
(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ...) 50 ... 731
(وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ...) 60 ... 57

(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ...) ... 64 ... 193،201
(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ...) ... 67 ... 280

(169/3)

(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ...) ... 89 ... 471
(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ...) ... 92 ... 428
(الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ ...) ... 107 ... 446،447
(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي ...) ... 110 ... 619،752
(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ...) ... 116، 117
سورة الأنعام ... 2 ... 189
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ...) ... 19 ... 185،197
(لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ...) ... 38 ... 184،187
(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ ...) ... 54 ... 773
(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ...) ... 59 ... 188
(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ..) ... 60 ... 807
(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ...) ... 93 ... 828
(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ ...) ... 103 ... 764،765
(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ...) ... 108 ... 56
(فَيَسْئَلُوا اللَّهَ عَذْوًا ...) ... 112 ... 164
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ...) ... 114 ... 184،190
(أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَبْتَعِيَ حَكَمًا ...) ... 115 ... 184،187
(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ...) ... 119 ... 58
(وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ ...) ... 125 ... 770
(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ...) ... 144 ... 403
(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ ...) ... 145 ... 494
(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

- (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ...) 247 ... 148 ...
(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ...) 795,803 ... 149 ...
(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ...) 60,81 ... 158 ...
(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ...) 159 ...
سورة الأعراف ... 31 ... 873
(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ...) 69 ... 32 ...
(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ...) 571 ... 65 ...
(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ...) 571 ... 72 ...
(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ...) 852 ... 116 ...

(170/3)

-
- (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ...) 759,760 ... 143 ...
(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ...) 758 ... 143 ...
(وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ...) 531,799 ... 145 ...
(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ...) 233 ... 157 ...
(وَيَجْلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ...) 469 ... 158 ...
(فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...) 463,469 ... 158 ...
(وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ...) 186,197 ... 170 ...
(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ...) 749 ... 180 ...
(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...) 622 ... 184 ...
(أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ ...) 793 ... 188 ...
(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ...)
سورة الأنفال ... 20,21 ... 201
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ...) 437,821 ... 25 ...

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ...) ... 29 ... 253
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ ...) ... 36 ... 146
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ ...) ... 38 ... 24
(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا ...) ... 50 ... 828
(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

(إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ ...) ... 65 ... 457,612
(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ...) ... 67-69 ... 136
(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْنَتِهِمْ أَولِيَاءُ بَعْضٍ ...) ... 73
سورة التوبة ... 1 ... 58
(بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...) ... 25 ... 618
(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ...) ... 26 ... 626
(ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ...) ... 32,33 ... 6
(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ ...) ... 40 ... 606
(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ...) ... 56 ... 623
(وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُم ...) ... 63 ... 475
(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ ...) ... 80 ... 312
(اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...) ... 84 ... 312

(171/3)

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ ...) ... 97 ... 69
(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ...) ... 101 ... 617
(سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ ...) ... 118 ... 612
(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ...) ... 119 ... 611
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ...)

سورة يونس ... 3 ... 789

- (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ...) (... 15 ... 735)
(مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ ...) (... 15،16 ... 733)
(قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ...) (... 26 ... 760)
(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ...) (... 57 ... 872)
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ ...) (... 64 ... 204)
(لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ...) (... 69 ... 396)
(قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ ...) (... 87 ... 486)
(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة هود ... 6 ... 188

- (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ...) (... 15،16 ... 714)
(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ...) (... 41 ... 727)
(بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَا وَرُسَانَهَا ...) (... 43 ... 443)
(سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ ...) (... 71 ... 493)
(فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ ...) (... 102 ... 502)
(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ...)

سورة يوسف ... 1-3 ... 285

- (الرِّبَالُ تِلْكَ آيَاتُ ...) (... 3 ... 266)
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ...) (... 32 ... 443)
(وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ...) (... 37 ... 794)
(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ...) (... 39 ... 623)
(يَا صَاحِبِي السِّجْنِ ...) (... 76 ... 501)
(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

سورة الرعد ... 8 ... 110

- (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) (... 31 ... 779)
(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (... 41 ... 247)

(وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ حُكْمِهِ)
سورة إبراهيم ... 1 ... 189
(الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ...) ... 4 ... 192
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ...) ... 27 ... 824

(172/3)

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ...) ... 37 ... 493
(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ...) ... 39 ... 492
(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ ...)
سورة الحجر ... 1 ... 206
(الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ ...) ... 6-9 ... 206
(وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ...) ... 9 ... 197،198
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ...) ... 10-13 ... 110
(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا ...) ... 21 ... 855
(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ ...) ... 39-40 ... 854
(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ...) ... 42
سورة النحل ... 32 ... 828
(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ...) ... 38، 39 ... 191
(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ...) ... 43 ... 501
(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ...) ... 44 ... 2،190
(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ ...) ... 64 ... 2،189
(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ ...) ... 68 ... 876
(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ...) ... 69 ... 870،873

(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ...) ... 89 ... 184،190
 (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا ...)
 سورة الإسراء ... 9 ... 195،205
 (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ...) ... 23 ... 731
 (فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍّ ...) ... 36 ... 558،561
 (وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...) ... 39 ... 447
 (ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ ...) ... 48 ... 654
 (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا ...) ... 77 ... 28
 (سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا ...) ... 79 ... 790
 (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ...) ... 85 ... 87
 (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...)
 سورة الكهف ... 5 ... 318
 (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ...) ... 55 ... 28
 (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا ...) ... 110 ... 714،720
 (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ...)

(173/3)

الآية ... الرقم ... الصفحة
 سورة مريم ... 53 ... 492
 (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا ...) ... 69 ... 80
 (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ...) ... 71 ... 314
 (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ...) ... 72 ... 314
 (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ...)
 سورة طه ... 10 ... 372
 (أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى ...) ... 65-68 ... 855
 (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا ...) ... 66 ... 851

(يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ...)

سورة الأنبياء ... 18 ... 178

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ...) ... 23 ... 247

(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ... 28 ... 789

(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ...) ... 34 ... 783

(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) ... 50 ... 209

(وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ...) ... 96 ... 795

(حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ...)

سورة الحج ... 26، 27 ... 490

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ...) ... 55 ... 135

(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ ...) ... 70 ... 770

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ...)

سورة المؤمنون ... 2 ... 621

(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) ... 9 ... 504

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ... 18 ... 594

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...) ... 44 ... 539

(ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتَرَى ...) ... 100 ... 821

(وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة النور ... 11 ... 430

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ... 30 ... 857، 862

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ... 39، 40 ... 496، 588

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَاهُ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ...) ... 47-52 ... 474

(وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ...) ... 56 ... 471، 504

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...) ... 58 ... 486

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ ...) ... 63 ... 300,364

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ...)

سورة الفرقان ... 2 ... 769,771

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) ... 8 ... 834,849

(وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا ...) ... 24 ... 386

(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ ...) ... 31 ... 164

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ...) ... 34 ... 386

(أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ...) ... 70 ... 790

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ ...)

سورة الشعراء ... 212 ... 849

(إِيَّاهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) ... 218 ... 763

(الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) ... 227 ... 6

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)

سورة النمل ... 7 ... 372

(بِشَهَابٍ قَبَسٍ ...) ... 65 ... 794

(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ ...) ... 80 ... 819,822

(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ...) ... 82 ... 795

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ ...)

سورة القصص ... 15 ... 81,854

(فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ ...) ... 15 ... 81,854

(هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ...) ... 88 ... 752

(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة العنكبوت ... 41 ... 707

(وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ...) ... 51 ... 186,197

(أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ...)

سورة الروم ... 52 ... 276

(فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى ...) ... 53 ... 276

(وَمَا أَنْتَ بِمَادِي الْعُغْمَى ...)

سورة لقمان ... 6 ... 24

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ ...) ... 34 ... 794

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)

سورة الأحزاب ... 4 ... 860

(وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ...) ... 5 ... 500

(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ...) ... 21 ... 229,461

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ...) ... 34 ... 448

(175/3)

(وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ...) ... 36 ... 29,474

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ...) ... 38 ... 769

(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) ... 64-66 ... 475

(إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ ...)

سورة سبأ ... 3 ... 188

(عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ ...) ... 28 ... 152

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ...)

سورة فاطر ... 11 ... 189

(وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ...) ... 22 ... 819

(وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ...) ... 41 ... 209

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ...) ... 43 ... 204

(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ...) ... 42-43 ... 23

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة يس ... 13، 14 ... 571

(وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ...) ... 20 ... 571

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ...) ... 82 ... 750

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ...)

سورة الصافات ... 8 ... 849

(لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ...) ... 89 ... 503

(فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) ... 96 ... 771

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ... 100-102 ... 493

(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) ... 180 ... 749

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ...)

سورة ص ... 24 ... 563

(وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ...) ... 32 ... 208

(فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ ...) ... 41 ... 854

(وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ...) ... 75 ... 752

(لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)

سورة الزمر ... 23 ... 24,33

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ...) ... 32 ... 396

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ ...) ... 67 ... 753

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...)

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ ...) ... 42 ... 789

(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ...) ... 44 ... 111

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ...) ... 53

سورة غافر ... 11 ... 816,819

(قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ...) ... 18 ... 111,785

(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ...) ... 46 ... 824,825

(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ...) ... 57 ... 803
(لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة فصلت ... 19 ... 56

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ ...) ... 30 ... 828

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ...) ... 41،42 ... 1

(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ...)

سورة الشورى ... 11 ... 750

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ...) ... 13 ... 592

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ...) ... 38 ... 332

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ...) ... 51 ... 765

(وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ ...) ... 52 ... 1،98

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...) ... 52،53 ... 470،534

(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ...)

سورة الزخرف ... 31 ... 207

(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ ...) ... 40 ... 822

(أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ...) ... 43 ... 207

(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ ...) ... 44 ... 206

(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ...) ... 61 ... 709

(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ ...) ... 72 ... 715

(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا ...)

سورة الدخان ... 43،44 ... 734

(إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ...)

سورة الجاثية ... 23 ... 751

(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ...)

سورة الأحقاف ... 9 ... 23

(إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ...) ... 15 ... 398

(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة محمد ... 15 ... 596

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ...) ... 18 ... 795

(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ...) ... 32 ... 475

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا ...) ... 33 ... 621

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ...)

سورة الفتح ... 4 ... 626

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ...) ... 18 ... 313

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ...) ... 23 ... 24

(سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ ...) ... 26 ... 626

(177/3)

(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ ...) ... 27 ... 795

(لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا ...) ... 29 ... 614

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ...)

سورة الحجرات ... 6 ... 146،411

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا ...) ... 9، 10 ... 630

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ...)

سورة ق ... 37 ... 300

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى ...)

سورة الذاريات ... 53 ... 892

(أَنْتَوَصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)

سورة الطور ... 11 ... 657

(فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ) ... 34 ... 32

(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ...)

سورة النجم ... 2 ... 457،622

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ... 4،3 ... 2،201

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ...) ... 15 ... 596

(عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) ... 28،23 ... 558،562

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ ...) ... 26 ... 561،582

(أَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزُرَّ أُخْرَى ... 38)

سورة القمر ... 17 ... 205

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ...) ... 49 ... 110،769

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ...) ... 51 ... 81

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ ...)

سورة الواقعة ... 35-37 ... 208

(إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ...)

سورة الحديد ... 10 ... 420،727

(وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ...) ... 22 ... 770،776

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ...)

سورة المجادلة ... 20،5 ... 475

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...) ... 18 ... 624

(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ...)

سورة الحشر ... 7 ... 196،220

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ...) ... 9،8 ... 611

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا ...) ... 24 ... 749

(لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...)

سورة الممتحنة ... 1 ... 57

(178/3)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ...) ... 10 ... 563

(فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ...)

سورة الجمعة ... 11 ... 617،620

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا ...)

سورة الطلاق ... 1 ... 561،582

(لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ...) ... 2 ... 607

(وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ)

سورة التحريم ... 1،2 ... 456،457

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ...) ... 3 ... 33

(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ...)

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة الملك ... 2 ... 719

(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...)

سورة القلم ... 4 ... 847

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

سورة الحاقة ... 44-46 ... 849

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ...)

سورة نوح ... 1 ... 570

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ...)

سورة الجن ... 9 ... 849

(فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا) ... 18 ... 489

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ...) ... 28-26 ... 794
(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى
سورة المدثر ... 42-48 ... 788
(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ...
سورة القيامة ... 17-19 ... 2,199
(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ...) ... 22,23 ... 760,765
(وَجُوهٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ
سورة الإنسان ... 20 ... 761
(وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا
سورة المرسلات ... 50 ... 33
(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ
سورة النازعات ... 15 ... 33
(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى
سورة المطففين ... 15-17 ... 761,764
(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ ...
سورة الانشقاق ... 8 ... 507
(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا

الآية ... الرقم ... الصفحة

سورة البروج ... 22,21 ... 205

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ

سورة الغاشية ... 1 ... 33

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ

سورة الليل ... 3 ... 733

(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)

سورة العلق ... 14 ... 763

(أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى)

سورة البينة ... 5 ... 713

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ...)

سورة العصر ... 1-3 ... 715

(وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

سورة الناس ... 2 ... 726

(مَلِكِ النَّاسِ)

*** **

(180/3)

ثانياً

فهرس الأحاديث، والآثار، والأقوال

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

(أ) ... أبو سعيد الخدرى ... 265

"أتريدون أن تجعلوها مصاحف ... " أبو موسى الأشعري ... 267

"أكتبتان ما سمعتما منى ... " ... 506

"أتى بسارق إلى النبي (" عمرو بن دينار ... 376

"اجعل صيام رمضان أخرهن ... " ... 775

"احتج آدم وموسى ... " ابن سيرين ... 670

"احتج النبي (في المسجد ... " عبدة السليماني ... 268

"أخرج على من يكتب عنى ... " ... 274

"أحفظوه وأخبروا به ... " عثمان بن عفان ... 459

"أحلت لكم ميتتان ودمان ... " ... 304
"أحدثك عن النبي وتقول فلان وفلان ... ابن عمر ... 268
"أخشى أن يليها أحد بعدى ... " ... 587
"ادرءوا الحدود بالشبهات ... " ... أبو سعيد الخدري ... 741
"إذا اختلفتم أنتم وزيد ... " ... 236
"إذا حدثتم عنى بحديث ... " ... أبو سعيد الخدري ... 424
"إذا حكم الحاكم فاجتهد ... " ... 761
"إذا دخل أهل الجنة الجنة ... " ... 340
"إذا استأذنت أحدكم امرأته ... " ... 239
"إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه ... " ... 875
"إذا وقع الذباب ... " ... 265
"أردتم أن تجعلوه قرآناً ... " ... 857
"ارضعیه تحرمى عليه ... " ... 262
"استئذنا النبي (فى الكتابة ... " ... 259
"استعن على ذلك بيمينك ... " ... 277
"اسمعوا واعقلوا وبلغوا عنا ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة
"الإسناد سلاح المؤمن ... " ... سفيان الثورى ... 684
"الإسناد من الدين ... " ... عبد الله بن المبارك ... 684
"أصحاب الرأى أعداء السنن ... " ... عمر بن الخطاب ... 62
"أعزم على كل من كان عنده كتاب ... " ... على بن أبى طالب ... 265
"أعقلتم بلغوا كما بلغتم ... " ... أبو أمامة ... 277
"أعيذك بالله أن تكون فى شك ... " ... عبد الله بن عمر ... 647
"أفلح إن صدق ... " ... 229
"اقتدوا باللذين من بعدى ... " ... عائشة ... 315
"أقرأنى جبريل على حروف ... " ... 725
"اكتبوا له ... " ... أبو هريرة ... 337

"أكل الضب على مائدة رسول الله ... " ... مرة الحمداني ... 459
"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ... " ... عمر بن الخطاب ... 445
"ألا ليبلغ الشاهد الغائب ... " ... علقمة ... 273
"ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث ... " ... 274
"ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي ... " ... 619
"ألا يعجبك أبو هريرة ... " ... 329

(181/3)

"اللهم اجعله هادياً مهدياً ... " ... 423
"اللهم حب عبيدك هذا ... " ... 651
"اللهم وليديه فاغفر ... " ... 784
"ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية ... " ... 783
"أما إنكم قد حفظتم وإن تطعني ... " ... 266
"أما إنه لو كان من القرآن أو السنة ... " ... 267
"إما أني لم أهلك ... " ... 337، 568
"أما علمت أن الكتاب يكره ... " ... 269
"الحق ... " ... 310
"أمرت أن أقاتل الناس ... " ... 398
"إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده ... " ... 825، 826
"إن ابني هذا سيد ... " ... 630
الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة
"أن أخوف ما أخاف على أمتي ... " ... أنس بن مالك ... 58
"إن أم سليم كانت تبسط للنبي (...) ... " ... 845
"إن أنت وجدته ميتاً فأحرقه ... " ... أبي بن كعب ... 394
"أنا سيد الناس يوم القيامة ... " ... 790
"أنا أشد تعظيماً لحق أمير المؤمنين منك ... " ... ابن عباس ... 428

- "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ... " ... ابن عباس ... 838
- "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً نقول ... " ... ابن عباس ... 327
- "إنا كنا نحفظ الحديث والحديث يحفظ ... " ... ابن عباس ... 277
- "إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه ... " ... يحيى بن معين ... 266
- "إنا لا نكتب إلا الرسائل والقرآن ... " ... 266
- "إنا لنطعن على أقوام لعلمهم قد حطوا ... " ... أبو عبد الله ... 413
- "إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على ... " ... 661
- "إن أهل مكة ليفكرون بالله ... " ... ابن مسعود ... 86
- "إن بني إسرائيل تفرقت ... " ... 38، 662
- "إن بين أيديكم فتناً ... " ... أبو عبد الله ... 417
- "أنتم أعلم بأمر دنياكم ... " ... 452
- "أنتم من أحب الناس إلى ... " ... عمر بن عبد العزيز ... 840
- "أنت من الأولين ... " ... عمران بن حصين ... 422
- "أنتم اليوم خير أهل الأرض ... " ... 314
- "إن جبريل هبط عليه وقال له خيرهم ... " ... 456
- "إن جاءك شئ في كتاب الله ... " ... 301
- "إن الحديث سيفشوا عنى ... " ... 215
- "إن حوضى لأبعد من أيلة ... " ... 627
- "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه ... " ... 655
- "إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم ... " ... 359
- "إن الروم كفروا ولم يعاندوا، وإن أهل الشام كفروا .. " ... 86
- "إن شئت فصم وإن شئت فأفطر ... " ... 229
- "إن العبد إذا وضع في قبره ... " ... 822
- "انظر ما كان من حديث رسول الله فاكته ... " ... 340

"إنك امرء أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً ... " ... 482
"إنك تقدم على قوم أهل كتاب ... " ... 569

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

- "إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها ... " ... عمر بن الخطاب ... 610
"إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ... " ... 586
"إنكم تأتون الكوفة ... " ... أبو هريرة ... 321
"إن كذباً على ليس ككذباً على أحد ... " ... 275
"إنكم سترون ربكم عياناً ... " ... ابن مسعود ... 762
"إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ... " ... 762
"إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ... " ... عبد الله بن مسعود ... 401
"إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي ... " ... 351
"إن الله اختار أصحابي على العالمين ... " ... ابن سيرين ... 613
"إن الله (يملئ للظالم ... " ... 503
"إن الله إذا ذكر شيئاً ... " ... عمر بن الخطاب ... 361
"إن الله نظر في قلوب العباد ... " ... ابن عباس ... 614
"إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ... " ... 481
"إن الله لا ينظر إلى صوركم ... " ... 715
"إنما الأعمال بالنيات ... " ... 713
"إنما أنا بشر، فأى المسلمين لعنته ... " ... 421
"إنما أهلك من قبلكم الاختلاف ... " ... 421، 743
"إنما تفتن يهود ... " ... 823
"إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب ... " ... 267
"إن مما أخاف عليكم بعدى ما يفتح عليكم ... " ... 450
"إن من أعظم الجهاد كلمة عدل ... " ... 440
"إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ... " ... 829
"إن هذا العلم دين ... " ... 408
"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ... " ... 725

"إنه سيأتيكم مني أحاديث ... " ... 230
"إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات ... " ... 311
"إنه فقيه ... " ... 422
"إنه لم يكن نبي قبلي ... " ... 60
"إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ... " ... 417
"إن هؤلاء لا يزالون مرتدين ... " ... 619
"إنهم ليكون عليها، وإنما لتعذب في قبرها ... " ... 402،819

... ..

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة
"أول جيش من أمتي يغزون ... " ... عبد الله بن عون ... 423
"إني أرى هذه الكتب يا أبا إسماعيل ستضل الناس ... " ... عمر بن الخطاب ... 269
"إني أعلم أنك حجر لا تضر ... " ... 311
"إني خلقت عبادي حنفاء ... " ... عبد الله بن عمر ... 577
"إني أقر بالسمع والطاعة ... " ... حكيم بن أفلح ... 433

(183/3)

"أني قد نهيته ... " ... 81
"إني كنت أردت أن أكتب السنن ... " ... سفيان الثوري ... 259
"إني لا أحل إلا ما أحل الله ... " ... 221
"إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ... " ... أبو هريرة ... 813
"إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه ... " ... عمر بن الخطاب ... 408
"إني لأنسى أو أنسى لأسن ... " ... 30
"إني لأجزئ الليل ثلاثة أجزاء ... " ... أبو هريرة ... 361
"إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ... " ... أبو بكر الصديق ... 397

"أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ... " ... 38
"أو قد وجدتموه؟" ... هارون الرشيد ... 729
"أول جيش من أمتي يركبون البحر ... " ... 422،423
"أى بنى أخى أن رأيتموه فقولوا ... " ... معاوية بن أبى سفيان ... 813
"أى بنيه هلمى الأحاديث التى عندك ... " ... 263
"أى الخلق أعجب إليكم إيماناً ... " ... عبادة بن الصامت ... 362
"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ... " ... 562
"أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي ... " ... أنس بن مالك ... 644
"الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ... " ... 769
"أين أنت يا عدو الله من أبى إسحاق ... " ... 415
"آية الإيمان حب الأنصار ... " ... 839
"أيها الناس إياكم وأحاديث رسول الله ... " ... 326
(ب)

"بايعنا الرسول (على السمع والطاعة ... " ... 440
"بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ... " ... 781
"بسم الله وقال إن رسول الله (أمرهم أن يفعلوا ... " ... 884
"بشروا ولا تنفروا ... " ... 885
"بعثت أنا والساعة كهاتين ... " ... 34

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة
"بعثنى إليكم عمر أعلمكم ... " ... أبو موسى الأشعري ... 329
"بقية صدوق اللسان 0 ولكنه يأخذ عمن ... " ... عبد الله بن المبارك ... 413
"بلغنى أن تلك السبعة فى الأمر ... " ... ابن شهاب الزهري ... 725
"بنى الإسلام على خمس ... " ... 98
"بهذا أمرتم أو لهذا خلقتهم؟ ... " ... عبد الله بن المبارك ... 777
"بيننا وبين القوم القوائم ... " ... 684
(ت) ... أبو سعيد الخدرى ... 362
"تذكروا الحديث فإن مذاكرة ... " ... 313

"ترانى أرضى، وتأبى أنت ... " ... عمر بن الخطاب ... 196
"تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ... " ... 273
"تسمعون، ويسمع منكم ... " ... 758
"تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ... " ... 334

(184/3)

"تعلموا الفرائض واللعن والسنن ... " ... 661
"تفرقت اليهود على إحدى وسبعين ... "
(ث) ... 803
"ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها ... "
(ج) ... ابن عباس ... 69
"جئتكم من عند أصحاب رسول الله ... " ... 742
"الجدال في القرآن كفر ... " ... 762
"جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ... "
(ح) ... القاسم بن محمد ... 859
"حدث به ولا تحابه ... " ... علي بن أبي طالب ... 330
"حدثوا الناس بما يعرفون ... " ... أبو هريرة ... 330
"حفظت من رسول الله وعاءين ... " ... 719
"الحلال بين والحرام بين ... " ... أبو بكر الصديق ... 856
"الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك ... " ... 301
"الحمد لله الذى جعل فىنا من يحفظ ... " ... 308
"الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله (...) ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

(خ) ... أبو موسى الأشعري ... 531

"خبثة من الخبائث ... " ... أنس بن مالك ... 265،267

- "خذ عنا كما أخذنا ... " ... 844
- "خدمت النبي عشر سنين ... " ... أبو عبد الله ... 222
- "خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً ... " ... 856
- "خذوا القرآن من أربعة ... " ... 98
- "خلق من خلق الله (أعظم من جبريل ... " ... 613
- "خير الناس قرني ثم الدين يلونهم ... "
- (د) ... عمر بن الخطاب ... 62
- "دعه فإن له أصحاباً يحقر ... " ... 316
- "الدية للعاقلة ولا ترث ... "
- (ذ) ... أنس بن مالك ... 386
- "ذلك أشرف أو أخبث ... "
- (ر) ... يحيى بن معين ... 409
- "رحمك الله يا أبا عبد الله أكتب ... "
- (س) ... عمر بن الخطاب ... 577
- "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ... " ... 337,567
- "سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت ... " ... عمر بن عبد العزيز ... 763
- "سترونه كما يرى القمر ليلة البدر ... " ... 39
- "سن رسول الله، وولاة الأمر ... " ... يحيى بن كثير ... 568
- "سنوا بهم سنة أهل الكتاب ... " ... 225
- "السنة سنتان، سنة في فريضة ... " ... 483
- "السنة قاضية على الكتاب ... " ... 335
- "سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات ... " ... 593
- "سيحان وجيحان ... " ... 327
- "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ... "
- (ش) ... 869
- "شفاء عرق النساء ... " ... 786
- "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ... " ... 791
- "شفعت الملائكة وشفع النبيون ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

(ص) ... 874

(185/3)

"صدق الله وكذب بطن أخيك ... " ... 824

"صدقنا إهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم ... " ... 504

"صلوا كما رأيتموني أصلى ... " ... 670

"الصلاة في أول وقتها ... "

(ط) ... 605

طوبى لمن رآني وآمن بي

(ع) ... 226

"عليك بالصعيد فإنه يكفيك ... " ... 481

"عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ... " ... 38

"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ... " ... 644

"عودوا للذي كنتم فيه ... " ... 440

"على المرء المسلم السمع والطاعة ... "

(ف) ... عمرو بن العاص ... 61

"فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه ... " ... محمد بن عمرو بن حزم ... 863

"فإنما الرضاعة من المجاعة ... " ... 826

"فتعاد روحه إلى جسده ... " ... عمر بن الخطاب ... 28

"فسنوا على التراب سنّاً ... " ... عمر بن الخطاب ... 649

"فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله (...) ... " ... 386

"فوالذي نفسي بيده أنتم لأخير منهم ... " ... 350

"فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق" ... 560

"فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك ... " ... 310

"فلم نعطى الدنية في ديننا ... " ... 623

"في أمتي اثنا عشر منافقاً ... " ... 830

"فيقال للأرض التئمت عليه فتلتئم عليه ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

(ق) ... معقل بن سنان الأشجعي ... 299

"قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ... " ... 309

"قد حكمت فيهم بحكم الله (... " ... ابن مسعود ... 776

قدر الله وما شاء فعل ... " ... عمر بن الخطاب ... 47

"قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم ... " ... 582،853

"قضى رسول الله (في بروع بنت واشق ... " ... 361

"قل آمنت بنبيك ... " ... 266

"القلوب أوعية فأشغولها بالقرآن ... " ... 348

"قيدوا العلم بالكتاب ... "

(ك) ... أبي بن كعب ... 647

"كان أبو هريرة جريئاً على النبي (يسأله عن أشياء ... " ... أبو جعفر ... 86

"كان الناس أهل ردة بعد موت النبي إلا ثلاثة ... "

"كان النبي (يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها ... " ... أنس بن مالك ... 841

"كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات ... " ... عائشة ... 863،864

"كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله (بالسنة ... " ... حسان بن عطية ... 450

"كان هذا العلم شريفاً ... " ... الأوزاعي ... 289

"كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله (... " ... عبد الله بن عمر ... 647

(186/3)

"كتب الله مقادير الخلائق ... " ... 188،770

"كتبت الحديث ثم محوته، فودت أني فديته ... " ... عروة بن الزبير ... 352

"كذب أبو السنابل، ليس كما قال ... " ... أسيد بن حضير ... 400
"كذبت لعمر الله : لنقتله فإنك منافق تجادل ... " ... 624
"كذب من قال ذلك ... " ... عائشة بنت أبي بكر ... 399
"كذب والذى أنزل على أبي القاسم ... " ... 400
"كذبت يهود، لا عذاب دون يوم القيامة ... " ... عائشة ... 824
"كفن رسول الله (في ثلاثة أثواب ... " ... 567
"كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ... " ... 332

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي ... " ... عمر بن الخطاب ... 477
"كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية ... " ... الأوزاعي ... 336
"كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا ... " ... أنس بن مالك ... 408
"كنا نكون عند النبي (وربما كنا نحواً من ستين ... " ... 361
(ل) ... عمر بن الخطاب ... 29
"للتبعن سنن من كان قبلكم ... " ... الأعمش ... 320
"لنتركن الحديث عن الأول ... " ... عائشة ... 337
"لقد أدركت قوماً لو لم يتركوا الكذب ... " ... 864
"لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشر ... " ... 665،787
"لكل نبي دعوة مستجابة ... " ... 779
"لن يدخل أحداً عمله الجنة ... "
"لم يكذب إبراهيم -عليه السلام- قط إلا ثلاث كذبات ... " ... محمد بن سيرين ... 503
"لم يكونوا يسألون عن الإسناد ... " ... 128
"لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه ... " ... أبو هريرة ... 780
"لو حدثتكم بكل ما في جوفى ... " ... أبو موسى الأشعري ... 331
"لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته ... " ... أبو داود الطيالسي ... 267
"لولا هذه العصابة لا ندرس الإسلام ... " ... 665
"لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ... " ... عمر بن الخطاب ... 797
"لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى ... " ... 856

"لو كان فريضة لوجدته ... " ... أبو ذر الغفاري ... 215
"لو كان واجباً لوجدته ... " ... 215
"لو وضعتم الصمصامة ... " ... أبو جعفر ... 331
"ليبردن على الخوض رجال ممن صاحبنى .. " ... 577
"لم يناد بشئ كما نودى بالولاية ... " ... على بن أبي طالب ... 98
"ليس بينى وبينه نبى وإنه نازل ... " ... 809
"ليس ذاك لك ... " ... 398

(187/3)

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة
"ليس فى أصحاب الأهواء ... " ... أبو داود ... 77
"ليس لقاتل شئ ... " ... 506
"ليس كلنا سمع حديث رسول الله (... " ... البراء بن عازب ... 336
"ليس الكاذب من أصلح بين الناس ... " ... 377
"ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ... " ... 240
(م) ... ابن مسعود ... 330
"ما أنت بمحدث قوماً حديثاً ... " ... 72
"ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ... " ... عائشة ... 264
"ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض ... " ... 337
"ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله من ... "
"ما المستول عنها بأعلم من السائل ... " ... أبو هريرة ... 796
"ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن ... " ... 873
"ما من أصحاب رسول الله (أحد أكثر حديث عنه منى ... " ... عمر بن الخطاب ... 350
"ما من رجل يحفظ علماً ... " ... 331
"ما من عبد قال لا إله إلا إله ثم مات على ذلك ... " ... سفيان الثوري ... 577،781
"ما من مولد إلا يولد على الفطرة ... " ... 577

"ما من نبي إلا وقد أُنذر أُمته الأعور الكذاب ... " 802

"ما نُهيْتكم عنه فاجتنبوه ... " 477

"ما هذا تكتبون ؟ ... " 263

"ما هذا الذى فى يدك يا عمر ؟ ... " 286

"ما يقول ذو اليمين ؟ ... " 559

"ما لك فى كتاب الله شئ ... " 560

"مثل المنافق مثل الشاة بين الغنمين ... " 375

"مفاتيح الغيب خمس ... " 794

"المهذى منى أجلى الجبهة ... " 798

"ما يقعدكم ... " 361

"المؤمن القوى خير وأفضل ... " 238

"الملائكة حراس السماء ... " 665

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

"من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه ... " ... عائشة ... 40,719

"من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب ... " 34

"من أسلف فى تمر، فليسلف فى كيل معلوم ... " 455

"من تصبى ببيع تمرات عجوة ... " 872

"من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار ... " 323

"من حمل علينا السلاح ... " 226

"من حوسب يوم القيامة، عذب ... " 507

"من خرج على الطاعة ... " 226

"من رأى منكم منكراً فليغيره ... " 112,440

"من زعم أن محمداً (رأى ربه ... " 765

"من رأى من أميره شيئاً ... " 417

"من سن سنة حسنة فله أجرها ... " ... عبد الله بن مسعود ... 29

"من قال على فقد تبوأ مقعده من النار ... " 321 ...
"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ... " ... جابر بن عبد الله ... 714
"من قتل نفسه بحديدة ... " 782 ...
"من كان مستنأ فليستن بأصحاب محمد (... " 635 ...
"من كذب على ليضل به الناس ... " 403 ...
"من كذب على فهو في النار ... " 324 ...
"من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ... " 323، 324 ...
"من لم يكن من أهل الكبائر فماله ... " 790 ...
"من المذى الوضوء ... " 226 ...
"من نسي وهو صائم أكل أو شرب ... " 500 ...
(ن) ... أبو عبد الله ... 845 ...
"نام النبي (فاستيقظ وكانت تغسل رأسها ... " 842 ...
"ناس من أمي عرضوا على غزاة في سبيل الله ... " 99 ...
"النجوم أمانة للسماء ... " 613 ...
"نحن خزان الله ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة
"نحن لا نكتب ولا نكتب ... " ... أبو هريرة ... 265
"نرى أن نجلده ثمانين ... " ... علي بن أبي طالب ... 37
"نضر الله امرء سمع منا حديثاً ... " 34 ...
"نعم، فإني لا أقول في الغضب ... " 259 ...
"نقركم ما أقركم الله (... " 57 ...
"نور أنى أراه ... " 758 ...
"نهي رسول الله (أن نستقبل ... " 172 ...
"نهي رسول الله (أن يتنفس في الإناء ... " 460 ...
"نهي رسول الله عن الخزف ... " 303 ...

"فهي رسول الله عن درهمين بدرهم ... " ... 304

"فهي رسول الله عن الحرير ... " ... 347

"فهي رسول الله عن أكل الحمر الأهلية ... " ... 531

"فهي رسول الله (عن نكاح المتعة ... " ... أنس بن مالك ... 529

"فهي رسول الله (عن الحرير ... " ... 347

"فهي أن نسأل رسول (عن شيء ... " ... 647

(هـ) ... عمر بن الخطاب ... 60

"هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ... " ... 61

"هم الخوارج ... " ... 57

"هم عدونا وهممتنا ... " ... 90

"هذا وصي وأخي ... " ... 196

"هلم أكتب لكم كتاباً ... "

(و) ... عائشة ... 838

"وأيكم يملك أربه كما كان (يملك أربه ... " ... عمر بن الخطاب ... 283

"وإني والله لا ألبس ... " ... 836

"والذي نفسي بيده، إنكم أحب الناس إليّ ... " ... 222

"والذي نفسي بيده لأقضين بينكما ... " ... 285

"والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

"والذي نفسي بيده، ليوشكن ... " ... أبو بكر الصديق ... 805

(189/3)

"والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ... " ... سعيد بن زيد ... 398

"والله لمشهد شهدة رجل ... " ... ابن عباس ... 614

"والله ما قضى بهذا على ... " ... أم سلمة ... 408

- "والله ما ندرى لعلها كانت رخصة من النبي ... " ... أنس بن مالك ... 860
- "والله ما كل ما نجدثكم عن رسول الله سمعناه منه ... " ... 336
- "والله ما نرى هذا إلا رخصة ... " ... طلحة بن عبيد الله ... 859
- "والله ما يشك أنه سمع ... " ... عبد الله بن المغفل ... 648
- "والله لا أشهد لك جنازة ... " ... 303
- "وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا ... " ... عبد الله بن عمر ... 379
- "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا ... " ... 196
- "ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعديل ؟ ... " ... 62،618
- "ويلكم ألا تتقون الله ... " ... 40
- (لا) ... دجين بن أبي الغصن ... 376
- "لأسلم وغفار، وشئ من مزينة وجهينة ... " ... 848
- "لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن ... " ... عثمان بن عفان ... 324
- "لا استطيع، أخاف أن أزيد أو أن انقص ... " ... 421
- "لا أشبع الله بطنه ... " ... الضحاك ... 310
- "لا أعلم إلا ما قال على (...) ... " ... 742
- "لا أغير شيئاً منه من مكانه ... " ... شعبة بن الحجاج ... 233
- "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ... " ... 268
- "لا تتخذوا للحديث كراريس ... " ... 58
- "لا تجالسوا أهل الأهواء ... " ... 410
- "لا تحدثوا ولا استعديت عليك السلطان ... " ... 619
- "لا ترجعوا بعدى كفاراً ... " ... 614
- "لا تسبوا أصحابي ... " ... 226
- "لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث ... " ... 262
- "لا تكتبوا عني ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

"لا رضاع إلا ما كان في الحولين ... " ... عمر بن عبد العزيز ... 683

"لا رأى لأحد مع سنة ... " ... إبراهيم النخعي ... 317

"لا عليك فإنه ما طلب إنسان علماً ... " 269
"لا نبي بعدى ... " ... على بن أبي طالب ... 806
"لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابي ... " 583
"لا نورث ما تركنا صدقة ... " ... أبو سعيد الخدرى ... 506
"لا ونبيك الذى أرسلت ... " 361
"لا نكتبكم، خذوا عنا كما أخذنا ... " 506
"لا يجمع بين المرأة وعمتها ... " 228
"لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق ... " 839
"لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء ... " 863

(190/3)

"لا يحل دم امرئ مسلم ... " 227
"لا يدخل الجنة قتات ... " 670
"لا يدخل الجنة مدمن خمر ... " 782
"لا يرث المسلم الكافر ... " 506
"لا يزنى الزانى حين يرى وهو مؤمن ... " 577
"لا يستبطن أحد منكم رزقه .. " 449،450
"لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة ... " 309
"لا يمسكن الناس على بشئ ... " 223
"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه ... " 300
(ى) ... الضحاك ... 268
"يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث ... " ... عبد الله بن عمر ... 647
"يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله (...) ... عائشة ... 765
"يا ابن أخى لقد وقف شعر بدننى ... " 625
"يا ابن الخطاب، وما يدريك؟ لعل الله ... " ... عمر بن الخطاب ... 726
"يا أباى، أرسل إلى أن أقرأ القرآن ... " 838

"يا أم فلان أى السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك ... " 313

"يا أيها الناس : اهتموا الرأى على الدين ... " 856

"يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله ... "

الحديث أو الأثر ... القائل ... الصفحة

"يا أيها الناس : إياكم وكثرة الحديث عنى ... " ... عمر بن عبد العزيز ... 326

"يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً ... " ... أبو عبد الله ... 306

"يا سليمان إنكم على دين من كتبه ... " ... 100

"يا جبريل إني بعثت إلى أمه أميين ... " ... أنس بن مالك ... 729

"يا جبريل ما هذه الأنهار ... " ... 593

"يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى ... " ... إبراهيم النخعى ... 773

"يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم ... " ... 60

"يا عائشة إن الله أفتانى ... " ... 848

"يا غلام سم الله وكل بيمينك ... " ... 459

"يا محمد أتانا رسولك فزعم كذا ... " ... 680

"يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي ... " ... 56

"يغزو جيش الكعبة ... " ... 714

"يكون فى آخر الزمان دجالون ... " ... 275

"يوشك الرجل متكئاً على أريكته ... " ... 223

"يشبه بالمصاحف ... " ... 284

*** **

ثالثاً

فهرس الأعلام المترجم لهم

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

(أ) ... 490

أبان بن أبى عياش 0 ... 320

ابن ماتع الحميري 0 ... 267
أبو بردة بن أبي موسى 0 ... 263
أبو بكر الصديق 0 ... 340
أبو بكر بن محمد بن حزم 0 ... 856

(191/3)

أبو حذيفة بن عتبة 0 ... 313
أبو جندل (ابن سهيل بن عمرو) 0 ... 645
أبو الزعيرة 0 ... 884
أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف 0 ... 560
أبي بن كعب 0 ... 269
إبراهيم بن سويد النخعي 0 ... 319
إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف 0 ... 192
إبراهيم بن موسى "الشاطبي" 0 ... 415
إبراهيم بن محمد "الفزاري" 0 ... 115
إبراهيم بن سار "النظام" 0 ... 192
إبراهيم بن موسى (الشاطبي) 0 ... 262
أحمد أمين 0 ... 77
أحمد بن إبراهيم (النظام) 0 ... 675
أحمد بن إسحاق بن أيوب 0 ... 71
أحمد حجازي السقا 0 ... 656
أحمد بن الحسن بن جنيد 0 ... 167
أحمد خان بن أحمد 0 ... 220
أحمد بن الحسين (البيهقي) 0 ... 656
أحمد بن سنان بن أسد 0 ... 219
أحمد شاكر 0 ... 23

أحمد صبحي منصور 0 ... 78
أحمد عبد الحليم "ابن تيمية 0 ... 252
أحمد بن عبد الله "بن أبي الخوارى" 0 ... 287
أحمد بن علي "الخطيب البغدادي" 0

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة
أحمد بن علي بن محمد "ابن حجر" 0 ... 83
أحمد بن علي الرازي "الخصاص" 0 ... 586
أحمد بن محمد الأزدي "الطحاوي" 0 ... 773
أحمد بن محمد بن حنبل 0 ... 409
أحمد بن محمد بن زيد 0 ... 806
أحمد بن يحيى (ثعلب) 0 ... 27
إدريس الحسني 0 ... 419
أسد رستم 0 ... 52
أسلم العدوي 0 ... 324
إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم 0 ... 120
إسماعيل بن حماد "الجوهري" 0 ... 28
إسماعيل بن عبد الرحمن "السدي الكبير" 0 ... 97
إسماعيل بن عمر (ابن كثير) 0 ... 61
إسماعيل منصور جودة 0 ... 185
أسيد بن حضير 0 ... 624
أم حرام بنت ملحان 0 ... 841
أم سليم بنت ملحان 0 ... 841
أم كلثوم بنت عقبة 0 ... 377
(ب) ... 407
بشير العدوي ابن كعب 0 ... 310
البراء بن عازب 0 ... 394
بريدة بن الحصيب 0 ... 304

بلال بن عبد الله 0

(ت) ... 21

توفيق صدقي 0

(ث) ... 409

ثابت بن أسلم 0 ... 883

ثمارة بن عبد الله 0 ... 224

ثوبان بن بجدر 0

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

(ج) ... 301

جابر بن زيد 0 ... 34

جابر بن عبد الله 0 ... 762

جرير بن عبد الله 0 ... 745

الجد بن درهم 0 ... 185

جمال البنا 0 ... 745

الجهم بن صفوان 0 ... 342

جوزيف شاخت 0 ... 19

جولد تسيهر 0 ... 319

جندب بن جناده "أبو ذر الغفاري" 0

(ح) ... 457

حباب بن المنذر 0 ... 399

حبة بن بعكك "أبو السنابل" 0 ... 250

(192/3)

حجاج بن ارطاة 0 ... 398

الحجاج بن يوسف الثقفي 0 ... 856

أبو حذيفة بن عتبة 0 ... 450

حسان بن عطية 0 ... 107

الحسن بن أبي الحسن "الحسن البصري" 0 ... 17

الحسن بن عبد الله "أبو هلال العسكري" 0 ... 630

الحسن بن علي بن أبي طالب 0

حسين أحمد أمين 0 ... 262

حسين الحاج حسن 0 ... 278

الحسين بن علي البصري 0 ... 575

حفص بن غياث بن طلق 0 ... 328

حفصة بنت عمر 0 ... 314

حكيم بن أفلح المدني 0 ... 81

حماد بن زيد بن درهم 0 ... 269

حماد بن سلمة بن دينار 0 ... 93

حمزة بن حبيب 0 ... 737

حمزة بن عمرو الأسلمي 0 ... 229

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

(خ) ... 62

خالد بن الوليد 0 ... 559

الخرباق بن عمرو (ذو اليدين) 0 ... 619

خليل عبد الكريم 0 ... 95

الخليل بن عبد الله بن أحمد 0

(د) ... 285

دانيال —عليه السلام— 0 ... 324

دجين بن ثابت 0 ... 570

دحية الكلبي 0

(ذ) ... 649

ذكوان أبو صالح السمان 0

(ر) ... 452
رافع بن خديج 0 ... 241
الربيع بن خثيم 0 ... 185
رشاد خليفة 0
(ز) ... 737
زبان بن العلاء البصرى 0 ... 324
الزبير بن العوام 0
زكريا عباس داود 0 ... 257
زيد بن أرقم 0 ... 309
زيد بن ثابت 0 ... 34
(س) ... 320
السائب بن يزيد 0 ... 39
سالم بن عبد الله بن عمرو 0 ... 856
سالم بن معقل 0 ... 400
سبيعة بنت الحارث 0 ... 62
سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) 0

(193/3)

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة
سعد بن معاذ 0 ... 309
سعد بن عبادة 0 ... 624
سعد الدين علي (ابن عراق) 0 ... 682
سعيد بن أبي الحسن البصرى 0 ... 266
سعيد بن خالد بن عبد الله 0 ... 884
سعيد بن المسيب 0 ... 281
سفيان الثوري 0 ... 268

سفيان بن عيينه 0 ... 41
سلمة بن دينار 0 ... 636
سلمان الفارسي 0 ... 172
سليمان بن الأشعث 0 ... 77
سليمان بن حيان (أبو خالد الأحمر) 0 ... 284
سليمان بن داود 0 ... 665
سليم بن عامر الكلاعي 0 ... 277
سهلة بنت سهيل 0 ... 857
السيد صالح أبو بكر 0 ... 419
(ش) ... 301
شريح بن الحارس 0 ... 410
شعبة بن الحجاج 0
(ص) ... 61
صدى بن عجلان (أبو أمامة الباهلي)
(ض) ... 316
الضحاك بن سفيان 0 ... 268
الضحاك بن مزاحم 0 ... 618
ضرار بن عمرو الغطفاني 0 ... 680
ضمام بن ثعلبة 0
(ط) ... 723
طه حسين 0 ... 221
طاوس بن كيسان 0 ... 640
الطفيل بن عمرو 0 ... 452
طلحة بن عبيد الله 0

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة
(ظ) ... 353
ظفر إسحاق الأنصاري 0

(ع) ... 60

- عائشة بنت أبي بكر 0 ... 737
عاصم بن أبي النجود 0 ... 280
عامر بن شراحيل 0 ... 399
عامر بن الأكوع 0 ... 222
عبادة بن الصامت 0 ... 117
عبد الله بن أحمد "الكعبي البلخي" 0 ... 490
عبد الله أحمد النعيم 0
عبد الله بن أبي أوفى 0 ... 216
عبد الله بن حبيب السلمي 0 ... 512
عبد الله بن حذيفة 0 ... 319
عبد الله بن الرومي 0 ... 225
عبد الله بن الزبير 0 ... 324
عبد الله بن الزبير (الحميدي) 0 ... 305
عبد الله بن زيد 0 ... 58
عبد الله بن سبأ 0 ... 82
عبد الله بن عامر 0 ... 737
عبد الله بن عباس 0 ... 69
عبد الله بن عبد الله بن أبي 0 ... 312
عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة 0 ... 318
عبد الله بن عمر 0 ... 39
عبد الله بن عمرو 0 ... 38
عبد الله بن عون بن أرطبان 0 ... 269
عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) 0 ... 267
عبد الله بن كثير الداري 0 ... 737

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

عبد الله بن المثنى بن عبد الله 0 ... 883

عبد الله بن محرر الجزري 0 ... 251

عبد الله بن مسعود 0 ... 191

عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) 0 ... 124

عبد الله بن المغفل 0 ... 303

عبد الله بن مصعب بن ثابت 0 ... 601

عبد الله بن المبارك 0 ... 251

عبد الله "فيلبي" 0 ... 150

(194/3)

عبد الجبار بن أحمد (القاضي) 0 ... 121

عبد الجواد ياسين 0 ... 262

عبد الحسين شرف الدين 0 ... 419

عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد) 0 ... 94

عبد الرؤف المناوي 0 ... 705،706

عبد الرازق بن همام بن نافع 0 ... 409

عبد الرحمن بن أبي بكر "السيوطي" 0 ... 264

عبد الرحمن بن إسماعيل "أبو شامة" 0 ... 739

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم 0 ... 263

عبد الرحمن بن عوف 0 ... 37

عبد الرحمن بن عمرو "الأوزاعي" 0 ... 41

عبد الرحمن بن محمد "ابن خلدون" 0 ... 243

عبد الرحمن بن مل "أبو عثمان النهدي" 0 ... 641

عبد الرحمن بن مهدي 0 ... 41

عبد الرحيم بن الحسين (العراقي) 0 ... 572

عبد الرحيم بن محمد (الخياط) 0 ... 108

عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب "الجبائي" 0 ... 308

عبد العزيز بن عبد السلام 0 (ابن أبي العز) 0 ... 235

عبد الغنى محمد عبد الخالق 0 ... 210

عبد القادر البغدادى 0 ... 52

عبد الملك بن عبد الله "الجوينى" 0 ... 119

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

عبد الملك بن قريب "الأصمعى" 0 ... 381

عبد الواحد يحيى "رينيه جينو" 0 ... 150

عبيد بن حنين 0 ... 876

عبيد بن عمير بن قتادة 0 ... 375

عبيد الله بن الحسين (الكرخى) 0 ... 575

عبيد الله بن عبد الكريم (أبو زعة الرازى) 0 ... 600

عبيدة بن عمرو السلماني 0 ... 268

عتبة بن فرقد 0 ... 347

عثمان بن عبد الرحمن "ابن الصلاح" 0 ... 249

عثمان بن عفان 0 ... 321

العرباض بن سارية 0 ... 38

عقبة بن عامر الجهنى 0 ... 319

عقبة بن عمر "أبو مسعود الأنصارى" 0 ... 319

علقمة بن قيس بن عبد الله 0 ... 266

علقمة بن وقاص الليثى 0 ... 712

العلاء بن الحضرمى 0 ... 641

على بن أبي بكر "الهيثمى" 0 ... 238

على بن أبي طالب 0 ... 37

على بن أبي على "الأمدى" 0 ... 119

على بن أحمد "ابن حزم" 0 ... 70

على بن إسماعيل بن عطية "الإيبارى" 0 ... 609

على حسن عبد القادر 0 ... 19

على بن الحسين بن الهيثم 0 ... 699
على بن حمزة الكوفي (الكسائي) 0 ... 31
على الشهرستاني 0 ... 257
على بن عبد الله "ابن المديني" 0 ... 764
على بن عبد الكافي "السبكي" 0 ... 511
على بن محمد "بن الأثير" 0 ... 118

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة
على بن محمد الكنائي 0 ... 682

(195/3)

على الوردى 0 ... 419
عمر بن الحسن أبو الخطاب (ابن دحية) 0 ... 553
عمر بن عبد العزيز 0 ... 39
عمرو بن بحر "الجاحظ" 0 ... 121
عمرو بن حزم بن عبد عوف 0 ... 347
عمر بن الخطاب 0 ... 37
عمرو بن دينار 0 ... 268
عمرو بن العاص 0 ... 28
عمرو عبيد التميمي 0 ... 103
عمرو بن عثمان "سيبويه" 0 ... 56
عمران بن حصين 0 ... 226
عمران بن حطان 0 ... 73
عويمر بن عامر "أبو الدرداء" 0 ... 319
(غ) ... 435
غياث بن إبراهيم النخعي 0 ... 27

غيلان بن بهيس (ذو الرُّمة) 0

(ف) ... 582

فاطمة بنت قيس 0 ... 351

الفضل بن الحسن بن عمرو 0 ... 269

فضيل بن عمرو الفقيمي 0

(ق) ... 23

قاسم أحمد 0 ... 266

القاسم بن سلام 0 ... 401

القاسم بن محمد بن أبي بكر 0 ... 559

قبيصة بن ذؤيب الخزاعي 0 ... 304

قتادة بن دعامة السدوسي 0 ... 320

قرظله بن كعب 0

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

(ك) ... 148

كارل بروكلمان 0

(ل) ... 30

ليبد بن ربيعة 0 ... 150

ليوبولد فايس (محمد أسد) 0

(م) ... 38

مالك بن أنس 0 ... 421

محب الدين الخطيب 0 ... 243

محب الله بن عبد الشكور 0 ... 82

محمد أبو زهرة 0 ... 46

محمد بن أبي بكر "ابن قيم الجوزية" 0 ... 31

محمد بن أحمد "القرطبي" 0 ... 83

محمد بن أحمد بن عثمان "الذهبي" 0 ... 93

محمد بن إدريس "الشافعي" 0 ... 639

محمد بن إسحاق "ابن خزيمة" 0 ... 150
محمد أسد (ليوبولد فايس) 0 ... 576
محمد بن بهادر بن عبد الله "الزركشي" 0 ... 557
محمد بن إسحاق "القاساني" 0
محمد بن إسحاق بن يسار 0 ... 311
محمد بن إسماعيل البخاري 0 ... 834
محمد بن بحر "أبو مسلم الأصبهاني" 0 ... 510
محمد بن جرير الطبري 0 ... 30
محمد بن حبان بن أحمد 0 ... 116
محمد بن الحسن الشيباني 0 ... 356
محمد حسين هيكل 0 ... 262
محمد بن الحسين "الآجري" 0 ... 535
محمد بن سيرين 0 ... 128
محمد بن داود علي 0 ... 557

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

محمد رشيد رضا 0 ... 296
محمد شحرور 0 ... 21
محمد بن سعيد بن حسان 0 ... 682
محمد بن الطيب "الباقلائي" 0 ... 762
محمد بن عبد الباقي "الزرقاني" 0 ... 861
محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة 0 ... 237
محمد بن عبد الكريم بن أحمد "الشهرستاني" 0 ... 124
محمد عبده 0 ... 849
محمد بن عبد الله "الحاكم" 0 ... 118

- محمد بن عبد الوهاب "الجبائي" 0 ... 308
محمد بن علي بن الحسن "الترمذي" 0 ... 240
محمد بن علي بن الطيب "أبو الحسين المعتزلي" 0 ... 117
محمد بن علي بن وهب "ابن دقيق العيد" 0 ... 222
محمد بن عمر بن واقد "الواقدي" 0 ... 313
محمد بن عمرو بن حزم 0 ... 648
محمد بن عفيفي "الخضري" 0 ... 554
محمد بن علي بن عمر "المازري" 0 ... 733
محمد بن علي بن محمد "الشوكاني" 0 ... 31
محمد بن قطن التميمي "يحيى بن أكثم" 0 ... 511
محمد بن كعب بن سليم 0 ... 493
محمد بن محمد بن جعفر "الدقاق" 0 ... 117
محمد بن محمد بن علي "ابن الجزري" 0 ... 359
محمد بن محمد بن محمود "البلخي" 0 ... 114
محمد بن محمد الغزالي 0 ... 97
محمد بن محمد بن عبد اللطيف (الخطيب) 0 ... 421
محمد بن مروان بن عبد الله "السدي الصغير" 0 ... 97
محمد بن مسلم "ابن شهاب الزهري" 0 ... 345
محمد بن مسلمة 0 ... 559
محمد بن الهذيل "العلاف" 0 ... 114

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

- محمد بن موسى بن عثمان "الحازمي" 0 ... 115
محمد بن موسى "الدميري" 0 ... 137
محمد نجيب 0 ... 22
محمد بن يزيد "المبرد" 0 ... 7
محمد بن يوسف بن علي "أبو حيان" 0 ... 32
محمود أبو رية 0 ... 21

محمود بن عمر "الزبخشري" 0 ... 32

محمود شكري "الألوسي" 0 ... 96

محمود محمد طه 0 ... 490

مجاهد بن جبر 0 ... 191

مرتضى العسكري 0 ... 257

مرة بن شراحيل 0 ... 267

مرجليوت 0 ... 147

مروان خليفات 0 ... 257

مروان بن الحكم 0 ... 280

مسروق بن الأجدع 0 ... 269

مسعر بن كدام بن ظهير 0 ... 408

مصطفى حسني السباعي 0 ... 138

مصطفى كمال المهدي 0 ... 185

مطر بن طهمان الوراق 0 ... 806

مطرف بن عبد الله بن الشخير 0 ... 482

معاذ بن جبل 0 ... 308

معقل بن سنان الأشجعي 0 ... 582

معمر بن راشد 0 ... 409

المغيرة بن شعبة 0 ... 43

المفضل بن سلمة بن عاصم 0 ... 31

مقاتل بن حيان "أبو بسطام البلخي" 0 ... 622

مقاتل بن سليمان بن كثير 0 ... 747

المقدام بن معد يكرب 0 ... 223

الأعلام المترجم لهم ... الصفحة

مكحول الشامي 0 ... 225

مكي بن أبي طالب 0 ... 737

منصور بن محمد بن عبد الجبار "أبو المظفر السمعاني" ... 416

المنذر بن مالك "أبو نضرة" 0 ... 265

ميمون بن قيس 0 ... 27

ميمون بن مهران 0 ... 301

(ن) ... 150

(197/3)

ناصر الدين دينية 0 ... 737

نافع بن عبد الرحمن 0

نيازي عز الدين 0 ... 22

النعمان بن بشير 0 ... 719

نفيع بن مسروح 0 ... 630

نوف البكالي 0 ... 400

(هـ) ... 150

هدلى الفاروق 0 ... 725

هشام بن حكيم 0 ... 351

همام بن منبه 0

(و) ... 103

واصل بن عطاء الغزالي 0 ... 129

الوليد الكرابيسي 0

(ى) ... 74

يحيى بن أبي كثير 0 ... 237

يحيى بن آدم بن سليمان 0 ... 511

يحيى بن أكثم 0 ... 57

يحيى بن زياد بن عبد الله "الفراء" 0 ... 281

يحيى بن سعيد القطان 0 ... 326

يحيى بن شرف "أبو زكريا النووي" 0 ... 77

يحيى بن معين بن عون 0 ... 356
يحيى بن يحيى بن كثير "القرطبي" 0 ... 586
يعقوب بن إبراهيم "أبو يوسف صحب أبي حنيفة" 0 ... 665
يزيد بن زريع 0 ... 220
يوسف بن عبد الله "ابن عبد البر" 0

(198/3)

سادساً

فهرس المصادر والمراجع

... أهمل في الترتيب الألف واللام وأب وابن في أول اسم الكتاب، وكذلك كلمة (كتاب)

1- القرآن الكريم 0

أولاً : التفسير وعلومه :

2- أثر القراءات في الدراسات النحوية، للدكتور عبد العال سالم على، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة 1389هـ-1969م 0

3- الأحرف السبعة في القرآن الكريم ومنزلة القراءات منها، للدكتور حسن ضياء الدين عتر، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 235 0

4- الإسرائيليات في التفسير والحديث، للدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1406هـ-1986م 0

5- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور محمد أبو شهبة، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الرابعة 1408هـ 0

6- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى 1376هـ 0

7- تأويل مشكل القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1393هـ-1973م 0

8- تفسير جزء عم، لمحمد عبده، المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى 1322هـ 0

- 9- تفسير فرات الكوفي، لفرات بن إبراهيم الكوفي، المطبعة الحيدرية، النجف 0
- 10- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1361هـ 0
- 11- تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم، إيران، الطبعة الثانية 1387هـ-1968م 0
- 12- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة دار التراث بالقاهرة، بدون تاريخ 0
- 13- التفسير القيم، لمحمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، جمع : محمد أويس الندوي، تحقيق : محمد حامد الفقي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ 0

(199/3)

-
- 14- التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر المشهور بفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ 0
- 15- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المنار بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1967م 0
- 16- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية 1372هـ-1952م 0
- 17- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1388هـ 0
- 18- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م 0
- 19- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ 0
- 20- الصافي في تفسير القرآن، لحسن الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى 1399هـ-1976م 0
- 21- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة 1383هـ-1964م 0

- 22- القراءات في نظر المستشرقين والملحدّين، للشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة مجمع البحوث الإسلامية 1392هـ-1972م0
- 23- القرآن والقراءات والأحرف السبعة، الحقيقة، العلاقة، صحة النقل، للدكتور عبدالغفور محمود جعفر، القاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0
- 24- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمد ابن عمر الزمخشري، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الطبعة الأولى 1354هـ0
- 25- الكواكب النيرات في أثر السنة النبوية على القراءات، للدكتور علام بن محمد بن علام، مطبعة أولاد عثمان، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م0

(200/3)

-
- 26- مجالس بن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية، لعبد الرحمن بن الجوزي، مطبعة دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1399هـ-1979م0
- 27- محمد عبده ومنهجه في التفسير، للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم، مطبعة دار الأنصار بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 28- المصاحف، لابن أبي داود، مؤسسة قرطبة، بدون تاريخ0
- 29- منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1407هـ0
- 30- النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة، 1960م0
- 31- الناسخ والمنسوخ، لمحمد بن شهاب الزهري، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1408هـ0
- 32- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير بن الجوزي، تحقيق محمد علي الصباغ، طبع في دمشق عام 1345هـ، نشر وتصوير دار الكتب العلمية، بيروت0

ثانياً : الحديث النبوي وعلومه :

- 33- الابتهاج في أحاديث المعراج، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0

- 34- أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، للدكتور سعدى الهاشمي، نشر مكتبة ابن القيم بالمدينة المنورة 1409هـ-1989م0
- 35- إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة، للأستاذ عبد العزيز الغماري، ضمن مجموعة الحديث الصديقية، الناشر مكتبة القاهرة بمصر، بدون تاريخ0
- 36- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد مصطفى سعيد خالد قطاش، دار الكتب العلمية، بيروت0
- 37- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشى، تحقيق محمد سعيد الأفغانى، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية 1390هـ-1970م0
- 38- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لأبي الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1414هـ-1993م0

(201/3)

-
- 39- أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية، للدكتور رفعت فوزى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م0
- 40- الأحاديث المتواترة في الأزهار المتناثر في الأخبار المتواترة، لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطى، تحقيق أحمد حسن رجب، هدية مجلة الأزهر، العدد صفر 1409هـ0
- 41- اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، للدكتور عبد الله شعبان على، طبعة دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م0
- 42- الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق فضل الله الجيلاى، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1407هـ0
- 43- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0
- 44- استدراقات البعث والنشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، جمع عامر أحمد حيدر، طبعة دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1993م0
- 45- الإسراء والمعراج، للدكتور محمد أبو شهبه، مكتبة العلم بالقاهرة، 1411هـ-1990
- 46- الإشاعة لأشراط الساعة، للسيد الشريف محمد بن رسول الحسينى، مكتبة المشهد الحسينى،

- الطبعة الأولى، بدون تاريخ⁰
- 47- أصول الحديث، للدكتور عبد الهادي الفضلي، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م⁰
- 48- أصول الحديث، علومه، ومصطلحه، للدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، 1401هـ-1981م⁰
- 49- أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية، للدكتور عمر الفرماوى، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة⁰
- 50- أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح، للدكتور أبو لبابة حسين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ⁰
- 51- أعلام المحدثين، للدكتور محمد أبو شهبه، طبعة مركز كتب الشرق الأوسط، بدون تاريخ⁰

(202/3)

-
- 52- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية، وتقييد السماع، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى 1389هـ-1980م⁰
- 53- اللآلئ السنيات في شرح حديث (إنما الأعمال بالنيات)، للدكتور إبراهيم على سعده، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 52⁰
- 54- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق صلاح محمد عويضة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م⁰
- 55- الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، لأبي الفضل محمد بن طاهر، المعروف بابن القيسراني، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م⁰
- 56- اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً وممتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، للدكتور محمد لقمان السلفي، الرياض، الطبعة الأولى 1408هـ-1987م⁰
- 57- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تأليف أحمد محمد شاكراً، دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1399هـ-1979م⁰
- 58- البخارى أمير المؤمنين في الحديث، للدكتور يوسف الكتاني، هدية مجلة الأزهر الشريف، عدد

رجب 1418هـ 0

59- البعث والنشور للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، طبعة مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م 0

60- تأويل مختلف الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، 1415هـ-1995م 0

61- تخرّيج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني، تحقيق الشيخ أحمد محمد أبو سلامة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1415هـ-1995م 0

(203/3)

62- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ-1979م 0

63- التصريح بما تواتر في نزول المسيح، لمحمد أنور شاه الكشميري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1385هـ 0

64- تصحيح الكتب وضع الفهارس المعجمة، للأستاذ أحمد محمد شاکر، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت 0

65- التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة بالقاهرة، 1386هـ 0

66- تقييد العلم، لأبي بكر أحمد بن علي، الشهير بالخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، دمشق، الطبعة الثانية، 1974م 0

67- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لأبي الحسن علي بن محمد ابن عراق، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ-1981م 0

68- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1994م 0

69- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1366هـ 0

70- توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر بن صالح الجزائري، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ 0

71- تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير، للدكتور مروان محمد شاهين، مكتب

فوزي الشيمي للطباعي، بطنطا، بدون تاريخ 0

72- جامع بيان العلم وفضله، لابن عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الطبعة المنيرية 1978م 0

73- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة،

1415هـ-1995م 0

(204/3)

74- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن ثابت، المشهور بالخطيب

البغدادي، تحقيق محمد رأفت سعيد، طبعة الفلاح، بدون تاريخ 0

75- الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، للدكتور محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة

الرابعة 1402هـ-1982م 0

76- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مطبعة السعادة، الطبعة

الأولى 1357هـ-1938م، نشر وتصوير دار الكتب العلمية، بيروت 0

77- خبر الواحد في السنة وأثره في الفقه الإسلامي، للدكتورة سهير رشاد مهنا، دار الشروق

بالقاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ 0

78- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق

الدكتور عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م 0

79- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، للسيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني،

تحقيق محمد المنتصر بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة 1406هـ-

1986م 0

80- زاد المعاد في هدى خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المشهور بابن قيم الجوزية،

تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ-

1986م 0

81- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، لحمد حبيب الله الشنقيطي، مطبعة مصر،

1954م0

- 82- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م0
- 83- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1374هـ-1954م0
- 84- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر وتصوير دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0

(205/3)

-
- 85- سنن الترمذی، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، 1385هـ، نشر وتصوير دار الحديث0
- 86- سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار الحسن للطباعة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1386هـ-1966م0
- 87- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م0
- 88- سنن سعيد بن منصور، حقق منه مجلدة الشيخ حبيب الأعظمي، طبعة الدار السلفية، بالهند، 1403هـ-1982م، وحقق مجلدة أخرى من السنن الدكتور سعد بن عبد الله ابن عبد العزيز آل حميد، طبعة دار الأصمعي بالرياض، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م0
- 89- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى 1344هـ-1925م، نشر وتصوير دار المعرفة، بيروت0
- 90- السنن الكبرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م0
- 91- سنن النسائي (المسمى المجتبى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م0

92- السنة، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1413هـ-1993م0

93- السنة والتشريع، للدكتور عبد المنعم النمر، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية 1414هـ-1994م0

(206/3)

94- سؤالات مسعود بن علي السجزي مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0

95- السيرة النبوية، لأبي محمد بن الملك بن هشام المعافري، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الإيباري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة 1955م، نشر وتصوير دار إحياء التراث العربي0

96- شذرات من علوم السنة، للدكتور محمد الأحمدى أبو النور، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1406هـ-1986م0

97- شرح ألفية العراقي المسماة بالنبصرة والتذكرة، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0

98- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، للقسطلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1393هـ0

99- شرح الزرقاني على الموطأ، ل محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م0

100- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن محمد البغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ-1983م0

101- شرف أصحاب الحديث، ونصيحة أهل الحديث، كلاهما لأحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0

102- شروط الأئمة الخمسة، لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي، دار زاهد القدسي، بدون تاريخ0

103- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسيني الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب

العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0

104- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0

105- صحيح ابن حبان، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1414هـ-1993م

(207/3)

106- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1412هـ-1992م0

107- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مع فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصى محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ-1986م0

108- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، مع المنهاج شرح مسلم للنووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وعصام الصباطي، وآخرون، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى 1415هـ-1994م0

109- الصمت وحفظ اللسان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق الدكتور محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م0

110- الطب في السنة، للدكتور محمد أحمد السنهوري، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 1855 0

111- طرح التثريب في شرح التقريب، لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، وولده أبي زرعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ0

112- طرق تخريج حديث رسول الله (، للدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام بالقاهرة، بدون تاريخ0

113- عقد الدرر في أخبار المنتظر، ليوسف بن يحيى المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عالم الفكر، الطبعة الأولى 1299هـ-1979م0

114- علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت،

1405هـ-1985م0

115- علم الحديث، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق مسلم محمد علي، دار الكتب

الإسلامية بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م0

116- علوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم، بيروت، الطبعة الحادية

والعشرون، 1977م0

117- علوم الحديث، لابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، تحقيق

صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م0

(208/3)

118- عمدة القارى، شرح صحيح البخارى، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني، مطبعة مصطفى

الحلي، القاهرة، الطبعة الأولى 1392هـ0

119- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبد

الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1389هـ0

120- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لأبي الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر، تحقيق

محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصى محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث

بالقاهرة، الطبعة الأولى 1407هـ-1986م0

121- فتح الباقي على ألفية العراقي، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق محمد بن الحسيني

العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بهامش شرح ألفية العراقي المسماه بالتبصرة والتذكرة0

122- فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق أحمد

محمد شاکر، ومحمود ربيع، مكتبة السنة، بالقاهرة، الطبعة الثانية 1408هـ-1988م0

123- فتح المغيـث شرح ألفية الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي تحقيق صلاح

محمد عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م0

124- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للدكتور موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، بدون

تاريخ0

125- الفكر المنهجي عند المحدثين، للدكتور همام عبد الرحيم سعيد، كتاب الأمة، الطبعة الأولى

1408هـ0

- 126- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبدالرحمن المعلمي
اليمني، وعبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة السنة الحمديد بالقاهرة، 1380هـ-1960م0
- 127- في رحاب السنة، الكتب الصحاح الستة، للدكتور محمد محمد أبو شهبة، طبعة مجمع
البحوث الإسلامية، 1389هـ-1969م0
- 128- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية،
1391هـ-1972م0

(209/3)

-
- 129- قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين، لأبي نصر عبد الوهاب بن علي
السبكي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار الوعي، حلب، الطبعة الثانية، 1398هـ-1978م0
- 130- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجة
البيطار، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1399هـ-1979م0
- 131- القول المسدد في الذب عن المسند، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله محمد الدرويش،
اليمامة، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ-1985م0
- 132- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن
محمد العجلوني، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى
1418هـ-1997م0
- 133- كشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث سيد الأنام (، للدكتور عبد الموجود عبداللطيف،
الناشر مكتبة الأزهر، بالقاهرة، دار الطباعة الحمديد، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م0
- 134- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق الشيخ
بكري حياتي، والشيخ صفوة السقا، طبعة مؤسسة الرسالة، سنة 1413هـ-1993م0
- 135- الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي، الشهير بالخطيب البغدادي، تحقيق محمد
الحافظ التيجاني، وعبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، دار ابن تيمية، بالقاهرة، 1410هـ-
1990م0
- 136- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت،
الطبعة الثالثة، 1402هـ-1982م0

- 137- مجموعة الحديث الصديقية، لآل الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، مصر، بدون تاريخ 0
- 138- مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين، للدكتور نافذ حسين حماد، دار الوفاء، بالمنصورة،
الطبعة الأولى 1414هـ-1993م 0
- 139- المراسيل، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار
الجنان، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م 0

(210/3)

-
- 140- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القاهر عطا، دار
الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ-1990م 0
- 141- مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود، الشهير بأبي داود
الطيالسي، مطبعة حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، 1321هـ-1903م، تصوير دار المعرفة،
بيروت 0
- 142- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المطبعة الميمنية
بالقاهرة، الطبعة الأولى 1313هـ-1895م، تصوير المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة
1403هـ-1983م 0
- 143- مسند الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق سعيد محمد اللحام،
وحياة شيخا، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م 0
- 144- مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق صبحي البدرى السامرائي، مكتبة المعارف بالرياض،
الطبعة الأولى 1407هـ-1987م 0
- 145- مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، الناشر دار صادر، بيروت، مطبعة حيدر آباد الدكن،
بالهند، الطبعة الأولى 1333هـ 0
- 146- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد
علي، ودكتور عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، بدون تاريخ 0
- 147- معالم السنن، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية، الطبعة الأولى،
1351هـ-1981م 0
- 148- معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق الدكتور السيد معظم حسين، حيدر آباد

- الدكن، بالهند، نشر مكتبة المتنبي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1397هـ 0
- 149- المعين الرائق في سيرة سيد الخلائق، للدكتور سعيد محمد صوابي، والدكتور توفيق سالماني، والدكتور إسماعيل مخلوف، 1410هـ-1990م 0
- 150- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد، الشهير بالطبراني، تحقيق الدكتور محمود الطحان، صدر منه 3 أجزاء، مكتبة المعارف، بالرياض، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م 0

(211/3)

-
- 151- المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق محمد سليم سمارة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1992م 0
- 152- المعجم الكبير، للطبراني، صدر منه 25 جزء، وناقص أجزاء 15، 16، 21، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، الطبعة الأولى 1398هـ 0
- 153- مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، للأستاذ محمد عبد العزيز الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ 0
- 154- مفتاح كنوز السنة، للدكتور أ. 0فنسنك، إدارة ترجمان السنة، باكستان 1397هـ-1977م 0
- 155- مقاصد الحديث في القديم والحديث، للدكتور مصطفى أمين إبراهيم التازي، مطبعة دار التأليف بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1971م 0
- 156- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق، وعبد الوهاب عبداللطيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1412هـ-1991م 0

(212/3)

-
- 157- مكارم الأخلاق، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق الأستاذ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م 0
- 158- المكانة العلمية لعبد الرازق بن همام الصنعاني في الحديث النبوي، لأستاذنا الجليل الدكتور

إسماعيل عبد الخالق الدفتار، مخطوط بكلية أصول الدين، بالقاهرة، رقم 2332، لسنة 1396هـ-
1976م0

159- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الشهير، بابن قيم
الجوزية، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية
1403هـ-1983م0

160- منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقى الهندي، مطبعة الميمنية، بالقاهرة،
تصوير المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة 1403هـ-1983م، بهامش مسند الإمام أحمد0
161- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله (، لأبي محمد عبد الله بن الجارود، فهرسة عبد الله
البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0

162- المنهاج شرح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وعصام
الصبايطي وآخرون، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى 1415هـ-1994م0
163- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، للدكتور فاروق حمادة، مكتبة المعارف، المغرب، الطبعة
الأولى 1402هـ-1982م0

164- منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، للدكتور صلاح الدين الأدلبي، دار الآفاق
الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0

165- منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة
1412هـ-1992م0

166- الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار
الفكر، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ-1983م0

(213/3)

167- موطأ الإمام مالك، لأبي عبد الله مالك بن أنس، برواية يحيى الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد
الباقي، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1413هـ-1993م0 وبرواية محمد الشيباني، تحقيق
الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ0
168- نزول عيسى بن مريم، آخر الزمان، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد
عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0

169- نزهة النظر شرع نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق إسحاق عزوز، مكتبة منارة العلماء، الإسماعيلية، القاهرة، 1409هـ-1989م0

170- نظم المتنائر من الحديث المتواتر، للسيد محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ0

171- النكت البديعات على الموضوعات، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الجنان، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م0

172- نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، والدكتور السيد الجميلي، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0

173- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات، المبارك بن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي 1385هـ-1965م
174- هذا عهد نبينا (إلينا خبر الآحاد، لمصطفى محمد سلامة، مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة، بدون تاريخ0

175- الوضع في الحديث، للدكتور عمر بن حسن عثمان فلاته، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 901 لسنة 1397هـ-1977م0

ثالثاً : الفقه وأصوله :

176- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، (للقاضي البيضاوي)، لعلي بن عبد الكافي السبكي، وولده عبد الوهاب السبكي، حققه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م0

(214/3)

177- الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد، الشهير بابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ-1985م0
178- الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، مطبعة الحلبي بالقاهرة، 1387هـ-1967م0

- 179- الأدلة المختلف فيها وأثرها في الفقه الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو المكارم إسماعيل، مطبعة دار ماجد بالقاهرة، الناشر دار المسلم، بدون تاريخ 0
- 180- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لأبي علي محمد بن علي الشوكاني، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب، القاهرة، بدون تاريخ 0
- 181- أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، حيدر آباد الدكن بالهند، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م 0
- 182- أصول الفقه، للشيخ محمد الخضري، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ 0
- 183- أصول الفقه الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، الولايات المتحدة، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م 0
- 184- أصول الفقه، تاريخه ورجاله، للدكتور شعبان إسماعيل، دار المريخ للنشر بالرياض، الطبعة الأولى 1401هـ 0
- 185- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى 1374هـ 0
- 186- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد سيد كيلاي، النور الإسلامية، بيروت، بدون تاريخ 0
- 187- الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق محمد زهدى النجار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1393هـ-1973م 0
- 188- الإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية، لأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، خال من تاريخ الطبع ومكانه 0

(215/3)

-
- 189- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر، الشهير بالزركشي، تحقيق عبد القادر العاني، والدكتور عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة بالگردقة، الطبعة الثانية، 1413هـ-1992م 0
- 190- البرهان في أصول الفقه، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م 0

191- تاريخ التشريع الإسلامى، للشيخ محمد الحضرى، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى
1414هـ-1994م0

192- التحرير فى أصول الفقه، لكمال الدين محمد بن الهمام، طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة،
1350هـ0

193- التقرير والتحرير، لمحمد بن الحسن بن أمير الحاج، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة
الثانية 1403هـ-1983م، تصوير على طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة0

194- تقرير الاستناد فى تفسير الاجتهاد، للإمام السيوطى، تحقيق المستشار الدكتور فؤاد عبد
المنعم أحمد، دار الدعوة بالإسكندرية، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0

195- التلويح فى كشف حقائق التنقيح، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى، مطبعة محمد على
صبيح، ميدان الأزهر بالقاهرة، بدون تاريخ0

196- تيسير التحرير شرح كتاب التحرير، (لكمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام) لمحمد
أمين، المعروف بأمير بادشاه الحنفى، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة1350هـ

197- الدراية فى تخريج أحاديث الهداية، للإمام ابن حجر العسقلانى، تحقيق السيد عبد الله هاشم
اليمانى، مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، 1384هـ-1964م0

198- الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعى، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت،
1309هـ0

199- سبل السلام، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعانى،
تحقيق إبراهيم عصر، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ0

(216/3)

200- شرح الفقه الأكبر، لأبى منصور الحنفى، طبعة الشؤون الدينية بقطر، ولما على القارى،
مطبعة مصطفى الحلبي 1375هـ-1955م0

201- صحة أصول مذهب أهل المدينة، للإمام ابن تيمية، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ0

202- علم أصول الفقه، للشيخ عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة، الطبعة
الثامنة، بدون تاريخ0

203- علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى، للشيخ أحمد إبراهيم، طبعة دار الأنصار

بالقاهرة، بدون تاريخ 0

204- علم الفقه، للدكتور عبد المنعم النمر، مطبعة الخلود، بغداد، 1990م 0

205- غاية الوصول شرح لب الأصول، لتركيا الأنصاري، مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأخيرة 1360هـ 0

206- الفتاوى، للإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر 1417هـ-1997م 0

207- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، لعبد الله مصطفى المراغي، الطبعة الثانية، بيروت، 1394هـ-1974م 0

208- الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق عادل يوسف العزazy، دار ابن الجوزي بالرياض، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م، توزيع دار التوعية الإسلامية، مصر 0

209- الفقه الإسلامي، مرونته، وتطوره، للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق، طبعة الأمانة العامة اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، بدون تاريخ 0

210- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لعبد العلي محمد بن نظام الأنصاري، المطبعة الأميرية ببولاق، 1322هـ مطبوع بهامش المستصفي 0

211- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، مؤسسة الريان، بيروت، 1410هـ-1990م 0

212- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد النجدي، توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين 1404هـ 0

213- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م 0

(217/3)

214- مختصر المنتهى الأصولي لعثمان بن عمر بن الحاجب، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، 1393هـ 0

215- المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد محمد الغزالي، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1322هـ 0

216- المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية، جمع : أحمد عبد الغني، تحقيق محمد محي الدين عبد

الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ 0

217- مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية، للمستشار الدكتور علي جريشة،

مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1399هـ-1979م 0

218- المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين محمد بن علي البصري، قدم له خليل الميس، دار

الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ 0

219- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق عبدالله دارز،

وابراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية 1416هـ-1996م 0

220- مناهج العقول شرح منهاج الأصول، لمحمد بن الحسن البدخشي، مطبعة محمد علي صبيح

بالقاهرة، بهامش نهاية السؤل 0

221- الميزان للشعراني، مصطفى البابي الحلبي 1359هـ 0

222- نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية، للإمام عبد الله بن يوسف الزيلعي، دار المأمون

بالقاهرة، 1357هـ-1938م 0

223- نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، للدكتور علي حسن عبد القادر، دار الكتب الحديثة،

الطبعة الثالثة 1965م 0

224- نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول على علم الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي،

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م، تصوير على طبعة المطبعة الأميرية

بالقاهرة، بهامش التقرير والتحرير 0

225- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت،

1973م 0

رابعاً : التوحيد والفرق والمذاهب :

226- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتورة فؤيدة حسين محمود، دار

الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى 1397هـ-1977م 0

- 227- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق الدكتور فتحى أنوار الدابولى، ومجدى فتحى السيد، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى 1415هـ- 1994م0
- 228- الاتجاه الإعتزالي في الفكر الإسلامى الحديث، للدكتور أحمد محمد عبد العال، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 1650، سنة 1406هـ-1986م0
- 229- أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله، للدكتور على أحمد السالوس، الناشر : المؤسسة الأفروعرية للنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية 1402هـ-1982م0
- 230- أدب المعتزلة، للدكتور عبد الحليم بليغ، مطبعة الرسالة بمصر، الطبعة الثانية 1969م0
- 231- آراء المعتزلة الأصولية، دراسة وتقويماً، للدكتور على بن سعد بن صالح، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 1417هـ-1996م0
- 232- الأربعين فى أصول الدين، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 233- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، للإمام الحرمين عبد الملك الجوينى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ0
- 234- الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ0
- 235- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، طبع عالم الكتب 1402هـ-1982م0
- 236- أصل الشيعة وأصولها، لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة 1413هـ-1993م0
- 237- أصول الدين، لأبي منصور عبد القادر البغدادي، مطبعة الدولة، استنبول، الطبعة الأولى 1346هـ-1928م0
- 238- أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الأمامية، للدكتورة عائشة يوسف المناعى، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م0
- 239- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق محمود طعمة حلبى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م0

-
- 240- إظهار الحق، لرحمت الله الهندي، تحقيق أحمد حجازي السقا، الطبعة الثانية 1406هـ-
1986م0
- 241- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق صلاح عويسة، مكتبة
الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0
- 242- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط، تحقيق
محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 243- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد
زاهد الحسن الكوثري، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1413هـ-1993م0
- 244- البابية والبهائية في الميزان، لمجموعة من العلماء، مطبوعات الأزهر، بدون تاريخ0
- 245- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة،
الطبعة الأولى 1391هـ0
- 246- البهائية في خدمة الاستعمار، نشر : منظمة الإعلام الإسلامي، طبعة : سبهر-طهران،
1405هـ-1985م0
- 247- البهائية وسائل وغايات، لأستاذنا الدكتور طه الدسوقي حبيشي، دار الهدى للطباعة
بالقاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ0
- 248- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، لمحمد أبو زهرة، دار
الفكر العربي، بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 249- تطهير الجنان واللسان، لابن حجر الهيتمي، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة
القاهرة، بمصر، الطبعة الثانية، 1385هـ - 1965م0
- 250 - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد الملطي، تحقيق محمد زاهد الكوثري،
مكتبة المثني، بغداد 1388هـ - 1968م0
- 251- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لمحمد بن اسحاق بن خزيمة، تحقيق الدكتور عبد
العزيز الشموان، دار الرشد، بالرياض، الطبعة الأولى 1408هـ0
- 252- جهنم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، لخالد العلي، مطبعة الإرشاد، بغداد،
1965م0

-
- 253- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، مطبعة المدنى، بالقاهرة، بدون تاريخ⁰
- 254- الحقائق الجليلة فى الرد على ابن تيمية فيما أورده فى الفتوى الحموية، للشيخ شهاب الدين أحمد بن جهيل الحلبي، تحقيق الدكتور طه الدسوقي حبيشى، دار الفجر الجديد بالقاهرة، 1987م⁰
- 255- الخطوط العريضة، لمحّب الدين الخطيب، تحقيق محمد مال الله، المطبعة الفنية، بالقاهرة، بدون تاريخ⁰
- 256- الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية، للدكتور محمد عمارة، مطبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1977م⁰
- 257- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تحقيق حسن السقاف، دار الإمام النووي، بالأردن، الطبعة الثالثة 1413هـ - 1992م⁰
- 258- رسائل الجاحظ من كتاب خلق القرآن، لعمر بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1979م⁰
- 259- رسائل العدل والتوحيد، للدكتور محمد عمارة، مكتبة وهبة، القاهرة⁰
- 260- رسائل العدل والتوحيد، ليحيى بن الحسين، مؤسسة دار الهلال، 1971م⁰
- 261- الروح، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد إسكندر يلداء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1402هـ - 1982م⁰
- 262- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم، لأبي القاسم بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، بدون تاريخ⁰
- 263- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار الهمداني، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1416هـ - 1996م⁰
- 264- شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية، لعلى بن أبي العز الحنفى، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الثانية 1407هـ - 1986م⁰
- 265- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، مطبعة دار التراث، بالقاهرة، بدون تاريخ⁰

- 266- شرح القصيدة النونية، المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس، دار الفاروق الحديثة بالقاهرة، بدون تاريخ 0
- 267- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة 1405هـ - 1985م 0
- 268- الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد إبراهيم العسال، مخطوط بكلية أصول الدين، بالقاهرة، رقم 1160 0
- 269- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم، للسيد أمير محمد القزويني، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، 1397هـ - 1977م 0
- 270- الشيعة هم أهل السنة، للدكتور محمد التيجاني السماوي، شمس المشرق ومؤسسة الفجر، لندن، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م 0
- 271- الشيعة والشيعة، لـمحمد جواد مغنية، دار الكتاب اللبناني، بدون تاريخ 0
- 272- الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، للدكتور موسى الموسوي، طبعة لوس أنجلوس 1408هـ - 1978م 0
- 273- الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، بدون تاريخ 0
- 274- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، لأحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة بمصر، الطبعة الثانية 1385هـ - 1965م 0
- 275- العصريون معتزلة اليوم، للأستاذ يوسف كمال، دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م 0
- 276- العقيدة الصحيحة في الله وما ثار حولها من مشكلات، للحافظ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار مسلم، القاهرة، بدون تاريخ 0
- 277- العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، لجولدتسهير، نقله إلى العربية الدكتور على حسن عبد القاهر، ومحمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، الناشر : دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ 0

- 278- العلمانية : نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، للدكتور سفر ابن عبد الرحمن الحوالى، دار مكة، الطبعة الأولى 1402هـ-1982م0
- 279- الغيب في ضوء القرآن الكريم، للدكتور صدقى عبد الحميد عبد ربه، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 1113 0
- 280- الغيبات في ضوء السنة، للدكتور محمد أحمد همام، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 1864 0
- 281- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد على بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 282- الفرق بين الفرق، لعبد القادر بن طاهر البغدادى، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ-1994م0
- 283- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، للدكتور غالب على عواجى، مكتبة لينة بدمهور، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م0
- 284- القاديانية، للإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين، طبعة مجمع البحوث الإسلامية 1389هـ-1970م0
- 285- القاديانية ومصيرها في التاريخ، للدكتور طه حبيشى، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1409هـ-1989م0
- 286- الكواشف الجليلة عن معاني الوسطية، لعبد العزيز محمد السلطان، شركة الراجحي، الطبعة العاشرة 1401هـ-1981م0
- 287- المحيط بالتكليف، للقاضى عبد الجبار، جمع الحسن بن أحمد بن منتوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف بالقاهرة0
- 288- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : شرح الدرر المضيئة في عقيدة الفرق المرضية، لمحمد أحمد السفاريني، مكتبة أسامة بالرياض، بدون تاريخ0
- 289- مختصر التحفة الإثني عشرية، تأليف شاه عبد العزيز الإمام ولى الله أحمد الدهلوى، تعريب غلام محمد الأسلمى، وتهذيب السيد محمود شكرى الألوسى، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد بالسعودية 1404هـ0

- 290- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى 1412هـ-1992م0
- 291- مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1374هـ-1955م0
- 292- مع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح، للدكتور علاء الدين السيد أمير القزويني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الثانية 1414هـ-1994م0
- 293- المعتزلة، زهدى حسن جاد الله، مطبعة مصر، الطبعة الأولى 1366هـ-1948م0
- 294- المعتزلة واتجاههم العقلي وأثره في تطور الفكر الإسلامي الحديث، للدكتور نشأت عبد الجواد، مخطوط بكلية أصول الدين، بالقاهرة، رقم 1841 0
- 295- المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، للأستاذ عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة 1417هـ-1996م0
- 296- مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع، للدكتور علي أحمد السالوس، دار التقوى بمصر، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م0
- 297- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1389هـ-1984م0
- 298- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0
- 299- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لأبي العباس أحمد بن تيمية، المطبعة الأميرية، ببولاق، الطبعة الأولى 1321هـ، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت
- 300- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، الطبعة الثانية 1409هـ-1989م0
- 301- موقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها، لأبي لبابة حسين، دار اللواء بالرياض، الطبعة الثانية 1407هـ-1987م0

- 302- النبوات، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ-1985م0
- 303- نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة، للدكتور مصطفى حلمي، دار الدعوة، بالإسكندرية، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0
- 304- وجهة الإسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، لجماعة من المستشرقين، نقله عن الإنكليزية محمد عبد الهادي أبو ريذة، المكتبة التجارية بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ0
- 305- الوشيعية في نقد عقائد الشيعة، لموسى جار الله العراقي، دار الكتب السلفية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1403هـ0

(225/3)

خامساً : التاريخ والتراجم :

- 306- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لبطرس البستاني، دار مأمون عبود 1979م0
- 307- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليل بن عبد الله الخليلي القزويني، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1993م0
- 308- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ-1992م0
- 309- اسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق على محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ-1994م0
- 310- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لأبي المحاسن عبد الباقي بن علي اليماني، تحقيق عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية، الرياض، 1406هـ0
- 311- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دار السعادة بالقاهرة، 1328هـ0
- 312- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت، الطبعة السادسة 1984م0
- 313- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 314- إنباه الرواه على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى 1950 0

- 315- البداية والنهاية في التاريخ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم، وآخرون، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0
- 316- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ0
- 317- بغية الوعاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، الطبعة الأولى 1384هـ-1964م0

(226/3)

-
- 318- البيان والتوضيح، لمن أخرج له في الصحيح ومس بضرب من التجريح، لأبي زرعة عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0
- 319- تاج التراجم في طبقات الحنفية، لأبي الفداء قاسم بن قطلوبغا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ-1992م0
- 320- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى 1350هـ-1931م0
- 321- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تصحيح محمد سعيد العرفي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى 1349هـ-1930م، تصوير دار الكتب العلمية0
- 322- تاريخ الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، بترتيب الحافظ الهيثمي، وتضمنيات الحافظ ابن حجر، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1984م0
- 323- تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان، دار العلم، بيروت، الطبعة السادسة، بدون تاريخ0
- 324- تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0
- 325- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية للتأليف، الطبعة الأولى 1383هـ-1963م0

- 326- تجريد أسماء الصحابة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، نشر وتصوير دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ0
- 327- تذكرة الحفاظ، للذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي اليماني، حيدر آباد الكن، الهند، الطبعة الأولى 1395هـ-1975م0
- 328- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م0
- 329- التعريف برواة مسند الشاميين، للدكتور علي محمد جماز، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ودار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى 1409هـ-1989م0

(227/3)

-
- 330- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م0
- 331- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة، تصحيح كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م
- 332- تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المطبعة المنيرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1336هـ-1927م، تصوير دار الكتب العلمية0
- 333- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج جمال الدين المزي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، والدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1400هـ-1412هـ-1980م-1992م0
- 334- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم، لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م0
- 335- الثقات، لمحمد بن حبان البستي، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى 1393هـ-1404هـ/1973م-1984م، تصوير دار الكتب العلمية0
- 336- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى 1371هـ-1951م، تصوير دار الكتب العلمية0
- 337- الجمع بين رجال الصحيحين، لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني،

- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1323هـ-1905م0
- 338- الجواهر المضوية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار العلوم، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م0
- 339- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1387هـ-1968م0
- 340- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأحمد بن عبد الله الخزرجي، تحقيق محمود عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة بمصر 1322هـ0

(228/3)

-
- 341- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى 1349هـ-1930م، تصوير دار إحياء التراث العربي0
- 342- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي)، لإبراهيم بن علي، المعروف بابن فرحون المالكي، تحقيق مأمون محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0
- 343- ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، للعبادي، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، 1413هـ-1993م0
- 344- رجال صحيح البخاري، المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه، لأبي نصر أحمد بن الحسين الكلاباذي، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م0
- 345- رجال الشيعة في الميزان، لعبد الرحمن الزرعي، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0
- 346- رجال صحيح مسلم، لأبي بكر أحمد بن منجويه الأصبهاني، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م0
- 347- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة 1412هـ-1992م0
- 348- الإمام الشافعي، ناصر السنة، وواضع الأصول، للأستاذ عبد الحليم الجندي، دار المعارف

بالقاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ⁰

349- شيهات حول العصر العباسي الأول، للدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد، طبعة دار الوفاء

بالمنصورة، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م⁰

350- شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، للشيخ محمد محمد مخلوف، دار الفكر، بدون

تاريخ⁰

351- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، مكتبة

القدسى بالقاهرة، الطبعة الأولى 1370هـ-1371هـ / 1950م-1951م، تصوير دار الكتب

العلمية⁰

(229/3)

352- الضعفاء، لأبي زرعة الرازى = أبو زرعة وجهوده في السنة، للدكتور سعدى الهاشمى، نشر

مكتبة ابن القيم بالمدينة المنورة 1409هـ-1989م⁰

353- الضعفاء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، دار

الثقافة بالمغرب، الطبعة الأولى 1405هـ-1984م⁰

354- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين

قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م⁰

355- الضعفاء والمتروكين، لأحمد بن على بن شعيب النسائي، تحقيق بوران الضناوى، وكمال

يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية 1407هـ-1987م⁰

356- الضعفاء والمتروكين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، تحقيق عبد الله القاضى،

الطبعة الأولى 1406هـ-1984م⁰

357- الضعفاء الصغير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق إبراهيم زايد، دار الوعى،

حلب 1396هـ-1976م⁰

358- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوى، نشر مكتبة

القدسى بالقاهرة، 1354هـ⁰

359- طبقات الحفاظ، للسيوطى، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية،

بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م⁰

- 360- طبقات الحنابلة، لأبي الحسن محمد بن أبي يعلى الفراء، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى 1372هـ-1952م، تصوير دار المعرفة، بيروت0
- 361- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لأحمد بن عبد القادر الغزى التميمي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى 1390هـ-1970م0
- 362- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، الطبعة الأولى 1391هـ-1971م0

(230/3)

-
- 363- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1383هـ-1964م0
- 364- طبقات علماء الحديث، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1409هـ-1989م0
- 365- طبقات الفقهاء الشافعيين، لإسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، 1413هـ-1993م0
- 366- طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1401هـ-1981م0
- 367- طبقات القراء، لمحمد بن الجزري، تحقيق براجستراسر وبريستل، مطبعة السعادة بالقاهرة، 1352هـ-1932م0
- 368- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0
- 369- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0
- 370- طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ0
- 371- طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضي شهبة، نشرة الدكتور محسن غياض، النجف 1974م0

372- العبر في خبر من غير، للذهبي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ 0

373- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لأبي القاسم البلخي، والقاضي عبد الجبار، والحاكم

الجشمي، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد، الدار التونسية بوتنس 1394هـ-1974م 0

374- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد بن عبد الحى اللكنوى، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين أبو الفوارس النعساني، دار المعرفة، بيروت، 1324هـ 0

(231/3)

375- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن أبي يعوب، الشهير بابن النديم، تحقيق الدكتور يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م 0

376- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد عوامة، وأحمد محمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى 1413هـ-1992م 0

377- الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدى الجرجاني، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة 1409هـ-1988م 0

378- اللباب في تهذيب الأنساب، على بن محمد بن الأثير الجزري، مكتبة حسام الدين القدسي، الطبعة الأولى 1356هـ، تصوير دار صادر، بيروت 0

379- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1995م 0

380- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، لعبد المتعال الصعیدی، مكتبة الآداب ومطبعتها بالقاهرة 0

381- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى 1396هـ-1976م 0

382- مختصر تاريخ دمشق، لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق روحية النحاس، ومحمد مطيع، دار الفكر، الطبعة الأولى 1984م 0

383- مرآة الجناة وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبد الله بن أسعد اليافعي،

- حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الثانية 1413هـ-1993م0
- 384- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، 1368هـ-1948م0
- 385- مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان البستي، تحقيق مجدى منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1416هـ-1995م0

(232/3)

-
- 386- المستشرقون الألمان تراجعهم، وما أسهموا به في الدراسات العربية، جمع صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية 1982م0
- 387- مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه، للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1396هـ-1976م0
- 388- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مطبعة الترقى بدمشق 1957م-1961م0
- 389- معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م0
- 390- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1408هـ-1982م0
- 391- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ0
- 392- مناقب الإمام الشافعي، لفخر الدين الرازي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م0
- 393- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغرى بردى الأتابكي، مطبعة دار الكتب المصرية 1349هـ-1930م0
- 394- نزهة الألباب في طبقات الأدباء، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1967م0
- 395- نهاية الاغتباط بمن روى من الرواة بالاختلاط، لعلاء الدين علي رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م0

396- النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ⁰

397- الهجمات المغرصة على التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد ياسين مظهر صديقي، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، دار الصحوة للنشر، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م⁰

(233/3)

398- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، الطبعة الأولى 1350هـ-1405هـ/1931م-1985م⁰

399- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ⁰

سادساً : المعاجم، والموسوعات، والتعريفات :

- 400- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت⁰
- 401- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث، بدون تاريخ⁰
- 402- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها للعربية أحمد السنتناوي، وآخرون، نشر دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ⁰
- 403- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، القاهرة، 1402هـ-1982م⁰
- 404- الفروق في اللغة، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الآفاق الجديدة، بدون تاريخ⁰
- 405- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الأميرية، الطبعة الثالثة 1301هـ، تصوير الهيئة المصرية العامة للكتاب 1397هـ-1977م⁰
- 406- كشاف اصطلاحات الفنون، للمولوي محمد بن علي التهانوي، طبع بالهند 1278هـ، تصوير دار صادر، بيروت⁰
- 407- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى عبد الله حاجي خليفة، تقديم شهاب

الدين النجفي المرعشلي، طبعة إسطنبول، مطبعة المعارف 1921م0

408- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت 1300هـ-

1882م0

409- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر، دار النهضة للطباعة0

410- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق

الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، بدون تاريخ0

411- مصادر اللغة، للدكتور عبد الحميد الشلقاني، مطابع جامعة الرياض، الطبعة الأولى

1980م0

(234/3)

412- معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادى، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، بدون تاريخ0

413- المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس، وآخرون، دار الفكر، بدون تاريخ0

سابعاً : الدفاع عن السنة ورواتها :

414- أبو هريرة رواية الإسلام، للدكتور محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة

1402هـ-1982م0

415- أبو هريرة في ضوء مروياته، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، خال من مكان الطبع وتاريخه0

416- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، للدكتور عبد المجيد

محمود، مكتبة الخانجي، 1400هـ-1980م0

417- الدفاع عن السنة، الجزء الأول من سلسلة (الإسلام واستمرار المؤامرة، الخداع والتضليل)

لشيخنا الجليل الدكتور طه الدسوقي حبيشى، مكتبة رشوان بالقاهرة، الطبعة الأولى

1988.1408م0

418- الأضواء الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الدلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن

بن يحيى المعلمي اليماني، المكتبة السلفية، القاهرة، 1378هـ0

419- تأويل مختلف الحديث، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار

الفكر، بيروت، 1415هـ-1995م0

420- تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها، للسيد سليمان الندوى، ترجمها الشيخ عبدالوهاب

الدهلوى بمكة المكرمة، المطبعة السلفية ومكبتها، الطبعة الثالثة 1399هـ

421- توثيق الأحاديث النبوية (نقد قاعدة شاخت) السكوت عن الاستدلال بالحديث في موطن

الاحتجاج دليل على عدم وجوده، بقلم ظفر إسحاق الأنصارى، ترجمة جمال محمد جابر، مجلة كلية

الدعوة الإسلامية بليبيا، العدد الحادى عشر، 1994م0

422- توثيق السنة في القرن الثانى الهجرى، أسسه واتجاهاته، للدكتور رفعت فوزى عبدالمطلب،

مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الأولى 1400هـ-1981م0

423- حجية السنة، للدكتور عبد الغنى عبد الخالق، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية

1413هـ-1993م0

(235/3)

424- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، لمحمد ناصر الدين الألبانى، مطبعة الدار

السلفية، الطبعة الثالثة 1400هـ0

425- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة المحمدية، للدكتور محمد أبو زهو،

مطبعة مصر، الطبعة الأولى 1378هـ-1958م0

426- دراسات في الحديث النبوى، وتاريخ تدوينه، للدكتور محمد مصطفى الأعظمى، المكتب

الإسلامى 1413هـ-1992م0

427- دفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلى العزى، مكتبة النهضة، ببغداد، دار الشروق،

بيروت، الطبعة الأولى 1393هـ-1973م0

428- دفاع عن أبي هريرة، للأستاذ عثمان موانى، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى 1973م0

429- دفاع عن الحديث والمحدثين وتفنيد شبهات خصومه لجماعة من نوابغ العلماء، تصحيح زكريا

على يوسف، مطبعة الإمام، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة 1972م0

430- دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين، للدكتور محمد أبو شهبة،

مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1409هـ-1989م0

431- دراسات أصولية في السنة النبوية، للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى، دار الوفاء بالمنصورة،

الطبعة الأولى 1412هـ-1991م0

432- دراسات في السنة وعلوم الحديث، للدكتور محمد المنسى، الناشر مكتبة الشباب بالقاهرة،
01996م

433- دراسات في السنة ومناهج المحدثين، للدكتور رجب إبراهيم صقر، خال من مكان الطبع
وتاريخه0

434- دراسات في السيرة النبوية، للأستاذ محمد سرور بن نايف، دار الأرقم، برمنجهام، الطبعة
الثالثة 1408هـ-1988م0

435- دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، للدكتور امتياز أحمد، نقله إلى العربية الدكتور عبد
المعطي أمين قلجى، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0

436- الرد القويم على المجرم الأثيم، للشيخ محمود بن عبد الله التويجى، طبعة الرئاسة العامة
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى 1403هـ0

(236/3)

437- السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، للدكتور رءوف شلبى، مطبعة السعادة
بالقاهرة، الطبعة الأولى 1398هـ-1978م0

438- السنة بياناً للقرآن، للدكتور إبراهيم محمد عبد الله الخولى، نشر الشركة العربية للطباعة
والنشر 01993م

439- السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم، للدكتور عبد الموجود محمد عبداللطيف، دار
الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0

440- السنة تشريع لازم ودائم، للدكتور فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبه بالقاهرة، الطبعة الأولى
01985هـ-1405م

441- السنة فى مواجهة أعدائها، الجزء الثانى من سلسلة (الإسلام واستمرار المؤامرة)، للدكتور طه
الدسوقى حبيشى، مكتبة رشوان بالقاهرة، الطبعة الأولى 1416هـ-1995م0

442- السنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية
01988هـ-1408م

443- السنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاها، للدكتور سيد أحمد

- رمضان المسير، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1402هـ-1981م0
- 444- السنة المطهرة والتحديات، للدكتور نور الدين عتر، مكتبة دار الفلاح، حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م0
- 445- السنة مع القرآن، للدكتور سيد أحمد المسير، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0
- 446- السنة المفترى عليها، للمستشار سالم على البهنساوى، دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الرابعة 1413هـ-1992م0
- 447- السنة النبوية بين أنصارها وخصومها، للدكتور سعد المرصفي، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 748، لسنة 1396هـ-1976م0
- 448- السنة النبوية الشريفة، للدكتور أحمد محمود كريمة، هدية مجلة الأزهر الشريف، عدد ربيع الأول 1418هـ0
- 449- السنة النبوية في مواجهة التحدى، للدكتور أحمد عمر هاشم، طبعة مجمع البحوث الإسلامية 1401هـ-1980م0

(237/3)

-
- 450- السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الإلهي المنزل، للدكتور محمد علي الصابوني، خال من مكان الطبع وتاريخه0
- 451- السنة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها، لشيخنا الجليل الدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 452- السنة والتشريع، لشيخنا الجليل الدكتور موسى شاهين لاشين، هدية مجلة الأزهر الشريف، عدد شعبان 1411هـ0
- 453- السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، ندوة عقدت بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، نشر مؤسسة آل البيت، عمان، 1410هـ-1989م0
- 454- شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين، للدكتور السيد محمد نوح، طبعة دار الوفاء بالمنصورة، بدون تاريخ0

(238/3)

-
- 455- الشفاعة، لمقبل بن هادى الوادعى، الناشر مكتبة دار الأرقم، مطبعة المدنى، مصر،
1402هـ-1982م0
- 456- ضلالات منكرى السنة، الجزء الثالث من سلسلة (الإسلام واستمرار المؤامرة)، للدكتور طه
الدسوقى حبيشى، مكتبة رشوان بالقاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0
- 457- ضوابط الرواية عند المحدثين، للأستاذ الصديق بشير نصر، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،
ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، الجماهيرية العظمى، طرابلس، الطبعة الأولى 1992م0
- 458- الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، للدكتور أحمد محرم الشيخ، مطبعة الأمانة بالقاهرة،
الطبعة الأولى 1407هـ-1986م0
- 459- ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها، للدكتور صالح أحمد رضا، طبعة إدارة الثقافة
والنشر بالسعودية 1414هـ-1993م0
- 460- ظلمات أبى رية أمام أضواء السنة المحمدية، للأستاذ محمد عبد الرازق حمزة، المطبعة السلفية
بالقاهرة، 1379هـ0
- 461- عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه الإسلام، وإرغام المبتدع الجهول بإتباع سنة
الرسول، لأبى الفضل عبد الله الصديق الغمارى، مكتبة القاهرة بمصر، بدون تاريخ0
- 462- عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام، للدكتور ناصر على الشيخ، مكتبة الرشد
باليابان، الطبعة الثانية 1415هـ-1995م0
- 463- العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى (، لأبى بكر ابن العربى
المالكي، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمود مهدى الإستانبولى، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة
السادسة 1412هـ0
- 464- العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم، لمحمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق شعيب
الأرنؤوط، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م0
- 465- الفكر المنهجي عند المحدثين، للدكتور همام عبد الرحيم سعيد، كتاب الأمة، الطبعة الأولى
1408هـ0
- 466- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، للدكتور خادم حسين إلهى بخش، الناشر مكتبة الصديق
بالسعودية، الطبعة الأولى 1409هـ-1989م0

-
- 467- قصة الهجوم على السنة، للدكتور على أحمد السالوس، دار السلام بالقاهرة، الطبعة الأولى 1408هـ-1987م
- 468- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة 1417هـ
- 469- المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي، دار الأصفهاني، رابطة العالم الإسلامية، بدون تاريخ
- 470- المدخل إلى السنة النبوية، بحوث في القضايا الأساسية عن السنة النبوية، للدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام 1419هـ-1998م
- 471- مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، للأستاذ عبد الله بن علي النجدي القصيمي، مراجعة الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ
- 472- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق الأستاذ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م
- 473- المكانة العلمية، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني في الحديث النبوي، لشيخنا الجليل إسماعيل عبد الخالق الدفتار، الجزآن الأول والثاني في مكانة السنة ورد شبهات الطاعنين في حجيتها، والثالث والرابع في مكانة الصنعاني في الحديث، والرسالة مخطوطة بكلية أصول بالقاهرة، رقم 2332 لسنة 1396هـ-1976م
- 474- منزلة السنة في التشريع الإسلامي، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي، دار حراء للكتاب بالقاهرة، الطبعة الأولى 1409هـ
- 475- منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، للأستاذ محمد سعيد منصور، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1413هـ-1993م
- 476- منهج السنة في الحدود، وأثره في صلاح المجتمع، للدكتور عبد المنعم عطية عبد القوي سكران، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 1437 لسنة 1399هـ-1979م

- 477- منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنة، للدكتورة عزيزة على طه، مؤسسة الرسالة بالقاهرة، الطبعة الثانية 1417هـ-1996م0
- 478- المؤتمر العلمي الرابع للسيرة، والسنة النبوية، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية، مطابع الشروق، 1406هـ-1985م0
- 479- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، للأستاذ الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى 1418هـ-1998م0
- 480- نصوص من السنة ودفاع عنها، للدكتور رفعت فوزى، دار الثقافة العربية، 1410هـ-1990م0
- 481- النفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة، والسنة النبوية، للشيخ محمد الطاهر الحامدي، قدم له وكتب حواشيه الطاهر محمد الطاهر، الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م0
- 482- نقد كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، للدكتور رفعت فوزى عبد المطلب، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م0
- 483- نقض مطاعن نصر أبو زيد في القرآن، والسنة، والصحابة، وأئمة المسلمين، للدكتور إسماعيل سالم، دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ-1994م0
- ثامناً : مراجع عامة :
- 484- ابن تيمية، حياته، وعقائده، لصائب عبد الحميد، الغدير للدراسات والنشر، بيروت0
- 485- الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية، للأستاذ مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1995م0
- 486- البحث في مصادر التاريخ الديني، دراسة عملية، لأحمد صبحي منصور، القاهرة، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م0
- 487- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدى، طبع بمصر، 1373هـ-1953م0
- 488- أبو هريرة، لعبد الحسين شرف الدين الموسوى، دار الزهراء، بيروت، الطبعة السادسة 1415هـ-1995م0
- 489- البيان والتبيين، لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة 1395هـ-1975م0

- 490- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، للمستشار الدكتور على جريشة، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثالثة 1411هـ-1990م0
- 491- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، للأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة السابعة، 1414هـ-1994م0
- 492- أحاديث أم المؤمنين عائشة، أدوار من حياتها، لمرتضى العسكري، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية 1413هـ-1992م0
- 493- الحديث النبوي في النحو العربي، للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية 1417هـ-1997م0
- 494- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، للدكتور سعد الدين السيد صالح، دار التقوى، بلبس، الطبعة الثالثة 1415هـ-1995م0
- 495- أخبار عمرو بن عبيد، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق الدكتور يوسف فان إس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1967م0
- 496- أدب العرب في صدر الإسلام، لحسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ-1992م0
- 497- الدولة والمجتمع، محمد شحرور، الأهالي، بيروت، الطبعة الرابعة 1997م0
- 498- الرسالة الحمديّة، للسيد سليمان الندوي، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية 1404هـ-1984م0
- 499- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، للدكتور عمر إبراهيم رضوان، دار طيبة، الطبعة الأولى 1413هـ-1992م0
- 500- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، للدكتور على جريشة، ومحمد شريف الزبيق، دار الاعتصام، القاهرة0
- 501- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، دار المنار بالقاهرة، الطبعة الثانية 1409هـ-1989م0
- 502- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، للدكتور مصطفى السباعي، دار السلام بالقاهرة، الطبعة الأولى 1418هـ-1998م0

503- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، لعدنان محمد وزان، رابطة العالم الإسلامي، ضمن سلسلة دعوة الحق العدد 24 السنة الثالثة 0

(242/3)

-
- 504- الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، (ليبولد فايس)، ترجمة الدكتور عمر فروخ، دار العلم، بيروت، 1987م 0
- 505- الإسلام في تصورات الغرب، للدكتور محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م 0
- 506- الإسلام والحضارة الغربية، للدكتور محمد عمر حسين، دار الرسالة، جدة، الطبعة التاسعة، 1413هـ-1993م 0
- 507- الإسلام والعقلانية، لجمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة 0
- 508- الإسلام والمستشرقين، لنخبة من العلماء المسلمين، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م 0
- 509- الإسلام والإيمان منظومة القيم، لمحمد شحرور، الأهالي، بيروت، الطبعة الأولى 1996م 0
- 510- السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية 1417هـ-1997م 0
- 511- شرح ديوان كعب بن زهير، لأبي سعيد الحسن بن عبيد الله العسكري، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى 1369هـ-1950م 0
- 512- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، بدون تاريخ 0
- 513- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1966م 0
- 514- أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي، للأستاذ أنور الجندي، دار الفضيلة بالقاهرة، بدون تاريخ 0
- 515- الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، للدكتور طه الدسوقي حبيشي، دار على للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م 0
- 516- أصول التفكير النحوي، للدكتور على أبي المكارم، دار القلم، بيروت، 1973م 0
- 517- أصول الفقه الحمدي، لجوزيف شاخ، ترجمة الأستاذ الصديق بشير بن نصر، نشر مجلة

كلية الدعوة، بليبيا، العدد 11 لسنة 1994م

518- أصول النحو، لسعيد الأفغانى، مطبعة جامعة دمشق 1376هـ 0

519- الأصول العظيان، الكتاب والسنة، رؤية جديدة، جمال البنا، مطبعة حسان بالقاهرة 0

(243/3)

520- أضواء على السنة الحمديّة، أو دفاع عن الحديث، لمحمد أبو ربه، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ 0

521- الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها، للسيد صالح أبو بكر، مطابع محرم الصناعية، 1974م 0

522- إعادة تقييم الحديث، لقاسم أحمد، مكتبة مديولى الصغير، الطبعة الأولى 1997م 0

523- إعادة قراءة القرآن، لجاك بيرك، ترجمة وائل غالى شكرى، تقديم أحمد صبحى منصور، دار النديم للصحافة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1996م 0

524- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسى، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952م 0

525- أعيان الشيعة، لحسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت 0

526- الإفصاح في إمامة على بن أبي طالب، لمحمد بن النعمان العكبرى، دار المنتصر، بيروت، الطبعة الثانية 1409هـ-1989م 0

527- الأنبياء في القرآن، لأحمد صبحى منصور، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م 0

528- إنذار من السماء (النظرية) لنيازى عز الدين، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1996م 0

529- أهل السنة شعب الله المختار، لصالح الوردانى، كنوة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م 0

530- أوروبا والإسلام، للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ 0

531- بلاغة الرسول، للدكتور على محمد حسن العمارى، دار الأنصار بالقاهرة 0

532- بحوث في القرآن والسنة، اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، الأمانة العامة،

القاهرة، 1403هـ-1983م0

533- بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، 1418هـ-

1997م0

534- البيان بالقرآن، لمصطفى كمال المهدي، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ليبيا، الطبعة

الأولى 1990م0

(244/3)

535- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، للسيد حسن الصدر، طبعة شركة الطباعة والنشر العراقية

بيغداد 1951م0

536- تأملات في الحديث عند السنة والشيعة، لتركيا عباس داود، دار النخيل للطباعة والنشر،

بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1995م0

537- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، للدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ،

المكتبة العصرية، الطبعة الأولى بدون تاريخ0

538- تبصير الأمة بحقيقة السنة، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، 1416هـ-1995م0

539- تراثا الفكرى في ميزان الشرع والعقل، للشيخ محمد العزالى، دار الآمان، الرباط، المغرب،

الطبعة الثالثة، 1414هـ-1993م0

540- تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة، لصفوت حسن لطفى، ومحمد عبد

العظيم على، وجلال يحيى كامل، تقديم يحيى كامل أحمد، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة0

541- الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام، للشيخ محمد منظور نعماني، ترجمة الدكتور سمير عبد

الحמיד إبراهيم، مطبعة عيبر للكتاب والأشغال التجارية، القاهرة0

542- ثم اهتديت، لحمد التيجاني، مؤسسة الفجر، لندن، الطبعة الثانية 1410هـ-1989م

543- حد الردة، دراسة أصولية تاريخية، لأحمد صبحي منصور، دار طيبة للدراسات والنشر،

القاهرة0

544- الحسبة، دراسة أصولية تاريخية، لأحمد صبحي منصور، الناشر مركز المحروسة للنشر

والخدمات الصحفية، الطبعة الأولى 1995م0

545- حصاد العقل، لحمد سعيد العشماوى، مكتبة مدبولي الصغير، 1992م0

- 546- حصوننا مهددة من داخلها، للدكتور محمد محمد حسين، دار الرسالة، جدة، الطبعة الثانية عشرة 1413هـ-1993م0
- 547- حقائق ثابتة في الإسلام، لابن الخطيب، مطبعة الأفق، طهران، الطبعة الأولى 1394هـ-1974م0
- 548- حقيقة الحجاب وحجية الحديث، لـمحمد سعيد العشماوى، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة الثانية 1415هـ-1995م0

(245/3)

-
- 549- حقيقة السنة النبوية، لأحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0
- 550- حوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين، لهشام آل قطيط، دار الحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1998م0
- 551- حياة محمد، للدكتور محمد حسين هيكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م0
- 552- الخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة، لصالح الوردانى، دار الخليج للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1416هـ-1996م0
- 553- خزنة الأدب ولب لباب العرب، لعبد القادر البغدادى، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربى، القاهرة، 1387هـ0
- 554- خمسون ومائة صحابي مختلف، لمرتضى العسكري، دار الزهراء، بيروت، الطبعة السادسة، 1412هـ-1991م0
- 555- الخلافة المغتصبة، أزمة تاريخ أم أزمة مؤرخ، لإدريس الحسينى، دار الخليج للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1416هـ-1996م0
- 556- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى 1321هـ، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، بهامش منهاج السنة0
- 557- دراسات محمدية، لجولدتسيهر، ترجمة الأستاذ الصديق بشير نصر، نشر مجلة كلية الدعوة الإسلامية، بليبيا، العدد الثامن لسنة 1991م، والعدد العاشر لسنة 1993م0
- 558- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاى، مكتبة مدبولى الكبير،

الطبعة الأولى 1996م0

559- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، لصالح الورداني، الناشر تريدنكو للطباعة، بيروت،

الطبعة الأولى 1418هـ-1997م0

560- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، للشيخ محمد الغزالي، دار الكتب

الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة 1408هـ-1988م0

561- دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي، لأحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية،

الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0

(246/3)

562- دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، لحسين أحمد أمين، دار الشروق،

القاهرة، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0

563- دين السلطان (البرهان) لنيازي عز الدين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة

الأولى 1997م0

564- الربا والفائدة في الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، الطبعة

الأولى 1416هـ-1996م0

565- رجال اختلف فيهم الرأي، للأستاذ أنور الجندی، دار الأنصار، القاهرة0

566- الرسول (في كتابات المستشرقين، لنذير حمدان، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، جدة0

567- رشاد خليفة، صنيعة الصليبية العالمية، وأخطر من سلمان رشدي، للدكتور خالد نعيم، مطبعة

المختار الإسلامي، بدون تاريخ0

568- رؤية إسلامية للاستشراق، للأستاذ أحمد غراب، المنتدى الإسلامي، الطبعة الثانية

1411هـ0

569- زواج المتعة حلال عند أهل السنة، لصالح الورداني، مكتبة مدبولي الصغير، الطبعة الأولى

1417هـ-1997م0

570- السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، للأستاذ تاج الدين نوفل، مكتبة التراث الإسلامي،

القاهرة0

571- السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، لعبد الجواد ياسين، المركز

- الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، الطبقة الأولى 1998م0
- 572- السنة مصدر للمعرفة والحضارة، للدكتور يوسف القرضاوى، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م0
- 573- الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، لنصر أبو زيد، مكتبة مدبولى، الطبعة الثانية 1996م0
- 574- شفاء الصدر بنفى عذاب القبر، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، 1415هـ-1994م0
- 575- شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، لخليل عبد الكريم، دار سينا بالقاهرة، الطبعة الأولى 1997م0
- 576- شيخ المضيرة (أبو هريرة)، لمحمود أبو رية، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة 1413هـ-1993م0

(247/3)

-
- 577- الشيعة والمتعة، لمحمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثالثة 1409هـ0
- 578- الصحابة فى نظر الشيعة الإمامية، لأسد حيدر، نشر مطبوعات النجاح بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 579- الصلاة، لمحمد نجيب، دائرة المعارف العلمية الإسلامية، القاهرة0
- 580- الصلاة فى القرآن، لأحمد صبحى منصور، مخطوط0
- 581- صواعق الحق المرسله على الجنين والكهان والسحرة، لفريق من علماء أنصار السنة الحمديّة، إعداد عبد المجيد محمد صالح، مطبعة العمرانية، القاهرة0
- 582- صورتان متضادتان لنتائج الرسول الأعظم، بين السنة والشيعة الإمامية، لأبى الحسن، على الحسنى الندوى، مطبعة الكلمة بالجيزة، 1405هـ-1985م0
- 583- ضحى الإسلامى، للأستاذ أحمد أمين، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة السادسة 1961م0
- 584- الطب الإسلامى، للدكتور أحمد طه، دار الاعتصام بالقاهرة، بدون تاريخ0
- 585- الطب الوقائى فى الإسلام، للعميد الصيدلى، عمر محمود عبد الله، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة بالعراق، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م0

- 586- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، لمرتضى العسكري، دار الزهراء، بيروت، الطبعة السادسة 1412هـ-1991م0
- 587- عذاب القبر في الميزان، لعكاشة عبد المنان الطيبي، دار الاعتصام، القاهرة0
- 588- عذاب القبر والتعبان الأقرع، لأحمد صبحي منصور، دار طيبة للدراسات والنشر، القاهرة0
- 589- عقوبة الحد في ضوء القرآن الكريم وأثرها في إصلاح المجتمع، للدكتور محمد زواوى عبد الله، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 1748 سنة 1405هـ-1989م0
- 590- العلمانية وموقفها من العقيدة والشرعية، للدكتور عبد العظيم المطعنى، مكتبة النور، 1992م0
- 591- العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور عزت عبد المجيد، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم 1109 0
- 592- الغارة على التراث الإسلامى، للأستاذ جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام، بريطانيا، 1412هـ-1992م0

(248/3)

-
- 593- الغارة على العالم الإسلامى، أ0ل شاتليه، نقلها إلى العربية محب الدين الخطيب، ومساعد اليافى، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الرابعة 1398هـ0
- 594- العدير فى الكتاب والسنة والأدب، لعبد الحسين أحمد الأمينى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة0
- 595- فتح الوهاب لا جزية على أهل الكتاب، لإسماعيل منصور جوده، القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م0
- 596- الفتنة الحمينية حقيقة الثورة الإيرانية، للشيخ محمد عبد القادر آزار، مطبعة عير للكتاب، حلوان، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م0
- 597- الفتنة الكبرى (عثمان)، لطله حسين، دار المعارف بمصر، الطبعة العاشرة0
- 598- فجر الإسلام، لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة السابعة 1959م0
- 599- فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، لحسين بن محمد تقى النورى الطبرى، طبع حجر0

- 600- الفرقان، لابن الخطيب، المطبعة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1367هـ-1948م0
- 601- الفصول المهمة في تأليف الأمة، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، مطبعة العرفان، صيدا سنة 1330هـ0
- 602- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، للدكتور محمد البهي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية عشر 1411هـ-1991م0
- 603- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثالثة 1998م0
- 604- في الأدب الجاهلي، لطله حسين، دار المعارف، مصر، الطبعة السادسة عشر0
- 605- الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي، تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم، القاهرة، الطبعة الأولى 1396هـ-1976م0
- 606- قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدو أهله، لعبد الودود يوسف، دار السلام بالقاهرة، 1413هـ-1994م0
- 607- قراءة في صحيح البخاري، لأحمد صبحي منصور، مخطوط0
- 608- قرآن أم حديث، لرشاد خليفة، مسجد توسان، أمريكا0
- 609- القرآن والحديث والإسلام، لرشاد خليفة، مخطوط0

(249/3)

-
- 610- قصة الحديث الحمدي، لمحمد أبو رية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م0
- 611- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد بن المبرد تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1413هـ-1993م0

(250/3)

-
- 612- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، لمحمد شحرور، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ-1992م0
- 613- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، للحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، تحقيق حسين

- الدركاهي، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية 1414هـ-1993م0
- 614- كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد ثم كلا لأدعياء التنوير، جمال البنا، طبعة دار الفكر الإسلامي، لسنة 1414هـ-1994م0
- 615- كيف نتعامل مع السنة النبوية، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة السابعة 1415هـ-1994م0
- 616- لقد شيعني الحسين، الانتقال الصعب في رحاب المعتقد والمذهب، لإدريس الحسيني، دار النخيل العربي، بيروت، الطبعة الرابعة 1416هـ-1996م0
- 617- لماذا القرآن، لعبد الله الخليفة=أحمد صبحي منصور، خال من مكان الطبع وتاريخه0
- 618- مائة سؤال عن الإسلام، للشيخ محمد الغزالي، دار ثابت، القاهرة، الطبعة الثالثة 1407هـ-1987م0
- 619- المتآمرون على المسلمين الشيعة، من معاوية إلى ولاية الفتنة، لموسى الموسوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية 1996م0
- 620- مجتمع يثرب العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين الحمدي والخليفي، لخليل عبدالكريم، دار سينا، القاهرة، الطبعة الثانية 1997م0
- 621- المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، للدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار، مصر، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م0
- 622- المراجعات، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الأندلس، بيروت، بدون تاريخ0
- 623- مساحة للحوار من أجل الوفاق ومعرفة الحقيقة، لأحمد حسين يعقوب، الغدير، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م0
- 624- المسلم العاصي، هل يخرج من النار ليدخل الجنة، لأحمد صبحي منصور، القاهرة، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م0
- 625- المسيح عليه السلام في القرآن الكريم، للدكتور رمضان مصطفى دياب، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 957 0

- 626- مسيلمة في مسجد توسان، الظهور الجديد، وراء المحيطات، للدكتور طه الدسوقي حبيشى، مكتبة رشوان، القاهرة0
- 627- المستشرقون والتراث، للدكتور عبد العظيم الديب، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية 1413هـ-1992م0
- 628- مصباح الهداية في إثبات الولاية، لعلى الموسوى البهباني، الناشر : أصفهان كتابفروش دين ودانش، جاب دون - مطبعة رباني0
- 629- مصطلح التاريخ، لأسد رستم، منشورات العصرية، بيروت، بدون تاريخ0
- 630- معالم المدرستين، لمرتضى العسكري، الدار العالمية، بيروت، الطبعة الخامسة 1414هـ-1993م0
- 631- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية الله العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت0
- 632- مفهوم النص، للدكتور نصر أبو زيد، خال من مكان الطبع وتاريخه0
- 633- مقدمات العلوم والمناهج، للأستاذ أنور الجندى، دار الأنصار، القاهرة0
- 634- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، لجماعة من العلماء، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، 1405هـ-1985م0
- 635- من التوجيهات النبوية للأسرة الإسلامية، للدكتور سعيد محمد صوابي، مطبعة الفجر الجديد، 1411هـ-1990م0
- 636- منع تدوين الحديث أسباب ونتائج، لعلى الشهرستاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م0
- 637- موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، لعز الدين بليق، دار الفتح، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م0
- 638- المؤامرة على الإسلام، للأستاذ أنور الجندى، دار الاعتصام، القاهرة0
- 639- المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية، الدعوة والدعاة، 1408هـ-1988م0
- 640- موقف الإسلام من المجتمع الجاهلى، للدكتور جعفر السقا، جمعية الوقف الإسلامى، هولندا، الطبعة الأولى 1409هـ0
- 641- موقف النجاة من الاحتجاج بالحديث، للدكتورة خديجة الحديثي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية0

-
- 642- الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية بطهران، الطبعة الثانية 0
- 643- نحو تطوير التشريع الإسلامي، لعبد الله أحمد النعيم، ترجمة وتقديم حسين أحمد أمين، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 1994م 0
- 644- نحو فقه جديد، لجمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ 0
- 645- النسخ والبداء في الكتاب والسنة، لمحمد حسين الحاج العاملي، دار الهادي، بيروت، 1418هـ-1997م 0
- 646- النص والاجتهاد، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة 1386هـ-1966م 0
- 647- نظرة القرآن إلى الجريمة والعقاب، للدكتور محمد عبد المنعم القيعي، دار المنار، القاهرة، 1408هـ-1988م 0
- 648- نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، لأحمد حسين يعقوب، مطبعة الخيام، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، بدون تاريخ 0
- 649- نقد الحديث في علم الرواية والدراية، للدكتور حسين الحاج حسن، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م 0
- 650- نقد الخطاب الديني، لنصر أبو زيد، دار سينا، القاهرة، الطبعة الثانية 1994م 0
- 651- كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م 0
- 652- وركبت السفينة، لمروان خليفات، الغدير للدراسات والطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م 0
- 653- وعاظ السلاطين، لعلی الوردی، دار كوفان، لندن، توزيع دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الثانية 1995م 0
- 654- لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن، لأحمد صبحي منصور مركز الخروسة بالمعادي، الطبعة الأولى 1997م 0
- 655- يوسف شاخت حياته وآثاره، لروبير برونشفيج، ترجمة الدكتور عبد الحكيم الأريدي، نشر مجلة

كلية الدعوة بليبيا، العدد 11 لسنة 1994م0

تاسعاً : الدوريات :

(253/3)

-
- 656- مجلة الأزهر الشريف، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية، العدد ربيع الأول لسنة 1418هـ-1997م، والعدد ربيع الآخر لسنة 1418هـ-1997م0
- 657- جريدة أفاق عربية، 17، ربيع الآخر 1418م0
- 658- مجلة كلية أصول الدين بالقاهرة، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، العدد الثاني لسنة 1404هـ-1984م0
- 659- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، طرابلس، الأعداد 8 لسنة 1991م، و 10 لسنة 1993م، و 11 لسنة 1994م0
- 660- مجلة روز اليوسف، الأعداد : 3530، 3559، 3563، 3564، لسنة 1411هـ-1996م، والعدد 3586 لسنة 1417هـ-1997م0
- 661- مجلة العربي، العدد 480، 1419هـ-1998م0
- 662- جريدة مجمع اللغة العربية، بمجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين، وإبراهيم التريزى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984م0
- 663- مجلة المنار، لحمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر الأعداد 9، 10، 11، 12، 19، 21، 27، 28، 29، 33 0
- 664- مجلة الوعي الإسلامى، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، العدد 375، لسنة 1417هـ-1997م، والعدد 396 لسنة 1419هـ-1998م0

*** **

(254/3)

سابعاً

فهرس الموضوعات

الموضوع ... الصفحة

الإهداء ... 1

كلمة شكر وتقدير ... 4

المقدمة ... 6

أسباب إختيار الموضوع ...

13 ...

خطة البحث ... 16

منهجى فى البحث ...

تمهيد، وفيه خمسة مباحث : ...

17 ...

المبحث الأول : كلمة فى الاصطلاح0 معرفة الفوارق بين المعانى فى اللغة والمعانى الاصطلاحية ...

19 ...

تركيز أعداد السنة فى تعريفهم بالسنة على معانيها اللغوية ... 26

المبحث الثانى : التعريف بالسنة فى مصطلح علمائها ... 27

المطلب الأول : التعريف "بالسنة" و "الحديث" فى اللغة ... 35

المطلب الثانى : التعريف "بالسنة" و "الحديث" فى الاصطلاح ... 36

السنة النبوية وعمل الصحابة ... 44

المطلب الثالث : شبهة حول التسمية والرد عليها ... 48

المبحث الثالث : الحديث النبوى بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية... 50

المبحث الرابع : الحديث النبوى تاريخ الإسلام ... 51

المبحث الخامس : دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم ...

الباب الأول ... 55-178

التعريف بأعداد السنة النبوية

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول ... 56	
تمهيد وفيه التعريف بأعداء لغة وشرعاً	
الفصل الأول : أعداء السنة من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج، الشيعة، المعتزلة)	
59	
تمهيد وفيه بيان المراد بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع ... 60	

الموضوع ... الصفحة

المبحث الأول : أهمية دراسة الفرق في التأريخ للسنة المطهرة ... 64	
المبحث الثاني : التعريف بالخوارج وموقفهم من السنة المطهرة ... 67	
الخوارج وهل كان فيهم أحد من الصحابة أو أصحابهم ... 67	
مصادر الخوارج في العقائد والأحكام ... 71	

(255/3)

وجوه إخراج أصحاب الصحيح للمبتدعة في صحاحهم ... 74	
عقيدة الخوارج في الصحابة (وأثر ذلك على السنة المطهرة. ... 74	
هل كان الخوارج يكذبون في الحديث ... 76	
المبحث الثالث : التعريف بالشيعة وموقفهم من السنة النبوية ... 79	
أنواع التشيع ... 83	
موقف الشيعة من الصحابة ... 84	
موقف الشيعة من الأمة الإسلامية ... 87	
أثر موقف الشيعة من الصحابة على القرآن الكريم ... 88	
أثر موقف الشيعة من الصحابة على السنة النبوية ... 89	
أساليب الشيعة في العبث بالسنة المطهرة ... 93	
عقائد الشيعة وأحكامهم ... 98	
تأثر الشيعة بالمعتزلة في اثنين من أصولهم "العدل" و "التوحيد" ... 102	
الجواب عن زعم بعض الشيعة أن الاعتزال عقيدة الأئمة من آل البيت	

المبحث الرابع : التعريف بالمعتزلة وموقفهم من السنة النبوية	102
خلاف المعتزلة حول أصولهم	106
شرح أصول المعتزلة الخمسة	108
من فوارق الأصول عند المعتزلة أن سنة رسول الله (ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى، ولا تخالف ظاهر القرآن	109
من فوارق الأصول عند المعتزلة، تولى الصحابة، والاختلاف في سيدنا عثمان (بعد الأحداث، والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص -رضى الله عنهما- ..	113

113

الموضوع ... الصفحة	
موقف المعتزلة من السنة المطهرة	114
موقفهم من الخبر المتواتر	115
المعتزلة أول الفرق التي اشترطت في قبول الأخبار العدد، وتناقضوا في نسبته	...
الجواب عما نسب إلى بعض أصحاب الحديث من اشتراط العدد في الرواية	...
	115

(256/3)

موقفهم من خبر الآحاد	...
تناقض المعتزلة في العدد المطلوب لقبول خبر الآحاد	118
شروط المعتزلة في الاحتجاج بخبر الواحد	119
موقف المعتزلة من الصحابة وأثر ذلك على السنة النبوية	119
المبحث الخامس : من الفرق إلى السنة الجامعة	120

الفصل الثاني : أعداء السنة النبوية من المستشرقين	122
المبحث الأول : التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحاً	128
المبحث الثاني : منهج المستشرقين في دراسة الإسلام	131
المبحث الثالث : المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية	132
المبحث الرابع : موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين	134
الفصل الثالث : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً، العلمانية، البهائية، القاديانية ...	
	141
المبحث الأول : التعريف بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع حديثاً وبيان خطرهم	
	143
المبحث الثاني : موقف أهل الأهواء والبدع حديثاً من السنة النبوية	...
المطلب الأول : العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية	153
المطلب الثاني : البهائيون وموقفهم من السنة النبوية	...
المطلب الثالث : القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية	154
الفصل الرابع : أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية	160
الباب الثاني	161
وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية	162
تمهيد	
	167
الفصل الأول : شبهات حول حجية السنة النبوية الشريفة	171

707-179

180

182

الموضوع ... الصفحة

المبحث الأول : شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم	183
المطلب الأول : شبهة الإكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها	...
	...

المطلب الثاني : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها والرد عليها	184
المبحث الثاني : شبهات بنيت على أحاديث من السنة النبوية	
تمهيد :	198
المطلب الأول : شبهة عرض السنة النبوية على القرآن الكريم والرد عليها	213
المطلب الثاني : شبهة عرض السنة النبوية على العقل والرد عليها	214
المطلب الثالث : وفيه الشبهة الآتية	
أولاً : شبهة النهي عن كتابة السنة المطهرة، والرد عليها	215
استعراض الشبهة وأصحابها والرد عليها بما يلي	
نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في النهي عن كتابة السنة المطهرة	235
درجة الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة	255
الجواب عن زعم أعداء السنة بأن النهي عن كتابة السنة يدل على عدم حجيتها	
علة النهي عن كتابة السنة كما وردت في الأحاديث والآثار التي استشهد بها خصوم السنة على شبهتهم	256
علة النهي عن كتابة السنة عند أعدائها والرد على مزاعمهم الآتية	
	257

262

270

273

279

293

الموضوع ... الصفحة

1- أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبي (وأصحابه) أرادوا ألا يكون مع كتاب الله (كتاب

آخر ... 294

2- الجواب عن شبهة أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبي (وأصحابه) أرادوا ألا تكون

السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم ...

3- استعراض شبهة أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة (كانوا يجتهدون في

مقابلة السنة الشريفة ولا يأخذون بها والرد عليها ... 299

4- الجواب عن شبهة نهى الصحابة عن الإكثار من الرواية، وامتناع بعضهم عن كثرة التحديث دليل

على عدم حجية السنة

الجواب عن شبهة النهى عن الإكثار من التحديث اتهم من أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما-

للصحابة بالكذب ... 307

(258/3)

ثانياً : شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية (استعراض الشبهة وأصحابها) والرد عليها

... ..

الفرق بين الكتابة، والتدوين، والتصنيف ... 322
نماذج من أشهر ما كتب من السنة النبوية في حياة النبي (وبعده إلى زمن التدوين الرسمي

هم عمر (بتدوين السنة فيه أبلغ حجة على غلاة الشيعة بأن أهل السنة وفي مقدمتهم أبي بكر
وعمر كانوا من أنصار منع تدوين السنة
336

340

344

347

348

(259/3)

الموضوع ... الصفحة
نقد قاعدة شاخت "السكوت عن الحديث في موطن الاحتجاج به دليل على عدم وجوده" ..
... 353
الجواب على ما يزعمه بعض غلاة الشيعة بأن لهم فضل السبق في التدوين
...
الجواب على ما يزعمه بعض الرافضة أن أهل السنة وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما-
أضاعوا سنة نبيهم (... .. 362
ثالثاً : شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها
الاحتجاج بالسنة والاستشهاد بها في قواعد النحو واللغة
... 364
رابعاً : شبهة أن الوضع وكثرة الوضعين للحديث أضعفت الثقة بالسنة والرد عليها

368

استعراض الشبهة وأصحابها

378 الجواب عن الشبهة بتمهيد

التعريف بالحديث الموضوع لغة واصطلاحاً

بداية الوضع في الحديث وبراءة الصحابة (منه

388

الجواب عن زعم أعداء السنة أن بداية الوضع كانت زمن النبوة، ووقعت من صحابته الكرام

388

391 نماذج من جراءة الصحابة في حفظ الشريعة

ألفاظ التكذيب على السنة بعض الصحابة تعنى التخطئة والوهم في الكلام لا حقيقة لفظ الكذب

392

الرد على زعم أعداء السنة المطهرة بأن لفظة "متعمداً" في حديث "من كذب على" مختلفة

جهود حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين في مقاومة حركة الوضع في

393 السنة النبوية

396

397

399

402

405

الموضوع ... الصفحة

شبهة أن حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم كانوا جنوداً للسلطين والملوك في العصر

417 الأموي، والعباسي والرد عليها

417 استعراض الشبهة وأصحابها

أولاً : الجواب عن الطعن في صحة إسلام سيدنا معاوية (، وأنه فتح باب الوضع في السنة النبوية ...

... ..

ثانياً : الجواب عن اتهام رواة السنة بأنهم كانوا كذابين وفقهاء سلطة

420

نماذج لما كان عليه سلفنا الصالح من جراءة في الحق مع خلفائهم وملوكهم وأمرأهم

(260/3)

صلة علماء المسلمين بالملوك والأمراء 425

ثالثاً : الجواب عن اتهام الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين، في دينهم، ودعوى استغلالهم لعلماء

المسلمين لوضع ما يثبت ملكهم

حال الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين من الدين

428

رابعاً : الجواب عن طعن أعداء السنة في أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث الفتن

429

المبحث الثالث : أدلة حجية النبوية المطهرة

المطلب الأول : العصمة 432

دلالة العصمة على حجية القرآن والسنة

الوحي قسمان كتاب معجز، وما ليس بكتاب وهو قسمان حديث قدسي، وحديث نبوي

432

436

442

443

444

445

الموضوع ... الصفحة

أقسام الوحي بالنسبة للحديث النبوي ... 447

القسم الأول : قسم أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسول الله (، وهو الأعم الأغلب من السنة النبوية ...

...

القسم الثاني : ما قاله النبي (باجتهاده وأقره الله (عليه ...

447

اجتهاد النبي (، وتشكيك بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم، في أن السنة المطهرة كلها وحي ...

...

اجتهاد النبي (، وتقسيم بعض علماء المسلمين السنة إلى سنة تشريعية ملزمة، وسنة غير تشريعية غير

ملزمة ... 447

اجتهاد النبي (في الشريعة الإسلامية كله وحي من عند الله (...

...

الجواب على من قسموا السنة إلى تشريع وغير تشريع ...

452 ...

نقض دليل تقسيم السنة النبوية إلى سنة تشريعية وغير تشريعية ...

...

المطلب الثاني : من أدلة حجية السنة المطهرة القرآن الكريم ... 454

المطلب الثالث : من أدلة حجية السنة، السنة النبوية نفسها ...

المطلب الرابع : من أدلة حجية السنة الشريفة، الإجماع ... 456

أعداء الإسلام وطعنهم في حجية الإجماع الدال على حجية السنة والرد عليهم ...

...

المطلب الخامس : من أدلة حجية السنة المطهر العقل والنظر ... 458

ماذا لو اكتفينا بالاستناد إلى القرآن وحده، ولم نعبأ بالسنة المطهرة
... ..

نماذج من المسائل العجيبة التي استنبطها أعداء السنة من القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى بيان النبي
(، واستعراض بدائلهم عن السنة المطهرة 465

469

476

478

480

482

483

484

الموضوع ... الصفحة

495 كلمة أخيرة في بدائل السنة عند أعدائها

يا أهل الكتاب، ويا أهل الهوى، تعالوا لننظر ماذا يوجد في الحديث، وأى مقدار منه يصلح أن يكون
مجالاً للبحث والمناقشة

كلمة أخيرة للمنكرين للسنة النبوية، والقاصرين مهمة الرسول (على بلاغ القرآن الكريم فقط ...

496

علاقة القرآن الكريم بالسنة النبوية

499 أنواع بيان السنة المطهرة للقرآن الكريم

502 تأكيد السنة للقرآن الكريم

502 تفصيل المجلد

502 تقييد المطلق

503 تخصيص العام

505 توضيح المشكل

أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند السلف الصالح

506

إنكار أعداء الإسلام للنسخ لأنه بيان للسنة وهم يحددونه

507

النسخ جائز عقلاً، واقع شرعاً، من غير فرق بين كونه في الكتاب أو السنة

... ..

أهمية علم النسخ والمنسوخ في الشريعة الإسلامية 508

بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم

استقلال السنة بتشريع الأحكام 509

الإمام الشاطبي ومن أساء فهمه من علماء المسلمين، ومن اتخذ كلامه من أعداء السنة ستاراً

للتشكيك في حجية السنة، واستقلالها بتشريع الأحكام

تمسح دعاة الفتنة وأدعياء العلم بإيمانهم بالسنة البيانية وبيان مرادهم وهدفهم من ذلك

510

511

513

517

519

527

الموضوع ... الصفحة

نماذج من الأحاديث التي استقلت السنة النبوية بتشريعها

528

ماذا قال الإمام الشاطبي في الأحكام التي استقلت السنة بتأسيسها
.. ..

مضار إنكار السنة النبوية 529

حكم منكر السنة النبوية 534

الفصل الثاني : وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد
535

تمهيد
537 ...

المبحث الأول : التعريف بالمتواتر، وبيان كثرة وجوده، ودرجة ما يفيد من العلم، وحكم العمل به،
وحكم جاحده 538

المبحث الثاني : التعريف بالآحاد، وبيان درجة ما يفيد من العلم وحجيته ووجوب العمل به
.. ..

المبحث الثالث : منكر وحجية خبر الواحد قديماً وحديثاً 539

تمهيد
استعراض شبهة منكرى حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً والرد عليها
545

أدلة حجية خبر الواحد 555

المبحث الرابع : شروط حجية خبر الواحد ووجوب العمل به عند المحدثين والرد على شروط المعتزلة
ومن قال بقولهم قديماً وحديثاً 555
شروط حجية خبر الواحد عند المحدثين

شروط المعتزلة لصحة خبر الواحد 558

سر اشتراط الأحناف والمعتزلة شروط زائدة على شروط أصحاب الحديث
568

الجواب عن شروط المعتزلة ومن قال بما قديماً وحديثاً

الجواب عن طعون أعداء السنة في حديث "سيحان، وجيحان، والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة
572

572

575

576

580

592

(263/3)

الموضوع ... الصفحة

598 ... الفصل الثالث : وسيلتهم في الطعن في رواية السنة المطهرة

599 ... المبحث الأول : طعنهم في عدالة الصحابة وفيه تمهيد وستة مطالب

... التمهيد ويتضمن : أولاً : هدف أعداء الإسلام من طعنهم في الصحابة ()

...

... ثانياً : حكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله ()

600 ...

... المطلب الأول : التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً

600 ... السر في التعميم في تعريف الصحابي

603 ... طريق معرفة الصحبة

605 ... المطلب الثاني : التعريف بالعدالة لغة واصطلاحاً

606 ... معنى عدالة الصحابة

... ليس معنى العدالة العصمة من المعاصي أو من السهو

607 ...

608 ... المطلب الثالث : أدلة عدالة الصحابة ()

... المطلب الرابع : شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها

609 ... المطلب الخامس : سنة الصحابة (حجة شرعية)

610 ... سنة الصحابة مصدراً للأحكام الدستورية

... المطلب السادس : أبو هريرة (راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين)

617 ...

المبحث الثاني : طعنهم في عدالة أهل السنة وفيه تمهيد وأربعة مطالب

634

التمهيد ويتضمن : موقف أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً من أهل السنة وأئمة المسلمين، وأساليبهم

في الطعن في أهل السنة 637

المطلب الأول : بيان المراد بأهل السنة

المطلب الثاني : سلامة طريقة أهل السنة في فهم الشريعة الإسلامية وبيان تحقيق النجاة لهم

638

653

654

660

661

الموضوع ... الصفحة

المطلب الثالث : شرف أصحاب الحديث 665

المطلب الرابع : الجواب عن دعوى تقصير المحدثين في نقدهم للمتن

من نماذج سبر المحدثين المتن في نقدهم للحديث خبر وضع الجزية عن يهود خيبر

667

الفصل الرابع : وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث وتحتة تمهيد ومبحثان

... ..

التمهيد ويتضمن بيان : أن الإسناد دليلنا على صحة الكتاب والسنة، وهدف أعداء الإسلام من

الطعن في الإسناد ... 671

المبحث الأول : شبه الطاعنين في الإسناد والرد عليها ...

المبحث الثاني : أهمية الإسناد في الدين واختصاص الأمة الإسلامية به عن سائر الأمم ...

673 ...

الفصل الخامس : وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة، وتحت مبحثان ...

...

المبحث الأول : أساليب أعداء السنة في الطعن في المصادر الحديثية ... 674

المبحث الثاني : الجواب عن زعم أعداء السنة أن استدراكات الأئمة على الصحيحين دليل على عدم

صحتها ... 676

الجواب عن تكلم فيه من رجال الصحيحين ...

الفصل السادس : وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التأريخ للسنة ورواها ...

684 ...

ويتضمن بيان : أساليب دعاة الفتنة وأدعياء العلم في الطعن في السنة النبوية من خلال ثلاثة أنواع

من المصادر ...

النوع الأول : مصادر غير معتبرة، وعليها جل اعتمادهم في الحكم على السنة المطهرة ...

687 ...

النوع الثاني : مصادر معتبرة حديثية، وهدفهم من ذلك تضليل القارئ ...

688 ...

النوع الثالث : مصادر معتبرة غير حديثية، واعتمادهم ما ورد فيها من أحاديث مكذوبة ...

...

691

694

698

699

699

702

704

الموضوع ... الصفحة

الباب الثالث ... 708-890

نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها ... 708

وتحته تمهيد وعشرة فصول

التمهيد ويتضمن بيان

709

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند إعدادها ... 710

ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها ... 711

الفصل الأول : حديث "إنما الأعمال بالنيات"

المبحث الأول : شبه الطاعنين في حديث "إنما الأعمال بالنيات" والرد عليها

712

(265/3)

المبحث الثاني : مكانة حديث "إنما الأعمال بالنيات" ... 719

الفصل الثاني : حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" ... 721

المبحث الأول : شبه الطاعنين في حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليها

.....

المبحث الثاني : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ... 722

المبحث الثالث : الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع ... 731

المبحث الرابع : بقاء الأحرف السبعة في المصاحف ... 737

الفصل الثالث : أحاديث "رؤية الله ("، و "محنة آدم موسى عليهما السلام"، "والشفاعة"

740

المبحث الأول : موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث الصفات

موقف السلف الصالح من أحاديث الصفات والرد على أهل البدع قديماً وحديثاً

744

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "رؤية الله تعالى" والرد عليها

745

الجواب عن شبهات المعتزلة ومن قال بقولهم في إنكار رؤية رب العزة جل جلاله

... ..

المبحث الثالث : موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث القدر والرد عليهم

748

755

757

767

الموضوع ... الصفحة

وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب عن شبه المعتزلة ومن قال بقولهم أو تأثر بهم

769

المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث "محنة آدم موسى عليهما السلام" والرد عليها

... ..

المبحث الخامس : موقف المعتزلة قديماً وحديثاً من أحاديث المغفرة لمتركب الكبيرة والرد عليهم

775

المبحث السادس : شبه الطاعنين في حديث الشفاعة والرد عليهم

الفصل الرابع : أحاديث ظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح عليه السلام

778

المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "المستقبلية" و"الأخروية" والرد عليها ...
785

(266/3)

المبحث الثاني : شبهات المنكرين لظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح عليه السلام والرد
عليها

أولاً : ظهور المهدي 792

ثانياً : خروج الدجال

ثالثاً : نزول المسيح عيسى عليه السلام 793

الفصل الخامس : حديث عذاب القبر ونعيمه

المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "الأخروية" من أحوال البرزخ، وأحوال يوم
القيامة والرد عليها 797

المبحث الثاني : شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها 797

الفصل السادس : أحاديث "خلوة النبي (بامرأة من الأنصار، ونوم النبي (عند أم سليم وأم حرام،
وحديث سحر النبي (... .. 802

المبحث الأول : شبهة مخالفة سيرة النبي (في السنة المطهرة عن سيرته في القرآن الكريم والرد عليها
... .. 804

المبحث الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "أنس بن مالك في خلوة النبي (بامرأة من الأنصار" والرد
عليها 814

815

818

832

833

الموضوع ... الصفحة

المبحث الثالث : شبه الطاعنين في حديثي نوم النبي (عند أم سليم، وأم حرام والرد عليها ...

841 ...

المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث سحر النبي (والرد عليها ...

... ..

الفصل السابع : حديث رضاعة الكبير شبهات الطاعنين فيه والرد عليها ... 848

الفصل الثامن : حديث "وقوع الذباب في الإناء"

856 ...

المبحث الأول : شبه الطاعنين في أحاديث الطب النبوي والرد عليها ... 867

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "وقوع الذباب في الإناء" والرد عليها

868

الفصل التاسع : ثمرات ونتائج الحديث الصحيح

الفصل العاشر : مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة

875

الخاتمة : في نتائج هذه الدراسة ومقترحات وتوصيات ... 888

الفهارس ... 890

أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة ... 891

(267/3)

ثانياً : فهرس الأحاديث، والآثار، والأقوال

1012-896

ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم ... 897

رابعاً : فهرس الأشعار ... 915

..... خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق

931

944 ... سادساً : فهرس المصادر والمراجع

946 ... سابعاً : فهرس الموضوعات

950

998

*** **

(268/3)
